



ربيع الأول ١٤٠٣ هـ

كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حديث الشعبي في صفة الغيث

نص مستخرج من كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

● أنشر هذا النص احتفاء بالذكرى السبعين لميلاد شيخنا الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر ، مدَّ اللهُ في عمره ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وحاطه بيده الحانية ، ومتعنا به .

● رقمت الأسانيد التي وردت في النص تسهيلاً للمراجعة .

● أشرتُ بايجاز الى مراجع تراجم الأعلام الذينَ وردت أسماؤهم في النص وحواشيه ، وفي الأسانيد ، المشهورين منهم وغير المشهورين .

● جاء حديث الشعبي في المخطوطات الثلاث المعروفة لكتاب الدلائل : في مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق (ونرمز اليها بحرف ظ) في الصفحات : ١٣٦ أ ـ ١٤٣ أ ، وهو يشغل الصفحات : ١٩٩ ـ ٢١٥ من المخطوطة المغربية (ونرمز اليها بحرف م) ، والصفحات : ٨٢ أ ـ ٨٧ أ ، من مخطوطة اصطنبول (ونرمز اليها بحرف ص) . ولك أن تعود بشأن مخطوطات الدلائل الى مقالتنا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٠ ، ٥١) .

عملنا في تحقيق النص

حديث الشعبي في صفة الغيث من النصوص اللغوية الهامة ، تداولته كتب اللغة والأدب والتاريخ والمحاضرات سرداً حينا ، ومشفوعاً بالتفسير حينا آخر ، وقد تختار منه فقراً وعبارات تقف عندها .

واقتضتنا طبيعة النص أن نصطنع في التحقيق عدة رموز :

الأول ـ حروف الأبجدية ، ونرمز بها الى ما وقع من اختلاف بين النسخ المخطوطة الثلاث. وقد أثبتنا هذا الخلاف في حواشي الصفحات. ذلك لأننا نؤمن أن هدف المحقق الأول الذي نصب نفسه له أن يقدم النص كما وضعه مؤلفه ، أو أقرب ما يكون الى الصورة التي وضعها . والطريقة التي سلكناها تسمح أن نعرض للقارئ المطالع النص سليماً من التصحيف والتحريف ، بريئاً من الآفات الأخرى التي قد تلحق به ، مشفوعاً باختلاف النسخ ، والاشارة الى ما وقع في بعضها أحياناً من تحريف او تصحيف او خطأ او سقط .

الثاني ـ الترقيم بالأرقام الغبارية ، وقد دللنا بها على المواضع التي تناولها مؤلف الدلائل القاسم بن ثابت بالشرح والايضاح .

الثالث ـ الترقيم بالأرقام المسماة بالهندية ، وهي تتصل بالتعليقات التي رأينا من المفيد أن نعقب بها على النص ، نفسر مجمله ، ونوضح غامضه ، ونخرج شواهده ، ونترجم للأعلام المذكورين فيه ، وما يتصل بذلك كله مما يأخذ بيد القارئ ليمضي في طريق ملحوب ، قد استبانت له مقاصد المؤلف ومعانيه ، وتمكن من فهم عبارته التمكن المستوعب .

ـ وإذ كانت هذه التعليقات من الأمور المعينة المساعدة لفهم النص ، فقد رأينا أن تأتي في ختامه حتى لا تثقله ، ولا تكون عبئاً على القارئ الحفيّ .

ـ وتميزت نسخة الظاهرية بتعليقات علماء أجلة زينت حواشيها بدرر غوالٍ ، وقد أثبتناها في مواضعها من النص ، ولكنها استدعت منا تعقيبات لم يكن منها بدّ . لذلك ألحقنا كل رقم عقبنا فيه على احدى هذه الحواشي القيّمة بحرف ح ، تسهيلاً للمراجعة .

ـ ثم ختمنا التعليقات بملحق يتضمن تراجم رجال الأسانيد . وللإسناد شأنه الكبير في بنيان التراث العربي ، تفرغ له رجال مشهورون وعلماء أكابر ، أفنوا أعمارهم في تتبعه ، وصنفوا فيه المصنفات الجليلة التي ما تزال ذخراً نفيساً لا نكاد نجد له شبيهاً لدى الأمم

الأخرى . ثم تضاءلت العنـايـة بـالأسـانيـد في العصور المتـأخرة . ونرى ألا بـد من العودة الى العناية بالأسانيد ورجالها لتكتمل نهضة التراث بجميع جوانبها المضيئـة . وفوائـد هـذه العنـايـة جمة متعددة الوجوه ، تفتح آفـاقـاً جـديـدة للـدراسـة تعين على فهم التراث والتعرف الى طرق الأخذ والرواية والدراسة في العصور المتقدمة : عصور العربية الزاهرة . ومن هنا كان همنا ان نشارك في هذا الجهد بالقدر المستطاع .

حديث الشعبي في صفة الغيث

وشرحه من كتاب الدلائل

١ ـ وقال[١] : في حديث الشعبيّ عامر بن شراحيل[٢] رحمه الله الذي ناه ابو العلاء[أ] قال نا أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير قال نا عيسى بن يونس قال نا عباد بن موسى عن الشعبي[٣] : أنه أُتي به الحجاج[٤] مُوثَقاً ، قال : فلما انتهيتُ الى باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم[٥] فقال : إنا لله ياشعبيُّ ، لما بين دفتيك من العلم[2] ، وليس بيوم [١٣٦ ب] شفاعة ، بُؤْ للأمير بالشرك والنفاق على نفسك[1] ، فبالحرا أن تنجو منه[3] . قال : ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لي مثل مقالة يزيد . فلما دخلت على الحجاج قال : وأنت ياشعبيُّ ممن خرج علينا وكثَّر فينا . فقلت[٦] : « أصلح الله الأمير ، أحزن بنا المنزل ، وأجدب الجنابُ ، وضاق المسلكُ ، واكتحلنا السهرَ ، واستحلسنا الخوفَ ، ووقعنا في خَزْيةٍ ، لم نكن فيها بَرَرَةً أتقياء ، ولا فَجَرَةً أقوياء »[ب] . قال : « صدق والله ، مابرُّوا بخروجهم علينا إذ خرجوا ، ولا قووا علينا حيث

(أ) في نسخة م : « الذي أخبرناه ابو العلاء » ، وفي نسخة ص : « أخبرناه أبو العلاء » .

(ب) جاء في حاشية الصفحة اليمنى من المخطوطة ظ : « س : هذه كلها أمثالٌ ضربها لما كانوا فيه من الفتنة »[٧] .

فجروا ، أطلقا عنه » . قال : واحتاج الى فريضة فأتيته فقال : « ماتقول في أمٍّ وأخت وجَدّ ؟» فقلت : « اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ : عثمانُ وعليٌّ وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت »[٨] . قال : « ماقال فيها ابن عباس ، إن كان لمثقباً »[أ] . قلتُ : « جعل الجدَّ أباً ، ولم يعط الأخت شيئاً ، وأعطى الأم الثلث » ، قال : « فما قال فيها أمير المؤمنين » يعني عثمان ، قلت : « جعلها أثلاثاً » ، قال : « فما قال فيها زيد بن ثابت » ، قلتُ :« جعلها من تسعة ، فأعطى الأمَّ ثلاثة ، وأعطى الجد أربعة ، وأعطى الأخت سهمين » قال : « فما قال فيها ابن مسعود » ، قلت :« جعلها من ستة ، فأعطى الأخت ثلاثة ، وأعطى الأمَّ سهماً ، وأعطى الجدَّ سهمين » . قال : « فما قال فيها ابو تراب » يعني علياً [رضي الله عنه][ب] ، قلت : « جعلها من ستة ، فأعطى الأخت ثلاثة ، وأعطى الأم سهمين ، وأعطى الجد سهما »[١٠] ، إذ دخل عليه الحاجب فقال : إن بالباب رسلاً ، فقال : ائذن [لهم][جـ] ، فدخلوا ، عمائمُهم على أوساطهم ، وسيوفُهم على عواتقهم ، وكتُبُهم بأَيْمانهم ، فدخل رجلٌ من بني سُلَيْم يقال له : سيابة[د] بن عاصم ، فقال : من أين ؟ فقال : من الشام ، قال : فكيف تركت أمير المؤمنين ، وكيف حشمُه[4] ،

(أ) جاء في حاشية الصفحة اليمنى من المخطوطة ظ : « روى أبو عبيد : إن كان لنقابا ، فما قال فيها النقاب »[٩] . وجاء في مخطوطة ص : « إن كان لنقابا » .

(ب) زيادة من نسخة م .

(جـ) زيادة من نسخة م .

(د) في حاشية الصفحة اليمنى من المخطوطة ظ : « قال أبو حنيفة : سيابة هذا عمُّ الجحاف بن حكيم السلمي »[١١] .

فأخبره ، فقال : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : نعم . أصابتني فيما بيني وبين أمير المؤمنين ثلاث سحابات[أ] . قال[١٢] : فانعت لي كيف كان وقعُ المطر وكيف أثره وتباشيره[5] . قال : أصابتني سحابةٌ بحوران[١٣] ، فوقع قَطْرٌ صغارٌ وقَطْرٌ كبار ، فكان الصغار لحمةً للكبار[6] ، ووقع بسيطٌ متدارك[7] ، وهو السَّحُّ الذي سمعتَ به[8] ، فوادٍ سائلٌ ووادٍ نازحٌ[ب] ، وأرضٌ مقبلة ، وأرض مدبرة . وأصابتني سحابةٌ بسواء أو القريتين[جـ] ـ شكّ عيسى[١٥] ـ فلبَّدت الدِّماثَ ، وأسالت العَزَازَ[9] وأدحضت التلاع[10] ، وصدعت عن الكَمْأَة أماكنها[11] .وأصابتني سحابة بسواء او القريتين [د] ، فقاءت الأرضُ بعد الريّ[١٦] ، وامتلأت الإخاذُ[12] ، وأُفعمت الأودية[13] ، وجئتك في مثل وجار[15] [الضبع][هـ] ، أو قال : في مثل مَجرّ الضَّبُع[14] .

ثم قال : ائذن ، فدخل رجلٌ من بني أسد فقال[١٧] : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : لا [١٣٧ أ] كَثُر الإعصار[16] ، واغبرَّت البلادُ ، وأُكل ما أَشرف من الجَنْبَة[17] ، فاستيقنّا أنه عام سَنَةٍ[١٨] . قال بئس المخبر أنت ! قال : أخبرتك بالذي كان .

(أ) في نسخة ص : « ثلاث سحائب » .

(ب) جاء في حاشية الصفحة اليمنى من المخطوطة ظ : « الذي ذكر أبو حنيفة في هذا الخبر : فوادٍ سائحٌ ، ووادٍ بارحٌ » .

(جـ) ورد في حاشية الصفحة اليمنى من المخطوطة ظ : « في بعض الروايات : بسواء ، بلا شكّ »[١٤] .

(د) جاء في حاشية الصفحة اليسرى من المخطوطة ظ : « في بعض الروايات : بالقريتين ، بلا شكّ » .

(هـ) زيادة انفردت بها نسخة ص .

ثم قال : ائذن ، فدخل رجلٌ من أهل اليمامة(أ) ، قال له : هل كان وراءك من غيث ؟ قال نعم ، كانت سماءٌ[و](ب) لم أرها ، [و](جـ) سمعتُ الروّاد تدعو الى ريادتها(18) . وسمعتُ رجلاً يقول : هَلُمَّ أُظْعِنْكم الى محلة تُطفأُ فيها النيران(د) ، وتشكّى(هـ) فيها النساءُ(19) ، وتَنافَسُ فيها المِعْزى(20) .

قال الشعبيُّ : فلم يَدْرِ الحجاجُ ما قال له ، قال : وَيْحك ، إنما تحدّثُ أهل الشام فأفهمهم . قال : نعم ، أصلح اللهُ الأميرَ ، أخصب الناسَ فكان التمرَ والسمنَ والزُّبْدَ واللبنَ ، فلا تُوقَدُ نارٌ يُخْتَبَزُ بها . وأما تشكّي النساء فإن المرأة تظلُّ تربق بَهْمَها(21) ، وتمخض لبنها ، فتبيت ولها أنينٌ من عضديها ، كأنهما ليسا منها(19) . وأما تنافُس المعزَى فإنها ترى من أنواع الشجر ، وانواع(و) الثمر ، ونَوْر النبات ما يُشبع بطونَها ، ولا يُشبع عيونَها ، فتبيتُ وقد امتلأت أكراشُها ، لها من الكِظَّةِ جِرَّةٌ ، فتبقى الجِرَّةُ حتى تستنزل بها الدّرّة(22) .

(أ) في المخطوطات الثلاث : « من أهل الشام » ، وصححت في حاشية الصفحة اليسرى من نسخة ظ فجعلت : « اليمامة » .

(ب) زيادة في م .

(جـ) زيادة في م .

(د) جاء في حاشية الصفحة اليسرى من مخطوطة ظ : « ذكر أبو حنيفة في تفسير قوله : تُطْفأُ فيها النيرانُ ، قال : يعني أنه لا يوجد عودٌ يابس يوقد . وهذا كقول المرّار :

[١] [في حيث خالطت الخزامى عرفجا] يأتيك قابس أهلها لم يُقْبَسِ

وقال أبو زياد في قوله : « تَشكّى النساءَ » : أي اتخذن الشّكاءَ الصغارَ ، لأن اللبنَ لم يكثر بعد »(١٩) .

(هـ) في نسخة ص : « وتشتكي منها » .

(و) في الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا ١:٢٨٣ ، وفي تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (مجلد : عاصم ـ عائذ) : ٢١٨ « وألوان الثمار » .

قال : ائذن ، فدخل رجلٌ من الموالي كان يقال إنه من أشدّ الناس في ذلك الزمان ، فقال : هل كان وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، ولكني لا أُحسن أقولُ كما يقول[أ] هؤلاء ، فقال : قل كما تحسن . قال : « أصابتني سحابةٌ بحلوان[٢٠] ، فلم أزل أطأُ في اثرها حتى دخلت على الأمير » . فقال الحجاج : « لئن كنتَ أقصرَهم في المطر خطبةً ، إنك لأطولُهم بالسيف خطوةً » .

☆ ☆ ☆

(1) قوله : « بُؤْ للأمير بالكفر »[٢١] ، أي أقرّ[ب] به على نفسك . [و][جـ] يقال : باء فلان بذنبه : اذا احتمله كَرْهاً لا يستطيع دفعه عن نفسه ، كما باءت اليهودُ بغضبِ الله[٢٢] .

(2) وقوله : « لما بين دَفَّتَيْك من العلم » ، يريد لما بين جَنْبيك ، يقال لواحده : الدَّفُّ والدَّفَّةُ [و][د] كلاهما بالفتح . قال الشاعر :

[٢] وواني‍‍‍ةٍ زجرتُ على حف‍‍‍اه‍‍‍ا
قري‍‍حِ ال‍‍‍دَّفَّتَيْن من البط‍‍‍ان[٢٣]

ودَفَّتا المصحفِ : ضِمامُه من جانبيه . ومنه الحديث : « قرأتُ ما بين الدَّفَّتين »[٢٤] . وأما الدُّفُّ الذي يُضْرب به ففيه لغتان : الدَّفُّ والدُّفُّ . وقاله الأصمعيُّ بالضم[٢٥] .

(أ) في نسخة م : « كما قال هؤلاء » .

(ب) في نسخة م : « أقْرِرْ » .

(جـ) زيادة انفردت بها نسخة ظ .

(د) زيادة انفردت بها م .

٢ ـ نا ابراهيم بن موسى قال نا اسماعيل بن اسحاق قال نا نصر بن علي قال ارنا الأصمعي قال نا عمر[أ] بن أبي زائدة قال : حدثتني امرأة أبي عمرو الأصمّ قالت : مررنا ونحن جَوارٍ بمجلسٍ فيه سعيد بن جبير[٢٦] ، وجاريةٌ تغنّي ومعها دُفٌّ وهي تقول :

[٣] لئن فتنتني[ب] لَهْيَ بالأمس أفتنت
سعيداً فأمسى قد قلى كل مُسْلِمِ
فألقى مقاليدَ[ج] القراءةِ واشترى
وصالَ الغواني بالكتاب المنمنم[٢٧]

فقال : ياعدوة الله ، كذبتِ كذبتِ .

(3) قوله : « فبالحرا أن تنجو » ، أي فخليقٌ أن تنجو [١٣٧ ب] بذلك منه . يقال : فلان حريٌّ أن يفعل ذلك ، وفلانٌ حَرَىً بذلك[د] : اي خليق[٢٨] . وأنشد الكسائيُّ[٢٩] :

[٤] وهنّ حَرَىً ألا يُثِبْنَك نَقْرَةً[هـ]
وأنت حَرَىً بالنار حين تُثِيبُ[٣١]

(أ) في نسخة ص : « عمرو » وهو تحريف .

(ب) في نسخة ص : « أفتنتني » .

(جـ) في حاشية الصفحة اليمنى من ظ : « مفاتيح » وفوقها كلمة « صح » . واقتصرت نسختا : م ، ص على رواية : « مفاتيح » .

(د) في نسخة م : « وفلان حَرىً أن يفعل ذاك ، وفلان حرىً بذلك » .

(هـ) جاء في حاشية الصفحة اليسرى من ظ : « صوابه : نُقْرة ، بالفتح ، قاله س ، وهو مأخوذ من نقير التمرة ، يريد لقلته . ومعنى تثيبُ : اي تستثيب كقوله :

[٥] [وداعٍ دعا يا من يجيب الى الندى] فلم يستجبه عند ذاك مجيب »[٣٠]

وقد يجيءُ في الكلام : « فبالحرا » يُراد [به][أ] فبالجهد أن يكون ذلـك . ومنه قوله[ب] :

[٦] فـإن نُتِجَتْ[جـ] مُهْراً كريمـاً فبـالحرا
وإن يـكُ إقرافٌ فمـا أنجب الفحـلُ

وقد ذكر أبو عبيد في حديث الحجاج بعض هذا الحـديث[٣٣] ، وذكر منـه ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في حديث الشعبيّ طرفا[٣٤] ، فأمسكنـا عما ذكرا منه ، وأخذنا في بقيته .

(أ) من زيادات : م ، ص .

(ب) في نسختي : م ، ص : « ومنـه قـولهـا » . وجـاء بعـدهـا في نسختي : ظ ، م تعليقاً : « هي هند بنت النعمان » .

(جـ) جاء في حـاشيـة الصفحـة اليمنى من ظ : « هـو لهنـد بنت النعمان بن بشير في زوجها روح بن زنباع . قال ابن قتيبة : وقبله :

وهـل هنـدُ إلا مهرةٌ عربيـة سليلـةُ أفراس تجلَّلهـا بغـلُ

هـذه روايـة ابن قتيبـة ، ومن قـال إن الشعر لهنـد . وقـال قـوم : انمـا الشعرُ لحميـدة بنت النعمان بن بشير اخت هند ، ورووا هذا البيت :

ومـا أنـا إلا مهرةٌ [عربيـة سليلـةُ أفراسٍ تجلَّلهـا بغـلُ]

وأنكر قومٌ روايـة من روى (بغـل) بـالبـاء ، لأن البغـل لا ينسـل شيئـاً ، وقـالـوا : هـو تصحيف ، والصواب (نغل) بالنون ، وهو الخسيس من الخيل وغيرها .

ومعنى البيت المنشد على التفسير : أنه لا يتملَّص لهـا مهر كريم الا بعـد جهـد لـدنـاءة الفحل ، واحتج الذي قال هذا بقول الأعشى :

[٧] إن من عضت الكـلابُ عصـاه ثم أثرى فبـالحرا أن يجـودا

وقد يجوز أن يكون المعنى : فما أحراها بأن يكون مهرها كريما ، وما أحقَّها بـذلـك لكرمهـا . وهو أظهر في المعنى الأول »[٣٢] .

(4) وأمــا قــولــه : « كيف تركت أمير المـؤمنين ، وكيف حَشَمُه[٣٥] » ، فإن الحشم قرابة الرجل وأهله[أ] . قال العجاج[٣٦] ،

٣ ـ أنشدناه ابن الهيثم عن داود بن محمد عن يعقوب :

[٨]
وقـــذفُ جـــار المرءِ في قعر الرَّجَمْ
وهْــو صحيــحٌ لم يــدافــع عن حَشَمْ
صمَّـــاءُ لا يُبْرِئهـــا من الصَّمَمْ
حــوادثُ الــدهرِ ولا طــولُ القِــدَمْ[٣٧]

الرَّجَمُ : القبرُ ، عن حَشَم : اي لم يـدافـع[ب] عن حَشَمـه . يقـول : اذا لم يدفع عن حشمه وعن نفسه كانت عليه داهيةٌ لا يُبْرِئُها طول الزمان ، أي عارُها باقٍ . وقال أبو زيد[٣٨] : يقال : فلانٌ من أَحباءِ الملك ، والواحـد حَبَأ ، ومن أحشام الملك ، والواحد حَشَمٌ . وقـال أبو حـاتم[٣٩] : [و][جـ] الحَبَأُ ايضاً جماعة ، والحَشَمُ مثلُـه . وقـال بعضُ أهل الاشتقـاق : انما سُمُّوا حشماً من الحشم ، وهـو الغضب ، يريـد أن الرجـل يغضب لهم ، ويحرب من دونهم أن ينالوا بمكروه . وأنشد :

[٩] لعــمـرك إن قــرص أبي خـبيـب
بطيءُ النضـــج محشـــومُ الأكيـــلِ[٤٠]

تقول : حشمتُ الرجلَ : اذا اغضبته[٤١] .

(أ) في نسختي : ظ ، ص : « قرابة الرجل وعياله » ، ثم صححت كلمة (عيالـه) في حاشية ظ ، باثبات كلمة (وأهله) وفوقها كلمة (صح) .

(ب) جاء في نسخة ظ : « يدفع » ، واثبت في الحاشية كلمة « يدافع » دون ان تقترن بكلمة « صح » .

(جـ) زيادة في م .

(5) وتباشيرُ الأمر : أولـه ، [وتباشير الأمـور : أوائلُهـا][أ]، وتباشير الصبح : أوائلـه . وقـال بعضهم : ولم أسمع منـه فعلا[٤٢] . وقـال يعقوب : « أبشرت الأرضُ : عند أول نبتها ، وما أحسن بَشَرَتَها »[٤٣] .

٤ ـ أرنا محمد بن علي قال نا سعيد بن منصور قـال نـا عبـد الله بن المبارك قال ارنا جعفر بن حيان عن معاوية بن قرة أن علياً حين نظر الى تباشير الفجر قـال : أين السائل عن الوتر ؟ [قـال][ب] نِعْمَ ساعةُ الوتر هذه .

٥ ـ وأنشدني إسماعيل الأسديُّ عن محمود بن مطر قـال : أنشـدني أحمد بن أبي المضاء :

أمـا ترى قُضُبَ الريحـانِ مشرقـةً
عن كل أَزهر لـمّـاعِ التباشيرِ
كأنهـا مُقَـلٌ أحْـداقُهـا ذَهَبٌ [١٠]
جفـونُهـا فضـةٌ زينت بتـدويرِ

وتباشيرُ الأرض : إبهاجها اذا أخرجت نباتها .

(6) وقـولـه : « فكان الصغـارُ [١٣٨ أ] لحمـةً للكبـار » ، شبّهـه بلُحمة الثوب . يقال : لُحمة ولَحمة ، وقد ألحمتُ الثوبَ إلحامـاً[٤٤] . قـال ابن الاعرابي[٤٥] : وكذلك لحمة النسب ، بالفتح والضم . وأما لُحمة البـازي والسبع فبالضم . يقال : أَلحِمْ طائِرَكَ إلحاماً : اي أَطعمه لحما ، أو اتّخِذْ له لُحمة .

(أ) ما بين الحاصرتين انفردت به نسخة ظ ، واثبت فوقه كلمة (صح) .

(ب) زيادة انفردت بها م .

(7) وأما رواية أبي العلاء[٤٦] : « بسيط متدارك » ، فإنه من الغيث المنبسط ، والله يبسُط الغيث ، يريد أنه حَياً[٤٧] عمَّ البلد[٤٨] .

٦ ـ ونا ابراهيم قال نا أبو الحسن[أ] قال نا عمرو بن خالد قال نا عيسى بن يونس ، وذكر الحديث ، إلا أنه قال : « وقعَ بسَبَطٍ متدارك »[٤٩] .

٧ ـ ورواه الخشنيُّ قال : نا سليمان بن عمر الرقي قال : نا عيسى بن يونس بمثله ، إلا أنه قال : « فوقع سِقْطٌ متدارك » .

والسَّبِطُ من الغيث : المُتصل غير المنقطع ولا الخفيف . قال القطامي[٥٠] [وذكر منزلاً][ب] :

[١١] صافت[جـ] تَعَمَّجُ أطرافُ[د] السيول به[هـ]
من باكرٍ سَبِطٍ او رائحٍ يَبِلُ[و]

والوابلُ : ما عظم من القطر . يقال : وَبَلت السماءُ تَبِلُ وَبْلاً . والطلُّ :

(أ) في م ، ص : « ابو الحسين » . وجاء في ص : « انا ابو الحسين قال انا عمرو ... قال انا عيسى ...» .

(ب) زيادة من م .

(جـ) في نسخة ص : « طافت » بالطاء .

(د) « أطراف » رواية نسخة م ، وجاء في الحاشية كلمة « أعناق » وفوقها حرف (خ) للدلالة على رواية وردت في نسخة أخرى . أما نسخة ظ فقد عكست الأمر فأثبتت في حاشيتها كلمة « أطراف » وفوقها كلمة (صح) ، واقتصرت نسخة ص على رواية « أعناق » .

(هـ) جاء في حاشية ظ : « بها » . أما نسخة م فاقتصرت على رواية « به » ، واكتفت نسخة ص برواية « بها » .

(و) جاء في حاشية الصفحة اليسرى من المخطوطة ظ : « وقع في شعر القطامي رواية أبي علي البغدادي[٥١] : صافت ، بالصاد [المهملة] . وتعمَّجَ ، بالعين قبل الميم ، وقال : =

ما صغر منـه وهو الرذاذ(٥٣) . وهو(٥٤) مـأخوذٌ من الشعر السبـط الـذي لا جعـودة فيـه . ولغـةُ أهـل الحجـاز : رجـلٌ سَبْـطٌ ، وامرأةٌ سَبْطـةٌ . والفعل : سبُـط سبوطـة . ومنـه قيل للرجـل السمح : سبْـط اليـدين . وأنشد لحسان(٥٥) :

[١٢] ربَّ خـــالٍ ليَ لـــو أبصرتـــه
سَبِـــطِ الكفَّيْنِ(أ) في اليــومِ الخَصِرْ(٥٦)

٨ ـ ونـا ابـو الحسين عن أحمـد بن يحي عن ابن الأعرابي : سَبْـط اليدين . وقال الشاعر :

[١٣] سَبْـطُ اليـدينِ بمـا في رَحْـلِ صـاحبـه
جَعْـدُ اليـدين بمـا في رحلـه قَطَـطُ(٥٧)

قال : يقال : رجلٌ سَبِط اليدين : اذا كان سخيّاً ، بيّن السبوطـة ، وفي الطول : بيّن السباطة : اذا كان طويلا(٥٨) .

= معناه تلتوي مثل الحية(٥٢) ، وقال : أعناق السيول : أوائل السيول . والسبـط : الـذي تراه يصبُّ صبّاً . ويبـل : يفعـل ، من الـوبـل : وهـو المطر الشـديـد . ويقـال : وبلت السماءُ وأوبلت .

ورواية من روى : تمعَّج : صحيحة ، ومعناها كمعنى تعمَّج ، لأن أبـا عبيـد حكى معج وعمج سواء(٥٢) . ومن روى : « أعنـاق السيول بهـا » أعـاد الهـاء على الـدمن ، لأن قبـل هـذا البيت :

أنّى اهتـــديتَ لتسليمٍ على دِمَنٍ بـــالغير غيرّهنَّ الأعصرُ الأُوَلُ

[كتبت « بالغير » في المخطوطة ، وصحتها « بالغَمْر » بغين معجمة مفتوحة وميم سـاكنـة ، كما جـاء في الـديـوان والمراجـع الأخرى] ومن روى « بـه » أعـاد الضمير على الطلـل ، لأن أول الشعر :

إنـــا محيـوكَ فـــاسلم أيهـــا الطَّلَــلُ » [وإن بليت وان طـالت بـك الطِيَـلُ]

(أ) فوقها ضبة في نسخة ظ ، وجاء في حاشيـة الصفحـة اليسرى : « المشيـة ، في أصل الشعر » .

والـذي في روايـة الخشني : « سِقْـطٌ متـدارك ، فـإن السِّقْـط من السحاب : هو الذي يُرى طَرَفٌ منه كأنه سـاقـطٌ على الأرض في نـاحيـة الأُفُق ، وكذلك سِقْطُ الخباء ، وكـذلـك سِقْـط جنـاحي الظليم ونحوه اذا رأيتهما[أ] يجرهما على الأرض . وأنشد :

[١٤] عَنْسٌ مـذكّرةٌ كأن عفـاءَهـا
سِقْطـانِ من كَنَفَيْ نَعـامٍ جـافِـلِ[ب]

(8) وقوله : « السَّحُّ الذي سمعتَ بـه » ، يقـال : سحَّ المطرُ ، وهو يسُحُّ سحّاً ، وهـو شـدةُ انصبـابـه . وفرسٌ مِسَحٌّ : سريعٌ . قـال امرؤ القيس[٦٢] :

[١٦] مِسَحٌّ اذا مـا السـابحـات على الـونى[جـ]
أثرن غبـاراً بـالكـديـد المركَّـلِ[٦٣]

شبَّـه عَـدْوَ الفرسِ في سرعتـه بـانصبـاب المطر ، وربمـا استُعمل السَّحُّ في المنطق .

(أ) في نسخة م : « رأيته » .

(ب) جاء في حاشية ظ : « وقع في شعر ثعلبة بن صعير المازني صفة الناقة :

وكأن عيبتَهـا وفضـلَ فِتـانهـا   سِقْطـانِ من كَنَفَيْ ظليمٍ نـافرِ
يبري لرائحـةٍ يسـاقـط ريشَهـا   مرُّ النجـاءِ سقـاطَ ليفِ الآبرِ[٥٩]

[عيبتهـا ، جـاءت في مخطـوطـة ظ مصحفـة الى عينيهـا] وذكر ابن النحـاس[٦٠] أن عليّ بن سليمان الأخفش[٦١] قال : الرواية :

[وكأن عيبتهـا وفضـل فِتـانهـا]   فَنَنـانِ من كَنَفَيْ [ظليمٍ نـافرِ]

يعني جناحي الظليم » .

(جـ) جاء في حاشية ظ : « المدى » ، وفوقها : « صح » .

٩ ـ نا عبد الله بن محمد(أ) قال نا الرياشيُّ عن محمد بن سلاّم قال نا أبو سوَّار(ب) الغنويُّ قال : رأيتُ ميّاً صاحبة ذي الرُّمة ، وهي ابنة عبد الله بن طِلبة بن قيس بن عاصم [١٣٨ ب] المنقريّ(٦٥) ، واذا معها بنون لها . قلت : صِفْها ، قال : مسنونةُ الوجه ، طويلة الخدّ ، شمّاء الأنفِ ، عليها وسمُ جمال . قلتُ : أفكانت تُنْشدك ما قال فيها ذو الرمة ، قال : نعم ، تسُحُّ سحّاً ما رأى ابوك مثلَه(٦٦) .

١٠ ـ ونا أبو الحسين عن أحمد بن يحي قال : وحُكِيَ عن ابن عيينة(جـ) قال : قلت لأعرابيّ : ماأسحُّ الغيثِ ؟ قال : ما ألقحته الجَنُوبُ ، ومَرَتْه الصَّبا ، ونَتَجَتْه الشَّمَالُ . ثم قال : أهلَكَ والليلَ(٦٨) ، ما يرى إلا أنه قد أخذه(د) . يقول : بادِرْ أهْلَكَ قبل الليل . وقال الشاعر :

[١٧] قد طال هذا العناءُ والأملُ
أهْلَكَ والليلَ أيها الرجلُ

كا تقول(هـ) : رأسَك والجدارَ ، أي انطح رأسك بالجدار(٦٩) ، ومَثَلٌ للعرب : مازِ ، رأسَك والسيفَ(٧٠) . كا يقولون(و) : باعِدْ رأسَك من

(أ) في نسختي م ، ص : « حدثنا محمد بن عبد الله » وهو الصواب ، وما جاء في نسخة ظ قد وقع فيه قلب .

(ب) في نسختي م ، ص : « ابو سرّار » ، براءين مهملتين ، وجاء في حاشية ظ : « ابو سرّار » ايضا ، وفوقها « ع صح »(٦٤) .

(جـ) في نسختي م ، ص : « وحكي عن أبي عبيدة »(٦٧) .

(د) في نسخة م : « ما ترى إلا أنه قد أخذك » .

(هـ) في نسختي م ، ص « كا يقولون » .

(و) في نسخة م : « يريدون » بدل « كا يقولون » .

السيف ، ورخَّم مازنا[أ] . ومثله قول العرب : « أمرَ مبكياتك لا أمرَ مضحكاتك »[٧١] ، يريدون : عليك أمرَ مبكياتك ، ودَعْ أمرَ مضحكاتك . وقال بعضهم : الليلَ وأهضامَ الوادي ، اي اتق أن تسلك ليلاً في أهضام الوادي[٧٢] ، واحدها هضمٌ وهو المطمئنُّ من الأرض ، وجمعه أهضام وهضوم[٧٣] .

ومثل قول الأعرابيّ في وصف الغيث قول الكميت[٧٤] :

[١٨] مَرَتْه الجَنُوبُ فلما اكفهرَّ (م) حلَّتْ عزاليَه الشَّمْألُ[٧٥]

وهؤلاء مدحوا غيثاً كان في[ب] نحو العراق ، وأما الأحمدُ عند أهل الحجاز فألاَّ يُشْمَل ، وذلك أنه اذا شُمِل انقشع . قال ابو كبير الهذلي[٧٦] :

[١٩] حتى رأيتَهُمُ كأنَّ سحابةً
وَكَفَتْ[جـ] عليهم ودقُها لم يُشْمَلِ[٧٧]

أي كأن حفيفهم في القتال حفيفُ مطر . ووَدْقُها : مَطَرُها[٧٨] . لم يُشْمل : لم يُصبها[د] شمألٌ[هـ] فينقشع[٨٠] ، واذا جُنب الغيثُ كان أدرَّ له . قال ابو خراش الهذلي[٨١] [أنشدناه الكلابزي[٨٢] في ابيات][و] :

(أ) في حاشية ظ : « قال السيرافي : لم يكن اسم الرجل الذي خوطب به مازنا ، ولكنه كان من بني مازن بن عمرو بن تميم ، وكان اسمه حراما » .

(ب) في نسخة ص : « من » بدل « في » .

(جـ) في نسختي م ، ص : « صابت » بدل « وكفت » . وجاء في حاشية ظ : « صابت » وفوقها (صح) .

(د) في نسخة م : « اي لم تُصبه شَمال » .

(هـ) في حاشية ظ : « شأمل » وفوقها « معاً » ، أي يجوز شمأل وشأمل[٧٩] .

(و) ما بين الحاصرتين لم يرد في م ، وجاء في ص : « انشدناه الكلابيّ في ابيات » . والكلابيّ تحريف .

[٢٠] فســـــائــــلْ سَبْرَةَ الشجعيَّ[أ] عنـــــا
غـــداةَ تخـــالنـــا نجـواً جنيبـــا[٨٤]

أي أصابتـه جنوب ، [و][ب] النجوُ : المطر ، والجمع ، نِجـاءٌ ونُجُوٌّ . قـال الشاعر ، انشدناه الكلابزيُّ في أبيات :

[٢١] أليس من البـــــــــــلاءِ وجيبُ قلبي
وإعمـــــال الهمـــوم مـــع النجـــوِّ[جـ]

[اي اذا رأى السحاب تذكر من يهوى] .[د] .

١١ ـ ونـا محمـد بن جعفر قـال نـا علي بن المـديني قـال نـا عبـد الرزاق بن همام قال نا معمر عن قتادة عن حيان بن عمير عن ابن عبـاس قـال : « مـا راحت جَنُـوبٌ قـطُّ إلا سـال في وادٍ مـاءً ، رأيتمـوه أو لم تروه »[٨٦] . وأنشدنا إبراهيم بن حميد الكلابزي[هـ] :

[٢٢] فتىً خُلِقتْ أخـــلاقـــه مطمئنـــــةً
لـــه نَفَحـــاتٌ ريحُهُنَّ جَنـــوبُ[٨٧]

١٢ ـ ونا محمـد بن جعفر قـال نـا عليّ قـال نـا سفيـان عن عمرو بن دينـار أنـه سمع يـزيـد بن جعدبـة الليثي [١٣٩ أ] يحـدث عن عبـد

(أ) جاء في حاشية ظ : « الشجعيّ : منسوب الى شجعة بن ليث »[٨٣] .

(ب) زيادة من م .

(جـ) جاء في حاشية ظ : « بعده :

فـــأحْـزنْ أن يكـون على صـــديـــق وأفْرحْ أن يكـون على عـــدوّ »[٨٥]

(د) مـا بين الحـاصرتين زيـادة جـاءت في نسخـة م . والعبـارة بتمامهـا بـدءاً من كلمـة (النجو : المطر ...) حتى ختام الشاهد سقطت من نسخة ص .

(هـ) حرفت « الكلابزي » الى « الكلابي » في نسخة ص .

الرحمن بن مخراق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق في الجنة ريحاً بعد الريح لسبع[أ] سنين ، وإن من دونها باباً مغلقاً ، فإنما يأتيكم الرَّوْحُ من خَلَلِ ذلك الباب ، ولولا ذلك البابُ لأَذْرَتْ ما بين السماء والأرض ، وهي فيكم الجنوب ، وهي عند الله الأزيب »[٨٩] . وذكر بعضهم أن الأزيب : الجنوب ، بلغة هذيل[٩٠] ، والخزرج ايضاً من أسماء الجنوب[٩١] . ويقال للرجل القصير المتقارب الخَلْق : أزيب . والأزيب ايضا : الدعيُّ . قال الأعشى :

[٢٣] [فأرضوه أن أعطوه مني ظُلامة]
وما كنتُ قُلاً قبل ذلك أزيبا[٩٢]

ويقال : أخذه الأزيب : وهو الفرق والخوفُ .

١٣ ـ ونا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن يعقوب قال : قال أبو وجزة[٩٣] :

[٢٤] مجنوبة الأُنسِ مشمولٌ مواعدها
من الهجان الجمال الشطب والقصب[ب]

مشمولٌ مواعدُها : سريعةُ الخُلْف والانكشاف ، أُخذ من أن الريحَ الشَّمْأَلَ اذا كانت مع السحاب لم تلبث أن تذهب . قال يعقوب : مجنوبة الأُنس : أي أنسها محمودٌ ، لأن الجنوب عندهم ألينُ وأطيبُ من غيرها ، لأن الجنوب مع المطر ، فهي تُشْتَهى للخصب[٩٥] . قال حميد بن ثور[٩٦] :

(أ) في نسخة م « بسبع »[٨٨] .

(ب) في حاشية ظ : « ويروى : من الهجان ذوات الشطب والقَصَب ، ويُرْوى : من الهجان الجمال الشطبةِ القَصَب . س أي لها من الجمال الشطبُ والقَصَبُ »[٩٤] .

وقد ضبطت الشطب والقصب في ظ بالرفع فقط ، وأثبت فوقها كلمة (صح) . أما في نسخة م فقد ضبطتا بالرفع والجر معا ، وعريتا في نسخة ص من الضبط .

[٢٥] ليـــاليَ أبصـــارُ الغـــواني وسمعُهـــا
اليَّ ، وإذ ريحي لهنَّ جَنُـــــــوبُ[٩٧]

(9) وقوله : « فلبَّدت الدماث »[٩٨] ، وهو ما لان من الأرض ورقَّ[أ] . والعَزَازُ : ما غلظ منها[٩٩] .

(10) « وأدحضت[١٠٠] [التلاع][ب] » : أي أزالتها وأزلقتها وكسرت جِرَفَتَها[جـ] . ومنه سمي الجَوْدُ[د] مكسِّرا[١٠١] .

١٤ ـ نا ابو الحسين عن أحمد بن يحي عن ابن الأعرابيّ قال : زعم أبو صالح التميمي[١٠٢] أن رجلاً من الأعراب سأل رجلين أعرابيين قال : اين مطرتما ؟ قالا : مطرنا بمكانٍ كذا وكذا ، قال : فماذا أصابكم من المطر ؟ قالا : حاجتنا . قال : فماذا سُيِّل عليكما ، قالا ملنا لوادٍ كذا وكذا فوجدنا مكسِّرا ، وملنا لوادٍ كذا وكذا فوجدناه سالت مُعْنانُه ، وملنا لوادٍ كذا [وكذا][هـ] فوجدناه مُشَطِّئاً . قال : فماذا وجدتم أرض بني فلان ؟ قالا : « وجدناها ممطورة ، قد ألسَّ غميرُها ، وأخوص شجرُها ، وأدْلس

(أ) في حاشيتي ظ : « فرقَّ » ، « فدقَّ » ، والأخيرة رواية نسختي : م ، ص .

(ب) زيادة من م ، وجاء في ص : « وأدحضتها » .

(جـ) فوقها في ظ كلمة « صح » ، وجاء في الحاشية : « حِرَفتها ، بالحاء ، عبد ع » ، قلت : لعلها « عند ع » .

(د) في ص : « الجرف » بدل « الجود » وهو تحريف .

(هـ) زيادة في نسختي م ، ص .

نَصِيُّها ، وأَلْيَثَ سَخْبَرُها ، وأَخْلس[أ] حَلِيُّها ، ونبَّبَتْ عِجْلَتُها »[١٠٤] .

والعِجْلَةُ : بقلةٌ مستطيلة مع الأرض تأكلها الإبلُ . قال الشاعر[١٠٥] :

[٢٦] [والساحبات ذيول الخزّ آونةً]

والرافلاتُ على أعجازها العِجَلُ[ب]

[اذا][جـ] نبَّبَتْ : وانما يعني تنبَّبَتْ : أي صار لها أنابيب . وقال غير ابن الأعرابي : والأُنبوبُ : ما بين العقدتين في القصب والقناة . قال ابن الأعرابي : ويعني بأخلس حَلِيُّها[١٠٦] : اي قد خرجت فيه خُضْرة . وكذا يقال للحَلِيّ اذا خرجت فيه الخضرة الطرية ، يقال : قد أخلس[١٠٧] . [١٣٩ ب] وأليث[د] سَخْبَرُها : اي اشتعل ورقُها . ومُعْنانه[١٠٩] : جوانبه . ومشطِّئٌ : سال شاطئاه . وأخوص شجرُها ، والخوص : ورق الزرع وغيره . وأخصبُ الخصبِ عند العرب فيما ذكر أبو صالح اذا كان الخوصُ وافراً[١١٠]

قال ابن الأعرابيّ : قال رجل لرجل : كيف تركت أرض بني فلان ؟ قال : تركتُ أرضاً شبعت قَلوصُها ، ونُسِئَتْ شاتُها . قال : فهل مع ذلك خوصة[١١١] ؟ قال : شيءٌ قليل . قال : والله ما أحمدت ، وإن كان القوم صالحين[١١٢] .

(أ) في حاشية ظ : « ع يقال : عُشب مُخْلسٌ ومُسْتَخْلسٌ : اذا صار النباتُ عليها كالخلْس لها . ويقال : أخلس النبتُ : اذا اخضرَّ بعضُه واسودَّ بعضُه . أخلس ، وقع في الحديث وفي التفسير ، والحاء فيه أعرف ، ويجوز فيه الخاء المعجمة »[١٠٣] .

(ب) في حاشية ظ : « العِجَلُ في بيت الأعشى جمع عِجْلة ، وهي القِرْبةُ الصغيرة . هذا المحفوظ عن س » .

(جـ) زيادة انفردت بها نسخة ظ ، وجاء في م : « قوله تنبَّبت » وصوابها : « نبَّبت » .

(د) في حاشية ظ : « هذا مما أتى على الأصل ، س »[١٠٨] .

قال الأصمعي : اذا تفطّر العرفجُ ليخرج قيل قد أخوص[١١٣] . قال غيره : وقوله : ألسَّ غميرُها : أي أمكن أن يُلَسَّ . واللسُّ : تناول الدابة الحشيش بجحفلته ، اذا نتفه[١١٤] . قال الشاعر[١١٥] :

[٢٧] [ثلاثٌ كأقواس السراء ومِسحلٌ]
قد اخضرَّ من لسِّ الغمير جحافلُهْ[١١٦]

والغمير : النبتُ ينبتُ في أصل النبت حتى يغمر الأول[١١٧] . والنَّصِيُّ : نبت . وقال الشعبيُّ : رأيتُ قبور حمزة والشهداء بأُحُدٍ يهتزُّ عليها النَّصِيُّ[١١٨] . ويقال : أرض مُنْصِيَةٌ : كثيرةُ النصيّ . وأرضٌ مُبْهِمة : كثيرةُ البُهْمَى ، وقد أبهمت الأرضُ وأبقلت وأحمضت وأخلَّتْ .

وقوله : أدلس نَصيُّها : فإنه يقال : ألدسَ الشيءُ : اذا كثر وتكاثف ، وأحسب أدْلَسَ مثله ، أو نحوه[أ] .

١٥ ـ نا ابن الهيثم عن داود بن محمد قال انشدني يعقوب :

[٢٨] سَدِيسٌ لَدِيسٌ[ب] عيطموس شِمِلَّةٌ
تبارُ اليها المحصنات النجائبُ[١٢١]

(أ) في حاشية ظ : « قال ابن قتيبة : الدَّلَسُ : الظلمة . ومنه قيل : فلان لا يدالِس ولا يُؤالس : اي لايخادعك ويخفي عنك الشيء فكأنه يأتيك به في الظلام ، ومنه قيل : دلَّس عليَّ كذا . فيجوز ان يكون معنى « أدلس نَصِيُّها » : اشتدت خضرته من الريّ حتى قاربت السواد ، لان السواد عند العرب من صفات الخضرة »[١١٩] .

(ب) في حاشية ظ : « من البارع لأبي علي : قال أبو صاعد : الإدلاس . شيئان . يقال : قد أدلست الأرضُ : في أول نبتها ، وذلك أن يصيب المالُ منها شيئاً . يقال : أرضٌ فيها إدلاس . وقال أبو العمر : يقال للبعير اذا كان فارداً بأرض وحده قد لحس ثم شبا ودلس ، وذلك في قلة المرتع »[١٢٠] .

قال : اللديس : المرمية باللحم . والعيطموس : الحسناء[١٢٢] . والشِّمِلَّةُ والشِّملالُ : الخفيفة . والمحصناتُ : اللواتي احصنهنَّ أصحابهن : اي منعوهن من أن يضربهنَّ إلا فحلٌ كريم . فقال : هنّ يُبَرْنَ اليها ، اي يُنْظَرُ اليهنَّ والى سيرتهنّ أين هنّ منها[١٢٣] . والنجائب : الكرام . يقال : امرأة نجيبة ، وناقة نجيبة ، ورجل نجيب . ويقال : امرأةٌ مُنْجبةٌ : اذا ولدت فأنجبت : اي جاءت به كريماً شريفا ، وان لم تكن هي كريمة .

(11) والكَمْأَةُ : هي التي تسميها العرب : جُدَريَّ الأرض . يقال : كَمْءٌ وكَمْئان وأَكْمُؤٌ ثلاثة ، وللكثيرة : الكمأةُ[١٢٤] . قال الشاعر :

[٢٩] كأن الفلانيات[أ] أنقاضُ كَمْأةٍ
لأول جانٍ بالعصا يستثيرها[١٢٥]

والنِّقْضُ : مُنْتَقَضُ الكمأة من الأرض اذا أرادت أن تخرج . تقول : أَنْقَضْتُها بمعنى أخذتُها[ب] . وقد أكمأت الأرضُ : اذا كثرت[جـ] كمأتها . وقد خرج المتكمِّئون[د] .[١٢٦]

وقيل للأحنف بن قيس[١٢٧] : أيُّ الطعام أحبُّ اليك ؟ فقال : الكَمْأةُ بالزُّبْد ، فقال رجل سمعه : والله ما هو بأحبّ الطعام اليه ، ولكنه أراد أن يُخْصِبَ الناسُ ، لأن الكمأة والزُّبْدَ [١٤٠ أ] لايكونان إلا مع الخصب .

(أ) جاء في حاشية ظ : « السليطيات » في أصل الشعر ، والبيت لجرير » .

(ب) في نسخة ص : « بمعنى أخرجتها » .

(جـ) في نسخة ص : « اذا أخرجت كمأتها » ، وفي نسخة م : « اذا كثر كمأتها » .

(د) في نسختي : م ، ص « ويقال : خرج المتكمئون » .

(12) والإخاذُ : شيءٌ يُحْبَس[أ] فيه الماءُ مثل الوَلَجات[١٢٨] ، وجميعه أُخُذٌ[١٢٩] .

(13) وأُفْعِمت الأودية : من قولك فَعم الوادي [يفعمُ][ب] فَعامةً وفُعومةً ، وهو فَعْم [و][جـ] مُفْعَوْعِمٌ : اذا امتلأ وأفعمه المطر[١٣١] . قال الشاعر :

[٣٠] مُفْعَوْعِمٌ صَخِبُ الآذيّ مُنْبَعِقٌ
كأن فيه أكفَّ القومِ تصطفقُ[١٣٢]

(14) وقوله : « وجئتك في مثل مَجَرّ الضَّبُع » ، فإن الضَّبُعَ[د] يختفي في وجارها[هـ] ، ولا تكاد تجدها إلا بنجوة ، فإذا عظم السيلُ دخل عليها النافقاءَ فاستخرجها فذلك السيلُ يقال له : مجرّ الضبع .

(أ) في نسختي : م ، ص : « يحتبس » .

(ب) ما بين الحاصرتين زيادة من نسختي م ، ص . وجاء ضبط « فعم الوادي » في نسختي ظ ، م من باب فتح ، وضبطته نسخة ص من باب كرم[١٣٠] .

(جـ) من نسختي م ، ص .

(د) في حاشية ظ : « الضبع لايقال إلا للأنثى خاصة ، وهذا الذي قاله خطأ » . ولايضاح مضمون هذه الحاشية أقول : جاءت العبارة في نسختي م ، ص بتذكير الضمائر : « فإن الضبع يختفي في وجاره ، ولا تكاد تجده إلا بنجوة ، فاذا عظم السيل دخل عليه النافقاءَ فاستخرجه » . أما في نسخة ظ فبقي من التذكير المشار اليه كلمة : « يختفي » .

(هـ) أثبت في نسخة ظ فوق الضمير (ها) من « وجارها » هاء الضمير المذكر ، وفوقها كلمة (صح) .

١٦ ـ ونا محمد بن عبد الله عن بعض رجاله يرفعه الى مولىً لسليمان بن عبد الملك قال[١٣٣] : أرسلني أمير الكوفة بكتاب الى سليمان بن عبد الملك فقيل لي : إن أمير المؤمنين رجلٌ بَدَويٌّ ، وسيسألك عن السماء ، فهل تقوم بذلك ؟ قلت : لا والله ، فلما أصحرتُ اذا انا بأعرابيّ ، فقلت : ياأعرابيُّ ، هل لك في درهمين ؟ قال : حريصٌ والله عليهما ، محتاج اليهما ، ولكن ما سببهما ؟ قلت : تصف لي هذه السماء . قال : ويعيا أحد بذلك ؟ قلتُ له : نعم ، السائل لك يعيا بذلك[أ] . قال : أتعجز أن تقول : أصابتنا سماءٌ عَقِد[ب] لها الثَّرَى ، وقامت بها الغُدُرُ ، ولم نزل منها في مثل مجرّ الضبع [حتى قدمت عليك][جـ] . قال : فأخرجتُ قرطاساً فكتبتُ ما قال ، ودفعتُ اليه الدرهمين ، فكنتُ ما كنتُ[د] على ناقتي فذلك هِجِّيراي[١٣٤] ، فلما دنوت من سليمان بن عبد الملك نزلت عن ناقتي فعقلتُها ثم سلَّمت عليه بالخلافة ، يريد أن يدرب به لسانه . ثم توصلت الى سليمان بن عبد الملك فلما ناولته الكتاب قال : هل كان وراءك من غيث ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أصابتنا سماءٌ عَقِد[هـ] لها الثَرَى ، وقامت بها الغُدُر ، ولم نزل منها في مثل مَجَرّ الضَّبُع

(أ) في م : « يعيا به » .

(ب) في ص : « عمدَ » وأثبت تحتها « عقد » للدلالة على أنهما روايتان .

(جـ) ما بين الحاصرتين زيادة في م ، ظ .

(د) في ص : « فكتبت ما كتبت » وهو تحريف .

(هـ) في ص : « عمد » ، وأثبتُ في الحاشية « عقد » .

حتى قدمت عليك . قال : فكسر سليمان إحدى عينيه وقال : أما[أ] والله إنه لكلامٌ ما أنت بأبي عُذْره[ب] . قلت : صدق والله فوك يا أمير المؤمنين[جـ] ، وحدثته الحديث . قال : فلقد رأيتُ سليمان ممسكا ببطنه[د] من الضحك[هـ] .

وقوله : ما أنت بأبي عُذْره ، يقول : ما أنت بالذي ألَّفه ، وليس من تلقائك ، ولكنك سمعته فأدَّيْته . وتقول : فلانٌ أبو عذرة فلانة : اذا كان هو الذي افترعها . وأصل الافتراع : الافتضاض . والافتراع : إسالة الدم . [يقال : أفرعت المرأةُ[و] : اذا حاضت][ز] . وقال الأعشى :

[٣١] صددتَ عن الأعداءِ يوم عُباعبٍ
صدودَ المذاكي أفرعتها المساحلُ[١٣٦]

[١٤٠ ب] ومن رواه : « أقرعتها المساحلُ » بالقاف ، فهو من قوله :

[٣٢] دعني فقد يقرعُ للأضزِّ[ح]

(أ) في ظ : « أمَ والله » .

(ب) في م « أما والله إن هذا الكلامَ ما أنت بأبي عذره » ، وفي ص : « أما والله ان هذا لكلامٌ ما أنت بأبي عُذْره » .

(جـ) في ص : « قول أمير المؤمنين » .

(د) في ص : « ممسكاً على بطنه » . وكذلك كانت في ظ ، ولكنها صححت في الحاشية .

(هـ) في حاشية ص : « بلغت » .

(و) في حاشية ظ : « افترعتْ » وفوقها كلمة « صح »[١٣٥] .

(ز) ما بين الحاصرتين لم يرد في ص .

(ح) جاء في حاشية ظ : « قبله :

يا أيها الجاهل ذو التنزي

هو لرؤبة »[١٣٧] .

والمساحلُ : اللُجُمُ ، واحدها مسحل ، يعني أن اللجم أدمتها كما تَـدْمَى الحائض . وأجمعوا على حذف الهاء من قولهم : أبو عُـذْرها ، وانما هو ابو العُذْرة(١٣٨) ، كما أجمعوا على حذفها من قولهم : ليت شِعْري ، وأصل الكلمة بإثباتها . تقول : ماشعرتُ [به][أ] شِعْرةً ، وإن كان بعضُهم قد أنكرها[ب] . قال أبو زيد : شَعَرْتُ به أشعُر شُعوراً ، وقال بعضهم : شِعْرا وشَعْراً[جـ] . قال أبو زيد ولم يعرِفوا شِعْرة . وقد حُكي عن [بعض][د] من يوثق بعربيته(١٤٠) .

١٧ ـ نا محمد بن عبد الله عن سهل بن محمد [عن العتبي][هـ] قال نا الأصمعي قال سمعت عيسى بن عمر النحوي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أقبلتُ أريد المسجد الجامع ، فلما كنتُ عند قنطرة قُرَّة أقبل بعيران مقرونان فما شعرتُ شِعْرةً إلا وقرانُهما في عنقي ، فلُبِجَ بي ، فافْرُنْقِعَ عني(١٤١) ، والناسُ قيام ينظرون . فكاد أبوعمرو ينشقُّ غيظاً من فصاحته(١٤٢) .

(أ) انفردت بها نسخة ص .

(ب) في م : « وإن كان بعضهم يكرهها » .

(جـ) في ظ اثبت فوق الكلمة ضبة ، وجاء في الحاشية : « هذا كله مخالف لمذهب سيبويه »(١٣٩) .

(د) زيادة انفردت بها نسخة ظ .

(هـ) زيادة اثبتت في حاشية ظ وبعدها كلمة « صح » .

وقوله : عقد لها الثَّرَى : يريد تعقّد . وقال غيره : عَمِد لها الثرى يَعْمَدُ عمداً[١٤٣] : اذا قبضت منه على شيءٍ تعقّد واجتمع من ندوَّته[أ] . قال الراعي يصف بقرة وحشية :

[٣٣] حتى بدت[ب] في بياض الصبح طيبة
ريح المباءة تخدي والثرى عَمِدُ[١٤٤]

قال أبو عبيد : قال أبو زيد : عَمِدَت الأرضُ عَمَداً : اذا رسخ فيها المطرُ الى الثرى ، حتى اذا قبضت عليه بكفك تعقّد وجَعُد .

(15) وأما الذي رواه : « في مثل وجار الضبع » فلا معنى له نَعْقِلُه[١٤٥] . قال أبو زيد : يقال لجُحْر الأسد والضبع والذئب : العرين والوجارُ ، وهي العُرُن والأوجرة ، ولجُحْر الأرنب والثعلب : المَكَا والمَكْوُ ، وهذا مكاً ، مقصور ، ومَكْوٌ . وهذه أمكاءٌ كثيرة ، والسَّرَبُ والأسْرابُ . والسَّرَبُ أيضاً قد يكون للأسد والضبع والذئب . ولعلّ الذين رووه : « في مثل[جـ] وجار[د] الضبع » دخل عليهم وَهْمٌ[١٤٦] من قولهم « جارّ الضبع » وهو مثل « مجرّ الضبع » .

(التتمة في الجزء الذي يليه ان شاء الله)

(أ) اقتصرت نسخة ص على القول : « وقوله : عمد لها الثرى : يريد تعقّد ، اذا قبضت منه على شيء تعقد واجتمع من ندوَّته » .

(ب) في نسخة م : « حتى غدت » .

(جـ) فوقها في نسخة ظ ضبة ، وجاء في الحاشية : « قد رُوي : في سيلِ جارّ الضبع » .

(د) فوقها في نسخة ظ ضبة ، وجاء في الحاشية : « قال غير قاسم : يحتمل ان يريد في رواية من قال : (وجار الضبع) أن السيل حفر الأرض لشدته ، وخرّقها أخاديد ، فشبّه الأخدود بوجار الضبع » .

التعليقات

(١)أي القاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل ، كما صرح به في مواضع أخر من الكتاب .

(٢) ورد نص حديث الشعبي في كتاب المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان البسويّ (بغداد ١٩٧٥ م) ٢ : ٥٩٨ ـ ٦٠١ ، وكتاب العقد لابن عبد ربه (القاهرة ١٩٤٦) ٥ : ٣٢ ـ ٣٥ ، ٢ : ٤٦٤ ، وكتاب الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا (بيروت ١٩٨١ م) ١ : ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ، ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، وكتاب الحلية لأبي نعيم (القاهرة ١٩٣٥ م) ٤ : ٣٢٥ ـ ٣٢٧ ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (الهند ١٣٣٢ هـ) ٢ : ١٤١ ـ ١٤٢ ، وكتاب المخصص لابن سيده (القاهرة ١٣٢١ هـ) ١٠ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ، والفائق للزمخشري (القاهرة ١٩٤٥ م) ١ : ٩٣ ـ ٩٥ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (مجلد تراجم : عاصم ـ عائذ ، دمشق ١٩٧٧ م) : ٢١٥ ـ ٢١٨ (ومورده فيه كتاب الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (بيروت ١٩٨١ م) ٤ : ٣١٤ ـ ٣١٧ ، وأوجزه نقلاً من الدلائل أبو الحجاج البلويّ في كتابه ألف با ٢ : ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ، وروى الرامهرمزيُّ جزءاً صالحاً من حديث الشعبيّ في كتابه أمثال الحديث (اطلعت عليه في مخطوطتي الكتاب المحفوظتين بمكتبة فيض الله باصطنبول ، والاسكوريال باسبانيا ، إذ لم يقدّر لي أن أطلع على طبعته الصادرة بباكستان ١٩٦٨ م) ، وأوردت كتب الأدب والمحاضرات واللغة والتاريخ نتفاً منه . وانظر البيان والتبيين للجاحظ (القاهرة ١٩٦٠ م) ٢ : ١٦٤ ـ ١٦٥ ، ومجالس ثعلب (القاهرة ، ط ٢) : ٢٨١ ، وكتاب وصف المطر والسحاب لابن دريد (دمشق ١٩٦٣ م) : ٧١ ـ ٧٣ ، والمزهر للسيوطي (القاهرة ، ط ٣) ١ : ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٣) غلب على كتبة الحديث الاقتصار على الرمز في قولهم : حدثنا وأخبرنا ، فهم يختصرون حدثنا الى (نا) أو (ثنا) أو (دثنا) ، ويقتصرون في أخبرنا على (انا) او (ارنا) . وللرواة الحفاظ مذاهب في إطلاق لفظي حدثنا وأخبرنا (علوم الحديث لابن الصلاح : ١١٨ ـ ١٢٩ ، ١٨٠ ـ ١٨١ ، الالماع : ١٢٢ ـ ١٣٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١ : ٢١ ـ ٢٢ ، ٣٨ ، فهرست ابن خير : ٢١ ـ ٢٢ ، المنهل الراوي من تقريب النواوي : ١٠٢ ـ ١١٠ ، ١٢٨ ـ ١٢٩ ، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث لابن كثير : ٥٦ ـ ٦٢) . وقد اختار ناسخ مخطوطة الظاهرية أن يرمز للفظ حدثنا بـ (نا) وللفظ أخبرنا بـ (ارنا) و (انا) .

(٤) الحجـــاج بن يـوسف الثقفي ، ولي العراق لبني أميـــة عشرين سنـــة (٧٥ ـ ٩٥ هـ) ـ وكان ظالماً سفاكاً للدماء ، فنفر منه أهل العراق وكرهوه وذمُّوه فأفـاضوا في ذمه . ولعل خير من دافع عنـه عبـد الوهـاب الثقفي . قـال يـاقوت الحموي في معجم البلـدان (واسـط) : « وذُكر الحجـاج عنـد عبـد الوهـاب الثقفي بسوء فغضب وقـال : انمـا تـذكرون المساوئ ، أوما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه لا الـه الا الله محمـد رسول الله ، وأول من بنى مدينة بعـد الصحـابـة في الإسلام ، وأول من اتخـذ المحـامل ، وأن امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت ياحجاجاه ، فاتصل بـه ذلـك فجعل يقول : لبيـك لبيـك ، وأنفق سبعـة آلاف الف درهم حتى افتتح الهند ، واستنقذ المرأة وأحسن اليها ، واتخذ المنـاظر بينـه وبين قزوين ، وكان إذا دخّن أهل قزوين دخّنت المناظر إن كان نهاراً ، وان كان ليلاً أشعلوا نيرانا ، فتجرد الخيل اليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط ، فكانت قزوين ثغراً حينئذ » . تجـد ترجمة الحجاج ومراجعها في كتاب المعـارف لابن قتيبـة : ٣٩٥ ـ ٣٩٨ ، ووفيـات الأعيـان ٢ : ٢٩ ـ ٥٤ ، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٣٤٣ ، وكتاب الأعلام للزركلي ٢ : ١٦٨ .

(٥) أبو العلاء يـزيـد بن أبي مسلم (ت ١٠٢ هـ) ، مـولى الحجـاج بن يـوسف الثقفي وكاتبـه . ترجمتـه ومراجعهـا في وفيـات الأعيـان ٦ : ٣٠٩ ـ ٣١٢ ، وسير اعلام النبـلاء ٤ : ٥٩٣ ـ ٥٩٤ ، والأعلام للزركلي ٨ : ١٨٢ .

(٦) حفظ لنا الامام الطبري في تاريخـه كلمـات الشعبيّ حين دخولـه على الحجـاج من روايـة أبي مخنف ، وفيهـا اختـلاف في الألفـاظ يسير فـانظرهـا ثَمَّـة (تـاريـخ الطبري ٨ : ٣١ ـ ٣٢ ، بيروت / دار القـاموس الحـديث) . وتجـدهـا أو قريبـاً منهـا ، أو تجـد جـزءاً من أجـزائهـا في غريب الحـديث لابن قتيبة ٢ : ٦٤٦ ـ ٦٤٧ ، وعيـون الأخبـار لابن قتيبـة ١ : ١٠٤ ، وكتـاب فعلت وأفعلت لأبي حـاتم السجستـاني (البصرة ١٩٧٩) : ١١٧ ، وتـاريـخ خليفـة بن خيـاط (دمشـق ١٩٦٧ م) ١ : ٣٧٣ ، ومجـالس ثعلب ١ : ٢٩ ، والجليس والانيس ١ : ٢٨٨ ، والفـائق للزمخشري (القـاهرة ١٩٤٥ م) ١ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، والنهـايـة في غريب الحديث والأثر لابن الأثير واللسان لابن منظور (جنب ، حزن ، حلس ، خزا) .
ـ واستحلسنـــا الخـوفَ : لـزمنـــاه ، صيرنـــاه كالحلس الـــذي يفترش (اســـاس البلاغـة ـ حلس ، الفـائق ١ : ٢٥٨) . أجـدب الجنـاب ، الجنـاب (بفتـح الجيم) : النـاحيـة والفناء وما قرب من محلة القوم (اللسان ـ جنب) ، خزيـة : أي خصلـة خزينـا فيهـا ، أي ذللنـا (الفـائـق ١ : ٢٥٨) . وقـد فسّر ابن قتيبـة كلمـات الشعبيّ فـأطـال وأطـاب (غريب الحديث ٢ : ٦٤٦ ـ ٦٤٧) .

(٧ ح) كنا استظهرنا في مقالـة لنـا سبقت أن تكون س رمزاً للامـام أبي مروان عبـد الملك بن سراج (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٥١ ، ص : ٢٨٢ ـ ٢٨٥) .

(٨) ـ عثمان بن عفان أمير المؤمنين ، ولي الخلافة (٢٣ ـ ٣٥ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة ١٩١ ـ ٢٠٢ ، وكتب التاريخ ، والأعلام للزركلي ٤ : ٢١٠ ، وقد حققت الأستاذة سكينة الشهابي ترجمته التي أوردها ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق (أخبار التراث العربي ـ العدد الثالث / تشرين الأول ١٩٨٢ م) ص : ٦ .

ـ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، ولي الخلافة (٣٥ ـ ٤٠ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب المعارف لابن قتيبة (القاهرة ١٩٦٩ م) : ٢٠٣ ـ ٢١٨ ، وكتب التاريخ ، والأعلام للزركلي ٤ : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ، يضم الى ذلك سيرته في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي وهي تشمل الجزء الثالث بقسميه الأول والثاني (بيروت ١٩٦٠ م) ، وسيرته في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (تح محمد باقر المحمودي ـ بيروت ١٩٧٥ م) .

ـ عبد الله بن عباس ، ستأتي ترجمته في رجال السند الحادي عشر .

ـ عبد الله ين مسعود (ت ٣٢ هـ) ، من أكابر أصحاب رسول الله ، ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة : ٢٤٩ ، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ١ : ٤٦١ ـ ٥٠٠ ، والأعلام للزركلي ٤ : ١٣٧ .

ـ زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) ، كاتب الوحي وشيخ المقرئين ، ترجمته ومراجعها في كتاب المعارف لابن قتيبة : ٢٦٠ ، وكتاب سير أعلام النبلاء ٢ : ٤٢٦ ـ ٤٤١ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٥٧ .

(٩ ح) اليك نص أبي عبيد القاسم بن سلام بتمامه : « وقال أبو عبيد : في حديث الحجاج حين سأل الشعبيّ عن فريضة الجدّ فأخبره بقول الصحابة فيها حتى ذكر ابن عباس فقال : إن كان لنقاباً ، فما قال فيها ؟ ـ يروى عن عيسى بن يونس عن عباد بن موسى عن الشعبيّ ـ ، قال ابو عبيد : النقاب : هو الرجل العالم بالأشياء ، المبحث عنها ، الفطن ، الشديد الدخول فيها . قال أوس بن حجر يمدح فضالة أو يرثيه :

نجيحٌ جوادٌ أخو مأقط نقابٌ يحدّث بالغائب

وبعضهم يرويه : إن كان لمثقبا ، ولا نرى المحفوظ إلا الأول ، وهو في المعنى نحوٌ منه » (غريب الحديث لأبي عبيد / حيدر اباد ١٩٦٧ م ، ٤ : ٤٧٨ ـ ٤٨٠) .

وروى اللغويون وعلماء غريب الحديث كلمة الحجاج بروايات ثلاث : « إن كان لمثقبا » ، « إن كان لنقابا » ، « إن كان لمنقبا » . وهي متقاربة الدلالة (الفائق للزمخشري ٣ : ١٢٦ ، النهاية في غريب الحديث واللسان ـ ثقب ، نقب) . ومن أمثال العرب : إنه لنقاب . وقد عرّج عدة من مؤلفي كتب الأمثال على كلمة الحجاج حين عرضوا لشرح المثل .

ـ وبيت أوس بن حجر في ديوانه (بيروت ١٩٦٠) : ١٢ ، وفي كتاب الحيوان للجاحظ ٣ : ٦٠ ، والتعازي والمراثي للمبرد (دمشق ١٩٧٦) : ٣٤ ، وكتاب الأمثال لأبي عبيد : ١٠١ ، وفصل المقال للبكري (ط ٢) : ١٤٢ ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري (حيدر اباد ١٩٦٢ م) ١ : ٤٢٣ ، ومجمع الأمثال للميداني (القاهرة ١٣٥٢ هـ) ١ : ٢٠ ، وكتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، هذبه التبريزي (بيروت ١٨٩٥ م) : ١٦٤ ، والفائق للزمخشري ١ : ٢٤٣ ، ٣ : ١٢٦ ، والصحاح (نقب) ولسان العرب (نقب ، أقط) . وقد فسّر المبرد بيت أوس (التعازي والمراثي : ٣٧ ـ ٣٨) .

ـ وتجد ترجمة أوس بن حجر ومصادرها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٩٧ ـ ٩٨ ، والشعر والشعراء ١ : ١٥٤ ـ ١٦١ ، والأعلام للزركلي ٢ : ٣١ .

(١٠) هذه الفريضة يسميها الفرضيون الخرقاء (الجليس والأنيس للمعافى ١ : ٢٨٨) ، وقد ذكرها المبرد في الكامل (القاهرة ١٩٣٦ م) ١ : ٢٦٤ ، وانظر تعليق سيد المرصفي في رغبة الآمل ٣ : ١٧٧ ـ ١٧٩ .

(١١ ح) سيابة بن عاصم السلمي ، ترجمته في الاصابة لابن حجر (القاهرة ١٩٣٩ م) ٢ : ١٠١ ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر على هامش الاصابة ٢ : ١٢٧ ـ ١٢٨ ، وضبط ابن حجر في الاصابة « سيابة » بكسر أوله والتخفيف وبعد الألف موحدة . أما مخطوطة ظ فقد ضبطته بفتح السين ضبط قلم ، وكذلك جاء بفتح السين والتخفيف في تاج العروس (سيب) .

ـ الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، ترجمته ومراجعها في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح استاذنا محمود محمد شاكر) ١ : ٤٧٨ ـ ٤٨٣ ، وكتاب الأعلام للزركلي ٢ :١١٣ ، ونسبه في جمهرة انساب العرب لابن حزم (القاهرة ١٩٦٢) : ٢٦٤ ، وانظر معجم البلدان ـ البشر ، الرحوب ، كرمان ، وقد عرضَ له مؤلفو كتب الأمثال في شرح قولهم : أشد عصبية من الجحاف ، أفتك من الجحاف (جمهرة الأمثال للعسكري / القاهرة ١٩٦٤ ، ٢ : ٢٤ ، ٩٠ ، ١١١ ـ ١١٢ ، المستقصى في الأمثال للزمخشري ١ : ١٩٢ ـ ١٩٣ ، ٢٦٦ ، مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٣٤ ـ٣٥ ، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الأصبهاني / القاهرة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ م ، ١ : ٦٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢٧ ، ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

ـ أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) ، كان نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه.. أطنب مترجموه في مدحه والثناء عليه ، وأفاض عليه أبو حيان التوحيدي من رائع بيانه تنويهاً وتقريظاً ، وجعله ثالث ثلاثة بلغوا الغاية في علمهم ومصنفاتهم ورسائلهم ، أحدهم الجاحظ ، والثاني أبو حنيفة ، والثالث أبو زيد البلخي . طبع من كتبه : الأخبار الطوال ، وقطعتان من كتاب النبات ، الأولى في ليدن سنة ١٩٥٣ م ، والثانية في بيروت سنة ١٩٧٤ م . تجد ترجمته ومراجعها في كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي ٣ : ٢٦ ـ ٣٢ ، وانباه الرواة للقفطي ١ : ٤١ ـ ٤٤ ، والأعلام للزركلي ١ : ١٢٣ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١ : ٢١٨ ـ ٢١٩ ، ومقدمة كتاب الأخبار الطوال (ط القاهرة ١٩٦٠) .

(١٢) جاءت العبارة في الفائق للزمخشري ١ : ٩٣ « قال : انعت لنا كيف كان المطر وتبشيره » ، وجاء في النهاية لابن الاثير (بشر) : « وفي حديث الحجاج : كيف كان المطر وتبشيره ، أي مبدؤه وأوله . ومنه تباشير الصبح : أوائله » .

(١٣) حوران ، بفتح الحاء وسكون الواو ، قال ياقوت الحموي (معجم البلدان ـ حوران) : « وحَوْران : كورةٌ واسعةٌ من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، وما زالت منازل العرب ، وذكرُها في أشعارهم كثير ، وقصبتها

بُصرى . قال امرؤ القيس :

ولمــا بــدت حَـوْران والآل دونهــا نَظرتَ فلم تنظر بعينيــك منظرا

وقال جرير :

هبَّت شمالاً فــذكري مــاذكرتكمْ عنـد الصفــاةِ التي شرقيَّ حـورانــا

هــل يرجعنّ وليس الــدهر مرتجعــاً عيشٌ بهـا طـالمـا احلـولى ومـا لانـا »

- وحوران اليوم احدى محافظـات الجمهوريـة العربيـة السوريـة في جنوبيّهـا ، تتـاخم الأردنّ ، ويطلق عليهـا ادارياً اسم محـافظـة درعـا ، ومـا يزال كثير من أهل حـوران ، ممن يقطنون درعا وأطرافها يلفظون كلمة درعا على نحوٍ يوحي بأنها أذرعـات التي ذكرتهـا العرب في أشعارها . وبديه أن حدود حوران عند الجغرافيين العرب لا تطابق حـدود محـافظـة درعـا الحالية مطابقة تامة .

ورويِ ابن عبد ربه في العقد (٥ : ٣٣) : « بحوّارين » .

وحُـوَّارين ، بضم الحـاء وتشـديـد الـواو ، حصن من نـاحيــة مـدينـة حمص . وكان يزيد بن معاوية يؤثرها بسكناه . ومما رُوي له فيها يخاطب زوجه أمَّ خالد :

أراك أمَّ خـــالـــدِ تضجينْ
بـــاعت على بيعـــك أمٌّ مسكينْ
ميمــونـــةٌ من نســوة ميــامينْ
زارتـــك من طيبـــة في حــوارين
ببلـــدةٍ كنتِ بهـــا فكـــونين

وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ هـ ، وقال الأخطل في رثائه من أبيات :

مقيمٌ بحـــوارين ليس بريمهـــا سقتــه الغــوادي من ثـــويٍّ ومن قبرِ

(تاريخ الطبري ٧ : ١٥ ، المعـارف لابن قتيبـة : ٣٥١ ـ ٣٥٢ ، جمهرة الأمثـال للعسكري ١ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ، معجم البلدان ـ حوارين ، معجم بني أمية للـدكتور صلاح المنجـد : ٢٠٥ ، شعر الأخطل : ٢٨٩) .

- وحوارين اليوم قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو سبعمائة نفس ، تتبع ادارياً ناحية القريتين ، وتبعد عنها نحو عشرين ك .م . وتبعد عن مدينة حمص مركز المحافظة بنحو ٧٥ ك . م ، شرقاً بجنوب .

(١٤ ح) سوى وسواء (ان ضممت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعاً ، وان فتحت السين مددت) : اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة مما يلي الشام ، وعليه مرّ خالد بن الوليد لما قصد من العراق الى الشام ، ومعه دليله رافع بن عميرة الطائي في أيام أبي بكر الصديق « ففوّز من قراقر الى سوى ، فأغار على أهل سوى . . . ثم أتى أرك فصالحوه ، وأتى تدمر فتحصنوا ثم صالحوه ، ثم أتى القريتين فقاتلهم . . وأتى حوارين فقاتلهم » ، فقال الراجز :

للـــــه درُّ رافـــعٍ أنّى اهتـــــدى
فـــــوَّز من قراقرٍ الى ســـــوى
خمـــاً اذا مـــا ســـارهـــا الجبسُ بكى
مـــاســـارهـــا من قبلـــه إنسٌ يُرى

وإياها عنى ابن قيس الرقيات بقوله من قصيدة يمدح بها طلحة الطلحات (ديوان ابن قيس الرقيات - بيروت ١٩٥٨ م ، ص : ١٧ - ١٩) :

وسَرَتْ بغلتي اليـــك من الشـــأ م ، وحـــورانُ دونهـــا والعـــويرُ
وســـواءٌ والقريتـــان وعينُ الـ ـتمرِ خَرْقٌ يكلُّ فيـــه البعيرُ
فـــاستقَتْ من سِجـــالـــه بسجـــالٍ ليس فيـــه منٌّ ولا تكـــديرُ

- والقريتان ، بفتح القاف ، تثنية القرية : قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سخنة وأرك (عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ١٤٢ - ١٤٣ ، وفتوح البلدان للبلاذري / مصر ١٩٥٩ م ، ص : ١١٧ - ١٢٠ ، وتاريخ الطبري / دار القاموس الحديث ببيروت ٤ : ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ - ٤٦ ، ومعجم مـــا استعجم للبكري - قراقر ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي - البشر ، حوارين ، سواء ، سوى ، قراقر ، القريتان ، ومجمع الأمثال للميداني ١ : ٤٦٤ ، ولسان العرب - سوى) .

ـ والقريتان اليوم قرية كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو (٧٥٠٠) نفس ، وهي اداريـاً قاعدة ناحية القريتين ، وتتبع مركز محافظة حمص . وتبعد عن مدينة حمص بنحو ١٠٠ ك . م ، شرقاً بجنوب .

(١٥) عيسى ، هو عيسى بن يونس الذي روى حديث الشعبيّ عن عباد بن موسى ، انظر رجال السند الأول في الملحق .

(١٦) جاء في اللسان (قيأ) : « وقاءت الأرض الكمأة : أخرجتها وأظهرتها ، وفي حديث عائشة تصف عمر : وبعج الأرضَ فقاءت أُكلَها : اي أظهرت نباتها وخزائنها . والأرض تقيءُ الندى ، كلاهما على المثل . وفي الحديث : تقيءُ الأرضُ أفلاذ كبدها : اي تخرج كنوزها وتطرحها على ظهرها » . وانظر النهاية لابن الأثير (قيأ) ، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢ : ٤٧٦ ، ٤٨٣ .

(١٧) انظر الخبر في البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ١٦٥ ، ومطلعه : « وقال رجل من بني أسد لمحمد بن مروان » .

(١٨) السنة : القحط (الفائق للزمخشري ١ : ٩٥) ، وأصابتهم السنة : يعنون به السنة المجدبة (اللسان ـ سنا) .

(١٩ ح) قلتُ :

ـ ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ١٦٢ « دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر ، فقال : ما أصابني من مطر ، ولكني سمعتُ رائداً يقول : هلمّ أُظعنكم الى محلة تطفأ فيها النيران ، وتتنافسُ فيها المعزى ، وتبقى بها الجرّة حتى تنزل الدِّرَّة » .

ـ وذكر المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٨ « وقال بعض الرواد وسئل عما وراءه فقال : هلمّ أظعنكم الى محلٍ تُطفأ فيه النيران ، يعني لا يوجد عودٌ يابس يوقد عليه » .

ـ ومثلُ هذا القول جاء مضطرباً ناقصاً في طبعة المخصص لابن سيده ١٠ : ١٧٥ ـ ١٧٦ .

ـ وبيتُ المرّار في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (تح برنهارد لڤين ، بيروت ١٩٧٤ م) : ١٦٢ ، وفي سمط اللآلي ١ : ٥٢٩ ، وقد خرّجه الأستاذ عبد العزيز الميمني محقق السمط في الحيوان للجاحظ ٣ : ١٢١ ، ٤ : ٤٦٥ ، والبيان والتبيين للجاحظ ٣ : ٣٤ ، والمخصص لابن سيده ١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢ ، وانظر « شعراء أمويون » للدكتور نوري حمودي القيسي ٢ : ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ، ٤٩٢ .

ـ أما المرّار الذي ينسب اليه الشاهد فقد جعله بعض الرواة المرار الفقعسي ، وجعله آخرون المرار العدوي .

ـ وتجد ترجمة المرار الفقعسي ومراجعها في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (تح احمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٦٩ هـ) ٢ : ٦٨٠ ـ ٦٨٣ ، والأعلام للزركلي ٧ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، وشعراء أمويون (بغداد ١٩٧٦ م) ٢ : ٤٢٧ ـ ٤٣٣ .

ـ وتجد ترجمة المرار العدوي ومراجعها في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ : ٦٧٨ ـ ٦٨٠ .

ـ ابو زياد ، لعله أبو زياد يزيد بن الحرّ الكلابي ، انظر ترجمته ومراجعها في إنباه الرواة للقفطي ٤ : ٧٣ ، ١٢١ ، والاعلام للزركلي ٨ : ١٨٤ (يزيد بن عبد الله بن الحر) .

(٢٠) حُلوان ، بضم الحاء وسكون اللام ، قال ياقوت الحموي (معجم البلدان ـ حلوان) : « وحلوان في عدة مواضع : حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . . . وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها . . » .

(٢١) جاء في النهاية لابن الاثير (بوأ) : « بُؤْ للأمير بذنبك : أي اعترف به » . وجاء في اللسان (بوأ) : « قال الأصمعي : باء بإثمه فهو يبوء به بَوْءاً : اذا أقرّ به » .

(٢٢) يشير الى الآيات الكريمة : ﴿ وضُربت عليهم الذلةُ والمسكنةُ وباؤوا بغضب من الله ﴾ ، ﴿ فباؤوا بغضب على غضب ﴾ [سورة البقرة ، آية : ٦١ ، ٩٠] ، ﴿ ضُربت عليهم الذلةُ أينما ثُقِفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضُربت عليهم المسكنةُ ﴾ [سورة آل عمران ، آية : ١١٢] . قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿ وباؤوا بغضب من الله ﴾ : أي صاروا أحقّاء بغضبه ، واستوجبوه . وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وباؤوا بغضب على غضب ﴾ : أي صاروا أحقّاء بغضب مترادف (الكشاف ١ : ١٠٩ ، ١٢٣ ، ٣٠٨) . وجاء في اللسان (بوأ) : « قال الأخفش : ﴿ وباؤوا بغضب من الله ﴾ : رجعوا به ، أي صار عليهم . وقال أبو اسحاق في قوله تعالى : ﴿ فباؤوا بغضب على غضب ﴾ ، قال : باؤوا في اللغة : احتملوا ، يقال : قد بُؤتُ بهذا الذنب : أي احتملته . وقيل : باؤوا بغضب : اي بإثم استحقوا به النار ، على إثم استحقوا به النار أيضاً » .

(٢٣) جاء في اللسان : « الونى : الضعف والفتور والكلال والإعياء . وناقة وانيةٌ : فاترةٌ طليح . وقيل : ناقة وانية : اذا أعيت . الحفا : رقة القدم والخف والحافر . والوجا : مثله . وقيل : الوجا : شدة الحفا . القريح : الجريح ، فعيل بمعنى مفعول . البطان : الحزام الذي يلي البطن ، وقيل : البطانُ للبعير كالحزام للدابة » . وقد جاء البيت الوارد في الدلائل في (لسان العرب ـ دفف ، ونى) ، وروايته له :

وواني‍ـــــةٍ زجرتُ على وج‍ـــــاه‍ـــــا قري‍ـــــح ال‍ـــــدَّفتين من البط‍ـــــانِ

والبيت من شواهد الزمخشري في أساس البلاغة (دفف ، ونى) ، والصغاني في التكملة والذيل والصلة (دفف) .

(٢٤) لم أجد الحديث بلفظه . وقد روى الامام أحمد بن حنبل : « . . . عن مسروق أن امرأة جاءت الى ابن مسعود فقالت : أُنبئت أنك تنهى عن الواصلة ! قال : نعم ، فقالت : أشيءٌ تجده في كتاب الله ، أم سمعته عن رسول الله ﷺ ؟ قال : أجده في كتاب الله وعن رسول الله . فقالت : والله لقد تصفحتُ مابين دَفَّتي المصحف فما وجدتُ فيه الذي تقول ! قال : فهل وجدتِ فيه ﴿ وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [سورة الحشر ، آية : ٧] ؛ قالت : نعم ، قال : فاني سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء ، قالت المرأة فلعله في بعض نسائك ؟ قال لها : ادخلي ، فدخلت ثم خرجت فقالت : ما رأيت بأساً ، قال : ما حفظتُ اذن وصية العبد الصالح ﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ﴾ [سورة هود ، آية : ٨٨] » . المسند (ط ١) ١ : ٤١٥ ، (ط الأستاذ أحمد محمد شاكر) ٦ : ٢١ ـ ٢٢ ، برقم ٣٩٤٥ ، وصحّح إسناده . وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لفنسنك ٢ : ١٣٦ .

(٢٥) انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٣ : ٦٤ ، وشرح المفضليات للأنباري (بيروت ١٩٢٠ م) : ٤٢٤ ؛ والفائق للزمخشري ١ : ٤٠٢ ، والنهاية لابن الأثير (دفف) .

(٢٦) سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب المعارف لابن قتيبة : ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٣٧١ ـ ٣٧٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٣٢١ ـ ٣٤٣ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٩٣ .

(٢٧) جاء في اللسان (فتن) : « وأهل الحجاز يقولون فتنته المرأة : اذا ولّهته وأحبها ، وأهل نجد يقولون : أفتنته » . وانظر الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا ١ : ١٩٧ ـ ١٩٩ .

ـ كتـاب مُنَمنم : مُرَقَّش . ونمنم الشيء نمنمةً : أي رقَّشه وزخرفه . وثوب منمنم : مرقوم موشّى (لسان العرب ـ نمنم) .

ـ والبيت الأول في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٦٨ منسوباً الى أعشى همدان ، وفي كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني (البصرة ١٩٧٩ م) : ٩٩ ، والزاهر لابن الأنباري (بغداد ١٩٧٩ م) ١ : ٥٨١ ، والجليس والأنيس ١ : ١٩٩ غير منسوب ، وذكره ابن دريد في الجمهرة ٢ : ٢٥ ونقل مقالة السجستاني . وجاء البيت في الخصائص لابن جني ٣ : ٣١٥ منسوباً الى ابن قيس ، ونسبه الجوهري في الصحاح (فتن) الى أعشى همدان ، وتعقبه ابن بري فذكر مقالة ابن جني في الخصائص ، ثم أورد ما حكاه أبو القاسم الزجاجي في أماليه بسنده عن الأصمعي عن عمر بن أبي زائدة عن أم عمرو بنت الأهتم ، وروى القصة والبيتين كما جاءا في نص الدلائل (لسان العرب ـ فتن) . وقد رجعتُ الى أمالي الزجاجي (القاهرة ١٣٨٢ هـ) وإلى أخبار أبي القاسم الزجاجيّ (بغداد ١٩٨٠ م) فلم أجد الخبر والبيتين . وانظر نهاية الأرب للنويري ٤ : ١٩٤ ، والصبح المنير في شعر أبي بصير (فيينا ١٩٢٧ م) : ٣٤٠ .

(٢٨) انظر تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، هذبه التبريزي (بيروت ١٨٩٥ م) : ٥١١ ـ ٥١٢ ، واصلاح المنطق لابن السكيت (ط ٢ ، ١٩٥٦ م) : ١٠٠ ، ١٦٤ ، والمجمل لابن فارس ١ : ٢٠٥ (حرا) ، والنهاية لابن الأثير ولسان العرب (حرى) ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (دار الفكر ـ بيروت) مج ٢ : ٣٥٦ .

(٢٩) الكسائي علي بن حمزة (ت ١٨٣ هـ) ، أحد القراء السبعة ، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات . تجد ترجمته ومراجعها في انباه الرواة للقفطي ٢ : ٢٥٦ ـ ٢٧٤ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ، والاعلام للزركلي ٤ : ٢٨٣ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ : ٨٤ .

(٣٠ ح) يبدو أن التعليق الوارد في حاشية المخطوطة ظ قد بُني على ضبط سابق لكلمة (نقرة) خالف عن الصواب ، لأن أثر الحكّ والتصحيح في المخطوطة وضبط النون من (نقرة) بالفتح بيّنٌ ظاهر . وكان فوقها ضبة فحولت الى « صح » .

ـ يقال : ما أثابه نَقْرةً : أي شيئاً . وما أغنى عني نَقْرة : أي أدنى شيء . لايستعمل الا في النفي (اساس البلاغة واللسان ـ نقر) ، قال الحارث بن خالد المخزومي (شعر الحارث بن خالد المخزومي للدكتور يحيي الجبوري / النجف الأشرف ١٩٧٢ ، ص : ١٠٧) :

مرَّ الحـولُ فمـا شـأونـك نَقْرةً ولقـد أراك تُشـاء بـالأظعـان

والنقير : النكتة التي في ظهر النواة ، يقال : ماأثابني نقيرا . وفي التنزيل العزيز : ﴿ فإذاً لايُؤْتون الناس نقيرا ﴾ ، ﴿ ولا يظلمون نقيرا ﴾ [سورة النساء ، آية : ٥٣ ، ١٢٤] ، قال

الزمخشري في الكشاف (١ : ٤٠٣) : « والنقير : النقرة في ظهر النواة ، وهو مَثَلٌ في القلة ، كالفتيل والقطمير » . وانظر اساس البلاغة واللسان ـ نقر .

ـ وأما البيت (وداعٍ دعا ....) فهو من قصيدة رائعة لكعب بن سعد الغنويّ في رثاء أخيه . قال أبو حاتم السجستاني : « وسألت الأصمعي عن كعب بن سعد الغنوي قال : ليس من الفحول إلا في المرثية ، فإنه ليس في الدنيا مثلها . قال : وكان يقال له كعب الأمثال » (فحولة الشعراء للأصمعي : ٢٧) .

ـ ويحسن ، من أجل ترجمة الشاعر ومصادرها ، والاطلاع على قصيدته وتخريج أبياتها ، العودةُ الى طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح استاذنا محمود محمد شاكر) ١ : ٢٠٤ ، ٢١٢ ـ ٢١٣ ، والأصمعيات (القاهرة ١٩٥٥ م) : ٧٠ ، ٩٤ ـ ١٠٠ ، وكتاب الاختيارين للأخفش الأصغر (دمشق ١٩٧٤ م) : ٧٥٠ ـ ٧٥٩ ، وجمهرة أشعار العرب (بيروت ١٩٦٣) : ٢٤٩ ـ ٢٥٣ ، والأمالي لابي علي القالي ٢ : ١٤٧ ـ ١٥١ ، وسمط اللآلي ٢ : ٧٧١ ـ ٧٧٢ ، وقد أطال محققو الأصمعيات والاختيارين وسمط اللآلي في تعداد مصادر الشاعر ومراجع قصيدته في الكتب وتخريج أبياتها وماوقع في روايتها من اختلاف وتداخل .

ـ وخرّج محققا الأصمعيات البيت في النوادر والاقتضاب لابن السيد وشرح ادب الكاتب للجواليقي والمختار من شعر بشار ، والبيت من شواهد مجاز القرآن لابي عبيدة (القاهرة ١٩٦٢ م) ١ : ٦٧ ، ١١٢ ، ٢٤٥ ، ٣٢٦ ، ٢ : ١٠٧ ، وقد خرجه محققه الأستاذ فؤاد سزكين في نوادر ابي زيد والطبري والأمالي للقالي والاقتضاب واللسان والتاج (جوب) والعيني وخزانة الأدب للبغدادي ، والبيت من شواهد الأخفش الأوسط في معاني القرآن (الكويت ١٩٨١ م) ١ : ٤٩ ، وخرجه المحقق في النوادر ومجاز القرآن لأبي عبيدة وحجة ابي علي الفارسي وأمالي ابن الشجري . وجاء البيت في التعازي والمراثي للمبرد (دمشق ١٩٧٦) : ٢٤ ، وديوان المعاني للعسكري ٢ : ١٧٩ ، وشرح ابيات مغني اللبيب للبغدادي (دمشق ١٩٧٨ م) ٥ : ١٦٧ ، والصحاح واللسان (جوب) . وجاء شطره الثاني في ادب الكاتب لابن قتيبة (بيروت ١٩٨٢ م) : ٥٢٣ .

(٣١) البيت في اصلاح المنطق لابن السكيت : ١٠٠ ، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (دار الفكر ـ بيروت) مج ٢ : ٣٥٦ ، والصحاح واللسان (نقر ، حرى) .

(٣٢ ح) معنى (يتملّص) التي جاءت في الحاشية : يتخلص . قال في اللسان : التملّص : التخلّص .

ـ ورواية ابن قتيبة التي ذكرها صاحب التعليق في الحاشية جاءت في كتابه أدب الكاتب (بيروت ١٩٨٢) : ٤١ ، وفي كتابه غريب الحديث (بغداد ١٩٧٧ م) ٢ : ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، وأفاض ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب (ص : ١١٧ ـ ١١٨ ، ٢٠٢ ، ٣٠٦ ـ ٣٠٧)

في شرح هذين البيتين . وما جاء في تعليق حاشية كتاب الدلائل فيه مشابه لما جاء في الاقتضاب ، واتفقا معاً على ايراد الشاهد المنسوب الى الأعشى . وقد أفادني الأخ الصديق الأستاذ احمد راتب النفاخ أن بيت الأعشى جاء غير منسوب في الأشباه والنظائر للخالديين ٢ : ٣٢ ، والبيت لم يرد في ديوان الأعشى ، وقد أضافه محققه نقلاً عن الاقتضاب (ديوان الأعشى / ط فيينا ، ص :٢٣٩ ، ص : 205) .

ـ وبيتا هند بنت النعمان (أو أختها حميدة) جاءا في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٥٥ ، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة : ٤١ ، وشرحيه : الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : ١١٧ ، ٣٠٦ ، وشرح الجواليقي : ١٥٠ ، وفي غريب الحديث لابن قتيبة ٢ : ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، والأغاني لأبي الفرج ٩ : ٢٣٠ ، ١٦ : ٥٤ ، وسمط اللآلي ١ : ١٧٩ .

وقد خرج الأستاذ عبد العزيز الميمني البيتين فعدّد : محاسن الجاحظ وتحفة المجالس وبلاغات النساء والأغاني والعقد واخبار النساء (سمط اللآلي ١ : ١٧٩) ، وزاد الدكتور سزكين محقق مجاز القرآن في تخريجه ان البيت الأول قد ورد في الطبري والقرطبي واللسان (سلل ؟ ، وضمّ الدكتور الجبوري محقق غريب الحديث الى ذلك في تخريجه : تصحيح الفصيح ، وشرح الفصيح للعسكري ، وان عجز البيت الثاني قد جاء في اللسان (قرف) . قلتُ : وجاء البيتان في محاضرات الأدباء للراغب الاصبهاني ٣ : ٢١٠ .

ـ حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصارية ، تجد أخبارها في الأغاني ٩ : ٢٢٧ ـ ٢٣٣ ، ١٦ : ٥٣ ـ ٥٤ ، والاقتضاب لابن السيد : ١١٧ ـ ١١٨ ، ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، وقد ترجم لها وذكر مصادر ترجمتها عمر رضا كحالة في كتابه أعلام النساء (دمشق ١٩٤٠) ١ : ٢٥٣ ـ ٢٥٦ ، كما ترجم لأختيها عمرة وهند (اعلام النساء ٢ : ١٠٩٠ ـ ١٠٩١ ، ٣ : ١٦٢٩ ـ ١٦٣٢) . ولحميدة بنت النعمان ترجمة طيبة في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، وفي مختصره لابن منظور .

ـ روح بن زنباع الجذامي (ت ٨٤ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب الأعلام للزركلي ٣ : ٣٤ ، ويضم الى مصادره كتاب العبر للذهبي ١ : ٩٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١ : ٩٥ .

ـ الأعشى صناجة العرب ، تجد ترجمته ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٥٢ ، ٦٥ ـ ٦٧ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٢١٢ ـ ٢٢٣ ، والأغاني ٩ : ١٠٦ ـ ١٢٧ ، والأعلام للزركلي ٧ : ٣٤١ ، وللأخ الصديق الأستاذ الدكتور محمد صبري الأشتر رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه دراسة تناول فيها الأعشى في كتابيه : الأعشى (حلب ١٩٧٠) ، المعلقات (حلب ١٩٧٠) : ٢٤٨ ـ ٢٦٨ .

(٣٣) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤ : ٤٧٨ ـ ٤٧٩ ، وتجد ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام ومصادرها في إنباه الرواة للقفطي ٣ : ١٢ ـ ٢٣ ، ووفيات الاعيان ٤ :

٦٠ ـ ٦٣ ، وسير اعلام النبلاء للذهبي ١٠ : ٤٩٠ ـ ٥٠٩ ، والأعلام للزركلي ٥ : ١٧٦ ، وانظر كلمتنا عنه في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٠ : ٨١ ـ ٩٤ .

(٣٤) غريب الحديث لابن قتيبة ٢ : ٦٤٦ ـ ٦٤٧ ، وتجد ترجمة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ومصادرها في إنباه الرواة للقفطي ٢ : ١٤٣ ـ ١٤٧ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٢ ـ ٤٤ (واكتفى المحقق بما ورد من مصادره في الانباه) ، وطبقات المفسرين للداوودي (القاهرة ١٩٧٢ م) ١ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، والأعلام للزركلي ٤ : ١٣٧ ، وقد عددنا في كلمتنا التي تحدثنا فيها عن كتابه غريب الحديث أبرز المصادر الأخرى (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٩٤ ـ ١١٠) ، ويحسن أن نضيف اليها كتاب « ابن قتيبة » للدكتور عبد الحميد الجندي (سلسلة أعلام العرب ـ رقم ٢٢ ، ١٩٦٣ م) ، وكتاب « ابن قتيبة » للدكتور محمد زغلول سلام (سلسلة نوابغ الفكر العربي ـ رقم ١٨ ، ١٩٦٥ م) .

(٣٥) جاء في النهاية لابن الأثير (حشم) : « الحشم ، بالتحريك : جماعة الانسان اللائذون به لخدمته » ، وفي اللسان (حشم) : « وحشم الرجل ايضاً : عياله وقرابته » .

(٣٦) العجاج ، من أبرز الرجاز في العصر الأموي . تجد ترجمته ومصادرها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح أستاذنا محمود محمد شاكر) ٢ : ٧٥٣ ـ ٧٦١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة (تح أحمد محمد شاكر) ٢ : ٥٧٢ ـ ٥٧٤ ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (مجلد : عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) : ٣٥٩ ـ ٣٦٧ ، والأعلام للزركلي ٤ : ٨٦ ـ ٨٧ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ١ : ٥٧ ، وقد حقق الأخ الصديق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ديوان العجاج ، وأتبعه بدراسة جيدة بعنوان : « العجاج : حياته ورجزه » (دمشق ١٩٧١ م) .

(٣٧) ديوان العجاج (دمشق ١٩٧١ م) ١ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ، وقد خرّج الأبيات ، جملة وبعضاً ، محقق الديوان الدكتور عبد الحفيظ السطلي في كنز الحفاظ (تهذيب ألفاظ ابن السكيت) ، ومختصر تهذيب الألفاظ ، واللسان ـ صمم (ديوان العجاج ٢ : ٤٠٢) .

(٣٨) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في إنباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٠ ـ ٣٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٧٨ ـ ٣٨٠ ، وسير اعلام النبلاء للذهبي ٩ : ٤٩٤ ـ ٤٩٦ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٩٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤ : ٢٢٠ ، وكتاب أعلام العرب في العلوم والفنون لعبد الصاحب عمران الدجيلي (ط ٢) ١ : ٩٦ ـ ٩٨ .

(٣٩) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، ستأتي ترجمته في رجال السند السابع عشر .

(٤٠) البيت في الفاخر للمفضل بن سلمة (القاهرة ١٩٦٠ م) : ١٢٢ ، وإصلاح المنطق لابن السكيت : ٦٢ ، والزاهر لابن الأنباري ١ : ٥٨٩ ، والجليس والأنيس للمعافى بن زكريا ١ : ٣٠٧ ، والمجمل لابن فارس ١ : ٣٥ (أكل) ، ١ : ٢١٣ (حشم) ، وفي الصحاح واللسان (أكل ، حشم) .

(٤١) قال ابن دريد في الجمهرة ٢ : ١٦٠ « حشمتُ الرجلَ أحشمه حشماً : اذا أغضبته . وحَشَمُ الرجلِ : أتباعُه الذين يغضبون بغضبه . . . وليس تعرف العرب الحشمة الا الغضب أو الانقباض عن الشيء » . وانظر تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، هذبه التبريزي (بيروت ١٨٩٥) : ٨٢ ـ ٨٣ ، ٤٧٩ ، والمجمل لابن فارس ١ : ٢١٣ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة : ٢٣ ، ٤٣٥ ، والاقتضاب : ١٠٨ ـ ١٠٩ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي : ١٢٣ ، واللسان (حشم) .

(٤٢) جاء في الفائق للزمخشري ١ : ٩٥ « والتبشير ، واحد التباشير : وهي الأوائل والمبادئ ، ومنه تباشير الصبح . وهو في الأصل مصدر بَشَّر ، لأن طلوع فاتحة الشيء كالبشارة به ، ومثله التعشيب والتنبيب » .

(٤٣) جاء قول يعقوب بن السكيت في كتابه إصلاح المنطق (القاهرة ١٩٥٦ م) : ٢٧٧ ، ونقل ابن سيده في المخصص ١٠ : ١٨٣ قول أبي عبيد : « أبشرت الأرض : أخرجت نباتها ، وما أحسن بَشَرَتَها » ، وقول ابن السكيت : « نشرت الأرض تنشُر نشورا ، بالنون : اذا اصابها الربيع فأنبتت ، وما أحسن نشرتَها : أي بدء نباتها » ، ثم عقب ابن سيده على ذلك بقوله : « وليس بثبت » ، وانظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (ليدن ١٩٥٣ م) : ٦٢ ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١١٥ .

(٤٤) قال الزمخشري في الفائق ١ : ٩٥ يفسر قوله : « أراد أن القَطْر قد انتسج لفرط تتابعه . فشبَّه الكبار بسَدَى النسيج . والصغار بلُحمته » . والسَّدى : ما مُدَّ من الثوب . واللحمةُ : ما سُدِي به عرضاً بين سَدَيَي الثوب . فاللحمة تخالط سدى الثوب حتى يصيرا كالشيء الواحد لما بينهما من المداخلة الشديدة . وألحم الناسج الثوبَ . وفي المثل : ألحِمْ ما أسديت : أي تمِّمْ ما ابتدأته من الإحسان (الاساس والنهاية واللسان ـ لحم ، سدى) . وقال في النهاية واللسان (لحم) : « وفي حديث الحجاج والمطر : صار الصغارُ لحمة الكبار : أي أن القطر انتسج لتتابعه فدخل بعضه في بعض واتصل » .

(٤٥) تأتي الترجمة له في رجال السند الثامن .

(٤٦) أبو العلاء ، هو الراوية الذي حدَّث القاسم بن ثابت مؤلف الدلائل حديث الشعبيّ . وقد ترجمنا له في رجال السند الأول .

(٤٧) الحيا ، مقصور : المطر ، لإحيائه الأرض . والخصب . وقال الربعي في نظام الغريب : ٢٢٦ « والحيا ، مقصور : المطر في الربيع » .

(٤٨) جاء في النهاية لابن الأثير (بسط) : « وفيه في وصف الغيث : فوقع بسيطاً متداركاً : أي انبسط في الأرض واتسع . والمتدارك : المتتابع » .

(٤٩) جاء في الفائق للزمخشري ١ : ٩٣ ، ٩٥ « وقع سبطاً متداركاً . . . السبط : الممتد المنبسط ، وقد سبط وسبُط » .

(٥٠) ترجمة القطامي واخباره في طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح استاذنا محمود محمد شاكر ،القاهرة ١٣٩٤ هـ) ٢ : ٥٣٤ ـ ٥٤٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة (تح أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٦٩ هـ) ٢ : ٧٠١ ـ ٧٠٥ ، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (بيروت ١٩٦١ م) ٢٣ : ١٧٤ ـ ٢١٧ ، وتجد بقية المراجع في حواشي طبقات فحول الشعراء ، والشعر والشعراء ، وفي كتاب الأعلام للزركلي ٥ : ٨٨ ـ ٨٩ ، يضم الى ذلك ترجمة له صغيرة في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي (دمشق ١٩٧٤ م) ٣ : ٣٩٤ ـ ٣٩٥ .
ـ والبيت الشاهد في الدلائل من قصيدة للقطامي شهيرة ، تجدها في ديوانه (ليدن ١٩٠٢) : ٢ ، وجمهرة أشعار العرب (القاهرة ١٩٢٦) : ٣١٣ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣ : ١٢٤ ـ ١٢٥ ، وورد البيت في أساس البلاغة (عمج) ولسان العرب (سبط) .

(٥١ ح)قال أبو علي البغدادي (القالي) وهو يسمّي كتب الشعر التي وصل بها الى الأندلس : « . . . وشعر القطاميّ عمير بن شيم ، تامّ في جزء . قرأته على أبي بكر بن دريد » (فهرست ابن خير / ط ٢ ، ١٩٦٣ م ، ص : ٣٩٦) .
ـ وتجد ترجمة أبي علي البغدادي (القالي)إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ)ومصادرها في إنباه الرواة للقفطي ١ : ٢٠٤ ـ ٢٠٩ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٢٦ ـ ٢٢٨ ، والأعلام للزركلي ١ : ٣٢١ ـ ٣٢٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، وانظر ترجمته في مقدمة طبعة كتابه الأمالي .

(٥٢ ح) تعمّج السيلُ في الوادي : اذا تعوّج يَمْنةً ويَسْرةً . . . والتمعُّج : التلوّي والتثنّي ، قلبُ التعمُّج . وقال صاحب العين : تعمّج السيلُ : تعرج في مسيله ، وقال : يمعج : اي يسرع . وجاء الوادي يمعجُ بسيوله . قال العجاج :

تدافع السيل اذا تعمّجا

(مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٢٢٠ ، جمهرة ابن دريد ٢ : ١٠٤ ، المخصص لابن سيده ٩ : ١٢٩ ، التكملة للصغاني ـ عمج ، معج ، اللسان ـ عمج ، ديوان العجاج ٢ : ٣٨) .

(٥٣) جاء في الكتاب العزيز : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلْدا لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ☆ ومثلُ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنّة بربوةٍ أصابها وابلٌ فآتت أُكُلَها ضِعْفين فإن لم يصبها وابلٌ فطلٌ والله بما تعملون بصير ﴾ [سورة البقرة ، آية : ٢٦٤ ، ٢٦٥] . قال الزمخشري في الكشاف (١ : ٢٣٩) : « وابل : مطر عظيم القطر . . . طلٌ : مطر صغير القطر » .

(٥٤) وهو : أي السبط من الغيث .

(٥٥) حسان بن ثابت الانصاري ، شاعر رسول الله ، أيده الله بروح القدس ، تجد ترجمته ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح استاذنا محمود محمد شاكر) ١ : ٢١٥ ـ ٢٢٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة (تح أحمد محمد شاكر) ١ : ٢٦٤ ـ ٢٦٧ ، والأغاني ٤ : ١٣٣ ـ ١٧٠ ، والأعلام للزركلي ٢ : ١٧٥ ـ ١٧٦ ، وللأخ الصديق الأستاذ الدكتور احسان النص دراسة أفرد بها حسان شاعر النبي (حسان بن ثابت ـ بيروت ١٩٦٥ م) .

(٥٦) ديوان حسان (القاهرة ١٣٣١ هـ) : ١٦٨ ، من قصيدة مطلعها :

أجمعتْ عَمْرَةُ صرماً فابتكَرْ ... انما يدهن للقلب الحصِرْ

قال في اللسان (سبط) : « ورجل سبط اليدين بيّن السبوطة : سخيٌّ سمح الكفين » . وفي جمهرة ابن دريد (١ : ٢٨٤) : « ورجلٌ سبطُ اليدين وسبيطُ اليدين : اذا كان جوادا » .

ـ وبيت حسان في المجمل لأحمد بن فارس ١ : ٢٧٤ (خصر) ، وفي الصحاح (خصر) ، وفي اللسان (سبط ، خصر) .

(٥٧) جاء في اساس البلاغة للزمخشري (قطط) : « وهو جَعْد قَطَطٌ : بليغ الشحّ » ، وجاء في الفائق للزمخشري ١ : ٤١٧ « الجعد : الكريم الجواد ، واذا ذكرت اليد فقيل : جعد اليدين ، وجعد البنان ، وجعد الأصابع فهو اللئيم البخيل ، ويقال في ضده : سبط البنان ، ويده سبطة . وقد جاء القطط تأكيداً له في المعنيين جميعا ، فقالوا للكريم : جعد قطط ، وللئيم : جعد اليدين قطط » .

وجاء بيت الدلائل شاهداً في الأساس (قطط) وفي الفائق (دوأ) ١ : ٤١٧ .

(٥٨) السَّبْطُ والسَّبَطُ والسَّبِطُ : نقيض الجعد . وقد سبُطَ سُبوطاً وسُبوطةً وسَباطة وسبطا ، الأخيرة عن سيبويه (اللسان ـ سبط) ، وانظر الكتاب لسيبويه ٢ : ٢٢٣ .

(٥٩ ح) **بيتا ثعلبة بن صعير المازني من قصيدة مفضلية (المفضليات للضبي ١ :** ١٢٧ / القاهرة ١٣٦١ هـ ،شرح المفضليات للأنباري : ٢٥٧ / بيروت ١٩٢٠ ، شرح اختيارات المفضل ، صنعة الخطيب التبريزي ٢ : ٦١٨ ـ ٦١٩ / دمشق ١٩٧١ م) . وأورد أبو عبيد البكري البيتين مشفوعين بثالث كان قد رواه القالي في أماليه (سمط اللآلي ٢ : ٧٦٩) ثم عقّب مفسراً : « شبّه عيبته والفتان ، وهو أديم يلبس الرحل ، بما شخص من ريش جناحي الظليم ، وجعله نافراً لأنه أشدُّ لعدوه ، وجعله معارضاً لنعامة رائحة الى بيضها ، وذلك أبلغُ في العَدْو » .

ـ وجناء في شعر طهمان بن عمرو الكلابيّ (ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابيّ من مجموعة جرزة الحاطب وتحفة الطالب ، تح رايت ، ط ليدن ١٨٥٩ ، ص : ٨١) :

« وسرادقٍ رفَّعتُه لصحابةٍ ليظلَّهم باتوا بليلٍ ساهرِ
ضاحٍ كأن رواقه وكفاءه سِقْطانِ من كنفي ظليم نافِرِ

سِقْطاه : ناحيتاه . نافر : يريد انه اذا نفر نشر جناحيه » .

ـ ثعلبة بن صعير المازني ، تقع في المؤلفات التي عددناها آنفا : المفضليات وشرحيها للأنباري والتبريزي وسمط اللآلي على أخبار ثعلبة وأبرز المصادر التي ترجمت له وروت اشعاره ، مع تخريج أبيات مفضليته . « ولو قال ثعلبة بن صعير المازني مثل قصيدته خمساً كان فحلا » (فحولة الشعراء للأصمعي : ٢٣) .

(٦٠ ح) ابن النحاس ، أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل المرادي (ت ٣٣٧ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في إنباه الرواة ١ : ١٠١ ـ ١٠٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٩٩ ـ ١٠٠ ، والأعلام للزركلي ١ : ٢٠٨ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٨٢ ـ ٨٣ .

(٦١ ح) علي بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في انباه الرواة ٢ : ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٣٠١ ـ ٣٠٣ ، والأعلام للزركلي ٤ : ٢٩١ ، ومعجم المؤلفين ٧ : ١٠٤ ـ ١٠٥ ، واكتفى محقق وفيات الأعيان ٣ : ٣٠١ بما ورد من مصادر في الإنباه .

(٦٢) امرؤ القيس بن حجر ، الملك الضليل ، تجد ترجمته وأخباره ومصادرها في : طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٥١ ـ ٥٥ ، ٨١ ـ ٩١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٥٢ ـ ٨٥ ، **والأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ٩ : ٦٩ ـ ١٠٧ ، والأعلام للزركلي ٢ : ١١ ـ ١٢ .**

(٦٣) البيت من معلقة امرىء القيس (ديوان امرىء القيس : ٢٠/القاهرة ١٩٥٨ ، المعاني الكبير لابن قتيبة ١ : ٦٢ ، جمهرة ابن دريد ٣ : ٣٧٣ ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابي بكر بن الانباري : ٨٦/القاهرة ١٩٦٣ ، لسان العرب ـ ركل ، وني) .

- والونَى : الضعف والفتور والكلال والإعياء (لسان العرب - وني) .

(٦٤ ح) كنا استظهرنا في مقالة لنا سابقة أن تكون ع رمزاً للامام أبي عليّ الغساني (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٥١ ، ص : ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ٢٨٥ - ٢٨٨) .

(٦٥) في نسب مية صاحبة ذي الرمة اختلاف يسير عند علماء الأنساب ، انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (القاهرة ١٩٦٢ م) : ٢١٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٥٠٨ ، والأغاني لابي الفرج الاصبهاني (بيروت ١٩٥٩ م) ١٧ : ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، وسمط اللآلي ١ : ٨٢ ، ووفيات الأعيان (تح احسان عباس) ٤ : ١١ .

- وتجد ترجمة ذي الرمة (ت ١١٧ هـ) وأخباره في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢ : ٥٣٤ - ٥٣٥ ، ٥٥٠ - ٥٧٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٥٠٦ - ٥٢١ ، والأغاني ١٧ : ٣٠٤ - ٣٥١ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١١ - ١٧ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ٢٦٧ ، وقد ذكر في حواشي هذه الكتب بقية المراجع الأخرى . وانظر كتاب الأعلام للزركلي ٥ : ١٢٤ ، ولذي الرمة ترجمة صغيرة في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي (دمشق ١٩٧٣) ١ : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٦٦) ورد الخبر في طبقات فحول الشعراء لابن سلام (تح استاذنا الكبير محمود محمد شاكر) ٢ : ٥٦٠ - ٥٦١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٥٠٨ - ٥٠٩ ، والأغاني ١٧ : ٣٢٩ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٢ ، وقد فسّر أستاذنا محمود محمد شاكر الخبر فأحسن الاحسان كله كالعهد به دائما (طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٦١ ، هامش ٢) .

(٦٧ ح) ويعزز ماجاء في نسختي م ، ص أن احمد بن يحيى ثعلب (مجالس ثعلب : ٢٩٥ - ٢٩٦) وأبا بكر بن دريد (وصف المطر والسحاب : ٦٢) والمرزوقي (الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٤) قد أوردوا جميعاً الخبر وحكوه عن أبي عبيدة .

(٦٨) جاء في كتاب سيبويه (١ : ١٣٨) : « ...... ومثل ذلك : أهلَك والليلَ ، كأنه قال : بادر أهلَك قبل الليل ، وانما المعنى أن يحذّره أن يدركه الليل ، والليل محذّر منه .... » . وقد عرض مؤلفو كتب الأمثال لقول العرب : « أهلَك والليلَ » (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١ : ١٩٦/القاهرة ١٩٦٤ ، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ١ : ٤٤٣/حيدر اباد ١٩٦٢ ، مجمع الأمثال للميداني ١ : ٥٣/القاهرة ١٣٥٣ هـ) .

(٦٩) جاء في كتاب سيبويه (١ : ١٣٨) : « ..... ومن ذلك رأسَه والحائطَ ، كأنه قال : خَلِّ أو دَعْ رأسَه مع الحائط ، فالرأسُ مفعول والحائط مفعول معه فانتصبا جميعا » . وقال ابو هلال العسكري (جمهرة الأمثال ١ : ١٩٦) : « وكذلك : رأسَك والجدارَ ، اي احفظ رأسك واحذر الجدار ، اذا كنت تحذّره ، فإن كنت تأمره فمعناه : انطح رأسَك بالجدار » .

(٧٠) جاء في كتاب سيبويه (١ : ١٣٨) : « ..... ومن ذلك قولهم : مازِ ، رأسَك والسيفَ ، كما تقول : رأسَك والحائطَ : وهو يحذّره ، كأنه قال : اتق رأسَك والحائطَ . وانما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثَنَّوْا لكثرتها في كلامهم ، واستغناءً بما يرون من الحال ، وبما جرى من الذكر .... » وقد عرض لهذا المثل الامام الزمخشري في المستقصى ٢ : ٣٣٩ ، والميداني في مجمع الأمثال ٢ : ٢٣٣ ، وانظر لسان العرب (مزن) .

(٧١) قال سيبويه في باب ماجرى من الأمر والنهي على اضمار الفعل المستعمل إظهاره .... « ... ومنه قول العرب : أمرَ مبكياتك لا أمر مضحكاتك ، والظباءَ على البقر ، يقول : عليك أمرَ مبكياتك ، وخلِّ الظباءَ على البقر » (كتاب سيبويه ١ : ١٢٩) . وقد تناولت المثل كتبُ الأمثال (كتاب الأمثال لابي عبيد القاسم بن سلام : ٢٢٣/دمشق ١٩٨٠ ، جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١ : ٨٢ ـ ٨٣/القاهرة ١٩٦٤ ، فصل المقال لأبي عبيد البكري : ٣١٩ ـ ٣٢٠/بيروت ١٩٧١ ، المستقصى للزمخشري ١ : ٣٦٢ ، مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣٢) .

(٧٢) ورد المثل في كتاب الأمثال لأبي عبيد : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢ : ١٨٨ ، وفصل المقال لأبي عبيد البكري : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، والعقد لابن عبد ربه ٣ : ١١٣ ، والمستقصى للزمخشري ١: ٣٤٤ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٣١ ـ ١٣٢ ، قال الزمخشري في اساس البلاغة (هضم) : « ونزلنا في أهضام الوادي : في بطونه المطمئنة . وفي مَثَلٍ : الليلَ وأهضامَ الوادي ، أي لاتَسِرْ فيها لاينَلْك مكروه » . وجاء في اللسان (هضم) : « ومنه قولهم في التحذير من الأمر المخوف : الليلَ وأهضامَ الوادي ، يقول : فاحذر ، فانك لا تدري لعل هناك من لا يؤمن اغتياله » .

(٧٣) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، والمخصص لابن سيده ١٠ : ١٣٤ .

(٧٤) الكميت بن زيد الأسدي ، تجد ترجمته وأخباره ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٣١٨ ـ ٣٢٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ : ٥٦٢ ـ ٥٦٦ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ، والأعلام للزركلي ٥ : ٢٣٣ .

(٧٥) بيت الكميت في كتاب الأنواء لابن قتيبة (حيدر آباد ١٩٥٦ م) : ١٦٦ ، ومجالس ثعلب : ٢٩٦ ، والتنبيهات لعلي بن حمزة (تح عبد العزيز الميمني) : ١٦٨ ، (ونُقل ماجاء في التنبيهات تعليقاً على طبعتي الكامل للمبرد : طبعة أوربا ٢ : 158 ، وطبعة القاهرة ١٩٣٧ / ٢ : ٧٧٥) ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ٣٤٣ ، ونور القبس : ١٥٠ ، والصحاح (عزل) ، ولسان العرب (شمل ، عزل) .

ـ ومرت الريحُ السحابَ تمريه مريا : اذا كانت تستدرٌ مـاءه . والعزالي جمع عزلاء ، وهو مصبُّ الماء من الراوية والقِرْبة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء . وأرخت السماءُ عزاليها : كثر مطرهـا ، على المثل . شبّـه اتسـاع المطر وانـدفـاقـه بـالـذي يخرج من فم المزادة (الأنواء لابن قتيبة : ١٢٦ ، ١٦٥ ، جمهرة ابن دريـد ٢ : ٤١٩ ، ٣ : ٧ ، المخصص لابن سيـده ٩ : ١١٧ ، اللسان ـ عزل) .

(٧٦) ابو كبير الهذلي عامر بن الحليس ، شاعر فحل من شعراء الحماسـة ، تجـد ترجمتـه ومراجعها في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ : ٦٥٢ ـ ٦٥٧ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٢٥٠ .

(٧٧) البيت في كتاب شرح أشعار الهـذليين ، صنعـة السكري (تح عبـد الستـار أحمـد فراج ومراجعـة أستـاذنـا محمود محمـد شـاكر) ٣ : ١٠٧٥ ، وكتـاب الأنواء لابن قتيبـة : ١٦٥ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢ : ٨٩٢ ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ٣٤٣ ، وجاء جزء منه في شرح المفضليات للأنباري : ١٦٢ ، واللسان (شمل) .
ـ قال الأنباري في شرح المفضليات : ١٦٢ « والجنوبُ مباركـةٌ تجيء بـالمطر ، والعرب تتبرك بالجنوب والصِبا ، وتتشاءم بالشَّمال والدَّبور » .

(٧٨) في التنزيل العزيز : ﴿ ثم يجعلُه رُكامـا فترىَ الوَدْقَ يخرج من خلالـه ﴾ [سورة النور ، آية : ٤٣] ، ﴿ ويجعلُه كِسَفاً فترى الوَدْقَ يخرج من خلاله ﴾ [سورة الروم ، آيـة : ٤٨] ، وانظر الكامل للمبرد (القاهرة ١٩٣٧) ٢ : ٦٦٠ .

(٧٩ ح) انظر الكامل للمبرد ٢ : ٧٧٧ ، وسر الصناعـة لابن جني ١ : ١٢٢ ، والمخصص لابن سيده ٩ : ٨٥ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ٧٦ ، واللسان (شمل) .

(٨٠) جاء في كتاب الأنواء لابن قتيبة : ١٦٥ « لم تُصبه الشمال فتقشعه » .

(٨١) أبو خراش الهـذلي خـويلـد بن مرة ، تجـد ترجمتـه ومراجعهـا في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ : ٦٤٦ ـ ٦٤٨ ، والأعلام للزركلي ٢ : ٣٢٥ .

(٨٢) الكلابزيُّ ابراهيم بن محمد (أو حميد) بن العلاء (ت ٣١٦ هـ) ، ترجمته وأخباره في طبقات الزبيدي : ١١٤ ، ١٨٣ ، وانباه الرواة ١ : ١٨٥ ، ومعجم الأدباء ٢ : ٣ ، والأنسـاب للسمعـاني (بيروت ١٩٨١ م) ١٠ : ٥١٠ ـ ٥١١ ، واللبـاب في تهـذيب الأنسـاب لابن الأثير ٣ : ١٢٢ ، وبغية الوعاة : ١٨٨ ـ ١٨٩ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزابادي : ١٠ ، وقـال ابن قاضي شهبة يترجم له في طبقات النحاة واللغويين : « ابراهيم بن حميـد الكلابزي . نسبتـه الى حفظ الكلاب وتربيتها والصيد بها ، اشتهر بها هذا الرجل ، كذلك ذكره ابن السمعـاني . وهو

بصريٌّ نحويّ روى عن ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني ، وروى عنه الحافظ أبو القاسم الطبراني » .

(٨٣ ح) قال محمد بن حبيب في كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها (غوطا ١٨٥٠ م) : ١٦ ـ ١٧ « في كنانة بن خزيمة شجعُ بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة » ، وجاء مثله في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (القاهرة ١٩٦٢ م) : ١٨٠ ، ١٨٢ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (تح احسان عباس) ٥ : ٣٦٩ / ترجمة نافع المقرئ ، وأضاف ابن خلكان : « ولم يتعرض السمعاني الى ذكر هذه النسبة » .

(٨٤) البيت في كتاب شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٠٦ ، وكتاب الأنواء لابن قتيبة : ١٦٤ ـ ١٦٥ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢ : ٨٩٢ ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١٠٠ ، ٣٤٢ .

(٨٥ ح) جاء البيت الأول في المخصص لابن سيده ٩ : ١٠١ مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وجاء البيتان في اللسان (نجا) منسوبين الى جميل . وهما في ديوان جميل (تح حسين نصار / القاهرة ١٩٦٧ م) : ٢٢١ ، نقلاً من اللسان .

(٨٦) يقول المبرد في الكامل ٢ : ٧٨٩ « وفي الحديث : ما هبّت الريحُ الجنوب إلا أسال الله بها واديا » .

(٨٧) كتاب الأنواء لابن قتيبة : ١٦٧ ، ورواية الشطر الأول فيه : « فتى خلقت أرواحه مستقبِة » ، والكامل للمبرد (القاهرة ١٩٣٧) ٢ : ٧٨٩ .

(٨٨ ح) وكذلك جاءت في الفائق للزمخشري ١ : ٥٥٨ .

(٨٩) روى الزمخشري الحديث في الفائق ١ : ٥٥٨ ، وجاء في لسان العرب (زيب) حديث آخر قريب معناه من معنى الحديث الوارد في النص .

(٩٠) جاء في لسان العرب (زيب) : « الأزيبُ : الجنوبُ ، هذلية . أو هي النكباء التي تجري بين الصبا والجنوب . . . وأهلُ مكة يستعملون هذا الاسم كثيراً . . . قال شمر : أهل اليمن ومن يركب البحر ، فيا بين جُدَّة وعدن يسمون الجنوب : الأزيب ، لا يعرفون لها اسماً غيره ، وذلك انها تعصف الرياح ، وتثير البحر حتى تسوّده ، وتقلب أسفله فتجعله أعلاه . وقال ابن شميل : كل ريح شديدة ذات أزيب ، فانما زَيَبُها شدتها » . قال ساعدة بن جُؤيّة الهذلي (ديوان الهذليين ١ : ١٩٠) :

واستدبروهم يكفئون عروجهم ... مورَ الجهام إذا زفته الأزيبُ

وانظر الكامل للمبرد ٢ : ٧٧٨ ، والمخصص لابن سيده ٩ : ٨٥ .

(٩١) جاء في لسان العرب (خزرج) : « قال ابن سيده : الخزرج : ريح الجنوب . وقيل : هي الريح الباردة . قال أبو ذؤيب :

غــدون عجــالى وانتحتهن خــزرجٌ   مقفّيــةٌ آثــارهنّ هَــدوجُ »

وانظر مجالس ثعلب : ٢٢٢ .

(٩٢) ديوان الأعشى (ط فيينا ١٩٢٧) : ٨٩ ، (تح محمد حسين) : ١١٥ ، غريب الحديث لأبي عبيد ٤ : ٩٢ ، المعاني الكبير لابن قتيبة ١ : ٥٣١ ، تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، هذبه التبريزي (بيروت ١٨٩٥ م) : ٢٠٠ ، الصحاح واللسان (زيب) ، اللسان (قلل) ، والبيت من شواهد أبي علي الفارسي في كتاب المسائل العضديات : ٦ (تحقيق السيد شيخ الراشد) .

(٩٣) أبو وجزة السعدي يزيد بن عبيد ، « وهو أول من شبّبَ بعجوز » (خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ١٥٠) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ : ٦٨٤ ـ ٦٨٥ ، والأعلام للزركلي ٨ : ١٨٥ .

(٩٤ ح) الروايات في بيت أبي وجزة التي أشارت اليها حاشية ظ قد تداولتها كتب الأدب واللغة : فرواية الأزهري في التهذيب (شمل) : « من الهجان الجمال الشطب والقصب » ، ورواية اللسان (شمل) :

مشمولة الأنس ، مجنوب مواعدها   من الهجــان الجمــال الشطب والقصب

ثم عقب فقال : « قال ابن السكيت : وفي رواية :

مجنوبة الأنس ، مشمول مواعدها »   [من الهجان الجمال الشطب والقصب]

ورواية الصغاني في التكملة (شمل) : « من الهجان الجمال الشطبةِ القَصَبِ » ، ورواية اللسان والتاج (جنب) : « من الهجان ذوات الشطب والقصب » .

ـ وقد أورد الشطر الأول من بيت أبي وجزة أبو محمد بن قتيبة في كتابه الأنواء (حيدر اباد ١٩٥٦ م) : ١٦٧ ، والمرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة ٢ : ٣٤٤ .

(٩٥) كلمة يعقوب بن السكيت رواها الأزهري في التهذيب (شمل) وابن منظور في اللسان (شمل) .

(٩٦) حميد بن ثور الهلالي ، تجد ترجمته ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٥٨٣ ، ٥٨٤ ـ ٥٨٥ ، والشعر والشعراء ١ : ٣٤٩ ـ ٣٥٥ ، والأعلام للزركلي ٢ : ٢٨٣ ، ولحميد ترجمة قصيرة في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٣ : ٢٥١ ـ ٢٥٢ مقتبسة من الأغاني .

(٩٧) البيت في ديوان حميد بن ثور الهلالي (تح الاستاذ عبد العزيز الميمني / القاهرة ١٩٥١ م) : ٥٢ ، وقد خرّجه الأستاذ الميمني في معجم البلدان (دارا) ، وفي الوحشيات لأبي تمام : ٢٩١ ، وفي الأشباه والنظائر للخالديين ١ : ٣٩ ، وفي كتاب الزهرة : ٢٧٢ ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٣٦٨ ، وفي شرح المفضليات للأنباري : ٧٧١ ، يضم الى ذلك كتاب الأنواء لابن قتيبة : ١٦٧ ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ٣٤٤ ، وحلية المحاضرة للحاتمي ١ : ٢٨٦ ، ٢ : ٢٢ ، ١٤٢ ، والمستقصى للزمخشري ٢ : ١٠٨ .

ـ وفي أمثالهم : ريحها جنوب ، يضرب للمتصافيين (المستقصى للزمخشري ٢ : ١٠٨ ، مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣٠١ ، لسان العرب ـ جنب) .

(٩٨) قال الزمخشري في الفائق ١ : ٩٥ « الدماثُ : السهول ، جمع مكان دمث أو أرض دمثة » . وجاء في النهاية لابن الأثير واللسان (دمث) : « وحديث الحجاج في صفة الغيث : فلبّدت الدماث : أي صيّرتها لا تسوخ فيها الأرجل ، وهي جمع دمث » ، « والدمث : هو الأرض السهلة الرخوة والرمل الذي ليس بمتلبد . يقال : دمث المكانُ دمثا : اذا لان وسهل » .

(٩٩) قال الأنباري في شرح المفضليات : ٣٣٨ « العَزازُ : الأرض الصلبة » ، ومثله في الفائق للزمخشري ١ : ٩٥ ، وجاء في النهاية لابن الاثير (عزز) : « العزاز : ماصلب من الأرض واشتد وخشن وانما يكون في أطرافها .... وحديث الحجاج في صفة الغيث : وأسالت العزاز » . ومن أمثال العرب : « إنك بعدُ في العزاز فقم » (المستقصى للزمخشري ١ : ٤١٥ ، مجمع الأمثال للميداني ١ : ٥٤) . ومن أجمل ماجاء في استعمال العزاز قول أبي تمام يمدح عبد الله بن طاهر :

وقد قرّب المرمى البعيد رجاؤه وسهّلت الأرضَ العَزازَ كتائبُه

(١٠٠) في الفائق للزمخشري ١ : ٩٣ « ودحضت التلاع » وقال : « دحضت التلاع : صيرتها مداحض اي مزالق » . وجاء في النهاية لابن الاثير الروايتان : دحض وأدحض ، قال : « التلاع : مسايل الماء من علو الى سُفل ، واحدها تلعة . وقيل : هو من الأضداد ؛ يقع على ماانحدر من الأرض وأشرف منها .... وفي حديث الحجاج في صفة المطر : وأدحضت التلاع : أي جعلتها زلقاً تزلق فيها الأرجل » ، « وفي حديث الحجاج في صفة المطر : فدحضت التلاع : أي صيرتها مزلقة » (النهاية ـ تلع ، دحض) .

(١٠١) الجَوْدُ : المطر الواسع الغزير الذي لامطر فوقه البتة . وقال الأصمعي : الجَوْدُ : أن تمطر الأرضُ حتى يلتقي الثريان (الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ٨٨ ، ١١٤ ، لسان العرب ـ جود) . والتقى الثريان ، من أمثالهم ، وانظر تفسيرها في كتاب الأمثال لأبي

عبيد : ١٧٧ والمستقصى للزمخشري ١ : ٣٠٧ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ١ : ١٨٢ ـ ١٨٣ ، ٢ : ١٨٥ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٣٢ ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١١٤ ، والأساس واللسان (ثرى) .

(١٠٢) وروى ابن الأعرابي عن أبي صالح الفزاري (التنبيهات على أغلاط الرواة لعلي بن حمزة ، ص : ٣٣٦) .

(١٠٣ ح) قال الأصمعي في كتاب النبات (تح عبد الله الغنيم) : ٦ ، (مجموعة البلغة في شذور اللغة / بيروت ١٩١٤) : ٢٢ « وإذا غطّى النباتُ الأرض أو كاد يغطيها قيل : استحلست الأرضُ ، وهي أرضٌ مستحلسة » . وانظر الأمالي للقالي ١ : ١٨١ ، والمخصص لابن سيده ١٠ : ١٨١ ، ١٨٩ ، وكتاب وصف المطر والسحاب لابن دريد : ٤٨ ـ ٤٩ .

(١٠٤) انظر الخبر وتفسيره في مجالس ثعلب (ط ٢) : ٢٩٣ ، وكتاب وصف المطر والسحاب لابن دريد : ٦٥ ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١٣٢ .

(١٠٥) هو الأعشى .

ـ والبيت الشاهد في ديوان الأعشى (ط فيينا) : ٤٦ ، (تح محمد حسين) : ٥٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٣٥ ، وخرجه محققه الأستاذ فؤاد سزكين في جمهرة ابن دريد (٢ : ١٠٢) واللسان والتاج (عجل) . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن : « العجَل : القرب ، واحدتها عِجْلة » . وجاء في اللسان (عجل) : « قال ثعلب : شبّه أعجازهن بالعجل المملوءة » .

(١٠٦) الحَلِيُّ : نبات بعينه وهو من خير مراتع أهل البادية للنعم والخيل ، واذا ظهرت ثمرته أشبه الزرع اذا أسبل . وقال الجوهري : الحليّ ، على فعيل : يبيسُ النَّصِيّ (لسان العرب ـ حلا) ، وانظر كتاب النبات للأصمعي (تح عبد الله الغنيم) : ٢٢ .

(١٠٧) جاء في نظام الغريب للربعي : ٢٤٦ « وأخلس النبتُ : اذا يبس بعضُه وبقي بعضه أخضر . ونبتٌ خليس : اذا كان كذلك » .

(١٠٨ ح) أي كان القياس أن يقال (ألاث) بالإعلال ، ولكنها جاءت على الأصل غير معلّة ، ولها أمثال . ويسمي ابن جني هذا الضرب من الكلام : المطرد في الاستعمال ، الشاذ في القياس (الخصائص ١ : ٩٨ ـ ٩٩ ، ١١٧ ـ ١١٩ ، ١٦١) ، ونقله السيوطي في المزهر ١ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(١٠٩) في الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٢ : « ومُعْنان ، لا واحد لها من لفظها » . وجاء في المخصص لابن سيده (٩ : ١٤٨) فيما حكى ثعلب عن ابن الاعرابي : « سالت مُعْنانُه : يريد

مسايله ومجاربه » ثم يقول ابن سيده : « وكذلك قولهم للمسايل : مُعْنان ، هو في القياس جمع معين كسيل ومُسلان ، فمن جعل الميم فاء .... فمعين : فعيل من هذا ..... » .

(١١٠) كلمة ابي صالح التيمي جاءت في مجالس ثعلب : ٢٩٤ ، والأزمنة والامكنة للمرزوقي ٢ : ١٣٥ .

(١١١) « كلما خرج عودٌ ثم قوي فهي خوصة » ، « وأخوصت : اي نبت فيها عيدان رطبة ، فهي خوصة مادامت رطبة » ، « وعنى بالخوصة العرفج والثام والسبط وماكان في أصل » (الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، المخصص لابن سيده ١٠ : ١٧٦) . ومن أمثالهم : إرضَ من العشب بالخوصة ، ليت حظي من العشب خوصة ، ليت لنا في كل عرفجة خوصة (المستقصى للزمخشري ٢ : ٣٠٣ ، مجمع الأمثال ١ : ٣١٧ ، ٢ : ١٣٣) .

(١١٢) ورد الخبر في مجالس ثعلب : ٢٩٤ ، وفي الأزمنة والامكنة للمرزوقي ٢ : ١٣٤ ، وجاء الخبر في الدلائل لقاسم بن ثابت (ظ ، ٢٩ ب) .

(١١٣) في كتاب النبات للأصمعي (تح عبد الله الغنيم) : ٣١ « ويقال : أَخْوص العرفجُ يُخْوِص إخواصاً : اذا اكتسى وتمَّ توريقه » ، وفي المخصص لابن سيده ١٠ : ٢١٧ « قال ابو حنيفة : فاذا نبتت له (اي الشجر) بعد الايراق أغصان رطبة دقاقٌ ناعمة فقد أخوص الشجرُ ، وتلك الأفنان خوصة والجمع خُوص » .

(١١٤) قال أبو سعيد السكري : « واللسُّ : الأخذ بأطراف الجحافل ، وذلك لقصر النبت لأنها لاتتمكن من عضّه ، وذلك اول مايطلع النبت . ويقال : قد ألست الأرض : اذا طلع نبتُها ، وهو اللُّساس » (شعر كعب بن زهير : ٥٦/ قراقو - بولونيا ، ١٩٥٠) .

(١١٥) هو زهير بن ابي سلمى المزني ، تجد ترجمته ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٦٣ - ٦٥ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٨٦ - ١٠٣ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٥٢ ، وقد افرد لنا صديقنا الاستاذ الدكتور احسان النص كتاباً قصره على دراسته .

(١١٦) شعر زهير بن ابي سلمى (حلب ١٩٧٠ م) : ٤٦ ، كتاب النبات للأصمعي : ٢٧ ، المخصص لابن سيده ٥ : ٢٨ ، ١٠ : ١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، الصحاح واللسان (لسس) ، جمهرة ابن دريد ١ : ٩٥ .

(١١٧) « والغمير : الرطب اول مايبدو في خلال اليابس » ، « واذا مُطِر اليبيسُ فنبت في أصوله نبتُ الخضرةِ جديداً حتى يغمر الأول فهو غمير » (المخصص لابن سيده ١٠ : ١٨٥ ، ٢٠٣) .

(١١٨) جاء قريب منه في اللسان (نصا) .

(١١٩ ح) قال ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب (بيروت ١٩٨٢ م) : ٤٨ « ويقولون : لايدالس ولايؤالس : يدالس ، من الدلس وهو الظلمة ، اي لايخادعك ولايخفي عنك الشيء ، فكأنه يأتيك به في الظلام ، ومنه قيلَ : دلَّس عليَّ كذا . ويؤالس من الألس : وهو الخيانة » . وانظر الزاهر لابن الانباري ٢ : ٧٩ - ٨٠ (وقولهم : قد دلَّس فلان على فلان) ، وأساس البلاغة ، ولسان العرب (دلس) . ومما جاء في اللسان : « .... والأدلاسُ : بقايا النبت والبقل ، واحدها دَلَسٌ ، وقد أدلست الأرضُ .... وأدلس النَّصِيُّ : ظهر واخضرَّ .... والدَّلَسُ : النبات الذي يورق في آخر الصيف » . وقال في اللسان (لدس) : « ألدست الأرضُ إلداساً : اطلعت شيئاً من النبات . قال ابن سيده : أراه مقلوباً عن أدلست » .

(١٢٠ ح) جاء التعليق المنقول من كتاب البارع لأبي علي القالي متصلاً بمادة دلس ، على ان البيت قد أورده القاسم بن ثابت شاهداً لمادة لَدس ، وأنها بمعنى كثر وتكاثف . فاللديس : الناقة الكثيرة اللحم .

- وجاء في اللسان (لحس ، شبا) : « وألحست الأرضُ : أنبتت أول العشب ، وقيل : هو أن تخرج رؤوس البقل فيراه المال فيطمع فيه فيلحسه اذا لم يقدر أن يأكل منه شيئاً . واللحسُ : مايظهر من ذلك . وغنم لاحسة : ترعى اللحس » ، « أشبت الشجرةُ : ارتفعت » .

- أبو صاعد الكلابي : من الأعراب الذين دخلوا الحاضرة ، لقيه أبو يوسف يعقوب بن السكيت واستنشده ، انظر اصلاح المنطق لابن السكيت : ١٠٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٧٢ ، ٣٩٢ ، الفهرست لابن النديم (ط اوربا) : ٤٧ ، انباه الرواة ٤ : ١١٤ .

- ابو العمر : جاءت (العمر) بعين مهملة في مخطوطة ظ والفهرست ، وجاءت بغين معجمة في اصلاح المنطق وانباه الرواة ، وهو ضبط قلم لم يقيد بصريح الكلام .

(١٢١) البيت للنابغة الجعدي . انظر شعر النابغة الجعدي (دمشق ١٩٦٤ م) : ١٨١ ، ١٨٣ ، وقد خرجه محققه الاستاذ رباح من لسان العرب (لدس) . ويضم الى تخريجه أن البيت وتفسيره في كتاب الإبل للأصمعي (بيروت ١٩٠٣ ، في مجموعة الكنز اللغوي) : ٦٩ ، ١٠٣ ، وهو من شواهد الجمهرة لابن دريد ٢ : ٢٦٤ ، والتهذيب للأزهري (لدس) .

- والسديس من الابل : مادخل في السنة الثامنة ، وذلك اذا ألقى السنَّ التي بعد الرباعية (اللسان - سدس) .

(١٢٢) في المخصص لابن سيده ٧ : ٦١ « العيطموس : التامة الخَلْق ، الحسنة » .

(١٢٣) باره يبوره بورا : جرَّبه واختبره .

(١٢٤) انظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (تح لڤين ـ بيروت ١٩٧٤ م) : ٧١ ـ ٨٦ ، والخصائص لابن جني ٣ : ٣٠٥ ، والمخصص لابن سيده ١١ : ٢١٩ ، وهدي الساري لابن حجر ١ : ١٣٥ ، واللسان (كأ) .

(١٢٥) كنى صاحب الدلائل بالفلانيات عن السليطيات تحرجاً وتأثما .

ـ والبيت من قصيدة لجرير يهجو بها غسان السليطي ، ومطلعها :

ألا بكرت سلمى فجـدَّ بكـورهـا وشـقَّ العصـا بعـد اجتماعٍ أميرُهـا

انظر ديوان جرير (تح الصاوي) : ٢٩٣ ـ ٢٩٦ ، نقائض جرير والفرزدق (ليدن ١٩٠٥) ١ : ٧ ـ ١٤ ، كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري : ٧٣ ، المخصص لابن سيده ١١ : ٢٢١ ، اللسان (نقض) .

ـ وتجد ترجمة جرير ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٣٧٤ ـ ٤٥١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٤٣٥ ـ ٤٤١ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٢١ ـ ٣٢٧ ، وسير اعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٥٩٠ ـ ٥٩١ ، والاعلام للزركلي ٢ : ١١٩ .

(١٢٦) في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري : ٧٢ « ويقال للذين يخرجون لاجتناء الكمأة : المتكمِّئون . فأما الذي عمله جمعُ الكمأة وجلبها فهو الكمَّاء » . وفي اللسان (كمأ) : « ويقال : خرج المتكمِّئون : وهم الذين يطلبون الكمأة » .

(١٢٧) الأحنف بن قيس السعدي التميمي ، تجد ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة : ٤٢٣ ـ ٤٢٥ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٩٣ ـ ٩٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٩٩ ـ ٥٠٦ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٨٦ ـ ٩٧ .

(١٢٨) الوَلَجة ، بالتحريك : موضعٌ او كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره (الأساس واللسان ـ ولج) .

(١٢٩) قال في اللسان (أخذ) : « ومنه حديث الحجاج في صفة الغيث : وامتلأت الإخاذ ، قال أبو عدنان : إخاذ جمع إخاذة ، وأُخُذٌ جمع إخاذ . وقال ابو عبيدة : الإخاذة والإخاذ بالهاء وغير الهاء جمع إخذ . والإخذ : صَنَعُ الماء يجتمع فيه » . وقال الزمخشري في الفائق ١ : ١٧ ، ٩٥ : « الإخاذة : هي المستنقع الذي يأخذ ماء السماء .... وفي بعض الأحاديث : وكان فيها إخاذات أمسكت الماء » ، « الإخاذ : المصانع » . وانظر النهاية لابن الأثير (أخذ) .

(١٣٠ ح) ذكرت المعجمات كالصحاح واللسان والقاموس المحيط أن فعم بمعنى امتلأ ، هي من باب كرم .

(١٣١) قال الزمخشري في الفائق ١ : ٩٤ ، ٩٥ « وأُفعمت الأودية .... أُفعمت مُلئت » .

(١٣٢) ورد الشطر الأول من البيت في المخصص لابن سيده ٩ : ١٥٧ ، واللسان (صخب) . وجاء البيت تاماً في اللسان (فعم) منسوباً الى كعب يصف نهرا . ولم اجد البيت في ديوان كعب بن زهير (في طبعتي القاهرة ١٩٥٠ ، وقراقو ١٩٥٠) .

ـ والآذيُّ : موج البحر ، والجمع الأواذيّ . وماءٌ صخب الآذي ومصطخبه : اذا تلاطمت أمواجه ، اي له صوت . الفَعْمُ : الممتلىء ، وقيل : الفائض امتلاءً . فعُم يفعُم وافعوعم : امتلأ . وفعمه يفعمه وأفعمه : ملأه وبالغ في ملئه . انبعق المطرُ : اذا سال لكثرته (المخصص ٩ : ١٢٩ ، اللسان ـ اذي ، صخب ، فعم ، بعق) . وقال الزمخشري : الإفعام : الملء البليغ (الفائق ٢ : ٢٨٨) .

(١٣٣) ورد خبر الوافد على سليمان بن عبد الملك برواية أخرى فيها بعض اختلاف . انظر مجالس ثعلب : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وكتاب وصف المطر والسحاب لابن دريد : ٧٥ ـ ٧٦ .

(١٣٤) الهِجّيرَى : هي الدأب والعادة والديدن . يقال : مازال ذلك هجيراه : اي دأبه وشأنه وعادته وديدنه . وفي حديث عمر : ماله هِجّيرَى غيرها (غريب الحديث لأبي عبيد ٣ : ٣١٨ ـ ٣١٩ ، غريب الحديث لابن قتيبة ٢ : ١٥٩ ، الفائق للزمخشري ٣ : ١٩٥ ، اللسان ـ هجر) .

(١٣٥ ح) يقال : « أفرعت المرأةُ : حاضت . وأفرعها الحيضُ : أدماها » (لسان العرب ـ فرع) .

(١٣٦) البيت في ديوان الأعشى (ط فيينا) : ١٨٧ ، وهو من شواهد اللسان (عبب ، فرع) . جاء في اللسان (فرع) : « وأفرع اللجامُ الفرسَ : أدماه . قال الأعشى :

صددتَ عن الأعداء يوم عباعب ٭ صدود المذاكي أفرعتها المساحلُ

المساحلُ : اللجُمُ ، واحدها مسحل . يعني ان المساحل أدمتها كما أفرع الحيضُ المرأةَ بالدم » . وقال ياقوت في معجم البلدان (عباعب) : « .... ويوم عباعب من أيام العرب . وهو ماء لبني قيس بن ثعلبة قرب فَلَج ، قرب عُبَيَّة .... » ثم جاء ياقوت ببيت الأعشى شاهدا .

(١٣٧ ح) بيت رؤبة من أرجوزة لـه في مـديح ابـان بن الوليـد البجلي . انظر مجموع أشعار العرب : ديوان رؤبة بن العجاج (ط ليبسيغ ١٩٠٣) : ٦٣ ـ ٦٦ .

ـ والأضزّ : الضيق الفم جدا ، مصدره الضَّزَز ، وهو الذي اذا تكلم لم يستطع أن يفرج بين حنكيه ، خلقة خلق عليها ، وهي من صلابـة الرأس فيما يقـال . والأضزّ : السيّىء الخلق (التهذيب للأزهري ـ ضزّ ، التكملة للصغاني ـ ضزز ، اللسان ـ ضزز) .

ـ جاء البيت الشاهـد في كتـاب خلق الانسـان لثـابت (الكويت ١٩٦٥ م) : ١٠٤ ، ١٦١ ، ١٩٦ ، وكتـاب خلق الإنسـان للأصمعي (بيروت ١٩٠٣ ، في مجموعة الكنز اللغـوي) : ١٩٥ ، والتهذيب للأزهري (ضزّ) ، ونظـام الغريب للربعي (دمشق ١٩٨٠) : ٢٥ ، والمخصص لابن سيـده ١ : ٩٢ ، وحـاشيـة مجاز القرآن لأبي عبيـدة ٢ : ٩٩ ، الصحـاح واللسـان (بهز ، ضزز) .

ـ رؤبة بن العجاج (ت ١٤٥ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في طبقات فحول الشعراء لابن سـلام ٢ : ٧٣٨ ، ٧٦١ ـ ٧٦٧ ، والشعر والشعراء لابن قتيبـة ٢ : ٥٧٥ ـ ٥٨٣ ، ووفيـات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٣٠٣ ـ ٣٠٥ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦ : ١٦٢ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٣٤ ، زد على المراجع الكثيرة كتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ٢/١ : ٥٢١ .

(١٣٨) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، واللسان (عذر) .

(١٣٩ ح) جاء في كتاب سيبويه (٢ : ٢٢٩) : « هذا باب ماتجيء فيه الفِعْلـةُ تريـد بها ضرباً من الفعل ، وذلك قولك حسنُ الطِعْمة .... وقد تجيء الفِعْلةَ لايرادُ بها هـذا المعنى ، وذلك نحو الشِّدة والشِعْرة والدِرْبة .... وقالوا : ليت شِعْري في هذا المعنى استخفـافـاً لأنـه كثر في كلامهم ، كما قـالوا : ذهب بعـذرتهـا ، وقـالوا : هـو أبـو عُـذْرهـا ، لأن هـذا اكثر ، وصـار كالمثل .... » .

(١٤٠) قـال الأصمعي في كتـاب الابل (بيروت ١٩٠٣ ، مجموعـة الكنز اللغـوي) : ١١٢ « ويقال : ماشعرت بذلك الأمرِ شِعْرةً حتى كان كذا وكذا » .

(١٤١) القِرانُ : الحبـلُ يُشَـدُّ بـه البعيران ، أحـدهمـا الى الآخر ، وجمعـه قُرُنٌ . لُبِـجَ بالرجل ولُبِطَ بـه : اذا صرع وسقـط من قيـام . افرنقعوا عنـه : اي انكشفوا وتنحَّوا (لسـان العرب ـ قرن ، لبج ، فرقع) . وانظر نقـد الجـاحـظ لمثل هـذا الكـلام (البيـان والتبيين ١ : ٣٧٧ ـ ٣٨١) .

(١٤٢) ورد الخبر في انباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٧٧ .

(١٤٣) قـال ابن سيـده في المخصص (١٠ : ١٨٢) : « وعَمَـدُ الثَّرى : ريُّـه حتى اذا قبضتَ عليه تقرَّد » . وانظر ماقال الجاحظ في تفسيره (البيان والتبيين ٢ : ١٥٥) .

(١٤٤) انظر البيت في « شعر الراعي النميري » (بغداد ، ١٩٨٠) : ٨٨ ، وقد خرجه محققا الديوان ناجي والقيسي (ص : ٨٩) من جمهرة ابن دريد وشرح المفضليات للأنباري والتقفية للبندنيجي واللسان والتاج (خدي) . وجاء البيت في « ديوان الراعي النميري » (بيروت ، ١٩٨٠) : ٦٢ ، وزاد محقق الديوان راينهرت فايبرت (ص : ٦٢ ـ ٦٣) في التخريج : اصلاح المنطق والتهذيب للأزهري وتهذيب اصلاح المنطق وديوان الأدب والصحاح وشرح ديوان المتنبي للعكبري والافعال للسرقسطي والمخصص لابن سيده ، وانظر شرح المفضليات للأنباري : ٢١٩ .

(١٤٥) جاء في النهاية لابن الأثير (وجر) : « ومنه حديث الحجاج : جئتك في مثل وجار الضبع ، قال الخطابي : هو خطأ ، وانما هو في مثل جارّ الضبع . يقال : غيث جارّ الضبع : اي يدخل عليها في وجارها حتى يخرجها منه . ويشهد لذلك انه جاء في رواية أخرى : وجئتك في ماءٍ يجرُّ الضبع ، ويستخرجها من وجارها » .

(١٤٦) الـوَهْمُ : من خَطَراتِ القلب ، او مرجوحُ طرفي المتردّد فيه ، والجمع أوهام ... ووَهمتُ الى الشيء (على مثال وعد) : اذا ذهب قلبك اليه وأنت تريد غيره (اللسان والقاموس ـ وهم) .

الملحق
تراجم رجال الأسانيد

● لعله يحسن أن تفرد دراسة تتناول مختلف أسانيد الشعبي التي أوردها المؤلفون الحفاظ في تصانيفهم التي عددناها في التعليقات رقم (٢) .

● رجال السند الأول :

١ ـ الشعبيّ عامر بن شراحيل أبو عمرو الهمداني (ت نحو ١٠٣ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان (تح احسان عباس) ٣ : ١٢ ـ ١٦ ، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٢٩٤ ـ ٣١٨ ، والأعلام للزركلي (ط ٤) ٣ : ٢٥١ .

٢ ـ عباد بن موسى بن راشد العكلي ، ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر ٥ : ١٠٦ .

٣ ـ عيسى بن يونس بن أبي اسحاق السبيعي (ت ١٨٧ هـ) ، ترجمته في كتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم ٣ / ١ : ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي : ٢٧٩ ـ ٢٨٢ ، والعبر للذهبي ١ : ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٧ ـ ٢٤١ ، وشذرات الذهب ١ : ٣٢٠ ، وانظر ترجمته وبقية مراجعه في سير اعلام النبلاء للذهبي ٨ : ٤٣٠ ـ ٤٣٥ ، والاعلام للزركلي ٥ : ١١١ ، وله قصة طريفة مع المأمون (الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا ١ : ٢١٥) .

٤ ـ ابو الوليد هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي (١٥٣ ـ ٢٤٥ هـ) ، ترجمته وأخباره في كتاب الجرح والتعديل ٤ / ٢ : ٦٦ ـ ٦٧ ، وتذكرة الحفاظ : ٤٥١ ، والعبر ١ : ٤٤٥ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٥١ ـ ٥٤ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٠٩ ـ ١١٠ ، وانظر ترجمته وبقية مراجعه في معجم المؤرخين الدمشقيين للدكتور صلاح الدين المنجد (بيروت ١٣٩٨ هـ) : ١٠ ، والأعلام للزركلي ٨ : ٨٧ ، واكتفى معجم المؤلفين ١٣ : ١٤٩ بالاعلام للزركلي مرجعا .

٥ ـ ابو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي الكوفي (٢٠٤ ـ ٣٠٠ هـ) ، ترجمته في العبر للذهبي ٢ : ١١٥ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٢١ .

● رجال السند الثاني :

١ ـ أبو عمرو الأصمّ .

٢ ـ عمر بن أبي زائدة الهمداني الوادعي الكوفي (ت ١٥٩ هـ) ، انظر كتاب الجرح والتعديل ٣ /١ : ١٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

٣ ـ الأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢ : ١٩٧ ـ ٢٠٥ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٧٠ ـ ١٧٦ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠ : ١٧٥ ـ ١٨١ ، والأعلام للزركلي ٤ : ١٦٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦ : ١٨٧ ـ ١٨٨ ، وكتاب اعلام العرب في العلوم والفنون للدجيلي (ط ٢) ١ : ٩٨ ـ ١٠١ .

٤ ـ أبو عمرو نصر بن علي الجهضمي الأزدي البصري (ت نحو ٢٥٠ هـ) ، انظر أخباره في كتاب الجرح والتعديل ٤ / ١ : ٤٦٦ ، وطبقات الزبيدي (ط٢) : ١٦ ، ٧٥ ، والأمالي للقالي ١ : ٥ ، والأنساب للسمعاني (الجهضمي) ٣ : ٤٣٦ (ط حيدر أباد) ، واللباب في تهذيب الأنساب (الجهضمي) ١ : ٣١٦ ـ ٣١٧ ، وانباه الرواة ١ : ٩٠ ، ٩١ ، ٢ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣ : ٣٤٥ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٣٠ ، والعبر للذهبي ١ : ٤٥٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٥١٩ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٢٣ .

٥ ـ اسماعيل بن اسحاق الأزدي البصري القاضي (٢٠٠ ـ ٢٨٢ هـ) ، كان فاضلاً عالماً متفنناً فقيهاً على مذهب مالك ، بارعاً في علم العربية . وكان صديق أبي العباس المبرد ، يودُّه ويألفه ويُثني كل واحد منهما على صاحبه فيبالغ في الثناء إجلالاً لمكانته . قال المبرد في حق القاضي : « لولا شغله برئاسة العلم والقضاء لذهب برئاسة النحو والأدب » (ترتيب المدارك ٣ : ١٦٩) ، وقال القاضي في المبرد : « لم ير أبو العباس مثل نفسه ، ممن كان قرينه ، ولا يرى بعده مثله » (انباه الرواة ٣ : ٢٤٢) ، ولما وافى الأجلُ القاضي حزن أبو العباس المبرد لفقد صديقه ، وأحسَّ عظم النازلة ، فألّف كتابه التعازي والمراثي يتخفف به من أحزانه (التعازي والمراثي ١ ـ ٢ ، ٣٠٢ ، دمشق ١٩٧٦) . روى أبو محمد الحسن بن كيسان عن القاضي كتاب النوادر ، وكان عبد الله بن محمد الخزاز صاحبه وورّاقه (انباه الرواة ١ : ٣١٩ ، ٢ : ١٣١) ، وروى أبو علي القالي في أماليه عن القاضي عن طريق شيخيه أبي بكر بن الأنباري وأبي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه (الامالي ١ : ٥ ، ٢ : ٥٧ ، ٥٨ ، ٢٧٥ ، ٣ : ٢٩) . تجد ترجمة القاضي وأخباره في كتاب الجرح والتعديل ١/١ : ١٥٨ ، وأخبار القضاة لوكيع ٣ : ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ ، وتاريخ بغداد ٦ : ٢٨٤ ـ ٢٩٠ ، وترتيب المدارك للقاضي عياض (بيروت ١٩٦٧ م) ٣ : ١٦٦ ـ ١٨١ ، ومعجم الأدباء ٦ : ١٢٩ ـ ١٤٠ ، والعبر للذهبي ٢ : ٦٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٦٢٥ ـ ٦٢٦ ، وبغية الوعاة : ١٩٣ ، وتاريخ قضاة الاندلس للنباهي : ٣٢ ـ ٣٦ ، وشذرات الذهب ٢ : ١٧٨ ، والديباج المذهب لابن فرحون (القاهرة ١٩٧٤) ١ : ٢٨٢ ـ ٢٩٠ ، وشجرة النور ١ : ٦٥ ، وانظر ترجمته ومراجعها الأخرى في طبقات المفسرين للداوودي (القاهرة ١٩٧٢) ١ : ١٠٥ ـ ١٠٧ ، والاعلام للزركلي ١ : ٣١٠ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢ : ٢٦١ .

٦ ـ ابراهيم بن موسى .

● رجال السند الثالث

١ ـ يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، ترجمته ومراجعها في إنباه الرواة للقفطي ٤ : ٥٠ ـ ٥٧ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٣٩٥ ـ ٤١٠ ، والاعلام للزركلي ٨ : ١٩٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ : ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

٢ ـ داود بن محمد بن صالح أبو الفوارس المروزي اللغوي (ت ٢٨٣ هـ) ، ترجمته في طبقات الزبيدي : ٢٠٨ ، وإنباه الرواة ٤ : ١٥٢ ، والبلغة للفيروزابادي : ٨٠ ، وبغية الوعاة : ٢٤٦ ، وقال عنه ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين (مخطوط) : « داود بن محمد بن صالح ابو الفوارس المروزي . توفي بمصر سنة ثلاث وثمانين ومائتين . ذكره الزبيدي » . وانظر القلب والابدال لابن السكيت (بيروت ١٩٠٣ ، مجموعة الكنز اللغوي) : ٣ .

٣ ـ أبو الحسن محمد بن أحمد بن الهيثم التيمي المصري ، سمع عليه القاسم بن ثابت وأبوه بمصر (تاريخ بغداد ١ : ٣٧٠ ـ ٣٧١ ، لسان الميزان لابن حجر ٥ : ٦٤ ، طبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٩٠ ، كتاب الدلائل/ مخطوطة الظاهرية : ١٨٠ أ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٧ ، مج ٥١ : ٥١٣) .

● رجال السند الرابع

١ ـ معاوية بن قرة المزني البصري (ت ١١٣ هـ) ، انظر الجرح والتعديل ٤/١ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ، وطبقات ابن سعد (بيروت ١٩٥٨ م) ٧ : ٢٢١ ، والعبر للذهبي ١ : ١٤١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٤٧ .

٢ ـ جعفر بن حيان ابو الأشهب العطاردي البصري (٧٠ ـ ١٦٥ هـ) انظر الجرح والتعديل ١/١ : ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٢٧٤ ، والمعارف لابن قتيبة : ٤٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٨٨ .

٣ ـ عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، ترجمته ومراجعها في تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل : ٢٦٢ ـ ٢٨١ ، وكتاب الجرح والتعديل ٢/٢ : ١٧٩ ـ ١٨١ ، والمعارف لابن قتيبة : ٥١١ ، ووفيات الأعيان (تح احسان عباس) ٣ : ٣٢ ـ ٣٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٨ : ٣٣٦ ـ ٣٧١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي : ٢٧٤ ـ ٢٧٩ ، والعبر للذهبي ١ : ٢٨٠ ـ ٢٨١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠ : ١٧٧ ـ ١٧٩ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٨٢ ـ ٣٨٧ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ، والاعلام للزركلي (ط ٤) ٤ : ١١٥ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦ : ١٠٦ .

٤ ـ سعيد بن منصور ابو عثمان الخراساني الحافظ صاحب كتاب السنن (ت ٢٢٧ هـ) ترجمته في الجرح والتعديل ١/٢ : ٦٨ ، والعبر للذهبي ١ : ٣٩٩ ، وتهذيب التهذيب ٤ : ٨٩ ـ ٩٠ ، وشذرات الذهب لابن ألعماد الحنبلي ٢ : ٦٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠ : ٢٩٩ .

٥ ـ محمد بن علي بن زيد الصائغ (الجوهري ، ت ٢٩٠ هـ) ، محدّث مكة . انظر العبر للذهبي ٢ : ٩٠ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٠٩ .

● رجال السند الخامس

١ ـ احمد بن أبي المضاء .

٢ ـ محمود بن مطر .

٣ ـ اسماعيل الأسدي .

● رجال السند السادس .

١ ـ عيسى بن يونس ، ترجمنا له في السند الأول .

٢ ـ عمرو بن خالد بن فروخ الحراني (ت ٢٢٩ هـ) ، الجرح والتعديل ١/٣ : ٢٣٠ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٢٥ ـ ٢٦ .

٣ ـ ابو الحسن .

٤ ـ ابراهيم .

● رجال السند السابع

١ ـ عيسى بن يونس ، ترجمنا له في السند الأول .

٢ ـ سليمان بن عمر الأقطع الرقي ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/٢ : ١٣١ ، وانظر الجليس والأنيس للمعافى بن زكريا ١ : ٢٨٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (مجلد عاصم ـ عائذ) : ٢١٨ .

٣ ـ الخشني ، ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت ٢٨٦ هـ) ، (والخشني ، بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين) ، من أهل كورة جيّان بالأندلس ، وانتقل الى قرطبة فسكنها الى أن توفي بها . رحل الى المشرق ولقي من أئمة اللغة أبا عثمان المازني وابا حاتم سهل بن محمد السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي وابا اسحاق الزيادي ، فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية الأصمعي . وكتب ببغداد كتب أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن وهب المسعري راوية ابي عبيد ، وأدخل الأندلس كثيراً من حديث الأئمة ، وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية .

من أبرز كتبه كتاب غريب الحديث ، نيّف على عشرين جزءاً ، شرح حديث النبي ﷺ في أحد عشر جزءاً ، وحديث الصحابة في ستة أجزاء ، والتابعين في خمسة أجزاء . وقد تداوله الأندلسيون ، وقال الزبيدي في طبقاته يصفه : « فيه من الغريب علمٌ كثير » ، وكان من مرويات أبي محمد بن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) ، انتهى بسنده الى محمد بن محمد بن عبد السلام الخشني عن أبيه محمد الخشني .

وأخذ عن الخشني بالأندلس جماعة جمة نبلاء حدّثوا عنه ورووا له . وممن أخذ عنه شاعر الأندلس وأديبها احمد بن عبد ربه صاحب العقد .

سمع قاسم بن ثابت مؤلف الدلائل وأبوه ثابت من الخشني بالأندلس قبل أن يبدءا رحلتهما الى المشرق . وتجد ترجمة الخشني ومصادرها في مقالتنا التي تناولت بالدراسة كتاب الدلائل (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ ، ص : ٣١٧ ـ ٣١٩) .

● رجال السند الثامن

١ ـ ابن الاعرابي محمد بن زياد (ت ٢٣١ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في انباه الرواة

٣ : ١٢٨ ـ ١٣٧ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٠٦ ـ ٣٠٩ ، والأعلام للزركلي ٦ : ١٣١ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ١١ ـ ١٢ ، وقد أضاف محقق وفيات الأعيان (٤ : ٣٠٦) الى مراجع الانباه كتاب نور القبس ، زد على ذلك كتاب العبر للذهبي ١ : ٤٠٩ .

٢ ـ أحمد بن يحيي ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في انباه الرواة ١ : ١٣٨ ـ ١٥١ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٠٢ ـ ١٠٤ ، والأعلام للزركلي ١ : ٢٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

٣ ـ ابو الحسين محمد بن الوليد (ولاد) التيمي (ت ٢٩٨ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في إنباه الرواة ٣ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، والأعلام للزركلي ٧ : ١٣٣ ، ومعجم المؤلفين ١٢ : ٩٥ .

● رجال السند التاسع

١ ـ أبو سوّار الغنوي ، انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم (ط اوربا) : ٤٥ ، (ط ايران) : ٥٠ ، وانباه الرواة ٤ : ١٢٢ ، والأعراب الرواة لعبد الحميد الشلقاني (القاهرة ١٩٧٧) : ١٢٢ ، ١٩٨ ـ ٢٠٠ ، وقد جاء (ابو سوار) بالواو في الفهرست لابن النديم ، طبع اوربا ، وجاء بالراء المهملة في الفهرست طبع ايران ، وشفع الاسم بزيادة خلت منها طبعة أوربا وهي : « من خط السكّري مشدّد » .

٢ ـ محمد بن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١ هـ) ، ترجم له أستاذنا الكبير محمود محمد شاكر في الكلمة التي صدّر بها كتاب طبقات فحول الشعراء ، وعدّد مراجع ترجمته (طبقات فحول الشعراء : ٣٤ م ـ ٣٨ م / القاهرة ١٣٩٤ هـ) .

٣ ـ الرياشي أبو الفضل العباس بن الفرج (ت ٢٥٧ هـ) ، انظر ترجمته ومراجعها في انباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٦٧ ـ ٣٧٣ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٢٦٤ ، ويضم إلى مصادرهما كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣ / ١ : ٢١٣ ـ ٢١٤ .

٤ ـ محمد بن عبد الله بن الغاز (ت ٢٩٦ هـ) ، سمع من أبيه ، ورحل الى المشرق فدخل البصرة فلقي بها أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني ، وأبا الفضل العباس بن الفرج الرياشي .... وجماعة سواهم من أهل الحديث ورواة الأخبار والأشعار وأصحاب اللغة والمعاني . وأدخل الأندلس علماً كثيراً من الشعر والغريب والخبر ، وعنه أخذ أهل الأندلس الأشعار المشروحة كلها رواية . سمع عليه القاسم بن ثابت وأبوه بالأندلس (طبقات الزبيدي : ٢٦٧ / ط٢ ، تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٢٤ ـ ٢٥ ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروز أبادي : ٢٣٠ / دمشق ١٩٧٢ م ، بغية الوعاة للسيوطي : ٥٨) .

● رجال السند العاشر

١ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في انباه الرواة ٣ : ٢٧٦ ـ ٢٨٧ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٢٣٥ ـ ٢٤٣ ، والأعلام للزركلي ٧ : ٢٧٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢ : ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

٢ ـ احمد بن يحي ثعلب ، ترجمنا له في السند الثامن .

٣ ـ ابو الحسين محمد بن ولاد التيمي ، ترجمنا له في السند الثامن .

● رجال السند الحادي عشر

١ ـ عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ : ٣٣١ ـ ٣٥٩ ، ويضم الى مراجعه الكثيرة التي سردها المحقق في حاشيته كتاب شذرات الذهب ١ : ٧٥ ـ ٧٦ ، وانظر الأعلام للزركلي ٤ : ٩٥ .

٢ ـ حيان بن عمير أبو العلاء القيسي البصري (مات مابين التسعين والمائة للهجرة) ، انظر كتاب الجرح والتعديل ٢/١ : ٢٤٤ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٦٧ ـ ٦٨ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ١٨٩ .

٣ ـ ابو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت ١١٧ هـ) ، ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة : ٤٦٢ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٨٥ ـ ٨٦ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ٢٦٩ ـ ٢٨٣ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٥١ ـ ٣٥٦ ، والاعلام للزركلي ٥ : ١٨٩ ، قال محمد بن سلام : « كان قتادة بن دعامة السدوسي من رواة الفقه ، عالماً بالعرب وأنسابها ، ولم يأتنا عن أحد من رواة الفقه من علم العرب أصحّ من شيء أتانا عن قتادة » ، (طبقات فحول الشعراء ١ : ٦١) .

٤ ـ معمر بن راشد الأزدي (ت ١٥٣ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ٧ : ٥ ـ ١٨ ، والأعلام للزركلي ٧ : ٢٧٢ .

٥ ـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في وفيات الأعيان ٣ : ٢١٦ ـ ٢١٧ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩ : ٥٦٣ ـ ٥٨٠ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٣٥٣ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ : ٢١٩ .

٦ ـ ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر السعدي البصري المعروف بابن المديني (١٦١ ـ ٢٣٤) صاحب التصانيف . تجد ترجمته ومراجعها في كتاب تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل : ٣١٩ ـ ٣٢٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ١/٣ : ١٩٣ ـ ١٩٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١١ : ٤١ ـ ٦٠ ، ويضم الى مراجع سير أعلام النبلاء الكثيرة كتاب الأنساب للسمعاني (ورقة 516 أ) ط ليدن ١٩١٢ ، واللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير ٣ : ١٨٤ ـ ١٨٥ ، وانظر الاعلام للزركلي ٤ : ٣٠٣ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ : ١٣٢ ـ ١٣٣ .

٧ ـ ابو بكر محمد بن جعفر الربعي البغدادي المعروف بابن الإمام (ت ٣٠٠ هـ) ، ترجمته في العبر للذهبي ٢ : ١١٥ .

● رجال السند الثاني عشر

١ ـ أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري (ت ٣٢ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في المعارف

لابن قتيبة : ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ : ٤٦ ـ ٧٨ ، والاعلام للزركلي ٢ : ١٤٠ ، ويضم الى المراجع الكثيرة التي أوردها محقق السير ومؤلف الاعلام كتاب شذرات الذهب ١ : ٣٩ ، وكتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين (بيروت ١٩٦٣ م) ١٦ : ٣١٣ ـ ٣٧٣ .

٢ ـ عبد الرحمن بن مخراق .

٣ ـ يزيد بن جعدبة الليثي ، انظر كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٤ : ٢٥٥ .

٤ ـ عمرو بن دينار المكي أبو محمد (ت ١٢٦ هـ) ، انظر ترجمته ومراجعها في كتاب الجرح والتعديل ١/٣ : ٢٣١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ١١٣ ـ ١١٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ٣٠٠ ـ ٣٠٧ ، والعبر للذهبي ١ : ١٦٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ١ : ١٧١ ، والاعلام للزركلي ٥ : ٧٧ .

٥ ـ سفيان بن عيينة (١٠٧ ـ ١٩٨ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في الجرح والتعديل ١/٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٩١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٨ : ٤٠٠ ـ ٤١٨ ، والعبر للذهبي ١ : ٣٢١ ـ ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، والاعلام للزركلي ٣ : ١٠٥ .

٦ ـ علي بن المديني ، ترجمنا له في السند الحادي عشر .

٧ ـ محمد بن جعفر ، ترجمنا له في السند الحادي عشر .

● رجال السند الثالث عشر

ـ ترجمنا لهم في السند الثالث .

● رجال السند الرابع عشر

ـ ترجمنا لهم في السند الثامن .

● رجال السند الخامس عشر

ـ ترجمنا لهم في السند الثالث .

● رجال السند السادس عشر

١ ـ سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ولي الخلافة (٩٦ ـ ٩٩ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة : ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، ووفيات الأعيان (تح احسان عباس) ٢ : ٤٢٠ ـ ٤٢٧ ، وفوات الوفيات ٢ : ٦٨ ـ ٧٠ ، والوافي بالوفيات للصفدي ١٥ : ٤٠٠ ـ ٤٠٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ١١١ ـ ١١٣ ، والأعلام للزركلي ٣ : ١٣٠ .

٢ ـ محمد بن عبد الله بن الغاز ، ترجمنا له في السند التاسع .

● رجال السند السابع عشر

١ ـ عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة : ٥٣١ ، ٥٤٠ ، وانباه الرواة للقفطي ٢ : ٣٧٤ ـ ٣٧٧ ، وزاد محقق وفيات الأعيان (٣ : ٤٨٦) على المصادر المسرودة في الانباه كتاب نور القبس للحافظ اليغموري ، وانظر سير

أعلام النبلاء للذهبي ٧ : ٢٠٠ ، والأعلام للزركلي ٥ : ١٠٦ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨ : ٢٩ ـ ٣٠ .

٢ ـ أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في المعارف لابن قتيبة : ٥٣١ ، ٥٤٠ ، ٥٩٩ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٤٦٦ ـ ٤٧٠ ، وانباه الرواة للقفطي ٤ : ١٢٥ ـ ١٣٣ ، والفهرست لابن النديم (ط اوربا) : ٢٨ ، ٣٥ ، ٤٢ ، وسير اعلام النبلاء للذهبي ٦ : ٤٠٧ ـ ٤١٠ ، والأعلام للزركلي ٣ : ٤١ .

٣ ـ الأصمعي ، ترجمنا له في السند الثاني .

٤ ـ العتبي ، ابو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله الأموي القرشي البصري (ت ٢٢٨) ، ترجمته ومراجعها في وفيات الأعيان ٤ : ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١١ : ٩٦ ، والأعلام للزركلي ٦ : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

٥ ـ أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، تجد ترجمته ومراجعها في انباه الرواة للقفطي ٢ : ٥٨ ـ ٦٤ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٣٠ ـ ٤٣٣ ، والأعلام للزركلي ٣ : ١٤٣ ، ومعجم المؤلفين ٤ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ويضم الى المراجع كتاب الجرح والتعديل ٢ / ١ : ٢٠٤ ، وقد ترجم له الدكتور خليل العطية في مقدمة تحقيقه لكتاب فعلتُ وأفعلت (البصرة ١٩٧٩ م) .

٦ ـ محمد بن عبد الله بن الغاز ، ترجمنا له في السند التاسع .

شاكر الفحام

مصطلحات الفلك الحديث

الأستاذ المهندس وجيه السمان

علم الفلك من أقدم العلوم عرفه الانسان منذ أبعد عصور التاريخ : عرفته بابل ونينوا وفينيقيا وعرفه المصريون والاغريق والعرب وما جاورهم من الأقوام ، وقبل ان يصبح علماً حقيقياً كان يطغى عليه علم التنجيم ، اضافة الى ما نسجته الاساطير القديمة للشعوب في عهود الوثنية من علاقات بين آلهتها وبين النجوم .

وعنيت الحضارة العربية بعلم الفلك عناية مبكرة بعد أن فصلته عن علم التنجيم ، وترجم أول كتاب فلكي يوناني إلى العربية في أواخر عهد الدولة الأموية . كان هذا العلم يسمى بالعربية في القرون الوسطى بعلم النجوم وصناعة النجوم وعلم التنجيم وصناعة التنجيم ، قبل أن تقتصر هذه التسميات على مانسميه اليوم بالتنجيم (أي الاستدلال على الحوادث الدنيوية المستقبلة برصد حركات الكواكب)☆ وكان الخليفة العباسي المأمون من أكبر المشجعين على تنمية البحوث الفلكية .

وجاء في كتاب التنبيه لأبي الحسن علي المسعودي ، المتوفى عام ٣٤٥ هـ : « وصناعة التنجيم التي هي جزء من أجزاء الرياضيات ، وتسمى باليونانية اصطرونوميا ، تنقسم قسمة أولية على قسمين : أحدهما العلم

☆ استقي اكثر هذه المعلومات عن الفلك عند العرب من كتاب العالم الايطالي الاستاذ كارلو نللينو وعنوانه : علم الفلك ، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى . وهو ملخص للمحاضرات التي القاها في الجامعة المصرية وطبع في روما عام ١٩١١ .

بهيئة الأفلاك وتراكيبها وتأليفها ، والثاني العلم بما يتأثر عن الفلك (أي الأحكام النجومية ، أو مانسميه التنجيم)

أما الاسماء الأخرى فهي : علم هيئة العالم أو علم هيئة الأفلاك أو علم الهيئة أو علم الأفلاك . الا أنها لاتطلق على علم أحكام النجوم . أما لفظ الفلكي بمعنى من يشتغل به فهو غير مجهول ، فتجدوه مثلاً ثلاث مرات في كتاب التنبيه بدون فرق بينه وبين لفظ المنجم ، بيد أنه نادر الاستعمال جداً في القرون الوسطى .

برغم هذا الرأي الذي يراه الاستاذ نللينو ، فاننا لانزال نرى في أول كل عام نبوءات عما سوف يقع خلال العام من حوادث هامة ، توردها الصحف وتنسبها الى عمل الفلكي فلان . فلا يزال اسم الفلكي اذن يستعمل لتسمية المنجم . وهو خطأ فادح في هذه الأيام .

يوجز الاستاذ نللينو اختصاصات علم الهيئة عند العرب هكذا :

« نجد بقطع النظر عن احكام النجوم المرفوضة في أيامنا قطعياً ان الهيئة عند العرب قد اشتملت على علم الهيئة الكروي والعملي وقسم صغير من النظري يخص الكسوفات واستنارات الكواكب السيارة مع علم التواريخ الرياضي وعلم أطوال البلدان وعروضها على طريقة كتاب الجغرافيا لبطلميوس . فقد خرج من علم الهيئة عند العرب علم الميكانيكا الفلكية وعلم طبيعة الأجرام السماوية واكثر علم الهيئة النظري حيث انه يبحث عن حقيقة حركات الكواكب ـ فواضح ذلك كله أيضاً من مضمون الكتب القديمة الكاملة في هذا الفن مثل القانون المسعودي للعالم العلامة أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، فان مادة هذا الكتاب النفيس الذي لانظير له تدور على هذه الصفة :

١ ـ مبادىء علم الهيئة باجمال وايجاز .

٠٢ ـ علم التواريخ الرياضي أي تواريخ الامم المختلفة واستخراج بعضها من بعض .

٠٣ ـ حساب المثلثات ولاسيا حساب المثلثات الكروية .

٠٤ ـ دوائر الكرة السماوية والاحداثيات الناشئة عنها وما يحدث بسبب حركة الكرة السماوية اليومية الظاهرية حول الأرض من مطالع البروج ، الخ ...

٠٥ ـ صورة الأرض وأبعادها وكيفية تقويم اطوال البلدان وحساب المسافة بين بلدين معلومي الطول والعرض ، الخ ...

٠٦ ـ حركات الشمس وكيفية تبيينها بشكل هندسي .

٠٧ ـ حركات القمر وتوضيحها بشكل هندسي وبيان اختلاف مناظر القمر في الارتفاع والطول والعرض .

٠٨ ـ اتصالات النيّرين وكسوفاتها وحساب رؤية الهلال .

٠٩ ـ الكواكب الثابتة ومنازل القمر فيها .

٠١٠ ـ حركات الكواكب الخمسة المتحيرة في الطول والعرض وبيانها بشكل هندسي ومقامات هذه الكواكب ورجوعها وابعادها عن الأرض وعظم اجرامها وظهورها واختفاؤها وستر بعضها بعضاً .

٠١١ ـ مسائل من حساب المثلثات الكروية وعلم الهيئة الكروي . » .

مصطلحات الفلك عند العرب

لايوجد بين المؤلفات العربية القديمة مؤلف خاص بهذا الموضوع ، أي أنه ليس هنالك معجم فلكي يضم مصطلحات الفلك التي استعملها

العرب . ولكن يمكن التقاط جميع هذه المصطلحات من مؤلفاتهم في الفلك . وقد صنف الأستاذ نللينو هذه المؤلفات في أربعة أصناف وهي :

٠١ ـ الكتب الابتدائية على صفة مُدخَل الى علم الهيئة ، وضحت فيها مبادىء العلم بالاجمال ودون البراهين الهندسية كالجاري في أيامنا في كتب الكسموغرافيا ـ ومن هذا النوع كتاب أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني اسمه : علم النجوم واصول الحركات السماوية ، والتذكرة لنصير الدين الطوسي والملخص في الهيئة للجغميني وتشريح الأفلاك لبهاء الدين محمد بن الحسين العاملي .

٠٢ ـ الكتب المطولة التيْ استقصي فيها كل العلم ، المثبتة لجميع ما جاء فيها بالبراهين الهندسية المتضمنة أيضاً لكافة الجداول العددية التي لاغنى عنها في الأعمال الفلكية . وهذه الكتب على منوال كتاب المجسطي لبطلميوس . فمنها المجسطي لأبي الوفاء البُوزَجاني (المتوفى ٣٨٨) والقانون المسعودي لأبي الريحان البيروني (م ٤٤٠) وتحرير المجسطي لنصير الدين الطوسي (م ٦٧٢) ونهاية الادراك في دراية الافلاك لمحمد بن مسعود الشيرازي (م ٧١٠) . ومن هذا النوع أيضاً اصلاح المجسطي لجابر بن أفلح الاشبيلي (م ٥٤٠) .

يعد كتاب المجسطي في الهيئة أهم مانقل من المؤلفات اليونانية واجلها واكثرها تأثيراً في ترقي العرب ، ولم يزل علماء العرب في القرون الوسطى يذكرون محاسنه وفضائله ويعترفون بأنه اشرف ما صنف في علم الفلك بل انه الأم التي استخرجت منها سائر الكتب المؤلفة في هذا العلم حتى ان ابن القفطي قال : وإلى بطلميوس انتهى علم حركات النجوم ومعرفة اسرار الفلك وعنده اجتمع ما كان متفرقاً من هذه الصناعة بايدي

اليونـان والروم وغيرهم من سـاكني الشـق الغربي من الأرض وبـه انتظم شتيتها وتجلى غامضهـا ومـا اعلم احـداً بعـده تعرض لتـأليف مثل كتـابـه المعروف باسم المجسطي ولا تعاطى معارضته ، بل تناولـه بعضهم بـالشرح والتبيين ...

يشتمل المجسطي على ثلاث عشرة مقـالـة : الاولى في المقـدمـات مثل البرهان على كروية السماء والأرض وعلى ثبوت الأرض في مركز العـالم ثم ميل فلـك البروج ومطـالـع درج البروج في الفلـك المستقيم . الثـانيـة في المباحث عما يختلف باختلاف عروض البلـدان مثل طول النهـار وارتفـاع القطب ، ومعدل النهار . الثالثة في تعيين أوقـات نزول الشمس في نقطتي الاعتدال ونقطتي الانقلاب ثم في مقدار السنـة الشمسيـة ... ثم في اختلاف الايام بلياليها وتحويل الأيام الوسطى إلى المختلفة وبالعكس . الرابعـة في حركات القمر المعتدلة في الطول والعرض . الخـامسـة في بيـان اختلافـات حركات القمر وحسابها ثم في حساب اختلاف المنظر في الارتفـاع والطول والعرض . السادسة في اجتماع النيرين واستقبالاتها وكسوفـاتها . السـابعـة في الكواكب الثابتة والاشكال العارضة لها مع الشمس . الثامنة في جريدة الكـواكب الثـابتـة ومـواضعهـا في الطـول والعرض . التـاسعـة والعـاشرة والحـاديـة عشرة في بيـان حركات الكـواكب الخمسـة المتحيرة في الطـول . الثانية عشرة : في الرجوع والاستقامة والمقامات العارضة للكواكب الخمسة المتحيرة☆ .

الثالثة عشرة : في عروض الكواكب الخمسـة المتحيرة وظهورهـا واختفائها .

٣ ـ الكتب المعدة لأعمال الحُسَّاب والرُّصَاد فقـط والمسماة ازيـاجـاً أو

☆ هي الكواكب السيارة التي كانت معروفة حينئـذ وهي : عطـارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ، ولم تكتشف السيارات الاخرى الا في القرن التاسع عشر .

زِيَجَة . ولفظ زيج أصله من اللغة البهلوية التي كان الفرس يستخدمونها في زمن الملوك الساسانيين . وفي هذه اللغة زيك معناه السَّدَى الذيَ يُنْسج فيه لحمة النسيج ثم اطلقت الفرس هذا الاسم على الجداول العددية لمشابهة خطوطها الرأسية بخيوط السدى . فهذه الكتب تشتمل على جميع الجداول الرياضية التي يبنى عليها كل حساب فلكي مع اضافة قوانين عملها واستعمالها مجردة في الأغلب عن البراهين الهندسية . ومنها الزيج الصابى لمحمد بن جابر بن سنان البتّاني (م ٣١٧ هـ) المطبوع في روما في ثلاثة أجزاء .

٤ ـ الكتب في مواضيع خصوصية كالتقاويم والمصنفات في عمل الآلات واستعمالها أو في وصف الصور السماوية وتعيين مواضع نجومها في الطول والعرض . ومن هذا النوع كتاب جامع المبادىء والغايات لأبي علي الحسن المراكشي (م ٦٦٠) المتضمن وصف الآلات الرصدية وقد ترجم نصفه الأول إلى الفرنسية وطبع في باريس (١٨٣٤ ـ ١٨٣٥ ميلادية) . وكتاب الكواكب والصور لأبي الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي (م ٣٧٦) الذي نقل أيضاً إلى اللغة الفرنسية وطبعت هذه الترجمة في بطرسبورغ عام ١٨٧٤ . (ا هـ)

لابد لمن يريد ان يؤلف في تاريخ الفلك عند العرب أو أن يصنف معجماً في المصطلحات الفلكية التي كانت تستعمل في القديم ولاسيا في أسماء البروج والصور النجمية وفي أسماء النجوم نفسها من مراجعة هذه المؤلفات ، واذكر فيا يلي كتابين قيمين جداً صدرا في العقد الماضي في جملة مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق :

في عام ١٩٧١ نشر مجمع اللغة العربية بدمشق كتاب (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد) لأحمد بن ماجد النجدي ، بتحقيق

الاستاذين : ابراهيم خوري وعزة حسن . وفي هذا الكتاب بيان مفصل ودراسة واسعة فلكية وأدبية للبروج والمنازل والكواكب والنجوم ، استغرق ١٤٨ صفحة من صفحاته . ويصلح هذا البيان لأن يكون مرجعاً لكل دراسة تجرى عن هذا الموضوع .

كذلك نشر مجمع دمشق عام ١٩٧٢ قسماً من كتاب العلوم البحرية عند العرب لسليمان بن أحمد المهري بتحقيق الاستاذ إبراهيم خوري ، واردف المحقق الكتاب بمعجم لنجوم الملاحة رتبه على النمط الآتي :

٠١ ـ البروج والمنازل والكواكب المستعملة في الملاحة العربية مع اسمائها العربية واللاتينية واليونانية والانكليزية والفرنسية وبدأ ذلك في الصفحة ١٣٢ من الكتاب إلى الصفحة ١٩٥ .

٠٢ ـ صور الكواكب ونجومها الرئيسية المستعملة في الملاحة العربية ، مع أسمائها الأجنبية أيضاً (ص ١٩٦ من الكتاب) .

٠٣ ـ شرح المنازل وكواكبها المستعملة في الملاحة العربية (ص ٢١٣)

٠٤ ـ شرح الكواكب الثابتة المستعملة في الملاحة العربية (ص ٢٥٣)

٠٥ ـ شرح الكواكب المتحيرة المستعملة في الملاحة العربية (ص ٣٧٩) .

وتصلح هذه المواد الغزيرة لان تكون مرجعاً لاسماء النجوم وصورها ومجموعاتها .

اختم عرضي هذا لعلم الفلك عند العرب بالكلام عن كتاب قيم في

هذا الموضوع هو القاموس الفلكي لمنصور حنا جرداق . لقد قضى صاحب هذا المعجم جل حياته العملية في تدريس الرياضيات العالية وعلم الفلك في الجامعة الأمريكية ببيروت . وألف قاموسه هذا على مهل ولم ينشره الا في أواخر حياته أي في عام ١٩٥٠ . وقد حصر منصور جرداق اهتمامه فيه بالابراج وصور النجوم (أو كوكباتها) وبأسمائها العربية .

افتتح المعجم بمقدمة في علم الفلك عند العرب أتى فيها على ذكر مشاهير الفلكيين العرب (ص ١ - ٢٠) وقال ان بعض الاكتشافات الفلكية التي عزاها التاريخ إلى علماء القرن السادس عشر ، قد اكتشفها قبلهم بستة قرون أبو الوفاء محمد بن يحيىٰ بن اسماعيل بن العباس البوزجاني . وينسب بعضهم إليه انه أول من استخدم المماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا ، وقيل أنه اكتشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة ، وصنع زيجاً سماه الزيج الشامل ...

وخصص المؤلف قسماً من معجمه للكلام بايجاز عن الفلك الحديث (أي كما كان قبل أربعين عاماً) فتكلم عن الشمس (ص ٢١ - ٣٣) وعن القمر (٣٤ - ٤٦) وعن النظام الشمسي (٤٧ - ٦٦) وعن النجوم (٦٧ - ٧٦) .

وقد رتب معجمه على الالفبائية الانكليزية وختمه بفهرس شامل للاسماء العربية كلها . ويقدر ماورد فيه من المصطلحات بـ ٢٠٠٠ مصطلح .

ولابد لي قبل الانتقال الى الفلك الحديث من التنويه بكتاب : الفلك عند العرب للمرحوم قدري طوقان ، ففيه معلومات قيمة في هذا الموضوع .

قبل الانتقال من الكلام عن الفلك القديم إلى الفلك الحديث أحب أن ألفت النظر إلى أن ثمة فروقاً كبيرة بين الفلك الحديث وبين الفلك القديم تتجلى في العدد الكبير للمشتغلين به وفي العُدد والآلات والوسائط الحديثة الكثيرة التي يستعينون بها في أبحاثهم وبالعلوم الكثيرة التي يعتمدون عليها ، وفي أنه لم يعد من انتاج علماء أفذاذ أفراد يعملون بمعزل عن الآخرين ، وانه أصبح (وشأنه في ذلك شأن جميع العلوم الحديثة) ثمرات اعمال جماعات علمية منظمة مدربة يديرها علماء كبار .

علم الفلك الحديث

ان من يوازن بين كتاب حديث للفلك ظهر في النصف الثاني من السبعينات وبين كتاب للفلك خرج في الثلاثينات أو الاربعينات يجد بينهما اختلافات كبيرة جداً .

تتعاون اليوم علوم عديدة مختلفة متمايزة على دراسة الكون :

١ - واقدم فرع من فروع الفلك هو علم الهيئة أو علم مواقع النجوم : Astronomie de position ويسمى أيضاً Astrométrie ، وهو يبحث في تعيين مواقع النجوم وحركاتها . وهذا الفرع هو الذي يهتم الآن بوضع فهارس أو قوائم للنجوم ، وهو الذي وضع (الفهرس الأساسي) الذي يضم مواقع ١٥٣٥ نجماً لامعاً موزعة في جميع أنحاء السماء ، والى هذه النجوم تنسب مواقع (احداثيات) جميع النجوم الاخرى ، البعيدة منها والقريبة . وبعد أن تبين أن للنجوم حركاتها الخاصة بها وكان الفلكيون بحاجة قصوى إلى قياسات فلكية تمعن مع الايام دقة وتزداد ضبطاً ، فقد أصبح اصدار الفهارس الفلكية عملاً متواصلاً لايقف أبداً .

ويهتم علم مواقع النجوم أيضاً بدراسة الحركة النسبية للنجوم

المزدوجة - وتستنتج من هذه الدراسة كتل هذه النجوم - وبقياس زوايا اختلاف المنظر Parallaxe ، وهذه الزوايا تعين على تقدير أبعاد النجوم القريبة . وهذا العلم - بشكل أعم - يسيطر على البحوث المتعلقة بحركيات وتحريكيات (ديناميات) مجرتنا والمجرات الأخرى ، ويهتم أيضاً بوضع المقياس الفلكي للزمن . ويمكن القول في الخلاصة ان جميع المعلومات عن شكل الأرض وعن حركاتها وعن حركات النظام الشمسي والمجرة وعما يتعلق بمقياس الكون وتطوره يرتبط ارتباطاً شديداً بالقياسات الفلكية ، أي بهذا العلم .

ويرتبط بعلم الهيئة أو Astrométrie علم الميكانيك السماوي Mécanique Céleste وهو يهتم بالقوانين التي تنظم حركات النجوم ، وان حساب أفلاك هذه النجوم هو من اختصاص هذا العلم وكذلك وضع الحوليات والتقاويم الفلكية ، وهي جداول تجمع المعلومات العددية - اليومية أو غير اليومية - عن مواقع الشمس والقمر والكواكب السيارة ، الخ ...

ومنذ أن انبثق فجر عصر الرحلات الفضائية وجد الميكانيك السماوي تطبيقات جديدة له في حساب مسارات التوابع الصنعية والسفن السابرة لما بين الكواكب . لذلك فعلم الهيئة والميكانيك السماوي يؤلفان معاً مايسمى بعلم الفلك الاساسي .

٠٢ - اخذ علماء الفلك ، ابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر يستعينون استعانة متزايدة مع الأيام بالتصوير الضوئي ثم بالكشف الطيفي ثم بالقياسات الضوئية (Photométrie) ، فولد للفلك فرع جديد هو فيزياء النجوم Astrophysique ، وهدف هذا العلم هو دراسة النجوم فيزيائياً . اقتصر هذا العلم في البدء على دراسة الاشعاع المرئي

للنجوم ثم اتسعت آفاقه تدريجياً فأخذ يستفيد من مختلف أقسام الاشعاع الكهر مغنطيسي الواحد بعد الآخر حيث نشأ أولاً الفلك الراديوي Radio Astronomie الذي يدرس المنابع السماوية للاشعاع الكهر راديوي .

ثم ولد علم فلك جديد هو فلك الفضاء Astronomie Spaciale عندما تمكن الفلكيون من ارسال اجهزة قياس الاشعاع الى خارج جو الأرض ، الذي يمتصها ويحجبها فلا يصل منها الى الارض الا بقايا زهيدة جداً . فامكن هكذا دراسة الاشعاع الكوني واشعاع غاما والاشعة السينية والاشعة فوق البنفسجية والاشعة تحت الحمراء الواردة من النجوم والمجرات .

ثم ان ظهور راصدات (تلسكوبات) جديدة ذات قدرات متزايدة وخصائص محسنة ، والسبر المباشر بواسطة مركبات الفضاء للقمر وللسيارات وتوابعها وللفضاء الواقع بينها قد جعل علم فيزياء النجوم ينمو نمواً مدهشاً في العقود الأخيرة . لذلك فان النظرة الجديدة الى الكون ، التي تيسرت بفضل التقنيات الحديثة تعود بالنفع (بالدرجة الأولى) على فيزياء النجوم النظرية التي تضم معلومات الرصد والملاحظة الى مبادئ الفيزياء النظرية من أجل صنع « نماذج » قادرة على أن توضح لنا بنية النجوم وتطورها . ويمكن أن نربط بهذا المجال البحث المسمى Cosmogonie ويهتم بدراسة كيفية تكون العالم ، وخاصة تشكل الأجرام السماوية الخاصة وتطورها والعلم المسمى Cosmologie الذي يدرس القوانين العامة التي تتحكم في الكون بجمله ويسعى الى تفسير بنية العالم وتطور هذه البنية .

وهنالك أيضاً علم قريب من فيزياء النجوم هو كيمياء النجوم Astrochimie ويهتم بدراسة كيمياء كل مافي الفضاء خارج الأرض . ان

اكتشاف جزيئات عديدة في الفضاء كان باعثاً قوياً على نمو هذا العلم . وان البيولوجيا النجمية Astrobiologie أو Exobiologie تهتم بالبحث في امكان وجود الحياة في هذا الكون .

والخلاصة ان الكون يؤلف اوسع واعظم مختبر يمكن ان يحلم به الباحث . ففيه من درجات الحرارة اعلاها واخفضها اطلاقاً ، وفيه من المادة ماهو اشدها كثافة (كالثقوب السود والنجوم النترونية والاقزام البيض) كما فيه الاوساط الأشد تخلخلاً (وهي الفضاء الذي بين النجوم) . وتوجد فيه المادة معرضة لظروف لاينتهي تنوعها واختلافها بحيث تسمح للعالم ان يدرس فيها سلسلة من الظواهر ليس لتنوعها حدود ويحتاج تفسيرها الى تعاون بين مختلف العلوم .

وهكذا يبدو الفلك في أيامنا هذه حقلاً تتجابه وتختلط فيه العلوم المختلفة حيث يغني بعضها بعضاً . وتتسابق الدول الكبيرة في خدمته فتبني المراصد الباهظة الكلفة ، من بصرية وراديوية وترسل المركبات الفضائية حاملة مختلف آلات الرصد والاستكشاف الحديثة ، المخترعة خصيصاً لهذه الغايات ، الى الفضاء الخارجي لتتخطى الغلاف الغازي الذي يقي الأرض من الاشعاعات الواردة من الشمس والنجوم والمجرات ، وترسل كذلك مختبرات كاملة مصغرة لتجوس انحاء الكواكب السيارة فتقيس هنالك كل شيء وتصور كل ما تبتغي تصويره ثم ترسل ثمرة كل ذلك راديوياً الى الأرض حيث تتلقاها المختبرات المتخصصة .

لقد تجمعت الآن كمية مدهشة من المعلومات والصور عن الأرض وعن كواكب النظام الشمسي : عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل ، وعن أقمارها ، وهي الكواكب التي كان يعرفها الأقدمون لانها ترى بالعين المجردة ، وتصل مركبات السبر الآن الى مشارف اورانوس .

هذا هو العلم الذي اريد أن أتكلم عن مصطلحاته العربية .

اذا سمينا هذا العلم بالفلك الحديث ، فان له نوعين من المعاجم : نوع قديم اي يرجع عهده الى أكثر من أربعين عاماً ونوع حديث لم يمض على ظهوره أكثر من عقد واحد .

فالنوع الأول يقتصر على معجم واحد هو المعجم الفلكي لأمين المعلوف وعلى قوائم صغيرة وردت في أواخر كتب تبحث في علم الفلك اولها عهداً كتاب بسائط علم الفلك وصور السماء للدكتور يعقوب صرّوف صاحب مجلة المقتطف التي انقطعت عن الصدور منذ عدة عقود . وهذا الكتاب هو ملحق للمجلة طبع سنة ١٩٢٣ وجاء في مقدمته :

« اقترح عليّ كثيرون من قراء المقتطف ان اجمع منه كتباً كل كتاب منها في موضوع واحد حتى يسهل تصفحه والرجوع اليه . فجمعت الآن بسائط علم الفلك ونقحتها واضفت اليها فصولاً جديدة في وصف البروج وغيرها من صور النجوم والحقتها بكثير من الرسوم وبمعجم اثبت فيه كل ماعثرت عليه من اسماء النجوم واسماء صورها بالعربية والافرنجية ... »

فاورد في الفهرس اسماء ٢٢٠ من الصور والنجوم وفي المعجم ١٦٠ اسماً من اسماء النجوم مع مقابلاتها باللغة الانكليزية .

وهنالك أيضاً كتاب النجوم في مسالكها للعالم الفيزيائي الانكليزي جيمس جينز ، ترجمه الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٣ ، وقد كان لهذا الكتاب قيمته العلمية في حين صدوره اما الآن فقد أصبح قديماً جداً بعد مرور نصف قرن على ترجمته ونشره . وفيه قوائم مفيدة ، منها واحدة بأسماء النجوم بالعربية والانكليزية فيها ١٥٠ اسماً .

المعجم الفلكي لأمين فهد المعلوف : معجم انكليزي ـ عربي طبع في القاهرة عام ١٩٣٥ ويشمل النجوم الثوابت والكواكب السيارة والصور النجمية وبعض المصطلحات الفلكية وهو معجم جيد تأتي مفرداته في ١٠٠ صفحة صغيرة ويبلغ عدد المصطلحات الواردة فيه قرابة ٨٠٠ مصطلح أكثرها أسماء للنجوم .

يمتاز هذا المعجم بتحقيق جيد وملاحظات مفيدة ، ولاسيما ما يتعلق منها بالأخطاء التي ارتكبها العلماء الاوربيون عندما ترجموا كتب الفلك العربية الى اللاتينية أو الى لغاتهم الخاصة فاساءوا في ترجمة اسماء النجوم العربية .

من جملة التحقيقات التي اتى بها أمين المعلوف في معجمه الفلكي قوله عن السها (ص ١٣) :

نجم خفيّ ملاصق للعناق من بنات نعش في الدب الأكبر كان الناس يمتحنون به أبصارهم ، ومن اسمائه الصيدق والصيدوق ، والكلمة الانكليزية Alcor من خوَّار العربية فقالوا في وصفه كوكب خوّار اي ضعيف وقد تكون الكلمة من حَوَر العربية ، والحور كوكب آخر من بنات نعش الكبرى وهو رأي الأب لامنس ، ولكنني ارجح قول وبستر وهو ماتقدم .

وقال عن النطاق (في صورة الجبار او الجوزاء ص ١٦) :

في صورة الجبار او الجوزاء ثلاثة نجوم مصطفة على وسطه تسميها العرب مِنطقة الجوزاء أو الجبار أو نِطاق الجوزاء وفَقَار الجوزاء والنظام والنظم والنسق وميزان الحق . فأخذ الافرنج كلمة المنطقة Mintaka وسموا بها النجم المتقدم منها واخذوا الاسم الثاني اي النطاق Alnitak

وسموا به اقربها الى الأفق ، أما الاسم الثالث أي النظام فقرأوه النطام بالطاء المهملة فقالوا النطام ثم قلبوا الطاء لاماً وقالوا النلام Alnilam: وسموا به الأوسط من هذه النجوم .

وقال في النجم Betelgeuse الذي هو منكب الجوزاء (ص ٣١) : المشهور عند الافرنج ان الكلمة من ابط الجوزاء بالعربية ، وهي ليست كذلك فكتبت الى السيد البكري استفتيه في ذلك وقلت اني لم اعثر على ابط الجوزاء في كتاب عربي قديم ولعل الافرنج قرأوا يد الجوزاء بالياء المثناة بد الجوزاء بالباء الموحدة فاجابني بما يؤيد رأيي . قال : كل هذه الاسماء هي اسم نجم واحد « النيّر الذي على المنكب الأيمن » حسب رواية الصوفي وهو أيضاً « منكب الجوزاء او يد الجوزاء اليمنى » على رأي الغ بك وكذلك هو « منكب الجوزاء » على ماذكر البتاني . وسماه اسماعيل باشا الفلكي « منكب الجبار وكتفه » . اما فانديك في كتابه محاسن القبة الزرقاء فقال : « والنير الأعظم الذي على المنكب اليمنى سمي منكب الجوزاء وابط الجوزاء أيضاً » فترى مما تقدم ان كل من ذكرنا من اصحاب الأزياج اجمعوا على تسمية هذا النجم بمنكب الجوزاء الا الاستاذ فانديك فانه انفرد بتسميته ابط الجوزاء مجاراة للفرنجة الذين تواضعوا على هذه التسمية على ما فيها من التحريف ... الخ

ثم اردف قائلاً : ولقد ذهب بعض المشتغلين بالفلك في عصرنا الحاضر ابعد من هذا في التحريف فدعا هذا النجم نفسه باسم « بيت الجوزاء » وانما وقع في هذا الخطأ الفاضح لأنه ذهب في ترجمة اللفظ الفرنجي ترجمة حرفية . (اهـ)

اقول : وقد عقب الاستاذ منصور جرداق في معجمه الفلكي على ذلك فاضاف قائلاً : « وكان الدكتور فانديك يقول لتلامذة الفلك انها :

بيت الجيز ، والقاموس العصري يجعلها بيت العجوز في الطبعة الحديثة . » (اهـ)

وتجدر الاشارة هنا الى ان معجم المورد قد ترجم Betelgeuse باسمها الحقيقي : منكب الجوزاء واما معجم المنهل فلم يوردها .

والنوع الثاني ، أي المعجمات الفلكية الحديثة التي لم يمض على صدورها أكثر من عقد واحد فأذكر منها ثلاثة :

٠١ ـ بين عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨١ قام فرع معهد الانماء العربي ببيروت بمشروع ثقافي هام هو ترجمة معجم ماك غروهيل McGraw Hill للمصطلحات العلمية والتقنية من الانكليزية الى العربية وهو معجم كبير شامل لجميع العلوم والتقنيات وتحوي طبعته الثانية قرابة ١٢٠ الف مصطلح في مختلف فروع العلم والتقنية مع تقديم شروح وافية لكل مصطلح واشكال تساعد على فهم معنى المصطلح .

كنت في عداد الاساتذة الذين اسهموا في عمل الترجمة ، وكان في جملة ماترجمته مصطلحات الفلك وعددها ١٢٣٠ مصطلح ومصطلحات الفيزياء الفلكية وعددها ١١٦ مصطلح فيبلغ مجموعها ١٣٥٠ مصطلح تقريباً ، وهو عدد لايستهان به اذا ذكرنا ان هذا المعجم ليس معجماً للتخصص بل هو لجميع العلوم ، ولو استخرجت منه مصطلحات الفلك هذه وطبعت على حدة لألفت معجماً قيماً يفي بقسم كبير من حاجات هذا العلم .

لم يصدر هذا المعجم بعد وكان يؤمل ان يصدر الجزء الأول منه خلال العام الحالي ، ولكن ـ ‘دث لبنان الأخيرة وبيروت خاصة اثرت تأثيراً كبيراً ضاراً جداً في هذا العمل واعاقت تقدمه ويخشى ان يكون قد

تلف من صفحاته شيء . وارجو برغم كل ذلك ان يصدر قريباً لأن هذا المعجم كله ضروري جداً للبلاد العربية لخلو المجال من معجم هام من هذا الشكل يجمع بين العلوم قاطبة ويضم أنواع التقنية كافة ، وقد ترجم الى امهات اللغات العالمية كالفرنسية والالمانية والاسبانية . لذلك فان الترجمة العربية تصلح عند ضمها الى عدد من الترجمات الاخرى لتأليف معجم متعدد اللغات .

معجم مصطلحات الفلك

في التعليم العالي
انكليزي - فرنسي - عربي

هو احد المعاجم التي درست في المؤتمر الثالث للتعريب ، الذي أقامته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ليبيا في شهر شباط من عام ١٩٧٧ ، وطبعه بعد ذلك المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط في أواخر العام نفسه . وهو معجم مختصر صغير لايتجاوز عدد المصطلحات فيه ٥٠٠ مصطلح . وليس فيه للمصطلحات اي شرح أو تعريف ، ولكنه على كل حال يسد ثغرة ولو بسيطة وعيبه هو أنه غير موجود في الأسواق ، شأنه في ذلك شأن جميع المعاجم التي طبعت بعد اقرارها في مؤتمرات التعريب .

مصطلحات الفلك (فرنسي - انكليزي - عربي)

وطبع مكتب تنسيق التعريب بعد ذلك معجماً فلكياً للاستاذ محمد بن زيان في عام ١٩٧٩ في جملة ما يطبع من معجمات . وهو بالفرنسية والانكليزية والعربية وفي آخره فهرسان للمراجعة احدهما بالعربية وثانيهما بالانكليزية . وهو أوسع من المعجم السابق وفيه بعض

الشروح . وقد بلغ تعداد الارقام المسلسلة للمصطلحات فيه ١٠٢١ ولكن أكثر هذه الأرقام يشتمل على أكثر من مصطلح واحد ففيه في الواقع ما يقارب الفي مصطلح .

وهو ـ كما يبدو ـ أكبر معجم فلكي أجنبي عربي قد ظهر حتى الآن ـ على حد علمي ـ ولست ادري هل اعيد طبعه منفرداً ام يراد عرضه على ندوة خاصة .

وقد رأيت عند تصفحه أنه جاء بترجمات عربية صحيحه موفقة في أكثرها للمصطلحات الاجنبية . ويجدر به أن يراجع ويطبع طبعة مناسبة لقيمته بعد أن تضاف اليه الشروح المكملة والاشكال اللازمة . واعتقد انه في طبعته الحالية ، اي في عدد من اعداد مجلة اللسان العربي لم يدر به الا قلة ضئيلة من الذين يطالعون هذه المجلة .

كنت قد نشرت في العدد الماضي من هذه المجلة مقالاً للتعريف بكتاب في الفلك ظهر حديثاً واسمه : دليل السماء والنجوم ، للدكتور عبد الرحيم بدر . يجد المطالع في هذا الكتاب معجماً صغيراً جاء في آخره قائمة تتضمن قرابة ٤٠٠ مصطلح فلكي بالعربية والانكليزية أكثرها اسماء للنجوم يمكن الاستفادة منها ، كما يجد تعداداً للصور النجمية واسماء النجوم فيها بالعربية .

هذا عرض موجز لموضوع مصطلحات الفلك آمل ان أكون قد وفيته حقه ، وارى لزاماً علي ان أشير قبل اختتامه الى أن علم الفلك علم قد اهمل الان اهمالاً تاماً تقريباً في البلاد العربية في الحين الذي يندفع فيه الاهتمام به خارجها اندفاعاً منقطع النظير في تاريخ العلوم جميعها . فحاضره عندنا لم يعد يليق مطلقاً بماضيه المجيد ايام كان الفلك علماً

عربيا صرفا حمل لواء المعرفة فيه عـدد وافر من كبـار العلمـاء وبنيت لـه المراصد الكثيرة ووضعت له الأجهزة الكثيرة التي نراهـا الان في المتـاحف والفت فيـه الكتب العـديـدة . ولا أدل على ذلـك من ان جميـع النجـوم المرئية لها اسماؤها العربية وأكثر هذه الأسماء قد نقل على حاله الى اللغـات الأجنبية .

فعسى أن تسارع البلاد العربية الى الاهتمام به من جديد وان تدخله في التعليمين : الثانوي والعالي حتى تدب الحياة فيه عنـدنـا وتظهر أجيـال جديدة من المهتمين به فتسهم اسهاماً مثمراً في ترقيتـه مثلمـا اسهم اجـدادنـا فاجادوا وجلوا .

وجيه السمان

جواز قولك (قد لا يكون)

الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

كثيراً ما يبدو أن الأئمة قدنصّت على قول ثم خالفته في الاستعمال . ولا ننكر لأحد أن يُخطىء أو يضلّ مهما عظمت في العلم منزلته ورسخت في التحقيق قدمه . لكنه لابدّ في الحكم بتخطئة هؤلاء وتقرير مخالفتهم لما نصّوا عليه من أن يُستوفى البحث فيما يقصد إليه النصّ ويُستقصى النظر في وجه مباينتهم له . فقد يكون في مورد النص من الخفاء والإشكال مالا بد من كشفه وتبيينه ، أو تكون المخالفة قد لابست ظاهرالنص دون فحواه وجوهره . فلا مناص للباحث في ذلك من أن يكون حسن التحقيق والتثبت فيما ابتغاه من البحث ، صحيح الاستدلال فيما استجاد أو أبرم من الرأي .

ومن هذا القبيل مقالة الأئمة في النصّ على منع جمع المصدر . فإذا جُمع منه شيء ردّوه إلى السماع واعتلّوا له باختلاف الأنواع . على أنهم ترخّصوا في جمع عديد من المصادر أو تسمّحوا به تسمّح تحضّر وتحذّق كما يقول صاحب اللسان (مادة نزل) . بل درجوا على ذلك كلما ألجأتهم إليه حاجة في التعبير أو ضرورة في التسمية والاصطلاح .

وقد بدا بهذا أن العلماء قد استباحوا فعلا ما نصّوا على حظره ، واستحسنوا عملاً ما أصروا على استهجانه وتضعيفه . لكنه تبين بالبحث وثبت بالبرهان أن الأئمة لم ينقضوا في الاستعمال ما بنوه بالنصّ . فالذي جمعوه من المصادر كالذي حُكي جمعه منها ، قدعُدل به إلى الاسميّة . فإذا

استحق ظاهره المنع فقد استوجبت حقيقة حاله الرخصة والجواز ، على ما ستراه في فصل يعقد عليه .

ومن ذلك قولهم (قد لا يكون) بفصل (قد) عن المضارع بالنفي . فقد جاء النصّ في الظاهر على منعه وإبائه ، لكن حقيقة الحكمِ فيه إجازته وإقراره .

المانعون

المانعون من قولك (قد لا يكون) كثيرون ، ومنهم الأستاذ أحمد العوامري عضو المجمع القاهري غفر الله له . فقد كتب في مجلة المجمع (١ / ١٣٨) عام ١٩٣٥ : (قال ابن هشام في المغني ـ ١ / ١٤٤ ـ : أمّا قد الحرفية فمختصّة بالفعل المتصرّف الخبري المثبت المجرّد من جازم وناصب وحرف تنفيس . وهي معه كالجزء فلا يُفصل منه بشيء ، اللهم إلاّ بالقسم . ا . هـ . ومثل هذا في القاموس . وقال في شرحه : المثبت اشترطه الجماهير . ا . هـ .) ، واردف العوامري : (فلإصلاح العبارة يُعتاض من ـ قد لا يجيء ـ مثلاً ، قولك : ربما لا يجيء) .

أقول : للأستاذ العوامري أن يفهم من النص المذكور اشتراط كون الفعل بعد (قد) مثبتاً كيف كان الفعل ، لكن اعتياضه من (قد لايجيء) قوله (ربما لايجيء) ليس سائغاً بحال . ولا بدّ لبحث هذا والخلود إلى الحكم فيه بيقين ، من الكشف عما تعنيه (قد) وما يراد بـ (ربّما) في تأنٍ ، وعلى مهل ورُود .

ما قاله الأئمة في معاني (قد) مع المضارع

لم تتفق كلمة الأئمة على معنى تفيده (قد) مع المضارع . بل لم يجمع رأيهم

في ذلك على ما تحتمله او تتسع لـه من معـانٍ . فقـد ذهب ابن مـالـك في التسهيل إلى أنها (للتقليل) ، إذ قال :

(وعلى مضارع مجرد من جازم ونـاصب وحرف تنفيس لتقليل معنـاه) . وأيّده في ذلـك الرضي في شرح الكافيـة (٢ / ٢٢٣) فقـال (ومع التقليل في المضـارع) . وذهب أبو حيـان في شرح التسهيـل إلى أنهـا (للتـوقـع) فقال : (الذي تلقيناه من أفواه الشيوخ بالأندلس أنّ قد حرف تحقيق إذا دخلت على المـــاضي وحرف تـوقـع إذا دخلت على المستقبـل ، أي المضـارع) . واستحسن ابن هشـام (١ / ١٤٥) مقـالـة ابن مـالـك فقـال (والذي يظهر لي قول ثـالث وهو أنهـا لاتفيـد التوقع أصلاً) وقـال (ولم يتعرض ، أي ابن مالك ، للتوقع في الداخلـة على المضـارع البتـة ، وهـذا هو الحق) . وقال في موضع آخر (والمعنى الثـالث للتقليل وهو ضربـان ، لتقليل وقوع الفعل نحو قد يصدق الكـذوب وقـد يجود البخيل ، وتقليل متعلقه نحو قوله تعـالى : قـد يعلم مـا أنتم عليـه ، أي مـاهم عليـه هو أقل معلوماته سبحانه) .

وقد ذكروا من معانيهـا مع المضـارع (التكثير) أيضـاً . قـال ابن هشـام (١ / ١٤٦) (الرابع التكثير ، قالـه سيبويـه في قول الهـذلي : قـد أترك القرن مصفراً أنامله . . وقالـه الزمخشري في قولـه تعـالى : قـد نرى تقلّب وجهك ، أي ربما نرى ، ومعناه تكثير الرؤية) ، واثبته صاحب الهمع ثم استشهد بالبيت (٢ / ٧٣) .

المعنى المقدّر لما تؤدّيه (قد) مع المضارع عامة

وعندي أن (قد) مع المضارع ، إنما هي للشـك أو الاحتمال عـامـة . أمـا الـدلالـة على التقليل أو التـوقـع أو التكثير فمردّه إلى القرينـة . وإذا كان

كثير من النحاة لم يبرزوا معنى (الاحتمال) فقد قاله بعض الأئمة وأوضحه الاستعمال وجلاّه . فانظر إلى قول صاحب المفردات . (وقد حرف يختص بالفعل . والنحويون يقولون هو للتوقع . وحقيقته أنه إذا دخل على فعل ماض فإنما يدخل على كل فعل متجدد . . وإذا دخل قد على المستقبل من الفعل فذلك الفعل يكون في حالة دون حالة ، نحو قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ـ النور / ٦٣ ـ ، أي قد يتسللون أحيانا فيما يعلم الله) . ومؤدّى قوله هذا أن (قد) إذا دخلت على المستقبل فإنها تفيد وقوع الفعل في حالة دون حالة ، أي وقوعه أحيانا . وهذا يعني أنها تفيد احتمال وقوعه ، لأن وقوع الحدث إذا ترتب على حالة فإنه لا يتحقق إلا بتحقق هذه الحالة ، أي أنه قد يقع وقد لايقع . وذكر الأصبهاني أن تقدير قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا : هو يعلم الله الذين قد يتسللون . وأن هذا معناه أنهم يتسللون أحيانا ، لأن احتمال (قد) إنما هو لـ (يتسللون) لا لـ (يعلم) .

هذا وإن ما ذُكر من شواهد (قد) لإفادة التقليل ، لايخرج تأويله عن الاحتمال في الأصل ، وإنما دلّ على التقليل فيه ، سياق العبارة . فقد مثّل النحاة لمعنى التقليل في (قد) بقولهم (قد يصدق الكذوب وقد يجود البخيل) .وإذا كان قد قيل إن المراد به هو التقليل فمرد ذلك إلى فحوى العبارة . فالأصل في (الكذوب) ألاّ يصدق ، وفي (البخيل) ألاّ يجود قال صاحب المغني (١ / ١٤٦) : (وزعم بعضهم . . . أن التقليل في المثالين الأوّلين لم يُستفد من قد بل من قولك البخيل يجود والكذوب يصدق ، فإنه إن لم يُحمل على أن صدور ذلك منهما قليل كان فاسداً ، إذ آخر الكلام يناقض أوله) . وأوضحه ابن هشام في (قواعد الإعراب) وشرحه صاحب (كاشف القناع) وصاحب (موصل الطلاب) .

ومثل ذلك قولك (قد يخطىء الطبيب وتصيب العجوز) ، ونحو منه (قد يضلّ العالم ويهتدي الجاهل) . ومعنى الأول أن علم الطبيب لايمنع من أن يُخطىء وجهل العجوز لايحول دون أن تصيب ، وكذلك الحال في الثاني .

ويقول الشاعر (قد يكثر المال والإنسان مفتقر) في مقابل قولك (قد يقلّ المال وتغنى النفس) . فالأصل أن يكون كثير المال هو الغنيّ ، وقليله هو الفقير . ولكن يحتمل العكس بل يصحّ إذا كان المعوّل على غنى النفس .

ولو قلت (السماء تمطر في بلدنا شتاءً ، وقد تمطر صيفاً) فُهم أن الأصل في المطر أن ينزل لدينا في الشتاء ، فإذا نزل صيفاً فهو قليل . وإذا قلت (قد يقدم فلان اليوم) وليس ثمة قرينة تنم على توقع قدومه أو ضعف احتماله ، كان مؤدّاه مجرّد الاحتمال ليس غير .

معنى قولهم (قد يكون هذا وقد لايكون)

إذا عدنا إلى قول أصحاب المنطق (قد يكون هذا وقد لا يكون) عرفنا أن الذي يعنونه به أن احتمال وقوع الأمر وعدم احتماله سواء ، ولا يبغون به توقعاً لهما أو تقليلاً . . ذلك أن توقع حدوث الأمر ينفي توقع عدم حدوثه فيتناقضان ولا يتسايران إلى غاية . وكذلك الحال في تقليل حدوثه فإنه يمنع تقليل عدم حدوثه فيتدافعان ولا يتجاريان في حلبة . وإذاصح أن (قد) هاهنا لاتتسع لتوقع أو تقليل ، وإنما تعني الاحتمال ، فقد يرد على قولنا أن احتمال الحدوث يعني احتمال عدمه بطبيعة الحال فيُغني الأول عن الثاني ، كما قال الدكتور عبد الرزاق محي الدين عضو المجمع العراقي في صدر بحث المسألة في مؤتمر المجامع للدورة

السابعة والثلاثين من عام ١٩٧١ ، إذ قال : (قد يكون ، يؤدي معنى قد لا يكون ، ومن ثم لاحاجة بنا لإقرار التعبير الثاني . . لأنه لا فائدة منه ولا ضرورة له) . أقول إنّ إقتضاء احتمال الحدوث لاحتمال عدم الحدوث لايلزم منه الاستغناء بذكر الأول عن ذكر الآخر لأن القصد من جمعهما إفادة التسوية بين الاحتمالين ، أي كون وقوع الأمر وعدم وقوعه في الاحتمال سواء .

ما قاله الأئمة في (ربما)

أنكر الأستاذ العوامري (قد لا يكون) وأقر مكانه (ربما لا يكون) ، فهل يصح قولك (ربما يكون هذا وربما لا يكون) ؟ قال صاحب الهمع (٢ / ٢٥) في كلامه على ربّ) : (وفي مفادها أقوال : أحدها أنها للتقليل دائماً وهو قول الأكثر ، وثانيها أنها للتكثير دائماً وعليه صاحب العين . . وثالثها وهو المختار عندي . . . أنها للتقليل غالباً والتكثير نادراً . . . ورابعها عكسه . . واختاره ابن هشام في المغني ، وخامسها موضوعة لهما من غير غلبة في أحدهما . . وسادسها لم توضع لواحد منهما بل هي حرف إثبات لايدل على تكثير ولا تقليل ، وإنما يُفهم ذلك من خارج واختاره أبو حيان . .) .

المعنى المقدّر لماتؤدّيه (ربما)

الذي عندي أن الرأي الأخير الذي عليه أبو حيّان هو الأصل . وقد أفرده الحسن بن قاسم المرادي في (الجنى الداني / ٤٤٠) فقال : (السادس : حرف إثبات لم يوضع لتقليل أو تكثير ، بل ذلك مستفاد من السياق) . وهو رأي أبي حيان . على أن المرادي قد بسط الآراء في (رب) ثم انتهى إلى الأخذ بقول من قال إنها للتقليل . وقد احتج فيما

احتج به بأنها جاءت في مواضع لاتحتمل إلاّ التقليل . ومثّل لذلك بقول الشاعر :

ألا رُبّ مولودٍ وليس له أبٌ ... وذي وَلَدٍ لم يَلْدَه أبَوانِ

وقد قصد الشاعر بالأول عيسى عليه السلام ، وبالثاني آدم عليه السلام . ويتجه لي أن قول المرادي إن (رب) هاهنا في موضع لايحتمل إلا التقليل لاينفي القول بأنها لمجرد (الاحتمال) ، وإنما يفهم التقليل من السياق ، كما قال أبو حيان . ذلك أن التمثيل بعيسى وآدم عليهما السلام هو الذي أفاد التقليل .

ومن ثمّ أخذنا بقول القائل إنّ التقليل أو التكثير . . إنما يُفهم مع (قد) و (رب) من سياق الكلام ، ولابد لذلك من قرينة . ويقوّى ما ذهبنا إليه في (قد) و (رب) اختلاف الأئمة فيما تعنيه كل منهما بتشعب آرائهم في تفسير الشاهد . قال سيبويه في الكتاب (٢ / ٣٠٧) : (وتكون قد بمنزلة ربما ، قال الهذلي :

قد أترك القِرن مصفراً أنامله ... كأن أثوابه مُجّت بفرصاد

كأنه قال ربما) .

قال الشنتمري في شرح الشاهد (أراد أن قد هنا بمعنى ربما وأصلها توقع ما مضى فنقلت إلى توقع المستقبل في معنى ربما ، لأن فيها توقعاً) .

وجاء في المغني لابن هشام (١ / ١٤٦) : (الرابع - من معاني قد - التكثير قاله سيبويه في قول الهذلي : قد أترك القِرن مصفراً أنامله . .) . وجاء في الهمع (١ / ٨) : (أو قد التقليلية نحو قد أترك القرن مصفراً أنامله . بخلاف ما إذا لم تكن للتقليل) .

فقد رأيت كيف فسرت (قد) في كلام واحد بالتوقع كما قاله الشنتمري ، والتكثير كما ذكره ابن هشام حكاية عن سيبويه ، والتقليل كما ذهب إليه السيوطي . وما حكاه ابن هشام تبع لفهم ابن مالك من قول سيبويه : وتكون بمنزلة ربما . واعترضه أبو حيان قائلاً بل مراده بمنزلة ربما في التكثير ، ويدل عليه إنشاده هذا البيت لأن الإنسان إنما يفتخر بما يقع منه كثيراً . .

ومن ثمّ كانت القرينة هي المعوّل فيما يوحي به سياق الكلام من تقليل أو تكثير . . وأنظر إلى ما جاء عن الليث في التهذيب للإمام الأزهري (٨ / ٢٦٧) : (قال : يعني الليث ، وتكون قد في موضع تشبه ربما وعندها تميل قد إلى الشك . وذلك إن كانت مع الياء والتاء والنون والألف في الفعل كقولك قد يكون الذي تقول) . وهذا يعني أن (قد) إذا كانت مع الياء والتاء . . أي مع المضارع افادت (الشك) كما تفيده (ربما) وذلك نحو قولك (قد يكون الذي تقول) . والشك في العبارة آت من أن الذي تقوله غير متحقق الوقوع ، يحتمل هذا كما يحتمل عدمه .

(ربما) تدخل على مضارع مثبت ولا تدخل على منفي

اتفقت كلمة النحاة على دخول (ربما) على الماضي . وقال كثيرون بدخولها على المضارع بلا تأويل ، ومنهم أبو علي الفارسي . قال الرضيّ في شرح الكافية (٢ / ٣٣٣) : (والمشهور جواز دخول ربما على المضارع بلا تأويل كما ذكره أبو علي في غير الإيضاح . . . وجوز أبو علي في غير الإيضاح . . وقوع الحال والاستقبال بعد ربما وهو الأظهر فلا يحتاج في الآية والشعر المذكورين إلى تأويل) . وعلى ذلك ابن مالك ففي الهمع (٢ / ٢٨) : (وقيل يأتي مستقبلاً أيضاً قاله ابن مالك كقوله تعالى :

ربما يود الذين كفروا ـ الآية ـ وقول هند أم معاوية : يارُبّ قائلة غداً) . وعليه ابن هشام ، ففي المغني (١ / ١١٨) : (ومن دخولها على الفعل المستقبل قوله تعالى : ربما يودّ الذين كفروا ، وقيل هو مؤول بالماضي على حدّ قوله : ونفخ في الصور . وفيه تكلّف لاقتضائه أن الفعل المستقبل عُبِّر به عن ماض متجوز به عن المستقبل . والدليل على صحة استقبال ما بعدها :قوله :

فإن أهلك فربّ فتى سيبكي علّيّ مهذب رخص البنان

وقوله : يارب قائلة غداً . .) . قال أبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٤٤٤) حول تفسير قوله تعالى (ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ـ الحجر / ٢) : (وقول أبي عبد الله الرازي أنهم اتفقوا على أن كلمة ربما مختصة بالدخول على الماضي لايصح ، وعلى هذا لا يكون يود محتاجاً إلى تأويل) .

ولكن إذا قلت (ربما يكون) في الإثبات فهل تقول (ربما لا يكون) في السلب ؟ أرى أن ذلك ممتنع فقد قال صاحب الهمع كما رأيت (بل هو حرف إثبات) . وقد أثبته المرادي (٤٤٠) كما رأيت ولو قال إنها للتقليل . وقال الجوهري في الصحاح (قال ابن السراج النحويون كالمجمعين على أن رب جواب) وفصّل الرضي (٢ / ٣٢٩) : (قال ابن السراج النحاة كالمجمعين على أن رب جواب لكلام إما ظاهر أو مقدّر . فهي في الأصل موضوعة لجواب فعل ماض منفي ، فلهذا لايجوزون رب رجل كريم أضرب ، بل ضربتُ . وإنما كان محذوفاً في الغالب لدلالة الكلام السابق عليه) . وتفسير قول النحاة إن (رب) جواب لفعل ماضٍ أنك تقول (ما قدم الغائب) بنفي قدومه ، فيجيب آخر (ربما

قدم) بالإثبات . وليس له أن يقول (ربما لم يقدم) بالنفي لأنه يكون لغواً .

وله أن يدخل (ربما) على المضارع الصريح فيقول (ربما يقدم) ولكن في الإثبات أيضاً دون السلب كما ذكرناه .

ربّ حرف إثبات يتصدر جملة إنشائية غير طلبية

وقد عرض الأستاذ عطية محمد الصوالحي في الجزء الثامن عشر من مجلة مجمع اللغة العربية القاهري لـ (قد) و (رب) ، فأنكر (قد لايجيء) كما أنكره أستاذه العوامري ، وأبى (ربما لايجيء) كما أبيناه . واعتمد ماجاء في شرح الكافية للرضي (٢ / ٣٢٩) فقال : (إذن يتعين أن تجري تلك العبارة ونظائرها على النحو الآتي : ماجاء محمد ، ربما يجيء ، دون عطف لاختلاف الجملة خبراً وإنشاء ، أو لشبه كال الاتصال) . واستند في منع (ربما لايجيء) إلى ما ورد في تقرير الأنبابي على السعد (٣ / ١٠٠) من أنّ رب إنما وضعت لإنشاء التقليل . وما جاء في حاشية العطار على نتائج الأفكار (١٢٦) وفي شرح الكافية للجامي في تأييده . وقال (ومما تقدم نجزم بأن مدخول رب يصير إلى إنشاء غير طلبي . . وهذا النوع من الإنشاء يأبى أن ينفى لأن النفي يجعله خبراً من الأخبار السلبية التي من شأنها ألاّ تقبل تقليلاً ولا تكثيراً) وأردف : (وإنما لم يشترط النحاة الإثبات في مدخولها لاعتمادهم على أن طرف الإنشاء فيه كافٍ في حمايته من النفي . حتى على رأي من يقول إنه من الخبر الذي أُعطي حكم الإنشاء في وجوب تصدّره وامتناع وقوعه نعتاً أو حالاً ، وفي غير ذلك من أحكام التركيب الإنشائية) .

أقول قد رأيت أن الحسن المرادي قد ذكر قول من قال بأن رب حرف

إثبات . . وأن صاحب الهمع قد أشار إلى ذلك ونسبه إلى أبي حيان . . وقد اعتمدنا ذلك في ردّ قول القائل (ربما لايجيء) كما ردّه الصوالحي نفسه ، ولم يسمع عن العرب أنهم أدخلوا (رب) على منفي أو يُحك ذلك في شيء من كلام الأئمة خلافا لـ (قد) كما سنراه . وقد ظفرت بعد طول بحث وتنقير بجملة قالها ابن فارس في الصاحبي فأدخل بها (ربّما) على مضارع منفي في باب الاستخبار إذ قال (. . لأنك تستخبر فتجاب بشيء ، فربما فهمته وربما لم تفهمه / ١٥١) ، ولا يثبت هذا على نقد في مقابلة يقين جازم في مورد النص .

هذا وقد أراد الصوالحي بكلامه الذي تقدّم أن كل جملة تصدرتها (رب) فهي جملة إنشائية لا خبرية وأن إنشاءها غير طلبي كأفعال المقاربة والمدح والذم . . وأن النحاة لم يشترطوا في مدخول ـ رب ـ الإثبات لاعتمادهم على مافيه من طرف الإنشاء الذي يحميه من النفي أو ما فيه من الخبر الذي أُعطي حكم الإنشاء في تصدّره وامتناع وقوعه نعتاً أو حالاً ، وقد بنى على ذلك امتناع عطف قولك (ربما لايجيء) على قولك (ما جاء محمد) لامتناع عطف الإنشاء على الخبر . أقول إن ذهاب الأستاذ إلى أن كل جملة تصدّرتها (رب) فهي دالة على إنشاء غير طلبي ظاهر الاستقامة لا ريب في صحته . وقد جاء في (عقد الجمان في علم البيان) لليازجي (واعلم أن من قبيل هذا الضرب ـ ما يراد به الإنشاء ولا معنى فيه للطلب ـ كل ما دلّ على إنشاء معنى في الكلام كأفعال المقاربة والمدح والذم وحروف القسم ورُبّ وكم الخبرية ، وماجرى هذا المجرى) . وقد رأيت أن المعنى الذي تنشئه (رب) هو احتمال وقوع الأمر ، أو الشك في وقوعه . ولكن بيت القصيد هنا هل يوجب حال الجملة الإنشائية التي تصدرتها (رب) أن تقطع عن الخبرية فلا تعطف عليها ويكون بينهما

ما يوجب الفصل ككمال الانقطاع أو كال الاتصال أو شبه أحدهما ، كما يقول أصحاب البيان ؟

هل يمتنع العطف بين (ما جاء محمد) و (ربما يجيء) لسبب مما ذكرنا كما يقول الصوالحي ؟

أقول قد قصد أصحاب البيان بكمال الانقطاع أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء ولفظاً ومعنى ، وقصدوا بكمال الاتصال أن تقع الثانية تأكيداً للأولى أو بدلاً منها أو عطف بيان . وأرادوا بشبه كال الانقطاع أن يوهم عطف الثانية على الأولى بأنها معطوفة على غيرها . أما شبه كال الاتصال فذلك أن تقع الثانية جواباً عن سؤال افتضته الأولى ، وهو مارام الأستاذ أن يحمل عليه ما نحن فيه . وقد مثلوا لذلك بقوله تعالى (قالوا سلاماً ، قال سلام) أي فماذا قال جواباً لهم فقيل : قال سلام . ويُسمى هذا الفصل استئنافاً بيانيا .

على أن النحاة لم يجمعوا على موافقة أصحاب البيان فيما ذهبوا إليه ، لاسيما في عطف ما كان معناه الإنشاء وصيغته الخبر . بل أجاز بعضهم عطف الطلبية على الخبرية . قال صاحب الكليات (٤٠٦) : (في عطف الخبرية على الطلبية أو بالعكس خلاف ، قيل والصحيح الجواز ، ونسبه ابن عصفور إلى سيبويه ومذهب البيانيين المنع) .

وقد ذهب الإمام أحمد بن عبد النور المالقي في كتابه (رصف المباني / ٤١٣) إلى هذا فقال : (فإن عطف جملة على جملة لم يلزم التشريك في اللفظ ولا في المعنى . ولكن في الكلام خاصة ليُعلم أن الكلامين فأكثر في زمان واحد أو في قصد واحد . فلذلك جاز أن يعطف بها إذ ذاك جملة خبرية على مثلها ، وعلى طلبية ، وجملة طلبية على مثلها

وعلى خبرية . وحُكي من كلام البديع : ظفرنا بصيد وحيّاك الله أبا زيد ـ المقامة البغدادية) ولسنا نذهب مع الإطلاق ، لكننا نؤكد أن الجملة التي تتصدرها (رب) تقع موقع جملة خبرية فتأتي خبراً ولو لم ترد نعتاً أو حالا ، فتقول (إنه ربما زارني) أو (إنه ربما يزورني) . وتعطف على جملة خبريّة فتقول (قدم فلان وربما أقبل علي يعودني) .

فمن الأوّل ، أي وقوع جملة رب موقع جملة خبرية ، ما جاء في نهج البلاغة (٣ / ٧٦) . قال عليه السلام : (فإنه رب طلب قد جرّ إلى حرب) . وقال (٣ / ١١٧) : (فإن العدو ربما قارب ليتغفّل فخذ بالحزم) . ومنه ما جاء في كليلة ودمنة . قال ابن المقفع في باب الحمامة المطوقة (١٥٢) : (فإنه ربما قتل الأسد الفيل ، والفيل الأسد) . وقال في باب الأسد والثور (١٢٥) : (وإن الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ، ثم قرّبه وأدناه) .

ولا يخفى أن النحاة لم يمنعوا أن تكون الجملة الإنشائية خبراً ، إذا استثنينا جماعة من الكوفيين ، كما ذكره ابن هشام في المغني (٢ / ٥٨) ـ واختلفوا فحمل ذلك بعضهم على تأويل وجعله آخرون بلا تأويل . وإذا كانت الجملة الإنشائية في قوله عليه السلام (فإنه رب طلب قد جرّ إلى حرب) قد أتت خبراً لضمير الشأن مفسّرة له ، فإنه النحاة قد استثنوا من الجملة التفسيرية التي لامحل لها من الإعراب ما كانت مفسّرة لضمير الشأن لأنها كاشفة لحقيقة المعنى المراد به ولها موضع من الإعراب بالإجماع ، وهو هنا الخبر ، على ما جاء في المغني (٢ / ٥٦) وفي حاشية العطار على الأزهرية (١٨٤) .

ومن الثاني وهو عطف جملة (رب) الإنشائية ، ما جاء في نهج البلاغة

أيضاً . قال عليه السلام (٣ / ٥٤) : (فإنّ العطيّة على قدر النية ، وربما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل) . وما جاء في كليلة ودمنة ، قال ابن المقفع في باب الأسد والثور (٧٨) : (خَرِب وسال ونزّ من نواحٍ كثيرة ، وربما انبثق . . فذهب الماء ضياعا) .

وإذن فأنت تقول مثلاً (توفي خالد وربما بيعت داره) فتعطف جملة (ربما) . لكنك تقول (توفي خالد رحمه الله) فلا تعطف جملة (رحمه) الإنشائية لأن من حقها أن تكون مستأنفة ، ولا تجعلها حالاً لأن الإنشائية لاتكون كذلك . فإذا ذهبت إلى ما ذهب إليه النحاة من أن (فلاناً) نكرة محضة فقلت (توفي فلان رحمه الله) لم يجزلك أن تعطف (رحمه الله) أيضاً أو تضعها موضع الوصف . وإنما تكون مستأنفة . قال الشيخ حسن العطار في شرح الأزهرية (١٨٤) : (ونحو مات فلان رحمه الله ، فجملة رحمه الله وقعت بعد نكرة محضة وليست صفة لها لانقطاعها فهي مستأنفة) .

وكما تعطف جملة (رب) على الخبر فإنك تعطف عليها الخبر أيضاً . تقول (ربما قدم فلان فزارنا) . فانظر إلى قول ابن المقفع في باب الأسد والثور (١٢٥) : (وان الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ثم قرّبه وأدناه ، وربما أحبّ الرجل وعزّ عليه فأقصاه وأهلكه) .

لكنك إذا قلت (رحم الله فلاناً) فإنك لاتعطف عليه خبراً . إذ لايستقيم قولك (رحم الله فلانا وخلّف اللوعة والأسى) . وإنما تدخل الفاء وتجعلها للسببية المحضة فتقول : (رحم الله فلاناً فإنه خلف اللوعة والأسى) أو تقول على الاستئناف (رحم الله فلاناً ، إنه خلف اللوعة والأسى) .

ومن ثم عمد المانعون لعطف الإنشاء الطلبي على الخبر وعكسه إلى التأويل ، فأوجبوا في مثل قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر) أن تكون الفاء فيه للسببية كما فعل ابن هشام في المغني (١ / ١٤٠) . إذ قال : (ويجب عندي أن على ذلك ـ أي السببية المحضة ـ مثل إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر ، ونحوائتني فإني أكرمك . إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر ولا العكس) . ومن جعل (الفاء) في الآية للعطف فقد قدر فيها معنى السببية أيضاً . قال الشيخ حسن العطار في حاشيته على الأزهرية (١٨٩) : (قوله . فصلّ الفاء عاطفة ولا يضرّ كونه من عطف الإنشاء على الخبر لأن النحاة يجيزونه ، والفاء مع العطف مفيدة أيضاً السببية ، لأن الإنعام مسبب للشكر) .

المانعون لِـ (قد لا يكون) أحلوا محلّه (قل أن يكون) فهل أصابوا ؟

عاد الأستاذ الشيخ الصوالحي إلى بحث (قد) وما تدخل عليه ، في مجلة مجمع اللغة العربية القاهري لمؤتمر الدورة السابعة والثلاثين عام ١٩٧١ ، فخلص في بحثه إلى القطع بخطأ قول القائل (قد لا يكون) وأحلّ محلها (قل أن يكون) . وعندي أنه لايصح أن تعتاض من (قد يكون وقد لا يكون) قولك (قد يكون وقل أن يكون) ، ذلك أن المعنى المراد بالقول الأول هو أن احتمال وقوع الأمر كاحتمال عدم وقوعه . أما (قل أن يكون) فهو بين معنيين الأول نفي وقوع الأمر والثاني تقليل وقوعه ، كما جاء في الكليات (٢٩٢) . ففي الخصائص (١ / ٥١٦) : (وعلى ذلك قالت العرب قلّ رجل يقول ذلك إلاّ زيدٌ بالرفع لأنهم أجروه مجرى ما يقول ذاك أحد إلا زيدٌ . وعلى نحو من هذا قالوا : قلما

يقوم زيد . .) . ومثل ذلك ما جاء في المفردات للأصبهاني . وقد خَرّج على النفي قول الضبيّ (وقلّ غناءً عنك مالٌ جمعته) وقول آخر (فقلت لها لاتنكريني فقلما : يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا) كما أوضحه المرزوقي في شرح الحماسة .

وفي أمالي المرتضي (١ / ٢٣١) : (وجرىمجرى قولهم لايُسرع إلى الخنا ، قلما رايت مثل ذلك ، إذا أرادوا به تأكيد نفي الخنا ، ونفي رؤية مثل المذكور) .

وفي النهاية (ومنه الحديث إنه كان يقل اللغو أي لايلغو أصلاً ، وهذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء) .

المانعون (قد لاأجيء) اعتاضوا منه (قد أغيب) فهل بلغوا الغاية

منع الأستاذ محمد العدناني في معجمه (الأخطاء الشائعة) دخول قد على المضارع المنفي فقال : (ويقولون قد لا أجيء والصواب قد أغيب أو قد أتغيب . لأن قد حرف يختص بالفعل المثبت . .) . ولم يزد الأستاذ العدناني على ما جاء به العوامري إذ جاء بالنص الذي أورده صاحب الهمع (٢ / ٧٥) في تعريف (قد) . على أن تصحيحه (قد لا أجيء) بقوله (قد أغيب) ليس هو الطريقة والمورد . ذلك أنه إذا استطعت أن تأتي بفعل (أغيب) لتناقض به (أجيء) فتساوي بين نفي الفعل وثبوت نقيضه ، فلا يسعك ذلك في موضع آخر . وإلاّ فهل يصحح (قد لا أحزن) مثلاً بقولك (قد أفرح) وأنت تعلم أن فرحك غير نفي الحزن عنك وإن احتواه . وليس ثبوت نقيض الفعل بمنزلة نفيه في كل وجه . فإذا قلت (قد لا أعيش مع أخي في هذه الدار) فما هو نقيض الفعل

الذي يُغنيك عن نفيه لو أتيت به مثبتاً ؟ كذلك لو قلت (قد لا أكتب هذه الرسالة) و (قد لا أقرأ هذا الكتاب) فكيف يصحح بإثبات نقيضه ؟ وما نقيض الكتابة والقراءة ؟

وقال الأستاذ محمد على النجار في كتابه (اللغويات) : (فليس يصحّ أن يقال قد لا أعلم هذا الأمر ، وإنما تقول قد أجهله ، أو ربما لا أعلمه) ، وقد رأيت أن (ربما) لاتدخل على نفي وأن قولك قد أجهله مكان قد لا أعلمه ، ليس هو النهج والوسيلة .

دليل صحة (قد لا يكون) عند بعضهم استعمال الأئمة

وممن قال بصحة دخول (قد) على المضارع المنفي في الردّ على العوامري أستاذ جليل ، كما جاء في العدد الثامن من مجلة الرسالة القاهرية لعام ١٩٥١ . قال الأستاذ ، وهو الأديب اللغوي ، اسعاف النشاشيبي (على ما أقدر) : (إذا كانت كتب النحو قد نصّت على هذا المنع إلاّ بالقسم فإن الأئمة قد جمعوا ـ قد ـ إلى لا ، في كتاباتهم كالشافعي وصاحب لسان العرب وابن جني في الخصائص ، والزمخشري في الأنموذج في النحو ، والعكبري في إعراب القرآن ، وأبي هلال العسكري في الفروق ، وابن هشام في شذور الذهب ، وأبي حيان التوحيدي في المقابسات ، والرازي في مفاتيح الغيب ، والخطيب القزويني في الإيضاح ، والشاطبي في الموافقات) فحجة الأستاذ النشاشيبي أن الأئمة قد أدخلوا ـ قد ـ على المضارع المنفي في استعمالهم ، ولو أنهم منعوه في نصّهم وتقريرهم .

وحقيقة الأمر أني لا أكاد أعرف إماماً من أئمة اللغة إلا استعمله ودرج عليه في كتابته . فانظر إلى ما جاء في اللسان من كلام الخليل نفسه ـ في مادة بت ـ (قال الخليل بن أحمد الأمور على ثلاثة أنحاء يعني

على ثلاثة أوجه : شيء يكون البتة وشيء لا يكون البتة ، وشيء قد يكون وقد لا يكون البتة . .) ثم قوله (وأما شيء قد يكون وقد لا يكون فمثل قد يمرض وقد يصحّ . .) .

وقد رأيته في كليلة ودمنة (باب الحمامة المطوقة) ، قال ابن المقفع (قد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم قدراً) وورد من ذلك في الخصائص (١ / ١٩) والمحتسب (١ / ١٥٥) لابن جني ، وجاء به في غير موضع . وفي شرح الحماسة للمرزوقي (٥٧) وردده غير مرة . وفي المصباح (مادة بلى) وهكذا . . .

دليل صحة (قد لا يكون) عند آخرين استعمال العرب

وممن ذهب إلى صحة القول (قد لا يكون) الأستاذ عباس حسن عضو المجمع القاهري ، غفر الله له ، إذ قال في مجلة المجمع لمؤتمر الدورة السابعة والثلاثين : (أمامنا نصوص عربية من أمثال وغيرها ، يجب أن نعتمد عليها . من ذلك المَثَل : وقد لا يقاد بي الجمل . وقول أنس بن نواس : وقد لاتعدم الحسناء ذاما ، وقول النمر بن تولب : قد لايعولك أن تصرما . ومثل ذلك كثير في نثر الجاهليين والمخضرمين وشعرهم) .

فالأستاذ قد عوّل في صحة دخول ـ قد ـ على المضارع المنفي ، على السماع ولم يلتمس وجه صحته في نصٍ من النصوص النحوية أو يحاول التوفيق بين مانصوا عليه في حظره وما طاعت به ألسنتهم في إباحته فقال (فلو فرضنا أن النحاة أو غيرهم منعوا ـ قد لا يكون ـ فلأنهم لم يطلعوا على تلك الشواهد . ولو اطلعوا عليها وقالوا بالمنع مع ذلك ، لجاز لنا أن نخالفهم في قوة وجرأة . وقد قيل إن الأمثال لايقاس عليها ، وهي مسألة خطيرة لم يقلها صاحب الفصيح . .) ثم أردف (وقد استأنست في

مذكرتي بقول ابن مالك : والمصروف قد لاينصرف ، والمناطقة في القرن الثاني الهجري : القضية الموجبة سورها قد يكون وقد لايكون . وأنا أسأل كيف نمنع هذا التعبير مع كل هذه الأدلة ؟) .

وواقع الأمر أن أصحاب المنطق قد تكلموا بهذا فعلاً ، كما ذكرناه قبلاً وحاولنا تبيين المراد به ففي باب علم المنطق من كتاب القطوف الدانية للشيخ محمد أمين السفرجلاني (٢٧٣) : (إن سور الموجبة الجزئية المتصلة والمنفصلة : قد يكون ، وإن سور السالبة الجزئية المتصلة والمنفصلة : قد لا يكون) .

المانعون لـ (قد لا يكون) يفندون ما سمع منه عن العرب

حاول الشيخ الصوالحي تفنيد ما استظهر به الأستاذ عباس حسن من الشعر والمثل ، على صحة دعواه قال الشيخ : (وفي هذه النصوص نظر . أما المثل فقد جاء في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري / ١١٧ / حاشية مجمع الأمثال / ونصّه : قولهم قد لايقاد بي الجمل ، يُضرب للرجل يسنّ ويضعف فيتهاون به أهله . . معناه قد صرت لايقاد بي الجمل) ، وأردف (ويلاحظ من شرح أبي هلال لهذا المثل بقوله : معناه قد صرت لايقاد . . أن في المثل حذفاً ، وأن قد داخلة على فعل مقدّر مثبت ، لأن الأمثال : استجيز من الحذف ومضارعِ ضروراتِ الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر الكلام ، قاله المرزوقي في الفصيح) .

أقول الصحيح ما ذكره أبو علي المرزوقي من أن الأمثال يباح فيها ما لا يباح في سائر الكلام ، وما قاله ابن جني (الأمثال تجري مجرى المنظوم في تحمل الضرورات) وقد استدل به الصوالحي أيضاً . لكن أبا هلال العسكري ، وهو صاحب التلخيص والصناعتين ، قد أورد المثل ولم ير فيه

موضعاً للقول أو محلاً للنقد ، ولو رأى فيه مباينة لوجه صواب لعرض له وكشف عنه ونبه عليه بأن قال : وقد كان الوجه أن يقال كذا لكنه ذهب مذهب المثل . أما قول أبي هلال في تفسير المثل وتبيين أصله فليس فيه ما يشير إلى تعقب أو تغليط .

وقال الشيخ الصوالحي : (ومما يؤكد أن في المثل برواية أبي هلال حذفاً ، روايةُ الميداني له سالماً من الحذف في مجمع الأمثال ـ ٢ / ٨٥ ـ لقد كنت لايقاد بي إليه) . أقول الذي يعنينا هنا ثبوت مجي المثل كما أورده أبو هلال العسكري ، وأن أحداً لم يعرض له بتخطئة أو تزييف . وقد أبى الشيخ الصوالحي أن يكون قول أنس المحاربي (وقد لاتعدم الحسناء ذاماً) سنداً لصحة نفي الفعل المضارع بعد (قد) ، فقال : (أما قوله : وقد لاتعدم الحسناء ذاماً فليس بحجة ، لأن ـ تعدم ـ معناه : لاتجد ، ونفي النفي إثبات ، فمعنى ـ لاتعدم ـ هو معنى تجد . وكأن الشاعر قال : قد تجد الحسناء ذاماً) وأردف : (وعلى هذا تكون ـ لا ـ جزءاً من الفعل ، فلا تعدّ فاصلة فليس في البيت مخالفة لأن ـ قد ـ فيه داخلة على فعل مثبت ، وهو بابها) .

ومحصول قول الشيخ أنك إذا قلت (قد لا أجهل) مثلاً على النفي ، فهو صحيح ، لا لجواز دخول ـ قد ـ على النفي ، بل لأنه بمعنى (قد أعلم) . فـ ـ قد ـ داخلة فيه على فعل مثبت وهو بابها . وإذا قلت (قد لا أغيب) فهو سائغ مقبول أيضاً ، أو ليس هو بمعنى (قد أحضر) ، وهكذا . . وكأن النحاة قد اشترطوا في حظر دخول ـ قد ـ على الفعل المنفي ألاّ يؤدي الفعل مؤدّى فعل مثبت يمكن أن يحل محلّه ويُغني مُغناه . بل كأن النحاة لم يوجبوا الإثبات للفعل نفسه ، بل لما يمكن أن يصير إليه معناه .

وما رأي الشيخ الصوالحي لو كان مدخول ـ قد ـ فعلاً ماضياً ، والنحاة قد أوجبوا فيه الإثبات بلا ريب ، أفكان يجيز معه قول القائل (قد ما جهلتُ) لأن معناه (قد علمتُ) ، أو يقرّ (قد ما عدمت) لأنه بمعنى (قد وجدت) ؟

ولا يخفى أن ما استظهر به الأستاذ عباس حسن من الشعر في تأييد صحة دخول ـ قد ـ على المضارع المنفي ، في النحو الوافي ومجلة المجمع القاهري ، وهو (قد لاتعدم الحسناء ذاما ، للأعشى ميمون أو قيس الجهني أو أنس المحاربي ، و ـ فقد لايعولك أن تصرما للنمر بن تولب) قد رواه غير إمام ولم يعبه عائب أو أنكره منكر .

هل في نصوص النحاة ما يشفع بدخول ـ قد ـ على المضارع المنفي أو يبيحه ؟

أقول لابدّ من تدبّر ما جاء في الأمّهات لالتماس وجه الصحة في دخول هذا الحرف على المضارع المنفي وإلاّ فكيف يتفق لهذه الكثرة الكاثرة من الأئمة أن تسكن إلى هذا الخطأ فيشيع في أقوالها ومنهم ابن المقفع والخليل بن أحمد وابن جني والزمخشري والمرزوقي وابن مالك وابن هشام والسيوطي . . ؟

يقول الأستاذ محمد علي النجار في كتابه (لغويات) : (وأعود إلى دخول قد على النفي فأقول إن الظاهر أنه لابأس به . . وترى سيبويه في الكتاب ـ ٢ / ٣٠٧ ـ يقول : وأما قد فجواب لقوله لّما يفعل ، فتقول : قد فعل . . وتكون قد بمنزلة ربما قال الهذلي : قد أترك القِرن . . كأنه قال ربما . .) ، ويردف النجار (وترى سيبويه يقرر أنها تستعمل بمنزلة ربما ولم نر من اشترط في ربما دخولها على المثبت) .

أقول قد مرّ بنا أن (ربما) لاتدخل على منفي ، وإذا كان سيبويه قد جعل (قد) بمنزلة (ربما) فذلك أنها تفيد معناها كما أوضحه الليث في حكاية الأزهري في تهذيبه وقد بسطنا القول فيه . لكن الأستاذ النجار قد نحا في الأمر نحواً آخر فقال (والتقيّد بالإثبات في المضارع إذا كان بعد قد لم أره لغير ابن هشام ومن استقفاه ، وإنما يذكرفيه التجرد من الناصب والجازم وحرف التنفيس) . وكأنه يعني أن النحاة قبل ابن هشام قد فصلوا في بحث (قد) بين دخولها على الماضي ودخولها على المضارع ، فلما ضُمّ المضارع إلى الماضي في كلام ابن هشام شمل شرط الإثبات بعد (قد) الفعلين جميعاً وهو لايتجاوز في الأصل الفعل الماضي ، فليس شرط المضارع إذن غير تجرده من الناصب والجازم وحرف التنفيس ، دون النفي . وعندي أن الرأي ما أشار به .

ما جاء في الكتاب حول (قد)

عرض سيبويه في الكتاب (١ / ٤٥٨) لـ (قد) ، في باب الحروف التي لايليها إلاّ الفعل ، وجعل من هذه الحروف (لما وسوف والسين وربما) فأوضح أن (قد) تلزم الفعل فلا يفصل بينها وبينه فاصل . ولا شك أنه أراد بذلك الماضي والمضارع جميعاً . ولكن ما الذي عناه بالفاصل ؟

أراد سيبويه بهذا الباب أن (قد) إنما تختص بالفعل فلا يليها سواه وهي تطلبه دون الاسم فهما متلازمتان لايحول بينهما اسم . ودليل ذلك أنه ذيّل الباب بأدوات تليها الأفعال والأسماء لكنها أولى بالفعل منها بالاسم كهل وكيف ومن ، من أدوات الاستفهام . كما أتبع الباب باب الحروف (التي يجوز أن يليها بعدها الأسماء ويجوز أن يليها بعدها الأفعال) ولم يشر بأنها أولى بأيّ من الفعل أو الاسم ، وقد مثّل لها بـ (لكن وإنما وكأنما

وإذ) فهذه قد يليها الاسم كما يليها الفعل خلافاً لـ (قد) فإنه لايليها غير الفعل .

وهكذا أوجب النص هاهنا دخول قد على الفعل دون الاسم ، ولم يوجب أن يكون الفعل مثبتاً ، ولا يشترط فيما يختص بالفعل ألاّ يحول بينه وبين الفعل نفي . فقد ذكر سيبويه مثلاً أن ما والكاف جعلتا بمنزلة حرف واحد فكان منهما (كما) التي صُيّرت للفعل ، كما صُيّرت للفعل ربما ، فقال رؤبة (لاتشتِمِ الناسَ كما لاتشتَمُ) أي لاتشتمِ الناس لعلك لاتشتم . فقوله (كما) صُيّرت للفعل ، لم يحل بينها وبين دخولها على النفي .

وعقب الشيخ حسن العطار على دخول (هل) على الفعل ، فذكر أن الأصل أن تختص به كما اختصت (قد) . لكن حملها على همزة الاستفهام أتاح دخولها على مثل قولك (هل زيد أخوك) . قال العطار (وحكمة اختصاص هل بالفعل أن أصلها بمعنى قد ، وقد مختصة بالفعل . فإن قلت إذا كانت في الأصل بمعنى قد فمقتضاه ألاّ تدخل على الجملة الاسمية التي طرفاها اسمان . . وأجيب بأنها لما تطفلت على همزة الاستفهام في إفادتها الاستفهام صحّ دخولها على ما ذكر كالهمزة) . لكن ذهاب سيبويه إلى أنها أولى بالفعل منها بالاسم امتنع معه قولك:(هل زيداً ضربت) بلا ضمير ، و (هل زيداً ضربته) بالضمير !

هذا وقد أعرب سيبويه في الكتاب ـ ١ / ٤٥٨) عن موضع (قد) في الاستعمال فذكر أن (قد) تأتي جواباً لاستفهام . فإذا قلت (أَفَعَلَ ؟) كان الجواب في الإثبات (قد فعل) وفي النفي (لما يفعل) . قال سيبويه : (ولما يفعل وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً . فمن ثمّ

أشبهت قد لمّا في أنها لايفصل بينها وبين الفعل) . فإذا لم يكن ثمة سؤال مذكور أو مقدّر قلت : فعل فلان إذا أثبتّ ولم يفعل إذا نفيت .

قال الشيخ الصوالحي بعد أن استظهر بكلام سيبويه (وخلاصة قول الخليل وسيبويه أن قد لاتُستَعمل إلاّ في طرف الإثبات لأنها لتقرير حدث الفعل وتحقيقه) . أقول هذا صحيح ولكن أي فعل قررته (قد) هاهنا وحققته ، أليس هو الفعل الماضي ؟

ويستبان بذلك أن في كلام سيبويه أمرين ، أولهما أن (قد) تختص بالفعل دون الاسم فلايليها سواه ، والثاني أنه يجاب بها عن سؤالٍ مذكور أو مقدر هو (أَفَعَلَ فلان) فتقولُ (قد فَعَل) في الإثبات و (لما يفعل) في النفي . فلا يفصل بين هذين الحرفين وفعليهما .

ما جاء في شرح المفصّل

قد أتى الصوالحي بكلام ابن يعيش في شرح المفصّل للزمخشري ، تفسيراً لما ذكره سيبويه (٨ / ١٤٧) . قال ابن يعيش (وذلك أن المخبر إذا أراد أن ينفي ، والمحدّثُ ينتظر الجواب ، قال : لما يفعل ، وجوابه في طرف الإثبات : قد فعل ، لأنه إيجاب لما نفاه) وابن يعيش كما ترى لم يزد على ما أوضحه سيبويه شيئاً .

ما جاء في القاموس

قال صاحب القاموس . (أما ـ قد ـ فإنها مختصة بالفعل المتصرّف الخبري المثبت) . فما الذي أراده الفيروزابادي بالفعل (الخبري المتصرف المثبت) ؟ أقول لاشك أن الفعل الخبري يشمل في الأصل الماضي

أن ـ قـد ـ لاتـدخـل على غير متصرّف كنعم وبئس وعسى وليس لأنها ليست بمعنى الماضي فيقرب معناها من الحال . قـال الرضي (٢ / ٣٨٨) : (ولا تدخل على الماضي غير المتصرف كنعم وبئس . . . لأنها ليست بمعنى الماضي حتى تقرّب معناهـا من الحـال) . فـدلّ هـذا على أنهم حين وصفوا فعل ـ قد ـ بالمتصرف عنوا الماضي خاصة . وقد أشار ابن هشام في كتـابـه (الإعراب عن قواعد الإعراب) إلى أن ـ قد ـ تقرب المـاضي من الحـال ، ولهذا تلزم مع الماضي الواقع حالاً فأضـاف الشـارح إلى ذلـك (المثبت) ، ومثل للمـاضي المثبت الواقع حـالاً بقولـه تعـالى (وقـد فصّـل لكم مـاحرّم عليكم) وقال (فهذه الجملة حالية) .

فـالكـلام إذن يتعلـق بـالمـاضي وحـده دون المضـارع . وأردف صـاحب القـاموس (المجرّد من جـازم ونـاصب وحرف تنفيس) فـأتى بمـا حقـه أن يشترط في المضـارع خـاصـة . فقـال الشـارح (وقـال شيخنـا هـذه ـ أي شروط التجرد و . . . ـ شرط دخولهـا على المضـارع) . وفصـل الرضي بين ما وضع شرطاً للماضي ومـا اتخـذ حـداً للمضـارع فقـال (ولا تـدخـل على الماضي غير المتصرف كنعم .) وأردف (وتدخل أيضـاً على المضـارع المجرّد من ناصب . .) . وواضح أن الوهم قد وقع من فهم عبارة القـاموس بضم ما عنوا به قيداً للماضي وما شرطوه قيداً للمضارع . فـانظر إلى مـا قـالـه الإمـام المرادي في الجنى الـداني (٢٥٤) ، وقـد ألف في النحـو وشرح غير كتاب فيه ، وله إعراب القرآن وتفسير القرآن ، وأخـذ بـذلـك ابن هشـام في مغنيه ، قال (وأما قـد الحرفيـة فحرف مختص بـالفعل ، وتـدخل على المـاضي بشرط أن يكـون متصرّفـاً وعلى المضـارع بشرط تجردّه من جـازم وناصب وحرف تنفيس) .

ما جاء في التسهيل لابن مالك ، وفي شرحه لأبي حيان

قال ابن مالك في التسهيل (٢٤٢ / ٢٤٣) : (وتكون ـ قد ـ حرفاً فتدخل على فعل ماض متوقع لايشبه الحرف لتقريبه من الحال ، أو على مضارع مجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس لتقليل معناه ، وعليهما للتحقيق ، ففصل بين شروط دخول ـ قد ـ على الماضي ، وشروط دخولها على المضارع كما فعل المرادي والرضي . فقوله (فتدخل على ماض متوقع لايشبه الحرف لتقريبه من الحال) يقتضي أن يكون مدخول ـ قد ـ فعلاً مثبتاً لتقريب وقوعه من الحال . وقوله (وعلى مضارع مجرّد . .) لايوجب أن يكون المضارع مثبتاً ، إذ ليس ثمة ما يدعو إليه . قال الدماميني في شرحه (فهي ثلاثة شروط وإن شئت فشرطان الرفع والتجرد من حرف التنفيس) . وذيل ابن مالك ما تقدّم من كلامه بقوله (ولا تفصل من أحدهما بغير قسم) فرأى الصوالحي في هذا نصاً يمنع الفصل بين ـ قد ـ ومدخولها بنفي أو سواه . وعندي أن النص قد أفاد بأن قد يختص بالفعل فهي تلزمه ولايحول بينهما الاسم ، وقد تحول جملة القسم .

وقد أشار الأستاذ النجار إلى ما انتحاه أبو حيان في شرح التسهيل وابن يعيش في شرح المفصل من التمثيل للفاصل بالاسم دون أداة النفي . قال أبو حيان (فإذا قلت قد ضربت زيداً أو قد أضرب زيداً فلا يجوز ، قد زيداً ضربت ولا قد زيداً أضرب) . وقال ابن يعيش (٨ / ١٤٨) : (إعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال ولا يحسن إيلاء الاسم إياه) . أقول ليس هذا بدعاً مما أوضحه سيبويه وجلاّه فلم يدع فيه موضعاً لخفاء أو مجالاً لريب كما بيناه . وقد تناول الأمر بالبحث والتبيين غير ناحٍ .

ففي الهمع (ومن ثم لا يفصل منه بشيء فيقبح أن يقال قد زيداً رأيت إلا بقسم) . أما القسم فإنه يحول بين قد والفعل ويكون في هذا الموضع جملة اعتراضية . قال الشيخ الأزهري في شرح قواعد الإعراب (الثالثة من الجمل غير المعربة ، المعترضة بين شيئين متلازمين فيقع بين الفعل وفاعله . . وبين قد والفعل نحو : أخالد قد والله أوطأت عشوة . .) . والنحاة يمثلون لحذف جواب القسم لنحو من هذا . ولكن هل يحول القسم بين قد والمضارع كما يحول بينه وبين الماضي فيقال : قد والله يأتي فلان . أقول يصح هذا إذا أريد بالقسم التأكيد لاحتمال الحدث الذي تفيده (قد) ، وأشار ابن مالك إلى جوازه حين قال (ولا تفصل من أحدهما بغير قسم) . على أن الكثير دخول القسم بين قد والماضي ، وعليه شواهد النحاة . فانظر إلى قول الشيخ ناصيف اليازجي : (غير أن قد أقلّ التصاقاً بالفعل لدلالتها على أمر خارجي فأجازوا الفصل بينها وبين الماضي بالقسم لمناسبته له في التقرير وعليه قول الشاعر : أخالد قد والله أوطأت عشوة . .) .

ما جاء في التصريح

ذكر صاحب التصريح أن (قد والسين وسوف) تدخلها الفاء في جواب الشرط فتكون أدوات إثبات ، وقد استدلّ الصوالحي بهذا أنه لانفي مع (قد) عامة .

أقول أما مع (السين وسوف) فلا خفاء في ذلك البتة فقد اشترطوا في جواب الشرط أن يؤثر فيه حرف الشرط معنى الاستقبال وإلاّ ربط بالفاء لتدلّ على كونه جواباً . ومن ثم اعتلّوا لدخول الفاء في الجواب المقرون بالسين أو سوف بأنه (متعيّن) للاستقبال فلا تؤثر فيه أداة

الشرط استقبالا . وأوضح الزمخشري في الكشاف أن (السين) إذا دخلت على فعل أفادت أنه واقع لامحالة ، وعليه التحقيق كما ذكره ابن هشام في مغنيه (١ / ١٢٠) . و (سوف) مرادفة للسين في هذا ، ومن ثمّ كانا للإثبات .

وكذلك (قد) فإنها كالسين وسوف في هذا الباب إذا تأكد بها وقوع الحدث كما تحقق لهما أنه واقع لامحالة . ولايكون ذلك مالم تدخل على الماضي في مثل قولك (قد قام زيد) كما مثّل لذلك صاحب التصريح نفسه . وإنما تقترن (قد) بالفاء في جواب الشرط (لأنها تجعل الماضي محقق المضيّ فلا يمكن صرفه إلى الاستقبال) كما قال اليازجي .

أما إذا دخلت على المضارع فليس اقترانها بالفاء ، وإن وجب ، لتأكّد وقوع الفعل فيقال إنها للإثبات بل لأنها (تفيد التقليل . . وهو من معاني الإنشاء فيشبه الأفعال الطلبية) كما أوضحه اليازجي ، ومن ثم لايمتنع معها النفي هاهنا كما امتنع معها في الماضي .

صحة قولك (قد لايقوم) في نصّ الإمام المالقي

قال الإمام أحمد بن عبد النور المالقي في (رصف المباني في شرح حروف المعاني ٣٩٢) : (إعلم أن - قد - حرف إخبار إلاّ أنها تلزم ابداً الفعل ماضياً أو مضارعاً . فتكون مع الماضي حرف تحقيق نحو قولك : قد قام زيد ، في تقدير جواب من قال : هل قام زيد أو لم يقم . فـ - قد - في تقدير الجواب حققت القيام . ومنه قوله تعالى : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها - المجادلة / ١ . . وتكون مع المضارع حرف توقع تارة وهو الكثير فيها كقولك : قد يقوم زيد ، في تقدير جواب من قال : هل يقوم زيد أو لايقوم . فإذا قلت في تقدير الجواب قد يقوم ، أدخلت

الاحتمال وتوقعت الوجود ، وإن نفيت فقلت : قد لايقوم ، توقعت العدم . .) . فقد رأيت كيف أتى المؤلف بمثال (قد لايقوم) ، ولم يمنعه هذا من أن يقول بعد ذلك (وهي - أي قد - مع الفعل مختصة به لازمة له ، تقوم مقام الجزء . فلإجل ذلك لايجوز الفصل بينها وبينه إلاّ في الضرورة :

فقــــد والله بَيَّنَ لي عنـــــائي   بــوشــــك فِراقهم صُرَد يصيــح)

ولم أر من نبه على مثل هذا النص . فقولك (قد لايكون) سائغ في طرائق العربية ، وليس سنده ماورد من أشباهه في قديم النثر والشعر وحده ، وما اطرد من أمثاله في كتب فحول الأئمة وحسب ، بل فيما شفّت عنه نصوصهم وأوضحه الإمام المالقي بصريح مثاله . وقد خلص مجمع اللغة العربية القاهري في مؤتمره العام إلى إقراره بعد طول حجاج ونقاش ، وعرضنا لكثير مما أدلي فيه من رأي أو نص بالنظر والتحقيق . ونحن نعتذر لأنفسنا مما أطلنا البحث فيه لنكون على يقين من درك الحق وثقة من إصابة الرأي فيما تشعبت مذاهب القول في قبوله وردّه . وعلى الله قصد السبيل .

دمشق الثالث من ربيع الآخر ١٤٠٢ والثامن والعشرين من كانون الثاني ١٩٨٢

صلاح الدين الزعبلاوي

امتياز علي خان العرشي
الباحث الهندي العظيم
(١٣٢٢ - ١٤٠١ هـ / ١٩٠٤ - ١٩٨١ م)

للدكتور مسعود الرحمن خان الندوي
الأستاذ المساعد للغة العربية المعاصرة
مركز الدراسات الآسيوية الغربية
جامعة عليكرة الاسلامية ، عليكرة ، الهند

برز العالم البحاثة ، الأديب المحقق ، الناقد المدقق ، اللغوي الحصيف ، المتخصص في « الغالبيات »[1] ، مدير مكتبة رضا الشهيرة بمدينة رامبور[2] ، في ميدان التحقيق والتدقيق ، والتنقيح والتهذيب ، والنقد والتقريظ ، بمؤلفاته العلمية ، ومصنفاته الأدبية في العلوم الاسلامية والأدبية واللغوية باللغات الأربع ، العربية والفارسية

---

(١) الدراسات المتصلة بالشاعر في اللغتين الأردوية والفارسية العظيم مرزا أسد الله خان غالب (١٢١٢ - ١٢٨٥ هـ / ١٧٩٧ - ١٨٦٩ م) .

(٢) كانت تسمى الى سنة ١٩٥٣ م المكتبة الحكومية رامبور ، أسسها النواب محمد سعيد خان حاكم إمارة رامبور (١٢٥٦ - ١٢٧١ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٥٥ م) ، فوظف الخطاطين لنسخ الكتب النادرة ، ثم أضاف إلى هذه الذخيرة العلمية ابنه النواب كلب علي خان (١٢٨١ - ١٣٠٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٨٨٧ م) كثيرا بنسخ الكتب وشرائها ، حتى ضاق بها المكان ، فنقلوها الى مكان أوسع ، كما بدأ العمل في إنشاء عمارة جديدة خاصة للمكتبة ، افتتحت أيام حفيده النواب =

والانكليزية والأردوية ، فترك وراءه ثروة علمية غزيرة ، غنية بالعلوم والمعارف ،والآداب واللغات تحتوي على آلاف آلاف الصفحات مابين سبعة وثلاثين كتابا ورسالة ، وست عشرة ومائة مقالة مطبوعة ، وثلاثين كتابا ورسالة وتسع مقالات غير مطبوعة .

وقف رحمه الله حياته لخدمة العلم بالتصنيف والتأليف ، ولادارة مكتبة رضا في رامبور بالتنظيم والترتيب الجديد المعاصر منذ شبابه ، فلم يلتفت الى غيرهما طوال حياته المديدة ، رغم ماسنحت له من فرص مادية وجدها لاتشبع طموحه ، وقدّم أسوة صالحة بحياته الذاتية

= حامد علي خان (١٣٠٦ ـ ١٣٤٩ هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٣٠ م) يوم ٣١ مارس سنة ١٨٩٢ ، وسميت على اسم آخر حكام امارة رامبور النواب رضا علي خان (١٣٤٩ ـ ١٣٨٥ هـ / ١٩٣٠ ـ ١٩٦٦ م) سنة ١٩٥٣ .

عين صاحبنا امتياز علي خان العرشي ناظماً لها يوم ٣١ يوليو ١٩٣٢ م ، فاشتهر أمرها في أيامه ، وبلغ صيتها جميع أنحاء المعمورة ، لما قام به من إصلاحات لازمة وفهرسة جديدة ، ونشر فهارس المخطوطات العربية وإعداد غيرها .

إن هذه المكتبة العظيمة الضخمة تضم بين جوانبها ثروة علمية غزيرة من المخطوطات النادرة البالغ عددها خمسة عشر ألف مخطوطة ، منها ستة آلاف في العربية ومثلها في الفارسية وألف وخمسمائة في الأردوية ، وألف في الهندية والسنسكريتية ، ومائة وخمسون في التاملية (لغة جنوب الهند) وخمسون في التركية والبشتو (لغة الأفغان) بالإضافة الى ثلاثمائة مخطوطة من مكتبة لوهارو التي نقلت الى مكتبة رضا برامبور سنة ١٩٥٧ م ويبلغ عدد المطبوعات في المكتبة نحو ثلاثين ألفاً وخمسمائة كتاب ، منها ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب من مكتبة لوهارو ، وأكثر هذه المطبوعات في الأردوية حيث يبلغ عددها نحو سبعة عشر الف كتاب .

المتواضعة ، ومثالا عاليا بأعمـالـه العلميـة ذات المستوى الرفيع في التـأليف والتحقيـق والاخراج والنشر لجيلـه ولمن بعـده من الأجيـال ، فـاعترف بخدماته المخلصـة الشرق والغرب والعرب والعجم ، وهو معتكف في زاويـة مكتبتـه يحقّـق ويـدقّـق ، يهـذّب وينقّـح ، يشرح ويحشّي المخطـوطـات القديمة ، ويخرجها وكأنها عقـد من الجمـان ، مرصوفـة بـانتظـام ، محفوفـة بالمعاني والبيان ، بدون ادعاءات كاذبـة أو دعـايـات مغرضـة اتفق عليهـا الماديون وغيرهم من أبناء عصره على حد سواء .

أسرته(٣)

ينتمي العرشي الى أسرة أفغانية عريقة من جهة والـديـه ، أمـا نسبـه من جهة أبيه ، فجدّه الأعلى رحم بـازخـان كان من أحفـاد مشرف خـان رئيس أسرة حـاجي خيل من فرع أكوزى المنتمي الى قبيلـة يـوسف زيء أشهر القبائل الأفغانية وأقواها . وكانت الأسرة المـذكورة تقطن في وسـط القرن الثامن عشر الميلادي مدينة صغيرة تسمى متابـازكي أو متـا بـاج كي

(٣) اعتمدنا أساساً في أحوال أسرته وحياته على ماجـاء في المقـابلـة الصحفية التي أجراهـا معـه أديب الأردويـة المعروف مـالـك رام بويجـة إعـداداً للمجلـد التـذكاري « نـذر عرشي » (جمع وترتيب مالك رام ومختار الدين أحمد) بمناسبـة عيـد ميلاده الواحـد والستين (٨ ديسمبر سنـة ١٩٦٥ م) ، والذي أهدي إليه من جانب مجلس نذر عرشي تحت رئـاسـة الـدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية في ذلك الوقت في مـارس سنـة ١٩٦٦ . وقـد وجـدنـا نسخـة من نص المقابلة المذكورة عند أكبر علي خـان عرشي (أكبر أبنـاء العرشي) فكان مصـدرنـا الأسـاسي في استقاء المعلومات إلى جانب ماكتب عنه في حياته وبعد وفـاتـه ومـا علمنـا عنـه من معـارفـه وأصحابه وخاصة ابنه المذكور .

الواقعة على حدود سوات وبنير في جنوب شرق أفغانستان[٤] ، وكان رئيسها يلقّب بـ « خان » أي الرئيس حسب التقاليد المحلية ، وقد غادر جد العرشي الأعلى بمقرب خان أفغانستان بعد خلاف بينه وبين أخيه الأكبر مشرف خان ، فقدم الهند ، وجمع قوته ،واستولى على بعض أطراف مدينة رامبور ، وعاش بعده أولاده وأحفاده فيها عيشة الأمراء والرؤساء كما يبدو .

جدّه أكبر علي خان المحدث : (١٢١٦ ـ١٣٠١هـ /١٨٠١ ـ١٨٨٣م)

وهو أول من اشتغل بالعلم في أسرة تتحلّى بالمفاخر العسكرية ، والرئاسة القبلية في أفغانستان والهند ، فدرس بادئ ذي بدء البشتو (لغة الأفغان) ثم الفارسية والعربية ، فبرع في الحديث والفقه والكلام والعلوم الدينية الأخرى ، واتخذ التدريس مهنة له .

كان رحمه الله ورعا تقيا ، متمسّكا بالكتاب والسنة ، متبعا للمذهب الحنفي في الفقه ، والطريقة القادرية في التصوف ، مؤيدا لدعوة السيد أحمد الشهيد[٥] رحمه الله (١٢٠١ ـ ١٢٤٦ هـ / ١٧٨٦ ـ ١٨٣١ م) للجهاد ضد الانكليز على المستوى السياسي ، وضد الجهل والبدع والخرافات على المستوى الديني والاجتماعي ، فاتّهم بـ « الوهابية » ، فوشي به عند حاكم الامارة ومنع من الكلام ، فاضطر الى مغادرة الامارة ، الى ان عرف الحاكم خطأه ، فأعاده مكرما معظّما ، وأحسن إليه .

---

(٤) تعرف هذه المنطقة حالياً بولاية الحدود الشمالية ـ الغربية في باكستان .

(٥) ترجمته في « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » لعبد الحي الحسني ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، المجلد ٧ ، الرقم ٥٠ ، الصفحات ٢٧ ـ ٣٢ .

عمّه جعفر علي خان المحدث : (١٢٥٠ ـ١٣٢٥هـ /١٨٣٤ ـ١٩٠٧م)

ورث علم أكبر علي خان وفضله ابنه جعفر علي خان ، عم صاحبنا العرشي ، فدرس على أبيه ، ثم تخرّج على شيوخ مدينة رامبور وأمروهه في العربية والعلوم الاسلامية ، واشتغل بتدريسها طوال حياته المديدة ، وعيّن في أواخر أيامه أستاذاً للحديث بالمدرسة العالية في رامبور ، وكان له بجانب التدريس نشاط ديني في اصلاح المسلمين مثل أبيه .

أبوه الطبيب مختار علي خان : (١٢٨٨ـ١٣٧١هـ/١٨٧١ـ١٩٥١م)

أما والد صاحبنا الطبيب (البيطري) مختار علي خان ، فقد كان أصغر أولاد أكبر علي خان الذي توفي ولم يتجاوز سن ابنه الصغير اثنتي عشرة سنة ، فلم يستطع مواصلة دراسته ، بل اشتغل في عسكر الامارة ، ثم ترك العسكر ، واشترك في تجارة الخيول مع أخيه نجف علي خان ، ثم عاد الى وظيفة عسكرية أخرى في كتيبة الرماح ، ثم درس بكلية الطب البيطري في لاهور سنة ١٨٩٩ م على نفقة الحكومة ، نجح فيها بامتياز ، فعاد الى وظيفته ، ثم تنقل في الوظائف العديدة ، آخرها وظيفة « منصرم » (مدير) للاسطبل الحكومي من يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩١٣ م .

وكان ذكيا ، يحّن للعلم والمعرفة ، ولكن ظروف الوظائف وقفت في طريقه ، ومع ذلك اكتسب معرفة اللغتين العربية والفارسية في سنّ متقدمة بالاجتهاد الشخصي ، وكان يحب الشعر ويتذوّقه ، بل يقرضه ، ولكن شعره لم يخل من العيوب لعدم المامه بفنه . و على الرغم من أنه تزوج عدة مزات ، وولد له أولاد ، لم يعش منهم الا ولدان فقط ،

أكبرهما صاحبنا العرشي من زوجته الأولى شميم بيكَم ، والآخر أمانت علي خان من زوجة أخرى . هاجر الى باكستان سنة ١٩٤٨ م ، واشتغل هناك بالزراعة .

أما نسبه من جهة أمه ، فانه كان أيضا ينتمي إلى أسرة أفغانية تميّزت بالصلاح والتقوى دون المفاخر العسكرية على التقاليد الأفغانية على مايبدو . فقد انحدرت امه من أسرة صوفية لمحمد خيل من باجوري ، قدم من أفرادها أولا أخوان الى رامبور أيام النواب فيض الله خان (١١٨١ ـ ١٢٠٨ هـ / ١٧٦٧ ـ ١٧٩٣ م) ، أحدهما ملاّ نسيم آخون الذي كان يحترمه أمراء الدولة ومتصوفوها ويزورونه في بيته ، وثانيهما ملاّ نعيم آخون ، وقد كان له ابن يسمّى غلام صفدر علي خان الذي كان عالم اللغة الفارسية وآدابها ، وكان بطبيعته أقرب الى المتصوفة ، فلم يشتغل في الوظائف الحكومية ، بل قضى حياته صابرا شاكرا على ماكان يدرّ به أملاك أسرته من دخل ، وكان له ابن يسمّى غلام قادر خان ، وهو جدّ صاحبنا العرشي من جهة أمه .

جده لأمه غلام قادر خان : (المتوفى سنة١٣٢٤هـ /١٩٠٦م)

كان يلّم باللغة العربية الى جانب معرفته الواسعة للغة الفارسية وآدابها ، وقدخلف أولادا نعرف منهم اسم أصغر أولاده المولوي أحمد جان خان ، الى جانب شميم بيكَم التي كانت تكبره في السن جدا .

خاله أحمد جان خان المحامي : (المتوفى سنة١٣٨٣هـ /١٩٦٣ م)

كان محاميا ممتازا في المحكمة المدنية لامارة رامبور ، ولم يكن له أولاد ، فكان يحب صاحبنا العرشي ، وأكبر أولاده أكبر علي خان عرشي

زاده حبا جما ، ووقف جميع ممتلكاته لها قبل وفاته ، توفي يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٦٣ م / أول رجب سنة ١٣٨٣ هـ .

أمه شميم بيكَم المعروفة بچهمّى بيكَم : (١٣٠٣ - ١٣٢٥ هـ / ١٨٨٥ - ١٩٠٧ م)

كانت ذكية ، حسنة الطبع ، مطيعة لزوجها ، ولدت له بنتا وولدين ، ولكن عاش من أولادها أوسطهم فقط ، وهو صاحبنا العرشي ، ولم تطل بها الحياة بعد وفاة ابيها فتوفّيت بالطاعون سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م في الثانية والعشرين من عمرها ، وكان العرشي حين وفاتها ابن سنتين ونصف السنة .

رابّته فاطمة بيكَم : (المتوفاة سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م)

وهي كبرى بنات تفضل حسين خان الرامبوري ، « كوتوال » (رئيس شرطة) مدينة رامبور ، تزوّج بها والد العرشي بعد ستّة أو سبعة أشهر من وفاة زوجته الأولى شميم بيكَم ، فأحسنت الى صاحبنا العرشي واعتنت به ، كما ولدت لزوجها ولدين ، ماتا في صغرهما ، فعلى هذا كانت بمثابة الأم الأصلية للعرشي يحتاج إليها ، وهي تحتاج إليه ، ومع ذلك لم يستأنس بها كثيرا في صغره ، بل كان يخافها ، ويشعر بشيء من المقت والاغتراب نحوها ، ولكنه كلما كبر ، وشاهد حسن سلوكها ، أحبها حبا عقليا كما صرّح هو نفسه بذلك ، وخدمها في آخر حياتها ، عرفانا للجميل وأداء لحق الخدمة الواجبة عليه .

•

حياته

ولادته ووفاته :

ولد العرشي يوم الخميس ٢٩ رمضان المبارك سنة ١٣٢٢ هـ الموافق ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م مابين العصر والمغرب ، وتوفّي يوم الأربعاء ١٩ ربيع الثاني سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٨١ م في الساعة الثانية والنصف صباحا (مابين ليلة الثلاثاء والأربعاء) ، وقد أصيب ليلتها بنزيف الدماغ ، فاحتضر نحو نصف ساعة قبل أن لبى نداء ربه ، وعلى هذا بلغ تسعا وسبعين سنة هجرية ، أو سبعا وسبعين سنة ميلادية من عمره المديد الذي خدم فيه العلوم الاسلامية والأدبية في أربع لغات معروفة بثروتها العلمية والأدبية في العلوم الاسلامية ، وهي العربية والفارسية والأردوية والانكليزية ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عنا وعن الاسلام خيرا ، ورفع درجاته ، وأنزل عليه شآبيب رضوانه .

طفولته ونشأته :

نشأ وقد توفيت والدته حين بلغ الثانية والنصف من عمره ، ورسخ في ذهنه حرمانه من حنان الأم ، فانطوى على نفسه ، ولم يستأنس من رابّته ، فلم يكن يطلب منها شيئا ، ولايسألها عن حاجة ، بل يخاف من أن يتعرّض لأشيائها ، فرسخت فيه عادة عدم السؤال إلى حد انه لم يجد في حياته جراءة السؤال من أحد عن شيء بجدّ ، فقد حكي انه لم يكن يسأل حتى في بيته عن شيء من المأكولات والمشروبات ، فاذا انتهى الادام أثناء الطعام ، اكتفى بما قدّم له ، ورفع يده ، وقام .

تربيته وثقافته :

عقدت له حفلة « بسم الله » في السنّ الخامس (أي سنة ١٩٠٩ م) على عادة المسلمين الهنود تبركا بالقرآن الكريم ، وايذانا ببدء التعليم ، فتعلّم القرآن ومبادئ اللغة الاردوية ، ثم دخل المدرسة الابتدائية ، فتعلّم فيها الفارسية لسنة أو سنتين ، كما عيّن له مدرس في نفس الوقت ليعلّمه اللغة الانكليزية التي لم يهتم بها كثيرا في هذه المرحلة ، فتوقّف تعليمها له في ذلك الوقت الى هذا الحد .

ثم عني أبوه بتعليمه اللغة العربية ، فعيّن له مدرسا خاصا ليدرّسه كتاب ميزان الصرف ، كما استعان أيضا بالطبيب الخاص لحاكم رامبور ، وهو الحكيم عبد الرشيد خان (المتوفى سنة ١٩٣١ م) ليعلّمه نحو العربية وصرفها ، الا ان الطبيب المذكور اعتنى بتدريسه كتب الطب في الفارسية أكثر من النحو العربي وصرفه .

التحق بعد ذلك بمدرسة مطلع العلوم في رامبور التي أسسها العالم الأفغاني الشيخ خليل الله ، التحق بها وهو في الثالث عشر أو الرابع عشر من عمره (أي سنة ١٩١٧ م أو ١٩١٨ م) ، فقرأ على الشيخ سيد أحمد الهزاروي[٦] (المتوفى سنة ١٩٥٠ م) المدرس الأول والقائم بأعمال العميد

(٦) من سكان بلدة رجو عين في محافظة هزارة ، تعلم فيها ثم في بغداد ورامبور ، وتولى منصب رئاسة المدرسين في مدرسة مطلع العلوم برامبور ، وقد كان إلى جانب علمه ديناً صيناً أميناً صادقاً بعيداً عن الكلفة والتصنع محباً للمعيشة البسيطة صريحاً جسوراً لايخاف في الله ورسوله لومة لائم ، وقد تأثر به العرشي في حياته فكان صورة له في خلقه وعاداته وصفاته . توفي يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٠ بالحمى التيفودية .

فيها في ذلك الوقت اضافة على المقررات العربية والفارسية ، القرآن ، ودلائل الخيرات ، والحصن الحصين ، والكهف المتين ، وقد منحه الشيخ إجازته لهذه الكتب ، كما تدرّب هناك على الكتابة بالعربية والتحدث بها ، ولكنه في هذه المرحلة كان معتنيا بالعلوم العقلية أكثر من غيرها ، فلم يلتفت الى علوم الحديث والتفسير والفقه والفنون الأدبية التي عني بها فيما بعد ، حين أعدّ نفسه بنفسه اعدادا ذاتيا بالدراسة العميقة المتواصلة ، والمطالعة الغزيرة الدائمة التي لم تنقطع إلا بوفاته .

اتجه بعد ذلك الى الكليات والجامعات العصرية ، لينال منها الشهادات المتداولة في العلوم العربية والفارسية وآدابها ، فحصل على شهادة « مولوي عالم » (تعادل درجة ليسانس الآداب العربية) من جامعة بنجاب في لاهور سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م ، ثم التحق بالكلية الشرقية في لاهور ، وأقام هناك سنة ليعدّ العدّة لامتحان شهادة « مولوي فاضل » ، واستفاد فيها من أشهر أساتذة الهند في الجامعات الهندية في ذلك الوقت مثل الشيخ نجم الدين في العلوم العقلية ، والشيخ عبد العزيز ميمن(٧) (١٣٠٦ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٨٨٨ ـ ١٩٧٨ م) في الأدب ، وقد

(٧) كان من أعلام الأدب العربي في القرن الحاضر في الهند ، اشتغل بالتدريس و اشتهر بالتأليف وتحقيق المصادر الأدبية العربية القديمة وشرحها والتعليق والتحشية عليها . ذكرنا موجزاً لحياته ومؤلفاته في حديث إذاعي للبرامج الموجهة الى العالم العربي من إذاعة عموم الهند في دلهي الجديدة ، ونشر في جريدة الرائد نصف الشهرية ، لكهنئو ، أول إبريل ١٩٧٩ م ، ونقل منها أيضاً في مجلة الجامعة السلفية بنارس ١١ / ٦ ـ ٧ / يونيو يوليو سنة ١٩٧٩ .

جعله فيا بعد أسوته لحياته العلمية ، والشيخ سيد طلحة[٨] (١٣٠٨ - ١٣٩٠ هـ / ١٨٩٠ - ١٩٧٠ م) في التفسير ، وكان الشيخ ينتمي الى أسرة سيد أحمد الشهيد ، فكان يعنى به عناية بالغة لصلة أسرة العرشي بحركة الشهيد رحمه الله كا ذكرنا فيا مضى .

وعاد الى رامبور بعد حصوله على شهادة « مولوي فاضل » (تعادل درجة الماجستير في الآداب العربية) سنة ١٩٢٤ م / ١٣٤٣ هـ من جامعة بنجاب في لاهور ، فالتحق بالسنة النهائية للمدرسة العالية في رامبور ، الا انه لم يدخل امتحانها النهائي ، ولكنه استفاد من اساتذتها ، وخاصة من الشيخ فضل حق الرامبوري[٩] (١٢٧٨ - ١٣٥٨ هـ / ١٨٦١ - ١٩٤٠ م) ، أحد العلماء المبرزين في العلوم العقلية في وقته ، وقد منحه الشيخ شهادة ذاتية . ودخل امتحان شهادة « منشي فاضل » (تعادل درجة الماجستير في الآداب الفارسية) لجامعة بنجاب لاهور ، سنة ١٩٢٥ م / ١٣٤٤ هـ ، ونجح فيه .

ويبدو انه شعر بعد ذلك باحتياجه الى معرفة اللغة الانكليزية لحياته العلمية والعملية القادمة ، فأعدّ نفسه اعدادا ذاتيا ، ودخل امتحانا رسميا في مادة اللغة الانكليزية فقط لشهادة Enterence (تعادل

---

(٨) كانت له مشاركة في أكثر العلوم العقلية والنقلية والأدبية والرياضية ، والاطلاع على التاريخ والتراجم ، وشغف بالنجوم والمواقيت (ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ١٨٧ / ٢٠٢ - ٢٠٣) .

(٩) اشتغل بالتدريس في جهوبال وكلكتا ورامبور حيث أصبح المدرس الأول للمدرسة العالية وانه من تلامذة مدرسة خير آباد في العلوم العقلية عن طريق سيد هدايت علي البريوني وعبد الحق الخير آبادي .

الثانوية ، وتسمح لصاحبها بالدخول في المواد العصرية في الجامعة) سنة ١٩٢٦ م / ١٣٤٥ هـ ، ونجح فيه ، ثم دخل امتحان شهادة F.A. (السنتين الأوليين من الجامعة) ، فرسب فيه ، وكان له أثر سيء في نفسه ، فقرّر ان لايدخل أيّ امتحان في حياته ، وان يعدّ نفسه اعدادا ذاتيا ، ويبرهن بأعماله انها ليست أقل قدرا من حاملي شهادات الماجستير والدكتوراة ، وقد فعل .

نرى من هذا العرض السريع ان صاحبنا كان تلميذاً ذكياً نابهاً ، وطالباً نشيطاً مجتهداً ، تعلّم في اثنتين وعشرين سنة من عمره اربع لغات ،واغترف من معارف عصره المتداولة بين المسلمين الهنود في ذلك الوقت على الشيوخ المعروفين ، وتخرّج من معاهد المسلمين الخاصة ، ونال الشهادات المعاصرة من جامعة بنجاب الشهيرة في عصره ، وقد غلب في دراساته الى ذلك الوقت عصر العلوم العقلية من المنطق والفلسفة أكثر من أي شيء آخر ، ثم واصل دراسته للعلوم الاسلامية المختلفة والفنون الأدبية المتنوعة الى ان بلغ القمة التي نلاحظها في مؤلفاته القيّمة الكثيرة ، وقد رأى فيه علامات الذكاء وآيات النبوغ شيخه سيد أحمد الهزاروي الذي كان يحبه ويقدّر امتيازه بين زملائه ، وفوّض اليه تدريس بعض الطلبة تحت اشرافه أيام تربيته على يديه ، وكذلك رأى علمه وفضله في العلوم الاسلامية الحافظ أحمد علي خان شوق حين ذكر في آخر سطر من ترجمة عمه جعفر علي خان ضمن ذكر (أخيه) الطبيب البيطري مختار علي خان « ان له ولداً ، قد حصّل العلوم العربية والفارسية تحصيلا جيدا[١٠] » ، ولابد انه كان يعني به العرشي غير سواه ،

(١٠) تذكرة كاملان رامبور ، الصفحة ٨٩ .

لان ابنه الثاني أمانت علي خان لم يعرف عنه الاشتغال بالعلم ، بل كان مزارعا . وهذا التقدير له والاعجاب به كان وهو لم يبلغ خمسا وعشرين سنة من عمره .

وقد ورث صاحبنا حبه للشعر من أبيه منذ طفولته ، وكان صاحب قريحة شعرية ، فتلقّب باللقب الشعري على طريقة شعراء اللغة الأردوية في الهند أولا بـ « تاج » ، ثم تركه وتلقّب بـ « عرشي » ، فاشتهر به أكثر من اسمه . أما شعره فأكثره في الغزل الى جانب أصناف أخرى من الشعر الأردوي ، ولكنه لم يكن يحب نشر شعره كثيرا ، كما لم يرد طبعه في ديوان ، لانه كان يراه أقل قدرا من شعر فطاحل الشعراء في الأردوية ، وقد درسهم دراسة عميقة ، وكتب عنهم كثيرا ، ونشر دواوينهم بتحقيق دقيق ، واخراج جميل أنيق ، وكان لايحب ان ينسب اليه شيء يحطّ من قيمته ومكانته الرفيعة .

حياته العملية : الوظائف والتجارة

يبدو ان صاحبنا لم يهتد بعد تحصيله العلوم واللغات الى عمل مناسب يختاره لحياته القادمة ، الا انه كان يحب ان يشتغل بالتجارة ليحافظ على حريته واستقلاله في الحياة ، ولكن الظروف لم تتح له هذه الفرصة ، وقد أراد بعض أصدقائه بعد انتهائه من التعليم توظيفه في المدارس المختلفة في بنجاب ، ولكنه لم يقبل ، لعله اعتبرها لاتليق بشخصيته التي كان يعتزّ بها على مايبدو ، فاننا نعرف انه رغب في الحصول على وظيفة تدريسية في القسم العربي في (جامعة) اله آباد ، واجتهد للحصول على وظيفة تدريسية أخرى في المدرسة العالية في كلكتا ، فحصل على رسالة توصية من الأستاذ فدا علي خان رحمه الله

رئيس قسم اللغات العربية والفارسية والأردوية في جامعة دهاكه الى المولوي هدايت حسين عميد المدرسة المذكورة ، ولكن فشل سعيه في الحصول على اية من الوظيفتين المذكورتين . وقد علم سيد هاشم الندوي ، موظف دائرة المعارف العثمانية في حيدر اباد بالهند ، وكان يزور رامبور من حين لآخر ، وكان صاحبنا على صلة به ، فحين عاود سعيه للوظائف رغّبه بالعمل « سفيراً »[١١] لندوة العلماء في لكهنو ، وقبل صاحبنا هذه الوظيفة ، واشتغل بها ثلاثة أو أربعة أشهر ، ثم استقال منها اول مارس سنة ١٩٣١ م[١٢] لتجربة مريرة قاسية من جانب أحد المتطوعين ، حسبها غير لائقة بكرامة الانسان العادي ، فضلا عن عالم يعتّد بنفسه اعتدادا يليق به

ثم اشتغل بالتجارة بالاشتراك مع بعض اصحابه ، وكان يميل الى التجارة بطبعه كما ذكرنا ، ولكنه فشل فيها لقلة المال وعدم الخبرة

(١١) السفير في اصطلاح المدارس العربية الإسلامية الهندية هو « المحصّل » الذي يتصل بأهل الخير من المسلمين لجمع التبرعات التي هي المصدر المالي الوحيد للمدارس المذكورة منذ نهاية الحكم الإسلامي في الهند ، فانها لم ترتض قبول المساعدات الحكومية أيام الاحتلال الانكليزي لمعارضتها ومقاومتها له ، كما أنها تخشى منذ استقلال البلاد من تدخل الحكومة الوطنية العلمانية في أمورها بحيلة المساعدات المالية ، فتفضل تغطية نفقاتها عن طريق التبرعات الشعبية من المسلمين .

(١٢) اطلعنا على نسخة من رسالة الدكتور عبد العلي القائم بأعمال ناظم ندوة العلماء بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٩٣١ م برقم ١٤٢٨ أخبره فيها عن أسفه البالغ على تقديمه الاستقالة وقبولها على طلبه .

اللازمة ، ومع ذلك أبى ان يتركها قبل ان يؤدي جميع شركائه في التجارة اموالهم ، ثم تركها غير عابئ بما عانى مدة سنتين فرحا مسرورا شاكرا بان الله حفظه من وصمة العار امام شركائه .

ويبدو انه لم يقطع في هذه المدة صلته بالعلوم والآداب ، فكان ينهل منها بين الحين والآخر ، ويزور مصادرها ومواردها من اهل العلم والمدارس والمكتبات ، ويكتب ويصنف ويؤلف كلما وجد لذلك من فرصة مواتية ، فاننا نعرف ميله منذ نعومة اظفاره الى الكتابة ، فقد كتب في أوائل ايام دراسته « قصّة قاطع الطريق بهين خان » ، وزينها ببعض أبياته البدائية ، متأثرا بما سمع عنه من أعمال جريئة ، ثم مأساة قتله في معركة مع الشرطة يوم ٢٤ اغسطس سنة ١٩١١ م .

كما نعرف أنه قام بعمل الشرح والتعليق على كتاب تسهيل الميزان لمحب الله بن عبد الشكور البهاري .

ثم قام بالترجمة الاردوية للمقررات العربية في منهج بكالوريوس الآداب (.B.A) ومنهج السنتين الأوليين من بكالوريوس الآداب (.F.A) لجامعة بنجاب لاهور ، على طلب الشيخ مبارك علي تاجر الكتب في لاهور . وكانت هاتان الترجمتان من آثاره الأولية التي نشرت له سنة ١٩٢٨ م وماقبلها .

وقد ازداد شغفه بالتأليف والتحقيق أثناء ترجمته لمقررات السنتين الأوليين من منهج بكالوريوس الآداب المذكورة لما وجد فيها من ثلاث رسائل لسيدنا عمر الفاروق (٤٠ ق . هـ . ـ ٢٣ هـ / ٥٨٤ ـ ٦٤٤ م) رضي الله عنه يحتوي أولها على توجيهاته لأحد قوّاده العسكريين ، وثانيها على نصحه لأحد قضاته في فصل الأمور ، وثالثها على أمره لأحد

ولاته في تحصيل الخراج ، فتأثر بها تأثرا بالغا ، وعزم على جمع جميع رسائله مع خطبه وحكمه وسيرته في كتاب سمّاه « فصل الخطاب لعمر بن الخطاب » ، وقد جمع منها مواد كثيرة في نصف قرن من الزمن ، ولكنه لم يكمّله .

ثم تأثر بسيد هاشم الندوي المذكور الذي كان يزور مكتبة رامبور كثيرا لمراجعة الكتب والمخطوطات واعدادها قبل نشرها من دائرة المعارف العثمانية ، وكان العرشي يلتقي به في المكتبة فيراه يعمل على المخطوطات ،فبدأ يفكّر في التأسي به في تحقيقه ، فبحث عن رسالة صغيرة يبدأ بها عمله ، وعثر على مخطوطة « كتاب الأجناس » لابن سلاّم (١٥٧ ـ ٢٢٤ هـ / ٧٧٤ ـ ٨٣٨ م) ، فأعدّها للنشر ، ولم يقدّر لها النشر من الدائرة المذكورة ، الا انها نشرت كأول عمل له في العربية من المكتبة الحكومية في رامبور سنة ١٩٣٨ م .

ثم أتاح الله تعالى له الفرصة الذهبية لخدمة المكتبة الحكومية برامبور حين عيّن ناظما (مديرا) لها يوم ٣١ يوليو سنة ١٩٣٢ م ، فوقف حياته لخدمتها من يوم تعيينه الى وفاته ، فهذّبها ورقّاها ، وحسّن ادارتها ، ورتّب مخطوطاتها ، ونظّم كتبها ، ونشر فهارسها ، وأعزّ من شأنها ، وعرّف العالم بقيمتها حتى عدّت من أهم المكتبات الاسلامية الشهيرة في العالم ، وأصبح هو والمكتبة كأنها صنوان ، لايذكر أحدهما الا بالآخر ، ولاترى صورة أحدهما الا في عكس مرآة الثاني ، وقد قدّرت الحكومة الهندية خدماته الجليلة لهذه المكتبة ، فاستثنته من قانون الاحالة على المعاش بعد الستّين سنة من العمر ، وأبقته في مركزه الى آخر حياته ، فخدمها بالجملة مدة نصف قرن من الزمن ،منها نحو سبع عشرة سنة بعد

سنّ المعاش ، وهذه حالة استثنائية لايعرف لها نظير الى حد علمنا في عصرنا الحاضر .

حياته العائلية : زواجه وأولاده

تزوّج العرشي بعد ان اطمئن الى وظيفة مناسبة من الناحية العملية في مكتبة رامبور الحكومية ، وحياة مستقرة من الناحية المادية ، وخطّة ثابتة لحياته العلمية القادمة ، تزوّج من سيدة محترمة تسمّى هاجرة بيكَم بنت اشفاق النبي خان مفتّش الشرطة في مدينة رامبور في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وهي أيضا تنتمي الى أسرة علمية أفغانية عريقة ، قدم جدها الأعلى الملاّ أحمد خان الولايتي الى روهيل كهند في عصر محمد علي خان (١١١٨ - ١١٦٢ هـ / ١٧٠٦ - ١٧٤٨ م) مؤسس امارة رامبور ، وكان الشيخ أحمد خان من البارعين في المنطق والفلسفة خاصة ، يعيش عيشة محترمة كريمة ، ويتصف بالشجاعة والصدق والصراحة ، فينّبه رؤساء الروهيلة على أخطائهم ويرأس مجالسهم ، خلف ولدا يسمّى الملاّ اسحق خان ، وهو والد المولوي نور النبي خان من أشهر أساتذة مدينة رامبور الذي تخرّج على يديه خلق كثير ، كان منهم جعفر علي خان المحدث عم صاحبنا .

أما حمو العرشي ووالد زوجته اشفاق النبي خان المفتش فقد كان حفيد نور النبي خان ، توفي أبوه وهو صغير عمره سنتان أو سنتان ونصف السنة ، فلم يكمّل تعليمه الفارسي ، الا انه أعدّ نفسه اعدادا ذاتيا ، فكان واسع الاطلاع في التاريخ الاسلامي وآداب اللغة الفارسية ، قوي الحافظة ، فكانت وقائع أكثر المشاهير على طرف لسانه بتحديد السنين ،

ورث عنه ابنه اسحق النبي خان (الأخ الكبير لزوجة العرشي) الذكاء والذوق التاريخي العلمي ، فقام بحل خلافات السنين في وقائع السيرة النبوية ببراعة فائقة .

تزوّج العرشي من السيدة هاجرة بيكَم ، فعاش معها طوال حياته محظوظا بالحياة العائلية السعيدة المطمئنة الهادئة ، المتّسمة بالاحترام المتبادل ، ورعاية كل جانب لمشاعر الآخر وأحاسيسه ، وخلف منها تسعة اولاد ، سبعة بنين وابنتين ، نذكرهم على ترتيب الأقدمية فيما يأتي :

١ ـ محمد أكبر علي خان عرشي زادة ، المدير المساعد لمكتبة رضا برامبور ، وله عدة أولاد .

٢ ـ صالحة الكبرى عرشي ، وهي متزوجة ، ولها عدد من الأولاد .

٣ ـ محمد مختار علي خان عرشي .

٤ ـ الدكتورة زهرة عرشي ، نالت الماجستير في الفارسية من جامعة عليكرة ، وقامت بتحقيق كتاب فرهنگك جها نگيري (الجزء الأول) لحسين انجو الشيرازي (الذي الفه سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٩ م) لرسالة الدكتوراة من جامعة عليكرة تحت اشراف الاستاذ نذير أحمد رئيس القسم الفارسي السابق ، وهي تقوم الآن بتحقيق الجزء الثاني من الكتاب المذكور .

٥ ـ محمد ممتاز علي خان عرشي ، مدرس علم النبات في كلية رضا العالية برامبور .

٦ ـ محمد نجف ارشاد عرشي ، طالب الدراسات العليا في العلوم الاسلامية ، بجامعة الزيتونة ، تونس .

٧ ـ محمد جعفر علي خان عرشي ، بكالوريوس علم الصيدلة ، وموظف في البحرين .

٨ ـ محمد راشد علي خان عرشي ، ماجستير علم الاقتصاد ، وموظف في شركة جيب للأنوار الكشافة في دهلي .

٩ ـ محمد طاهر علي خان عرشي ، طالب بكالوريوس التجارة ، جامعة عليكرة الاسلامية .

هكذا نرى ان صاحبنا العرشي عني أيضا بتربية اولاده وتثقيفهم عناية بالغة ، فتخرّج بعضهم في العلوم العصرية ، كما اختار آخرون خط والده ، فتوجّهوا الى العلوم الاسلامية ، واللغات والآداب الشرقية الاسلامية ، وفقهم الله ، وسدَّد خطاهم في اتباع آثار والدهم العظيم في خدمة العلوم والآداب الاسلامية باخلاص ونزاهة مثله .

حياته العلمية : التقدير والاعجاب

وبجانب الصلاحية الادارية غير العادية التي ذكرناها في حياته العملية فيما سبق ، هناك جانب آخر من شخصيته الفذّة ، وهو أكثر اشراقا ونصوعا ، وبروزا وظهورا من الجانب السابق ، ألا وهو خدمته للعلوم الاسلامية والفنون الأدبية دراسة وبحثا ، تحقيقا وتهذيبا ، شرحا وتحشية ، تصنيفا وتأليفا في أربع لغات شرقية وغربية ، عربية وعجمية ، وهي العربية والفارسية والأردوية والانكليزية . فقد كان أوسع العلماء المصنفين المعاصرين في المحيط الهندي مطالعة ، وأكثرهم دقة ، وأرفعهم مستوى ، وأغزرهم انتاجا من الناحية العلمية والأدبية الخالصة ، كما كان أحسنهم اخراجا ونشرا من ناحية جمال الطباعة واناقتها على

المستوى المطلوب في الظروف الهندية القاسية المعاصرة ، خاصة في اللغات العربية والفارسية والأردوية .

أعدّ النصوص العلميّة والأدبية والتاريخية واللغوية على الأسس الحديثة المعاصرة ، فسبق باتقانه في التحقيق معاصريه ، ثم قدّمها دائما بمقدمة ضافية مبسوطة تدل على علم واسع ، ودراسة عميقة ، وذهن ثاقب ، ونظر بعيد ، وفكر صائب ، ورأي سديد ، فترى بجنب اثنتين وعشرين صفحة من نص كتاب الأجناس ، ترجمة حافلة لابن سلاّم في أربع وعشرين صفحة الى جانب سبع عشرة صفحة للألفاظ المماثلة المستخرجة من كتاب غريب الحديث لابن سلام نفسه ، وبجنب ثمان وعشرين صفحة من نص ديوان شعر الحادرة الذي صححه بالرجوع الى اربعة وعشرين من المراجع القديمة تجد مقدمة في ست صفحات تعريفا بصاحب الديوان ، وكذلك قدّم لديوان ابي محجن في ستّ صفحات بجنب النص في اربع وثلاثين صفحة وشعره من المراجع الأخرى في ثمان صفحات ، وكذلك تشاهد في الأمثال السائرة من شعر المتنبي مقدمة في ستّ عشرة صفحة بجنب النص في ثلاثين صفحة ، والزيادات عليه من الجرجاني في سبع عشرة صفحة ومن الثعالبي في اثنتين وعشرين صفحة ، وقدّم لتفسير القرآن للثوري في اربعين صفحة بجنب تصحيح نص الكتاب في اربع واربعين ومائتي صفحة بمراجعة خمسة ومائتين من المصادر العربية القديمة الى جانب تراجم تسعة وتسعين ومائتين من رجال الثوري في سبع وسبعين ومائة صفحة ، هذا بالنسبة لبعض أعماله في العربية ، وتراه بالطبع أكثر شمولا واحاطة وبسطا وتفصيلا في أعماله الفارسية والأردوية ، وهكذا قدّم نموذجا صالحا عاليا رفيعا في ميدان التحقيق

يقتدى به ، ولايستغني عنه اي باحث في ميدان التحقيق .

لمع نجمه في ميدان العلم والأدب في القارة الهندية ، فكان مرجع العلماء والباحثين يرشدهم ويساعدهم حسبة لله وخدمة للعلم ، واشتهر أمره فمثّل امارة رامبور السابقة في دورات متعددة لكونغرس التاريخ الهندي لعموم الهندي وهيئة السجلاّت التاريخية ودائرة المعارف الاسلامية في لاهور ، واتحاد رقي الأردوية الهندي والكونغرس الأردوي لعموم الهند في حيدر آباد ، ومثّل الهند كعضو في وفد علماء الدراسات الهندية الى الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٨ م ، وفي منتدى اليونسكو لصيانة المخطوطات المنعقد في كابل سنة ١٩٦٧ م ، وفي احتفالات الشاعر الوطني الأفغاني خوشحال خان خنك في كابل سنة ١٩٦٨ م[١٣] .

وقد كان عضوا في الهيئات العلمية الهندية الشهيرة مثل الدائرة الشرقية العثمانية في حيدر آباد ، وندوة العلماء في لكهنؤ ، ومؤتمر المسلمين التعليمي لعموم الهند في عليكرة ، واللجنة الادارية لمدرسة مطلع العلوم رامبور ، ولجنة غالب المئوية لعموم الهند في دلهي الجديدة ، ومؤتمر الدراسات الاسلامية لعموم الهند ، وقد رأس دورتها الخامسة المنعقدة في الجامعة الملية الاسلامية بدلهي الجديدة ٦ ـ ٨ اكتوبر سنة ١٩٦٧ م ، كما كان عضوا مؤسسا لمكتبة صولت العامة في رامبور ، وكان عضوا سابقا

---

(١٣) عبد اللطيف الأعظمي « مولانا امتياز علي خان عرشي ـ ممتاز مؤرخ ونقاد » مجلة جامعة دلهي الجديدة ، ٨٧ / ٤ / ابريل سنة ١٩٨١ م ، الصفحة ٢٠٩ ، وورقة المعلومات الشخصية المكتوبة بالآلة الكاتبة في الانكليزي ، وصلنا عن طريق أجمل أيوب اصلاحي من أكبر علي خان عرشي زاده .

للجامعة الأردوية في عليكرة ، وفرع عليكرة لاتحاد رقي الأردوية الهندي ، والاكاديمية الاردوية لولاية اترابراديش في لكهنؤ[١٤] .

وقد استقبلت مؤلفاته العلمية ودراساته الأدبية باستحسان واعجاب وتقدير على المستويين الشعبي والحكومي ، فقد طلعت عدة طبعات لبعض مؤلفاته ، كما أعيد نشر بعض مقالاته مرارا وتكرارا ثم نشرت بعضها في مجموعة ، كما نشرت بعضها الأخرى في كتب مستقلة ، وسيأتي ذكر ذلك كله في مؤلفاته ، أما من ناحية التقدير المادي ، فنراه منح عدة جوائز علمية وأدبية ، رسمية وشعبية تقديرا لخدماته ومجهوداته ومساعيه المشكورة ، وتكريما وتشريفا له ، منها الجائزة الأدبية لامارة رامبور السابقة سنة ١٩٤٦ م ، ومعها الف روبية ، والجائزة الأدبية لاكاديمية ساهتيه (Sahitya Academy) دلهي الجديدة سنة ١٩٦١ م ، ومعها خمسة آلاف روبية على اخراجه ديوان غالب سنة ١٩٥٨ م بتحقيق ممتاز وشكل جميل أنيق لم يسبق له مثيل ، واجازة شرف من جانب رئيس الجمهورية الهندية لعلماء العربية المتازين سنة ١٩٧٢ م ، ومعها خمسة آلاف روبية سنويا مدى الحياة ، وجائزة أدبية خاصة لولاية اترابراديش سنة ١٩٧٤ م ، ومعها خمسة آلاف روبية ، وأخيرا (وليس آخرا) جائزة مودي عن غالب للنثر الأردوي لسنة ١٩٨٠ م ، ومعها خمسة آلاف روبية ، استحقها بعد وفاته ، والتي أعلن عنها أخيرا . وقد انعقدت حفلة توزيع « جوائز غالب لسنة ١٩٨٠ » يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٨١ م في « ايوان غالب » بدلهي الجديدة ضمن حفلة الافتتاح لمنتدى غالب الدولي المنعقد ٢٤ ـ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٨١ م .

---

(١٤) المصدر نفسه .

انه كان سعيد الحظ في نظري بان لقي بعض التقدير من الاوساط العلمية والأدبية والشعبية والرسمية في حياته على خلاف عادة اهل الشرق الذين يقدّرون امواتهم أكثر من أحيائهم ، ويتجاهلون المشتغلين في ميدان العلم والأدب والمعرفة فيبخسونهم حقهم ، في حياتهم ويبكون عليهم بعد مماتهم .

اني اعتبره أكثر حظا ممن سبق ، خاصة بما لقي من تقدير واعجاب من شيخه الفاضل عبد العزيز ميمن (١٣٠٦ ـ ١٣٩٩ هـ / ١٨٨٨ ـ ١٩٧٨ م) الذي كان هو نفسه من أعلام الأدب العربي ومآثره ومفاخره ، ومرجع اهل العلم في شبه القارة الهندية في هذا القرن ، والذي اتخذه صاحبنا العرشي أسوة له في حياته العلمية كما ذكرنا فيما سبق ، قدّر له ان عاش فرأى أعمال تلميذه الذكي النجيب الممتاز ، وأعجب بنشاطه وهمته واستعداده وخدماته العلمية والأدبية ، فسّجل عنه ملاحظاته وانطباعاته في رسالة وجّهها الى أحمد علي خان راز يزداني (المتوفى سنة ١٩٦٣ م) يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٢ م من بهادرآباد كراتشي ،جاء فيها :

« ان السيد العرشي ونشاطاته العلمية نور الهداية للآخرين ، كما هو سبب للفخر والاعتزاز لنفسي ، بارك الله في عمره .

اني الآن في الرابعة والسبعين من سني ، وقد عجزت عن أداء الواجبات اليومية اللازمة ، وان أخوف ماأخاف ان يعتبرني (العرشي) ممن يقال فيهم « تلك أمة قد خلت » ، فيقطع عني رسائله العلمية التي أصبحت موضوع اهتمامي الوحيد في الدنيا ، فأصبح كمن ليس له أحد فيها . وعلى كل حال أشعر من واجبي ان أصرّح بان الخدمات التي قام بها السيد العرشي في الأردوية

والفارسية والعربية ، بل وفي لغة البشتو ايضا تعتبر مما ليس له نظير في الدور الأخير .

ان أم (أرض) الهند والسند لو انجبت اثنين او اربعة أبناء مثله ، لما كنا اليوم في هذه الحالة الرّثة (علميا) .

ان حياته أسوة مثالية لبلادنا ، فاعتبروا ياأولي الأبصار .

ان شخصيته في الصف الأول بين ثلاثة او اربعة (يعتبرون) حصاد حياتي ، فرأسي مرفوع (من أجله) ، وسوف يبقى (كذلك) ، ولكن الفضل في الحقيقة له ، فقد بلغ الى هذه المكانة باخلاصه وجهده الذاتي المتواصل .

والسلام العاجز ،لاشيء

عبد العزيز »[١٥]

وكذلك كان يقدّر علمه وفضله معاصروه من أهل العلم ، ويثنون عليه ثناء جما ، فقد كتب الأديب الأردوي المعروف ، والعالم الهندي الجليل ، صاحب التفسيرين القيمين في الأردوية والانكليزية الشيخ عبد الماجد الدرياآبادي[١٦] (المتوفى سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) في رسالة مؤرخة ٢٨ اغسطس سنة ١٩٦١ م مقترحا نشر مقالاته في مجموعة لسهولة الرجوع اليها عند الضرورة :

---

(١٥) تعريب عن النص الأردوي الذي أرسله أكبر علي خان عرشي زاده نقلاً عن الرسالة المذكورة .

(١٦) كان من العلماء البارزين المكثرين من التصنيف والتأليف في العلوم الإسلامية في الأردوية ، وقد رأس تحرير جريدة أسبوعية علمية أدبية إسلامية غيرت اسمها من « سيج » إلى « صدق » وإلى « صدق جديد » لأسباب سياسية أيام الاحتلال .

« فان استقامة مقالاتك العلمية والتحقيقية والأدبية ونزاهتها لاتوجد الا عند القلائل من الناس »[١٧] .

وسجّل ضمير أحمد الهاشمي في مقدمة مجموعته الشعرية :

« فان جميع مايؤلف ويصنف في رامبور ، يرجع فضله بالتأكيد الى مساعيه (العرشي) » .

وكذلك اعتبره أكثر حظا فيما وجد من حب وودّ واخلاص من أصدقائه وزملائه المعاصرين في ميدان العلم والأدب في الهند ، فقد أسّس « مجلس نذر عرشي » ، المكوّن من اثنين واربعين عضوا بارزا في المجتمع الهندي تحت رئاسة رئيس الجمهورية الهندية الأسبق الدكتور ذاكر حسين (١٣١٥ ـ ١٣٨٩ هـ / ١٨٩٧ ـ ١٩٦٩ م) ، ليعدّ العدّة لاهدائه كتابا تذكاريا تكريما له عند عيد ميلاده الواحد والستين (يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٥ م)[١٨] ، وقد صدر هذا المجلد التذكاري بترتيب مالك رام ومختار الدين أحمد موزّعا في قسمين ، الأول في ترجمته ، يحتوي على اربع مقالات عن حياته ، وأعماله المطبوعة وغيرها (الى سنة ١٩٦٥ م) ، وانطباعات أحد معاصريه ، وتقدير لبعض أعماله الأردوية والفارسية ، والثاني يحتوي على تسع عشرة مقالة علمية بأقلام العلماء والباحثين المعروفين من الهند وخارجها .

---

(١٧) وجدنا نص هذه الرسالة في أول المجلد الذي يحتوي على المقابلة التي أجراها مالك رام مع العرشي ، وقمنا بتعريب النص المذكور .

(١٨) أهدي إليه هذا المجلد في حفلة رسمية انعقدت تحت رئاسة الدكتور ذاكر حسين في سپدو هاوس بدلهي الجديدة في مارس ١٩٦٦ م ، كما أخبرني به أكبر علي خان عرشي زاده في لقائه معي في بيتي يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٨١ م .

أما في الأوساط العلمية خارج القارة الهندية ، فلم يعرف أمره كما يبدو الا بتفسير القرآن للثوري ، وذلك لأن أكثر أعماله العربية العلمية لم تظهر الا في مجلة « ثقافة الهند » ، الصادرة عن مجلس الهند للروابط الثقافية بدلهي الجديدة ، ولم يقدّر لهذه المجلة ان تنفذ في الأوساط العلمية العربية في العالم لشبه رسميتها ، ولكن حين وصل التفسير المذكور الى أيدي العلماء والباحثين من العرب وغيرهم ، عرفوا شخصيته وقدره ومكانته العلمية ، واستحسنوا ما وجدوا فيه من تحقيق ودراسة ، واستيعاب وشمول ، وأعجبوا بما تمسّك به من مستوى عال رفيع ، وقدّروا مابذل فيه من جهد مضن حق تقدير . فقد كتب الأستاذ الفاضل محمد بهجة البيطار رحمه الله ، معلقا عليه :

« ... والحق أقول اني لم أر كتابا شرقيا او غربيا أوسع استيعابا ، وأكثر اتقانا من هذا الكتاب ، وتعليقات الاستاذ المصحّح (العرشي) ليس عليها أثر للعجمة ، بل هي مثل رائع في فصاحتها »[١٩] .

كما كان انطباع الباحث المستشرق و . مونتجومري وات (W.Montgo-mery Watt) عنه :

« وبالجملة لايمكن للباحث الأوربي الا ان يعجب بهذا الكتاب ، ويقدّره ، ويدهش أمامه ، وبما وراءه من علم ومعرفة متّسمة بالمثابرة والاتقان »[٢٠] .

---

(١٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤١ / ٣ / ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هـ / يوليو سنة ١٩٦٦ م ، الصفحة ٥٢٠ .

(٢٠) تعريب من النص الانكليزي عن Bulletin of the School of Oriental and African Studies,London, 30,3,1967,760 PP.

وهنا نشعر بضرورة نشر جميع أعماله العربية المطبوعة وغير المطبوعة في مجموعة كاملة للحفاظ عليها كذخيرة علمية أدبية قيمة ذات مستوى عال رفيع ، وندعو الله عز وجل ان يوفّق أحد أبنائه الأبرار باخراجها على المستوى العلمي المطلوب الذي كان يسعى رحمه الله دائما الى ان يبلغ فيه القمة .

مؤلفاته[٢١]

ألف رحمه الله تعالى في حياته العلمية الزاخرة بالعلم والأدب والمعرفة سبعة وستين كتابا ورسالة ، وخمسا وعشرين ومائة مقالة في اللغات العربية والفارسية والأردوية والانكليزية عثرنا عليها للآن ، منها سبعة وثلاثون كتابا ورسالة ، وست عشرة ومائة مقالة مطبوعة ، والباقي غير مطبوع حسب الجدول التالي :

اللغات	الكتب والرسائل		المقالات		المجموع
	المطبوعة	غير المطبوعة	المطبوعة	غير المطبوعة	
العربية	١١	١٢	٤	-	٢٧
الانكليزية	١	١	١	١	٤
الفارسية	٦	٥	-	١	١٢
الاردوية	١٩	١٢	١١١	٧	١٤٩
المجموع	٣٧	٣٠	١١٦	٩	١٩٢

(٢١) اعتمدنا في أسماء مؤلفاته أولاً على الفهرس المطبوع لمؤلفاته بعنوان « نكارشاد عرشي » لأكبر علي خان عرشي زاده في كتاب « نذر عرشي » (الصفحات ٣٧ ـ ٦٠) ثم على ورقة المعلومات الشخصية عنه في الانكليزية ، وفهرس مؤلفاته العربية المكتوبة بخط عرشي زاده في ورقة « ٥ » وقد أضفنا إليه تعليقاتنا ، وماعثرنا عليه من عناوين الكتب والمقالات التي لم تذكر في المصادر المذكورة .

ونحاول هنا الإحاطة بجميع مؤلفاته العربية :

مؤلفاته العربية المطبوعة

أ ـ تحقيق النصوص :

١ ـ كتاب الأجناس ـ لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، سلسلة مطبوعات المكتبة الرامبورية رقم ٢ ، المطبعة القيمة ، بمبئ ، سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م ، ٧٦ صفحة .

ـ هذه رسالة لابن سلاّم (١٥٧ ـ ٢٢٤ هـ / ٧٧٤ ـ ٨٣٨ م) فيما اشتبه لفظه واختلف معناه ، أعدّها العرشي من مخطوطة لها في المكتبة الحكومية برامبور بمراجعة أمهات كتب اللغة ، ومعارضتها على مخطوطة « غريب الحديث » لابن سلاّم نفسه في المكتبة المذكورة ، ثم مقابلتها على صورة لمخطوطتها في المكتبة الخديوية المصرية ، وزودها بترجمة حافلة للمؤلف في اربع وعشرين صفحة إلى جنب اثنتين وعشرين صفحة نص الرسالة ، كما ألحق بآخرها كثيرا من الألفاظ المذكورة مستخرجة من « غريب الحديث » المذكور في سبع عشرة صفحة مرتبة على ترتيب حروف الهجاء . وضمّنها ثلاثة فهارس مفيدة لمراجعة الألفاظ المذكورة ، على ترتيب الحرف الأخير للباب والأول للفصل على طريقة « الصحاح » لابي نصر اسماعيل الجوهري (المتوفى نحو سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م) ، انتهى من العمل فيه في اغسطس سنة ١٩٣٠ م ، وأراد نشرها من دائرة المعارف حيدر آباد في الهند ، ولكنه لم يوفّق ، فنشرت بعد ثماني سنوات من المكتبة الحكومية في رامبور التي كان يديرها ، فكان أول عمل منشور له في العربية .

٢ ـ ديوان شعر الحادرة ـ لقطبة بن أوس الذبياني الملقب بالحادرة ، برواية ابي عبد الله محمد بن عباس اليزيدي ، نشر كملحق أول في Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society, New Series, Vol. 24– 25, 1948 – 49;Spplement 1, 1- 40 pp.

ـ بقي في نص ديوان شعر الحادرة (الشاعر الجاهلي) برواية اليزيدي (٢٢٨ ـ ٣١٠ هـ / ٨٤٣ ـ ٩٢٢ م) فيما نشره المستشرق الالماني انجلمان(G.H.Engelmann) مع ترجمته اللاتينية[٢٢] ، على رأي العرشي « من النقص ما يأباه الذوق ، ويخل في المعنى » ، فضلا عن ندرته ، فأعدّه بمقابلته نسخه الخطية في رامبور ومصر وانكلترا ، مثبتا اختلافها في الحواشي ، ومضيفا اليه ماوجده من أبيات الحادرة في اربعة وعشرين من الكتب الادبية واللغوية العربية القديمة شارحا ومفسرا لغات شعره ، كما كتب في أوله مقدمة في ست صفحات تعريفا بصاحب الديوان ،وألحق في آخره فهارس عديدة للمراجعة .

٣ ـ لامية الهند ـ للقاضي عبد المقتدر بن محمود بن سليمان الشريحي الكندي الدهلوي ، مجلة ثقافة الهند الفصلية ، الصادرة من مجلس الهند للروابط الثقافية بدلهي الجديدة ، ١ / ٣ / سبتمبر سنة ١٩٥٠ م ، الصفحات ٢ ـ ٩ .

---

(٢٢) بريل ، ليدن ، سنة ١٨٥٨ .

ـ عارض بها القاضي عبد المقتدر الدهلوي[٢٣] (المتوفى سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) لامية العجم الشهيرة لمؤيد الدين الطغرائي الاصفهاني (المتوفى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م) بكلام بليغ فصيح ، وجدها العرشي بانها لم تنقل في كتب الأدب والتاريخ الا ناقصة ، ولاتكاد توجد كاملة الا في بعض المجاميع الأدبية مصحفة مغشوشة فرجع إلى مظانها وضبطها وشرحها وصححها وفسَّر بعض كلماتها الغامضة .

٤ ـ الدالية ـ للشيخ أحمد بن محمد التهانيسري ، مجلة ثقافة الهند ، دلهي الجديدة ، ٣ / ١ / يونيو سنة ١٩٥٢ م ، الصفحات ٨٠ ـ ٨٢ .

ـ وجد العرشي من القصيدة المذكور للتهانيسري[٢٤](المتوفى سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م) أبياتا في سبحة المرجان في آثار هندوستان (الصفحة ٣٧ من الطبعة القديمة)[٢٥] وتسلية الفؤاد في قصائد آزاد (الصفحات ١٤ أ ـ ١٥ ب) كلتيهما لسيد غلام علي آزاد

---

(٢٣) ترجمته في نزهة الخواطر ٢ / ١٣٧ / ٧٠ ـ ٧٦ . وسبحة المرجان في آثار هندوستان لسيد غلام علي آزاد البكرامي ، تحقيق الدكتور محمد فضل الرحمن الندوي السيواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، جامعة عليكرة الإسلامية ، سنة ١٩٧٦ م ، رقم الترجمة ٦ ، الصفحات ٧٥ ـ ٩٠ .

(٢٤) ترجمته في نزهة الخواطر ٣ / ١١ / ٨ ـ ٣١ . وفي سبحة المرجان رقم الترجمة ٨ / ٩٢ ـ ٩٤ .

(٢٥) بمبئي ، سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٨٥ م .

البلكرامي[٢٦](١١١٦ ـ ١٢٠٠ هـ / ١٧٠٤ ـ ١٧٨٥ م) ، فضبطها وشرحها ، وقد فاته كثير من أبيات هذه القصيدة ، ذكرها العالم المؤرخ الهندي الشهير عبد الحي الحسني (المتوفى سنة ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م) ، ولم ترد القصيدة كاملة عنده ايضا[٢٧] .

٥ ـ ديوان ابي محجن ـ لعمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي الصحابي الملقب بمطاعيم الريح ، صنعة ابي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، مجلة ثقافة الهند ، دلهي الجديدة ، ٣ / ٢ / سبتمبر سنة ١٩٥٢ م ، الصفحات ٨٣ ـ ١٣٠ .

ـ وجد العرشي عند عمله في تصحيح ديوان الحادرة في نسخة بخط محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي ،عن نسخة ملوكية بخط ياقوت المستعصمي ديوان ابي محجن (المتوفى سنة ٣٠ هـ / ٦٥٠ م) ، من صنعة ابي هلال العسكري (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) ، فأعجب بغزارة معاني شعره ، وجزالة أبياته ، فنسخه وعارضه على المطبوع من الديوان[٢٨] بتصحيح لاند برج (Le Comet Lanberg) الملقب بالشيخ عمر السويدي ، كما قابله على نسخة خطية بيد ابي

---

(٢٦) ترجمته في نزهة الخواطر ٦ / ٣٨٩ / ٢٠١ ـ ٢٠٥ . وفي الانكليزية بقلم الدكتور السيواني في آخر سبحة المرجان ١ ـ ٢٤ .

(٢٧) نزهة الخواطر ٣ / ٩ ـ ١٣ .

(٢٨) ليدن ، بريل ، سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٩ .

عبد الله محمد بن يوسف السورتي[٢٩] (١٣٠٧ ـ ١٣٦١ هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٤٢ م) الذي رتب أبياته على القوافي مع استدراك مافات العسكري من شعره ، ثم تتبع العرشي شعره في المظان الأدبية والتاريخية ، فجمعه مع التحقيق والتفسير والشرح ، وقدّمه بترجمة لصاحب الديوان وجامعه الأول العسكري في ست صفحات بجنب النص في اربع وثلاثين صفحة ، وشعره من المراجع الأخرى في ثمان صفحات .

٦ ـ الأمثال السائرة من شعر المتنبي ـ للصاحب كافي الكفاة اسماعيل بن عباد الطالقاني القزويني ، مجلة ثقافة الهند ، دلهي الجديدة ، ٤ / ٤ / ديسمبر سنة ١٩٥٣ م ، الصفحات ٣٢ ـ ٤٨ ، ٥ / ١ / مارس سنة ١٩٥٤ م ، الصفحات ١٤ ـ ٤٤ ، ٥ / ٢ / يونيو سنة ١٩٥٤ م ، الصفحات ٤١ ـ ٥٨ ، ٥ / ٣ / سبتمبر سنة ١٩٥٤ م ، الصفحات ١٤ ـ ٣٦ .

ـ وقف العرشي على هذه الرسالة للصاحب ابن عباد (٣٢٦ ـ ٣٨٥ هـ / ٩٣٦ ـ ٩٩٥ م) الذي جمع فيه الأمثال من شعر ابي الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤ هـ / ٩١٥ ـ ٩٦٥ م) ، فأعجب بها وأخرجها بتحقيقه وزياداته من المراجع الأدبية الأخرى مثل كتاب الوساطة للقاضي ابي الحسن الجرجاني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م) ، ويتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لابي منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ، وشرح ديوان المتنبي لابي البقاء

(٢٩) ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ٤٢٦ / ٤٠٤ ـ ٤٠٦ .

العكبرى (المتوفى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) ، وخزانة الأدب لتقي الدين ابي بكر ابن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٤ م) ، أخرجها لاهل العلم « ليزّينوا بها جياد عباراتهم البليغة ، ويقتدوا بالصاحب (ابن عباد) في الانصاف والعدل ، ولو في حق من يكرهونه ويبغضونه لوجه ما » . ثم زوّدها بمقدمة عن المتنبي وتراجم الصاحب ابن عباد ، وفخر الدولة ابي الحسن علي بن ركن الدين (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) في ست عشرة صفحة بجنب النص في ثلاثين صفحة ، والزيادات عليه من الجرجاني في سبع عشرة صفحة ومن الثعالبي في اثنتين وعشرين صفحة .

٧ ـ تفسير القرآن ـ لأبي عبد الله بن سعيد بن مسروق الثوري ، سلسلة مطبوعات مكتبة رضا رامبور رقم ١٣ ، هندوستان برنتنك وركس ، رامبور ، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، الصفحات ٤٠ + ٤٨٣ .

ـ أعدّه العرشي من مخطوطة لتفسير الثوري (المتوفى سنة ١٦١ هـ / ٧٧٨ م) في مكتبة رضا برامبور بعد مراجعة خمسة ومائتين من المصادر العربية القديمة في التفسير والقراءات والحديث والأصول والكلام والتاريخ والسيرة والرجال والتراجم واللغة والأدب . وكانت المخطوطة المذكورة ناقصة من الأول والوسط والآخر ، لذلك يحتوي هذا الكتاب تفسير تسع واربعين سورة من أربع عشرة ومائة سورة للقرآن الكريم ، أوله سورة البقرة ، وآخره سورة الطور ، وقد سقطت من بينهما سورتا محمد والدخان ، كما ان ترتيب التفسير فيه ايضاً ليس على النهج

المتعارف بسبب تقديم وتأخير بعض الآيات . وقد قدّمه العرشي بترجمة حافلة في نحو أربعين صفحة بجانب نص الكتاب في اربع وأربعين ومائتين صفحة ، كما زوّده بتراجم حافلة لتسعة وتسعين ومائتين من رجال الثوري مرتبة على الصحابة والتابعين وتابعيهم في سبع وسبعين ومائة صفحة ، وهي من نفسها تعتبر ذات قيمة كبيرة للعاملين في هذا الميدان ، وألحق في النهاية فهارس علمية نافعة معروفة . وقد ذكرنا فيما سبق ما لقي هذا الكتاب من تقدير واعجاب واستحسان وثناء من العاملين في ميدان العلوم الاسلامية في الشرق والغرب ، فلا حاجة الى إعادته هنا مرة أخرى .

٨ ـ كتاب الاخبار للجاحظ ـ في كتاب نذر ذاكر ، الصادر من مجلس نذر ذاكر ، دلهي الجديدة ، سنة ١٩٦٨ م ، الصفحات ٢٠٣ ـ ٢٣٤ (في الاردوية) + ٢٣٥ ـ ٢٦٦ (النص العربي) .

ـ نشر في المجلد التذكاري الذي أهدي الى الدكتور ذاكر حسين (١٣١٥ ـ ١٣٨٩ هـ / ١٨٩٧ ـ ١٩٦٩ م) رئيس الجمهورية الهندية الأسبق عند عيد ميلاده الواحد والسبعين تكريما لخدماته الوطنية ، وخاصة في ميدان التربية والتعليم في الهند من جانب العلماء والباحثين الهنود . وذكرنا هذا المقال هنا لما يحتوي من تحقيق النص العربي ، مع ان التقديم له كتب في اللغة الأردوية[٣٠] .

---

(٣٠) قام بتعريب هذا التقديم سلمان الشمسي الندوي ونشره بعنوان « الجاحظ وانتاجه العلمي والأدبي » في مجلة البعث الإسلامي ، لكهنو ، ابريل سنة ١٩٤٧ م ، ومن المتوقع نشر التقديم

أشار فيه أولاً الى ما كتب عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٥ هـ / ٧٧٦ ـ ٨٦٩م) ، ثم قام بتعريف شخصه ومنزلته العلمية ومكانته الأدبية ، ثم ذكر مؤلفاته ، ومنها كتاب الأخبار الذي لم يجد منه نسخة الى وقت كتابة هذا المقال ، الا انه وجد منه اقتباسين طويلين في كتاب تفسير الحور العين للقاضي أبي الحسن نشوان الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٨م) ، أولها في بيان افراط الأمم من العرب والروم والفرس والهنود في الاعتقاد بالامور الدينية اعتقادا خاطئا ، لا يتناسب مع تقدمها العلمي والفكري والادبي ، وثانيهما عن الايمان بالاحاديث المخالفة للعقل والتجربة عند المسلمين خاصة ، فقدم نصهما العربي في آخر المقال بتحقيقه مع الاحالة على كتاب « تأويل مختلف الحديث » لأبي محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينوري (٢١٢ ـ ٢٧٦هـ / ٨٢٨ ـ ٨٨٩م) ، وكتاب « مشكل الحديث وبيانه » لأبي بكر محمد بن حسن بنفورك (المتوفى سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) لمن يريد من أهل العلم معرفة جانب آخر من هذا الموضوع .

٩ ـ كتاب مرسوم الخط ـ لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري البغدادي ، المعهد الهندي للدراسات الاسلامية ، تغلق آباد ، دلهي الجديدة ، هندوستان برنتنك وركس ، رامبور ، سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م ، الصفحات ٦ +٦٦ .

= مع الاقتباسين المذكورين في كتاب مستقل من تونس كما أخبرني به أكبر علي خان عرشي زاده في رسالته بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨١ م .

- بحث فيه ابن الانباري (المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) رسوم خط القرآن ، وما اختلف فيه قرّاء الأمصار ، وما اتفقوا عليه من ذلك ، وقد أعده العرشي من نسخته الوحيدة التي وجدها في مكتبة رضا برامبور ، مجلدة مع شرح العقيدة الخاقانية لأبي مزاحم البغدادي (المتوفى سنة ٣٤٥هـ / ٩٣٧م) ، والتي شرحها أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧١ ـ ٤٤٤هـ / ٩٨١ ـ ١٠٥٣م) ، وقد ألحق بآخره فهارس للكلمات المبحوث عنها والاشخاص والأحزاب والبلاد والكتب .

١٠ ـ كتاب المقطوع والموصول ـ لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري البغدادي ، سلسلة مطبوعات مكتبة رضا برامبور رقم ١٩ ، هندوستان برنتنك وركس ، رامبور ، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ، الصفحات ٦ + ٥٨ .

- ذكر فيه ابن الأنباري (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) ما رسم في المصاحف من المقطوع والموصول ، وما رسم بالهاء والتاء ، وما رسم بالواو والألف والياء ، واختلاف سائر مصاحف أهل الأمصار في الزيادة والنقصان وغير ذلك .

وقد أعدّه العرشي من مخطوطته في مكتبة رضا برامبور بمراجعة كتاب « مرسوم الخط » لنفس المؤلف (المذكور برقم ٩ أعلاه) ، وكتاب « المقنع في رسم مصاحف الأمصار » ، وكتاب « التيسير في القراءات السبع » وكلاهما لأبي عمرو الداني (٣٧١ ـ ٤٤٤ هـ / ٩٨١ ـ ١٠٥٣ م) ، و « اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر » لأحمد بن محمد بن أحمد

الدمياطي المعروف بالبناء (المتوفى سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م) ، ثم أراد نشره في بداية القرن الخامس عشر الهجري احتفاء بذكراه ، وأنه طبع في حياته ، ولكن لم ينشر الا بعد وفاته[٣١] ، وهكذا كان آخر عمل منشور له في العربية طبع تحت عنايته الذاتية .

ب ـ الدراسات :

١١ ـ استناد نهج البلاغة ـ تعريب عامر الانصاري[٣٢] ، المطبعة القيمة ، بمبئ ، سنة ١٩٥٧ م ، الصفحات ٨٧ .

ـ ألّف العرش هذه المقالة في الأردوية ، فقوبل باستحسان وتقدير زائد ، ونشر مرارا وصادف أن رآها وزير التعليم الهندي الأسبق الشيخ أبو الكلام آزاد[٣٣] (المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م) ،

(٣١) كما أخبرني به أكبر علي خان عرشي زاده في رسالته المؤرخة ١٥ / ١٢ / ١٩٨١ م .

(٣٢) تخرج في العلوم الإسلامية من مدرسة مظاهر العلوم في سهاربنور ، وتدرب على الإفتاء في دار العلوم بديوبند ، واستفاد الآداب العربية أثناء إقامته في مصر ، وكان يعرف الفارسية والانكليزية والفرنسية الى جانب لغته الأم الأردوية ، التحق بمجلس الهند للروابط الثقافية بدلهي الجديدة ، فعمل في مكتبته مدة ، ثم في مجلته الفصلية « ثقافة الهند » كمدير مساعد الى أن توفي رحمه الله في فبراير سنة ١٩٨٠ م / ١٤٠٠ هـ .

(٣٣) هو أحمد بن خير الدين العالم الفاضل والأديب النابغ صاحب النشاط الصحفي والسياسي الكبير في المحيط السياسي الهندي قبل الاستقلال ، وقد تولى وزارة المعارف الهندية المركزية منذ الاستقلال إلى وفاته يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ م ، وله مؤلفات علمية أدبية في الأردوية ، منها « ترجمان القرآن في التفسير » الذي نشر في أربعة أجزاء من ساهيته اكيدمي ، دلهي الجديدة سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٧٠ وقد قام بتعريب بعض أجزائه الشيخ أبو نصر البهوبالي (ترجمته في نزهة الخواطر ٨ / ١٧ / ١٥ ـ ٢١) .

فأعجب بها ، وأشار الى عبد الرزاق المليح آبادي رحمه الله[٣٤] مدير مجلة ثقافة الهند في ذلك الوقت أن ينشر ترجمتها العربية في مجلته ، فنشرها بتعريب عامر الأنصاري ومراجعة صاحب المقال (انظر مقالاته العربية المطبوعة رقم ٢) . وقد ذكرناه هنا أيضاً لأنه نشر في شكل كتاب مستقل .

عرض فيه العرشي لكتاب « نهج البلاغة » الذي يحتوي على نخبة من خطب سيدنا علي بن أبي طالب (٢٣ ق . هـ . ـ ٤٠ هـ / ٦٠٠ ـ ٦٦١ م) رضي الله عنه ورسائله وحكمه فردّ على من يزعم بان محتوياته من صنع محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ / ٩٧٠ ـ ١٠١٦ م) بأدلة وبراهين وبحث محتوياته خطبة خطبة ، ورسالة رسالة ، ثم بعض الحكم في المصادر والمراجع العربية القديمة على طريقته المعهودة في التحقيق والتدقيق ، واستنتج بانها ليست من صنع الشريف الرضي ، بل اعتنى بتدوينها وتسجيلها متفرقة مبعثرة من سبقه من المؤرخين والمؤلفين ، وكان ينوي مناقشة محتويات « نهج البلاغة » دراية فيما « اذا كان علي رضي الله عنه قد نطق بكل ما سجل في دفتي الكتاب نهج البلاغة ، وهل يصح انتسابه الى أمير المؤمنين رضي الله عنه » .

---

(٣٤) من المثقفين ثقافة عالية في الأردوية والعربية ، برز في ميدان العلم والأدب والصحافة في الهند ، ولزم الشيخ أبا الكلام آزاد في نشاطاته العلمية والأدبية والسياسية والصحفية ، ثم رأس إدارة تحرير مجلة « ثقافة الهند » الفصلية الى وفاته .

ج ـ المقالات :

١ ـ « الإمام الثوري وكتابه في التفسير » . في المباحث العلمية ، دائرة المعارف الإسلامية ، حيدر آباد بالهند ، سنة ١٣٥٨ هـ ، الصفحات ١٥٩ ـ ١٨٨ .

هذه المقالة سبقت نشر كتابه تفسير القرآن للثوري نحو خمس وعشرين سنة ، قدّمها في الاحتفال بالعيد الفضي لدائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ، ونشرت ضمن مجموعة المقالات المقدّمة فيه .

٢ ـ « استناد نهج البلاغة » . تعريب عامر الانداري ، مجلة ثقافة الهند ، دلهي الجديدة ، ٨ / ٤ / ديسمبر سنة ١٩٥٧ م الصفحات ٢ ـ ٨٧ .

ـ سبق التعريف بها في مؤلفاته العربية المطبوعة رقم ١١ .

٣ ـ « حول أخبار الزمان » . مجلة ثقافة الهند ، دلهي الجديدة ، ١٢ / ١ / يناير سنة ١٩٦١ م ، الصفحات ٩٣ ـ ١٢٣ .

ـ بحث في هذه المقالة ان المطبوع من أخبار الزمان(٣٥) لأبي الحسن علي بن الحسين المسعود (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ليس في الحقيقة أخبار الزمان (لاكله ولاجزءه) ، بل هو في الحقيقة اختصار لبعض أجزائه التي اختصرها المسعودي نفسه ، وانه لا

(٣٥) تصحيح ومراجعة عبد الله الصاوي ، مطبعة عبد الحميد أحمد الحنفي ، سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

يبعد أن يكون قطعة من الكتاب الأوسط له ، بدليل ما يوجد في المطبوع (من أخبار الزمان المذكور) من المطالب التي لم يذكرها المسعودي الا في الكتاب الأوسط فقط .

٤ ـ « الجاحظ وانتاجه العلمي والأدبي » . تعريب سلمان الشمسي ، مجلة البعث الاسلامي ، لكهنؤ ، ١٨ / ٨ / ابريل سنة ١٩٧٤ م ، الصفحات ٧٨ ـ ٩٧ .

ـ الترجمة العربية للتقديم الذي كتبه العرشي في الأردوية عند نشر اقتباسين من كتاب الأخبار لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٠ ٢٥٥ هـ / ٧٧٦ ـ ٨٦٩ م) .

مؤلفاته العربية غير المطبوعة

أ ـ تحقيق النصوص :

١ ـ تسهيل الميزان ـ لمحب الله بن عبد الشكور البهاري .

ـ هو اختصار لسلّم العلوم في المنطق للبهاري نفسه (المتوفى سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م) ، وقام العرشي بالشرح والتعليق عليه على مايبدو حين كان ابن ثماني عشرة سنة ، فقد أرخت المخطوطة المحفوظة منه بخطه في مكتبة رضا رامبور برقم ٣٤٤٥ بسنة ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م ، مما يدل على انه قام بهذا العمل حين كان طالبا في مدرسة مطلع العلوم رامبور ، وتلميذاً خاصاً للشيخ سيد أحمد الهزاروي ، ومعتنياً بالعلوم العقلية أكثر من غيرها . وعلى هذا هو أول تأليف له في العربية لم يقدّر له أن ينشر .

٢ ـ شواهد القرآن ـ للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري .
ـ خرّج في هذا الكتاب جميع الأبيات التي وردت في تفسير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ / ٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) بالاحالة على أقدم المصادر العربية المتيسرة مع ذكر أصحابها ونقل سياقها في التفسير المذكور ، وهو في سبع مجلدات . وبهذا أضاف العرشي إلى مؤلفات الطبري الكثيرة المتعددة كتاباً جديداً قيماً ينتفع به في الدراسات القرآنية والأدبية وغيرها .

٣ ـ ديوان النمر :
ـ مجموعة شعر النمر بن تولب العكلي (المتوفى نحو سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م) ، جمعها باحثاً منقباً من الكتب القديمة ، ثم رتّبها في هذا الديوان .

٤ ـ كتاب المقصور والممدود لأبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الفرّاء الكوفي
ـ جمع فيه الفرّاء (١٤٤ ـ ٢٠٧ هـ / ٧٦١ ـ ٨٢٢ م) الكلمات العربية الكثيرة التي تنتهي بالألف المقصورة والألف الممدودة ، وأعدّه العرشي من مخطوطة مكتبة رضا برامبور ، ونسخة أخرى منه في تركيا ، ولكنه لم ينشره ، لأن شيخه عبد العزيز ميمن قد نشر نفس الكتاب بتحقيقه قبله ، فأعرض العرشي عن نشره ، مع انه كان قد رجع إلى مصادر أكثر من الشيخ ميمن[٣٦] .

(٣٦) كما أخبرني به أكبر علي خان عرشي زاده في بيتي يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٨١ شفوياً .

٥ ـ رسالة في اختلاف الملل في الألوهية والإمامة .

ـ اقتبسها مما جاء في كتاب تفسير الحور العين للقاضي أبي سعيد / أبي الحسن نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري اليمني (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م) من شرح معتقدات الطوائف الإسلامية وغيرها في الألوهية والإمامة ، وأورد في الحواشي ما جاء فيهما من مصادر أخرى .

٦ ـ ديوان جرير بن عطية (٢٨ ـ ١١٠ هـ / ٦٤٠ ـ ٧٢٨ م) .

٧ ـ النوادر عن أبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (١٥٠ ـ ٢٣١ هـ / ٧٦٧ ـ ٨٤٥ م) .

٨ ـ كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن حموش القيسي (٣٥٥ ـ ٤٣٧ هـ / ٩٦٦ ـ ١٠٤٥ م) .

٩ ـ كتاب المختصر في صحيح الاعتقاد وصريح الانتقاد ـ للقاضي أبي سعيد نشوان الحميري .

١٠ ـ كتاب مختصر ميزان الشعر وتثبيت النظام ـ للقاضي أبي سعيد نشوان الحميري .

١١ ـ مختصر كتاب مشكل الروي وصراطه السوي ـ للقاضي أبي سعيد نشوان الحميري[٣٧] .

---

(٣٧) وردت العناوين من رقم ٦ الى رقم ١١ في فهرس مؤلفاته العربية بخط أكبر علي خان عرشي زاده في ورقة .

ب ـ الدراسات :

١٢ ـ فصل الخطاب لعمر بن الخطاب .

ـ وهو في أربعة أجزاء ، الأول في سيرة سيدنا عمر الفاروق (٤٠ ق .هـ ـ ٢٣ هـ / ٥٨٢ ـ ٦٤٤ م) رضي الله عنه ، مروية عنه بصيغة المتكلم ، والثاني في خطبه على الترتيب التاريخي مع بيان المناسبة والغرض من كل خطبة ، والثالث في رسائله مرتبة على أسماء المرسل اليهم بالتسلسل التاريخي مع بيان أحوالهم ونقل رسائلهم الموجّهة اليه في الحواشي ان تيسّرت ، والرابع في أقواله المأثورة على ترتيب الموضوعات . وقد ذكرنا فيما سبق أنه اهتم بجمع مواد هذا الكتاب منذ وقت مبكّر ، فجمع منها كثيراً في نحو نصف قرن من الزمن ، ولكنه لم يوفق إلى ترتيبه ترتيباً نهائياً الى آخر حياته[٣٨] .

مسعود الرحمن خان الندوي

---

(٣٨) وبالإضافة الى المؤلفات العربية المذكورة ، أخبرني أكبر علي خان عرشي زاده أنه وجد من ترتيب أبيه فهرس « تراجم النور السافر في أعيان القرن العاشر » لمحيي الدين عبد القادر العيدروسي (٩٨٧ ـ ١٠٣٨ هـ / ١٥٧٠ ـ ١٦٢٨ م) على ترتيب حروف الهجاء في ست صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة مؤرخة ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ م كما جاء في آخره .

(التعريف والنقد)

الفراسة عند العرب

القسم الثاني

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

(٢)

كنت ، وأنا أقرأ ماكتب الدكتور يوسف مراد في الفراسة عند العرب ، أسجل ملاحظات وتعليقات ، وقد دفعت بعضاً منها إلى الحواشي [٣٠] إلا تعليقاً واحداً رأيت أن من حقه أن يثبت في المتن لأنه محاولة لدراسة الفراسة عند العرب بطريقة أخرى :

قال يوسف مراد في مقدمة دراسته (وأنقل دائماً عن الترجمة إذ لم أستطع الحصول على الأصل الفرنسي) : « .. قبل وصول المؤلفات اليونانية كان العرب على بينة من أمر الفراسة وعلى صياغة معلوماتهم صياغة علمية .. » ثم عاد فقال في مطلع الفصل الأول : « يعد علم الفراسة من العلوم التي استمدها العرب من اليونان . »

فكيف الفصل في ظاهر التناقض هذا ؟ الطريقة السديدة ، عندي ، هي أن نميز ما أثر عن العرب في الفراسة مما نقل عن يونان ثم ننظر في كتب المتأخرين : كيف جمعوا أو ألفوا بين ما جاء من التراثين . ولكن مثل هذا العمل ليس بالسهل . فالمعلومات عن الفراسة مبثوثة في

كتب كثيرة ومن أنواع من العلوم شتى[٣١] : فهي نلقاها في كتب الدين واللغة والأدب والأخبار والتاريخ والجغرافية والحيوان والعلوم الطبيعية والطب والفلسفة والتصوف .. فالإحاطة بها إن لم تكن متعذرة فهي أشبه بالمتعذرة . وهذه محاولة أولية تترك الكثير لمن يشاء الجري في هذا الميدان :

في الشعر

لم نستطع ، الصديق الأستاذ أحمد راتب النفاخ وأنا ، أن نتذكر بيتاً واحداً من الشعر الجاهلي وردت فيه كلمة فراسة أو أحد مشتقاتها . ثم تذكر أبياتاً لشاعر من شعراء الحماسة هو أبو صعترة البولاني (لم نعثر له على ترجمة والأرجح أنه إسلامي)[٣٢] وهذه هي[٣٣] :

فما نطفة من حب مزن تقاذفت ... به حسَن الجودي والليل دامس
فلما أقرته اللصاب تنفست ... شمال لأعلى مائه فهو قارس
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ... ولكنني فيما ترى العين فارس

وجاء في شرح المرزوقي : « ..وكثير من الناس يرويه : به جنبتا الجودي . وقيل في حسَن الجودي : إنه قطعة متصلة بالجودي ، والجودي جبل ... واللصاب جمع لِصْب وهو شقوق في الجبل .. وقوله فارس : أراد به المتفرس . ويقال : هو فارس على الخيل بيِّن الفروسة ، وإذا كان يتفرس في الأشياء ويحسن النظر فيها قلت : هو فارس بيِّن الفراسة » .

في القرآن والسنة والكتب الدينية

وكذلك لم يرد ذكر لكلمات « فراسة وتفرس .. » في الذكر الحكيم ، ولكن جاءت فيه ألفاظ مصاقبة لها في المعنى أو موافقة مثل « توسم وسيما » كما في الآيتين : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾[٣٤] و ﴿ لو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول ﴾[٣٥] .

وفسر « المتوسمين » « بالمتفرسين » المفسرون [٣٦] من ابن جرير الطبري (ـ ٣١٠) إلى الجلال السيوطي (ـ ٩١١) ، إلا أبا حيان الأندلسي فلم يذكر كلمة « المتفرسين » ، وأضافوا في تفسيرها كلمات أخر مثل : المعتبرين ، الناظرين ، المتفكرين الخ ..

وقد كنت أقول : إن الطبري والمفسرين من بعده قد تأثروا بما انتشر من المعنى الاصطلاحي للفراسة (هذا إذا صح أن ابن البطريق الذي عاش في القرن الثاني هو مترجم كتاب « سر الأسرار ») ، لولا ما روى الطبري وكثير من المفسرين من بعده من أحاديث ترجع التفسير إلى الرسول ﷺ والصحابة والتابعين :

قال الطبري : « حدثني عبد الأعلى بن واصل قال : ثنا يعلى بن عبيد قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن قيس عن مجاهد[٣٧] في قوله (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) قال : للمتفرسين . » . ورواه عنه أيضاً من طرق أخرى .

وقال الطبري : « حدثني محمد بن عمارة قال : ثني حسن بن مالك قال : ثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، ثم قال النبي ﷺ : (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) » . ورواه عنه من طريق أخرى ، كما رواه عن ابن عمر بسند آخر .

وخرَّج هذا الحديث محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ـ ٩٠٢) قال[٣٨] : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، الترمذي في التفسير والعسكري في الأمثال كلاهما من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً ، ثم قرأ (إن في

ذلك لآيات للمتوسمين) ، وقال الترمذي : إنه غريب .. وكذا أخرجه الهروي والطبراني وأبو نعيم في الطب النبوي وغيرهم من حديث راشد بن سعد عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً . ويروى عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما . بل هو عند الطبراني وأبي نعيم والعسكري من حديث وهب بن منبه عن طاوس عن ثوبان رضي الله عنه رفعه بلفظ : احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله . ولكن قد قال الخطيب عقب حديث أبي سعيد : المحفوظ ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس قال : كان يقال : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . وعند العسكري من حديث ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانئ عن أبي الدرداء رضي الله عنه من قوله : اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم . وكلها ضعيفة ، وفي بعضها ما هو متماسك لا يليق مع وجوده الحكم على الحديث بالوضع ، لاسيما وللبزار والطبراني وغيرهما كأبي نعيم في الطب بسند حسن عن أنس رضي الله عنه رفعه : إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم .. »

أما الآية ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم بلحن القول ..) فقد كنت أفهم « لحن القول » فيها أنه التعريض بكلام يفهمه خالي الذهن على ظاهره بمعنى ويفهمه من اتفق معه عليه أو الذكي المتنبّه بمعنى آخر . فلما قرأت ما كتبه « ت . فهد » في دائرة المعارف الإسلامية في الفراسة[٣٩] وفيه ترجم « لحن القول » باللفظة « lapsus » ومعناها الهفوة أو زلة اللسان والقلم خطأته . ثم رجعت إلى تفاسير الطبري والطبرسي والزمخشري والقرطبي[٤٠] فلمحت فيها لحاً ثلاثة معان لهذه الكلمة في هذه الآية :

المعنى الأول ذكره الطبري والطبرسي والقرطبي وهو « فحوى الكلام » . واستشهد القرطبي بقول الشاعر « وخير الكلام ما كان لحناً » أي « ما عرف بالمعنى ولم يصرّح به » وبقول أبي زيد : « لحنت له .. إذا قلت له قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره » . ويشبهه ما ذكره الزمخشري : «وقيل : اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية .. »

المعنى الثاني وهو قريب من الأول ورد عند الزمخشري قال : « .. في لحن القول في نحوه وأسلوبه . وعن ابن عباس : هو قولهم : مالنا إن أطعنا من الثواب ؟ ولا يقولون : ماعلينا إن عصينا من العقاب ؟ » . فهم في قلوبهم جاحدون بالأمر والفعل والثواب والعقاب ، ولكنهم يسألون عن الثواب لأنهم يستطيعون أن يقولوا : لانريد أن نفعل الفعل ولا نريد ثوابه ، فلهم حرية الرفض : وليس لهم هذه الحرية في العقاب .

المعنى الثالث ورد عند القرطبي قال : « وقيل : كان المنافقون يخاطبون النبي ﷺ بكلام تواضعوه فيما بينهم والنبي ﷺ يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد فنبهه الله تعالى عليه » .

ويمكن أن نضيف معناً رابعاً وهو اللحن بمعنى الخطأ وذكره الطبرسي والزمخشري لا بمعرض تفسير الآية ولكن بمناسبة ذكر المعنى الأول ، فالخطأ في الكلام هو أيضاً إمالته ولكن الى غير « النحو » الصحيح .

فهل نستطيع أن نجد في هذا المعنى مسوغاً لترجمة « فهد » تلك ؟ إن اللحن بمعنى الخطأ يكون في الفصحى ، أما الهفوات وزلات اللسان والقلم فتكون في الفصحى والعامية ، هي من نوع إبدال حرف بحرف فيتغير

معنى الكلمة ، أو إبدال كلمة بكلمة فيتغير معنى الجملة ، أو قراءة الكلمة على نحو يبدل معناها أو معنى الجملة ، أو النطق بجملة أو كلمة يريد المتكلم غيرها الخ .. ثم إن اللحن بمعنى الخطأ يكون نتيجة الجهل أو العادة المتمكنة التي تفرض الخطأ وصاحبها يعرفه أو السهو ، أما الهفوات والزلات فليست نتيجة للجهل أو العادة المتمكنة ولكنها تنزلق على اللسان أو القلم انزلاقاً آلياً . فهل يمكن أن ندخلها في باب السهو ، وندخل اللحن بمعنى الخطأ في تفسير الآية ؟ إن في هذه المحاولة تكلفاًكثيراً ، ولكن لها سبباً وهو أن علماء التحليل النفسي يعطون هذه الهفوات والزلات قيمة كبيرة في الكشف عما يعتمل من الدوافع في الأعماق المظلمة من النفس .

« فلحن القول » بالمعنيين الأول والثاني يستطيع فيهما السامع الذكي المتنبه أن يكشف عما يكنه المتكلم في نفسه من أفكار ونيات وعواطف . وهو في المعنى الثالث يكاد يمتنع فيه حتى على السامع الذكي الكشف عما يخفي المتكلم في صدره وهنا يأتي الوحي أو الإلهام فيكشف للنفوس المؤيَّدة عن ذات الصدور . فلحن القول وفهمه بمعانيه الثلاثة أداة هامة في الفراسة ، فإذا أضفنا إليها المعنى الرابع نكون قد زودنا الفراسة بأداة تتوغل بها في أعماق النفس المظلمة فتكشف عن الدوافع الخفية حتى على الشخص المتكلم ذاته . ويسوّغ هذا النوع من التفسير أخبار كثيرة رواها الرواة عن صدق الفراسة لا سيا منها مايتنبأ بمصاير الأشخاص . ذكر القرطبي في تفسيره : « روي عن الحسن البصري أنه دخل عليه عمرو بن عبيد فقال : هذا سيد فتيان البصرة إن لم يحدث . فكان من أمره من القدر ما كان .. » ، فلا شك أن الحسن أدرك من طبع عمرو

ودوافعه ماربما كان يخفى على عمرو ذاته ، وذلك من مجمل سلوكه ومما كان يجري على لسانه قصداً أو عفواً فقدّر مايمكن أن يقدم عليه في مقبل أيامه .

والخلاصة : إن هاتين الآيتين وآيات أخر وما اجتمع حولها من أحاديث وآثار ملأت ، منذ عهد مبكر في تاريخ الإسلام يتقدم عهد التابعين على الأرجح ، كلمة « فراسة » بمعناها الاصطلاحي من حيث إنها الاطلاع على المخبآت من النيات والأفكار والعواطف ومعرفةُ معاقد الطباع والأخلاق والكشفُ عن الدوافع المختفية في الأعماق النفسية ابتداء من ملاحظة الظواهر الخارجية من ملامح وسمات ومن سلوك وأسلوب في التحرك والعمل ومن كلام ينطلق به اللسان قصداً أو عفواً ، و أعطتها أيضاً معنى روحياً خاصاً حين وصلت بينها وبين الوحي والإلهام .

وقد أفادنا علم ذلك علماء التفسير بالمأثور خاصة مما حشدوا من أحاديث وآثار مشفوعة بأسانيدها أية كانت درجة صحتها . أما المفسرون من علماء الكلام أمثال الزمخشري المعتزلي والفخر الرازي والبيضاوي الأشعريين والنسفي الماتريدي فلم يكادوا يجاوزون التفسير اللغوي .

واتخذ من هذه الآيات ولاسيا من الحديث « المؤمن ينظر بنور الله » الشيعة والصوفية مؤيداً لمذاهبهم . جاء في « جامع البيان » للطبرسي في تفسير الآية ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ : « وروي عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) (ع) أنه قال : نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ، ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره » . وجاء فيه أيضاً في تفسير (.. ولتعرفنهم بلحن القول ..) : « وعن أبي سعيد الخدري قال : لحن القول بغضهم علي بن أبي طالب

(ع) ، وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، وعن عبادة بن الصامت قال : كنا نبور (نختبر) أولادنا بحب على (ع) فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رشدة .. » .

وجاء في « لطائف الإشارات » للقشيري : « .. والفراسة خاطر يحصل من غير أن يعارضه ما يخالفه عند ظهور برهان عليه فيخرج من القلب عين ما يقع لصاحب الفراسة .. والحق سبحانه يطلع أولياءه على ما خفي على غيرهم . وصاحب الفراسة لا يكون بشرط التفرس في جميع الأشياء وفي جميع الأوقات بل يجوز أن تُسدّ عليه عيون الفراسة في بعض الأوقات .. » .

ولكننا لا نجد عند علماء التفسير أكثر من تحديد لمعاني كلمات « توسم ، سيما ، تفرس ، فراسة .. » ، ولا نتوقع أن نجد أكثر من ذلك لأنهم بسبيل تفسير الآيات لا في سبيل بحث منطقي في موضوع علم الفراسة .. إلا القرطبي فقد وقف وقفة غير قصيرة عند الفراسة فأورد ما يقال عن الفراسة الصوفية والفراسة الطبيعية دون أن يعطيهما اسميهما ، وما يقال عن المؤهلات التي يجب أن تتوفر فيمن يمارس الفراسة ، وعرف الفراسة تعريفاً محكماً فقال : « هي استدلال بالعلامات ، ومن العلامات ما يبدو ظاهراً لكل أحد وبأول نظرة ، ومنها ما يخفى فلا يبدو لكل أحد ولا يدرك ببادئ النظر . » ثم أورد أخباراً عن بعض المشهورين بصدق الفراسة أمثال الحسن البصري والشافعي .. ثم طرح مسألة هامة هي « الفراسة في الأحكام » فقال :

الفراسة في الأحكام

« قال أبو بكر بن العربي : إذا ثبت أن التوسم والتفرس من مدارك المعاني فإن ذلك لايترتب عليه حكم ولا يؤخذ به موسوم ولا متفرّس . وقد كان قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد أيام كوني بالشام يحكم بالفراسة في الأحكام جرياً على طريق إياس بن معاوية أيام كان قاضياً ، وكان شيخنا فخر الإسلام أبو بكر الشاسي صنف جزءاً في الرد عليه كتبه لي بخطه وأعطانيه . وذلك صحيح ، فإن مدارك الأحكام معلومة شرعاً مدركة قطعاً وليست الفراسة منها » .

وانتبه إلى هذه المسألة يوسف مراد فقال : « .. فإنه يستعان بالفراسة ، من حيث هي قدرة عقلية على الاستدلال السريع ، للكشف عن الجريمة ، وهي وسيلة مشروعة في رأي بعض الفقهاء وعلى الأخص الحنابلة » .

وفي هذين النصين بعض الالتباس ، فقد يظن من لا علم له أن القضاء في الإسلام كان بالظن أحياناً وأحكام القضاة بالفراسة . وهذا مخالف للحقيقة . وقد أحالنا يوسف مراد على ابن قيم الجوزية (ـ ٧٥١) في كتابه « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » ، فلنرجع إذن إليه :

سئل ابن القيم عن « الحاكم أو الوالي يحكم بالفراسة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ولايقف على مجرد ظواهر البينات والأحوال .. فهل ذلك خطأ أم صواب ؟ » ، فكان كتابه هو الجواب . وهذه خلاصة للجواب[٤١] :

إن هذه مسألة جليلة القدر إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقاً كثيراً وأقام باطلاً كبيراً ، وإن توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من الظلم والفساد .

فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده وفي القرائن الحالية والمقالية كفقهه في جزئيات الأحكام وكلياتها اضاع حقوقاً كثيرة اعتماداً منه على ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وسائر أحواله .

فالفقه فقهان ولا بد للحاكم منهما كليهما : فقه في أحكام الحوادث الكونية وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس يميز به بين الصادق والكاذب والمحق والمبطل ، ثم يطابق بين هذا وهذا .

والشريعة لم تتنزل إلا بغاية العدل الذي يفصل بين الخلائق ، ومن له علم بمقاصدها ووضعها مواضعها وحسن فهم فيها لم يحتج إلى سياسة غيرها تخرج الحق من الظالم الفاجر .

ألم تر إلى داود وسليمان في حكمهما بين المرأتين اللتين ادعتا الولد : حكم داود للكبرى ، وقال سليمان : إيتوني بالسكين أشقه بينهما فسمحت الكبرى وقالت الصغرى : لا تفعل إنه ابنها ، فقضى به للصغرى ، إذ اتضح من هذه القرينة : رضا الكبرى وشفقة الصغرى وامتناعها من الرضا أنها هي الأم ، فقدم القرينة على الإقرار . وهذا هو الحق ، فإن الإقرار إذا كان لعلة اطلع عليها الحاكم لم يلتفت إليه .

وهل الحكم بموجب اللوث في الدماء بالقسامة[٤٢] ، وقد حكم به النبي ﷺ ، إلا من هذا النوع ؟ والذي في سورة المائدة لوث في الأموال[٤٣] ،

والـذي في سورة يـوسف لـوث في دعـوى العرض[٤٤] . وكَـذلـك الأمر في اللعان . وقد حكم عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ، ولا يعرف له مخـالف في الصحابة ، بوجوب الحد برائحة الخمر من في الرجل أو قيئـه خمراً اعتماداً على القرينة . وهل القضاء بالنكول عن اليمين إلا رجوع إلى مجرد القرينة الظاهرة فتقدمت على أصل براءة الذمة ؟...

والبينـة في الحقيقـة هي كل مـا يبين الحـق ويظهره ، ومن خصهـا بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهد الواحد لم يعطها حقها . ولم تأت البينـة في القرآن قط مراداً بهـا الشـاهـدان وإنمـا أتت مراداً بهـا الحجـة والـدليل والبرهان . وكـذلـك قول النبي ﷺ : البينـة على المـدعي ، المراد بـه أن عليه ما يصحح به دعواه . والشاهدان من البينة ، وقـد يكون غيرهـا من أنواع البينة أقوى .

فالشـارع لم يلغ القرائن والأمـارات ودلائل الأحوال بل من استقرى الشرع في مصـادره ومـوارده وجـده شـاهـداً لهـا بـالاعتبـار مرتبـاً عليهـا الأحكام . وقد قـال أبو الوفـاء بن عقيل[٤٥] (ـ ٥١٣) عنهـا : أليس هـذا فراسة ؟ وصـدق في قولـه . وقـد مـدح الله سبحـانـه الفراسـة وأهلهـا في مواضع من كتابه ، فقال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيـات للمتوسمين ﴾ وهم المتفرسون الآخذون بالسيما وهي العلامة .

والسياسة الشرعية تكون من تأويل القرآن والسنة . قال الشـافعي : لا سياسـة إلا مـا وافق الشرع ، فقـال ابن عقيل : السيـاسـة مـا كان فعلاً يكـون معـه النـاس أقرب إلى الصـلاح وأبعـد عن الفسـاد وإن لم يضعـه الرسول ولا نزل بـه وحي ، فـإن أردت بقولـك إلا مـا وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق بـه الشرع فصحيح وإن أردت لا سيـاسـة إلا مـا نطق بـه

الشرع فغلط وتغليط للصحابة . فقد جرى من الخلفاء الراشدين ... مالا يجحده عالم بالسنن ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة ، وتحريق علي رضي الله عنه الزنادقة في الأخاديد فقال :

إني إذا شاهدت أمراً منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

هذه السياسة الشرعية هل هي من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة أم من السياسات الجزئية التابعة للمصالح فيتقيد بها زماناً ومكاناً ؟

لقد أختار عمر للناس الإفراد بالحج ليعتمروا في غير أشهر الحج فلا يزال البيت الحرام مقصوداً . فظن بعض الناس أنه نهى عن المتعة وأوجب الإفراد . وتنازع في ذلك ابن عباس والزبير ، وأكثر الناس على ابن عباس في ذلك وهو يحتج عليهم بالأحاديث الصحيحة . فلما أكثروا عليه قال : يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟ والمقصود أن هذا وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة يختلف باختلاف الأزمنة .

هذه خلاصة لآراء ابن القيم ، وما بقي من الكتاب إنما هو تطبيق لها في مجالات وأحوال وظروف وأزمان مختلفه ودعم لها بأحاديث وأقوال وشواهد وباجتهادات مختلفة مروية عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وعن الخلفاء والأمراء والولاة والفقهاء والقضاة ..

وهنا لابد من بعض الملاحظات :

(١) إن ما يقصده ابن القيم بالسياسة الشرعية هو ماندعوه اليوم حق التشريع . فعمر مثلاً منع بيع أمهات الأولاد وكان رأياً منه فقد بعن في حياة الرسول وفي خلافة الصديق . ولما عزم علي على بيعهن وقال : إن عدم البيع كان رأياً اتفق عليه هو وعمر ، قال له قاضيه عبيدة السلماني : ياأمير المؤمنين رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك . فقال : اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الخلاف . وواضح أن رأى عمر سنة استنها للمسلمين تخضع لقاعدة « تبدل الأحكام بتبدل الأزمان » .

فللفراسة إذن مكانتها الكبيرة في التشريع كما في التنفيذ والتطبيق . فالشارع يتبصر في الظروف المستجدة ، أو كما نقول : في القوى الاجتماعية البازغة وما تفرضه من علاقات اجتماعية ، فيسن من القوانين ما يلائمها . وهو كما يقول ابن القيم « مقام ضنك ومعترك صعب فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق .. وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد .. وسدوا على نفوسهم طرقاً صحيحة .. مع علمهم أنها حق مطابق للواقع ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع » .

(٢) وابن القيم يوسع الفراسة كثيراً . ففيها يُدخل :

حضور البديهة وحسن التصرف واللباقة في الحديث والتعريض بالشكوى أو الحاجة . أتت امرأة عمر فشكرت عنده زوجها وقالت : هو من خير أهل الدنيا يقوم الليل حتى الصباح ويصوم النهار حتى يمسي ثم أدركها الحياء ، فقال : جزاك الله خيراً فقد أحسنت إلينا . فلما ولت قال كعب بن سور : ياأمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشكوى . فقال : وما اشتكت ؟ قال : زوجها . قال : عليّ بها . فقال لكعب :

اقض بينهما . قال : أقضي وأنت شاهد ؟ قال : إنك فطنت إلى ما لم أفطن إليه . قال : إن الله يقول[٤٦] : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ ، صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوماً وقم ثلاث ليالٍ وبت عندها ليلة . فقال عمر : هذا أعجب من الأول ، فبعثه قاضياً لأهل البصرة .

والقيافة بمعنييها : قيافة الأثر وقيافة البشر . وقد حكم بها رسول الله والخلفاء الراشدون وأبو موسى الأشعري وابن عباس وأنس بن مالك ولا مخالف لهم في الصحابة ، وقال بها من التابعين سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري وإياس بن معاوية وقتادة وكعب بن سور ، ومن تابعي التابعين الليث بن سعد ومالك بن أنس وأصحابه وممن بعدهم الشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وإسحاق وأبو ثور وأهل الظاهر كلهم ، وخالفهم أبو حنيفة وأصحابه وقالوا : العمل بها تعويل على مجرد الشبه وقد يقع بين الأجانب وينتفى بين الأقارب . وقد ثبت في قصة العُرَينيين أن النبي ﷺ بعث في طلبهم قافة فأتى بهم ، رواه أبو داود بإسناد صحيح[٤٧] ، فدل على اعتبار القيافة والاعتماد عليها في الجملة ، إذ استدل بأثر الأقدام على المطلوبين . وروى زياد بن أبي زياد قال : انتفى ابن عباس من ولد له ، فدعي له ابن كلدة القائف فقال : أمّا إنه ولده ، فادعاه ابن عباس . وابن القيم يعد القائف من أهل الخبرة كالناقد في نقده والمقوم في تقويمه .

والتبصر في القرائن والأحوال والأدلة . قال الليث بن سعد : أُتي عمر بن الخطاب يوماً بفتى أمرد وقد وجد قتيلاً ملقى على وجه الطريق . فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر ، فشق ذلك

عليه وقال : اللهم أظفرني بقاتله . حتى إذا كان على رأس الحول وجد صبي مولود ملقى بموضع القتيل ، فأتى به عمر . فقال ظفرت بدم القتيل إن شاء الله تعالى . فدفع الصبي إلى امرأة وقال : قومي بشأنه وخذي منا نفقته ، وانظري من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبلّه وتضمّه إلى صدرها فأعلميني بمكانها . فجاءت جارية فقالت للمرأة : إن سيدتي بعثتني إليك لتبعثي بالصبي لتراه وتردّه إليك . قالت نعم ، اذهبي إليها وأنا معك . فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها . فلما رأته أخذته فقبّلته وضمّته إليها . فإذا هي ابنة شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ . فأتت المرأة عمر فأخبرته . فاشتمل على سيفه ثم أقبل إلى منزل المرأة فوجد أباها متكئاً على باب داره . فقال : يافلان مافعلت ابنتك فلانة ؟ قال : جزاها الله خيراً ياأمير المؤمنين هي من أعرف الناس بحق الله وحق أبيها .. فقال عمر : قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة في الخير .. فدخل أبوها ودخل عمر معه ، فأمر من عندها فخرج وبقي هو والمرأة . فكشف عمر عن السيف وقال : اصدقيني وإلا ضربت عنقك ، وكان لايكذب . فقالت : على رسلك فوالله لأصدقن : إن عجوزاً كانت تدخل علي فأتخذها أماً .. ثم إنها قالت : يابنية إنه قد عرض لي سفر ولي ابنة في موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع وقد أحببت أن أضمها إليك .. فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيأة الجارية وأتت به لاأشك أنه جارية .. حتى اغتفلني يوماً وأنا نائمة .. فمددت يدي إلى شفرة كانت جنبي فقتلته ثم أمرت به فألقي حيث رأيت ، فاشتملت منه على هذا الصبي ، فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه . فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك . فقال : صدقت ، ثم أرضاها ودعا لها . وخرج وقال لأبيها : نعم الابنة ابنتك .

قال أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن مصعب : إن معاوية بن قرة شهد عند ابنه إياس بن معاوية المزني (ـ ١٢٢) مع رجال عدّلهم على رجل بأربعة آلاف درهم . فقال المشهود عليه : ياأبا واثلة تثبت في أمري فوالله ما أشهدتهم إلا بألفين . فسأل إياس أباه : أكان في الصحيفة التي شهدوا عليها فصل ؟ قالوا : نعم كان الكتاب في أولها والطينة☆ في وسطها وباقي الصحيفة أبيض . قال : أفكان المشهود له يلقاكم أحياناً فيذكركم شهادتكم بأربعة آلاف درهم ؟ قالوا : نعم كان لايزال يلقانا فيقول : اذكروا شهادتكم على فلان بأربعة آلاف درهم . فصرفهم ودعا المشهود له فقال : يا عدو الله تغفّلت قوماً صالحين مغفّلين فأشهدتهم على صحيفة جعلت طينتها☆ في وسطها وتركت فيها بياضاً في أسفلها فلما ختموا الطينة☆ قطعت الكتاب الذي فيه حقك ألفا درهم وكتبت في البياض أربعة فصارت الطينة☆ في آخر الكتاب ، ثم كنت تلقاهم فتلقنهم أنها أربعة آلاف . فأقرّ له بذلك وسأله الستر . فحكم له بألفين وستر عليه .

ومنها التفهّم لما طرأ على الأمة من أحوال وما جد من علاقات والتشريع لها بما يناسبها ، وقد سقت من قبل أخباراً عن السياسة الشرعية . وكذلك تغيير أساليب التحقيق تبعاً لتطور المجتمع وتطور الجريمة . رفع إلى المعتضد (ـ ٢٨٩) أن صياداً ألقى شبكته في دجلة

☆ جاء لفظ « الطية » في المواضع الأربعة من هذه العبارة في مطبوع « الطرائق الحكمية » الذي كنت أعتمد عليه (ص : ٣٢ ، ٣٣) ورجّح الدكتور شاكر الفحام أن هذا اللفظ مصحف عن « الطينة » يعني الطينة التي كانت تقوم في ذلك الزمان مقام الشمع الأحمر في أيامنا ، فكانت توضع على ما يراد ختمه من صكوك ونحوها ، يكون الختم عليها . ثم وجدت الخبر في كتاب « أخبار القضاة » لوكيع ، ص : ٣٦٩ و ٣٧٠ وفيه « الطينة » على الصواب كما قدر الدكتور الفحام .

فوقع فيها جراب فيه كف مخضوبة بحناء ، وأحضر بين يديه . فهاله ذلك . وأمر الصياد أن يعاود طرح الشبكة هنالك ، ففعل فأخرج جراباً آخر فيه رِجْل . فاغتم المعتضد ، وقال : معي في البلد من يفعل هذا ولاأعرفه ؟! ثم أحضر ثقة له وأعطاه الجراب وقال : طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد فإن عرفه أحد منهم فاسأله عمن باعه منه فإذا دلك عليه فاسأل المشتري عن ذلك ونقر عن خبره . فغاب الرجل ثلاثة أيام ثم عاد فقال : لازلت أسأل عن خبره حتى انتهى إلى فلان الهاشمي اشتراه مع عشرة جرب ، وشكا البائع شره وفساده ، ومن جملة ما قال : إنه كان يعشق فلانة المغنية وإنه غيبها فلا يعرف لها خبر وادعى أنها هربت والجيران يقولون قتلها . فبعث المعتضد من كبس منزل الهاشمي وأحضره وأحضر اليد والرجل وأراه إياهما ، فلما رآهما انتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف . فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاها ، وحبس الهاشمي حتى مات في الحبس .

ويُدخل فيها أيضاً الفراسة بالمعنى الضيق أي معرفة مكنونات النفس من جوارح الجسد وظواهر القول والفعل : قال مكرم بن أحمد : كنت في مجلس القاضي أبي حازم (الأعرج سلمة بن دينار ـ ١٤٠) . فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث ، فادعى الشيخ عليه ألف دينار ديناً . فقال : ماتقول ؟ قال : نعم . فقال القاضي للشيخ : ماتشاء ؟ قال : حبسه . قال : لا . فقال الشيخ : إن رأى القاضي أن يحبسه فهو أرجى لحصول مالي . فتفرس أبو حازم فيهما ساعة ، ثم قال : تلازما حتى أنظر في أمركما في مجلس آخر . فقلت له : لم أخرت حبسه ؟ . فقال : ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه المحق من المبطل ، وقد صارت لي بذلك دراية لاتكاد تخطئ . وقد وقع لي أن

سماحة هذا بالإقرار عين كذبه ، ولعله ينكشف لي من أمرهما ما أكون معه على بصيرة ، أما رأيت قلة تعاصيهما في المناكرة وقلة اختلافهما وسكون طباعهما مع عظم المال وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع حتى يقر مثل هذا طوعاً منشرح الصدر على هذا المال ؟ قال : فنحن كذلك نتحدث إذ أتى الآذن يستأذن على القاضي لبعض التجار ، فأذن له . فلما دخل قال : أصلح الله القاضي ، إني بليت بولد لي حدث يتلف كل مال يظفر به من مالي في القيان عند فلان فإذا منعته احتال بحيل تضطرني إلى التزام الغرم عنه . وقد نصب صاحب القيان يطالب بألف دينار حالاً ، وبلغني أنه تقدم إلى القاضي ليقر له فيسجنه وأقع مع أمه فيما ينكد عيشنا إلى أن أقضي عنه ، فلما سمعت بذلك بادرت إلى القاضي لأشرح له أمره . فتبسم القاضي ، وقال لي : كيف رأيت ؟ فقلت : هذا من فضل الله على القاضي . فقال : علي بالغلام والشيخ . فأرهب أبو حازم الشيخ ووعظ الغلام فأقر . فأخذ الرجل ابنه وانصرفا .

ورأى أحمد بن طولون (ـ ٢٧٠) يوماً حمالاً يحمل صناً (شبه السلة المطبقة) وهو يضطرب تحته ، فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال وأنا أرى عنقه بارزة وما أرى هذا الأمر إلا من خوف . فأمر بحط الصن فإذا فيه جارية مقتولة وقد قطعت . فقال : اصدقني عن حالها . فقال : أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة . فضربه وقتل الأربعة .

بل أدخل فيها أيضاً الفراسة الصوفية وإن لم يسمها . دخل رجل (وكان قد نظر إلى امرأة في الطريق) على عثمان رضي الله عنه ، فقال له عثمان : يدخل عليّ أحدكم والزنا في عينيه . فقال : أوحي بعد رسول

الله ﷺ ؟ فقال : لا ولكن فراسة صادقة . ثم أصبح لهذا الحديث شأن كبير عند المتصوفة وفي الفراسة الصوفية .

لم يرتب ابن القيم الفراسة هذا الترتيب ولا قسمها إلى هذه الأنواع ـ هذا وتدخل بينها أنواع كثيرة أخرى يصعب تحديدها بله تسميتها ـ ، ولكنه وزعها على فصول مثل هذه الفصول الخمسة المتتابعة : فصل وقد ذهب طائفة من قضاة السلف إلى الحكم بشهادة الواحد إذا علم صدقه ـ فصل ويجوز القضاء بشهادة النساء متفرقات بغير الحدود ـ فصل وفي هذا الباب حديثان وأثر وقياس ـ فصل وقد صرح الأصحاب أنه يقبل شهادة الواحد من غير يمين ـ فصل في القضاء بالنكول ورد اليمين .

وحين نتأمل فيما أدرجه ابن القيم تحت اسم الفراسة نجد أنها قد لا يحيط بها حتى هذا التعريف العام جداً: الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية . إنها الزكانة والذكاء الحاد والفهم النافذ . وابن القيم بالفعل يوحد بينها وبين الفهم . قال : « قال رجل لإياس بن معاوية : علمني القضاء . قال : إن القضاء لا يعلم ، إنما القضاء فهم ، ولكن قل : علمني العلم . وهذا هو سر المسألة . فإن الله سبحانه وتعالى يقول[٤٨] : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ، وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً وعلما ..) ، فخص سليمان بفهم القضية وعمهما بالعلم » . أو هي الألمعية كما عرفها بدقة أوس بن حجر[٤٩] :

الألمعي الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

وهكذا يظهر لنا (حتى الآن) أن الفراسة قد أخذت هذا المعنى الواسع في القرن الخامس على الأقل ، فأبو الوفاء ابن عقيل قد قال به

وقد توفي سنة ٥١٣ . وهذا الاتساع في معناها هو الذي سمح بإلحاق عشرة علوم أو أحد عشر بها فروعاً لها .

وقد ميّز يوسف مراد بين معني الفراسة هذين حين عرف الفراسة عند العرب بأنها « الحكم حكماً سريعاً على شخص ما أو شيء ما أو موقف ما بواسطة علامات خارجية ولكنها ليست مرئية إلا للعين المدرّبة » ، ثم حين عرف الفراسة بأنها : « تقرير الصلة بين الخصائص العقلية والأخلاقية وشكل أعضاء الجسم » ، ولكنه لم يجمع بينهما في موضع واحد بحيث يتضح التمييز بينهما ، وألقاهما إلقاءً ليفهما من السياق العام .

(٣) إنه حين يقال : « إن الفراسة اعتُمِدت في الأحكام القضائية في الإسلام » فهي الفراسة بالمعنى الواسع ، أي التبصر بالدلائل والقرائن والأحوال التي تولد اليقين وغالباً ما توصل إلى الإقرار . وأما حين تكون بالمعنى الضيق أو تكون ترجيحية أو ظنية فإنها تستخدم أداة في التحقيق لأكثر : تدل على الطريق التي يجب أن يسلكها المحقق للوصول إلى الحقيقة المؤكدة بالإقرار أو الأدلة اليقينية . فعمر منذ ما وُجد الصبي في مكان القتيل عرف أنه سيصل إلى القاتل والطريق الموصلة إليه . وإياس اعتماداً منه على فراسته وتصوره للأمور كيف جرت دفع المدعي باطلاً إلى مأزق أربكه فاعترف فحكم عليه مستنداً إلى إقراره ، وربما كان ستره عليه اعترافاً منه بأنه لو لم يعترف ما استطاع الحكم عليه ورد الحق إلى صاحبه . والمعتضد استخدم طريقة استقصاء مصادر أداة الجريمة أو الأشياء التي لابستها ليصل إلى المجرم . وأبو حازم هدته فراسته إلى أن في القضية احتيالاً ولكنه لم يحكم بل توقف حتى أمدّه أبو الفتى بالحقيقة . وابن طولون دلّه نظرة الثاقب على أن الصن المحمول ليس سبب

اضطراب الجمال بل هو الخوف فكشف الجريمة . فالفراسة لم تكن مستند الحكم ولكن الأداة التي أوصلت إلى الحقيقة التي عليها استند الحكم .

في معاجم اللغة

وإذا رجعنا إلى المعاجم نجد :

(١) في الجمهرة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ـ ٣٢١)[٥٠] : « .. ورجل حسن الفَراسة على الخيل والفروسة ، وجيد الفِراسة والتفرس أي جيد النظر مصيبه » « [٥١] وفارس بيِّن الفَراسة والفروسة وقالوا : الفروسية في الثبات على الخيل . فأما في التفرس فالفِراسة لاغير » .

(٢) وفي معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ـ ٣٩٥)[٥٢] : « فرس ، الفاء والراء والسين ، أُصَيْل يدل على وطء الشيء ودقِّه . يقولون : فرس عنقَه إذا دقّه . ويكون ذلك من دقّ العنق من الذبيحة ، ثم صُيِّر كل قتل فرساً .. وممكن أن يكون الفَرَسُ من هذا القياس لركله الأرض بقوائمه ووطئه إياها ، ثم سمي راكبه فارساً . يقولون : هو حسن الفروسية والفَراسة . ومن الباب التفرس في الشيء كإصابة النظر فيه ، وقياسه صحيح » .

(٣) وفي لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي (٦٣٠ ـ ٧١١) وهو كما يقول مصنفه جمع وترتيب لخمسة معاجم : تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ـ ٣٧٠) ـ الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ـ ٣٩٣) ـ المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة الأندلسي (ـ ٤٥٨) ـ حواشي أبي محمد عبد الله بن بري (ـ ٥٨٢) ـ النهاية لأبي السعادات

المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ـ ٦٠٦) ، أي إنه يكاد يغطي الأعمال المعجمية من القرن الرابع إلى أواخر القرن السابع .

يشرح ابن منظور كلمات « فراسة ، تفرس ، فارس ، أفرس » ، مستشهداً في شرحه بأقوال للأصمعي (عبد الملك بن قريب ـ ٢١٦) وابن الأعرابي (محمد بن زياد ـ ٢٣١) والزجاج (إبراهيم بن السري ـ ٣١١) . ثم يورد هذا الحديث :

« إن رسول الله ﷺ عرض يوماً الخيل وعنده عيينة بن حصن الفزاري ، فقال له : أنا أعلم بالخيل منك ، فقال عيينة : وأنا أعلم بالرجال منك ، فقال : خيار الرجال الذين يضعون أسيافهم على عواتقهم ويعرضون رماحهم على مناكب خيلهم من أهل نجد ، فقال النبي ﷺ : كذبت ، خيار الرجال أهل اليمن ، الإيمان يمان وأنا يمان . وفي رواية أنه قال : أنا أفرس بالرجال » . وهذه الرواية الأخيرة هي رواية ابن حنبل في مسنده[٥٣] .

وأورد الحديث « اتقوا فراسة المؤمن .. » وتعليق ابن الأثير عليه : « يقال بمعنيين : أحدهما ما دل ظاهر الحديث عليه وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس ، والثاني نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس . وللناس فيه تصانيف كثيرة قديمة وحديثة .. » .

(٤) وفي تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥) ، وهو شرح قاموس الفيروزبادي (محمد بن إبراهيم الشيرازي مجد الدين ٧٢٩ ـ ٨١٧) ويغني عنه ـ لايزيد الزبيدي شيئاً على ما في اللسان .

فيمكن إذن ـ بعد هذا الاستعراض لما في المعاجم والوقوف على أقوال الأصمعي وابن الأعرابي والزجاج وابن دريد وابن فارس وغيرهم من علماء اللغة ، والرجوع إلى قاعدة الاشتقاق الكبير القائلة : إن الكلمات التي تشترك في الحروف تشترك في المعنى الأصلي ، والنظر إلى الكلمات : فرس ، فسر ، سفر ، سرف ، رفس وكلّها تعني على نحوٍ ما إخراج المكنون والمخبّأ أو الفصل والإبعاد عن المكان والمستقرّ ـ أقول : يمكن أن نخرج بنتيجة هي : إن كلمة فراسة عربية أصيلة لا في جذورها فقط ولكن في معناها أيضاً من حيث هي نظر وتبصّر وتأمّل ، وأنّ استعمالها في هذا المعنى قديم ويرجح في الظن أنه يسبق الإسلام ـ ولكنها لم تكن تدل على علم يُطْلَب وفيه مختصّون كالقيافة بل على فعل يمارسه الناس فيصيبون ويخطئون ـ لا كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من قول ذكره الدكتور جواد علي في كتابه « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام »[٥٤] : « وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أنها من الكلمات المعرَّبة التي أخذت من بني إرم وأنها أحدث عهداً من لفظة القيافة التي هي من الكلمات العربية الجاهلية » .

ثم إنني حين استنطقت هذه المعاجم عما فيها مما يتّصل بالعلوم الملحقة بعلم الفراسة مثل القيافة واستنباط المياه والمعادن ... لم أجد فيها ، إلا في القيافة ، ما يشير إلى المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمات بله الكلام على هذه العلوم ، فقدرّت أن أصحاب المعاجم كانوا بمنأى عنها .

وكذلك حين رجعت إلى معاجم المصطلحات لم أجد شيئاً عن الفراسة أو عن غيرها من هذه العلوم في « تعريفات الجرجاني » أو « كليات أبي البقاء » . ووجدت في « كشاف التهانوي » أسطراً قليلة

فيهـا : إن الله يطلع على القلب ويطلع القلب على الغيوب بنور اطـلاع الله وذلك نور قلب المؤمن كما جاء في الحديث . وفيهـا : إن الفراسـة التي من فروع العلم الطبيعي هي علم بقوانين يعرف بها الأمور الخفية في نفس الإنسان من العلامات والأمور الظاهرة في بدنه .

للبحث صلة

المراجع والتعليقات

(٣٠) وهذه بعض الملاحظات والتعليقات على دراسة الدكتور يوسف مراد :

١ ـ إن القارئ المطلع على علم النفس قد يعجب أن يجد الدكتور مراد ، حين أراد أن يذكر النظريات السيكولوجية الحديثة التي تربطها صلة ما بعلم الفراسة وتعيد له الاعتبار ، وقف عند نظرية الغشطلت والسلوكية الجديدة ولم يتجاوزهما وأهمل نظريات في الشخصية أقرب قربى الى الفراسة ، مثل :

مدرسة علم الطباع الفرنسية التي بعثت في سنة ١٩٢٥ ما قالت به مدرسة غروننغ الهولندية وبدأت تظهر مؤلفاتها سنة ١٩٣٦ .

وإذا كانت هذه المدرسة لم تفرض نفسها على عالم السيكولوجيا إلا في سنة ١٩٤٥ حين أصدر رونه لوسين كتابه « علم الطباع » ، وفي ذلك مندوحة للدكتور مراد إذ كان قد كتب دراسته قبل سنة ١٩٣٩ م فإن نظريات التحليل النفسي ولا سيا نظرية كارل يونغ في النموذجين الانبساطي والانطوائي ، ونظرية ألفرد أدلر في الشعور بالنقص (وقد أقامه في البداية على النقص العضوي ثم عممه) وإرادة التعريض كانت قد صيغت صياغتها النهائية منذ زمان .

بل هناك نظريات أقرب من هذه إلى علم الفراسة ، بل توشك أن تكون علماً في الفراسة جديداً ، وهي نظريات « نماذج الشخصية » . وإذا كانت هذه النظريات لم تبلغ إحدى ذراها مع وليم شلدون في كتابيه « أنواع البنيان الجسمي للإنسان » (١٩٤٠) و « أنواع المزاج » (١٩٤٢) ، فإن إرنست كرتشمر ، إذا لم نشأ أن نذكر سواه ، قد وضع في كتابه « تكوين الجسم والطبع » (١٩٢١) نظريته في النماذج الثلاثة : النحيل والمكتنز والرياضي .

وظني أن الدكتور مراد كان في ذلك العهد قد استأثر باهتمامه كله رسالة الدكتورا الأولى « بزوغ الذكاء » ، فلم يكن ليلقي باله إلا إلى تجاربه وإلى المراجع التي تفيده في عمله وقد وجدها في علم النفس التجريبي الأمريكي وعند علماء الغشطلت الألمان ، فكانت الوحيدة في ذهنه حين كتابته دراسته للفراسة عند العرب .

ارجع إلى « علم الطباع » للدكتور سامي الدروبي ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، مصر ١٩٦١ .

وإلى « نظريات الشخصية » تأليف كالفين هول و غاردينر ليندزي ، ترجمة فرج أحمد فرج وقدري حفني ولطفي فطيم ، مراجعة لويس كامل مليكة ، دار الشايع ، مصر ١٩٧٨ .

٢ ـ في الصفحة ٣٥ نجد : « يطرح الغزالي في بداية هذا الكتاب (تهافت الفلاسفة) آراء خصومه من الفلاسفة قبل أن يوجه إليها نقداً » .

من المعروف أن الغزالي عرض الفلسفة المشائية (كما فهمها الفارابي وابن سينا) في كتاب « مقاصد الفلاسفة » ، أما « التهافت » فهو عرض للمسائل التي يخالف فيها الفلاسفة : يبدأ فيعرض المسألة كما هي عند الفلاسفة ثم ينقدها .

ولكن قد يمكن عدّ الكتابين كتاباً واحداً مؤلفاً من جزأين : المقاصد والتهافت ، فيصح على هذا الأساس ما قاله الدكتور مراد .

٣ ـ لما أراد الدكتور مراد أن يتحقق شخصية إيلاوس تساءل : هل هو إيلايس بروميطس ؟ هل هو أبوليوس ؟ (ص ٤٥ و ٤٦) .

وأنا أتساءل ، مجرد تساؤل لأنه ليس بين يدي أية وسيلة من وسائل التحقق : لماذا لايكون ميلامبوس وقد حُرِّف الاسم فأصبح إيلاوس ـ لاسيا والدكتور مراد يقول : إن له كتاباً في الخيلان مماثلاً لما في الكتاب المنسوب للجاحظ ولما عند الدمشقي ـ ثم بدا للدمشقي أو بدا لغيره وهو الأرجح أن يستبدل به أبقراط لسبب لا نعلمه ، ولكن بقيت آثار الحقيقة ماثلة في أول الكتاب ، ثم مرّ الزمان وإذا بالكتاب ، في مخطوطة باريس على الأقل ، تنتقل ملكيته من محمد الأنصاري الدمشقي إلى محمد الأنصاري الأكفاني ويزول منه اسم إيلاوس نهائياً ؟

أو ، والأفتراض الأول أرجح ، لماذا لا يكون مينس الرومي وقد ذكر له صاحب الفهرست كتابين : كتاب الخيلان وكتاب الشامات ؟ (الفهرست ، ص ٣٧٦ ، طبعة طهران) .

٤ ـ وفي الصفحة ٤٧ : « .. وثمة مؤلف آخر له كتاب في علم الفراسة هو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري يماثل إلى حد بعيد كتاب الدمشقي ، ويذكر المؤلفين الذين قد أفاد من أحكامهم في الفراسة .. إنهم نفس المؤلفين الذين يذكرهم الدمشقي باستثناء إيلاوس الذي يحل محله أبقراط » .

ثم يلاحظ في الحاشية أن واضع قائمة المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس ، يميز بين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري مؤلف « إرشاد القاصد » وبين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري مؤلف « أساس الرياسة في علم الفراسة » . ويرى الدكتور مراد أنها شخص واحد ، وأن ليس هنالك من فرق إلا أن الاسم في « إرشاد القاصد » قد أضيف إليه الأكفاني ، وأنه ليس عجيباً أن يؤلف كتاباً في الفراسة مؤلف الموسوعة الصغيرة « الإرشاد » ومؤلف الكتب في علوم مختلفة مثل الطب والحساب والأحجار الكريمة وخاصة مؤلف كتاب « النظر والتحقيق في تقليب الرقيق » وهو قريب النسب إلى علم الفراسة .

وفي الحقيقة لا عجب ، ولكنه لم يذكره له ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة (ح ٣ ، ص ٢٧٩) ولاحاجي خليفة في كشف الظنون ولا الزركلي في الأعلام والأرجح أن تشابه الاسمين محمد بن ابراهيم الانصاري ومحمد بن أبي طالب الأنصاري قد أوقع الناسخ أو غيره قبله في الخطأ . وأن أحدهم قد لاحظ كما لاحظ الدكتور مراد أن اسم إيلاوس لم يرد في نص الكتاب بل ورد اسم أبقراط فاستبدل بإيلاوس أبقراط في أول الكتاب .

أما الترجمة فلا أستطيع أن أحكم عليها حكماً دقيقاً ما دام الأصل الفرنسي ليس بين يدي . ولكن يمكن أن أقول : إنها بعامة تظهر عليها العجلة والآلية وتشوبها العجمة والركاكة أحياناً ، وقد تختلط آثار ذلك بسوء الطباعة فتستغلق بعض الجمل على الفهم . وهذه ملاحظات قليلة على الفصل الأول :

١ ـ في الصفحة ١١ : « والقيافة وهي شكل بدائي من علم الفراسة **قد اسهمت في غزارة الإنتاج** » .

لعل الأولى أن يقال : « **قد أغنت أو قدمت إضافات إلى** »

٢ ـ في الصفحة ١٥ : « ولكن لفظ فراسة الذي استخدمه العرب في ترجمة الفزيوجنوموني اليوناني **كان أبعد انتشاراً** وأكثر دقة منه عند اليونان »
وقد يكون أدق أن يقال : « **كان أوسع شمولاً** » .

٣ ـ في الصفحة ١٦ : « وهذا المزج بين التنجيم والفراسة **كان ينبغي أن يفضي في نهاية الأمر إلى القضاء على التحقير الموجه إلى الفراسة** حيث كانت معدودة في قائمة العلوم السحرية التي تنشأ عن الخرافة دون البحث العلمي الرصين » .
والصحيح يجب أن يكون : « **يفضي .. إلى تحقير (احتقار) الفراسة** » .
خاصة وقد جاء بعدها : « ولهذا فإن المؤلفين .. **قد وصموا دراسات العصر الوسيط بأنها ملوثة بالخرافات وبأخطاء علم التنجيم** » .
وجاء في الحاشية نقلاً عن بوشه ـ لوكلرك في « تاريخ التنبؤ عند القدماء » : « كانت الفراسة العلمية موضع اهتمام من أنتستن وأرسطو وبوليمون والطبيب أدامنتيوس ، **ولم تكن المناهج التنجيمية إلا انحلالاً لهذا العلم ..** »

٤ ـ في الصفحة ٢٥ **هذه الجملة واعترف أنني لم افهمها** :
« **يقال عن الكيانات إنها تتصف بأنها مجمعة إذا لم يحدث لها تغير في حالة وضعها معاً ، وإذا حدث للعناصر التي تكون جشطلت تغير من خلال تجمعها في جشطلت** » .

٥ ـ وفي الصفحة ٣٠ : « والواقع أن علم الفراسة أقرب إلى مفاهيم الفسيولوجيا والطب في العصر الوسيط منه إلى مفاهيم العلوم الحديثة ، ومكانته في ذلك العصر أقوى من مكانته في عصرنا هذا ، إذ كان على وفاق مع القانون الطبيعي والعلوم ومناهج البحث **في العصر الحديث** .. » .

والصحيح : **« في العصر الوسيط »** . وقد كنت أقول : إنها غلطة مطبعية لولا أنها تكررت في الصفحة نفسها ، فأولى أن تكون نتيجة السرعة في الترجمة :

« لقد كانت الهيأة موضع فحص ولم يكن يطرأ على ذهن الطبيب **في العصر الحديث** أن يصف علاجاً واحداً بلا تمييز بين صاحب المزاج الحار والبارد أو يصف نفس الدواء لصاحب البنية اليابسة والرطبة » .

وأضيف إلى هذه الملاحظات ثلاث ملاحظات أخرى لغرابة ما تدل عليه :

٦ ـ في الصفحة ٣٤ : « وابن سينا ... ثم يقسم الفلسفة النظرية ثلاثة أقسام : العلم الأدنى : الطبيعيات ، العلم الأوسط : الرياضيات ، **العلم الأعلى : علم الكلام** .. » والمرجع كما جاء في الحاشية « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات »

وفي « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » ص ٦٨ طبعة بومباي : « أقسام الحكمة النظرية ثلاثة : ... **والعلم الأعلى ويسمى العلم الإلٓهي »** .

٧ ـ في الحاشية (١) في الصفحة ٦٩ : « نشر النص العربي في **الب** ١٩٢٩ بعنوان : جمل أحكام الفراسة لابن زكريا الرازي في ذيل نص ... »

وهي **حلب** .. لو أنها فقط غير حلب المركز الفكري والاقتصادي الكبير في الحضارة الإسلامية !

والغريب أنه ذكرها صحيحة في الحاشية (١) في الصفحة ٢١ : « كتاب الفراسة لبوليمون الحكيم ويليه جمل أحكام الفراسة لابن زكريا الرازي . مطبعة محمد راغب الطباخ بحلب ١٣٤٧ / ١٩٢٩ (المترجم) »

أي أنه حين كان الكتاب أمامه رأى كلمة « حلب » ، ولكنه حين ترجم عن الفرنسية « Alep » أصبحت ألب .

٨ ـ في الصفحة ٧٢ : « وفي قائمة مؤلفات الشافعي في الفهرست **أو في كتاب البيهقي (ـ ٤٥٨)** .. » .

وفي الحاشية (١) « **البيهقي ، تاريخ حكماء الإسلام** ، طبعة لاهور بالهند سنة ١٩٣٢ بعنوان تتمة صوان الحكمة » (المترجم) .

ولأدري لماذا زج نفسه في هذه الحاشية ! **فالبيهقي أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨ (كما جاء في متن الدراسة) ومؤلف كتاب مناقب الشافعي ، غير البيهقي علي بن زيد المتوفى سنة ٥٦٥ ومؤلف تاريخ حكماء الإسلام أو تتمة صوان الحكمة .** ثم إن البيهقي علياً لم يترجم للشافعي وما كان له أن يترجم له في (تاريخ حكمائه) .

(٣١) محمود شكري الألوسي في كتابه « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » خير من كتب في علم الفراسة والعلوم الملحقة به من المحدثين وأكثرهم تفصيلاً ، وإليه رجع أمثال جرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » وجواد علي في « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ولكن في « بلوغ الأرب » آفة لولا هي كان خير دليل وهادٍ لمن يريد البحث في « أحوال العرب » هي أنه لايذكر المصادر الذي استقى منها معلوماته .

أنظر في جزئه الثالث ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٢٥ :
علم القيافة ص ٢٦١ - علم الفراسة ٢٦٣ - علم الكهانة والعرافة ٢٦٩ - علم الزجر والعيافة ٣٠٧ - علم الريافة ٣٤٣ - علم الاهتداء في البراري ٣٤٤ - علم نزول الغيث ٣٥٨ .

(٣٢) ذكره المرزباني في « معجم الشعراء » في باب « ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين ممن لم يقع إلينا اسمه » - ص ٥١٠ تحقيق عبد الستار فراج ، طبعة البابي الحلبي ١٩٦٠ .

(٣٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ج ٣ ، ص ١٢٨١ - تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٦٨ .

وفي الحماسة أيضاً لأبي صعترة ثلاثة أبيات أخرى جميلة كالأولى هي :

زُكَيْرة وابنــا أمــه الهم والمنى ... وفي الصــدر منهم كلمــا غبت هــاجس
أودهم وداً إذا خــامر الحشــا ... أضــاء على الأضــلاع والليــل دامس
بني رجــل لــو كان حيــاً أعــانني ... على ضر أعــدائي الــذين أمــارس

قال المرزوقي : « يعني بزكيرة وأخويه أولاد أخيه .. » - شرح ديوان الحماسة ، ج٣ ، ص ١٠٣٣ .

كل ما ذكر عن أبي صعترة من تخريج الأستاذ أحمد راتب النفاخ .

(٣٤) سورة الحجر ، الآية ٧٥ .

(٣٥) سورة محمد ، الآية ٣٠ .

(٣٦) ارجع إلى :

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ـ ٣١٠) جامع البيان ، ج ١٤ ، ص ٣١ و ٣٢ ـ بولاق .

أبي القاسم عبد الكريم من هوازن القشيري (ـ ٤٦٥) لطائف الإشارات ، م ٣ ، ص ٢٧٧ و ٢٧٨ ـ دار الكاتب العربي ، مصر ١٩٧١ .

أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ـ ٥٠٢) مجمع البيان ، ج ١٤ ، ص ٣٤٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٧٩ .

جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ـ ٥٢٨) ـ الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ ـ المكتبة التجارية بمصر ، ط ٢ ـ ١٩٥٣ .

فخر الدين محمد بن عمر التيمي البكري الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦) مفاتيح الغيب ، ج ٥ ، ص ٤١١ ـ بولاق .

أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي (ـ ٦٧١) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٤٢ ـ ٤٥ ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٦ .

عبد الله بن عمر البيضاوي (ـ ٦٨٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ في هامش المصحف ، ص ٣٤٩ ـ اسطمبول ١٣٠٥ .

عبد الله بن أحمد النسفي (ـ ٧٠١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، م ٢ ، ص ١٩٠ ـ بولاق ١٩٣٩ .

أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الأندلسي (ـ ٧٤٥) البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ ـ ٤٦٣ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٢٨ .

أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ـ ٧٧٤) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ ـ دار المعرفة ، بيروت ، طبعة مصورة .

نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ـ ٨٥٠) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، على هامش تفسير الطبري ، ج ١٤ ، ص ٣٠ .

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ـ ٩١١) الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ١٠٣ ـ المكتبة الإسلامية بطهران ، الطبعة المصورة .

هذا وقد استخرج ما في تفاسير الفخر الرازي والبيضاوي وأبي حيان وابن كثير والسيوطي ونسخها بخطه الصديق الأستاذ أحمد راتب النفاخ الذي لولا عونه الدائم لي لوجدت في كثير مما أكتب مشقة وعنتاً .

(٣٧) وجاء في تفسير مجاهد رواية أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني قال : أنبأنا عبد الرحمن ، نا إبراهيم ، نا آدم ، نا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : (للمتوسمين) قال : للمتفرسين - تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي ، ص ٣٤٢ - طبعة قطر ١٩٧٦ .

(٣٨) السخاوي في « المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة » ، ص ١٩ و ٢٠ - تحقيق عبد الله محمد الصديق ، مصر ١٩٥٦ .

استخرج النص الأستاذ أحمد راتب النفاخ . ونقلته على طوله لما كان لهذا الحديث من قيمة كبيرة في الحياة الروحية في الإسلام وعند المتصوفة خاصة .

(٣٩) دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الجديدة (بالفرنسية) ، م ٢ ، ص ٩٣٧ و ٩٣٨ - وإذا أمكن بعد التكلف الشديد أن نجد مسوغاً ضعيفاً لترجمة « لحن القول » بـ lapsus وهي بعد لا تستنفد كل معناها ، فنطق« خِيلان » « خَيَلان » كما رسمت بالأحرف اللاتينية Khayalan خطأ محض يمتنع تسويغه مهما كان التكلف .

(٤٠) تفاسير : الطبري ، ج ٢٦ ص ٣٨ - الطبرسي ج ٩ ص ١٠٥ و ١٠٦ - الزمخشري ، ج ٤ ص ٢٥٩ - القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ .

(٤١) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » ، ص ٣ - ٢٤ ، تصوير ، بيروت .

(٤٢) في لسان العرب : « اللوث عند الشافعي شبه الدلالة ولا يكون بينة تامة . وفي حديث القسامة ذكر اللوث ، وهو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت أن فلاناً قتلني أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما أو تهديد منه له أو نحو ذلك » .

وفي اللسان أيضاً : « القسامة : الذين يحلفون على حقهم ويأخذون .. قال الأزهري : وتفسير القسامة في الدم أن يقتل رجل فلا تشهد على قتل القاتل إياه بينة عادلة كاملة ، فيجيء أولياء المقتول فيدعون قبل رجل أنه قتله ويدلون بلوث من البينة غير كاملة .. فإذا قامت دلالة من هذه الدلالات سبق إلى قلب من سمعه أن دعوى الأولياء صحيحة ، فيستحلف أولياء القتيل خمسين يميناً أن فلاناً الذي ادعوا قتله انفرد بقتل صاحبهم ما شركه في دمه أحد ، فإذا حلفوا خمسين يميناً استحقوا دية قتيلهم ، فإن أبوا أن يحلفوا مع اللوث الذي أدلوا به حلف المدعى عليه وبرئ ، وإن نكل المدعى عليه عن اليمين خير ورثة القتيل بين قتله أو أخذ الدية من مال المدعى عليه . وهذا جميعه قول الشافعي » .

(٤٣) سورة المائدة ، الآيات ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ .

(٤٤) سورة يوسف ، الآيات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .

(٤٥) علي بن عقيل البغدادي الظفري أبو الوفاء (ـ ٥١٣) عالم العراق وشيخ الحنابلة في بغداد في وقته . كان قوي الحجة اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته . وكان يعظم الحلاج فأراد الحنابلة قتله . أعظم تصانيفه « كتاب الفنون » في أربعمائة جزء .

(٤٦) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٤٧) جاء في سنن أبي داود « .. عن أنس بن مالك قال فيه : فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم (العُرَنيين) قافة فأتي بهم ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، الآية ﴾ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ ـ تصوير عن طبعة الهند .

وفي مسند أحمد : « قدم على النبي ﷺ ثمانية نفر من عكل فأسلموا فاجتووا المدينة فأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وختلوا رعاتها (أو رعاءها) وساقوها ، فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم قافة فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ولم يحسمهم حتى ماتوا وسمل أعينهم » ـ المسند ، ج ٣ ، ص ١٩٨ ـ طبعة البابي الحلبي .

أخرج الحديثين من السنن والمسند الأستاذ أحمد راتب النفاخ .

(٤٨) سورة الأنبياء ، الآية ٧٨ و ٧٩ .

(٤٩) البيت الثالث من قصيدته التي مطلعها :

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

ديوان أوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، ص ٥٣ ـ طبعة صادر ، ١٩٦٧ .

(٥٠) الجمهرة ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٥١) الجمهرة ، ج ٣ ، ص ٤٢٧ .

(٥٢) معجم مقاييس اللغة ، ج ٤ ، ص ٤٨٥ و ٤٨٦ ـ تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٦٩ .

استخرج نصي ابن دريد وابن فارس الأستاذ أحمد راتب النفاخ .

(٥٣) مسند أحمد ، ج٤ ، ص ٣٨٧ .

(٥٤) الدكتور جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٦ ، ص ٧٧٤ ـ دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٩ .

(٥٥) محمد أعلى بن علي التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، م ٢ ، ص ١١٢٣ ـ طبعة كلكته ١٨٦٢ .

عبد الكريم زهور عدي

آراء وأنباء

تعقيب

ظهر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (في عددها الأول ـ المجلد السادس والخمسون ص : ١٨٠ ـ ١٨٥) مقال للأستاذ الفاضل الدكتور مختار الدين أحمد (من جامعة عليكرة ـ الهند) بيّن فيه فضيلة الدكتور أن نسبة الشيخ محمد يوسف ـ رحمه الله وأجزل مثوبته ـ هي « البِنّوريّ » (بكسر الباء وتشديد النون المفتوحة) . وهذا عندي خطأ لأن الشيخ يوسف ـ رحمه الله ـ كان من ذرية الشيخ آدم بن اسماعيل الكاظمي الحسينيّ البَنُوري (بفتح الباء وضم النون الخفيفة) ، الذي كان من أكابر خلفاء الشيخ أحمد السرهندي الفاروقيّ المعروف بمجدد الألف الثاني ، ومن المحقق أنه كان ينتسب الى قرية تسمى بَنُور (بفتح الباء الموحدة وضم النون الخفيفة) ، وهي قرية قديمة ذات شهرة تاريخية ، وهي الآن تكاد تكون غير مسكونة ، وتقع على مسافة ٩ أميال تقريباً من انباله ، البلد في البنجاب الشرقية (الهند) .

وللكاتب المتواضع مقالةٌ نشرت في دائرة المعارف الاسلامية (طبع ليدن) حول نفس الموضوع ، ومقالةٌ أخرى جاءت بعنوان « البَنُوريّ » تحدثتُ فيها عن الشيخ آدم البنوريّ رحمه الله ، فيراجعها القارئ .

● أرسل الأستاذ الفاضل أبو سعيد بزمي الانصاري هذه الكلمة من زمن بعيد وتعتذر المجلة لتأخر نشرها .

ويتبين من ذلك أنه لا يصح ماكتبه الدكتور مختار الدين أحمد عن الشيخ يوسف أنه كان من بشاور ، وأن هناك قرية بالقرب منها تعرف باسم البِنَّوْر . والواقع أنه لا توجد أية قرية في باكستان باسم البنَّور كما لا يوجد لها ذكر في تاريخ البلاد أصلاً .

١٣ ذو القعدة ١٤٠١ هـ

الأستاذ أبو سعيد بزمي الأنصاري

عضو المجمع العلمي العربي ـ بغداد

وعضو المجلس الانتظامي ـ دائرة المعارف الاسلامية (ليدن)

أحمد الصفدي ـ إمام جامع الدرويشية

الأستاذ محمد عدنان الجوهرجي

كتاب الزيارات للقاضي محمود العدوي (ت ١٠٣٢ هـ) ، أحد مطبوعات مجمع اللغةالعربية بدمشق ، قام بتحقيقه استاذنا الدكتور صلاح الدين المنجد ، فأضاف بتحقيقه له درة نفيسة الى عقد كتب التراث التي حققها وقد جاوزت المئة ، واعتمد في تحقيق هذا الكتاب نسخة فريدة ليس لها أخت . ذكر (بروكلمن) أنها في مكتبة (رامبور) بالهند . وصورها معهد المخطوطات العربية . وقد جاء في الورقة الأخيرة من المخطوطة (ب ٤٣) ما يلي :

نقلته من نسخة بخط ولد المصنف القاضي اسماعيل العدوي حفظه الله ، وذلك في سنة سبعين وألف على يد الحقير أحمد ، الامام بجامع الدرويشية عفي عنه .

وقال المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد في ترجمته للناسخ : إنه كان اماماً في جامع الدرويشية بدمشق ، ثم قال إنه لم يعثر على ترجمة له .

وهذه كلمات في ترجمة الشيخ أحمد ، أستأنفُ بها عمل الدكتور المنجد من حيث انتهى إليه . أرجو أن تقع موقعها من كل مشتغلٍ بهذا التراث ، يرى أن الجهد المبذول فيه على كثرته وجلالة أقدار أصحابه ،

لايزال في أوائله ، بالقياس الى ما يمكن عمله في مـادة وافرةٍ وفرةً لاتقوى عليها الجماعات في الزمن الواحد بله الافراد .

وهذا الذي أذكره من أمر الشيخ أحمد أحد أئمة مسجد الـدرويشيـة في المئـة الحـاديـة عشرة ، حمل عليـه هوى التتبع ، وحملت عليـه المعرفـة بإمام هـذا المسجـد الآن ، إذ كان مـا انتهت إليـه مسـاءَلتي إيّـاه مقـدمـةً وصلتها بما تيسر لي أن أقف عليه من مراجع هذا الشأن .

قال الشيخ عبد الوكيل الدروبي[1] : إنه هو الشـاعر أحمـد الصفـديّ أحد أقران العلامة الشيخ عبـد الغني النـابلسي الـدمشقي (ت ١١٤٣ هـ) وأصدقائه . وقد ورد اسم الصفدي في كتاب « شواهد الحق في الاستغـاثـة بسيد الخلق » للقاضي يوسف بن اساعيل النبهاني (الطبعة اليمنية) (ص ١٩٩) وقد استشهد باستغاثته وقوله :

ياشافع الخلق في يوم الزحام أغِثْ من جاء بـالـذنب والعصيـان ينتحبُ
عليـك صلى إلّـه العرش خـالقنـا والآل من للمعـالي كلهـا خطبـوا

وقـد عـدت الى المراجـع ، والمصـادر أستقريهـا . فـوجـدت ترجمـة للصفدي في « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » . (١ / ٣٥٦) لمحمد بن فضل الله المحبي ، صديق الشيخ الصفدي ، وقرينـه ، كا وجـدت ترجمـة لـه في مخطوطـة عنـدي فيهـا مجموع رسـائـل أحـدهـا ثبت الشيـخ يـوسف بن حسين (النقيب) الـدمشقي (ت ١١٥٣) ، نقيب الأشراف ، ومفتي الحنفيـة بحلب ، وأحـد تلاميـذ الشيخ الصفـدي ، وقـد سمّى ثبتـه (كفاية الراوي والسامع وهداية الراوي والسامع) .

---

(١) امام مسجد الدرويشية .

ففي هذين المصدرين وجدت ضالتي المفقودة ، وبغيتي المنشودة ، فهو الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الصفدي ، الدمشقي الموطن ، الشافعي ، ثم الحنفي ، الاديب الفاضل ، واللبيب الشاعر .

مولده :

ولد بصفد نحو سنة ١٠٤٠ هـ ، وقدم دمشق ولم يجاوز العشرين ، فأقام بجامع المرادية مشتغلا بعلم القراءات ، ونسخ الكتب ، وكتب كثيرا .

أساتذته وشيوخه :

تلقى الصفدي العلم عن علماء عصره ، فمن شيوخه (منصور الصطوحي) . والشيخ (عبد القادر الصفوري) . واستجازهما ، فأجازاه بما لهما . ثم ارتحل الى الحرمين الشريفين ، وأخذ بمكة المكرمة عن الشيخ عبد العزيز المكي سبط ابن حجر الهيتمي ، وأجازه ، ثم عن عالم مكة محمد بن سليمان المغربي ، المالكي ، ثم أخذ الاجازة من محدث دمشق شيخ الاسلام النجم الغزي ، وعن شيخ الحنفية الشيخ خير الدين الرملي ، وعن العلامة الشيخ اسماعيل النابلسي ، والد الشيخ عبد الغني النابلسي ، ومن أساتذته العلامة محمد المحاسني ، خطيب الجامع الاموي بدمشق ، والمحدث الفقيه عبد الباقي الحنبلي البعلي ، ومحدث حلب الشيخ وفا العرضي ، الشافعي ، والمحدث الصوفي أحمد القشاشي[٢] الدجاني ، المدني . والعلامة أبو

---

(٢) القُشاشي نسبة الى القُشاشة وهي بيع سقط المتاع .

السعود الشعراني ، والنحوي الاصولي الشيخ يحي المغربي ، الشاوي ، المالكي . والفقيه رمضان بن موسى العطيفي وغيرهم .

وظائفه :

عمل الشيخ الصفدي شاهداً بالمحكمة الكبرى ، ومحكمة الباب ، ودرّس بالمدرسة العمرية ، بالصالحية بدمشق . وصار إماماً بجامع المرحوم درويش باشا ، وخطيباً بجامع الآغا (بالمناخلية) . ثم سافر الى الروم ، ونال جهات ، ومعاليم . وكانت أكثر إقامته بالخلوة التي كانت في جامع الدرويشية يدرس فيها القراءات ، والحديث ، والعقائد ، والفقه ، والأدب .

شعره :

يقول الشاعر محمد بن فضل الله المحبي صاحب (خلاصة الاثر) عن شعر الشيخ أحمد الصفدي : « وشعره عليه مسحة من الطلاوة ، وبالجملة فهو ممن ينوه بذكره ، ولا يهمل ايراد شعره . » فهو كثير الشعر ، ندي القلم .

ولما سُرِقَ ديوان الشيخ أحمد الصفدي . جمع ديواناً آخر أكثره من شعره المنظوم بعد ذلك ، وقد ظفر في مسوداته ببعض المسروق ، فألحقه به . فكان الشيخ محمد المحبي (صاحب الخلاصة) يداعبه كلما قرأ له شعراً من الديوان المذكور ويقول له : « أظن هذا من الشعر المسروق » . فيفطن الشيخ الصفدي للغرضِ والتورية ويبتسم .

وقد أجاز تلميذه الشيخ يوسف بن حسين (النقيب) بمنظومته في العقائد التي سمّاها الفرائد السَّنية للعقائد السنِّية ، أجازة نظما وأرخ ختمه لها سنة ثلاث وتسعين وألف ، وهذه أبيات من تلك الاجازة :

حمـداً لمن حبـا كال المعرفـة نبّيـه محمـداً وشرّفـه
لاسيا أئمـة العقـائـد الـواردين أطيب المـوارد
وإنَّ ممن جَـدَّ فيهـا واجتهـدْ ونـال منهـا سُؤْلَـه ومـا قصـدْ
ولـدنـا العزيـز (يـوسف التقي) السيـد الفرد الأغر المرتقي
فـانـه لازمني في حجرتي وقـد قرا عليّ حسب قـدرتي
منظـومـة الفرائـد السَّنيـة في معظم العقـائـد السنِّيـة

ومن مستظرفاته ما كتبه لصديقه الشيخ عبد الغني النابلسي ، يستدعيه الى روض ، وأرخ الدعوة بقوله :

مجلسنـا عبـد الغني نـزهـة لنـاظر خـال عن الخـوضِ
فشرّفـونـا وأحضروا عنـدنـا فنحن في التـاريـخ في روضِ

ومن مراسلاته مع المحبي صاحب الخلاصة ، عندما كان المحبي مقيماً بالروم ، قصائد منها قوله :

على الحبر الأجـل المستقيم طراز الجـود ، ذي الفضـل العميم
كثير الخير ، مفتـاح العطـايـا شريف النَفْسِ ، والنَفَسِ الكريم
محمـد الأمين ومن تسـامى بـديع الصنـع ، ذى النظر السليم

وقد أجابه المحبي بقصيدة منها :

تـذكر لـذة العيش المقيم فحنَّ لـذلـك العهـد القـديم
وبـات مـؤرقـاً يطـوي ضلوعـاً على شغف بشـادنـه الرخيم

تآليفه :

له منظومة في العقائد سمّاها « الفرائد السَّنية في العقـائـد السنِّيـة »

شرحها العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي في ثلاثة مجلدات واختصرها الصفدي في مجلد واحد . وللشيخ كتاب جمع فيه ألف حديث رتبه على حروف المعجم . كما أن له ديوان شعر سُرِقَ منه ، ثم عاد فجدده .

أخلاقه :

كان الشيخ أحمد الصفدي غاية في حسن الخُلُق . سخي الطبع ، لطيف المعاشرة ، طريف النكتة ، والنادرة ، كثير الشعر ، ندي القلم .

وفاته :

توفي الشيخ أحمد الصفدي رحمه الله تعالى نهار الجمعة في السادس عشر من ربيع الثاني . سنة مئة وألف للهجرة / ١١٠٠ / هـ . ودفن في مقبرة باب الصغير ، ولم يجاوز الستين بكثير .

ورثاه صديقه المحبي بقوله :

لهفي على الصفديّ فرد الدهر من لعلاه كفُّ المكرماتِ تُشير
طود الفضائل دكّه حكم القضا فالأرضُ من أقصى التخوم تمور
فانظر ترى عجبا وقد ساروا به جبلا غدا فوق الرجال يسير

هذا هو الشيخ أحمد الصفدي ، كالبدر في سماء القرن الحادي عشر الهجري . ينير الطريق بمؤلفاته ، وشعره ، ونسخهْ ، الذي لولا أقلام الباحثين أمثال أستاذنا الدكتور صلاح الدين المنجد ، لما تسنى لنا أن نعرف شيئاً من آثاره ، وأن يقتفي الأحفاد آثار الاجداد في نبش هذه الكنوز من الكتب التي سهرت في جمعها عيون ، وأنفقت في كتابتها وصيانتها عيون .

محمد عدنان الجوهرجي

إيشارب / الشرب

الأستاذ محمد حميد الله

تسلمت في أواخر آب / اغسطس ١٩٨٢ مجلة المجمع الغراء ج٥٦ ، ع ٤ ، وقرأت مقال الأستاذ وهيب دياب « إيشارب » (ص ٨٠٤ وما بعدها) ، فوجدته لطيفاً ومفيداً : فأهنئ صاحب المقال وأرجوه أن يتابع أبحاثه . كما أرجو أن يسمح لي ببعض الملاحظات :

١) في الصفحة ٨٠ الكلمة المنحوتة « أصلغوي » ، أوليس قولنا معجم « مادوي » أقرب إلى العربية ؟ إن تقليم الكلمتين ثم تركيبهما في كلمة واحدة شاذ بلغة الضاد ، وهو ثقيل . والأمر بعد إليكم .

٢) لعله لم يمر ببال الأستاذ صاحب المقال أن يرجع إلى معاجم في لغات أوربية أخرى : ففي الإنكليزية : Scarp ، Scarf ، وفي الألمانية Scharpe ، وفي الإيطالية Sciarpa ، وفي الروسية « شارف » ، فكأنها جميعاً من أصل واحد .

وبعض المعاجم التي في بيتي تأتي على ذكر هذه المادة ومنها : Concise Oxford Dictionary يقول : « لعلها من الفرنسية الشمالية القديمة . وهناك (من يقول : إنها) من اللغات التيوتونية (من اسكاندينافيا وألمانية) ، وان للكلمة صلة بالكلمة الإنكليزية Scrip ومعناها الكيس لحمل الحاجات البسيطة » . ويزيد : إن هذه الكلمة توجد مصدراً أيضاً ، ويجيء من الأسوجية Skarfva ومعناها الجمع بين شيئين بالخياطة .

أما في المعجم الألماني الفرنسي لشوستر المطبوع ١٨٤٥ بباريس ، فيقول : إن المادة جاءت إلى الألمانية من الإسوجية ، وأن للكلمة صلة بالمصدر الألماني Scheren ومعناه القطع والفصل ، ومنه Scheren المقراض . ويزيد : إن للكلمة صلة بكلمة Scharf ومعناه الحاد القاطع (وبالانكليزية Sharp) .

فهؤلاء اللغويون يظنون أن مأخذ هذه الكلمة معناه : إما المقطوع مربعاً وإما الكيس .

يبقى سؤال : إذا كان أصل الكلمة عربياً ، فكيف ذهب من مصر إلى أسوج ؟

أعرف ، قراءة ، أن آلافاً من النقود العربية وجدوها في اسكاندينافيا وبلاد أخرى من شمال أوربا لكثرة التبادل التجاري في القرون الوسطى بين تلك البلاد و البلاد الإسلامية . ولكننا نحتاج إلى بحث حتى نعثر على ذكر « الشرب » بين المواد التجارية الواردة من مصر إلى أسوج ، ثم نحتاج إلى أن نعرف منذ متى وجدت هذه الكلمة بلغة أسوج : هل هي منذ ما قبل الإسلام ، أو منذ العصر العباسي ، أو من أيام الحروب الصليبية ؟ لست متخصصاً بهذه المباحث . لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

محمد حميد الله

الكتب المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الرابع من عام ١٩٨٢ .

الأستاذ محمد مطيع الحافظ

- **الاسلام والمستشرقون** - تأليف أبو الحسن علي الندوي - لكهنو (الهند) ١٩٨٢ م .
- **مختصر تفسير ابن كثير (١ - ٣)** - اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني - بيروت ١٩٨١ .
- **مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير** - جمعه وحققه وقدم له الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - الرياض ١٩٨٢ م .
- **روائع البيان تفسير آيات الأحكام (١ - ٢)** - تأليف محمد علي الصابوني - بيروت ١٩٨٠ م .
- **صفوة التفاسير (١ - ٣)** - تأليف محمد علي الصابوني - بيروت ١٩٨١ م .
- **مبادئ الأصول** - تأليف الامام عبد الحميد بن باديس - تحقيق د . عمار الطالبي - الجزائر ١٩٨٠ م .
- **آثار الشيخ محمد البشير الابراهيمي (١ - ٢)** - الجزائر ١٩٧٨ م .
- **شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية من كلام الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي** - جمع وتأليف محمود الغراب - دمشق ١٩٨١ م .
- **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** - تأليف محمد بن عبد الباقي الزرقاني - تحقيق د . محمد الصباغ - الرياض ١٩٨١ م .

ـ **التعبير عن الإرادة في الفقه الاسلامي** ـ تأليف د . وحيد الدين سوار ـ الجزائر ١٩٧٩ م .

ـ **من أدب الدعوة الاسلامية** ـ تأليف عباس الجراري ـ الدار البيضاء ١٩٨١ م .

ـ **عيون المناظرات** ـ تأليف أبي علي عمر السكوني ـ تحقيق سعد غراب ـ تونس ١٩٧٦ م .

ـ **محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي** ـ وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ـ وهران ١٩٧١ م .

ـ **محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي (١ ـ ٥)** ـ وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ـ الجزائر ١٩٧٢ م .

ـ **جوهر القاموس في الجموع والمصادر** ـ تأليف محمد بن شفيع القزويني ـ تحقيق محمد جعفر الشيخ ابراهيم الكرباشي ـ النجف ١٩٨٢ م .

ـ **الكليات (٢ ـ ٣)** ـ لأبي البقاء أيوب الكفوي ـ تحقيق د . عدنان درويش ومحمد المصري ـ دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم** ـ تأليف أحمد سليمان ياقوت ـ الرياض ١٩٨١ م .

ـ **الإعراب عن قواعد الإعراب** ـ تأليف ابن هشام الأنصاري ـ تحقيق وتقديم د . علي فودة نيل ـ الرياض ١٩٨١ م .

ـ **الأدب العربي** ـ أندري ميكال ـ تعريب رفيق بن وناس ، صالح خيرم ، الطيب العشاش ـ تونس ١٩٧٩ م .

ـ **الموشحات والأزجال (١ ـ ٢)** ـ إعداد وتقديم جلول يلس ، الحفناوي مقران ـ الجزائر .

- **علم اللغة في القرن العشرين** - تأليف جورج مونان - ترجمة د . نجيب غزاوي .

- **التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث - سورية - لبنان - الأردن - فلسطين** تأليف الدكتور نعيم اليافي - دمشق ١٩٨٢ .

- **الشعر الملحون الجزائري - إيقاعه وبحوره وأشكاله** - تأليف أحمد الطاهر - الجزائر ١٩٧٥ م .

- **الجبناء (رواية)** تأليف جوزيف سفكوريسكي - مراجعة عيسى عصفور - ترجمة حسين العودات دمشق ١٩٨٢ م .

- **البحث عن الزمن المفقود (٣) جانب غير مانت** - القسم الثاني - تأليف مارسيل بروست - ترجمة إلياس بديوي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **صخرة الجولان (رواية)** تأليف علي عقلة عرسان - دمشق - ١٩٨٢ م .

- **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه** (الجزء الأول) تأليف عباس الجراري - الرباط ١٩٧٩ م .

- **الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية** - تأليف الدكتور الهادي حمودة الغربي - تونس ١٩٧٦ م .

- **المقالة الصحفية الجزائرية (١ - ٢)** تأليف الدكتور محمد ناصر - الجزائر ١٩٧٨ م .

- **الأعمال الكاملة** - لخليفة التكبالي - ليبيا ١٩٧٦ م .

- **عربي يفكر (دراسة)** تأليف حافظ الجمالي ١٩٨٢ م .

- **فحول الملحون (مصطفى بن إبراهيم) شاعر بني عامر** - تأليف عبد القادر عزة - الجزائر ١٩٧٧ م .

- **توقيعات في سيمفونية البحر والجسد (شعر)** علي عبد حسن - دمشق ١٩٨٢ م .

- **سلاماً أيتها الزرقة المسلحة بالبحر (شعر)** محمود علي السعيد - دمشق ١٩٨٢ م .

- **حدود (شعر)** شوقي عبد الأمير - دمشق ١٩٨٢ م .

- **صور السهل الأزرق (شعر)** عماد جنيدي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **رعشة حلم (شعر)** نعيمة الصيّد - تونس ١٩٨٢ م .

- **سراج الليل (شعر)** فؤاد كحل - دمشق ١٩٨٢ م .

- **وكان ذاهباً في العذوبة (شعر)** عصام ترشحاني - دمشق ١٩٨٢ م .

- **ديوان صالح السويسي القيرواني** - تونس ١٩٧٧ م .

- **شعراء ودواوين** - تأليف عبد الوهاب الصابوني - بيروت ١٩٧٨ م .

- **ديوان الجواهري (الجزء الثالث)** أشرف على طبعه الدكتور عدنان درويش دمشق ١٩٨١ م .

- **هوامش من ذكرياتها مع الصغير (وقصص أخرى)** تأليف بوشفيرات عبد العزيز - الجزائر ١٩٨٠ م .

- **حكاية الحكايات (مسرحية)** تأليف ع . آل شلبي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **قصص الأخوين جريم** - تأليف جيزيل فاليري - ترجمة حنين حاصباني - دمشق ١٩٨٢ م .

- **صراع في جزيرة الذهب (رواية للأطفال)** تأليف عبد المجيد القاضي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الواحة (قصص)** تأليف ليلى اليافي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **مقصد العاصي (قصص)** تأليف أديب نحوي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **جوهرة أنطاكية** - تأليف تاوفيلوس جورج صليبا - بيروت ١٩٨٢ م .

- **العلاقات الألمانية الفرنسية والشؤون المغربية (١٩٠١ - ١٩١١)** تأليف جمال فنان (بالفرنسية) - الجزائر ١٩٧٥ م .

- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** - تأليف أبي زكريا يحي بن خلدون (الجزء الأول) تقديم وتحقيق وتعليق د . عبد الحميد حاجيات - الجزائر ١٩٨٠ م .

- **تجارب السلف (در تاريخ)** تصنيف هندوشاه صاحبي نخجواني (بالفارسية) بامقدمه وملحقات باهتمام أمير سيد حسن روضاتي ١٤٠٢ هـ .

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)** (١ - ٣) تأليف الأستاذ حمد الجاسر الرياض ١٩٧٧ م .

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (القصيم)** (٢ - ٣ - ٥ - ٦) تأليف الأستاذ محمد بن ناصر العبودي الرياض ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م .

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المنطقة الشرقية - البحرين قديماً)** (١ - ٢) تأليف الأستاذ حمد جاسر - الرياض ١٩٧٩ م .

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (عالية نجد)** (١ - ٣) تأليف الأستاذ سعد بن عبد الله بن جنيدل - الرياض ١٩٧٨ م .

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جازان المخلاف السليماني)** تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي الرياض ١٩٧٩ م .

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقدمة تحوي أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية) (١ - ٢)** تأليف الأستاذ حمد الجاسر - الرياض ١٩٧٧ م .

- **الوجودية (من سلسلة عالم المعرفة)** - تأليف جون ماكوري ترجمة د . امام عبد الفتاح إمام ، مراجعة د . فؤاد زكريا - الكويت ١٩٨٢ م .

- **أعلام الاصلاح في الجزائر (١ - ٤)** تأليف محمد علي دبوز ، الجزائر ١٩٨٠ م .

- **الجزائر في عهد رياس البحر** - وليم سبنسر - تعريب د . عبد القادر زبادية الجزائر ١٩٨٠ م .

- **رحلتي الى افريقيا العربية (الجزائر)** تأليف ناجي جواد . حلب ١٩٨٢ م .

- **سيرة ابن سينا** - قدم لها وحققها فريد جحا ومحمود فاخوري - دمشق ١٩٨١ م .

- **الوافي بالوفيات** - تأليف صلاح الدين الصفدي (الجزء الرابع عشر) (دحية بن خليفة - زياد الأعجم) باعتناء س . ديدرينغ - بيروت ١٩٨٢ م .

- **الوافي بالوفيات** - تأليف صلاح الدين الصفدي (الجزء السادس عشر) (سهل - عبثر) باعتناء وداد القاضي - بيروت ١٩٨٢ م .

- **وهران والغرب الجزائري في القرن (١٨ م)** تقديم وترجمة محمد القورصو وميكال دي ايبالزا - الجزائر ١٩٧٨ م .

- **ابن خلدون وعلوم المجتمع** - تأليف د . محمود عبد المولى - تونس ١٩٧٦ م .

- **التاريخ بواسطة الشريط** - تأليف محمود بوعياد - الجزائر ١٩٧٤ م .

- **سكة الأمير عبد القادر** - تأليف منير بوشناقي - الجزائر .

- **افريقيا الشمالية تسير والقوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية** - تأليف شارل - أندري جوليان . ترجمة المنجي سليم - الطيب المهيري - الصادق المقدم - فتحي زهير - الحبيب الشطي - تونس ١٩٧٦ م .

- **المقري وكتابه نفح الطيب** - تأليف د . محمد بن عبد الكريم - بيروت .

- **عبقرية اليوسي** - تأليف عباس الجراري - المغرب ١٩٨١ م .

- **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** - تأليف ابراهيم بن محمد الساسي العوامر تعليق : الجيلاني بن ابراهيم العوامر - الجزائر ١٩٧٧ .

- **الأمير الشاعر تميم بن المعز** - تأليف محمد عبد الغني حسن - جدة ١٩٨٢ م .

- **معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث** - تأليف د . ليلى الصباغ دمشق ١٩٨٢ م .

- **تاريخ العرب الحديث والمعاصر** - تأليف د . ليلى الصباغ - دمشق ١٩٨٢ م .

- **موسوعة حلب المقارنة (المجلد الأول)** تأليف خير الدين الأسدي - أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال - حلب .

- **التطور المذهبي ودراسة قصة حي بن يقظان** - تأليف محيي الدين عزوز - تونس ١٩٧٦ م .

- **الثقافة القومية الاشتراكية** - جامعة البعث - ١٩٨٢ م .

- **العرب أمام قضية فلسطين** - تأليف الشاذلي القليبي - تونس ١٩٧٧ م .

- **عبقرية الحضارة العربية منبع النهضة الأوربية** - تأليف عدد من المؤلفين - ترجمة عبد الكريم محفوض ١٩٨٢ م .

- **العرب أمام تحديات التكنولوجيا (من سلسلة عالم المعرفة)** تأليف د . انطونيوس كرم - الكويت ١٩٨٢ م .

- **قراءات في التربية الخاصة وتأهيل المعوقين** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٢ م .

- **الأيديولوجيا الصهيونية (دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة) (من سلسلة عالم المعرفة)** القسم الأول - تأليف د . عبد الوهاب محمد المسيري - الكويت ١٩٨٢ م .

- **الكائنات الحية (الحيوانات - النباتات والإنسان)** تأليف رينيه غويو - ترجمة خليل فريجات - دمشق ١٩٨٢ م .

- **أمراض الجلد (الجزء الأول)** تأليف د . عبد الكريم شحادة - حلب ١٩٨٢ م .

- **مبادئ الطب الباطني** - تأليف لهاريسون - المجلد الثالث - قامت بترجمته مجموعة من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية الطب بإشراف د . فيصل الصباغ - دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **الدستور** ـ جبهة التحرير الوطني ـ الجزائر ١٩٧٦ م .

ـ **الميثاق الوطني (١٩٧٦)** جبهة التحرير الوطني ـ الجزائر ١٩٧٦ م .

ـ **عالم الصحافة العربية والاجنبية** ـ تأليف ياسر الفهد ـ دمشق ١٩٨١ م .

ـ **الرعاية والتنمية الاجتماعية** ـ تأليف د . محمد صفوح الأخرس دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **اسطورة الآلة (بنتاغون القوة)** (الجزء الثاني« ١ ») تأليف لويس ممفورد ـ ترجمة احسان حصني ـ دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **الخروج من عصر التبذير (التقرير الرابع الى نادي روما)** تأليف ـ دينيس غابور ، امبرتو كولومبو ـ ترجمة عيسى عصفور ـ دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **مبادئ الرقابة على أعمال الادارة وتطبيقاتها في الأردن** ـ تأليف محمد مرشد الشوبكي ـ عمان ١٩٨١ م .

ـ **الموازنة الصفرية** ـ تأليف د . نعيم حسني دهمش ـ عمان ١٩٨١ م .

ـ **تخطيط القوى البشرية بمنهج تحليل النظم** ـ د . حسين الدوري عمان ١٩٨١ م .

ـ **دليل الباحث في اعداد البحوث والدراسات الاكاديمية** ـ تأليف د . عمار بوحوش ـ عمان ـ ١٩٨١ م .

ـ **نظام الترقية في الوظيفة العمومية في الجمهورية الجزائرية** ـ تأليف عصمت عبد الكريم خليفة ـ عمان ١٩٨١ م .

ـ **أسلوب الحالات في التنمية الادارية دليل للاستخدام الفعال** ـ ترجمة رائدة زواتي وخلود منكو . مراجعة د . زكي غوشة ، د . مهدي زويلف . عمان ١٩٨١ م .

- **ببيليوغرافيا نقدية حول المغرب في الأدب الفرنسي** - تأليف ق . كوربي دولوف . الجزائر ١٩٧٦ م .

- **النشر في الجزائر منذ الاستقلال** - تأليف جماعة من الباحثين الجزائر ١٩٨٠ م .

- **إعلامات ببيليوغرافية (١ - ٢)** دار الكتب الوطنية بتونس . تونس ١٩٨٢ .

- **تطور التعليم العالي في المملكة العربية السعودية خلال عشر سنوات** . وزارة التعليم العالي . الرياض .

- **فهارس الخزانة الملكية (المجلد الثاني)** الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات - تصنيف : محمد العربي الخطابي . الرباط ، ١٩٨٢ م .

- **الانتاج الفكري الجزائري في عشر سنوات (١)** - اعداد محمود بوعياد وعائشة خمار . الجزائر ١٩٧٤ م .

- **فهرس المخطوطات (الجزء السادس)** دار الكتب الوطنية التونسية . تونس ، ١٩٨٢ م .

- **مخطوطات كتب خانة همدرد** - جلد أول - ترتيب : فضل الله فاروقي ندوي ١٩٨١ م .

- **النشرة العربية للمطبوعات** - دار الكتب الوطنية - تونس ١٩٨١ م .

- **فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزية** - بنغازي (الجزء الأول) القرآن وعلومه ، الحديث وعلومه ، توحيد علم الكلام . اعداد فرج ميلاد شمبش ١٩٨٢ م .

- **محمد مطيع الحافظ**

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ١٩٨٣ م (ربيع الأول ١٤٠٣ هـ)

الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح	١٩٤٦
« رئيس المجمع »	
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٦٠
« أمين المجمع »	
الدكتور شكري فيصل	١٩٦١
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ المهندس وجيه السمان	٩٦٨
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
« نائب الرئيس »	
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٧٦
الدكتور احسان النص	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان المحاسني	١٩٧٩
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٧٩

الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (☆)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الاردنية الهاشمية	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الجمهورية التونسية	
الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ حمد الجاسر	١٩٥١
الجمهورية العربية السورية	
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٤٨
الدكتور قسطنطين زريق	١٩٥٤
الجمهورية العراقية	
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٣١
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٤٨
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٤٨
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٦٩

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٧٣
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٧٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٧٣
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٧٣
الدكتور جميل سعيد	١٩٧٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣
الاستاذ طه باقر	١٩٧٣
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٧٣

(☆) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

	تاريخ دخول المجمع
فلسطين	
الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ	١٩٤٨
الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية	
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٥٧

	تاريخ دخول المجمع
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٧٢
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٧٢
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٧٧
المملكة المغربية	
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٥٦
الأستاذ الأخضر غزال	١٩٧٨

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
اسبانية	
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٤٨
إيران	
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٥٧
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٧٧
ايطالية	
الأستاذ غبرييلي (فرنسيسكو)	١٩٤٨
باكستان	
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٦٦
البرازيل	
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٥٧
تركية	
الدكتور فؤاد سزكين	١٩٧٧

	تاريخ دخول المجمع
السويد	
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٦٥
فرنسة	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٤٢
فنلانده	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	١٩٢٣
النروج	
الأستاذ موبرج	١٩٢١
النمسا	
الأستاذ جير	١٩٢١
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٢٨
الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٥٤
الهند	
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد كرد علي	١٩٥٣
« رئيس المجمع »	
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي	١٩٥٦
« نائب الرئيس »	
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك	١٩٥٩
« رئيس المجمع »	
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي	١٩٦٦
« نائب الرئيس »	
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	١٩٦٨
« رئيس المجمع »	
الأمير جعفر الحسني	١٩٧٠
« أمين المجمع »	

	تاريخ الوفاة
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل خوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠

الجمهورية التونسية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	

المملكة العربية السعودية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦

جمهورية السودان

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ الوفاة
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٢
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨

	تاريخ الوفاة
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨

جمهورية مصر العربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣

جـ ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
المانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذغويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨

	تاريخ الوفاة
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د . س .)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ . ج .)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا . ر .)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشيكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤

	تاريخ الوفاة
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك . ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح . ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبرييل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه(وليم)	١٩٥٦

تاريخ الوفاة

الأستاذ دوسو (رينه) ١٩٥٨

الأستاذ ماسينيون (لويس) ١٩٦٢

الأستاذ ماسيه (هنري) ١٩٧٠

الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

الأستاذ كولان (جورج)

المجر

الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس) ١٩٢١

الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)

الهند

الحكيم محمد أجمل خان

أصف علي أصغر فيضي ١٩٨١

تاريخ الوفاة

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

الأستاذ اراندونك (ك ڤان)

الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس) ١٩٤٣

الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الاميركية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦

الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

الدكتور فيليب حتي ١٩٧٨

فهرس الجزء الأول للمجلد الثامن والخمسين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ

نيسان (ابريل) ١٩٨٣ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بعض المدارس الاسلامية في القدس الشريف

في آخر القرن التاسع الهجري

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

(١)

في تاريخ التربية الاسلامية ، أو في تاريخ الثقافة الاسلامية اجمالاً ، وَحْدة تشمل جميع نواحيها ، تكون واضحة احياناً وخافية أحياناً اخرى ، قبل ان تتولى الدولة شيئاً من المسؤولية عن التعليم ، وبعد أن تولت مقداراً عظيماً منها . ومن أهم مظاهر هذه الوحدة نشوء « دار العلم » عند الفاطميين في القرن الرابع ، ونشوء « المدرسة » عند العباسيين في القرن الخامس[١] . وفيا يلي بيان ذلك بمنتهى الاختصار ، تمهيداً لبحث المدارس الاسلامية في القدس الشريف .

يمكن إجمال تاريخ التربية الاسلامية حتى القرن الخامس ببضع فقرات . فاذا استَثْنَيْنا « المودّب » الذي وظّفه الأمراء والموسرون لتعليم اولادهم تعليماً خاصاً ، واذا استثنينا « الرِّحْلة » في طلب العلم لاقتصارها على النابهين ، فإن « المَكْتب » و « المَجْلس » كانا اهم وسائل التعليم التي تيسرت لأبناء اكثرية المسلمين في صدر الاسلام حتى نهاية القرن الرابع . فأما المكتب (او الكُتّاب) فكان لإزالة الأمية بتعليم القراءة والكتابة ،

(١) بحثنا أصل المدرسة ودار العلم وغيرهما من المعاهد في مقالة مطولة باللغة الانكليزية نشرت في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن :

Bulletin of the School of Oriental Studies, Val. XXV, Part 2 (1962), PP. 225-238

ولتعليم القرآن والأخبار والحساب وغير ذلك . وكان المعلم ، صاحب المكتب ، يُقيمه في بيته أو مكان عمله أو في اي مكان آخر . واما المجلس فكان يُعقد حَلْقة في المسجد او في البيوت الخاصة او ما شابهها . وكان صاحب المجلس العالم او الشيخ او الاستاذ او الحكيم[٢] .

وكان تعلُّم أكثر مَنْ طلبوا التعلّم ينتهي بالمكتب ، فاذا رغب مَنْ أكمله الزيادة طلب علوم الدين عند أهل العلم او علوم اللغة عند أهلها ، او علوم الحكمة عند الحكماء ، أو شيئاً من كل هذه الفروع عند اصحابها بحسب رغبة الطالب واستعداده للتحصيل . وجرت العادة أن يأخذ المعلم أجْراً على تعليمه ، مع ان كثيراً من تُقَاة معلمي المكتب واساتذة المجلس لم يأخذوه على تعليم القرآن[٣] . لكن لم يكن للدولة في هذا يد ، فلم تنفق على التعليم من بيت المال ، حتى على التعليم الذي كانت الحاجة ماسّةً اليه : عندما انشأ عمر بن الخطاب الديوان فاحتاج الى كُتّاب يقرأون ويكتبون ويحسبون ، وعندما عرّب عبد الملك بن مروان دواوين الحكومة فاحتاج الى موظفين من العرب يُحْسنون ادارتها ، وعندما حاول المأمون إرغام الفقهاء على القول بخَلْق القرآن ، ولم يفطن أن يمهد لذلك بتعليم الناشئة .

(٢) تفصيل ذلك في كتابنا عن التربية الاسلامية الذي نُشر في لندن بعنوان :
Islamic Education: Its Traditions and Modernization into the Arab National Systems, PP.25-28

(٣) في هذا الأمر قولان ، أولها يعتمد على القرآن : « فما سألتكم من أجر إنْ أجْريَ الا على الله » (سورة يونس ، الآية ٧٢) ؛ « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إنْ أجْريَ الا على الله » (سورة سبأ ، الآية ٤٧) . وثانيهما يعتمد على الحديث : « أحقُّ ما أخذْتم عليه أجراً كتاب الله » (صحيح البخاري ، طبعة بولاق ، ١٢٩٦ ، ج ٣ ص ٤٩)

ومع هذا فقد اهتم بعض الخلفاء والأمراء والموسرين بإنشاء عدد من المعاهد للتعليم والدرس على مستوىً أعلى من مستوى المكتب وشبيهٍ بمستوى حَلْقة العالم في المسجد . وقد عرفت هذه المعاهد باسماء مختلفة كان من أشهرها « بيت الحكمة » الذي ازدهر في بغداد ، في عهد الرشيد والمأمون ، مكتبةً عامة ومكتباً للترجمة ونادياً للعلماء[٤] . وازداد الاهتمام بانشاء هذه المعاهد في اثناء القرن الثالث والقرن الرابع ، وأخذ مؤسسوها يَحْبِسون عليها الأوقاف ، فصار بالإمكان الإنفاق من رَيْع الوقف على طلاب العلم فيها بتوفير الكتب ومواد الكتابة ونفقات المعيشة .

وكان ماوُصِفَ أعلاه مألوفاً في أواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس ، عندما بدأت الدولة تهتم بالتعليم العالي دون الابتدائي ، فأنْشأ الفاطميون « دار العلم » بالاضافة الى الجامع الأزهر لتعليم مذهبهم وتدريب الدُّعاة ولنشره . فدار العلم هذه كانت مؤسسة رسمية أُنفقت عليها الدولة من مالها ، وخصّصت منه الرواتب للمعلمين والإعانات للطلاب ، كما هَيأت لهم جميعاً الكتب وأدوات الكتابة مجاناً . وكان تأسيس دار العلم من مظاهر التنافس مع العباسيين على السيادة السياسية والدينية ؛ باستخدام التربية والتعليم لهذه الغاية .

وسرعان ماردَّ العباسيون على ذلك بانشاء المدرسة لتحقق لهم بعض ما حققته دار العلم للفاطميين . فقامت مدرسة في كل مدينة رئيسية في خراسان والعراق ، ولاتذكر المصادر الأصلية سورية أو مصر في هذا الدور . ويُعْزى إنْشاء هذه المدارس الى نظام الملك ، وزير آلب ارسلان ، أحد سلاطين السلاجقة الذين تولوا السلطة في بغداد باسم الخليفة العباسي . ومميزات المدرسة قريبة من مميزات دار العلم ، فقد اختصت

---

(٤) المعروف عن « بيت الحكمة » قليل وغامض . راجع الفهرست لابن النديم (طبعة فلوغلْ) ص ٢٤٣ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي (طبعة لِيبَرْتْ) ص ٩٨ ، ٤٤١ - ٤٤٢ .

بتعليم علوم الدين على مذهب أهل السنة (وخاصة المذهب الشافعي في البدء) وعلوم اللغة العربية ، وكان المدرسون يأخذون أجْراً والطلاب نفقة لمعيشتهم . فالمدرسة بهذه الصفات ليست ، كما زعموا ، بِدْعةً ظهرت طَفْرةً في القرن الخامس الهجري ، بل نشأت وتطورت على نسق ما سبقها من المعاهد عند الفاطميين والعباسيين . وفيما يلي نَصَّان يوضحان المبادئ الأساسية التي ذكرت آنفا اولهما للفقيه المالكي أبي الحسن القابسي القيرواني ، من علماء القرن الرابع :

« ان أئمة المسلمين في صدر هذه الأمة ، ما منهم إلا مَنْ نظر في أمور المسلمين فيما يُصْلحهم في الخاصة والعامة ، فلم يبلغْنا أنّ احداً منهم أقام معلمين يعلمون للناس اولادهم من صغرهم في الكتاتيب ، ويجعلون لهم على ذلك نَصيباً من مال الله ، كما قد منعوا لمن كلفوه القيام للمسلمين بالنظر بينهم في أحكامهم والآذان لصلاتهم في مساجدهم ، مع سائر ما جعلوه حفظاً لأمور المسلمين وحيطة عليهم . وما يمكن ان يكونوا أغفلوا شأن معلم الصبيان ، ولكنهم (والله اعلم) رأوا انه شيء مما يختص أمره كل انسان في نفسه ، اذ كان ما يعلّمه المرء لولده ، فهو صلاح نفسه المختصّ به ، فأبقوه عملاً من أعمال الآباء . . . »(٥)

وثاني النصَّيْن المشار اليهما للفقيه الشافعي تاج الدين السُّبْكي من علماء القرن الثامن ، وهو كما يلي :

« وشيخنا الذهبي زعم انه (اي نظام الملك) أول مَنْ بنى المدارس ، وليس كذلك ، فقد كانت المدرسة البَيْهَقية بنَيْسابور قبل ان يولد نظام الملك ، والمدرسة السعيدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود ، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها الاستربادي الواعظ

(٥) راجع « الرسالة المفصّلة لأحوال المعلمين » في كتاب التعليم في رأي القابسي لأحمد فؤاد الأهواني (القاهرة ١٣٦٤/١٩٤٥) ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

الصوفي ، ومدرسة رابعة بنيسابور ايضاً بُنيت للاستاذ ابي اسحق الإسفراييني . وغلب على ظني ان نظام الملك أول مَنْ قدّر المعاليم للطلبة ، فانه لم يتضح لي هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أوْ لا ، والأظهر انه لم يكن لهم معلوم . . . »[٦]

وظَنُّ السبكي هذا ايضاً لا تؤيده الحقائق التي بيّنّاها فيما سبق من الكلام ، فقد وُجدت قبل نظام الملك معاهد ومكاتب خصص مؤسسوها « المعاليم » للطلاب . والغالب ان سبب نسبة المدارس الى نظام الملك كثرة ماأسسه منها في خراسان والعراق ، فعرفت بالنظامية نسبة له . ثم استُعيرت الصفة ، فصارت المدارس الرسمية التي تشرف عليها الدولة تسمى المدارس النظامية . واشهر مدارس نظام الملك بلا جدال نظامية بغداد التي فُتحت للتدريس في سنة ٤٥٩ للهجرة ، وكان من اشهر مدرسيها ابو حامد الغزالي .

لكن تأسيس هذه المدارس لا يدل على إنشاء دائرة للتعليم في جهاز الدولة ، او على ان الدولة اهتمت بالتعليم الابتدائي ، فهذا كما قال القابسي ظَلَّ « عملاً من اعمال الآباء » ، بل يمكن القول ان الاهتمام بالتعليم العالي ظَلَّ محدوداً ، وان المعاهد التي اختصت به كالمدرسة والمسجد اعتمدت على ريْع الأوقاف اكثر من اعتمادها على بيت المال لسد نفقاتها . اما مستوى التعليم فيها فتوقَّف على مقدرة المدرس وصيته ، لا على منهج مكتوب يسير بحسبه سائر المدرسين . والواقع ان الطلاب كانوا ينتسبون الى عالم مشهور اكثر من انتسابهم الى معهد معين . ويمكن القول اجمالاً ان المدرسة اختصت بتعليم علوم الدين وعلوم اللغة العربية واستبعدت الفلسفة ، وان دار العلم قبلت على الأقل أساليب الفلسفة في تدريس جميع العلوم .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة ، ١٣٢٤) ، ج ٣ ص ١٣٧ .

(٢)

أدخل الفاطميّون « دار العلم » الى القدس في اثناء خضوعها لحكمهم ، فقضى الصليبيون على الدار كما قضوا على غيرها من المعاهد الاسلامية عند سقوط المدينة بايديهم في سنة ٤٩٢ للهجرة (١٠٩٩ للميلاد) . وأدخل صلاح الدين الأيوبي « المدرسة » الى سورية ومصر ، وأنشأ في القدس مدرسة عُرفت باسمه بعد فتح المدينة على يده في سنة ٥٨٣ للهجرة (١١٨٧ للميلاد) ، فكان انشاء هذه المدرسة فتحاً جديداً في عالم التربية والتعليم ، اذ صار إنشاء المدارس سُنّة اتبعها كثير من السلاطين والأمراء والموسرين والعلماء وغيرهم ، في عهد الأيوبيين وفي عهد المماليك بعدهم .

وتاريخ القرون الثلاثة التي سبقت انتقال الحكم من المماليك الى العثمانيين حافل بذكر انشاء المدارس ذكراً مجملاً قليل التفاصيل . وأوفى مصدر عن الموضوع يتناول القرون الثلاثة المذكورة هو كتاب ألفه قاضي المدينة في سنة ٩٠٠ للهجرة[٧] جاء فيه بضعة اسطر عن بعض المدارس المشهورة ولا ذكر لأكثرها غير الاسماء . وقد أدخل المؤلف تحت موضوع المدارس كل مؤسسة دينية أو خيرية شبيهة أو غير شبيهة بالمدرسة بمعناها الاصطلاحي كدار القرآن ودار الحديث والرّباط والزاوية والتكية والخانقاه والتّربة والبيمارستان وغيرها[٨] .

---

(٧) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لعبد الرحمن بن محمد مجير الدين العُلَيْمي (القاهرة ١٢٨٧) ، ص ٣٨٥ ـ ٤٠٠ : « ذكر غالب ما في بيت المقدس من المدارس والمشاهد مما هو بجوار سور المسجد الأقصى » (يقصد المؤلف سور الحرم الشريف) .

(٨) درسها كلها الدكتور كامل جميل العسلي ، أمين مكتبة الجامعة الاردنية ، في كتابه النفيس « معاهد العلم في بيت المقدس » الذي صدر في عمان في شهر آذار ١٩٨١ ووصلني هدية من المؤلف بعد إكمال كتابة هذا البحث .

وقد اقتصرنا فيما يلي من البحث على المدارس بالمعنى الاصطلاحي التي تتضح معالمها في كتاب قاضي القدس المذكور، وأدخلنا في البحث المعاهد التي لم تكن من المدارس بالمعنى الاصطلاحي ولكن المنشئ أو صاحب الوقف شرط التدريس أو التعليم فيها . وصرفنا النظر عما عدا ذلك من المعاهد التي لا تذكر عنها المصادر التاريخية المشهورة شيئاً يُعْتَدُّ به ، كمادة التدريس وأساليبه ، ومؤهلات المدرسين واحوال الطلاب . فكأن مؤلفي تلك الكتب التاريخية سكتوا عن شيء معلوم عندهم ، وظنوا ان القراء يعلمونه كذلك ، فجُلُّ ما في تلك الكتب ذكر عابر بكلمات قليلة عن سلطان أو أمير اسس مدرسة ، او عن عالم مشهور درّس فيها . ولكننا استفدنا من فصل عن « مدارس القدس القديمة » في كتاب ألّفه رئيس بلديتها العربي منذ نحو عشرين سنة ، من مزاياه نقلُ النقوش التي رآها على بعض أبنية المدارس توضح تاريخ الوقف واسم الواقف ، واقتباسٌ من سجلات المحكمة الشرعية عن بعض المدرسين وما خُصّص لهم من المعاليم[٩] .

كانت مدينة القدس التاريخية في آخر القرن التاسع الهجري كما هي الآن محاطة بسور حجري . وشكّل هذا السور حائطي الحرم الشريف من الشرق والجنوب . اما الحائطان الشمالي والغربي فكانا كما هما الآن يفصلان الحرم عن المدينة داخل السور . وكان للحرم حينئذٍ كما له الآن ابواب مفتوحة في حائطه الشمالي والغربي فقط . وأكثر المدارس التي سنذكرها قامت بقرب هذين الحائطين من الشمال والغرب أو ملاصقة لهما . وكان لعدد غير قليل من تلك المدارس أبوابٌ تؤدي الى ساحة الحرم بالاضافة الى ابواب تؤدي الى المدينة .

---

(٩) المفصل في تاريخ القدس لعارف العارف (القدس ، ١٣٨٠/١٩٦١) ، ص ٢٣٦ وما يليها .

وقام عدد غير قليل من المدارس على ساحة الحرم . لكنه لم يُقْصد من هذه المدارس ولا من تلك المحيطة بالحرم ان تَنُوبَ عن حلَقات التدريس في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة ، بل كانت جميع المدارس في الحرم وفي خارجه مشاركة لهما في التدريس . فكثيراً مّا تولّى اصحاب حلقات التدريس فيهما التدريس في المدارس المجاورة للحرم ، كما تولى بعض مدرسي هذه المدارس بعض الوظائف في الحرم من تدريس او إمامة أو خطابة .

وللمدارس التي سنذكرها فيما يلي صفات مشتركة . فكان لكل منها منشئ أوقف عليها الأوقاف من أراضٍ وعقارات . وكثيراً ما اشترط الواقف ما يُدرّس في مدرسته ، وخصص الوظائف فيها من شيخ للتدريس وناظر للادارة وخادم للعناية بالبناء . وبعض الوقفيّات تعين مقدار المعاليم للمدرّس (او المعيد) أو الناظر او الطالب . ويظهر من نصوص هذه الوقفيات أن عدد الطلاب كان قليلاً ، يتراوح بين العشرة والعشرين للمدرّس الواحد . لكن الغالب ان هؤلاء هم الذين خصصت لهم المعاليم لا غيرهم من المنتسبين الى الحلقة ، اذ الانتسابُ الى حلقات المدرسين المشهورين كان حراً ، في مسجدي الحرم الشريف وفي اي مدرسة من المدارس حوله ، دون قيود تتعلق بمستوى الطالب العلمي أو سنّه أو مقامه الاجتماعي .

أما أبنية المدارس (وخاصة ما بُني منها في عهد المماليك) فآيةٌ في فنّ المعمار والزخرفة كما يدل على ذلك ما بقي منها سالماً حتى يومنا هذا . وأصغر المدارس تكونت من إيوان وغرفتين مع المرافق ، واكبرها تكونت من طابقين في كل طابق ايوانان على الأقل وحول الإيوان غرف لا يقل عددها عَن الأربع . وأبنية المدارس الكبيرة اشتملت على محرابٍ أو مسجد صغير وأماكن للوضوء والطهارة . وقد استخدمت بعض ابنية

المدارس بيوتاً لإقامة شيوخها ، واحياناً لايواء الطلاب المنتفعين من الوقف اذا لم يجدوا المأوى في الرُّبَط والزوايا . وجرت العادة على مرّ الزمن ان يجمع العالم الواحد عدة وظائف من تدريس وخطابة وامامة في اكثر من مكان واحد ، كما جرت العادة بتَوْريث هذه الوظائف أو اقتسامها ، ففتح ذلك باباً لسوء الاستعمال في عصر الانحطاط .

وسنبدأ بذكر المدارس والمعاهد التي أُسست في عهد صلاح الدين الأيوبي وخلفائه من سلاطين آل أيوب ، وذلك من فتح القدس على يده الى انتقال الحكم الى سلاطين المماليك في سنة ٦٤٨ للهجرة ، أي نحو خمس وستين سنة :

المدرسة الصلاحية : انشأها صلاح الدين في سنة فتح القدس لفقهاء الشافعية ،وحبس عليها الأوقاف في المدينة وجوارها . ووكل ادارتها والتدريس فيها الى القاضي بهاء الدين بن شدّاد . وقد سُجلت الوقفية بعد ذلك في سنة ٥٨٨ للهجرة . ويمكن الاستنتاج من رواية لأبي الفداء[١٠] ان الصلاحية قامت في المكان الذي كانت فيه دار العلم الفاطمية ، اي الى داخل باب ستنا مريم في سور المدينة الشرقي . وكان هذا المكان بالأصل كنيسة صغيرة أُقيمت فوق قَبْو منحوت في الصخر قِيلَ ان مريم العذراء ولدت فيه ، خلافاً لروايات اخرى مشهورة انها ولدت في الناصرة . وقد أزال الصليبيون دار العلم وهدموا الكنيسة القديمة وشيدوا مكانها فوق القبو كنيسة جديدة متقنة البناء وجعلوا بجانبها ديراً للراهبات .

ويبدو ان المدرسة الصلاحية قامت في هذا الدير لا في الكنيسة نفسها كما هو الشائع . وظل القبو بعد جلاء الصليبيين موكولاً أمره الى

---

(١٠) المختصر في تاريخ البشر (استانبول ، ١٢٨٦) ج ٣ ص ٨٧ (في حوادث سنة ٥٨٨ هـ) .

نصارى الشرق من طائفة اللاتين في القدس ، فاعتاد الرهبان والحجاج من الافرنج زيارته على مر القرون لقاء دفع ضريبة خفيفة . وعلا شأن الصلاحية في عهد المماليك وصار شيخها يُعين بمرسوم سلطاني ، وأصبح مع نائب السلطنة (أي الحاكم العام) وناظر الحرمين الشريفين (اي الحرم القدسي والحرم الخليلي) ، احد الاركان الثلاثة في حكم مدينة القدس . وكان من ألقابه « قاضي قضاة الشافعية » . وظلت مشيخة المدرسة خاصة بمن يتولى هذه الوظيفة تنفيذاً لشروط الوقفية . ولم يتغير ذلك بعد ان توسّع نطاق التدريس ودخل الصلاحية مدرسون من المذاهب الأخرى ، وعلى رأسهم قاضي قضاة الحنفية وقاضي قضاة المالكية وقاضي قضاة الحنابلة . وكانت وظيفة التدريس في الصلاحية من الوظائف العلمية العليا لا يصل اليها إلا من اشتهر بالعلم والتقوى وارتقى في الوظائف العلمية من أول درجة في السلّم . وقلما يخلو كتاب في تاريخ المدينة من ذكر شيوخ الصلاحية بين أهل الحل والعقد فيها . (ذكرها كتاب الأنس الجليل ، ص ٣٠٢ ، ٣٩٣) .

المدرسة الأفضلية : أنشأها في سنة ٥٨٩ للهجرة الملك الأفضل نور الدين ابو الحسن علي الذي تولّى ملك دمشق نيابة عن والده صلاح الدين وخلفه في ملكها ، وكانت القدس من ملحقات دمشق . وقامت المدرسة الأفضلية على أرض مُلاصقة للحائط الغربي للحرم الشريف ، أوقفها الملك الأفضل على المغاربة من المالكية المجاورين في تلك البقعة فعرفت بحارة (اي حي) المغاربة . ووقفية الأرض مسجلة في المحكمة الشرعية بالقدس[١١] . ولهذه البقعة أهمية خاصة في تاريخ الاسلام

(١١) نشرنا نص الوقفية مع ترجمتها الى اللغة الانكليزية وتفسير غامضها واصطلاحاتها لتكوّن جزءاً مهماً من رسالتنا التي عنوانها :

the Islamic pious Foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel(London,1398/1978),P.14,59

لعلاقتها بإسراء رسول الله من مكة الى القدس ، وربْط البُراق الذي حمله اليها في ذلك المكان ، قبل الاتجاه مع جبريل الى الصخرة المشرفة حيث صلى رسول الله بقربها إماماً بمن سبقه من الأنبياء قبل معراجه من فوق الصخرة الى السماء ومناجاة ربه . (ذكرها كتاب الأنس الجليل ص ، ٣٩٧)

المدرسة الميمونية : كانت في الأصل زاوية انشأها للشافعية سنة ٥٩٣ للهجرة ، ووقف عليها الأوقاف ، الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القَصْري ، « خازندار » (أي وزير المالية) في مملكة صلاح الدين . وهذه المدرسة هي من المعاهد القليلة جداً التي لم تكن بقرب حائط الحرم الشريف أو داخله . فموقعها قرب باب الساهرة داخل سور المدينة من جهة الشمال . (ذكرها كتاب الأنس الجليل ، ص ٣٩٩)

المدرسة الجرّاحية : وهده ايضاً كانت في الأصل زاوية . وهي الوحيدة التي قامت خارج سور المدينة ، في المكان الذي عُرف فيما بعد بحي الشيخ جرّاح الى الشمال من باب العامود على الطريق الى نابلس . وهي منسوبة الى مؤسسها وواقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجرّاحي ، أحد قواد جيش صلاح الدين الذي خلَّص القدس من أيدي الصليبيين . وقد توفي الجراحي في سنة ٥٩٨ للهجرة ودفن بزاويته أو مدرسته . (الانس الجليل ، ص ٣٩٧)

المدرسة النَّصْرية : وعرفت ايضاً بالغزالية . كانت قبل سقوط القدس بأيدي الصليبيين زاويةً في البُرْج القائم فوق الباب المزدوج المسدود في حائط الحرم الشريف من جهة الشرق (أي باب الرحمة وباب التوبة) . وقد أقام فيها ابو الفتح نَصْر بن ابراهيم المقدسي النابلسي فعرفت باسمه ، ثم أقام بها تلميذه ابو حامد الغزالي فعرفت باسمه ايضاً[١٢] . وقد بطل

(١٢) فصَّلنا ذلك في مقالة عن إقامة الغزالي في القدس نُشِرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : م ٤١ ، ج ١ ، ص ٩٩ - ١١١ .

استعمالها في اثناء الاحتلال الصليبي . وفي سنة ٦١٠ للهجرة جدّدها الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل (أخي صلاح الدين) مدرسة لتدريس القرآن وتعليم النحو ، ووقف عليها الكتب والعقارات . (الانس الجليل ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥)

المدرسة النحوية : انشأها الملك المعظم عيسى تحت قبة بناء جديد سنة ٦٠٤ للهجرة على الطرف الجنوبي من صَحْن مسجد قبة الصخرة المشرفة ، وجعلها وقفاً على الحنفية لتدريس القرآن وكتاب سيبويه في النحو . (الأنس الجليل ، ص ٣٥٥ ، ٣٨٥ ـ ٣٨٦)

المدرسة المعظمية : أوقفها الملك المعظم عيسى على الفقهاء والمتفقهة من الحنفية بقرب باب شرف الانبياء من ابواب الحرم الشريف من جهة الشمال ، وذلك في سنة ٦١٤ للهجرة ، ولا يُعرف كيف صار وقفها قبيل سنة ٩٠٠ للهجرة « بأيدي الناس إقطاعاً وملكاً » (الأنس الجليل ، ص ٣٩٣) .

(٣)

أما المدارس التي أُنشئت في عهد المماليك فكثيرة ، اذ امتد حكمهم اكثر من قرنين ونصف القرن . وفيما يلي بعضها وأظهرها في المصادر :

الخانقاه الدّوادارية : بناها للصوفية الأمير علم الدين ابو موسى سَنْجَر بن عبد الله الدَّوادار الصالحي (والدوادار كان موظفاً عند السلطان مُهمته حمل الدواة وتوقيع الرسائل) ، وذلك في سنة ٦٩٥ للهجرة عند باب شرف الانبياء من ابواب الحرم الشريف من جهة الشمال . واوقف عليها الأوقاف في مدينة القدس وفي خارجها ، وشرط تدريس مذهب الامام الشافعي فيها وتلاوة القرآن الكريم وقراءة الحديث الشريف . (الأنس الجليل ، ص ٣٩٠ ، ٤٩٥)

المدرسة الجاوِليـة : انشـأهـا ووقفهـا الأمير علم الـدين سَنْجر الجـاولي . نائب السلطنة في غزة (توفي سنـة ٧٤٥ هـ) وذلـك ببـاب الغوانمـة عنـد الزاوية الشمالية الغربية لحـائـط الحرم الشريف . ولكنـه لم يَطُل استعمال بنائها مدرسة ، لأنه أصبح بعـد نحو مئـة سنـة من تـأسيس المـدرسـة داراً لإقامة نُوّاب السلطنة . (الانس الجليل ، ص ٣٩٠)

المدرسة التُّنْكزية : انشأها وحبس عليها الأوقـاف الأمير سيف الـدين تُنْكز الناصري ، نـائب السلطنـة في الشـام ، وذلـك في سنـة ٧٢٩ للهجرة خارج باب السلسلة من ابواب الحرم الشريف في جهة الغرب . وكانت كما قال مجير الدين العُلَيْمي « وليس في المدارس أتقن من بنائها » . وكان من مدرسيها المشهورين جمال الـدين ابو محمود احمـد بن هلال المقـدسي مؤلف كتاب « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » (وجاء العنوان ايضاً : مثير الغرام الى زيـارة القـدس والشـام) . وقـد اتخـذ نـواب السلطنــة بنــاء التنكزيـة مقراً لهم ، بل جعلهـا بعضهم داراً لسكنـه . (الأنس الجليـل ، ص ٣٨٧)

الزاويـة الفخريـة : هي وقف شرعـه « نـاظر الجيوش الاسـلاميـة » ، القاضي فخر الـدين ابو عبـد الله محمـد بن فضل الله (وكان أصلـه قبطيـاً فأسلم وحسن اسلامه وتوفي سنة ٧٣٢ للهجرة) وكانت الزاوية على حـافـة حارة (حي) المغاربة بجوار المسجد الأقصى من جهـة الغرب ، لهـا بـاب من داخل المسجد وآخر يُفْضي الى حارة المغاربة . وكانت في اوائل العهـد العثماني لقراء القرآن الكريم يُعين شيخها بمرسوم سلطاني ، ثم غلبت عليهـا صفـة الـزاويـة ، وصـارت مقراً لمفتي الشـافعيـة من أسرة ابي السعـود التي اتخذت الزاوية داراً لها (هدمها الصهيونيون بعد هدم جميع المباني في حي المغاربة في سنة ١٩٦٧) . (الأنس الجليل ، ص ٣٨٦)

المدرسة الفارسية : انشأها الأمير فارس البكّي ابن الأمير قَطْلو بن عبد الله ، نائب السلطنة بالجهات الساحلية والجبلية ونائب غزة ، وذلك في سنة ٧٥٥ للهجرة ، عند باب شرف الانبياء ، ووقف عليها « حصة » في قرية طوركرم (وهي مدينة طولكرم الآن) وقد رأى الوقفية بعينه قاضي القدس ومؤلف كتاب الانس الجليل (ص ٣٩٠) .

المدرسة الأرغونية : بناها لتكون « مدرسة وتَرْبة » الأمير أرْغون الكاملي ، نائب السلطنة ببلاد الشام ، وذلك في سنة ٧٥٨ للهجرة ، فتوفي في تلك السنة ، فاكملها بعده الأمير رُكْن الدين بَيْبَرْس في السنة التالية . والمدرسة واقعة عند باب الحديد (الذي يُسمى ايضاً باب أرغون ، وهذه كلمة تركية معناها الحديد) من جهة الغرب من ساحة الحرم الشريف (الانس الجليل ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩)

المدرسة المَنْجكية : أنشأها الأمير سيف الدين مَنْجك ، نائب السلطنة في بلاد الشام ، وذلك في سنة ٧٦٢ للهجرة ، بقرب باب الناظر (او باب علاء الدين البصير) من ابواب الحرم الشريف من جهة الغرب . وقيل أنه أُرسل لإنشائها باسم السلطان الملك الناصر ، فلما قُتِل هذا بناها الأمير باسمه هو وحبس عليها الأوقاف وعيّن لها ناظراً وشيخاً . واعتاد قاضي القدس أن يدرّس فيها مع غيره من المدرسين وقرّاء القرآن الكريم الذين « كانوا يعلّمونه بأجر معلوم » (الانس الجليل ، ص ٣٨٩)

المدرسة الخاتونية : أوقفتها اولاً أُغَل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية سنة ٧٥٥ للهجرة ، ثم زادت في عمارتها وأوقافها أَصْفَهان شاه بنت الأمير قازان شاه سنة ٧٨٢ للهجرة . وهي احدى المدارس الثلاث التي أوقفتها النساء . والظاهر من الأسماء ان السيدتين كانتا من غير العرب . وتقع الخاتونية بغرب باب الحديد الى الجنوب من الأرغونية . (الانس الجليل ، ص ٣٨٨)

المدرسة الباسطية : تقع بقرب باب شرف الانبياء في الجهة الشمالية من الحرم وتُطِل على الدوادارية . وكان أول مَنْ اختطها شيخ المدرسة الصلاحية شمس الدين محمد الهَرَوي ، فمات قبل اتمامها ، فتولى ذلك بعده القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي « ناظر الجيوش المنصورة » ، وذلك في سنة ٨٣٤ للهجرة . (الانس الجليل ، ص ٣٩١)

المدرسة الغادرية : انشأتها « مصرخاتون » ، زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر ، بقرب باب حِطّة في الجهة الشمالية من ساحة الحرم ، وذلك في عهد الملك الأشرف بِرْسْبايْ سنة ٨٣٦ للهجرة ، وكان من أوقافها خان وحوانيت خارج باب القَطّانين من ابواب الحرم من جهة الغرب . (الانس الجليل ، ص ٣٩٨)

المدرسة العثمانية : اوقفتها السيدة أصْفهان شاه خاتون من بلاد الروم (اي الأناضول) ، ووقفت عليها الأوقاف في تلك البلاد ، وذلك سنة ٨٤٠ للهجرة . وقد بنيت المدرسة فوق رواق من اروقة ساحة الحرم بباب القطانين . ومن مشائخها المشهورين سراج الدين بن زكريا بن يوسف الرومي (أي الأناضولي) الحنفي الذي « أقْرأ الناس العلوم العقلية والتفسير » ثم ترك المشيخة مختاراً لَمّا علم ان الواقفة اشترطت في الشيخ ان يكون أعلم أهل زمانه ، فقال « أنا لست بهذه الصفة » . وذِكْرُ العلوم العقلية له دلالة مهمة بجانب العلوم النقلية . (الانس الجليل ، ص ٣٨٨ ، ٥٦٦)

المدرسة الجوهرية : وقفها الأمير جوهر القُنْقباي الخازندار سنة ٨٤٤ للهجرة ، وهي تقع عند باب الحديد من ابواب الحرم الشريف من جهة الغرب . ومن اشهر مدرسيها كمال الدين ابو المعالي محمد بن ناصر الدين المقدسي ، الذي كان له « مجلس » في المسجد الأقصى قبل ان اصبح شيخ الصلاحية ثم شيخ الأشرفية ، وهو استاذ مجير الدين العليمي مؤلف كتاب الانس الجليل (ص ٣٨٩ ، ٧٠٦)

المدرسة الأشرفية : بنيت مرتين فهدم البناء الأول وقام الثاني مكانه بأمر الملك الأشرف قايتْباي عندما زار القدس في سنة ٨٨٠ للهجرة ، وتم البناء الثاني بعد ذلك بسبع سنين فكان كما قال مجير الدين « جوهرة ثالثة في منطقة الحرم بعد قبة الصخرة وقبة الأقصى » . وقد بنيت الأشرفية داخل الحرم الشريف بين باب القطانين وباب السلسلة ، وكانت من طابقين ازدانا بكثير من الاحجار الملونة والرخام ، فالسفلي كان ملاصقاً لثلاث من قناطر ساحة الحرم والعلوي كان يُطل عليها . وكان للمدرسة بابان يُفْضي احدهما الى الساحة ويفضي الثاني الى طريق باب السلسلة . وقد وقف الاشرف على مدرسته الأوقاف وعين لها المدرسين والفقهاء وخصص لهم « المعالم » ، فكانت آخر ماأسسه المماليك في القدس من المدارس ، اذ خلفهم على الحكم آل عثمان بعد خمس وثلاثين سنة من اكمال بناء الاشرفية . (الانس الجليل ، ص ٣٨٨ ، ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ، ٧٠٩ ـ ٧١٠)

اذا تقيدنا بعنوان هذا البحث حرفياً فقد يصح الوقوف عند هذا الحد ، ولكنه ناقص مبتور اذا لم نكمله ببيان مصير هذه المدارس في العهد العثماني وحالة أبنيتها بعد تعطيل التدريس فيها . فالعثمانيون لم يكونوا كمن سبقهم من الأيوبيين والمماليك في الاهتمام بتأسيس المدارس . بل اقتصر هَمّ سلاطينهم على ترميم مسجدي الحرم الشريف وصيانة بنائهما . والسلطان الوحيد الذي له آثار مهمة في القدس هو سليمان القانوني فبعد عمارة قبة الصخرة وجّه عنايته لعمارة سور المدينة وإنشاء السُّبُل (لماء الشرب) فيها وحولها . وانشأت زوجته الروسية الأصل في سنة ٩٥٩ للهجرة « تكية خَاصْكي سلطان » ووقفت عليها الأوقاف لمنفعة الفقراء وطلاب العلم . كما انشأ في سنة٩٤٧ للهجرة بايْرام جاويش بن مصطفى ، الذي أشرف على عمارة السور باسم السلطان ، رباطاً « ومكتباً لقراءة الأولاد » عُرف فيما بعد بالمدرسة الرصاصية ، بعد أن تغيّر معنى هذا

الاصطلاح وَصار يُطلق على المكتب او الكُتّاب الخاص بالتعليم الابتدائي . ولا نعرف مدرسة واحدة أسسها العثمانيون في القدس لها شهرة ما أسسه الايوبيون والمماليك من المدارس فيها .

(٤)

ظلت مدارس الأيوبيين والمماليك عامرة عاملة ، بفضل ما حُبس عليها من الأوقاف ، في أثناء المئة الأولى والمئة الثانية من العهد العثماني ، ثم بدأت تنحلّ وتخرب في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري . زار الرحالة التركي أوْليا جلبي القدس في سنة ١٠٨٣ للهجرة ، وكتب في رحلته انه وجد حول جميع جهات الصخرة المشرفة (وهو يقصد الحرم الشريف) غُرفاً لأربعين مدرسة وهذا الكلام غير دقيق فالمدارس كلها كانت في الجهتين الشمالية والغربية فقط . وكتب الرحالة في موضع آخر أن عدد الغرف الخاصة بالمدارس والزوايا بلغ المئتين ، ثم خلط مرةً اخرى فقال ان عدد المدارس والزوايا ، بين كبيرة وصغيرة ، بلغ ثلاثمئة وستين تقريباً . وزار بناء المدرسة السلطانية (اي الاشرفية) وصعد مئذنتها فشاهد جميع انحاء المدينة منها . ولكنه لا يقول شيئاً عن التدريس والمدرسين لا في هذه المدرسة ولا في غيرها[١٣] .

وبعد أوليا جلبي بقليل زار القدس الرحالة الصوفي عبد الغني النابلسي وذلك في سنة ١١٠١ للهجرة ، فكتب هو ايضاً عن بعض

(١٣) سياحتنامه‌سي (طبع استانبول بالحروف اللاتينية ، سنة ١٩٣٥) ، ج ٩ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٨ . كان المرحوم اسطفان حنا اسطفان ، أمين مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس ، قد ترجم القسم الخاص بها في رحلة أوليا جلبي من التركية الى الانكليزية ونشر الترجمة في مجلة دائرة الآثار الفلسطينية مجزّأةً في السنين ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٨ و ١٩٤٢ . وبعد أربعين سنة أي في سنة ١٩٨٠ أعادت شركة النشر الاسرائيلية آرِيلْ طبع ترجمة اسطفان بطريقة غريبة . فلم تذكر عن المترجم غير اسمه ، ولم تذكر مجلة الآثار =

مـدارسهـا ، ولكنـه اقتصر على وصف البنـاء ، فقـد فَصَّل القول عن بنـاء الأشرفية ، وأجمله عن بنائي المدرستين الصلاحية والغادريـة . ولكنـه هو ايضاً لم يقل شيئاً عن التدريس أو المدرسين(١٤) . فهل يصح الاستنتاج ان التـدريس كان معطـلاً أو ان نشـاط حلقـاتـه لم يكن على الأقـل ظـاهراً للزائر ؟ الغالب ان الإهمـال فـالانحلال بـدأ حوالي هـذا الوقت . جـاء في ترجمـة الشيخ جمـال الـدين بن محمـد العجمي القـدسي (تـوفي سنـة ١٠٠١ للهجرة) أنه درَّس بدار الحديث وعمَّر جزءاً من المـدرسـة الظـافريـة كان متهدماً واتخذه مسكناً له . وجاء ما يشبه ذلك في تراجم علمـاء درَّسوا في مسجـدي الحرم الشريف أو في مـدارس ذُكر منهـا الصـلاحيـة والميمـونيــة والتنكزية والعثمانية ولم يُذْكر غيرها(١٥) .

= الفلسطينية الا رمزاً بالحروف الأولى من العنوان ، والمقدمة المكونة من صفحة واحدة لا تذكر اسم محرر للطبعة ، وتـدل على هـدف سيـاسي بـذكر « ارض اسرائيل » بـدلاً من « فلسطين » . وهذا هو عنوان ما نُشر :

Evliya Tshelebi Travels in Palestine, Translated From Turkish by st. H. stephan. Ariel Publishing house, Jerusalem, 1980.

(١٤) رسالة عبد الغني النابلسي عنوانها « الحضرة الأُنسية في الرحلة القدسية » ، منها نسخة خطية في القدس كانت في المكتبة الخـالـديـة واخرى خطيـة أيضاً في المكتبـة الظـاهريـة بدمشق . وقد طبعت الرسالة بمطبعة الاخلاص في القاهرة سنـة ١٩٠٢ ووقف على طبعهـا ديمتري نقولا .

(١٥) تفصيل ذلك اعتماداً على كتـاب « خلاصـة الأثر في أعيـان القرن الحـادي عشر » للمحبي ، وعلى كتـاب « سلـك الـدر في اعيـان القرن الثـاني عشر » للمرادي في رسـالتنـا المطـوَّلـة (القدس الشريف في تاريخ العرب والاسلام) في مجلـة مجمع اللغـة العربيـة بـدمشق م ٥٤ ج ٤ ص ٧٩٤ ـ ٧٩٨ ، وم ٥٥ ج١ ص ٢٣ ـ ٦٠ . (راجع الصفحات ٧٩٤ ـ ٧٩٨) .

وهذا مثل آخر اعتماداً على كتاب مخطوط ألفه في سنة ١١٩٤ للهجرة الحاج حسن بن عبد اللطيف الحسيني مفتي الحنفية بالقدس ، ترجم فيه لطائفة من أعيان علمائها في القرن الثاني عشر . وقد جاء في هذا الكتاب ذكر لأربع مدارس وهي الصلاحية والأفضلية والبلدية والطُشْتَمرية . ويؤخذ في هذا الكتاب ان معظم أصحاب التراجم درَّسوا في المسجد الأقصى أو في مسجد قبة الصخرة المشرفة ، وبعضهم درّسوا في مدرسة من المدارس الأربع المذكورة . ولكن لا ذكر في الكتاب للمدرسة الاشرفية ولا لغيرها من المدارس التي كانت أقل شأناً(١٦) .

فهذه القرائن تدل على استمرار الإهمال والانحلال فالخراب ، حتى انه لم تَبْق مدرسة واحدة عاملة في القرن الثالث عشر (التاسع عشر) ، ومن الدلائل على ذلك خلو الوثائق الرسمية المتعلقة بحكم محمد علي باشا بين سنتي ١٨٣١ و ١٨٤٠ من ذكر أي مدرسة من المدارس في القدس . ولهذا اسباب مختلفة منها إهمال الولاة العثمانيين وكثرة تبديلهم ، ومنها سوء الإدارة الذي جعل الوظائف الدينية كالوظائف المدنية تباع وتشترى في عاصمة السلطنة وفي الولايات ، ومنها تراخي الرقابة على أوقاف المدارس وصرف ريْعها في وجوهه الشرعية ، ومنها توريث وظائف التدريس ونظارة الوقف دون اعتبار الكفاية العلمية والخلقية ، ومنها هجرة عدد من علماء القدس الى استانبول طلباً لوظائف التدريس في مدارسها أو مدارس غيرها من المدن التركية ، ومنها استئْثار ورثة المدرسين ومتولي الأوقاف بما تحت أيديهم من أراضٍ وأبنية وتحويل منفعتها لمصالح شخصية ، ومنها الإفراط في استخدام طريقة الحِكْر الشرعية . ويبدو ان

(١٦) « تراجم جماعة من أفاضل بيت المقدس » : النسخة المخطوطة الموجودة في المتحف البريطاني تحت رقم OR 3047 .

هذا وذاك بدأ قبل انتهاء حكم المماليك : يقول قاضي القدس عند دكر أوقاف المدرسة المعظّمية في سنة ٩٠٠ للهجرة ، « وقد أخذ غالبها وصار بأيدي الناس إقطاعاً وملكاً »[١٧] .

وماذا جرى لأبنية المدارس بعد تعطيل التدريس فيها ؟ ذُكر آنفا ان المماليك استعملوا بناء المدرسة الجاولية وبناء المدرسة التنكزية لإقامة نواب السلطنة والقضاة ، ولكنه لا شك ان ابنية المدارس الأخرى ظلت في عهدهم تستعمل للتدريس بحسب شروط الوقف . واستعمل العثمانيون ايضاً بناء التنكزية فجعلوه مقراً للمحكمة الشرعية ، واستعملوا ايضاً بناء الجاولية مكتباً (السراي) للوالي . ولكنهم كانوا أقل مراعاة لشروط الوقف ، بل خالفوها باستعمال رباطين في باب الناظر سجناً ، اولهما رباط علاء الدين البصير (اوقفه علاء الدين آيْدغدي ناظر الحرمين سنة ٦٦٦ للهجرة على الفقراء من زوار القدس) . وثانيهما الرباط المنصوري (أوقفه الملك المنصور قَلاَوون الصالحي سنة ٦٨١ للهجرة للغرض نفسه) . ولم يستعمل العثمانيون لاغراض تعليمية اي بناء من ابنية المدارس المعطلة إلا بناء المدرسة الميمونية ، وذلك في السنوات الأخيرة لحكمهم . ففي سنة ١٣١٠ للهجرة (١٨٩٢ للميلاد) فتحوا في بناء تلك المدرسة « المكتب الاعدادي » . ولكن لايُعْرف متى قُلب الاسم فصار المأمونية ، اذ بهذا الاسم قامت في عهد الانتداب البريطاني وفي البناء نفسه مدرسة للبنات عرفت بالمدرسة المأمونية .

وماذا جرى لأبنية المدارس الاربع العظيمة التي خلّفها الأيوبيون والمماليك اي الصلاحية والأفضلية والتنكزية والاشرفية ؟ أما بناء الصلاحية فظل مهملاً نحو خمسين سنة قبل أن وهبه السلطان عبد المجيد في سنة ١٨٥٦ للامبراطور نابليون الثالث تقديراً لمساعدة فرنسا للدولة

(١٧) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ص ٣٩٣ .

العثمانية في حرب القرم ضد روسيا . فسلّم الامبراطورُ البناءَ الى الآباء البيض ، وهؤلاء أعادوا الكنيسة الى ما كانت عليه في عهد الصليبيين ، وأقاموا بجانبها بناءً جديداً لمدرسة لاهوتية وبناءاً آخر جعلوه مسكناً[١٨] . وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية فيها ضد فرنسا استولى جمال باشا ، القائد العام في سورية وفلسطين ، على الابنية واسس في بناء مدرسة اللاهوت « الكلية الصلاحية » التي دامت حتى آخر سنة ١٩١٧ ، أي قبيل الاحتلال البريطاني[١٩] .

وأما بناء الأفضلية فقد أزال الصهيونيون آخر معالمه سنة ١٩٦٧ عندما هدموا جميع حي المغاربة وداراً كان فيها ضريح « الشيخ عيد » ، ولعله أحد مدرسي الأفضلية أو آخرهم[٢٠] . واما بناء التنكزية فما زال قائماً وسليماً ، فبعد أن كان مقراً للمحكمة الشرعية في العهد العثماني اصبح داراً لرئيس المجلس الاسلامي الأعلى في عهد الانتداب البريطاني . وبعد سنة ١٩٦٧ احتله الصهيونيون بجنودهم ، وحفروا تحته قبواً يقيمون الصلاة فيه[٢١] .. واما بناء الأشرفية فالظاهر ان زلزالاً قوَّض معظمه بعد سنوات من اقامة عبد الغني النابلسي فيه . ولم يهتم العثمانيون بترميمه ، وظل يتلاشى حتى لم يبق منه الآن الا بعض طابقه الأرضي ، وفيه متحف الآثار الاسلامية .

---

(١٨) Guide to the Holy land by Father B. Meistermann (Landon, 1923), P. 215-216.

(١٩) Modern History of Syria including Lebanon and Palastine by AlTibawi (Landon 1969) P. 230.

(٢٠) المفصل في تاريخ القدس لعارف العارف ، ص ٢٣٨ ، وكتاب « القدس مدينة بلا أسوار » لمؤلفه بالعبرية عوزي بنزيمان ، وترجمه الى العربية محمد ماضي (القدس ١٩٧٦) ، ص ٤٣ .

(٢١) Islamic Pious Foundations in Jerusalem... by AlTibawi, P.34-40; P.71 (Picture).

ولما تأسس المجلس الاسلامي الأعلى في عهد الانتداب البريطاني برئاسة الحاج أمين الحسيني ، اتخذ المجلس بناء المدرسة المنجكية مع بناء المدرسة الحسنية بجواره مقراً له ولمكاتبه . واعطى المجلس ابنية ثلاث مدارس (الجاولية والمحدثية والنصيبية) إلى المدرسة الوطنية الجديثة (روضة المعارف للبنين) وأخد المجلس جزءاً من بناء المدرسة الباسطية (التي كان يسكنها آل جار الله) وبناء المدرسة الدوادارية بقربها وجعلها مدرسة إسلامية حديثة للبنات . ورمَّم المجلس بناء المدرسة الاسعردية (التي بنيت سنة ٧٦٠ هـ) وجعله مقراً لدار كتب المسجد الأقصى ، وأعاد الرباط المنصوري لمنفعة الفقراء من زوار القدس بحسب شروط الوقف .

وكان رئيس المجلس الاسلامي الأعلى حريصاً على زيادة تعلّق العالم الاسلامي بالقدس والحرم الشريف فيها . فلما توفي الزعيم الهندي المسلم مولانا محمد علي في سنة ١٩٣٠ اتفق الرئيس مع أهله على دفنه بالقدس ، فأخذ لهذا الغرض حجرة في بناء المدرسة الخاتونية (التي كان يسكنها آل الخطيب) وفتح لها باباً على رواق ساحة الحرم وجعلها ضريحاً لمحمد علي . وفي سنة ١٩٣٣ أُخذت حجرة اخرى من بناء المدرسة نفسها وجُعلت ضريحاً لموسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني . ثم جعلت ايضاً ضريحاً لنجلة السيد عبد القادر الذي استشهد في معركة القَسْطل في نيسان ١٩٤٨ وهويجاهد لمنع الصهيونيين السيطرة على طريق القدس . ولما توفي الملك حسين بن علي (شريف مكة) في سنة ١٩٣١ أخذت حجرة من بناء المدرسة الارغونية (التي كان يسكنها آل العفيفي) وفتح لها باب على رواق ساحة الحرم وجعلت ضريحاً للملك .

أخذ المجلس الاسلامي الأعلى ما ذُكر من أبنية المدارس من أيدي أناس اتخذوها لسكنهم ، منهم أحفاد المدرسين أو مُتولي الوقف الذين استولوا على الابنية بعد تعطيل التدريس فيها . ولكن المجلس لم يأخذ جميع الابنية . وقد أحصى رئيس بلدية القدس بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٥٥ تلك الابنية التي لم يأخذها المجلس ، وكانت حينئذ دوراً تُقيم فيها أسرٌ اسلامية مشهورة . وفيما يلي خلاصة ذلك الاحصاء ، ولكن الخلاصة لاتشمل جميع الابنية ولا اسماء جميع الأسر التي ما زالت تحتلها ، إذ الغرض هو ضرب المثل لا الإحاطة :

آل جار الله : أربع مدارس وهي السلامية والباسطية (باب شرف الانبياء) والكريمية والكاملية (باب حطة) .

آل الخالدي : ثلاث مدارس وهي دار الحديث (باب السلسلة) والأباصيرية (باب الناظر) والجالقية (باب الغوانمة) .

آل الخطيب : ثلاث مدارس وهي الخاتونية (باب الحديد) والملكية (باب شرف الانبياء) والجوهرية (باب الحديد) .

آل الامام : مدرستان وهما الأمينية (باب شرف الأنبياء) والطشتمرية (باب السلسلة) .

آل الشهابي : مدرستان وهما الأرغونية (باب الحديد) والزَّمينيّة (باب القطانين) .

آل البديري : مدرسة واحدة وهي الحسنية (باب الناظر) .

آل الفتياني : مدرسة واحدة وهي العثمانية (باب القطانين) .

آل الفتيالي : مدرسة واحدة وهي العثمانية (باب القطانين) .

آل القطب : مدرسة واحدة وهي الحنبلية (باب الحديد) .

كل أبنية المدارس وغيرها من المعاهد المذكورة في هذا البحث ما زالت قائمة ، إلا بنائي الأفضلية والفخرية فقد ازالها الصهيونيون بعد احتلال القدس في سنة ١٩٦٧ . وقد سببّوا ضرراً كبيراً لعدد من مباني المدارس الأخرى حول الحرم الشريف بحفرهم تحتها تنقيباً عن آثار يهودية يزعمون وجودها . ومن الابنية التي تصدعت بسبب ذلك بناء المدرسة العثمانية وبناء المدرسة الارغونية وبناء المدرسة الجوهرية (وبقربه بناء رباط الكُرْد الذي انهار جزء منه) . وزيادة على ذلك يحتل الجيش الاسرائيلي بنائي المدرسة التنكزية ودار القرآن السلامية .

ولكن اذا كان مصير أبنية المدارس معلوماً ، فلا يعلم الا الله مصير ما حُبس عليها من الأراضي والعقارات . وقد تمنّى مؤلفان كانا من كبار الموظفين في عهد الانتداب البريطاني (وقد تمنيتُ معهما لما كنت حينئذٍ شاباً في ادارة معارف القدس) ، لو أمكن اكتشاف هذه الأوقاف وإعادتها لما حُبست عليه وانفاق ريعها لتعمير الابنية واعادة التدريس فيها[٢٢] . وليت الأماني بالتمني .

أول ربيع الأول ١٤٠١
السادس من يناير ١٩٨١

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

---

(٢٢) H.C.Luke and E. Keith-Roach, the Handbook of Palestine (Landon, 2nd. ed., 1930), P.85.

ملحق
فيه حقائق مهمة عن التعليم والعلماء
مبعثرة في كتاب الانس الجليل

(١) عُرف شهاب الدين محمد بن عبد القادر بن ناصر الأنصاري الشافعي (قاضي الخليل الذي ولد سنة ٦٠٠ للهجرة) « بابن العالمة » لأن أمه كانت تحفظ القرآن والحديث والفقه والخطب (ص ٤٦٥) .

(٢) كان تاج الدين ابو بكر علي بن أحمد الأموي المقدسي (قاضي القدس الذي توفي سنة ٧٦٩ للهجرة) يسمع من « العالمات » ومنهن زينب بنت شكر (ص٤٦٩) .

(٣) كان شرف الدين ابو الروح عيسى بن غانم الانصاري (قاضي القدس وشيخ الخانقاه الصلاحية ـ وهي غير المدرسة الصلاحية) « هو الذي حَكَّر أرض البقعة ظاهر القدس الشريف الجارية في وقف الخانقاه المذكورة سنة ٧٩٣ للهجرة ، فصارت كروماً وزاد بذلك ريعها لجهة الوقف » (ص ٤٧١) .

(٤) سمع أبو الحسن علي بن محمد المعافري (أحد خطباء المسجد الأقصى) من الحافظ بهاء الدين القاسم بن عساكر نَصَّ « كتاب الجامع المستقصى في فضل المسجد الاقصى » ، وذلك في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ٥٩٦ للهجرة (ص ٤٧٨) .
[قلت : كان ابو الحسن علي بن محمد المعافري (ت ٦٠٥ هـ) هو الذي ولي خطبة المسجد الأقصى الشريف بعد أن استردّ السلطان

صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس من الفرنجة ، وطهّره من آثامهم عام ٥٨٣ هـ ، فقد ألقى القاضي ابو المعالي محمد بن الزكي القرشي الدمشقي خطبة الفتح البديعة الرائعة بين يدي صلاح الدين ، وخطب في المسجد الأقصى المبارك أربع جمع متواليات ، ثم سمّى السلطان صلاح الدين ابا الحسن المعافري المالقي الأندلسي خطيب المسجد الأقصى . طبع من آثار ابي الحسن كتاب : الحدائق الغناء في أخبار النساء ، وهو كتاب سمع أخباره وكتبها بدمشق سنة ٥٨١ هـ ـ شاكر الفحام] .

(٥) وُلِدَ شهاب الدين أبو العباس الكناني بقرية « مجدل حمامة » بالقرب من عسقلان من أعمال غزة ، ثم استوطن القدس ، وصار معيداً في المدرسة الصلاحية وخطيباً في المسجد الأقصى . توفي سنة ٨٧٠ للهجرة (ص ٤٨٤) .

(٦) اشتهرت زوجة الشيخ شمس الدين بن محمد الجَعْبَري من مدينة الخليل بلقب « ست المشايخ » (ص ٤٩٨) .

(٧) عُرفت أسْماء بنت الحافظ صلاح الدين خليل العلائي ، وزوجة العلامة تقي الدين اسماعيل القرقشندي « بالمُسْنِدة » . توفيت سنة ٧٩٥ للهجرة ودفنت في مقبرة مأمن الله (ماملاّ) بالقدس . (ص ٥٠٤) .

(٨) لُقبت خديجة بنت أبي بكر يوسف بن سعد الدين الخليفة (توفيت سنة ٨٠١ للهجرة) « بالمسندة » . ومن العلماء الذين أجازَتْهم الحافظ ابن حجر (ص ٥٠٦) .

(٩) كانت آمنة بنت العلامة القرقشندي محدّثة في القدس الشريف ، وعرفت « بالمسندة » . توفيت سنة ٨٠٩ للهجرة ودفنت في مقبرة مأمن الله (ماملاً) (ص ٥٠٧) .

(١٠) ينتسب الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن مفلح القلقيلي « قارئ الحديث ببيت المقدس » الى قرية قَلْقِيلْية من أعمال جَلْجولية . ولد سنة ٧٧٦ للهجرة وكان « يقرئ الاطفال » (اي مُعَلّم كُتّاب) . ثم ذهب إلى القدس وانتمى الى الشيخ برهان الدين بن غانم ، فكان يُقْرئ أولاده (ص ٥٢٢) . (بلدة قلقيلية الآن أكبر بكثير من قرية جلجولية المجاورة ، وهما في منتصف الطريق من يافا الى طولكرم) .

[ورد في التعليقات الملحقة بمعجم البلدان (تح وستنفلد ، ليبزيغ ١٨٧٣) ٥ : ١٧ « جلجولية : لم يذكرها المؤلف ، وهي قرية شهيرة بالقرب من الرملة ، ولم أر أحداً ذكرها ولا استحضر فيها ضبطاً محررا غير ما هو في ألسنة الناس من فتح الجيم واسكان اللام الاولى ثم جيم مضمومة ثم واو ساكنة ، ثم لام اخرى مكسورة ثم تحتانية مفتوحة ثم هاء » ـ شاكر الفحام] .

(١١) كان الشيخ أبو العزم محمد بن محمد الحَلاَوي « يُقْرئ العربية وغيرها بالمسجد الأقصى » . وكان معيداً في المدرسة الصلاحية . تُوفي في مكة سنة ٨٨٣ للهجرة (ص ٥٣٨) . هذا نص مهم يدل على إن التدريس في المسجد الأقصى لم يكن مقصوراً على العلوم الدينية .

(١٢) كان الشيخ عمر بن اسماعيل الحنبلي (توفي سنة ٨٨٠ للهجرة) . « يؤدب الأطفال بالمسجد الأقصى بالمكان المجاور لجامع المغاربة من جهته القبلية » . (ص ٦٠٣) . وهذا القول غير دقيق ، يجعل المسجد الأقصى بمثابة « كُتّاب » للأطفال ، والمؤلف هنا يقصد أن يقول الحرم الشريف ، وهو سهو يشبه قوله الذي ذكرناه في الهامش رقم (٧) .

تعليق

● هذه المقالة هي آخر ما كتبه الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي ـ رحمه الله الرحمة الواسعة وأجزل مثوبته ـ لمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . وكانت مجلة المجمع واحدة من المجلات التي كان الأستاذ الطيباوي ـ طيب الله ثراه ـ يؤثرها بمقالاته ورسائله . ولعل من الوفاء لذكرى الأستاذ الكبير الذي فجعتنا به المنية (في السابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ / السادس عشر من تشرين الأول ١٩٨١ م ، انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٧ ، ص : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ان نعدد هنا أبرز مقالاته التي نشرتها مجلة المجمع :

١ ـ الغزالي في دمشق والقدس (مج ٤١ ، ص : ٩٩ ـ ١١١) ، ٢ ـ نصوص وحقائق لم تنشر عن أصل النهضة العربية في سورية (مج ٤٢ ، ص : ٧٧٥ ـ ٧٩٣) ، ٣ ـ الشيخ ناصيف اليازجي (مج ٤٣ ، ص : ٣٢٦ ـ ٣٤٠) ، ٤ ـ المعلم بطرس البستاني (مج ٤٥ ، ص : ٥٩٥ ـ ٦١٣) ، ٥ ـ الفس إلاه سمث (مج ٤٦ ، ص : ٧٥٣ ـ ٧٦٧) ، ٦ ـ اللغة العربية في كتب المبشرين الأولين (مج ٤٧ ، ص : ٧٧٢ ـ ٧٨٧ ، ٩٥٠) ٧ ـ جمعية الآداب العربية في القدس (مج ٤٩ ، ص : ٨٧١ ـ ٨٨١) ، ٨ ـ توضيح وتعقيب مع مقال الأستاذ محمد جميل بيهم (مج : ٥٠ ، ص : ٦٩٠ ـ ٦٩٢) ، ٩ ـ معروف الرصافي والاستقلال العربي (مج ٥٣ ، ص : ٨٤٠ ـ ٨٦٧) ، ١٠ ـ أحكام ترجمة القرآن الكريم وتاريخها (مج ٥٤ ، ص : ٦٣٥ ـ ٦٦٠) ، ١١ ـ القدس الشريف في تاريخ العرب والاسلام (مج ٥٤ ، ص : ٧٥٣ ـ ٨٢٣ ، مج : ٥٥ ، ص : ٢٣ ـ ٦٠) ، ١٢ ـ حائط البراق والاوقاف الاسلامية في غربه (مج ٥٥ ، ص : ٢٦٦ ـ ٢٨٧) ، ١٣ ـ علماء القدس الشريف في القرن الثاني عشر (مج ٢٥٦ ص : ١٢٨ ـ ١٤٢) ، ١٤ ـ جحا العربي (مج ٥٦ ، ص : ٤٤٠ ـ ٤٤٣) ، ١٥ ـ الى محرر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٦ ،ص : ٦٩٧ ـ ٦٩٩) ، ١٦ ـ مجلتان شرقيتان في بلاد الغرب (مج ٥٦ ، ص : ٧٠٠ ـ ٧٠٩) [شاكر الفحام] .

من آثار

أبي حيان النفزي الأندلسي

عبد القادر زمامة

الأستاذ المحاضر بكلية الآداب ـ فاس ـ

اثير الدين محمد بن يوسف النفزي الأندلسي المولود سنة ٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م المكني بأبي حيان شخصية علمية وأدبية شهيرة في كتب التراجم ، والطبقات ، والفهارس ، والتاريخ ، والرحلات . وآثاره المتعددة ولا سيما تفسيره المسمى بالبحر شرقت وغربت وأعجمت وأعربت منذ عصره والى الآن . . !

ورحل أبو حيان عن غرناطة سنة ٦٧٨ هـ ومر في طريقه على المغرب ومكث بفاس ثلاثة أيام فقط . . ! ومر على بجاية وتونس وأقام بالقاهرة وهي اذ ذاك وارثة علوم بغداد وطال مقامه بها عقوداً من السنين الى أن ودع هذه الحياة بها سنة ٧٤٥ هـ = ١٣٤٥ م .

وكان مقامه بالقاهرة من اسباب شهرته عند أهل المشرق والمغرب كما أن تنقله من المذهب المالكي إلى المذهب الظاهري في الاندلس ، ثم تنقله إلى المذهب الشافعي بعد أن أقام في مصر من الأسباب التي أكثرت الجدل حول شخصيته وأخلاقه وعلمه . فأخذ حيزاً من التقدير عند قوم والانتقاد عند آخرين ، وفيهم الفقهاء والنحاة والمؤرخون والرحالون . . . !

وشخصية أبي حيان ذات مواقف وتطورات وموازين وأنواع من السلوك وضروب من الأخلاق وغمرات شخصية خاضها في جهات متعددة : ثقافية وفكرية ومذهبية . واتخذ لسانه وقلمه أداتين حادتين للتعبير عنها . فلم يكن ذا لون واحد من السلوك ، ولا لون واحد من المعرفة لذلك لفت إليه الأنظار وشغل الأقلام والأفكار . . . !

واتصل به في مصر الخطيب ابن مرزوق وروى عنه في تلمسان ماسمعه في مصر وكذلك أبو عبد الله المقري ـ الجد ـ وابن رُشَيْد السبتي ، والوادي آشي ، والمؤرخ صلاح الدين الصفدي ، والسُّبْكِيانْ : تقي الدين وتاج الدين ، وغيرهم من أعلام القرنْ الثامن الهجري . . واتصل به عن طريق الكتابة والاجازة عدد لا يحصى من أعلام المشرق والمغرب . . وموقفه من الشيخ الامام ابن تيمية شهير . . . ! !

والى جانب هذه المكانة العلمية كان أبو حيان شاعراً ينظم الأبيات والمقطعات والقصائد القصيرة والمطولة . . وله في كل ذلك الغث والسمين والرخيص والثمين . . !

واكتشفت مخطوطة ديوان أبي حيان في مدينة ـ وزان ـ المغربية . وطبع الديوان بالعراق سنة ١٩٦٩ م لكن هذه القصيدة التي نقدم نصها هنا ليست من مشمولات الديوان . . . !

وإنما وقعت الاشارة إليها ص ٤٤٤ وذكر مطلعها :

هـو العلم لا كالعلم شيء تراوده
لقد فاق باغيه وانجح قاصده

وذلك نقلاً عن تلميذ أبي حيان صلاح الدين الصفدي في كتابه (أعيان العصر وأعوان النصر) وحيث ان الصفدي لم يذكر النص بتمامه فإن محققيْ الديوان اكتفيا بالاشارة إلى ماعند هذا المؤلف ...!

وكذلك فعل أبو العباس المقري في نفح الطيب عندما ترجم لأبي حيان تلك الترجمة الطويلة . . . !

وظهرت طبعة كتاب (الاحاطة) سنة ١٩٧٥ م وفي الجزء الثالث منها ترجمة أبي حيان وشعره ومن جملته هذه المطولة لأبي حيان ص ٥٠ ـ ٥٦ .

إلا أن ماوقع في نصها ـ مع الأسف ـ من التحريف والتشويه والتصحيف أفسد المعنى والمبنى في عدد كبير من الأبيات كما أن الاشارات التي قصد أبو حيان الإشارة بها إلى أعلام وقضايا وتاريخ وأمثال . لم تجد طريقها إلى ذهن القارئ عن طريق هذا التشويه . . . !

فالنص له أهداف عامة وخاصة تتجلى في نظرة أبي حيان إلى قيمة النحو . وقصة نشأته وما صاحب قصة النشأة من ملابسات مع الاشارة إلى الخليل وسيبويه والكسائي وغيرهم وماكان هناك من مكايد ومنافسة وتلاعب بقيم الرجال . . . ! لأغراض خاصة . . . !

كما أن أبا حيان أودع النص بعض مشاعره في مصر وماقاساه من مضايقات وملاحقات من طرف معاصريه . . . ! واتبع ذلك بشوقه إلى الأندلس وذكر ما عليه أهلها من اهتمام بكتاب سيبويه . ثم تخلص إلى مدح أستاذه الذي وجهه هذه الوجهة وافاده بأصولها وفروعها : أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير مؤلف كتاب (صلة الصلة) وغيره من الكتب المفيدة وكان من أعلام الأندلس الذين تركوا أصداء رنانة في كتب الأندلسيين والمغاربة . . . !

فالنص يهمنا في الدراسات الأندلسية ويعطينا تصورات عن أعلام ومعارف العصر كما أنه يربطنا بما نجده عند تلاميذ أبي حيان من مغاربة وأندلسيين . . !

ويفسر لنـا بعض مـانقلوه عنـه من أخبـار ومعلومـات وآراء . وماوصفوه به من صفات . . !

لهذا كنت مهتمـا بهذا النص واستخلاص صورة صحيحـة أو قريبـة من الصحـة لـه من الكنـاشـات والمؤلفـات التي اهتمت بـه ولاسيما منهـا مخطوطة كتاب (روضة الاعلام بمنزلـة العربيـة من علوم الاسلام) الـذي ألفـه أبو عبـد الله ابن الازرق الانـدلسي المتـوفى سنـة ٨٩٦ هـ - ١٤٩١ م قاضيا بمدينة القدس قبل سقوط غرناطة بسنة واحدة . . . !

وقـد كان النص في مخطـوطـة (الروضـة) بـالغـاً حـد النهـايـة في التَحريف والتشويه وكسر الأبيات شأنه في ذلك شأن الاحاطة . . . !

ورغم مابذلنا من جهد في التصحيح بمقارنة النسخ واختيـار أجودهـا فـإن هنـاك بعض الأبيـات التي مـازلنـا نشعر فيهـا بشيء من الالتواء في المبنى والمعنى وذلك كله من آثار أعمال الناسخين . . . !

وهـذا نص مطـولـة أبي حيـان مـع بعض التعليقـات التي تـوضـح اشاراتها . . .

هـــــــو العلم لا كالعلم شيء تراودهْ
لقـد فـاز بـاغيـه وانجـح قـاصـدهْ

ومـا فضـل الانسـان إلا بعلمـه
ومـا امتـاز إلا ثـاقب الـذهن واقـده

وقـد قصرت أعمـارنـا وعلـومنـا
يطـول علينـا حصرهـا . ونكابـده

وفي كلهـا خير ولكن أصلهـا
هـو النحـو فـاحـذر من جهـول يعـانـده

بـــــه يعرف القرآن والسنـــــــة التي
همـــا أصـــل دين الله ذو[١] أنت عـــابـــده
ونـــــاهيـــــك من علم عليٍّ مشيّـــــد
مبـانيــهِ[٢] . أعــزز بـالــذي هــو شـائــده
لقــد حــاز في الــدنيـــا فخــارا وسـودداً
أبـو الأسـود الـديلي[٣].فـلاجمَّ سـائـده[٤].
هــو استنبـــط العلم الـــذي جــل قـــدره
وطـــــار بــــه للعرب ذكر نعـــــاوده

١ ـ هذه « ذو » المعروفة عند النحاة باسم « ذو » الطائية وقد أشبعوا الحديث عنها ولاسيا منهم شراح الخلاصة حيث ذكروا الفرق بينها وبين أختها المعربة بالحروف التي أشار إليها ابن مالك بقوله :

« من ذاك ـ ذو ـ ان صحبة أبانا »

٢ ـ يشير إلى ماورد في كتب النحاة من أن الامام عليا رضي الله عنه أشار على أبي الأسود الدؤلي بالشروع في تدوين مبادئ النحو ونقل ذلك المؤرخون أيضاً . . . ! .

٣ ـ أبو الأسود الدؤلي منسوب إلى دئل فحقه أن تفتح الهمزة مع ضم الدال . لكن هذه النسبة وقع فيها تحريف منذ القديم . وقيل فيها ـ الديلي ـ على ألسنة العامة من غير ضرورة شعرية . أشار إلى ذلك أبو الطيب اللغوي المتوفى سنة ٣٥١ هـ في كتابه : مراتب النحويين ص٣٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط . القاهرة ١٩٧٤ م .

٤ ـ جم القوم في اللغة جماماً بمعنى استراحوا وكثروا . والجملة دعائية تعني أن من يحاول أن يسود أبا الأسود . لااستراح ولاكثر عدده . . . !

وســـــاد عطـــــاء[٥] نجلـــــه وابن هرمـــز[٦]
ويحي[٧] ونصر[٨] ثم ميـــون[٩] مـــــاهـــــده

٥ ـ عطاء . هو نجل أبي الأسود وتلميذه في النحو . وهو من نحاة البصرة . ولم يعقب : مراتب النحويين ص ٣٠ .

ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى تلك الاشارة الغريبة التي جاءت في كتاب ـ الاصابة ـ للحافظ ابن حجر عن أبي الأسود الدؤلي :
كان يعد في التابعين والشعراء والفقهاء والمحدثين والاشراف والفرسان والأمراء والنحاة والحاضري الجواب والشيعة والصلع والبخر والبخلاء .

٦ ـ عبد الرحمن بن هرمز المدني كان من أوائل من وضع علم العربية وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش . وهو من أشياخ الامام مالك اختلف إليه عدة سنين . . . !

انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٩ ـ ٢٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .ط . القاهرة ١٩٥٤م

٧ ـ يحي بن يعمر العدواني من نحاة البصرة حليف بني ليث ذكره أبو الطيب اللغوي . في مراتب النحويين ص ٣٠ وكذلك الزبيدي في الطبقات ص ٢٢ مع أخبار وفوائد .

٨ ـ نصر بن عاصم الليثي من طلائع النحاة ذكره الزبيدي في الطبقات ص ٢١ . والسيوطي في بنية الوعاة ص ٤٠٣ . ط . القاهرة ١٣٢٦ هـ . والحافظ اليغموري في نور القبس ص ٢٣ . تحقيق رودلف زلهايم .

٩ ـ ميمون الاقرن . أشار إليه أبو الطيب اللغوي ص ٣٠ والزبيدي ص ٢٤ . والحافظ اليغموري ص ٥ .

وعنبسة[١٠] قد كان أبرع صحبه
فقد قلدت جيد المعالي قلائده
وما زال هذا العلم تنميه سادة
جهابذة تبلى به وتعاضده
الى أن أتى الدهر العقيم بواحد
من الأزد تنميه إليهما فراهده[١١]
امام الورى ذاك الخليل بن أحمد
أقر له بالسبق في العلم حاسده
وبالبصرة الغراء قد لاح فجره
فنارت[١٢] أدانيه وضاءت أباعده

---

١٠ ـ عنبسة الملقب بالفيل واسم أبيه معدان وكان عنبسة يروي بعض شعر جرير . ومن أجل ذلك هجاه الفرزدق بقوله :

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي علي القصائدا

انظر الزبيدي ص ٢٤ وأبو الطيب اللغوي ص ٣٠ الذي روى بيت الفرزدق هكذا :

ماكان في معدان والفيل شاغل لعنبسة الراوي علي القصائدا

وانظر الحافظ اليغموري ص ٢٣ .

١١ ـ الفراهيد : من بطون قبيلة الازد . وإليهم ينسب الخليل بن أحمد .
والواحد فرهود . وقد تكلم اللغويون على هذه النسبة .
انظر : أبو الطيب اللغوي ص ٥٤ . والحافظ اليغموري ص ٥٦ .
وانظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٩ ط . القاهرة . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٢ ـ نار الثلاثي معروف في اللغة . والمصدر النور والنيار .

بــأذكى الـورى ذهنــا وأصــدق لهجــة
إذا ظن أمرا قلت هــا هــو شــاهــده

ومــا إن يُرّوى[١٣] بـل جميـع علـومـه
بـديهـةٌ أعيت كل حبر يجـالـده

هـو الـواضـع الثـاني الـذي فـاق أولا[١٤]
ولا ثـالث في النـاس تصمي قـواصـده

وقـد كان ربـاني أهـل زمـانـه
صـؤوم قـؤوم راكـع الليـل سـاجـده

يقسِّم منـه دهره في مثـوبـة
وثـوقـا بـأن الله حـق مـواعـده

فعـام إلى حـج وعـام لغـزوة
فيعرفـه البيت العتيـق ووافـده

ولم يثنـه يـومـا عن العلم والتقى
كـواعب حسن تنثني ونـواهـده

وأكثر سكنـاه بقفر بحيث لا
تنـاغيـه إلا عفره[١٥] واوابـده

---

١٣ ـ يروى ـ بالتشديد ـ في الأمر يتأمل ويفكر فيه .

١٤ ـ يقصد أن الخليل بن أحمد ـ في نظره ـ هو الواضع الثاني لأبواب علم النحو وقواعده . . !

١٥ ـ يقول أبو الطيب اللغوي : كان الخليل يعيش من بستان خلفه عليه أبوه بالخريبة ـ خارج البصرة ـ ص ٥٦ والمراد بالعفر ظباء الفلاة . وبالاوابد وحوشها . . .

ومـــا قـــوتـــه إلا شعير يسيغـــه
بمـــاء قراح ليس تغشى مـــوارده
عـزوفـــا عن الـــدنيـــا وعن زهراتهـــا
وشـوقـــا إلى المـولى ومـــا هـو واعـــده
ولمـــا رأى من سيبـــويـــه نجـــابـــة
وأيقن أن الخير أدنـــاه بـــاعـــده
تخيره إذ كان وارث علمــــــــــه
ولاطفـــه حتى كأنْ هـــو والـــده
وعلمـــه شيئـــاً فشيئـــاً علـــومـــه
إلى أن بـــدت سيماه واشتـــدّ ســـاعـــده
فـــاذ ذاك وافـــاه من الله وعـــده
وراح وحيـــد العصر إذ جـــاء واحـــده
أتى سيبـــويـــه نـــاشراً لعلـــومـــه
فلـولاه أضحى النحـو عطـلا[١٦] شـواهـــده
وأبـــدى كتـــابـــا كان فخرا وجـــوده
لقحطـــان اذ كعب بن عمرو محـــاتـــده[١٧]
وجمـــع فيـــه مـــاتفرق في الـــورى
فطـــارفـــه يعـــزى إليـــه وتـــالـــده

---

١٦ ـعطلا شواهده . يقصد أنه لولا سيبويه لخلا النحو من الشواهد التي تصحح الاستعمال وتقعد القواعد .

١٧ ـ حتد في اللغة كرم اصله . ومحتد الانسان اصله . والمحاتد الجمع يشير الى أن سيبـويـه ، واسمـه عمرو بن عثمان بن قنبر كان ينتمي ولاء على مـا عنـد المؤرخين الى بني الحارث بن كعب بن عمرو .

انظر الزبيدي ص ٦٦ . وانظر الحافظ اليغموري ص ٩٥ .

بعمرو بن عثمان بن قنبر الرضـــــــــــــــا
أطـــاعت عـواصيـــه وثـــابت شـــوارده
عليـــــــك قُرانَ النحـــــو نحـــو ابن قنبر
فـــآيــــاتـــه مشهـودة وشـواهـــــده[18]
كتـــاب أبي[19] بشر فـلاتـــك قــــاربــــا
ســـواه فكل ذاهب الحسن فــــاقــــده
هم خلـج بـــالعلم مــــدت فعنـــدمـــا
تنـــاءت غــدت تـزهى وأنت تشـــاهـــده
ولاتعـــــد عمـــا حـــازه إنـــه الفرا[20]
وفي جـوفـــه كل الـــذي أنت صـــائـــده
إذا كنت يـومـــا محكمـــا لكتـــابـــه
فـــإنـــك فينـــا نـــابـــه القـــدر مـــاجـــده
ولست تبـــــالي إن فككت رمـــــوزه
أعضـــك دهر أم عرتـــك شـــدائـــده

---

١٨ ـ يقصد المزم أخذ النحو من كتاب سيبويه . واستعمل كغيره من المعجبين بهذا الكتاب مبالغة قديمة عندهم . وهي التعبير عنه بقرآن النحو . . . !

وقد أشار الى هذه المبالغة أبو الطيب اللغوي ص ١٠٦ ، وقال : وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو . . . !

١٩ ـ أبو بشر كنية سيبويه . وله كنية أخرى . وهي أبو الحسن أشار اليها السيوطي ص ٢٦٦ واليغموري ص ٩٥ .

٢٠ ـ يشير الى المثل العربي الشهير : كل الصيد في جوف الفرا ، والفرا الحمار الوحشي . انظر قصة المثل في مجمع الأمثال للميداني ص ٨٢ ج ٢ ط القاهرة ١٣٥٢هـ .

هــو العضب إن تلــق الهيـــاج شهرتـــه
وإلا تصب حربــا فـــانـــك غـــامــــده

تلقـــاه كل بــــالقبــول وبـــالرضــا
فــذو الفهم من تبـدو إليــه مقــاصــده

ولم يعترض فيـــــه ســـوى ابن طراوة[٢١]
وكان طريّــاً . لم تقـــادم معـــاهـــده

وجسره طعن المبرد قبلــــــــــــه
وإن الثمالي[٢٢] بـــارد الــذهن خــامــــده

هـامـا همـا صـارا مـدى الـدهر ضحكـة
يـزيف مـــاقـــالا وتبـــدو مفـــاســـده

---

٢١ ـ ابن الطراوة : أبو الحسين سليمان بن محمد المالقي المشهور بـابن الطراوة من نحاة الأندلس وأدبـائها وهو من تلاميـذ البـاجي وشيوخ عياض . وبرز في النحـو ولـه آراء فيـه انفرد بها في عصره . وألف كتبـا نـال فيهـا من نحـو سيبويه . وهو صاحب البيتين الشهيرين :

اذا رأوا جمـــلا يـــأتي على بعــــد — مــدوا اليـــه جميعــا كف مقتنص
ان جئتهم فـــارغـــا لـــزوك في قرن — وإن رأوا رشـوة افتـوك بـالرخص

وتوفي سنة ٥٢٨ هـ . انظر السيوطي ص ٢٦٣ .

٢٢ ـ أبـو العبـاس محمد بن يـزيـد الازدي الثمالي الملقب بـالمبرد ـ منهم من يكسر الراء ، ومنهم من يفتحها ـ من أشهر النحاة الأدباء المؤلفين ومؤلفاته جيـدة شهيرة ويذكر بعض المؤرخين أخبارا طريفة تتعلق بجرأته وذكائه كما يذكرون من مؤلفاته : الرد على سيبويه ـ وشرح شواهد الكتاب . ويظهر انـه انتقـد نحو سيبـويـه وطريقتـه في التـأليف والاستشهـاد . . . تـوفي سنـة ٢٨٥ هـ . انظر الحافظ اليغموري ص ٣٢٤ ، وانظر السيوطي ص ١١٦ .

تكـــون صحيـــح العقـــل حتى إذا ترى
تبـــارى أبـــا بشر إذا أنت فـــاســـده
يقــول امرؤ قـــد خـــامر الكبر رأســـه
وقـــد ظن أن النحـــو سهـــل مقـــاصـــده
ولم يشتغــــل إلا بنزر مســـــائــــل
من الفقـــه في أوراقـــه هــو راصـــده
وقـــد نـــال بين النـــاس جـــاهــا ورتبـــة
وألهـــاه عن نيـــل المعـــالي ولائـــده[٢٣]
ومـــــاذاق لـــــلآداب طعما ولم يبت
يعنى بمنظـــــوم ونثر يجـــــــاوده
فينكـــــح ابكار المعـــــاني ويبتغي
لهـــا الكفـــء من لفـــظ بهـــا هـــو عـــاقـــده
رأى سيبـــويـــــه فيــــه بعض نكادة
وعجمـــة لفـــظ لا تحـــل معـــاقـــده
فقلت اتئـــد مـــاأنت أهـــل لفهمـــه
ومـــا أنت إلا غـــائض الفكر راكـــده
لعمرك مـــــاذو لحيـــــة وتسمّتٍ
واطراق رأس والجهـــات تســـاعـــده
فيمشي على الأرض الهـــوينـــا كأنمـــا
إلى المـــلأ الأعلى تنـــاهت مراصـــده
وإيهـــامـــه الجهـــال انـــه عـــالم
وانـــه فرد في الـــوجـــود وزاهـــده
بـــأجلب للنحـــو الـــذي أنت هـــاجر
من الـــدرس بـــالليـــل الـــذي أنت هـــاجـــده

٢٣ ـ الولائد المفرد وليدة . بمعنى صبية .

أصـــاح تجنب من غـــويٍّ مخـــذل
وخــذ في طريــق النحــو انــك راشــده
لـــك الخير فـــادأب ســـاهرا في علـومـــه
فلم يسم إلا ســـاهر الطرف ســـاهـــده
ولا ترج في الـــدنيـــا ثـــوابـــا فـــإنمـــا
لـــدى الله حقـــا أنت لا شـــك واجـــده
ذوو النحـــو في الـــدنيـــا قليـــل حظـــوظهم
وذو الجهـــل فيهـــا وافر الحـــظ زائـــده
لهم أســـوة فيهـــا عليّ لقـــد مضى
ولم يلـــق في الـــدنيـــا صـــديقـــا يســـاعـــده
مضى بعـــده عنهـــا الخليـــل فلم ينـــل
كفـــافـــا ولم يعـــدم حســودا ينـــاكـــده
ولاقى أبـــا بشرٍ بشرٌّ سفيههـــا
غـــداة تمـــادت في ضـــلال بغـــادده[٢٤]
أتى نحـــو هـــارون ينـــاظر شيخـــه
فنـــافحـــه حتى تبـــدت منـــاكـــده
فـــأطرق شيئـــا ثم أبـــدى جـــوابـــه
بحـــق . ولكن أنكر الحـــق جـــاحـــده

---

٢٤ ـ يقصد بأبي بشر سيبويه . الذي لقي شرا كبيرا على يد البغداديين في مناظرته الشهيرة مع الكسائي عند هارون الرشيد .وكان الكسائي مؤدب ابناء الرشيد وهو من اعلام نحاة الكوفة . ويذكر أبو الطيب اللغوي ان الكسائي حمل إلى أبي الحسن الأخفش خمسين دينارا وقرأ عليه كتاب سيبويه سرا . . ! ص ١٢٠ وانظر الحافظ اليغموري ص ٢٨٣ .

وكاد عليّ عمرا اذ صـــــار حـــــاكما
وقـــدمـــا عليّ كان عمرو يكايـــــده[٢٥]
سقـــاه بكأس لم يفـــق من خمـــارهـــا
وأورده الأمر الـــــذي هـــــو وارده
ولابن زيـــــاد[٢٦] شركـــــة في مراده
وكابن زيـــاد مشرَك القلب زائـــــده
همـــــا جرعـــــا آلي علي وقنبر
أفـــاويـــق سم لم تنجـــذ أســـاوده[٢٧]
أبكي على عمرو ولا عمرو مثلـــــــه
اذا مشكل اعيـــا واعـــوز نـــاقـــده

---

٢٥ ـ يقصد بعلي : الكسائي . . فهو علي بن حمزة . . .
ويقصد بعمرو : سيبويه . . فهو عمرو بن عثمان بن قنبر . . .
وفي الشطر الثاني يشير الى قضية عمرو بن العاص مع علي بن أبي طالب . .
ففي رأي الشاعر ان هناك قضية معكوسة . . . ! !

٢٦ ـ يريد بابن زياد في الشطر الأول الفراء . وهو يحي بن زياد من نحاة الكوفة وهو من تلامذة الكسائي الذين كانوا يتتبعون اخطاء سيبويه ويشهرون بها . . .

ويريد بابن زياد في الشطر الثاني عبيد الله بن زياد بن أبيه المعروف عند المؤرخين بابن مرجانة وهي أمه وهو من أشهر قواد وولاة الامويين . وهو صاحب فاجعة كربلاء الشهيرة ، والشاعر استغل التشابه في الاسم بين الفراء الذي هو يحي بن زياد وبين عبيد الله بن زياد . وبنى على ذلك ماجاء في البيت بعده .

٢٧ ـ نجذته التجارب : احكمته وصيرته منجذا او منجذا بفتح الجيم المشددة وكسرها . أي عارفا مجربا للأمور ، ومنه قول سحيم بن وثيل : =

قضى نحبـــــه شرخ الشبـــــاب ولم يرع
بشيب ولم تعلــق بـــــذام معـــــاقـــــده
لقـــــد كان للنـــــاس اعتنـــــاء بعلمـــــه
بشرق وغرب تستنـــــــار فـــوائـــــده
ولان[٢٨] فــــلا شخص على الأرض قـــــارىء
كتـــــاب أبي بشر ولا هـــــو رائـــــده
ســـــوى معشر بـــــالغرب فيهم تلفت
إليـــــه وشـــوق ليس تخبـــو مـــواقـــــده
ومـــــازال منـــــا أهـــل أنـــــدلس لـــــه
جهـــابـــذ تبـــدي فضلـــه وتنـــاجـــده[٢٩]
وإني في مصر على ضعف نـــــــــــاصري
لنـــــاصره مـــــادمت حيـــــا وعـــــاضـــــده
أثـــــار أثير الغرب[٣٠] للنحـــــو كامنـــــا
وعـــــالجـــــه حتى تبـــــدت قـــواعـــــده
وأحيـــــا أبـــو حيـــــان ميت علـــومـــــه
فـــــأصبـــح علم النحـــو ينفـــق كاســــده

= اخـــو خمـين مجتمـــع اشـــــدى ونجـــــذني مـــــداورة الشـــؤون

والاساود مفردها أسود : الحية العظيمة السوداء : الحنش . يقصد الشاعر أن هذا السم من أساود فتية قوية . فسمها أشد اذاية واعظم خطرا من غيرها .

٢٨ ـ يقصد : والآن هجر كتاب سيبويه في أقطار الارض الآ في بلاد الغرب فلهم هنالك اعتناء بدراسته .

٢٩ ـ تناجده : تعين على نشره ودراسته وابداء فضله وقيمته العلمية .

٣٠ ـ اثير الدين هو لقب ابي حيان الذي لقب به في المشرق على عادة اهله . فهو اثير الدين المنتسب إلى الغرب . . .

إذا مغربي حط بالثغر رحله
تيقن ان النحو أخفاه لاحده[٣١]
بلينا بقوم صدروا في مجالس
لاقراء علم ضل عنهم مراشده
لقد اخر التصدير عن مستحقه
وقدم غمر خامد الذهن جامده
وسوف يلاقي من سعى في جلوسهم
من الله عقبى ما أكنت عقائده
علا عقله فيهم هواه فما درى
بأن هوى الانسان للنار قائده
اقمنا بمصر نحو عشرين حجة
يشاهدنا ذو أمرهم ونشاهده[٣٢]
فلما ننل منهم مدى الدهر طائلا
ولما نجد فيهم صديقا نوادده
لنا سلوة فيمن سردنا حديثهم
وقد يتسلى بالذي قال سارده

---

٣١ ـ يقصد نفسه لامامته في النحو وهو مغربي . فاذا اراد الرحيل وحط رحاله بثغر الاسكندرية للرجوع الى بلاده فان علم النحو ـ في نظره ـ يدفن . . . !

٣٢ ـ رحل ابو حيان الى الشرق سنة ٦٧٨ هـ فيكون نظمه لهذه القصيدة حوالي سنة ٦٩٨ هـ وكان الحاكم اذ ذاك بغرناطة هو ابو عبد الله ابن الاحمر ثاني ملوك بني الاحمر الملقب بالفقيه الذي تولى من سنة ٦٧١ هـ الى سنة ٧٠١ هـ (اللمحة البدرية لابن الخطيب ص ٥٨)
وإياه يقصد ابو حيان في الأبيات التالية .

أخي إن تصل يوما وبلغت سالما
لغرناطة فانفذ لما أنا عاهده
وقبل ثرى أرض بها حل ملكنا
وسلطاننا الشهم الجميل عوائده
مبيد العدا قتلا وقد عم شرهم
ومحي الندا فضلاً وقد رم هامده[٣٣]
أفاض على الإسلام جودا ونجدة
فعزّ مواليه وذل معانده
وعم بها إخواننا بتحية
وخص بها الأستاذ لا عاش كائده
جزى الله عنا شيخنا وامامنا
وأستاذنا الحبر الذي عم فائده
لقد اطلعت جيان أوحد عصره
فللغرب فخر أعجز الشرق خالده
مؤرخه نحويه وإمامه
محدثه جلت وصحت مسانده
نماه عظيم من ثقيف وإنما
به استوثقت منه العرى ومساعده[٣٤]
وما أنسى لا أنسى سهادي ببابه
بسبق وغيري نائم الليل راقده
فيجلو بنور العلم ظلمة جهلنا
ويفتح علما مغلقات وصائده

٣٣ ـ رم العظم : بلي فهو رميم .

٣٤ ـ لعله يشير الى عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهير . . !

وإني وإن شطت بنـــا غربـــة النـــوى
لشـــاكره في كل وقت وحـــامـــده
بغرنـــاطـــة روحي وفي مصر جثتي
ترى هـــل يثني الفرد من هـــو فـــارده
أبـــا جعفر خـــذهـــا قـــوافي عن فتى
تتيـــه على غرّ القـــوافي قصـــائـــده[٣٥]
يسير بـــلا اذن إلى الاذن حسنهـــا
فيرتـــاح سماع لهـــا ومنـــاشـــده
غريبـــة شكل كم حـــوت من غرائب
مجيـــدة أصـل أنتجتنـــا أمـــاجـــده
فلـولاك يـــامـولاي مـــا فـــاه مقـولي
بمصر ولا حبرت مـــا أنـــا قـــاصـــده
لهـــذبتني حتى احـــوك مفـــوفـــا
من النظم لايبلى على الـــدهر آبـــده
وأذكيت فكري بعـــدمـــا كان جـــامـــدا
وقيـــد شعري بعـــدمـــا نـــد شـــارده
جعلت ختـــامـــا فيـــه ذكرك إنـــه
هـو المسـك بـل أعلى وإن عـزّ نـــاشـــده

---

٣٥ ـ خص ابو حيان استاذه ابا جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني نزيل غرنـاطـة ٦٢٧ هـ ـ ٧٠٨ هـ الأستـاذ الشهير مؤلف كتـاب (صلـة الصلة) وغيرها من المؤلفات الجيدة بهذه الأبيـات المعبرة عن اعترافه بفضلـه وتقديره لعلمه ، انظر الاحاطة ج ١ ص ١٨٨ .
وانظر مقدمة (صلة الصلة) التي كتبها ليفي بروفـا نصـال الربـاط ١٩٣٧ م
وانظر مقدمة تفسير ابي حيان . . .

تعليقات على تحقيق السِيَر للذهبي

الأستاذ مطاع الطرابيشي

تمهيد :

صدر بدمشق ؛ عن مؤسسة الرسالة ؛ في العامين الماضيين ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ م أحد عشر جزءاً من كتاب « سير أعلام النبلاء » للذهبي ؛ بتحقيق ثلّة من الشباب النشيطين بإشراف الأستاذ شعيب الأرنؤوط ذي التجربة الواسعة في هذا المجال .

وليست هذه هي المرة الأولى التي تخرج فيها أجزاء مطبوعة من هذا السِفْر الكبير ، فقد سبق أن أخرج معهد المخطوطات العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، قبل ربع قرنٍ من تاريخ هذه الطبعة ثلاثة أجزاء من مطلع الكتاب ؛ في سلسلة ذخائر العرب[1] .

وفي أثناء تصفّحي لبعض أجزاء الطبعة الجديدة عَنَّتْ لي ملاحظات شتى ، فاستحسنتُ إفراغ الملاحظات المتناثرة في أثناء بحثٍ منظّم ؛ إذ إن السِيَر كتاب قيّم يستأهل وقفةً متأنّية ، ثم إنه وثيق الصلة بتاريخ ابن عساكر حيث أعمل ، لذاك رغبتُ في أن أضمّ خبرتي إلى خبرة الإخوة

---

(١) صدرت الأجزاء الثلاثة على النحو التالي :
الجزء الأول : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ القاهرة ١٩٥٦ م .
الجزء الثاني : بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري ـ القاهرة ١٩٥٧ م .
الجزء الثالث : بتحقيق الدكتور أسعد طلس ـ القاهرة ١٩٦٢ م .

الأفاضل ، فكان هذا البحث مُسلسلاً في ثلاث حلقات : الأولى ـ مقدمة في المنهج ، والثانية ـ حول الذهبي والسير ، والثالثة ـ ملاحظات على الطبعة الجديدة ؛ اخترتُها نموذجاتٍ لما قدّمتُ الكلام عليه في الحلقتين الأوليين .

وأسأل الله أن يهدينا إلى الطيّب من القول ، وأن ينفع بعملنا جميعاً ؛ إنه سميع مجيب(٢) .

الحلقة الأولى

[مقدّمة في المنهج]

١ ـ عرض تاريخي :

سبق إلى هذا البحث ـ منهج تحقيق المخطوطات ـ فيما علمتُ :

أ ـ نفر من العلماء والباحثين ؛ صدرتْ عنهم كتبٌ متداولة بهذا الشأن ؛ منهم : المستشرق الألماني برغستراسر ، والأستاذ عبد السلام محمد هارون ، والدكاترة : صلاح الدين المنجّد ، ونوري حمّودي القيسي ، وسامي مكي العاني .

ب ـ وآخرون كانت لهم مشاركة في هذا المجال ـ بالمقالات ، أو بالمحاضرات ، أو بمعالجة البحث في مقدّمات بعض الكتب ، أو في فصولٍ منها ـ منهم الأساتذة والدكاترة :

---

(٢) يطيب لي بهذه المناسبة أن أذكر بالجميل الأخ الأستاذ محمد مطيع الحافظ ؛ فقد تكرّم فأعارني ـ من خاصة كتبه ـ كتباً ومحاضراتٍ قيمة أفدتُ منها في هذا البحث ؛ فله الشكر الجزيل .

إبراهيم بيومي مدكور ، ومحمود محمد شاكر ، ومحمد مندور ، ومصطفى جواد ، وشوقي ضيف ، وبنت الشاطئ ، وفرانز روزنثال ، وشكري فيصل ، وأحمد مطلوب ، وحسين علي محفوظ ، ونوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي ، وبشار عوّاد معروف ، ومحمد حمدي البكري ، وسليمان قطاية ، وأحمد سعيدان .

ج ـ ولا بّد أيضاً من الإشارة إلى البيان الصادر عن (لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه) التي اجتمعت في بغداد ـ بدعوةٍ من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية ـ في المدة الواقعة بين ٢٠ ـ ٢٩ / ٥ / ١٩٨٠ م وإلى المحاضرات القيّمة التي أُلقيتْ في الدورة التدريبية الخامسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات ـ والتي انعقدت كذلك في بغداد من ٥ / ٤ / ١٩٨٠ حتى ٣ / ٧ /١٩٨٠ م ـ فشارك فيها فريق من الأساتذة والدكاترة المذكورين آنفاً[٣] .

د ـ وإن بحثي في هذه المقدمة مقصورٌ على جوانب من منهج التحقيق ؛ دون استيعاب المنهج بكامله . كما أنه يدور في الوقت نفسه حول كتبٍ بأعيانها ؛ تقع في زمرة الكتب التاريخية الحديثية ؛ وبخاصةٍ في علم الرجال وفنّ التراجم .

---

(٣) صدرت محاضرات الدورة التدريبية الخامسة مطبوعةً على الآلة الكاتبة وبالتصوير . وانظر بخاصةٍ محاضرة الدكتور أحمد مطلوب (ص : ٤ ـ ٧) ففيها عرض تاريخي مفصّل . وكذلك مقدمة الدكتور محمد حمدي البكري لمحاضرات برغستراسر في (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) ص : ١١ ـ ١٣ .

٢ ـ التحقيق في اللغة والاصطلاح :

قال الزمخشري في أساس البلاغة :

« حَققّتُ الأمرَ وأحققتهُ : كنتُ على يقينٍ منه . وحَقَقْتُ الخبرَ فأنا أحُقُّه : وقفتُ على حقيقته . ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبرٌ فلم يستيقنوهُ : أنا أَحُقُّ لكم هذا الخبرَ ، أي أعلمه لكم وأعرف حقيقته » .

وعلى ذلك فالتحقيق في اللغة هو العلم بالشيء ، ومعرفةُ حقيقته على وجه اليقين ، ومن هنا أشفقَ نفرٌ من أفاضل المشتغلين بنشر التراث من التعبير بهذا اللفظ عن أعمالهم في نقد النصوص ونشرها ، فأشار بعضهم بكلمة « صحّحه » ، وآثر آخرون « قرأه » أو « عارضه بأصوله » أو « اعتنى به » ، من أمثال هذه العبارات التي تتصف بروح العلم والاقتصاد في الدعوى . على أن لفظ « التحقيق » قد شاع استعماله اليوم ؛ حتى غدا مصطلحاً لعمل العاملين في هذا المجال ؛ من غير التزامٍ بمدلوله الأصلي في كثير من الأحيان .

٣ ـ منطلقات التحقيق :

إن الجهود التي تُبْذَل في تحقيق التراث تحمل أعباء إيصال الماضي إلى الحاضر ؛ بل والاستشراف للمستقبل ؛ لأن المستقبل الذي نريد بناءه لأمتنا لا يُمكن أن ينفصم عن الماضي ، وإذن فالتراث لا يمثّل رجعةً إلى الوراء كما قد يتوهّم المتوهّمون ، وإنما هو قوة دفعٍ إلى الأمام ؛ ليست النظرة إلى الوراء فيه إلا لإحكام النظرة إلى الأمام . ومن هنا كانت المنطلقات الأساسية لعمل التحقيق أن يُصبح التراث موصولاً بالمعاصرة ، قادراً على النوّ بها ، هادياً إلى الصراط السويّ في التقدّم نحو المستقبل(٤) .

(٤) انظر تقرير لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه (ص ٤) .

٤ ـ غاية التحقيق :

قد يتساءل المرء عن غاية التحقيق إلى أين تنتهي ؟ وما الحدود التي عندها تقف خطوات الناشر في تحقيق النص ونقده ؟ وبعبارة أخرى : هل غاية المحقق أداء النص كما وضعه مؤلفه ؟ أو أن وراء هذه الغاية غايةً أبعد اقتضاها تصحيح النصّ وتوضيحه ؛ بحيث يبدو العمل فيها ضرباً من التجاوز على المؤلف ، أو لوناً من المشاركة له في عمله ؟

لا مراء في أن أداء النص كما وضعه مؤلفه مطلب أساسي للتحقيق بعامة ، وهو أمرٌ مُتَّفَقٌ عليه ، صرَّح به الباحثون في هذا الفن والعاملون فيه[٥] . بل قد يكون المطلبَ الوحيدَ حين يكون النصّ المحقَّق أصلاً أو مرجعاً في بابته ؛ كالأمّهات في الدواوين الحديثية والمعجمات اللغوية .

غير أنه لا يبدو وحيداً دائماً ، وبخاصة حين يتعلّق الأمر بمقاصد أخرى للتحقيق مُتَّفَقٍ عليها كذلك ؛ منها : تقديم النص صحيحاً مطابقاً للأصول العلمية ، ومنها : توضيح النصّ وضبطه[٦] ، وهو ما سنعالجه في الفقرات التالية .

٥ ـ إصلاح غلط المؤلف :

إن عمل أيٍّ من المؤلفين لا يخلو من أن يخالطه بعض الوهم أو السهو[٧] ، ومن واجب المحقّق التنبُّه إلى أغلاط المؤلف والتنبيه إليها .

---

(٥) انظر : تحقيق النصوص ونشرها ؛ للأستاذ عبد السلام هارون (الطبعة الأولى) ص ٣٨ . وقواعد تحقيق المخطوطات : للدكتور صلاح الدين المنجد (الطبعة الخامسة) ص ١٥ و ١٩ و ٢٤ . ومحاضرة الدكتور أحمد مطلوب في الدورة التدريبية الخامسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات (بغداد ، في ١٩٨٠/٤/٥ م) ص١ .

(٦) من تقرير لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه (بغداد ، في ٢٠ ـ ١٩٨٠/٥/٢٩ م) ص ٦ .

(٧) وبناء على ذلك لا يصح ربط الصحة والسلامة بنص المؤلف دائماً ؛ كما قد توحي به عبارات بعض الفضلاء المذكورين آنفاً .

لكنّ الإشكال في هذا السؤال : هل يجوز للمحقّق تغيير النصّ المغلوط أو لا ؟ الحقّ أن المسألة خلافية قديمة ؛ أثارها المُحدِّثون فلم ينتهوا فيها إلى رأيٍ جامع ، لكنهم مع ذلك ذكروا قواعد دقيقة في هذا الباب ، سأعرضها من خلال البحث :

أ ـ قال القاضي عياض :

« الذي استمرّ عليه عملُ أكثر الأشياخ نقلُ الرواية كما وصلتْ إليهم وسمعوها ، ولا يُغيّرونها في كتبهم ، حتى أطردوا ذلك في كلماتٍ من القرآن استمرت الرواية في الكتب عليها بخلاف التلاوة المُجْمَع عليها ، ولم يجئ في الشاذّ من ذلك في الموطّأ والصحيحين وغيرها ، حمايةً للباب . لكنّ أهل المعرفة منهم يُنبهّون على خطئها عند السماع والقراءة ، وفي حواشي الكتب ، ويقرؤون ما في الأصول على ما بلغهم . ومنهم مَن يجسرُ على الإصلاح ... وحمايةُ باب الإصلاح والتغيير أولى ؛ لئلا يجسر على ذلك مَن لا يُحسن ويتسلّط عليه مَن لا يعلم . »(٨)

ب ـ وقال ابن الصلاح :

« إذا وقع في روايته لحنٌ أو تحريف فقد اختلفوا : فمنهم مَن كان يرى أنه يرويه على الخطأ كما سمعه ، وذهب إلى ذلك من التابعين : محمد بن سِيرين ، وأبو معمر عبد الله بن سَخْبَرة ؛ وهذا غلوّ في مذهب اتباع اللفظ ، والمنع من الرواية بالمعنى . ومنهم مَن

---

(٨) الإلماع ١٨٥ ـ ١٨٦ ، وعنه ابن الصلاح في المقدمة (ط دمشق) ١٠٧ ، وابن كثير في الباعث الحثيث (ط الثانية) ١٤٥ .

رأى تغييره وإصلاحه وروايته على الصواب ، روينا ذلك عن : الأوزاعي ، وابن المبارك ، وغيرهما ، وهو مذهب المحصّلين والعلماء من المحدّثين ... وأما إصلاح ذلك وتغييره في كتابه وأصله فالصواب تركه ، وتقريرُ ما وقع في الأصل على ما هو عليه ، مع التضبيب عليه وبيان الصواب خارجاً في الحاشية ، فإن ذلك أجمع للمصلحة وأنفى للمفسدة . »(٩)

ج ـ قلت : ويتبين مما سلف أن المحدّثين قد فرّقوا في إصلاح الغلط ما بين تصحيح الرواية في أثناء القراءة والسماع وبين تغيير متون الكتب ، وأنهم حين تسامحوا في الجانب الشفهي تشدّدوا في الآخر الكتابيْ ؛ حذراً من خطر التلاعب بالمتون بدعوى إصلاح الغلط .

إذن هل انتهى البحث بسدّ باب التغيير وانتهى الأمر ؟
الجواب : إن البحث لمّا ينتهِ ، فإنّ في الإصلاح مُتّسعاً من القول ؛ لكنّ مسالكه لطيفة بل حَرِجَةٌ أحياناً ؛ وسيأتي بيانها .

د ـ لا بدّ قبل الإصلاح بتغيير النصّ المغلوط من انتفاء الشبهة وظهور الخطأ واضحاً كالشمس ، ومن خير ما يُستشهد به في هذا المجال قول ابن الصلاح في المقدّمة(١٠) :

« وكثيراً ما نرى ما يتوهمه كثير من أهل العلم خطأً ـ وربما غيّروه صواباً ـ ذا وجهٍ صحيح وإنْ خفيَ واستُغْرِب ؛ لاسيّما فيما يعدّونه خطأً من جهة العربية ، وذلك لكثرة لغات العرب وتشعّبها »

---

(٩) مقدمة ابن الصلاح (ط دمشق) ص ١٠٨ .

(١٠) مقدمة ابن الصلاح (ط دمشق) ١٠٨ .

قلتُ : ويلحق بذلك ما قد يبدو غلطاً في رسم بعض الآيات من القرآن الكريم ، وعند التحقيق يتبيّن أن لها وجوهاً في علم القراءات ، أو أن المؤلف أوردها نصاً لقراءةٍ شاذة . وكذلك أنواع أخرى من الأخطاء لا ينفرد بها مؤلفٌ بعينه ، وإنما تمثّل ظاهرة مشتركة لدى مجموعة من المؤلفين ؛ والمثالُ على ذلك ما عُرف باسم « لغة المحدّثين » ؛ قال أبو عُبيد[11] :

« لأهل الحديث لغة ، ولأهل العربية لغة . ولغةُ أهل العربية أقْيَسُ ، ولا تجدُ بُدّاً من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع »

هـ - ثم إنه يجب التفريق في إصلاح الخطأ ما بين اختيار المؤلف وسهوه ، فقد يكون إثبات الرواية بخطئها من اختيار المؤلف ؛ وهو المنهج الذي سار عليه جمهرة المحدّثين كما مرَّ آنفاً . وقد ظهر أن ابن عساكر كان من أنصار هذا المنهج ؛ إذ ينقل في التاريخ ما في أصوله بخطئه ، ويكتفي أحياناً برسم « ضبّة » فوق الخطأ ، وأحياناً يُرفقها ببيان الصواب بعد انتهاء الخبر . فهذا ما يفرض على المحقق متابعته في منهجه ، وترك الخطأ مع التنبيه إلى الصواب في الحاشية .

و - ثم يجب التفريق أيضاً ما بين كون المؤلف مُنشئاً للنصّ من ذات نفسه أو راوياً له عن غيره . فإذا كان النصّ المحقّق شعراً بخط الشاعر نفسه ، أو نثراً فنّياً من صنع الكاتب نفسه ، ففي هذه الحالة يجب إثبات غلط الشاعر أو الأديب كما هو ولو كان سهواً منه أولحناً أو

---

(١١) الكفاية للخطيب البغدادي ٢٨٠ .

وهماً ، لأن الأمانة العلمية تقتضي إبراز الآثار الفنية كما خرجتْ من أيدي صانعيها ؛ بأفكارها وألفاظها ورسمها ؛ فالنقاد والدارسون بحاجةٍ إلى الاطلاع على الخطأ والصواب معاً في تلك الأعمال .

ز ـ وقد يتساءل المرء بعد هذا : ماالذي بقي بعد كل هذه القيود لإباحة التغيير ؟ الحقّ أن ماسبق ذكرُه كافٍ لإقناعنا بأن ترك الخطأ في المتن على حاله ؛ مع التنبيه إليه في الحاشية ؛ أيسرُ كلفةً من احتمال تبعات تغييره . لكنّ التغيير مع ذلك قد يبدو مُتعيّناً في بعض الأحيان ، وقد يبدو سهلاً ميسوراً أحياناً أخرى .

ح ـ يجب التغيير حين يقع الغلط في رسم الآيات القرآنية الكريمة . وإذا كان فريقٌ من علماء السلف قد ارتضوا ترك بعض الخطأ في كلماتٍ من القرآن فذلك لأسبابٍ لم تعد مُقنعة ، ولابدّ من وضع الشواهد القرآنية في نصابها الصحيح .

ط ـ وقد يُصبح التغيير سهلاً ميسوراً حين يجد المحقّق نظائر للنصّ المغلوط الذي يُعالجه قد وردتْ على الصواب في الكتاب نفسه أو خارجه ؛ فذلك أدعى إلى اطمئنان المحقّق وثقته بتصحيحه ؛ قال القاضي عياض[١٢] :

« وأحسنُ مايُعْتَمَدُ عليهْ في الإصلاح أن تَرِدَ تلك اللفظة المُغيَّرة صواباً في أحاديث أخرى ، فإنّ ذاكرها على الصواب في الحديث أمنَ أن يقول عن النبي ﷺ مالم يقل »

قلتُ : وقد وقع لي شيء من ذلك في تاريخ ابن عساكر ؛ إذ وجدته يُعيد الخبر الواحد أحياناً ـ بإسناده ومتنه ـ في أكثر من موضع ، فأفدتُ من المقارنة تصحيحاً لبعض الأسانيد وبعض المتون .

---

(١٢) الإلماع ١٨٧ ، وعنه ابن الصلاح في المقدمة (ط دمشق) ١٠٩ .

ي ـ ومما يمهّد السبيل إلى تصحيح النص ، بل قد يدفع إليه ، أن يكون المؤلف راوياً للمتون أو مُلخّصاً للأسفار ، فيقع الخطأ في بعض نقله ، والوهمُ في بعض تلخيصه ، على حين يكون الصواب ثابتاً في المصدر المنقول منه ، أو واضحاً في الكتاب الملخَّص . وقد رأيتُ شيئاً من ذلك في تاريخ ابن عساكر ، ثم في ملخّصه بخط ابن منظور ، إذ وهم مرةً ـ بسبب السرعة في القراءة كما يبدو ـ فاختلطت عليه تعليقات ابن عساكر بالنصوص المنقولة[١٣] . وهذه الأخطاء لا تخلو منها الكتب التاريخية بعامة ، وهي في الموسوعات الكبيرة أكثر ظهوراً بسبب ضخامة الكتاب والسرعة في تأليفه .

فمن الأمانة العلمية هنا أن تُرَدَّ العبارة إلى حاقّ رسمها وفقاً لما في الأصل ، على أن توضع بين حاصرتين ؛ تمييزاً لها من

---

(١٣) في المجلدة الأولى من تاريخ دمشق (ص ٢٠١/س٤ ومابعده) : عن أبي هريرة ـ في قول الله تبارك وتعالى ﴿ إلى ربوةٍ ذات قَرارٍ ومَعين ﴾ ـ قال : هي الرملة من فلسطين . ثم عقّبَ ابن عساكر على الحديث بقوله : وقيل إنها بيت المقدس ؛ وساق خبراً في ذلك عن قتادة . وقيل إنها الإسكندرية ؛ وساق خبراً عن زيد بن أسلم . وقيل إنها مصر ؛ وساق خبراً عن وهب بن منبّه . وقيل إنها الكوفة ؛ وساق خبراً عن محمد بن مسلم .

وفي الجزء الأول من مختصر ابن منظور (ل٢٣/ب ، السطر الثاني) : قال أبو هريرة : ﴿ ربوة ذات قَرارٍ ومَعين ﴾ هي الرملة من فلسطين ، وقيل إنها بيت المقدس . وقال قتادة : وقيل إنها الإسكندرية . وعن زيد بن أسلم ؛ وقيل إنها مصر . وعن وهب بن منبّه ؛ وقيل إنها الكوفة .

وكذلك يتبيّن كيف انقلبت الأخبار في مختصر ابن منظور ؛ إذ ظنّ « وقيل .. » في كل مرة أنها من كلام صاحب الحديث ، وفاتهُ أنها من كلام ابن عساكر يمهّد به للرواية التالية .

سائر كلام المصنِّف ؛ مع التنبيه إلى ما كان من خطئه في الحاشية .

وقد كان هذا اختيار علماء السلف كما يظهر في أحوالٍ قريبةٍ مما ذكرنا ؛ فقد نقل ابنُ الصلاح في المقدّمة[١٤] عن الخطيب البغدادي أنه « روى عن أبي عُمر بن مهدي ، عن القاضي المحاملي بإسناده ، عن عروة ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، تعني عن عائشة ، أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُدني إليّ رأسه فأُرَجِّلُهُ .

قال الخطيب : كان في أصل ابن مهدي « عن عَمْرة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُدني إليّ رأسه » فألحقنا فيه ذكر عائشة إذ لم يكن منه بدّ ، وعلمنا أن المحاملي كذلك رواه ، وإنّما سقط من كتاب شيخنا أبي عُمر . وقلنا فيه : « تعني عن عائشة » رضي الله عنها ، لأجل أن ابن مهدي لم يقل لنا ذلك . وهكذا رأيتُ غير واحدٍ من شيوخنا يفعل في مثل هذا » .

قلت : وكلمة « يعني » في عُرف المحدّثين قديماً بمنزلة وضع الزيادة بين حاصرتين في عُرفنا اليوم .

يا ـ ويلحق في الحكم بالإصلاح كلّ أنواع السهو الظاهر من المؤلّف ؛ كإسقاط حرف أو كلمة أو جملةٍ أحياناً ، والعكس من ذلك كتكرار حرف جرّ مثلاً ، أو إعادة كلمة أو جملةٍ ؛ فهذا كلّه مما يجب تقويمه بحذف المكررّ أو بزيادة الناقص ووضعه ما بين حاصرتين لتمييزه ، مع التنبيه في الحاشية إلى ما كان في الأصل .

---

(١٤) مقدمة ابن الصلاح (طـ دمشق) ١١٠ .

يب ـ إصلاح اللحن الفاحش : سبق أن أشرنا إلى ما يسمّى « لغة المحدّثين »[١٥] وما يعتورها من الخطأ أحياناً بسبب الالتزام بالرواية عن الأشياخ كما وردتْ ؛ وفيهم مَن كان يلحن حتى قال الإمام أبو عبد الرحمن النَّسائي[١٦] : « لا يُعاب اللحنُ على المحدّثين »

وقد كان بعض المتشدّدين من أهل الحديث يرى الالتزام بالرواية مع اللحن ؛ رُوِي عن أبي مَعْمَر أنه قال[١٧] : « إني لأسمع الحديث لحناً فألحنُ اتباعاً لما سمعتُ » . لكنّ الكثرة الكاثرة من المحدّثين ارتأتْ غير ذلك ؛ ذكر ابنُ عبد البَرّ عن علي بن الحسن أنه قال[١٨] : « قلتُ لابن المبارك : يكون في الحديث لحنٌ أُقَوِّمُه ؟ قال : نعم ، لأن القوم لم يكونوا يلحنون ، اللحن منّا » . ويبدو أن القول الفصل في هذه المسألة جاء على لسان الإمام النَّسائي إذ سُئل عن اللحن في الحديث فقال[١٩] : « إنْ كان شيئاً تقوله العرب ـ وإنْ كان في غير لغة قريش ـ فلا يُغيرَّ ؛ لأن النبي ﷺ كان يُكلّم الناس بلسانهم . وإنْ كان مالا يوجد في كلام العرب فرسول الله ﷺ لا يلحن » . أما الإمام أحمد فكان يُصلح اللحن الفاحش فحسب ؛ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل[٢٠] : « كان إذا مرَّ بأبي لحنٌ فاحشٌ غيرّه ، وإذا كان لحناً سهلاً تركه ، وقال : كذا قال الشيخ »

---

(١٥) انظر مامضى : ص ٢٨٤ .

(١٦) كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (طـ الهند) : ص٣٥ ، وعنه الخطيب البغدادي في الكفاية ٢٨٦ .

(١٧) جامع بيان العلم (طـ السلفية) : ج١/ص٩٨ .

(١٨) المصدر السابق : ج١/٩٧ .

(١٩) الإلماع للقاضي عياض : ١٨٣ .

(٢٠) الكفاية للخطيب البغدادي : ٢٨٧ .

قلت : وكثيراً ما نلحظ في الكتب الحديثية والتاريخية ظاهرة الخطأ في المرفوعات والمنصوبات تتردد باستمرار ، وكذا الخطأ في رواية الشعر بما يُفسد وزنه ، كما ورد في تاريخ ابن عساكر نقلاً عن سنن البيهقي[٢١] ، في رواية رجز عبد الله بن رواحة بهذا الشكل :

نحن قاتلناكم على تأويلهِ
كما قاتلناكم على تنزيلهِ

والصواب : « قتلناكم » في المرتين . فمن المستحسن ـ بناء على ما سبق ـ تنقية الكتب المحقّقة من شوائب اللحن ، وبخاصة هذه الأخطاء ، ولا مانع من الإشارة إلى ذلك في الحواشي .

يج ـ وقد يكتفي بعض المؤلفين ـ في الكتب التاريخية والملخّصات ـ برسم كلمة أو عبارة مبهمة ؛ كما وردتْ في المصدر المنقول منه أو في الكتاب الملخَّص ؛ يرسمونها رسماً غير مُبين . وقد صادفتُ شيئاً من ذلك في تاريخ ابن عساكر وسِيَر الذهبي ؛ بالمقارنة بينهما وبين مصادرهما . كما رأيتُ ذلك أيضاً في مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر ؛ إذ كان لايكتفي أحياناً بترك النقط ، بل ربما رسم الكلمة المبهمة رسماً ناقصاً ، وقد يترك مكانها بياضاً .

ففي هذه الحالة نشعر وكأن المؤلف ـ بدافع العجلة لإنجاز كتابٍ ضخم ـ ألقى عن كاهله عبء تحقيق النصّ وإصلاحه ، فترك ذلك لمن بعده . وهذا ما يوجب على المحقّق أن يستدرك ما أَخَلَّ

(٢١) انظر تاريخ ابن عساكر (ط. المجمع بدمشق) : جزء « عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد » ص٣٢٨/س١٧ ، وسنن البيهقي ١٠/٢٢٨ .

به المؤلف ؛ وذلك بملاحقة النصّ في المصدر الأصليّ ، أو بمتابعة البحث في المصادر الأخرى ؛ للوصول إلى الوجه الصحيح ، وإثباته في محلّه بحيث تنتظم العبارة وتعود إلى حاقّ رسمها .

يد ـ وليس أجمل من أن نختم هذا الباب بكلمة الحافظ ابن عساكر ؛ في مقدمته لتاريخه الكبير ؛ قال[٢٢] :

« فمَنْ وقفَ فيه على تقصيرٍ أو خلل ، أو عثر فيه على تغييرٍ أو زَلَل ، فليعذر أخاه في ذلك مُتطوّلاً ، وليُصلحْ منه ما يحتاج إلى إصلاحٍ مُتفضّلاً ، فالتقصير من الأوصاف البشرية ، وليست الإحاطة بالعلم إلا لبارئ البريّة »

هذه الوصية الطيّبة من أبي القاسم بن عساكر ، وما اشتملتْ عليه من الإذن بالإصلاح أو الدعوة إليه ، يصح اعتبارها مثالاً يُحتذى في الباب كلّه ؛ إذ جعلت الأمانة في نشر العلم حظاً مشتركاً بين المصنّف والمحقّق . فمن شاء أن يحمل الأمانة فليحتملْ مشقاتها أولاً ، ثم ليحتملْ تبعاتها آخراً ، نسألُ الله أن يجعلنا من الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

٦ ـ شرح النصّ المحقّق :

لابدّ أولاً من استبعاد الرأي القائل : « إن الغاية من تحقيق الكتاب هي تقديم نصّ صحيح ، ولذلك يجب أن يُعنى باختلاف رواياتِ النُسخ ، وأن يُثبت ماصحّ منها ، وأن يوجز في التعليق كيلا يُثقل النص بتعليقاتٍ طوال »[٢٣]

(٢٢) تاريخ مدينة دمشق ـ المجلدة الأولى : ص٥ .

(٢٣) تاريخ مدينة دمشق ـ المجلدة الأولى : المقدّمة (ص٤٨) .

فالنص الصحيح قد لا يبدو صحيحاً من غير توضيح ، والخشية من إثقال النص بِلا معنى لها حين تكون ذريعةً للتهرّب من مواجهة المشكلات ، والاحتجاج بأن الكتاب واسع لا يحتاج إلى زيادة سعة[٢٤] مردود أيضاً بعمل شيخَيْ المحققين العرب في عصرنا الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله وأخيه الأستاذ محمود محمد شاكر مدّ الله في عمره ، في تفسير الطبري ومسند أحمد ، وهما ما هما . ولا مراء في أن إخراج النص مجرّداً من التعليقات والشروح لم يعد أمراً مقبولاً بعد ما ظهر خطؤه ، وأقرّتْ نُخبة المحققين اليوم أن « توضيح النص وضبطه » من المقاصد الأساسية للتحقيق[٢٥] .

ولا أودّ أن أكرّر هنا ما ذكره المعنيّون بشؤون التحقيق تحت عنوان « التعليق على النص » فلذلك مكانُه من البحث[٢٦] . إنما الغرضُ الحديث عن « شرح النصّ » في قواعد التحقيق وجهود المحقّقين .

قد يبدو العمل في شرح النص لأول وهلة تجاوزاً لواجبات المحقّق أو ضرباً من المشاركة للمؤلف في عمله ، لكنّه عند إمعان النظر امتداد للتحقيق وتتمة له ؛ وهذا البيان :

أ ـ قال عبد السلام هارون في أثناء الحديث عن التعليق على النصّ :[٢٧]

« ويقتضي التعليق أيضاً التعريف بالأعلام الغامضة أو المشتبهة ،

(٢٤) من مقدّمة المجلدة الأولى (ص٤٩) .

(٢٥) انظر مقدمة الدكتور شكري فيصل لخريدة القصر (قسم شعراء الشام ـ الجزء الثالث) : ص٢٠ ـ ٢٦ ، ثم انظر تقرير لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه (إصدار وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ٢٠ ـ ١٩٨٠/٥/٢٩ م) : ص٦ .

(٢٦) انظر فقرة « الحواشي والتعليقات » ص ٣٢٦ .

(٢٧) تحقيق النصوص ونشرها (الطبعة الأولى) : ص٦٤ .

وكذلك بالبلدان التي تحتاج إلى تحقيقٍ لفظي أو بلداني . ويقتضي أيضاً توضيح الإشارات التاريخية والأدبية والدينية وغيرها »

قلت : وهذه ألوان من الشروح ؛ لاريب في ذلك .

ب ـ أما أستاذنا الدكتور شكري فيصل فقد كان ظاهر الميل إلى هذا الأمر حين قال[٢٨] :

« فمن الخير إذن أن يتولّى محققو النصوص بالذات عمليات الشروح الأولى لها ، لكي تصبح جاهزةً للبحث الأدبي الصرف ؛ أو للبحث التاريخي الصرف ، أولهما معاً » . فأوضح بصريحِ العبارة أن هذه الشروح من مكمّلات العمل في نشر النصوص .

ج ـ ثم جاءت لجنة وضع مشروع أُسس تحقيق التراث ، فأقرّتْ ـ في باب التعليق على النصّ ـ أن على المحقق[٢٩] : « تعليل القراءة عند الترجيح ، وأن يُعرّف من الأعلام والمواضع وما في حكمها ما يحتاج إلى تعريف ، وأن يُعلّق على الحديث بما يُفيد إظهار درجته وتحديد مرتبته »

د ـ أما برغستراسر فقد تحدّث عن حواشي الشعر بخاصة ؛ فقال[٣٠] :

« واختلف العلماء في لزوم نشر حواشي الشعر . فمنهم مَن ذهب إلى أنه لا فائدة من ذلك ؛ لأن أكثرها معروف . ومنهم مَن ذهب إلى غير ذلك ، حتى إن بعضهم لم يكتفِ بما وجده من الحواشي ، بل

(٢٨) مقدمة الخريدة (قسم شعراء الشام ـ الجزء الثالث) : ص٢٥ « بتصرف يسير » .
(٢٩) قرارات اللجنة : ص١٢ ـ ١٣ « باختصار » .
(٣٠) محاضرات برغستراسر : ص١١١ ـ ١١٢ « باختصار » .

استعان بكتب النحو واللغة والأدب ، فجمع كلّ ما وجده فيها من شرح الأبيات أو عباراتها . وهذه الطريقة محمودة .. إلا أن حجم الكتاب يصير كبيراً ، والأحسن اختيار ماله قيمة من الهوامش »

قلت : أوَ ليس كلّ ما سلف ذكره : من تعليل القراءة ، وتعريف المبهم ، وتوضيح الإشارة ، وتخريج الحديث ، وإثبات شرح الشعر ، شرحاً للنصوص ؟ هذا من الجانب النظري ، أما من الجانب العملي فإننا ننظر في أعمال أئمّة المحقّقين اليوم فنجد أن الشرح في أعمالهم قرين التحقيق ، حتى لقد اقتصر أحمد محمد شاكر رحمه الله على تسمية عمله في مسند أحمد بن حنبل شرحاً .

وكذلك نرى أن شرح النصوص من تمام عمل المحقّق ، وهو بحكم مُعاناته للنص وإلفه لمادّة الكتاب أجدر الناس بشرح ما استغلق من عبارته وإيضاح ما غمض من معانيه ، لكنه مع ذلك ليس أمراً مطلقاً ، وإنما هو رهن شروط تحدّد خصائصه :

إنه منوط قبل كل شيء بتمكّن المحقّق في علمه وأصالته في عمله ، فليس كلُّ الشُّراح بمستوى واحد من الكفاية والخبرة ، ولا يُكلّف الله نفساً إلا وُسعها ، فقد يُجزئ من بعضهم أحياناً ذكر الرواية كما وردتْ من غير تعليق ، وقد لانقنع من بعض المحقّقين الكبار إلا بحلّ أعقد المشكلات .

ثم إن الشرح شرحان : مُوْجَز ومُسْهَب ، وخير الشرح ما كان تكملةً لعمل المحقّق في أداء النصّ وإيضاحه . أما الشرح الآخر الذي يبدأ فيه الشارح من حيث انتهى المصنّف ؛ ليتوسّع في بسط المعاني وتقليب وجوه الكلام فمحلّه كتب خاصة بالشروح .

ولا بدّ أيضاً من تحقيق التوازن في التعليق على النصّ ، فلا يطغى التوضيح على التصحيح ، ولا يستحيل كتاب التاريخ مثلاً مُسْنَداً في الحديث ، فإن لكل كتابٍ بناءً خاصاً وكياناً مستقلاً ، وخير التحقيق ما التقى فيه عمل المصنّف والمحقّق في جهدٍ متكامل وتواصل وثيق لرفع قواعد البناء العلمي القويم .

والآن ، بعد كل ما مضى من الحديث عن آفاق التحقيق الرحيبة ، قد نعود إلى السؤال المطروح آنفاً[٣١] : هل للتحقيق غايةٌ تقف مَدَّهُ عند حدٍّ محدود ؟ فيتراءى لنا الجواب حاضراً : هل للإتقان غايةٌ أو حدود ؟!

٧ ـ التحقيق والرواية :

إن ما يُسمّى اليوم تحقيقاً ليس إلا استمراراً للرواية القديمة في إهابٍ جديد ، وقد يبدو هذا الأمر من الوضوح بدرجةٍ لايحتاج معها إلى دليلٍ أو برهان .

صحيح أن التلقي فيه مبنيّ على « الوجادة » ـ وهي أن يجد المرء حديثاً أو كتاباً بخط شخصٍ بإسناده ـ والوجادة ليست من باب الرواية ، وإنما هي حكاية عمّا وجده في الكتاب . لكنّ العمل بها مع ذلك معروف منذ أمدٍ بعيد ؛ قال ابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ـ أي منذ سبعمائة وستين سنة ـ[٣٢] :

---

(٣١) انظر ما مضى (ص ٢٨١) .

(٣٢) مقدمة ابن الصلاح (ط دمشق) : ص ٨٧ ، وعنه الباعث الحثيث (الطبعة الثانية) : ص١٢٨ .

« وقطع بعض المحقّقين من أصحابه - يعني الشافعي - بوجوب العمل بها - يعني الوجادة - عند حصول الثقة به . وهذا هو الذي لا يتّجه غيره في الأعصار المتأخرة ، لتعذّر شروط الرواية في هذا الزمان » .

قال ابن كثير مُعقّباً : « يعني فلم يبق إلا مجرَّد وِجادات »

قلت : ولعل شيوع السماع بالإفادة عند المحدّثين[٣٣] ، وهو أن يسمع المفيد الأصول ، ويكتبها بخط يده ويضبطها ويقابلها ، ثم يبذلها للمستفيد الذي كان سماعه - بسبب صغر السنّ في معظم الأحيان - خِلْواً من كتاب ، وبذلك يكبر المستفيد وقد حاز الأسانيد العالية وتفرّد برواية الدواوين الحديثية الضخمة . لعل في شيوع هذا اللون من السماع منذ القرن الرابع للهجرة ما يكشف عن القيمة الكبرى للكتب المصحَّحة المُوَثَّقة التي أصبحت عمدة السماع والرواية ، حتى آلَ الأمرُ إلى مجرّد وِجادات ؛ على حدّ تعبير الحافظ ابن كثير .

حتى الإجازة - وهي من أنواع الرواية - ليست عند التحقيق أكثر من وِجادةٍ بإذن . قال أحمد محمد شاكر رحمه الله[٣٤] : « والوِجادة الجيّدة التي يطمئنّ إليها قلب الناظر ، لا تقلّ في الثقة عن الإجازة بأنواعها ، لأن الإجازة - على حقيقتها - إنما هي وِجادة معها إذنٌ من الشيخ بالرواية ، ولن تجد في هذه الأزمان مَن يروي شيئاً من الكتب بالسماع ، إنما هي إجازاتٌ كلّها ، إلا فيما ندر .

(٣٣) سبق لي بحث عن السماع بالإفادة عند المحدّثين ؛ نشرتُه في مجلة المجمع بدمشق (المجلد ٥٠/ج٣/ص ٦٢٨ وما بعدها) .

(٣٤) الباعث الحثيث (الطبعة الثانية) : ص١٣١ .

قال : والكتب الأصول الأمهات - في السُّنّة وغيرها - تواترتْ روايتُها إلى مؤلفيها بالوجادة ، ومختلف الأصول العتيقة الخطّية الموثوق بها ، ولا يتشكّك في هذا إلا غافلٌ عن دقّة المعنى في الرواية والوِجادة ، أو مُتعنّتٌ لاتُقنعه حجّة »

فإذا كان الأمر كذلك ، فما الشروط التي تصحّ بها الرواية بالوِجادة ؟ لقد اشترطوا لذلك شرطين أساسيّن ؛ هما : الثقة بصحة النسبة أولاً ، ثم الثقة بصحة النسخة ثانياً . فلا تصح الوِجادة إلا بأن يثق القارئ « بأن الكتاب الذي ينقل منه ثابت النسبة إلى مؤلّفه »[٣٥] ، ولاتصح كذلك إلا بصحة النسخة المنقول عنها . قال ابن الصلاح في المقدمة[٣٦] : « وإذا أراد أن ينقل من كتابٍ منسوبٍ إلى مصنّف فلا يقلْ : قال فلان كذا وكذا ، إلا إذا وثق بصحة النسخة ، بأن قابلها هو أو ثقةٌ غيره بأصول متعدّدة »

قلت : وهذا ما يُسمّى في قواعد التحقيق اليوم : « توثيق النصّ نسبةً ومادّة[٣٧] »

وبعد ؛ فإن أحلى تعبيرٍ عن الرجوع بالرواية اليوم إلى نهج السلف الصالح ، مع البعد عن الدعوى العريضة في كلمة التحقيق ، هو ما أثبتهُ العلاّمة الأستاذ محمود محمد شاكر حفظه الله تحت عنوان « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلاّم الجُمحي ؛ إذ كتب : « قرأه وشرحه » . فالقراءة

---

(٣٥) المصدر السابق : ص١٣٠ .

(٣٦) مقدمة ابن الصلاح (ط دمشق) : ص٨٧ .

(٣٧) مقررات لجنة وضع مشروع أُسس تحقيق التراث العربي ومناهجه (بغداد ١٩٨٠ م) : ص٦ .

خير تعبيرٍ عن الصدق في تحمّل العلم ؛ إذ قرأه لنفسه أولاً . ثم هي خير تعبيرٍ عن الصدق في نشره ؛ إذ قرأه للناس آخراً . ثم قام بشرحه ؛ وهو من تمام العمل في النشر كما قدّمنا . ولعلها أن تكون سُنّةً حسنة ؛ له أجرُها وأجرُ مَن عمل بها ؛ إنْ شاء الله .

٨ ـ صفات المحقق :

ليس التحقيق أمراً هيّناً فيغدو نُهزة المُختلس ، إنه عند المكابدة أَشَقُّ على النفس من تصنيف كتاب جديد ، وهو ما فرض على المشتغل في هذا المجال شروطاً لابدّ من توفّرها فيه ليستقيم له عمله . هذه الصفات بعضها علمي والآخر خُلقي ، لكنّ التوكيد على الجانب الخُلُقي لازمٌ قبل كل شيء ؛ لأن العمل العلمي في جوهره عمل أخلاقي .

أبرزُ هذه الصفات : الأمانة والصبر . إن الأمانة في أداء النصّ صحيحاً بلا تزيّد أو نقصان تقتضي المحقق سخاءً بالجهد والوقت ، وصبراً على العمل بلا حساب .

أما المؤهلات العلمية فهي التمكّن من العلم الذي يخوض غماره ، والخبرة بالعمل الذي يمارسه ، وحُسن الفهم لما يقرؤه .

ولقد أجملَ أبو حاتم بن حِبّان هذه المعاني بألطف عبارة ـ حين ذكر شروط الاحتجاج برواية الراوي ؛ في مقدمة المسند الصحيح ـ فكان منها[٣٨] : « الصدق في الحديث ، والعقل بما يُحدّث ، والعلم بما يُحيل من معاني مايروي »

---

(٣٨) صحيح ابن حِبّان : ١١٢/١ .

٩ ـ المحقّق والمصنِّف :

إن استحكام الصلة ما بين صاحب الأثر والراوية عنه شرطٌ أساسي للثقة بصحة الرواية ، ولهذا كان التلقي المباشر عن أصحاب الآثار عمدةً في الرواية عنهم . أما اليوم وقد انقطعتْ أسباب الرواية المعروفة وأصبح ما يُنشر من كتب التراث مجرّد وجادات ، فقد غدَتْ معايشة المصنّف في الأثر الذي خلّفه هي البديل الحقيقي للتلقي المباشر عنه . على أن هذه المعايشة تتطلب أشياء وأشياء :

إنها تتطلّب من المحقق أولاً فكراً منسجماً مع فكر المصنّف ، ومعرفةً قريبةً من معرفته ، أو على الأقلّ إدراكاً واعياً لأفكار المصنّف وآرائه .

ثم إنها تقتضي المحقق أن ينطلق من بداية العمل ليعايش المصنّف نفسه ، لا أن يتخاذل ليعايش النُسخ ، وربما كان بعضها ضعيف الصلة بالمصنّف ،.وربما كان بعضها عائقاً دونه .

ثم إنها تستوجب التتبّع الدقيق لمنهج المصنّف في عمله : في نقله واختصاره ، في اختياره وردّه ، في تفرّده ومتابعته .

بذلك كلهّ يغدو المحقّق وثيق الصلة بالمصنّف ، مُحسناً للفهم عنه ، قادراً على مواصلته ، صادقاً في أداء عبارته ، مُبِيْناً في شرح إشارته ، وكأنما ينطق بلسانه ، ويترجم عن فكره بين الناس .

١٠ ـ المحقّق ومصادر الكتاب :

معرفة مصادر الكتاب ليست لازمةً للمقابلة فحسب ، ولا هي ضرورية للتثبت من النص فقط . إنها معرفةٌ بحقيقة الكتاب كلّه : بعناصر بنائه ، بمنهج المؤلف فيه .

بل إن الخبرة بالمصادر يجب أن تتجاوز الكتاب المحقَّق إلى ينابيع العلم الذي يتصل به الكتاب ، فعلى المحقِّق أن يكون على بيّنةٍ من مصادر العلم الذي يعمل فيه بصورةٍ عامة ، قبل أن يتفحّص مصادر الكتاب بخاصة ؛ وهذا مثال : إن بحثاً في « رواة المغازي والسِيَر عن محمد بن إسحاق »[٣٩] قد أفدتُ منه كثيراً في التعرّف إلى موارد ابن عساكر في المغازي بخاصة ، كما يمكن أن يُفيد في الوقت نفسه في الكشف عن موارد سائر المصنّفين في هذا المجال . وكذلك نرى أن الخبرة بمنابع الأخبار ومساربها تمهّد السبيل أمام المحقّق ليعرف ماذا أفاد منها المصنّف ؟ وكيف أفاد ؟

وبهذه المناسبة قد يحسن التنبيه إلى جملة أمور :

أولاً : يُلاحَظ على الكثرة الكاثرة من كتب مؤرخينا غلبة الجمع مع قلّة التحقيق . صحيحٌ أن القاعدة المشهورة عند المحدّثين ـ ومعظم المحدّثين مؤرّخون ـ تقول : « قَمِّشْ ثم فَتِّشْ » ، لكنّ نفراً غير قليلٍ من المؤرّخين قد وقفوا عند حدود التقميش ، وألقَوْا على غيرهم أعباء التفتيش . وقد يلفتُ النظرَ إلى ذلك إشارات « التضبيب أو التمريض » التي يلحظها القارئ في أثناء تلك الكتب بين السطور ، وقد تأتي أحياناً من غير تصحيح . ثم هناك أمثلة أخرى أكتفي منها بهذا المثال :

جمع أبو زكريا يحيى بن مَنْدَه (ت ٥١١) جزءاً في ترجمة الإمام أبي القاسم الطبراني[٤٠] ، فأورد في أثنائه ثَبَتاً بأسماء مصنّفات

---

(٣٩) بحث كنتُ نشرتُه في مجلة المجمع بدمشق (المجلد ٥٦/ج٣/ص٥٢٣ ـ ٦٠٩) .

(٤٠) فرغتُ من تحقيقه بحمد الله ؛ وأرجو الله أن يُيسّر نشره عمّا قريب .

الطبراني ، ويبدو من مراجعة هذا الثَبَت أن جامعه اقتصر فيه على سرد الأسماء من غير توضيح أو تصحيح ، حتى إن بعضها مُكرَّر وبعضها مُحرَّف . جاء الذهبي فنقل بعضاً من ذاك الثَبَت في ترجمته للطبراني في سير أعلام النبلاء ، ولم يُكلِّف نفسه هو الآخر إضافة أي توضيحٍ أو تصحيح .

فهذا ما يفرض على المحقّقين اليوم متابعة البحث والتدقيق في النصوص المنقولة ، وقد يُعينهم على ذلك اتساع دائرة المنشور من التراث ، وتوفّر الوسائل المُعينة على الانتفاع بالمخطوطات ، وكم ترك الأول للآخر !

ثانياً : على المحقِّق ـ في أثناء المعارضة بالمصدر المنقول منه ـ انتقاء أوثق النُسخ من ذاك المصدر ، فليست كل نسخةٍ من كتابٍ تصلح للمقابلة ؛ وبخاصة الطبعات السقيمة من تلك الكتب .

ثالثاً : ثم إن على المحقِّق أيضاً الانتباه إلى التفاوت الذي قد يقع بين النُسخ تبعاً لاختلاف الطُرق إلى المؤلف ، فقد تختلف النسخة التي بين يدي المحقّق عن النسخة التي نَقَلَ عنها المصنّف باختلاف الإسناد إلى مؤلف ذاك المصدر ، وهذا ما يجب أن يكون في الحسبان .

١١ ـ درس النُسخ :

درس النُسخ باب واسع ، لستُ الآن بصدد بحثه بصورة شاملة فتلك قصةٌ تطول ، إنما أودّ أن أقصر الكلام فيه على جانب هامّ منه فيما أعتقد ، وهو الدلائل الباطنة في تناسب النسخ ، فأعرض باختصار ما أفادتنيه

التجربة في هذا المجال ، ذلك لأن تاريخ ابن عساكر بمجلداته الكثيرة ونُسخه المتعدّدة ، بل القطع المتناثرة من نُسخه في أرجاء العالم ، تجعل منه أكبر معرض لهذا المشكل فيما علمت :

ولقد سبق برغستراسر إلى الحديث عن الدلائل الباطنة في تناسب النُسخ[٤١] ، فذكر بعض الأمثلة عن الإخلال والسَّقْط ، والتقديم والتأخير ، والأخطاء والتلفيق ، لكنّ الأمر قد يبدو أكثر تعقيداً ممّا ذكر برغستراسر ؛ وهذا البيان :

أولاً : من المفروض حين توجد النسخة الأمّ من الكتاب - أو من أحد أجزائه إذا كان كبيراً - أن تنقل سائر النُسخ عنها ؛ إما مباشرةً أو بالتسلسل فيما بينها . لكنني رأيتُ في بعض الأجزاء من تاريخ ابن عساكر أمراً مختلفاً ؛ إذ انعزلت النسخة الأمّ التي كتبها القاسم بن عساكر على حِدَةٍ ، على حين تبعتْ سائر النُسخ نسخة الحافظ البَرْزالي ، وهي فرع من الأصل . ولقد بدا هذا الأمر واضحاً في حواشي الجزء المطبوع وفيه تراجم « عاصم - عائذ » ، إذ سحبتْ « ب » - وهي رمز نسخة البرزالي - سائر الرموز خلفها ، وتردّدت بكثرة عبارة : « كذا في صل - يعني النسخة الأمّ - وفي باقي الأصول .. » . وقد ازدادت هذه الظاهرة رسوخاً بتأييد أجزاء أخرى من التاريخ لها .

ولعل المقارنة بين نسختَيْ القاسم والبَرْزالي تبيّن أسباب هذا الإعراض : نسخة القاسم ظاهرة الصعوبة ، فهي خالية من النقط إلا لِماماً ، وخط القاسم فيها رديء ، وهوامش الصفحات تعجّ

(٤١) محاضرات برغستراسر : ٢٢ - ٢٦ .

بالملحقات المرصوصة رصّاً . على حين تجد نسخة البرزالي واضحة الإعجام والشكل ، حسنة الخطّ ، وقد نزلتْ فيها الملحقات في أماكنها المناسبة . هذا بالإضافة إلى أن البرزالي قد عارض نسخته بالأصل ، وقرأها في مجالس السماع في المسجد الجامع بدمشق على بعض أصحاب المصنّف نفسه ، مما جعل ضبطه للنصّ محكماً موثوقاً . وكذلك أصبحت النسختان أشبه شيء بالمسودّة والمبيضّة ، وغدتْ نسخة البَرْزالي أمّاً من دون أمّها ، فتبعتها النُسخ التالية .

ثانياً : ومن الدلائل اللطيفة في الكشف عن الأصل والفرع في بعض النُسخ ، ما قد يظهر فيها من وهم ناسخ الفرع في قراءة خط ناسخ الأصل ، بسبب خصائص مُعيّنة في خط ناسخ الأصل . والمثال على ذلك ما ظهر من توافق أربع نُسخ من تاريخ ابن عساكر ـ في بعض الأجزاء ـ في أخطاء منشؤها سوء فهم خط البرزالي المَغربي ، فهو يرسم الكاف قريبة جداً من الطاء ؛ بهذا الشكل « لحـ » فكان أن أجمعتْ تلك النسخ ـ في بعض المواضع ـ على رسم الطاء في موضع الكاف ، والمثال على ذلك ما ورد في الجزء المذكور آنفاً ؛ ففيه هذه العبارة : « إن أخاك يحكّها من المصحف » ـ يعني المعوّذتين ـ تحرّفتْ في تلك النُسخ إلى هذه الكلمات المبهمة : « إن أحاط يحطها من المصحف[٤٢] »

على أن الطريف في الأمر أن يتكرر الغلط عينه بعد قليل فلا يُنتبه إليه ولا يُستدرك ؛ إذ ورد في الصفحة التالية قوله : « حَطّ في نفسي أو صدري مسحّ على الخُفَّين بعد الغائط والبول[٤٣] »

(٤٢) تاريخ مدينة دمشق : جزء « عاصم ـ عائذ » ص ٤/س١١ و ٢١ .

(٤٣) المصدر السابق : ص ٥/س٢٢

والصواب : حَكَّ ، أي تخالجَ ، ومنه الحديث : « البِرُّ حُسْنَ الخُلُق ، والإثمُ ماحَكَّ في نفسك وكرهتَ أن يطّلع عليه الناس[٤٤] »

هذا إلى جملة أخطاء من هذا النوع : كتبديل الفاء بالباء ، والقاف بالفاء ؛ لأن البرزالي يضع النقطة تحت الفاء ، ويضع نقطةً واحدة فوق القاف ، على طريقة الرسم المغربي ؛ فتنقلب الفاء عنده لتصبح باءً في النُسخ التابعة ، وهكذا .

ثالثاً : وقد يبدو دقيقاً أحياناً تعليل التوافق والتعارض في النُسخ بآنٍ واحد ؛ من ذلك ماظهر في جزءٍ قريب من المذكور أولاً ، إذ وقع سَقْطٌ ـ بمقدار ورقة ـ في موضعين منه ، فاختلفتْ بداية السقط ونهايته في تلك النُسخ عمّا في نسخة البرزالي[٤٥] ، ممّا يُثبت أن أصل تلك النُسخ التابعة مُباين لنسخة البرزالي . فإذا ماأضفنا إلى ذلك ماثبتَ لنا آنفاً من تبعية تلك النُسخ لخط البرزالي في الوقت نفسه ، كان الاستنتاج المفروض هو أن تلك النُسخ قد نقلتْ من فرعٍ على نسخة البرزالي ، فهذا هو التفسير المناسب لتوافق النُسخ فيما بينها من جهة ، وتعارضها مع الأصل من جهة ثانية .

رابعاً : ولا ريب في أن من دلائل تفرّع نسخة حديثة من أخرى قديمة ثبوت التوافق بين النسختين في الخرم والسقط والبياض . لكنْ قد يكون البياض مختلفاً بعض الاختلاف ، وهو مع ذلك دليلٌ على التفرع برغم الاختلاف ؛ ذلك حين يكون البياض في النسخة الأصل ناشئاً من تَحاتٍّ الورق أو من الأَرَضة ، فهو يتّسع في ذلك

(٤٤) أساس البلاغة ، والنهاية في غريب الحديث ، واللسان (حكك) .

(٤٥) انظر (الحاشية الرابعة/ص٢٢ ، ثم الحاشية الأولى/ص١٠١) من الجزء المطبوع ؛ وفيه تراجم « عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد » .

الموضع بمرور الزمن ، على حين هو ثابت في النسخة الفرع على الشكل الذي كان عليه حين النقل . والمثال على ذلك نسخة البرزالي ونسخة « ييل » من تاريخ ابن عساكر .

فقد كشفت المقارنة بين أحد أجزاء نسخة البرزالي وأحد أجزاء نسخة « ييل » أن نسخة البرزالي هي الأصل المباشر لنسخة « ييل » في ذلك الجزء ، ثبتَ في الفرع صورة ما في الأصل بكل جزئياتها إلا في المواضع التي ذكرنا ؛ ذلك لأن ناسخ نسخة « ييل » كان يُلاحق البياض في نسخة البرزالي فينقل ما استطاع قراءته من حواشي البياض . وحين المقارنة بين مُصوَّرتَيْ النسختين تَبَيَّنَ بعضُ الفروق في تلك المواضع ، وأن بعض الكلمات التي ثبتتْ في نسخة « ييل » سقطتْ من نسخة البرزالي ، والسبب في ذلك هو أن آثار الأَرَضة قد اتّسعتْ في نسخة البرزالي خلال (٢٧١) سنةً ، وهي المدة الواقعة ما بين نَسْخ نسخة « ييل » في سنة (١٠٩٥ هـ) وتصوير نسخة البرزالي في سنة (١٣٦٦ هـ) ، فكان الفرق في البياض بين النسختين ـ في تلك المواضع ـ دليلاً على التبعية من جهة ، وعلى التلف الذي حاق بالأصل من جهة ثانية .

هذا غيضٌ من فيض من حديث النُسخ ومعاني اتفاقها وافتراقها ، نودُّ أن لاندعه قبل التنبيه إلى وجوب التأنّي في الدرس ، والتريُّث في إصدار الأحكام . أقول هذا وبين يديّ مثال قريب ؛ إنه :

« تاريخ الإسلام وليس سير أعلام النبلاء . شعيب »

بهذه اللهجة الجازمة حكم الأستاذ شعيب الأرنؤوط ـ المشرف على تحقيق كتاب السِيَر ـ على جزءٍ من الكتاب المذكور أنه ليس من

الكتاب ، فأثبتَ هذه العبارة على الغلاف الداخلي للمجلد الثامن عشر من سير أعلام النبْلاء ـ مصوّرة المجمع بدمشق ـ فأسقط بالتالي ذكر هذا المجلد من مقدمة التحقيق(٤٦) ، وهو بلا ريب قطعة من كتاب السير ، سأحاول وصفها في الموضع المناسب من البحث إن شاء الله .

وأعجبُ من ذا أن يستغرق وصف نسختين من نُسخ الكتاب ؛ وهما نسخة الهند ، ومصوّرة المجمع بدمشق بضعة أسطر فحسب(٤٧) ، بل لاتكاد ترى في وصف النُسخ أثراً لما كنّا بصدد الحديث عنه من تناسب النُسخ وصلة مابين الواحدة والأخرى ، وأخشى أن يكون التعجّل باعثاً للمزيد من مثل هذه الأحكام ، وحافزاً على التخفّف واطّراح مالا ينبغي اطّراحه من تكاليف العمل وأسبابه .

وقد يسأل سائل : ماجدوى الفرع مع وجود الأصل ؟ ومافائدة النُسخ الضعيفة إلى جانب النُسخ القيّمة ؟ الحقّ أنه لايجوز اطراح النُسخ مهما كانت الأسباب ، فقد يحتفظ الفرع بما بليَ من الأصل أو ضاع منه ، وقد تُقَدِّمُ النُسخ باجتماعها في موضع وافتراقها في آخر مفاتيح احتمالات أو حلاً لمشكلات ، أو على الأقلّ تُفسح المجال أمام المحقّق لاختيار القراءة المناسبة حيثما احتمل الرسم أكثر من قراءة .

وبعد ؛ مازال في النفس من حديث النُسخ بقيةٌ للقول : يجب أن يكون نظر المحقق إلى النُسخ حصيفاً ؛ يعرف نسب كل نسخة قدر استطاعته ، ويعرف خصائص كلٍّ منها ومزاياها وعيوبها ، وأن يتيقَّظ لما

---

(٤٦) سير أعلام النبلاء (ط مؤسسة الرسالة) ج١/ص١٥٤ من المقدمة .

(٤٧) أودّ التنبيه بهذه المناسبة إلى بحث مفصّل عن نُسخ تاريخ ابن عساكر قدتوفّرتْ أسبابه لديّ وأسأل الله العون على اكتماله ونشره .

في النُسخ ـ والأمّ منها بخاصة ـ من إشارات التضبيب والتصحيح والتقديم والتأخير والتجزئة والمقابلة ، فيكون شديد الحساسية بها والتأثّر لها .

ثم إن على المحقق أن يتعرّف نهج كل ناسخ ومقدار كفايته العلمية ، فيعرف مقدار ضبطه في الأداء وعيوبه في الوقت نفسه . فمثلاً البرزالي ـ صاحب النسخة المعروفة من تاريخ ابن عساكر ـ ناسخ من الطراز الأول ضابط مُتْقِن ، لكنه يُدركه التعب أحياناً فتتوالى غلطاته تباعاً ، حتى رأيتُ له مرةً ثلاث غلطات في صفحة واحدة . وناسخ نسخة الظاهرية الثانية من التاريخ المذكور ـ نسخة أسعد باشا العظم ـ على شيءٍ من ثقافة ، يُحسن القراءة أحياناً فيُصلح غلط الأصل الذي نقل منه .

ولعل أبرز ما يجب الاهتمام به بعد ذلك هو درس خطوط الناسخين(٤٨) ؛ وبخاصة ناسخ النسخة الأمّ . فإذا ما استطاع المحقق أن يعرف قواعد الإملاء في رسم كل ناسخ ، وأن يفهم مصطلح كلٍّ منهم وإشاراته ، أمكنه حينذاك أن يقرأ بدقّة ، وأن يكون على ثقةٍ من

---

(٤٨) ولقد سبق الأستاذ الدكتور شاكر الفحام إلى الحديث عن درس خطوط الناسخين في بحوثه القيّمة حول ديوان بشار بن بُرد ، ومن تمام الفائدة بهذه المناسبة أن نورد عبارته بنصّها ؛ قال :

« إنّ لكل ناسخٍ طريقةً في الكتابة والخط يحسنُ بالمحقق أن يُطيل تأمُّلها ؛ ليخرج من إلفه إلى إلفها ، يعتادها ويقرأ طبق رسمها ، بعد أن يتهدّى إلى النهج الذي التزمه الناسخ في تصوير الحروف ، ووضع النُقط والشكل ، وكتابة الهمزة والألف ، وما يتصل بذلك كلّه . فإذا فعل ذلك خطا بقدمٍ ثابتة الخطوة الأولى في طريق التحقيق . »

(انظر : وقفة مع ديوان بشار ، ثم جملة ملاحظ تتناول نص ديوان بشار ـ في مجلة المجمع بدمشق : المجلد ٥٤/ج١/ ص٧٢ ، ثم المجلد ٥٦/ج٣/ص٦٤٠)

قراءته . ولعل أفضل الوسائل لإدراك هذا المطلب هو صنع فهرس صغير لتحديد المظاهر المتميّزة في رسوم النسّاخ ؛ وبخاصةٍ ناسخ النسخة الأمّ . وقد اصطنعتُ لنفسي فهرساً من هذا النوع ، سجّلتُ فيه مصطلح البرزالي في الرسم وقواعد إملائه ، فتمكنتُ بإذن الله من قراءة خطه المغربي قراءةً صحيحة ، وتمييز إشاراته في الإهمال والإعجام والشكل ، بل إن درس خط البرزالي أضاء السبيل لفهم بعض أخطاء النُسخ المتفرّعة عن نسخته كما مرَّ آنفاً .

وكذلك نرى أن درس النُسخ يجعل المحقّق على بيِّنةٍ من أمره ، يعرف ما يأخذ من النُسخ وما يَدَع ، ولعله إذا أحسَنَ الأخْذَ أن يُحسن بعد ذلك الأداء .

١٢ ـ التحقيق والآثار :

المخطوطات آثارٌ من الآثار ، ومن هنا اتخذ العمل في التحقيق صبغةً أثريةً في بعض الأحيان .

من ذلك مثلاً ما يظهر في بعض المخطوطات من نزع غلافاتها ، للتخلّص من عبارات الوقف أو التملُّك المثبتة عليها ، بل ربّما زُيِّفتْ بعض العنوانات والتواريخ لتسهيل السرقة والانتحال . يُضاف إلى ذلك ما قد يبدو من تلفيق بعض النُسخ بخطوط غريبة ، أو فشوّ الأَرَضة والتحاتّ في الورق ونصول الحبر ، مما يترك آثاراً سيّئة على المخطوطات .

هذه المظاهر وما شاكلها قد تطرح على المحقّق ظنوناً ومشكلات ، مَثَلُ الباحث فيها كمثل صاحب الآثار ، لابدّ له من التنقيب هنا وهناك ، حتى تجتمع لديه الإرهاصات التي تنتهي به إلى الكشوف .

وبهذه المناسبة أودّ أن أعرض ظاهرةً تلفتُ النظَر مرّتْ بي في تاريخ ابن عساكر ؛ إذ تبيَّنَ في أثناء ترجمة « عبد الله بن جعفر ذي الجناحين » أن ورقةً قد نُزعتْ من نسخة البرزالي ، ونُزع معها الورقة المقابلة من فرع نسخة البرزالي ، الذي كان مصدراً للنُسخ المتأخرة فيما بعد[٤٩] ، بل لحظتُ شيئاً أبعد مدىً من ذلك ؛ إذ سُوِّد أيضاً على السطر المقابل لتلك الورقة من مختصر التاريخ لابن منظور ، مما يكشف عن محاولةٍ منظمة لحذف أخبارٍ بأعيانها من هذا التاريخ ، كما يكشف في الوقت نفسه عن اجتماع النُسخ المذكورة في مكان واحد بحيث استطاعت تلك الجهة تنفيذ رغبتها في تلك النُسخ كلّها .

وإذن لابدّ من السؤال : هل كانت هذه الحادثة فذّةً أو نادرةً في هذا الكتاب ، أو أنها وراء اختفاء أشياء وأشياء من التاريخ الكبير ؟ ثم هل هذا هو السرّ الوحيد في الكتاب ، أو أن ثمّة أسراراً مُحيّرة انطوت عليها بطون المجلدات الثانين ، وقد صارت أضعافاً مضاعفة مع تكاثر نُسخ التاريخ ؟!

١٣ ـ مشكلات القراءة :

مشكلات القراءة كثيرة ومتنوعة ،وهي لكثرتها وتنوعها تخرج عن حدّ القاعدة العامّة ، فلا بدّ من دراسةٍ خاصة لكل حالة خاصة ، تنتهي بالمحقق إلى تصوّر مُعيَّن للمشكلة ، عليه يبني منهجه في حلّ الإشكال . ثم إن المحقّق إزاء المشكلة الواحدة أمام عدة احتمالات ، لابدّ له من أخذها

---

(٤٩) انظرجزء « عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد » ص٢٢/ الحاشية برقم ٤ ، ثم انظر ما مضى (ص٣٠٣) .

بعين الاعتبار في أثناء المعالجة . وقد يذكّرنا هذا الموقف من المشكلات بما كان أشار إليه « لانسون » في منهج البحث في الأدب وتاريخه إذ قال[٥٠] :

« ليست هناك مناهج تصلح لكل شيء ، وإنما هناك مبادئ عامّة . وفيما عدا ذلك فكلّ مشكلة خاصة لاتُحلُّ إلا بمنهجٍ خاصّ يوضع لها ، تبعاً لطبيعة وقائعها ، والصعوبات التي تثيرها »

ولعل أول ما يشغل بال المحقق حين النظر في مشكلةٍ من المشكلات ، هو أن يعرف مصدر الخلل الذي يعالجه ، هل هو تحريف الناسخ ؟ أو سهو المصنّف ؟ أو غلط المورد الذي استقى منه المؤلف ؟ فهو يتتبّع الخطأ من حيث وجده ، وما يزال يرتفع به البحث ، حتى يقف على مصدر الخطأ ، ويكشف الصواب في الوقت نفسه .

ولقد كان المحدّثون سبّاقين إلى هذا اللون من البحث الناقد ، أطلقوا عليه اسم « الاعتبار » في المصطلح ؛ قال أبو حاتم بن حِبّان في مقدمة المسند الصحيح[٥١] :

« وإني أُمثّل للاعتبار مثالاً يُستدرَك به ما وراءه : كأنّا جئنا إلى حمّاد بن سَلَمة ، فرأيناه روى خبراً عن أيوب عن ابن سِيْرين عن أبي هُريرة عن النبي ﷺ ، لم نجد ذلك الخبر عند غيره من أصحاب أيوب . فالذي يلزمنا فيه التوقّف عن جَرْحه ، والاعتبار بما روى غيره من أقرانه . فيجب أن نبدأ فننظر هذا الخبر : هل رواه أصحاب حمّاد عنه ،

(٥٠) منهج البحث في الأدب واللغة : لانسون ـ ماييه . ترجمة محمد مندور (ص٥٤)
(٥١) صحيح ابن حِبّان : ج١/١١٧ ـ ١١٨ من المقدمة .

أو رجلٌ واحد منهم وحده ؟ فإنْ وُجد أصحابُه قد رَوَوْهُ عُلم أنّ هذا قد حدّث به حمّاد ، وإنْ وُجد ذلك من رواية ضعيفٍ عنه ، أُلْزِقَ ذلك بذلك الراوي دونه . فمتى صحّ أنه روى عن أيوب مالم يُتابَعْ عليه ، يجب أن يُتَوَقَّف فيه ولا يُلْزَقَ به الوَهَنَ بل يُنْظَرُ : هل روى أحدٌ هذا الخبر من الثقات عن ابن سيْرين غير أيوب ؟ فإن وُجد ذلك عُلم أن الخبر له أصلٌ يَرْجع إليه . وإنْ لم يوجد ما وصفنا ؛ نُظر حينئذٍ : هل روى أحدٌ هذا الخبر عن أبي هريرة غيرُ ابن سيْرين من الثقات ؟ فإنْ وُجد ذلك عُلم أن الخبر له أصل . وإنْ لم يوجد ما قلنا ؛ نُظر : هل روى أحدٌ هذا الخبر عن النبي ﷺ غيرُ أبي هُريرة ؟ فإنْ وُجد ذلك صحَّ أن الخبر له أصلٌ . ومتى عُدِمَ ذلك والخبرُ في نفسه يخالف الأصول الثلاثة ، عُلم أن الخبر موضوعٌ لا شك فيه ، وأن ناقله الذي تفرَّد به هو الذي وضعه . هذا حُكم الاعتبار بين النَقَلَةِ في الروايات »

قلت : وهذا التتبُّع المنهجي الدقيق هو ما ينبغي اتباعه أيضاً في الكشف عن علل النصوص ومصادر تلك العلل ، وسأعرض بعض النماذج لتطبيق قاعدة الاعتبار على المشكلات :

المثال الأول : ورد في ترجمة أبي عُبيدة بن الجرّاح ـ في سير أعلام النبلاء :

« أن مُعاذاً سمع رجلاً يقول : لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس دركون ، وذلك في حصر أبي عُبيدة » .

كلمة « دركون » لا معنى لها هنا ؛ فهي مُصحَّفة بلا ريب . فلنرجعْ إذن إلى المصدر الذي نقل منه الذهبي هذا الخبر ـ وهو تاريخ ابن عساكر ـ فنجد فيه التالي :

« لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس ذوكون »

وإذا ما بحثنا عن مصدر ابن عساكر في هذا الخبر فإننا نجده في طبقات ابن سعد ؛ ففيها :

« لو كان خالد بن الوليد ما كان بالبأس ذوكون »[٥٢]

وكذلك نرى أن منشأ الخطأ في كتاب السِيَر إنما كان تصحيف الناسخ ، وأن الصواب ماثبتَ في تاريخ ابن عساكر ، وأيّده فيه المصدر الأصلي وهو طبقات ابن سعد .

على أن مطبوعة الطبقات لم تخلُ من خطأ آخر لا علاقة له بالمشكلة التي نحن بصددها ؛ إذ استحالت كلمة « بالناس » إلى « بالبأس » وهو تصحيف ظاهر ، وسنتابع بحث المشكلة عمّا قريب[٥٣] ..

المثال الثاني : ورد في ترجمة أبي القاسم الطبراني - في سير أعلام النبلاء :

« قال أبو زكريا يحي بن مَنْدَه : سمعتُ مشايخنا يقولون ، ممن يعتمد عليهم يقولون : أملى أبو القاسم الطبراني حديث عكرمة في الرؤية .. »

والعبارة نفسها في تاريخ الإسلام : « قال أبو زكريا يحي بن مَنْدَه الحافظ : سمعت مشايخنا يقولون ، ممن يعتمد عليهم : أملى الطبراني حديث عكرمة في الرؤية .. »

---

(٥٢) انظر : سير أعلام النبلاء (مصورة المجمع) مج ٣/ل٦٦أ/س٥ ، وتاريخ مدينة دمشق (عاصم - عائذ) ص ٣٠٧/س١٠ ، وطبقات ابن سعد (ط بيروت) ج٣/ص٤١٤/س٢ .

(٥٣) انظر ما سيأتي (ص ٣١٤) .

فإذا ما رجعنا إلى جزء ابن مَنْدَه في ترجمة الطبراني[٥٤] وجدناه يقول : « سَمعتُ مشايخنا رحمة الله عليهم يقولون : سمعنا ممن يُعتمد عليهم يقولون : أملى .. »

وإذن فالسبب في هذه المشكلة هو الاختصار المُخِلّ من الذهبي نفسه ؛ إذ سقطتْ كلمة « سمعنا » من مُختصرِهِ لجزء ابن مَنْدَه ؛ فسقطت بالتالي من السِيَر وتاريخ الإسلام .

المثال الثالث : في ترجمة عبد الله بن سَلاَم ـ في سير أعلام النبلاء :

« عن خَرَشَة بن الحُرّ قال : قدمتُ المدينةَ ، فجلستُ إلى أَشْيِخَةٍ في المسجد »
جمع شيخ على أَشْيِخَة غير صحيح ، والصواب : « شِيْخَة » بكسرٍ فسكون ، أو بكسرٍ ففتح .

فإذا ما رجعنا إلى تاريخ ابن عساكر وجدنا الخبر نفسه ؛ وفيه كلمة « أشيخة » بإثبات الألف . ثم إذا ماارتفعنا إلى المورد الذي استقى منه ابنُ عساكر ـ وهو مسند أحمد ـ وجدناها بإثبات الألف أيضاً . ثم نخرج إلى المصادر الأخرى فنجد الخبر بإسناده في مُسند الكشّي ،

---

(٥٤) قمتُ والحمد لله بتحقيقه ، مع جملة نصوص أخرى في ترجمة الطبراني ، وأرجو الله أن يُيسِّر نشرها في كتابٍ مستقلّ . وانظر سير أعلام النبلاء (مصوّرة المجمع بدمشق) ج١٠/ل ١٧٤/ب ، وتاريخ الإسلام (مصوّرة المجمع أيضاً) ل٦٥/ب .

وسنن ابن ماجة ، والمعجم الكبير للطبراني[٥٥] ، وفيها بإثبات الألف كذلك ، ماعدا سنن ابن مَاجَه ففيها « شيخة » على الصواب .

يُستنتج من ذلك أن الخطأ في السِيَر ليس من الناسخ ولا من الذهبي ، وإنما هو خطأ شائع قبل الذهبي ، يدخل في نطاق ما يُسمَّى « لغة المحدِّثين » ، وقد مرَّ بنا آنفاً أن « لأهل الحديث لغةٌ ، ولأهل العربيةِ لغةٌ ، ولغةُ أهل العربية أَقْيَسُ »[٥٦] .

هذه الغلطة مرَّ عليها الأستاذ إبراهيم الأبياري ، ثم الأستاذ شعيب الأرنؤوط[٥٧] ، فأصلحاها في متن الكتاب من غير إشارةٍ في الحاشية إلى ما كان في الأصل ، ولقد كان حريّاً بهما أن يفعلا ، وها قد تبيَّن أنها لم تكن فلتةً من سبق قلمٍ ، أو نادرةً من سهوٍ عارض .

وكذلك يبدو مقدار الفائدة التي يجنيها المحقّق من استعمال « الاعتبار » في حلّ المشكلات التي تواجهه في قراءة النصّ . لكنّ ذلك وحده غير كافٍ ، ولا بدّ من إضافة بعض التنبيهات في هذا الشأن .

---

(٥٥) انظر : سير أعلام النبلاء (ج٣/ل ٢١٠/أ/س١٠) ، وتاريخ ابن عساكر (نسخة ب/مج٧/ل١٥٣ب/س١٥) ، ومسند أحمد ٤٥٢/٥ ، والمنتخب من مسند عبد بن حُميد الكشي (نسخة الظاهرية) ق ٧٣ ، وسنن ابن ماجة ج٢/ص١٢٩١ ، والمعجم الكبير للطبراني (نسخة الظاهرية) ق٢٢٢ .

(٥٦) الكفاية للخطيب البغدادي ٢٨٠ .

(٥٧) سير أعلام النبلاء (ط دار المعارف : ج٢/ص٣٠٢) ، (ط مؤسسة الرسالة : ج٢/ص٤٢١) .

التنبيه الأول : لا يجوز خلط الروايات بدعوى الإصلاح :

لا حاجة إلى إعادة القول في شأن الرواية وتفاوت الروايات فذلك أمرٌ مفروغ منه ، إنما الخشية من أن ينساق المرء بدافع ما قد يتراءى له من خطأ في النصّ مع الرغبة في إصلاحه إلى تجاوز حدود الروايات والخلط بينها على نحوٍ ما ، والمثال على ذلك ما سلف في النموذج الأول : « لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس دركون »[٥٨] ، إذ انتهى البحث إلى أن هذه العبارة المُحرَّفة في سير أعلام النبلاء ترجع في أصلها إلى رواية ابن سعد في الطبقات ، وأنها وردتْ في الطبقات المطبوعة مُحرَّفةً من جانب آخر ؛ هكذا : « لو كان خالد بن الوليد ما كان بالبأس ذوكون » ، وأن الصواب قد ورد فيما نقله ابن عساكر من طبقات ابن سعد بريئاً من الخطأ في الموضعين ؛ هكذا : « لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس ذوكون »

ومع ذلك فقد ذهب المحقّقون في حلّ الإشكال - في السِيَر - طرائق قِدَداً . أما الدكتور صلاح الدين المنجّد فقد أثبتَ أولاً عبارة الطبقات المطبوعة : « لو كان خالد بن الوليد ما كان بالبأس ذوكون » ، ثم عاد - في تصحيح الجزء الأول من السِيَر - فرأى أن الصواب : « ما كان الناس يدوكون » أي يقعون في اختلاطٍ من أمرهم وخصومة وشرّ . وهذه رواية ثانية للخبر ؛ أوردها

(٥٨) انظر ما مضى (ص ٣١١) .

البخاري في التاريخ الصغير ، ونقلها عنه ابنُ عساكر ، وأشار إليها الذهبي في السير[٥٩] .

وأما الدكتور شوقي ضيف فقد تناول عبارة الطبقات المطبوعة فراح يصبّها في قالب رواية البخاري مُبيِّناً وجه تصحيفها ؛ وكأنه لم يخطر بباله أنها روايتان متمايزتان[٦٠] .

وأما الأستاذ شعيب الأرنؤوط فقد ارتأى للمشكلة حلاً آخر ؛ إذ ارتجل للكلمة المُحرَّفة في السِيَر رسماً جديداً ؛ وهو ما سنتناوله في التنبيه التالي .

وبعد ؛ ليس من شأننا في هذا المقام تصحيح رواية وتخطئة رواية ، ولا من همّنا التماس التأويل لأيٍّ منها . إنما الغرض التنبيه إلى اجتناب الخلط أو الارتجال في أثناء تصحيح الروايات ـ وقدوتُنا في هذا نهج أسلافنا الأثبات في الحفاظ على لفظ الرواية بدقّة ـ وعلى ذلك فلا مناص

(٥٩) انظر سير أعلام النبلاء (طـ دار المعارف) ج١/ص١٠ ، وطبقات ابن سعد (طـ بيروت) ج٣/ص٤١٤ ، ومجلة معهد المخطوطات العربية (مج ٣/ ج١/ص ١٧٧) . ثم انظر التاريخ الصغير للبخاري (طـ الهند : ص٣٢) (طـ القاهرة ٥٨/١) ، وتاريخ مدينة دمشق ؛ جزء (عاصم ـ عايذ) ص٢٠٧/س٣ ، وسير أعلام النبلاء (مصوّرة المجمع بدمشق) مج ٣/ل ٦أ/س٦

وبهذه المناسبة فإن عبارة البخاري في التاريخ الصغير لم تخلُ من شائبة التصحيف أيضاً ؛ فقد أحجم ابن عساكر عن نقل كلمة « يدوكون » وأشار إليها بهذه الصورة : « لو كان خالد بن الوليد ما كان الناس ـ وذكرَ كلمةً » ، على حين صارت هذه الكلمة في النسختين المطبوعتين من التاريخ الصغير : « يدركون » ؛ وهو تصحيف ظاهر .

(٦٠) البحث الأدبي للدكتور شوقي ضيف (طـ ١٩٧٢ م) : ص١٩٨

من إثبات رواية الطبقات كما وردتْ في تاريخ ابن عساكر ، وإذا ماكان للمحقّق بعض ريبٍ فيها فلا مانع من البوح به في التعليق بالحاشية .

وبالمناسبة نودّ أن لانَدَع هذا التنبيه قبل أن نختمه باقتراح :

لقد تبيَّنَ من تاريخ ابن عساكر أن ثمة روايةً أخرى لطبقات ابن سعد ـ تختلف عن رواية النسخة المطبوعة ـ هي رواية أبي بكر بن أبي الدنيا عن ابن سعد[٦١] . وتبيّن كذلك أن لمسند أبي يَعْلَى الموصلي روايتين اثنتين : الأولى رواية أبي عمرو بن حمدان[٦٢] عنه ؛ وما تزال نسختها موجودة . والثانية رواية أبي بكر بن المقرىء[٦٣] عنه ؛ ولا نعرف بعدُ شيئاً عن نسختها . ثم ظهر من البحث في رواة المغازي والسِيَر عن محمد بن إسحاق[٦٤] أن ثمة نسخاً كثيرة

(٦١) قد تحسنُ الإشارة هنا إلى أن الذهبي ـ وهو ينقل العبارة الآنفة الذكر ـ إنما كان يختصر ماورد في تاريخ ابن عساكر ، وأن ابن عساكركان ينقل من طبقات ابن سعد برواية النسخة المطبوعة .

(٦٢) هو المحدّث الثقة أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري النيسابوري (٢٨٣ ـ ٣٧٦) ، كان كذلك من القرّاء والنحويين ، وله السماعات الصحيحة والأصول المتقنة . مُتَرْجَم في : سير أعلام النبلاء (مج ١٠/ل ٢٣٦ ـ ٢٣٧) ، وتاريخ سزكين (النسخة المعرَّبة/ط أولى : ٥٠٣/١) وفيه ذكر لمصادر ترجمته .

(٦٣) هو الحافظ الجوّال أبو بكر محمد بن إبراهيم بن على بن عاصم بن المقرئ الأصبهاني (٢٨٥ ـ ٣٨١) ، كان صديق الصاحب بن عَبّاد وخازن كتبه . سمع مالا يُحصى كثرةً ، وصنّف لنفسه ، وروى كتباً كباراً . مُتَرْجَم في : سير أعلام النبلاء (مج ١٠/ل ٢٤٧ ـ ٢٤٩) ، وتاريخ سزكين (٥٠٥/١) وفيه ذكر لمصادر ترجمته .

(٦٤) بحث كنتُ نشرتُه في مجلة المجمع بدمشق (المجلد ٥٦/ج٣/ص٥٣٣ وما بعدها) .

منها ؛ تختلف باختلاف رواتها . وقد نُشر بعض تلك الكتب ، فهل أعلنَ المنشورُ منها عن إسناد نسخته بصورةٍ تهيّئ الأذهان ـ أذهان عامّة القراء ـ لانتظار رواياتٍ أخرى ؟

هذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ ثانية : فإن المقدّمات التي يكتبها المحقّقون في مطالع الكتب عادةً قد أخَّرتْ ماحقُّه التقديم ؛ ذلك أنك ترى إسناد المخطوطة على الغلاف الخارجي تحت العنوان مباشرةً ، على حين تراجعت أسانيد الرواية في النُسخ المطبوعة إلى مابعد مُقدّمات التحقيق الطويلة ، فأضحت غائبةً وهي حاضرة .

وإذن فلماذا لا يعود الأمر إلى نصابه بإثبات رواية الكتاب تحت العنوان ؛ وعلى الغلاف الداخلي على الأقلّ ؟ لقد آن الأوان ليعرف كل قارىء منذ اللحظة الأولى سند النسخة التي يقرأ ، وبذلك يعود للرواية بعض حقّها من الذكر بإذن الله .

التنبيه الثاني : لايجوز إصلاح التصحيف بمالا يسمح به الرسم :

من المعروف أن معظم التصحيف في الكتب العربية إنما ينشأ من تشابه صور بعض الحروف أو تقارب رسومها ، بحيث تخفى على الناسخ أحياناً فيخطىء في القراءة ، فيكتب غير مافي الأصل . من هنا كان على المحقِّق وهو يقوم بردّ المُصحَّف إلى أصله أن يتقيّد بالهيكل العامّ للرسم ، فلا يخرج عن حدوده أو يُغيّر

معالمه ، فإنه لو فعل ذلك كان إصلاحه باطلاً وغدا ارتجالاً لرسمٍ جديد لا وجود له في الأصل . والمثال على ذلك العبارة المذكورة في التنبيه الأول : « لو كان خالد بن الوليد ما كان بالناس ذوكون » ، صُحِّفتْ في سير أعلام النبلاء فانقلبتْ « ذوكون » إلى « دركون » ، فجاء الأستاذ الأرنؤوط فجعلها « دوك » فازدادت بعداً على بعد[٦٥]

والمثال على ذلك أيضاً ما صنع محقّق المُغني في الضعفاء للذهبي ، إذ وجد اسم « خميس الحَوْزي » مصحّفاً في الميزان ولسانه إلى « خميس الجوزي » ، فجعله « خميس الجَوْني » فزاده بعداً[٦٦]

التنبيه الثالث : لا يجوز التهاون في الضبط اعتماداً على ضبط الآخرين :

قد يظفر المحقّق بنسخةٍ نفيسة مقروءة على المصنِّف أو مُقَابَلَةٍ بأصله ، وقد يظفر بنسخةٍ قيّمة قرأها وضبطها علماء معروفون ، فيدفعه ذلك إلى أن يثق بها ثقةً عظيمة . فإذا ما وجد في تلك النُسخ بعض الكلمات قد ضُبطتْ بالشكل ، وُرسم فوقها « صح » صغيرة ، فعند ذلك لا يُساوره ريبٌ في صحة ذاك الضبط ، ولا يخطر بباله أن يتساءل عنه أو يبحث فيه .

---

(٦٥) سير أعلام النبلاء (ط مؤسسة الرسالة) ١/١٦ .

(٦٦) المغني في الضعفاء (بتحقيق الدكتور نور الدين عتر) ٥٤٨/٢ ، وانظر سؤالات الحافظ السِلَفي لخميس الحوْزي (ص٦) .

لكنّ التحقيق يهدي إلى أمرٍ آخر ، إنه يدعو إلى اجتناب الثقة العمياء بالآخرين وضبطهم مهما كانت الثقة بهم عظيمة ، فهم بشرٌ من البشر ، غير معصومين من الخطأ . وعلى ذلك فلا عبرة بضبطهم أحياناً ، حتى ولا مع توكيده بـ « صح » أحياناً أخرى ، وسأكتفي بعرض نماذج مختارة من تلك الأوهام :

المثال الأول : ما ورد في النسخة الأمّ من سير أعلام النبلاء للذهبي ـ في ترجمة أبي القاسم الطبراني ؛ في ذكر مشيخته : إبراهيم بن محمد بن بزّه الصنعاني(٦٧) . ضُبطتْ كلمة « بزّه » بفتحة فوق الباء وشدّة فوق الزاي وبجانبها « صح » صغيرة . على حين الصواب : « برّه » بالراء المهملة لا غير ، كما في الإكمال لابن ماكولا ٢٥٤/١ ، والمشتبه للذهبي نفسه (ص ٥٦) ، والتبصير لابن حجر ٧٤/١ ، ومراجع أخرى ..

المثال الثاني : ما ورد في المغني للذهبي في ضبط هذا الاسم(٦٨) : « عروَة بن أذَنَة ، من رؤوس الخوارج » . ضُبطت كلمة « أَذَنَة » بفتحة فوق الذال ، وأخرى فوق النون ، وفوقهما « صح » . مع أن الصواب : « أُدَيَّة » كسُميَّة . ثبت ذلك في الاشتقاق ٢١٩ ، وجمهرةالأنساب ٢٢٣ ، والإكمال ٤٨/١ ، واللسان والقاموس (أدي) ، والتبصير ١١/١

---

(٦٧) سير أعلام النبلاء (نسخة أحمد الثالث) ج١٠/ل١٧٣ب/ السطر الرابع من الأسفل .

(٦٨) المغني في الضعفاء (بتحقيق الدكتور نور الدين عتر) : ج٢/ص٤٣٢/رقم ٤٠٩٣ ، وسأُفرد لهذا الكتاب القيّم مقالاً إن شاء الله .

المثال الثالث : ما ورد في خلاصة الخزرجي في ضبط هذا الاسم[٦٩] : « عمرو بن هشام الحدّاني : بضم المهملة » . والصواب : « الحرّاني » بفتح الحاء والراء المشدّدة ؛ كما في الجرح والتعديل ٢٦٨/١/٣ ، والتهذيب ١١٣/٨ ، والتقريب .

ثم لا عبرة بسماع أصلٍ على فلان أو فلان من العلماء المعروفين ، فقد غدا بعض السماع - عند المتأخرين بخاصة - رسوماً خاوية ، عبرّ الذهبي عن ذلك تعبيراً مؤثّراً إذ قال[٧٠] :

« دعنا من هذا كلّه ، فليس طلب الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم ، بل اصطلاحٌ وطلب أسانيد عالية ، وأخذٌ عن شيخٍ لا يعي ، وتسميعٌ لطفلٍ يلعب ولا يفهم ، أو لرضيعٍ يبكي ، أو لفقيهٍ يتحدّث مع حَدَث ، أو آخر ينسخ . وفاضلُهم مشغول عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنعاس . والقارئ إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثر من قراءة ما في الجزء ، سواءٌ تصحّف عليه الاسم ، أو اختلط[٧١] المتن ، أو كان من الموضوعات »

(٦٩) خلاصة الخزرجي (ط حلب ١٣٩١ هـ) : ص٢٩٤/س١٨ .

(٧٠) سير أعلام النبلاء (مصورة المجمع) : ج٦/ل ٥٥أ ، (ط مؤسسة الرسالة) : ج٧/ص١٦٧ .

(٧١) في الأصل والمطبوعة : « اختبط » وهو تصحيف .

ومن طريف مارأيتُ في هذا الأمر ما سجّله كاتب الطباق بآخر بعض مجلدات السنن للبيهقي ؛قال[٧٢] :

« وسمع هذا المجلّد طائفةٌ كانوا يتحدثون في بعض المجالس حالة السماع منهم ... وسمع هذا المجلّد طائفةٌ كان النوم يعتريهم حالة السماع أحياناً منهم ... »

وبعد ؛ ليس الغرضُ من إيراد ماأوردتُ الانتقاصَ أو التطاول ؛ فالقوم أجَلُّ في القلب وأملأُ في العين .إنما الغرضُ إيقاظُ همم المحقّقين في أيامنا إلى تحمّل واجباتهم وإتقان أعمالهم ، وأن لا يكونوا عيالاً على الأسلاف وجهودهم ، فمهمّة التحقيق تقتضي اليقظة المستمرّة والبحث الدائب للتثبّت من كل خطوة ؛ وكم ترك الأول للآخر !

وبهذه المناسبة لابدّ من الإشارة أيضاً إلى أن ذاك الضبط وتلك التصحيحات تبقى ثقةً وحجّةً ، مالم تتعارض مع مانصّتْ عليه كتب المشتبه ، أو ثبتتْ صحته بالدلائل الصريحة .

التنبيه الرابع : لا يجوز في القراءة قَصْرُ النظر على موضع الإشكال وحده :

وإنما ينبغي مع ذلك النظر فيما قبله وبعده ؛ ففي ذلك تسديدٌ للقارئ ، وإرشادٌ إلى الوجه الصحيح الذي يتناسب وسياق الكلام .

---

(٧٢) السنن الكبرى للبيهقي : ٣٤٨/٨ـ٣٤٩

والمثـال على ذلـك : عنـوان ترجمـة في تـاريـخ ابن عساكر وردَ على النحو التـالي : « عبـد الله بن حوالـة أبو حوالة ويُقال أبو محمَد كـذلـك كنـاه أبو حسـان الزيـادي الأزدي له صحبة » . فـالعنوان بهذه الصورة يوحي بـأن (الزيادي الأزدي) نعتان مترادفان لأبي حسّان المـذكور قبلهما ، وهـو مـا دعـا إلى رسمهما متصلين في الجـزء المطبوع[٧٣] . لكن سائر الترجمة ـ بعد صفحتين ـ أفـاد غير ذلك ؛ إذ تكرّر ذكر « عبد الله بن حوالة الأزدي » أكثر من مرة ؛ فتبيّن أن الصـواب في نظم العنـوان هكـذا : « عبـد الله بن حـوالـة ، أبـو حـوالـة . ويُقـال أبـو محمد ـ كـذلـك كنـاه أبو حسـان الزيـادي ـ الأزدي . لـه صحبة »

المثال الثاني : عنوان آخر في تهذيب التحبير[٧٤] ورد بهـذه الصـورة : « أبـو بكر بنيمـان بن أبي الحسن بن أحمـد بن إبراهيم بن جمـانـة الهمـذاني الجمـاني من أهـل همذان » . سارعت المحققة إلى ضبط نسبتـه « الجمـاني » من الأنساب للسمعاني ، فضبطتـه بضمـة فوق الجيم وشـدّة فوق

---

(٧٣) تاريخ مدينة دمشق : « عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد » ص : ٢١٦و ٩٩٠

(٧٤) نشرته منيرة نـاجي سـالم ، في العراق سنـة ١٩٧٥ م ، بـاسم «التحبير في المعجم الكبير» للسمعـاني . وهـذا العنوان للكتـاب المطبوع أكبر من حقيقـة أصلـه المحفوظ في خـزانـة المكتبـة الظاهريـة بـدمشق . وقـد قمتُ بـدرس الأصل ثم بـالاستـدراك على المطبوع في مقـالين نُشرا في مجلـة المجمـع بـدمشـق (المجلـد ٤٨/ج٢/ص٣٧١ـ٣٨٠ ، ثم المجلـد ٥٥/ج١/ص١٤٩ـ١٦٣) . وانظر الخطأ المذكور أعلاه في المطبوع (١/ ١٤١) ،والمقـالـة الثانية المشار إليها آنفاً .

الميم ، وسجّلت في الحاشية هذا التعليق : « الجُمّاني : هذه النسبة إلى الجُمّة ، يعني بها الشعر الذي في مقدمة الرأس . الأنساب ٣٢٦/٣ » . وفاتَها إمعان النظر في سياق العنوان ، وأن وجود (جمانة) قبل (الجماني) يشير بوضوح إلى أنها نسبة إلى الجدّ . ولو بحثتْ في كتب المشتبه لوجدت اسم جَدِّهِ « جِما نة » بكسر الجيم ، في التبصير ٤٥٣/١ ، وتاج العروس (جمن) ، بل صرّح صاحب التاج بأن « جمانة ككتابة » . وعلى ذلك فهو الجِماني وليس الجُمّاني ، والتعليق باطل .

التنبيه الخامس : لا يجوز الاعتماد في القراءة على المصوَّرات فحسب :

شاع في عالم التحقيق اليوم استعمال الرقائق « المِكروفِلْم » والمصوَّرات للنُسخ على نطاقٍ واسع ؛ بحيث غدتْ عمدة المحقّقين في أعمالهم . والحقّ أن هذه المصوَّرات قد أدَّتْ خدماتٍ جُلّى للمحقّقين إذ وضعتْ بين أيديهم كلّ ما يحتاجون إليه من النُسخ الأصلية بأيسر سبيل . لكنها مع ذلك ليست وافيةً بالغرض تماماً ؛ بحيث تُغني عن الحاجة إلى مراجعة الأصل ؛ وذلك لعدّة أسبابٍ ؛ منها :

أولاً ـ إن تفاوت لون الحبر لا يظهر في الصورة :

من المعلوم أن كل ما قد يُحشى بين السطور أو يُضاف من الشكل أو يُكتب في حواشي الصفحات ـ بعد الفراغ من كتابة الأصل بمدّةٍ ـ لابدّ

من أن يظهر في الأصل بلونٍ مختلفٍ بعض الاختلاف ؛ بسبب تفاوت ألوان المداد وتباين تاريخ الكتابة . لكنه في الصورة يظهر بلونٍ واحد ، وبذلك تغدو المصوَّرة مُضلِّلةً للمحقِّق أحياناً ؛ إذ تُسدل الستار على التفاوت في الألوان ، فلا يستطيع أن يُميّز ماهو أصيلٌ في النسخة ممّا هو دخيل ، وقد يزداد الأمر تعقيداً حين تكون القرائن الخارجية مضطربةً ، بل إن بعض التفاوت الدقيق لا يمكن الكشف عنه ـ في الأصل نفسه ـ بسهولة .

والمثال على ذلك مابدا على غلاف مخطوطة الظاهرية من كتاب الضعفاء للجُوْزَجَاني[٧٥] من تعديل ، فقد كان أصل العنوان :

« كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني في أحوال الرجال »

ثم أُضيف إليه من فوقه : « النصف الثاني من » وأُقحم فيه كلمة « الشجرة » فرُسمتْ بداخل الباء الطويلة من (كتاب)

وزِيد حرف اللام على (أبي) ، فصار العنوان هكذا :

« النصف الثاني من كتاب الشجرة لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزَجاني في أحوال الرجال». ثم كُتب تحت العنوان بحرفٍ دقيق : « أفرده منه السلفي » .

---

(٧٥) فرغتُ من تحقيقه بحمد الله ؛ وأرجو أن يُيسّر الله نشره عمّا قريب .

ومن المؤكد أن هذا التعديل قد طرأ على النسخة بعد كتابتها بمدّة ، بدليل أن السماعات الموجودة بآخر النسخة قد خلَت تماماً من ذكر « الشجرة » ومن الإشارة إلى أنه نصف كتاب .

نعم كانت الزيادات المُقحمة على العنوان مرسومةً بحروفٍ أصغر ، لكنها في الصورة تبدو منسجمة مع الأصل تماماً ، وكأنها من تفنّن الناسخ في رسم العنوان .

الشيء الوحيد الذي نَبَّهَ إلى هذا الإقحام هو تفاوت لون الحبر على الغلاف ما بين الأسود والبنّي الغامق ، بل قد يحتاج كشف هذا التفاوت إلى شيء من التروّي وإمعان النظر ، وكأني بالأستاذ الفاضل كان على عجلةٍ من الأمر إذ سجَّل اسم الكتاب في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : « الشجرة في أحوال الرجال » ، فشاعت التسمية وتناقلها الآخرون(٧٦) .

ثانياً ـ إن الخطوط الباهتة في الأصل لا تظهر في الصورة ؛ وبذلك يضيع قسمٌ من النصّ الأصلي .

ثالثاً ـ إن الحواشي الدقيقة قد تبدو غامضةً أو مطموسة في الصورة ؛ بسبب صغر حجمها ولزّها بعضها إلى بعض ، وبذلك تصعب قراءتها وقد تتعذّر .

---

(٧٦) انظر : المنتخب من مخطوطات الحديث للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني (ص٢٥٠) ، وتاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين (النسخة المعرَّبة/الطبعة الأولى/ص٣٥٢) ، وموارد الخطيب البغدادي للدكتور أكرم العمري (ص٣٢٠) .

وكـذلـك نرى أن الاعتماد في القراءة على المصوَّرات
قد يُوقع في مآزق وأوهام ، ولا غنى للمحقّق عن الرجوع
إلى الأصول المخطوطة يستشيرها في حلّ المشكلات .

١٤ ـ الحواشي والتعليقات :

التعليقـات معرض جهـد المحقّـق ومعيـار خبرتـه وبراعتـه في الـوقت نفسـه ، وقـد يحسنَ التنبيـهُ أولاً إلى أنـه لا عبرة بطـول التعليقـات أو قصرها ، إنما العبرة بفائدتها طـالتْ أم قصرتْ ، فمتى اشتملتْ على الفـائـدة حَسُنَتْ وخَفّتْ على القـارئ ولـو بلغتْ سطـوراً عـدّة ، ومتى عريتْ من الفائدة صارت لغواً ثقيلاً ولو كانت بضعَ كلمات .

بعد هذه المقـدمـة الوجيزة نودُّ أن نستعرض بعضـاً من العنـاصر التي تتألف منها التعليقات :

أولاً ـ إثبات فروق النُسخ :

إن إثبات فروق النُسخ لا يتمّ جزافاً من غير قـاعـدة ، إنـه قبل كل شيء مبنيّ على درس النُسخ الذي يُبيّن تناسبهـا فيما بينهـا وتسلسل مراتبها ، كما يُحـدّد في الوقت نفسـه قيمـة كل نسخـة ونوع العطـاء الـذي تُقـدّمـه . وعلى ذلـك فـموقف المحقّـق من إثبـات الفروق بين النُسخ يختلف تبعاً لاختلاف قِيَمها وعلاقاتها بعضها ببعض .

ثم إنه محدودٌ بحدود ما يُجـدي من الفروق ؛ أي بتقـديم وجوه مناسبة لقراءة الأصل ، أما التصحيفات والأخطـاء التي تتنـاثر من أقلام النُسّاخ ؛ فما الفائدة في ذكرها ؟!

وهنا تبرز لدينا مسألة القراءة المختارة التي توضع في المتن ، والقراءات الثانوية التي توضع في الحاشية . الحقّ أن القراءة المختارة تكون - في معظم الأحيان - محدودةً بحدود النسخة المختارة ؛ إذ لا غنى للمحقّق عن اختيار نسخةٍ يعتمدها في القراءة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وسواءٌ اختار المحقّق - في الإشكالات التي تعترضه - قراءة النسخة المعتمدة لديه ، أم أختار قراءة نسخةٍ أخرى ، فإن عليه تعليل اختياره في الحالين . ثم ينبغي عليه اجتناب التحكّم في الاختيار ، فمن الخير له - حين تستعصي المشكلة على الحلّ ، أو حين يكون لديه أدنى ريبٍ في الاختيار - أن يُثبت في المتن رسم النسخة المعتمدة ، ويضع في الحاشية رسوم النُسخ الأخرى كما وردتْ ، ويترك الحلّ لجمهرة القرّاء ، وفوق كلّ ذي علمٍ عليم .

ثانياً - التخريج والتعريف :

ويجب هنا المبادرة إلى التحذير من الإفراط أو التفريط الذي قد يقع في هذا المجال بخاصة ، فهناك كتبٌ زخرتْ حواشيها بتراجم الأعلام لأدنى مناسبة ، وأخرى خَلَتْ حتى من ضبطها على الأقلّ . وهناك كتبٌ اكتظّت حواشيها بالتخريجات حتى أوشك كتاب التاريخ أن يستحيل مُسْنَداً في الحديث ، وأخرى خَلَتْ تماماً من تلك التخريجات . وقد لا ينقضي عجب القارئ وهو يقارن بين أجزاء من كتابٍ واحد ؛ إذ يجد إفراطاً من جانب يقابله تفريطٌ من جانب آخر(٧٧) . فينبغي إذن أن يجتنب المحقق

(٧٧) انظر مثلاً تاريخ مدينة دمشق : المجلدة العاشرة ، وجزء « عاصم - عائذ » . ثم انظر الأجزاء الثلاثة الأولى من سير أعلام النبلاء (طبعة دار المعارف) ، ونظائرها من (طبعة مؤسسة الرسالة) .

استغلال الحواشي لملئها بالتخريج أو بالتعريف ، كما لا يصحّ في الوقت نفسه أن يضبط بالشكل عَلَماً ـ من المشتبه ـ في المتن ، دون أن يذكر في الحاشية مرجعه في ذاك الضبط.

ثالثاً ـ توثيق النقول :

إن ذكر المصادر التي نقل منها المصنِّف مادّة كتابه ، ومعارضة نقوله بمصادرها الموجودة أمر مفيدٌ جداً في توثيق نصّ الكتاب وتصحيحه ، وهو ما دعا النخبة من محققي التراث اليوم إلى إقرار توصيةٍ خاصة بهذا الشأن[٧٨] .

رابعاً ـ الشرح والنقد :

وإن شرح ما يحتاج إلى شرحٍ من النصّ المحقَّق ، ونقد ما يستوجب النقد من عمل المصنِّف ، أركان أساسية في التحقيق ؛ لا بدّ أن تظهر آثارها في التعليق ، وقد مضى الكلام عليها فيما سلف من البحث[٧٩] .

١٥ ـ النشر بتصوير المخطوطات :

قطعت صناعة التصوير في الوقت الحاضر آماداً بعيدة في معارج الرقي والإتقان ، فانتشرت لذلك طباعة صور المخطوطات انتشاراً واسعاً لم تعهده من قبل ، وامتازت في الوقت نفسه بخصائص فنيّة عالية تجعل المطبوع من تلك المصوَّرات أشبه شيءٍ بالمرآة الصافية تظهر فيها صورة الأصل جليةً بكل ملامحها وتفصيلاتها ، حتى لقد استطاعت بعض دور

(٧٨) انظر تقرير لجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه (الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام في بغداد بتاريخ ٢٠ ـ ١٩٨٠/٥/٢٩ م) : ص١٣

(٧٩) انظر ما مضى (ص ٢٨١ و ٢٩٠) .

النشر المختصة الحفاظَ على الألوان الأصلية في الوثائق والمخطوطات ، بحيث تميّزت ألوانُ الرسم في المصوَّرات تبعاً لامتيازها في المخطوطات ، وهو أمر مفيد في مجال التحقيق لمعرفة المتون الأصلية للنصوص والإضافات اللاحقة بعد حين(٨٠)

وقد يحسنُ التنبيهُ إلى أن التصوير عونٌ على التحقيق ، وليس بديلاً منه أو مُثبِّطاً عنه ؛ ذلك لأنه يضع بين أيدي المحققين كلّ مايحتاجونه من الموارد بصورةٍ تُمكّنهم من استقاء مادتها مباشرةً . وهو كذلك توثيقٌ لسلامة التحقيق ؛ لأن وصول تلك الأصول إلى أيدي الدارسين والمحققين في آنٍ معاً كفيلٌ بإطلاع الأوّلين على حقيقة عمل الآخرين في نشر تلك الأصول .

أما التعلُّل بصعوبة الحرف المخطوط وسهولة الحرف المطبوع فصحيحٌ لكنه قد لايخلو من مبالغة ، بل إن بعضاً من المخطوطات قد كُتب بخطٍّ رائق يفوق بجماله الحرف المطبوع . ثم إن جمهرة المخطوطات - إن لم يكن كلُّها - من حاجة ذوي الاختصاص في الثقافة ؛ الذين قد عانى بعضهم ؛ وسيُعاني بعضهم الآخر بلا ريب ؛ مصاعب القراءة في المخطوطات .

وخلاصة القول : إن التصوير فيما نرى وسيلة سريعة وأمينة في النشر ؛ إذا ماتوفرّ لها ثلاثة شروط لاغنى عنها وهي : حُسن اختيار المخطوطة ، والتقديم لها بمقدمةٍ وافية ، وتذييلها بالفهارس المناسبة .

---

(٨٠) أُقيم بدمشق من قريب - بعناية وزارة الثقافة ؛ وبعونٍ من بعض دور النشر النمساوية - معرض للمخطوطات المطبوعة ، نُشر فيه ثلاثون نسخة مختارة من مخطوطات شرقية وغربية ، مطبوعة بصُوَر تحكي الأصل في الحجم والشكل واللون .

ومن حُسن الاختيار أن تكون النسخة فريدةً قديمة ؛ كما في صنيع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في جزءٍ من ديوان الفرزدق[٨١] نشره مُصوَّراً عن مخطوطةٍ في الظاهرية تفردّتْ بعدة مزايا ؛ أبرزُها أنها أقدم مخطوطةٍ وُجدت للديوان ؛ إذ يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة (٣٣١) للهجرة أو ماقبلها . وقد شفعهُ بمقدمةٍ ضافية بسط فيها القول في وصف النسخة وبيان مزاياها وخصائص خط كاتبها ؛ مع الإشارة إلى كل ما يُمهِّد للدارسين سُبل الإفادة منها .

ومن حُسن الاختيار كذلك أن تكون النسخة تامةً جيّدة الخط مضبوطة ؛ كما في نسخة الظاهرية من « توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين الدمشقي[٨٢] ، فالحق أن هذه المخطوطة لا يصحّ أن تُنشر بغير التصوير ؛ ذلك لأن العِلْم الذي تحمله ـ وهو المشتبه في الأسماء والأنساب ـ يتوقف على الضبط قبل كل شيء ، وهذه النسخة غاية في الضبط والإتقان ، فماذا يُفيد نسخُها وطبعُها غير إدخال تحريفاتٍ لا بدّ منها في أثناء النسخ أو الطبع ؟ وهو ما ينقص من قيمتها ويذهب ببعض فائدتها . ثم إن جمهرة الباحثين حين يرجعون إلى النسخة مُصوَّرةً جديرون بأن يستشعروا ثقةً واطمئناناً بما يقرؤون ، فلا يُخالطهم ريبٌ بأن ثَمّة خطأً أو تصحيفاً فيما ينقلون ويضبطون .

ومن حُسن الاختيار أيضاً أن تكون النسخة وحيدةً صعبة القراءة ؛ كما في مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر ؛ فلا يُؤمَنُ على المحقق أن يتعسّف في قراءته إنْ لم تُسعفه أصول التاريخ نفسه . زد على ذلك أن

---

(٨١) صدر في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ؛ سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م

(٨٢) نسخة في ثلاثة مجلدات ؛ برقم (تفسير ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٠)

الحاجة إلى نشر المختصر ماسّة ، بل هو من تمام العمل في الأصل ، ولقد وددتُ لو ظهر مختصر ابن منظور مصوَّراً مقروناً بالفهارس الكافية ، ففي ذلك خير تمهيدٍ لنشر تاريخ ابن عساكر بتقريب مُجمل مادّته من أيدي الباحثين .

والكلام نفسه ينطبق على بعض الأجزاء من التاريخ نفسه(٨٣) ، فإن اختيار بعض القطع النادرةِ من نُسخهِ ، وتصويرها مؤيّدةً بالفهارس التي تضع بين أيدي القرّاء مفاتيح فوائدها المنشودة ، سببٌ من جملة الأسباب التي ينبغي التوسّل بها لنشر هذا التاريخ الكبير ذي المجلدات الثمانين بالسرعة الممكنة .

إن فتح باب التصوير للمخطوطات ـ بالشروط المذكورة آنفاً ـ أمر مفيد للناشئين والمتمرّسين معاً في مجالات البحوث والتحقيق . يتعرّف به الناشئون معالجة المخطوطات القديمة ، ويتدرّبون على قراءتها وإلف خطوطها . ويرتاح له الآخرون الذين يرون بحقٍّ أن مُصوَّرةً قد أُحْسِنَ اختيارها وفَهْرَسَتُها أنفعُ بكثيرٍ من كتابٍ زعم ناشره أنه حقّقه ولعله كان قد مَحَقه .

١٦ ـ شروط النشرة العلمية :

قد يتساءل المرء بعد كل ما مضى من قواعد وتنبيهات : هل يمكن للتحقيق في واقع الأمر أن يبلغ الغاية أو يستوفي كلَّ الشروط المطلوبة ؟ والجواب : لا ، لأن الكمال مُتعذّر ، بل يحسن التنبيه إلى أن الإفراط في التدقيق قد يصرف من جهد المحقق ووقته كلّ ثمين دون أن يعود عليه بالفائدة التي يرتجي ، وإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى .

---

(٨٣) قام مجمع اللغة العربية بدمشق بتصوير جزءٍ من تاريخ ابن عساكر ، وثمة أجزاء أخرى جيّدة تستأهل التصوير .

وقد يتخذ بعضهم من مصاعب التحقيق ذريعةً للدعوة إلى التحلّل من كل القيود فيقعون في الخطأ المقابل ؛ ذلك لأن إخراج كتب التراث محشوّة بالأغلاط العلمية والمطبعية - مهما كانت الحجّة المُسوِّغة - ما هو في الحقيقة إلا تزييفٌ للتراث ، لأن الغاية من النشر إشاعة الفائدة ، فأين الفائدة في منشورات مُضلِّلة للباحثين ؟!

الحق أن الإتقان أمر نسبيّ ، ولا يُكلّف الله نفساً إلا وُسْعَها . لكنّ ذلك لا يمنع من وضع بعض الشروط التي ينبغي توفرها لتكون النشرة موثوقاً بها ، وسأسرد فيما يلي - وبشيء من الاختصار - شروطاً ثلاثة للنشرة العلمية ؛ كان أعلنَ عنها برغستراسر ؛ وهي[٨٤] :

الشرط الأول : أن يكون عدد النُسخ التي بُنيت عليها النشرة كافياً بالنسبة إلى عدد النُسخ الخطية التي توجد الآن .

والشرط الثاني : أن يصف الناشر النُسخ التي استخدمها في نشر الكتاب ؛ وصفاً يُمكّن القارئ من مراجعتها وتقدير قيمتها .

والشرط الثالث : أن يقابلها بعناية تامة ؛ ويبيّن بكلامٍ صريح المذاهب المختلفة التي ذهب إليها في اختيار ما اختاره من اختلافات النُسخ . وأن لا يُغيِّر أو يُسقط شيئاً من النصّ دون أن يُنبّه القارئ عليه .

كانت تلك شروط برغستراسر ممن يودّ نشر الكتب العربية ؛ لكي تكون النشرة موثوقاً بها . وقد تبدو هذه الشروط - مع فائدتها - غير كافية ؛ وبخاصة ما تعلّق منها بعمل التحقيق بالذات ؛ إذ إن المقابلة عمل

(٨٤) أصول نقد النصوص ونشر الكتب : ١٢٥

آلي ، وقد تكون النُسخ التي حصلت للمحقق فروعاً ثانوية تقاربتْ حظوظُها من التصحيف ، وقد تقع للمحقق نسخة وحيدة بخط المصنّف بلا نقط أو شكل . ثم إن بيان أسباب الاختيار قد يكون مدعاةً للريب في صحة النشرة كلّها إذا كثر الغلط من المحقق باختيار الخطأ على الصواب .

لا بدَّ إذن من معيار دقيق يمكن معه قبول عمل المحقق أو رفضه ، ولقد كان المحدّثون سبّاقين في هذا المجال ومُنصفين في الوقت نفسه حين أقرّوا ترك الرواية عن الراوي إذا أكثرَ الغلط(٨٥) ، وهو ما أفصح عنه الإمام أبو حاتم بن حِبّان بقوله(٨٦) :

« ولا يستحقّ الإنسانُ تَرْكَ روايته حتي يكون منه من الخطاء ما يغلبُ صوابَه ، فإذا فَحُشَ ذلك منه وغَلَبَ على صوابه استحقَّ مجانبةَ روايته »

قلت : وكذلك الأمر بالنسبة للمحقق في زماننا ، يُقْبَلُ عملُه أو يُرَدُّ وفقاً لهذا المعيار الدقيق المُنصف ، وهل التحقيق سوى امتداد للرواية السالفة(٨٧) ؟

مطاع الطرابيشي

للبحث صلة ؛ إنْ شاء الله

---

(٨٥) انظر كتاب المجروحين لابن حِبّان ٧٧/١

(٨٦) صحيح ابن حِبّان ١١٥/١ من المقدمة .

(٨٧) انظر ما مضى : (ص ٢٩٤ وما بعدها) .

تعليق وجيز

الدكتور شاكر الفحام

عرض الأستاذ مطاع الطرابيشي في كلمته القيّمة : مقدمة في المنهج ، ويعني منهج تحقيق المخطوطات ، خلاصةَ ما أدّته إليه خبرته وتجربته في التحقيق ، تحدث عنه حديث الواثق المطمئن ، بعد تمرسه به ، ومعاناته لمشكلاته ، ووقوعه في مضايقه ، وتعرّفه إلى أبعاده ، وتبيُّنه صورته المثلى من جميع جوانبها . ولقد أعجبني هذا التلخيص الواضح يتقدم به صاحبه ليشارك في التنبيه على مناحٍ جديدة لقضيةٍ هامةٍ من قضايا التراث ما تزال تستأثر باهتمام الباحثين وعنايتهم وجهدهم ليصلوا ، بعد الدرس والتتبع ، الى القول الفصل فيها . وقد أثار الأستاذ مطاع في مقالته أموراً تستحق الوقوف عندها ، وصاغ ما انتهى إليه أحكاماً رآها ناظمةً للعمل ، كفيلةً ، اذا طُبقت التطبيق الصحيح ، ببلوغ الهدف والوصول إلى الغاية . ثم حاول في مقالته أن يقيم الجسر الواصل بين ما قام به السلف لضبط الرواية وتقييد السماع ، وما نصطنعه نحن من وسائل وطرائق في العصر الحديث حين ننشر مخطوطات التراث ، من أجل التوثق من نسبتها وصحتها ، وإخراج نصّ أقرب ما يكون إلى أصل المؤلف إن لم يكنه . ولكن الكلمة ، على غناها ودقة ما جاء فيها من نظرات ، استوقفتني غير ما مرّة ، وأحسستُ أني لا أوافق الكاتب في كل ما ذهب إليه ، وإن كان قد أرضاني في كثيرٍ من منطلقاته وملاحظه ، وتملك عليَّ إعجابي بسعة اطلاعه وخصب موارده واختيار شواهده .

ـ من الحق أن هدف التحقيق الأول هو تقديم نص المخطوطة كما وضعه مؤلفه ، أو أقرب ما يكون الى ما وضع ، فاذا استطاع المحقق أن ينهض بذلك وقوي عليه فقد أدّى الأمانة التي تعنّى في طلبها ، وبلغ الغاية التي نصب نفسه لها . ثم تأتي بعد ذلك أمورٌ مساعدةٌ يقوم بها المحقق ليأخذ بيد القارئ ويعينه على استجلاء الغامض واستيضاح المشكل في النص الذي يقدمه . وتتفاوتُ في هذا المضمار نظرات المحققين ، والطرائق التي يسلكونها في التعليق على النص وإغنائه . وليس من شأني في هذا التعقيب الموجز أن أتحيز لطريقة على أخرى ، أو أنصر فريقاً على فريق ، وإنما هو التذكير ، أقدمه بين يدي ما أقول ليظل هدف التحقيق الأول (وهو أداء النص كما وضعه مؤلفه) ماثلاً أمام عيوننا ، لا يطغى عليه أمرٌ مساعد مهما جلَّ شأنه .

ـ لقد ابتعثت كلمة الأستاذ مطاع الجامعة وأنا أقرؤها خواطر وحركت كوامن ، وصدق فيها قولهم : الحديث ذو شجون ، لأنها وإن كانت توافق في نظرتها العامة ما ارتضيناه ودعونا إليه في أمر التحقيق ، فإنها تخالف في التفصيل والتطبيق ، وتتشعب إلى مسالك لا يؤمن فيها العثار . ولعله كان يحسن أن أنتظر وأتلبَّث حتى ينهي الأستاذ الفاضل حلقاته الثلاث فتتضح ملامح الصورة بوجهيها النظري والتطبيقي ، وما منعني من أن ألتزم الحزم وأتوقف حيث يجب التوقف إلا نقطة واحدةٌ أهمَّتني وأقلقتني ، وشعرتُ أن لا بدّ من المسارعة لأقول فيها ما تراءى لي أنه الحق الذي سار عليه السلف ، وأن من الخير أن نقتفي آثارهم ، ونسلك حيث سلكوا ، فنتجنب الزلل والخلل ، ونضمن لعملنا الصحة والسلامة والإتقان . وإني واقفٌ نفسي وقاصرٌ تعليقي على هذه النقطة برأسها لا أعدوها إلى سواها .

يذكر الأستاذ مطاع في الفقرة الخامسة من كلمته : (اصلاح غلط المؤلف) أمراً غايةً في الخطورة ، إذ أباح للمحقق أن يغير نصّ المؤلف اذا تبين له أنه مغلوط . ولئن أتيح لمثل هذا المقترح أن يلقى القبول لدى المحققين والعاملين في التراث ، لقد فتح بذلك صاحبه ثغرة لا يقوى أحدٌ من بعدُ على سدِّها ، وأتى بمعوله على البنيان الذي أقامه الأقدمون ورفعوا من قواعده ثمرةً من ثمار تجاربهم ، ونتيجةً من نتائج معاناتهم ، ليصونوا التراث من أن يناله التحريف والتبديل والعبث ، أو يسمح سامح لنفسه أن يغير النص مهما بلغت درجته من العلم ، ومهما وضح غلط النص ووهم مؤلفه .

صحيح أن الأستاذ الكاتب قد أحاط هذا التغيير بكثير من القيود ، ولكنه ، مع كل هذا ، قد اقتحم الحرم المقدس ، وجار عن القصد ، وأجاز لنفسه ما لم يجزه أحد غيره ، وسلك طريقاً مسدوداً لم يسبقه فيه سابقٌ يعتدُّ به ، والأمل ألا يقتدي به مقتد يتبع خطاه ويقتفي آثاره .

لقد انتهى السلف بعد الدراسة والتجربة إلى رأي مضوا عليه جميعاً ، يلخصه لك القاضي عياض في بابٍ كسره علىهذا الأمر في كتابه الإلماع ، وهو باب في إصلاح الخطأ وتقويم اللحن والاختلاف في ذلك (الالماع : ١٨٣ ـ ١٨٨) ، يعرض لك فيه آراء المتقدمين ليخلص منها إلى القول : « الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ نقلُ الرواية كما وصلت إليهم وسمعوها ، ولا يغيرونها في كتبهم حتى أطردوا ذلك في كلماتٍ من القرآن استمرت الرواية في الكتب عليها بخلاف التلاوة المجمع عليها ، ولم يجئ في الشاذ من ذلك في الموطأ والصحيحين وغيرها حماية للباب . لكن أهل المعرفة منهم ينبهون على خطئها عند السماع والقراءة وفي حواشي الكتب ، ويقرؤون ما في الأصول على ما بلغهم » (الالماع :

١٨٥ ـ ١٨٦) ، ثم يعلل القاضي عياض أسباب هذا الحرص الذي انتهى اليه أكثر الأشياخ في التمسك بنقل الرواية دون إصلاح بقوله : « وحماية باب الإصلاح والتغيير أولى ، لئلا يجسر على ذلك من لايحسن ، ويتسلط عليه من لايعلم . وطريق الأشياخ أسلمُ مع التبيين ، فيذكر اللفظ عند السماع كما وقع ، وينبّه عليه ويذكر وجه صوابه : إما من جهة العربية أو النقل أو وروده كذلك في حديث آخر ، أو يقرؤه على الصواب ثم يقول : وقع عند شيخنا أو في روايتنا كذا ، أو من طريق فلان كذا ، وهو أولى لئلا يتقوّل على النبي ﷺ ما لم يقل » (الالماع : ١٨٦ ـ ١٨٧) .

وكلمة القاضي عياض قد أوردها الأستاذ الكاتب ، وأورد معها شواهد أخرى لها ومؤيّدات ، ومن هنا كان عجبي لخروجه على هذه النصوص وأمثالها من أقوال القدماء أشدّ ، ودهشتي أكبر ، لأن كلَّ ما أتى به بعد ذلك من أدلة لينصر رأيه في الخروج على الإجماع وماتفق عليه جمهرة العلماء لاتعضد ماذهب اليه من هذا الذي أعدُّه تقحماً في الخطأ . واليك البيان :

ـ إن نص القاضي عياض الذي ساقه الكاتب (المقطع ط من الفقرة الخامسة) لاأراه يؤدي كل ماأراده منه . إن ماسبق هذا النص من كلام القاضي وماتلاه من التحدث عن حماية باب الاصلاح والتغيير ومن ذكر طريقة أبي علي بن السكن البغدادي في انتقائه روايته لصحيح البخاري ، وأن اكثر ما أنكره الخطابي على المحدّثين له وجوه صحيحة في العربية ، وأن كثيرين من العلماء والرواة كانوا يأبون تغيير اللحن ، كل هذا يجعل النص محدود الدلالة ، ثم هو لايمثل رأي القاضي عياض وأكثر الأشياخ ، وانما يبين أحسن طرق الاصلاح والتغيير لمن يرى ذلك ، وهو أمر قد تنكبه المحققون من بعدُ وجانبوه ، ملتزمين طريقة القاضي وأكثر الأشياخ في عدم التغيير ، والتي استقر عليها العمل الى يوم الناس هذا .

ـ أما ما جاء به الكاتب (في المقطع ي من الفقرة الخامسة) فهو جمع بين أمرين لا يُجمع بينهما :

أولهما : إباحة تغيير النص لوضوح خطئه (ومثّل له الكاتب الفاضل بما وقع فيه ابن منظور في ملخص تاريخ مدينة دمشق) ، ومثل هذه الإباحة أمرٌ يخالف إجماع المحققين الذين التزموا بإيراد النص كما جاء ، ثم التضبيب عليه مكتفين بذلك ، أو منبهين إلى صوابه في حاشية الكتاب . ولقد احتفل المحققون من القدماء لهذه الحواشي ، فكانوا يتناقلونها في نسخهم ، ولم يحاول واحدٌ منهم تغيير النص ، أو دمج هذه الحواشي بالنص ، توفيةً لحق الأمانة ، لا نستثني من ذلك إلا الناسخ الجاهل الغِرّ ، لا يعرف ما يأتي وما يدع ، ومن هنا جاءت إشادةُ الأقدمين بهذه التعليقات يرفعون من قدرها ويعلون من شأنها ، يرونها أثمن من اللآلي في آذان الحسان ونحورهن .

وعلينا اليوم ، ونحن ننهض بإحياء آثار السلف أن نلزم طريقتهم المثلى ونهجهم القاصد ، فنسوق النص كما جاء بلحنه وخطئه لنعلق عليه في الحاشية بما نراه ونرجحه ، ولعل ما بدا لنا خطأً ولحناً له وجه لا ندركه ، يتبينه محقق آخر . ولديَّ شواهد وشواهد لا تُحصى عدداً ، جرؤ فيها محققون كبار على تخطئة رواية المؤلفين ، ثم بدا أنهم هم الواهمون ، فسبحان الذي تفرد بالحق والصواب .

والأمر الثاني : هو ما اختاره علماء السلف من إضافة لسقطٍ جاء في النص ، مع بيان هذه الإضافة والتنبيه عليها ، كما فعل الخطيب البغدادي حين أضاف : (تعني عن عائشة) ، وهو أمرٌ نحبّذه ، بل نسطر كلمتنا من أجل الدعوة إليه والالتزام به . إن كل ما نرمي إليه من وراء هذا التعليق هو ألا يقدم أحد على تغيير النص مهما تكن أسبابه ، ولكن له

الحق كل الحق أن يعلّق عليه . وقد يكون هذا التعليق محله في حاشية الصفحة أو في ختام المقال ، وقد يكون محله بين حاصرتين في النص ، فالأمران سيّان . اننا لانبحث هنا موضع التعليق وأين يكون ، وإنما نبحث عدم جواز التغيير ، وإباحة التعليق عليه بما يشاء المحقق ، وهو هو ما فعله الإمام الخطيب البغدادي فقد أضاف إضافته إلى النص ، ودلنا عليها دلالة لا تحتمل اللبس ولا الخطأ ولا الخلط ، ولكنه لم يغير ولم يبدل في النص شيئا . رحم الله الإمام الخطيب ، فما أدقَّ ما فعل ، إنه الحاذق الطبُّ المقدم في صناعة التحقيق وأمانة الرواية ، وإننا لنرجو أن نمضي على هديه ، ونقتفي خطاه .

- ونادى الكاتب الفاضل باصلاح اللحن الفاحش (المقطع يب من الفقرة الخامسة) ، وهو أمر أرى فيه انتقاصاً للتحقيق بالغا . أليس من مهمات التحقيق أن ينقل إلينا الصورة الأمينة لما وضعه المؤلف ؟ أليس مثل هذا اللحن يقع فيه مؤلف أو راوٍ يدلنا على مبلغ علمه بالعربية وتمكنه منها ؟ وهل واجبنا في التحقيق أن نعلّم القدماء العربية وأساليب الفصاحة والبيان إن لم يكونوا قد جوّدوها أم أن نتلقى ماقالوا ، ونتقبل ما جاءوا به كما وضعوه ، لا نغير فيه شيئاً ، ثم نتناوله بالدرس من جوانب عدة ، يُعنى كل باحث حفيّ بما يخصه ويعنيه . ولعل مما يعنينا في الدراسة أن نعرف من كان يلحن من المؤلفين والعلماء والرواة وأسباب لحنهم ودوافعه . ومثل هذا البحث هام وأساسي ، ويضيعه علينا أن نتصدى نحن لإصلاح أخطائهم ، نرى لهم من العصمة مالا يرونه لأنفسهم ونحميهم ان يقولوا ما يخالف العربية وقواعدها وأصولها . رحم الله النضر بن شميل ، سمع المأمون يخطئ في روايته عن هشيم : « سداد من

عوز » ، فرواها لـه على الصـواب من طريـق آخر ، ثم قـال : كان هشيم لحانة فاتبع امير المؤمنين لفظه .

ثم نمضي أبعد من ذلك لنقول : أي لحن أو خطأ في العربية في رواية رجز عبد الله بن رواحة مختل الوزن ؟ هل كان الوزن أمراً واجباً يلتزمه الجميع ، لا يخلّون به ولا يخرجون عليه . إن في الروايات القليلة المتنـاثرة في بطون الكتب أشعاراً لم يتقيد أصحابها بالأوزان المعروفة المألوفـة ، من مثل بائيـة عبيـد بن الأبرص وقصيـدة مرقش وأبيـات الحمـاسي (إن شواء ونشـوة) ، وفي الروايـات ان رسـول الله ﷺ ، وهـو أفصـح من نطـق بـالضـاد ، لم يلتزم وزن الشعر حين روايتـه ، فـأي حرج على منشـدٍ أن يروي رجزاً ولا يلتزم بوزنه ؟ إن مثل هذه الروايـة ، إذا ثبتت صحتهـا ثبوتاً قاطعاً ، ثمينةٌ غالية ، نعض عليها بالنواجذ ، لأنها تهدينا إلى جديـد لا نعرفه في رواية الشعر وإنشاده .

ويحسن أن أشير هنا إلى أن قولنـا الآنف الـذكر إنمـا يتصل بـاللحن الفاحش الذي ثبتت روايته عن صاحبـه ثبوتـاً لا يحتمل الشـك ، والـذي وقع فيه المؤلف نفسه ، لا يخالجنا في ذلك أي ارتياب ، ويمتد هذا إلى مـا روي من الشعر غير مـوزون ، لا نقبـل من ذلـك إلا مـا ثبت ثبـوتـاً لاخلاف فيه . وهو الموضوع الذي تنـاولـه الكاتب الفـاضل ودار حـديثـه حوله ، أما ماتمور به بعض المخطوطات من التصحيف والتحريف والخطـأ والإخلال بالوزن مما اقترفه وجناه النساخ الجـاهلون فـذلـك أمر آخر ، إذ كان اوجب مـا يـوجبـه التحقيـق حينـذاك اصـلاح الغلـط ورده إلى الصواب .

ـ وتبقى كلمة ابن عساكر مؤلف تاريخ مدينـة دمشق ، وهي كلمـة تصور أجمل تصوير ما تنطوي عليه حنـايـا هـذا العـالم العظيم الـذي بلغ

ما بلغ في العلم والرواية ، ولكنه ظل ، على جليل ما حصل ، في تخوف من الزلل والعثار . إنه العالم حقاً يدرك أن الطاقة الانسانية محدودة مهما اتسعت ، وأن التقصير من الأوصاف البشرية ، ومن هنا فقد رجا (في مقدمة كتابه تاريخ مدينة دمشق) العلماء من خالفيه أن يصلحوا ما قد يقعون عليه في كتابه من خطأ . ومطلب ابن عساكر حق لا مرية فيه ، وطالما نهض العلماء يصححون ما قاله أسلافهم ، ويتعقبونهم فيما وهموا فيه ، ولكل عالم هفوة بل هفوات ، ولكني ما أظن احداً يجادلني في أن مطلب ابن عساكر لا يعني أن يغيروا ما كتب ، ويبدلوا ما سطّر ، وإنما هو التعليق والتعقيب على ما جرت به عادة القوم ، ومضوا عليه كابراً عن كابر ، سنة حميدة توارثوها ، لهم أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة . وهذا هذا الذي ندعو إليه وننادي به في هذا التعليق الوجيز . وكلمة ابن عساكر التي صدّر بها كتابه ، والتي تدعو العلماء ان يصححوا له ما قد يكون وقع فيه من زلل ليست الوحيدة في تراثنا ، بل نرى لها شبيهات سابقات لها ، ولاحقات ، في كتب المؤلفين ، تتضمن دعوة حارة أن يصحح العلماء ماقد يجدون في الكتاب من هفوات ، ولكنها لا تسمح بأن يعبث عابث في أصل الكتاب ومتنه ، فالتصحيح موضعه الحاشية على ما تداولوه بينهم وتعارفوه .

إن الشواهد على ما قلتُ وبينتُ آنفاً من ابتعاد القدماء عن تغيير النص مهما ظهر خطؤه ، تفوق الحصر ، لأنها سنة القوم ومذهبهم ، ولكني أجتزئ هنا بمثلٍ واحدٍ لا أجاوزه إلى سواه ، على كثرة ما بين يديَّ من شواهد وأمثلة . إنه القاموس المحيط للفيروزابادي ، وهو معجم طبقت شهرته الآفاق ، وتداوله الناس التداول الواسع حتى صارت كلمة القاموس تعني المعجم نفسه عند من لا يدققون . وأبرز ما يتميز به

المعجم الضبطَ والاتقانَ لأنه المرجع الذي يئل إليه الناس لضبط لفظة وتفسير معنى وإيضاح مشكل لغوي . وقد ندَّت للفيروزابادي ، على جليل قدره ، هفواتٌ في قاموسه ظاهرات بينات ، وهم فيها وسها ، وسبحان من جل عن السهو ، ثم نبّه العلماء الأعلام على هفواته ، فأثبتوا الصحيح في الحواشي أو في الشروح ، ولم يجرؤ واحد منهم أن يغيرّ النص على وضوح الخطأ وضوحاً لا يحتمل معه أدنى شكّ . فإذا كان هذا صنيعهم ، رحمهم الله وأثابهم ، في المعجم المشهور المتداول بين أيدي الناس ، أفليس في ذلك أبلغ معنى على شدة توقي القوم وتحاميهم أن يدنوا من الحمى المقدس ، وأن يحفظوا للنص حرمته فلا يسمح لأحد أن يغير فيه أو يبدل .

وبعد ، فهذه عجالة الراكب ، أستميح القارئ عذراً إن أوجزت فيها واختصرت ، وأنا أعرض لموضوع له ما له من الخطر والشأن ، ويتطلب المعالجة الواسعة تتعاون فيها أقلام المترسين في هذا الفن وتتضافر جهودهم ليصلوا فيه إلى مقطع الحق وكلمة الفصل . ويشفع لي في هذا الإيجاز أني كتبتُ ما كتبتُ ، وأنا بعيد عن المصادر والكتب ودور العلم ، أتنقل بين مستشفيات لندن ، وأزور عيادات أطبائها ألتمس العلاج والدواء ، والشفاءُ ينزل من السماء . ومن هنا فقد خلت كلمتي من التوثيق الذي يوجبه البحث العلمي ، ولم تحضرني شواهد العلماء في مؤلفاتهم ، ولعلي عائد إلى هذا الموضوع في قادمات أيامي ، إن شاء الله ، فمبلغ عذراً أو منجح ، أقدم ما أكسبتنيه التجربة والمعاناة ، وأشارك اخواني الأحفياء به حتى نوفيه حقه بإذن الله .

١٢ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ

لندن **الدكتور شاكر الفحام**

٢٧ كانون الأول ١٩٨٢ م

التعريف والنقد
الفراسة عند العرب

القسم الثالث

عبد الكريم زهور عدي

الفراسة عند الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤)

من أخبار فراسة إياس بن معاوية هذا الخبر[٥٦] : « .. عن إبراهيم بن مرزوق البصري : كنا عند إياس بن معاوية قبل أن يستقضي وكنا نكتب عنه الفراسة كما نكتب عن المحدث الحديث » فما الذي كانوا يكتبون ؟ قد نتبين الجواب في تتمة الخبر : « إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد ، فجعل يترصد الطريق ، فبينا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً فنظر إلى وجهه ثم رجع إلى موضعه . فقال إياس : قولوا في هذا الرجل . قالوا : ما نقول ؟ رجل طالب حاجة . فقال : هو معلم صبيان قد أبق له غلام أعور . فقام إليه بعضنا فسأله عن حاجته فقال : هو غلام لي آبق . قالوا : وماصفته ؟ قال : كذا وكذا وإحدى عينيه ذاهبة . قالوا : وماصنعتك ؟ قال : أعلم الصبيان . قلنا لإياس : كيف علمت ذلك ؟ قال : رأيته جاء فطلب موضعاً يجلس فيه فنظر إلى أرفع شيء فجلس عليه ، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك ، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين فعلمت أنه معلم صبيان . فقلنا : كيف علمت أنه أبق له غلام ؟ قال : إني رأيته يترصد الطريق ينظر في وجوه الناس . قلنا : كيف علمت أنه أعور ؟

قال : بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلاً قد ذهبت إحدى عينيه فعلمت أنه شبهه بغلامه . » فالذي كانوا يكتبونه ، كما يبدو من هذا الخبر ، حكايات أو مشاهدات عن فراسات صادقة مصحوبة بكشف عن الأسباب أو بالأحرى الملاحظات التي ترتب عليها صدق الفراسة ، أو هو بتعبير آخر تعليم بالأمثلة والنماذج والأسوة . ولكن الأهم من ذلك كله **أن الفراسة كانت تكتب في أواخر القرن الأول** ، أي قبل نقل الكتب اليونانية فيها بزمان غير قصير ، إذ أن إياساً استقضي في خلافة عمر بن عبد العزيز وعمر توفي سنة ١٠١ .

وروى عبدالله بن الزبير الحميدي القرشي عن الشافعي أنه قال(٥٧) : « خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها » . وإذن قد **كان في الفراسة كتب في الربع الثالث من القرن الثاني** . فماذا كانت هذه الكتب ؟ هل كانت مجرد أخبار عن الفراسة والمتفرسين مشروحة ومعللة أو غير مشروحة ولا معللة ؟ إن الحادثة التي حكاها الشافعي بعد قوله هذا مباشرة تنفي ذلك . قال : « ثم لما كان انصرافي مررت في طريقي برجل محتب بفناء داره أزرق العين ناتئ الجبهة سناط . فقلت له : هل من منزل ؟ قال : نعم . قال الشافعي : وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة . فأنزلني ، فرأيت أكرم رجل : بعث إلي بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف . وجعلت أتقلب الليل أجمع : ما أصنع بهذه الكتب ؟ فلما أصبحت قلت للغلام : أسرج فأسرج . فركبت ومررت عليه وقلت له : إذا قدمت مكة ومررت بذي طُوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي . فقال لي الرجل : أمولى لأبيك أنا ؟ قلت : لا . قال : فهل كانت لك نعمة عندي ؟ قلت : لا .

قال : فأين ما تكلفت لك البارحة ؟ قلت : وما هو ؟ قال : اشتريت لك طعاماً بدرهمين وأدماً بكذا وعطراً بثلاثة دراهم وعلفاً لدابتك بدرهمين وكراء الفراش واللحاف بدرهمين . قلت : ياغلام أعطه . فهل بقي من شيء ؟ قال كراء المنزل فإني وسعت عليك وضيقت على نفسي . فغبطت نفسي بتلك الكتب . فقلت له بعد ذلك : هل بقي من شيء ؟ قال : امض أخزاك الله ، فما رأيت قط شراً منك » . فهذه الكتب لم تكن إذن تنطوي على أخبار عن فراسة المتفرسين فقط ، ولكنها تنطوي أيضاً على قواعد في الفراسة تربط ملامح بدنية محددة بطبائع وأخلاق محددة . فالاستقبال الحسن الذي لقي الشافعي به « الرجل الأزرق العين الناتئ الجبهة السناط ، وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة » ، أسهر ليله بما أثار في نفسه من شكوك في صحة هذه القواعد ، فلما أسفر الصباح عن حقيقة الرجل تأكدت لديه قواعد الفراسة و « غبطت نفسي بتلك الكتب » .

والشافعي ، كما صوره الرواة ومصنفو كتب التراجم والمناقب ، رجل حاد الذكاء قوي العقل محب للمعرفة والعلم . قال[٥٨] : « ما تُقُرب إلى الله بشيء بعد أداء الفرائض أفضل من طلب العلم » :

خرج إلى هذيل يأخذ عنها اللغة حتى امتلك ناصيتها . قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٥٩] : « الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة » . وأحاط علماً بعادات العرب وعلومهم الموروثة : الأنساب والأيام والشعر والأنواء والقيافة والزجر الخ ... قال الأصمعي[٦٠] : « صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له محمد بن إدريس الشافعي » .

وقعد في حلقات المسجد الحرام يأخذ الحديث والفقه والقراءات عن

علماء مكة سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي وآخرين . وقصد مالك بن أنس فقرأ عليه « الموطأ » واستمع إلى فتاواه . ورحل إلى اليمن في طلب كتب الفراسة . وانفق ستين ديناراً على كتب محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة . بل إن الرواة ليعزون إليه العلم بأحكام النجوم وطب يونان والهند وفارس[٦١] .

والذي يهمنا في هذا البحث تلك العلوم القريبة من الفراسة ثم ألحقت من بعد بها مثل القيافة والريافة ... أو بقيت إلى جوارها مثل الزجر والأنواء وتفسير الأحلام . ولقد كان للشافعي ممارسة في بعضها وعلم ببعضها :

قال الربيع بن سليمان : « كان لي أخ يقال له وكيع . وكنت يوماً عند الشافعي فرآه من بعيد ، فقال : ياربيع هذا أخوك ؟ قلت : نعم ،قال : ممن أنت ؟ قلت : من مراد ... »

وسئل الشافعي عن قول النبي ﷺ : « أقروا الطير على مَكِناتها » فقال[٦٢] : « إن علم العرب كان في زجر الطير والبوارح والخط والاعتياف . فكان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طائر يراه فإن سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه قال : هذا طير الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه مستنجحها ، وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال : هذا طير الأشائم فرجع وقال : هذه حاجة مشئومة ... وكانت العرب في الجاهلية إذا لم ير طائراً سانحاً فرأى طائراً في وكره حركه من وكره ليطير فينظر : أيسلك طريق الأشائم أو طريق الأيامن . فيشبه قول النبي ﷺ « أقروا الطير على مكناتها » أي : لاتحركوها فإن تحريكها وماتعملونه من الطيرة لايصنع شيئاً إنما يصنع فيما توجهون به

قضاء الله تعالى ... » ويروى أن اسحاق بن راهويه قال لأحمد بن حنبل حين سمع هذا التفسير (وكان أحمد يفسر الحديث : دعوا الطير في ظلمة الليل في أوكارها) : يا أبا عبد الله لو لم نرحل من العراق إلى الحجاز إلا في تفسير هذا الحديث لكانت لنا غنيمة ويروى عن محمد بن المهاجر قوله : فسألت الأصمعي عن تفسيره فذكر بنحو من قول الشافعي ، فسألت عنه وكيع بن الجراح فقال : إنما هو عندنا على صيد الليل ، فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه وقال : ماظنناه إلا على صيد الليل .

ولكن الشافعي ، على مايبدو لي ، لم يخلط بين هذه العلوم ، إلا القيافة ، وبين علم الفراسة الحق ، أي بالمعنى الضيق للكلمة . فكل ماروي عنه من أقوال وأفعال يدخل في حدود هذا المعنى :

فأقواله قواعد فراسية تربط بين ملامح وسمات جسدية أو نقص جسدي وبين صفات في الطباع والأخلاق . قال : « احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج . وكل من به عاهة في بدنه وكل ناقص الخلق فاحذره ، فإنه صاحب التواء ومعاملته عسرة » . وعلق عليه الفخر الرازي بقوله[٦٣] : « واعلم أن هذا الذي ذكره أمر عظيم في علم الفراسة ، وذلك لأن حاصل هذا العلم يرجع إلى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن . ووجه الاستدلال به : لأن الأحوال الدنية تابعة لكيفية المزاج . والأخلاق الباطنة والصور الظاهرة كلاهما معلولا علة واحدة وهي المزاج . فنقصان الظاهر يدل على نقصان المزاج ونقصان المزاج يوجب نقصان الباطن . فظهر أن الذي قال الشافعي أصل معتبر في هذا العلم » .

أما أفعاله فتوحي أنه كان يعتمد فيها على قواعد فراسية من نحو :

ماتتركه المهنة من طوابع على صاحبها ، على أعضائه وطريقته في التحرك والسلوك والكلام ، أو من آثار عليه وعلى لباسه . قال الربيع بن سليمان : « كنا عند الشافعي إذ مر رجل فقال الشافعي : لايخلو هذا الرجل من أن يكون حائكاً أو نجاراً . قال : فدعوناه فقلنا : ماصنعتك ؟ فقال : نجار ، فقلنا : وغير ذلك ؟ فقال : عندي غلمان يعملون ، يعني في الحياكة » . وقال الشافعي[٦٤] : « إذا رأيت الكاتب دواته على يساره فليس بكاتب ، وإذا رأيت دواته على يمينه وقلمه على أذنه فذاك كاتب » .

أو مايشترك به أهل البلد الواحد من عادات في اللهجة واللباس والأسلوب في التعامل والسيرة . قال الربيع بن سليمان : « سمعت الشافعي وقدم عليه رجل من صنعاء ، فلما رآه قال : أنت من أهل صنعاء ؟ قال : نعم ، قال : فحداد أنت ؟ قال : نعم » . ويؤكد أن الشافعي يعتمد على قاعدة في تمييزه بلد الرجل يلقاه قوله[٦٥] : « مادخل قوم بلد قوم إلا أخذ كل واحد من سنة صاحبه ، حتى إن العراقي ليأخذ من سنة الشامي والشامي من سنة العراقي » . وعلى سنة البلد كان الشافعي يعتمد في تمييزه أهله من سواهم .

وقد فطن الشافعي إلى أن الخطأ والنسيان والسهو ربما كانت تعبيراً عن شهوة قد لايعترف بها صاحبها حتى لنفسه أو دافع يضطرب في أعماق النفس . قال الربيع بن سليمان[٦٦] : « دفع إلي الشافعي دراهم لأشتري له حملاً وأمرني أن أشويه . قال : فنسيت واشتريت سمكتين وشويتهما ، فأتيته بها ، فنظر فقال : ياربيع اليوم نأكل شهوتك وغداً تأكل شهوتنا » .

ولكن قواعد الفراسة لا تنطبق وتؤتي نتائجها تلقائياً ، فهي كما في كل العلوم الإنسانية ترجيحية تقوم على الاحتمال الأكبر . والشافعي ، على مايظهر ، كان على وعي بهذه الصفة للقواعد الفراسية ، وأنها ليست مؤكدة الصحة في حالة فردية معينة ، إذ هي دائماً تحتمل الشذوذ . قال الشافعي[٦٧] : « مارأيت صوفياً عاقلاً قط إلا مسلم الخواص » . وقال[٦٨] : « ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن . قيل له : ولِمَ ؟ قال لأن العاقل لايخلو من إحدى خلتين : إما أن يغتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه ، والشحم مع الغم لاينعقد ... »

كما أن الإنسان قد تتنازعه قواعد فراسية متضاربة فلا يُدرى أيها الغالب وأيها المغلوب ، وهنا تظهر زكانة المتفرس الذي يعتمد على مظهر ما أو قول ما أو سلوك ما لترجيح غلبة قاعدة على قاعدة . وقد أوتي الشافعي من الزكانة حظاً كبيراً ، وكان يعرفها في نفسه ، فقال على طريقة الشعراء مفتخراً[٦٩] :

إذا المشكلات تصدَّينَ لي كشفتُ حقائقها بالنظرْ
وإن برقت في مخيل السحاب عمياء لاتجتليها الفِكَرْ
مقنعةً بغيوب الغُيوم وضعتُ عليها حسامَ البصر
ولست بإمَّعةٍ في الرجال أسائل هذا وذا ماالخبر
ولكنني مِدْرَهُ الأصغرَيْنِ أقيس بما قد مضى ماغبر

وهناك حالات خاصة لا يلجأ المتفرس فيها إلى قاعدة ، بل هي الزكانة وحدها تحيط سريعاً بالملابسات والمناسبات وتلتقط ظواهر من السلوك أو الكلام هينة لا تكاد تلحظ لتعرف الشخص أو تقدير الموقف أو الكشف عن خبايا الأنفس :

أخبر أحمد بن أبي الحسين المزكي قال[٧٠] : « كان الشافعي يفتي في الجامع ببغداد فجاء عمرو بن بحر الجاحظ فسأله فقال : ياأبا عبد الله ما تقول في رجل خصى ديكاً ؟

فقال الشافعي : أرأيته ؟ وأراك أبا عثمان ؟ » .

وقال الربيع بن سليمان[٧١] : « حضرت مجلس الشافعي فجاءه غلام كأنه غصن بان فناوله رقعة ، فضحك الشافعي لما أجابه عنها وضحك الغلام كذلك لما تناول الرقعة. فتعجبت منه فتبعته فأقسمت عليه أن يرينيها ، فأرانيها فإذا سطران مكتوبان في السطر الأول :

سل المفتي المكي هل في تزاور وقبلة مشتاق الفؤاد جناح

فأجاب الشافعي في السطر الثاني :

أقول : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا ، فقال لي : يا أبا محمد ، هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر ، يعني شهر رمضان ، وهو حدث السن ، فسأل : هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء ؟ فأفتيته بهذا . قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله ، فذكر لي مثلما قال الشافعي . قال : فما رأيت فراسة أحسن منها » .

بل بلغ الشافعي في الفراسة مرتبة التنبؤ بالمصاير ، فقد تنبأ لأربعة من كبار تلاميذه بما سيصيرون إليه فصدقت نبوءته :

قال الربيع[٧٢] : « دخلنا على الشافعي عند وفاته أنا والبويطي

والمزني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم . قال : فنظر إلينا الشافعي ساعة فأطال ، ثم التفت إلينا فقال : أما أنت يا أبا يعقوب فتموت في حديدك ، وأما أنت يامزني فستكون لك بمصر هنات وهنات ولتدركن زماناً تكون أقيس أهل ذلك الزمان . وأما أنت يامحمد فسترجع إلى مذهب أبيك (مذهب مالك) . وأما أنت ياربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب . قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة . قال الربيع : فكان كما قال » .

فهل نقول في الشافعي ماقاله يوسف مراد[٧٣] : « ... إلا أن هذا الحدس هو أقرب إلى فراسة الصوفية منه إلى علم الفراسة » ، وقال : « إنه من المحتمل جداً أن الشافعي قد أضاف إلى موهبته في التنبؤ الصوفي التي ترجع إلى سمو منزلته روحياً علمه بالفراسة ونسخه لكتب الفراسة » ؟ إن حياة الشافعي الروحية كانت بالتأكيد غنية وعميقة ولكنه لم يكن صوفياً ، وهو القائل :[٧٤] « لو أن رجلاً تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمق » . فالشافعي كان من يقظة العقل وقوة المنطق والحس الحي الحار بالواقع ما حال بينه وبين الغيبوبة الصوفية . كان ملهماً ولكن على « الطريقة العمرية » ، أي إن إلهاماته كانت عقلية لها دائماً مقدماتها ودواعيها العقلية والواقعية . وما كان تنبؤه بمصاير تلاميذه من باب الرجم بالغيب ولكنه توقع عقلي قائم على معرفة مؤكدة بطباع هؤلاء التلاميذ وأخلاقهم وبنيانهم النفسي الداخلي .

والحادثة الثانية التي قد يُرى أنها من التنبؤ بالغيب ما هو وارد في هذه الرواية[٧٥] : « قال حرملة : فلما وقع في (مرض) الموت خرجنا من عنده ، فقلت لأبي : كل فراسة للشافعي وجدناها إلا قوله : يقتلني

أشقر ، وهاهو في السياق . فرأينا عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمر ، فقلنا : إلى أين ؟ قالا : إلى الشافعي . فما بلغنا المنزل حتى أدركتنا الصوائح . قلنا : مالكم ؟ قالوا : مات الشافعي رحمه الله . فقال : من غمّضه ؟ قالوا : يوسف بن عمر . وكان أزرق العينين » . ولكنها أيضاً ليست من التنبؤ في شيء . فالشافعي على مايظهر قد لقي في حياته أذى كثيراً من أناس شقر زرق العيون ، وذكرنا من قبل نبأ « الأزرق العين الناتئ الجبهة السناط » ، حتى قال[٧٦] : « ماجاءني خير قط من أشقر » . وأصبح يتطير بمن كانت هذه صفته ، وقد وردت أخبار عن تشاؤمه بهؤلاء : ردّ مرة طيباً لأنه ابتيع من أشقر كوسج وعزف أخرى عن أكل عنب أبيض كان يشتهيه ، حتى قرّ في روعه أن هلاكه سيكون على يد واحد من هؤلاء فقال : « ليس يقتلني إلا الأشقر » . فأخذ من حوله ، وهو في السياق ، يترصدون صدق هذه النبوءة ، فأوقعت المصادفة المسكين يوسف بن عمر الذي لم يفعل بالشافعي الميت إلا الخير حين غمض له عينيه .

وهنا تواجهنا هذه المسألة : هل كانت للشافعي كتابات في الفراسة ؟

يذكر له بروكلمان[٧٧] كتاباً في علم القيافة ثم يتساءل : « هل هو صحيح النسبة إليه ؟ » ويتبعه يوسف مراد فيقول[٧٨] : « ... ولكن مكتبة المدرسة الإسلامية في الجامع الكبير في الموصل فيها مخطوط عن الفراسة منسوب للشافعي : كتاب في علم القيافة ... ومن المحتمل أن هذا الكتاب ليس من تأليف الشافعي ، وأن أحد تلاميذه قد جمع أقواله ... » والرأيان كلاهما قائمان على الظن . وكان مستند الدكتور مراد فهرست

ابن النديم[٧٩] إذ لم يذكر فيه للشافعي هذا الكتاب (وذكر له ١٠٩ كتب) ، وكذلك ابن حجر[٨٠] لم يذكره له بين الكتب التي نقل أسماءها عن البيهقي[٨١] (ذكر له البيهقي ١٣ كتاباً تجمع الأصول وتدل على الفروع و ١٢٨ كتاب في الفروع وهي التي تعرف بالأم ، ثم ذكر له ستة عشر كتاباً روى منها عنه الربيع عشرة ، ثم ذكر كتاب السنن ويشتمل على هذه الكتب وفيه زيادات كثيرة ... ويقول أخيراً : ثم له في سائر أنواع العلوم حظ وافر) . ولم يلتفتا ـ بروكلمان ومراد ـ إلى ماورد في كتاب « علم الفراسة لأجل السياسة » لشيخ الربوة محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي من نقول عن الشافعي ، على الرغم من اطلاعهما عليه .

والمرجح عندي أن شيخ الربوة كان يرجع ، وهو يصنف كتابه ، إلى كتب « للحكماء السبعة » ، الذين ذكرهم في مقدمة كتابه ،ينقل عنها الأقوال ويرتبها : أفليمون (بوليمون) : كتاب الفراسة ـ ارسطو : كتاب سر الأسرار ـ أبو بكر الرازي : كتاب المنصوري ـ فخر الدين الرازي : كتاب الفراسة ـ ابن عربي : الفتوحات والتدبيرات .. ـ إيلاوس (ميلامبوس) : كتاب الخيلان والشامات . وما أظن أن الشافعي كان بينهم حالة شاذة بل الأرجح أن قد كان له هو أيضاً كتاب بين يدي شيخ الربوة . ويؤكد هذا الاستنتاج أن صاحب « كشف الظنون »[٨٢] يذكر للشافعي كتاباً عنوانه « التنقيح في علم القيافة » ، وكذلك البغدادي في « هدية العارفين »[٨٣] ، وغير بعيد أن تكون مخطوطة الموصل نسخة من هذا الكتاب .

فإذا رجعنا إلى كتاب شيخ الربوة[٨٤] نجد أنه نقل عن الشافعي أربعة وستين قولاً أو قاعدة فراسية . فلننظر أولاً : هل يتفق مانقله عنه

الرواة من أقوال وأفعال مع مانقله عنه الشيخ ؟ إن مانقله عنه الرواة قليل ، ولكن لنتذكر موقفه ورأيه في الأشقر الأزرق العين الناتئ الجبهة ولنقارنه بما جاء فيمن يتصف بهذه الصفات في كتاب شيخ الربوة نقلاً عنه قال : « الجبهة الناتئة في وسطها تدل على الحرص والشح » . وقال : « الجبهة الناتئة المعقدة دليل الخيانة والغش » . وقال : « العين البراقة الزرقاء بصفرة زرنيخية والخضراء كالفيروزج وفيها مع ذلك نقط حمر كالدم أو بيض شبيهة بالمسامير دليل الخيانة والشر والسوء » .

ولننظر ثانياً في كتاب الشيخ كشفاً عن مدى اتفاق أقوال الشافعي مع أقوال صحبه الحكماء الخمسة واختلافها : استقل الشافعي بخمسة وأربعين قولاً من أربعة وستين ، واتفق مع بوليمون في قول واحد ومع أرسطو في قولين ومع أبي بكر الرازي في قولين ومع ابن عربي في ستة أقوال ومع فخر الدين الرازي في ثمانية أقوال . ومعنى ذلك أن **الكتاب المنسوب للشافعي مستقل عن الكتب اليونانية ومتقدم في وجوده على ترجمتها** إذ لو تأخر عنها لتأثر بها ولكان التشابه بينه وبينها أكبر وأكثر . فإذا صح أن « سر الأسرار » من ترجمة يوحنا بن البطريق وهذا قد مات نحو سنة ٢٠٠ ، وكان أفليمون ، وقد ذكره الجاحظ في كتاب « الحيوان » ونعته بصاحب الفراسة ، معروفاً لدى العرب في النصف الأول من القرن الثالث على الأقل ، يكون الكتاب المنسوب للشافعي قد ظهر في القرن الثاني أي في حياة الشافعي .

ولننظر ثالثاً في اسم الكتاب كما ورد في كشف الظنون « التنقيح في علم القيافة » : إن هذا الاسم وحده ينبئ أن الكتاب صنف في عهد مبكر من التاريخ الإسلامي ، حين لم يكن مصطلح « علم الفراسة » ، لا مصطلح الفراسة ، قد استقر ، ولذلك رأى فيه مصنفه أنه تنقيح أي

تهذيب لعلم القيافة ، أو بتعبير آخر هو طور من علم القيافة أعلى وأشمل كما ينبئ عن أصل علم الفراسة العربي فهو علم القيافة وقد نما واتسع .

فهل لنا الحق بعد ذلك أن نرجح :

أولاً : أن **كتاب « التنقيح في علم القيافة » أصيل النسبة إلى الشافعي** ، إن لم يكن قد كتبه هو فقد كتبه تلميذ من تلاميذه رواية عنه فهو راجع في النهاية إليه . وعلينا هنا أن نتذكر أن الشافعي تحدث عن كتب في الفراسة موجودة قبله وأنه كتبها وجمعها . ولكن مؤلفات الشافعي في الأصول والفقه طغت على هذا الكتاب فأغرقته في غمرة الإهمال والنسيان .

ثانياً : **أن علم الفراسة نشأ في الحضارة الإسلامية في أواخر القرن الثاني بالاستقلال عن التراث اليوناني وقبل ترجمة الكتب اليونانية ، وأنه استمد أصوله من علوم عربية قديمة مثل القيافة ومن تقاليد إسلامية ترجع إلى القرآن والحديث ومن ممارسات فردية ذكرنا طرفاً منها ، وكذلك من علوم قديمة وتقاليد عتيقة مستقرة في هذه المنطقة من الشرق .**

وعلينا هنا أيضاً أن نتذكر أن أفليمون طرسوسي ، وطرسوس بلد من سورية (القفطي يرجح أنه شامي) ، وأن كتاب « سر الأسرار » يقول عنه بروكلمان معتمداً على دراسات لمستشرقين آخرين(٨٥) : « كتاب لفقه أحد العرب في القرن العاشر أو الحادي عشر من مصادر مختلفة » . فالأولى أن يكون اليونان هم الذين استمدوا علم الفراسة من أمم الشرق من أن يكون العكس .

هل لنا هذا الحق ؟ قد يكون في مصورة عن مخطوطة الموصل مايفيد في الجواب .

للبحث صلة

المراجع والتعليقات

(٥٦) ابن القيم ، الطرق الحكمية ، ص٣٣

وكيع محمد بن خلف بن حيان (ـ ٣٠٦) ، أخبار القضاة ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ، عالم الكتب ، بيروت طبعة مصورة .

(٥٧) ماكتب في الشافعي كثير ، والكتب المخصصة لذكر مناقبه كثيرة . وفيما يلي بعض من الكتب التي اطلعت عليها وفيها ذكر لفراسته ، والنقول التي أهملت رجعها إلى مصدر ترجع إلى هذه الكتب في الصفحات المحددة :

١ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٢٤٠ ـ ٣٢٧) ـ آداب الشافعي ومناقبه ، ص ١٢٩ ـ ١٣٦ ـ تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، مصر ١٩٥٣ .

٢ ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ـ ٤٣٠) ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ٩ ، ص ٦٣ ـ ١٦١ لاسيا الصفحة ١٤٤ ، بيروت ١٩٦٧ طبعة مصورة .

٣ ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٧٤ ـ ٤٥٨) ـ مناقب الشافعي ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٧ ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار التراث ، مصر ١٩٧١ .

٤ ـ فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦) ـ مناقب الإمام الشافعي ، ص ٢٠٨ ـ ٢١١ ـ طبع وتصحيح أحمد بن محمد بن شيخ باعلوي ١٢٧٩ .

٥ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ـ ٧٥١) ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣ ـ بيروت ، طبعة مصورة .

٦ ـ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني (ـ ٨٥٢) ـ توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس ، ص ٦٥ و ٦٦ ـ طبعة بولاق .

(٥٨) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٥٩) ـ المرجع نفسه ، ص ٤٤ .

(٦٠) ـ المرجع نفسه ، ص ٤٤ .

(٦١) ـ ارجع إلى أجوبة الشافعي على أسئلة الخليفة هارون الرشيد لما حمل إليه من اليمن ـ البيهقي ، ج ١ ، ص ١٣١ ـ ١٣٦ .

(٦٢) ـ ابن أبي حاتم ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ .

البيهقي ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٩ .

(٦٣) ـ الفخر الرازي ، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٠ .

(٦٤) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٦٥) ـ المرجع نفسه ، ص ٢١٤ .

(٦٦) ـ المرجع نفسه ، ص ٢٣٤ .

أبو نعيم ، ج ٩ ، ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٦٧) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٦٨) ـ أبو نعيم ، ج ٩ ، ص ١٤٦ .

(٦٩) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٦١

الفخر الرازي ، ص ١٩٥ .

ابن حجر ، ص ٧١ .

(٧٠) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٧١) ـ المرجع نفسه ، ص ٩٥ .

أبو نعيم ، ج ٩ ، ص ١٥٠ .

(٧٢) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي ، فقال الحميدي : قال الشافعي ليس أحد من أصحابي أعلم من البويطي ، فغضب محمد وترك مجلس الشافعي ، وجلس البويطي في مجلس الشافعي ، ثم جلس فيه الربيع بعده .

والبويطي هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى . دعي إلى القول بخلق القرآن فامتنع فقيد وحمل في أقياده إلى العراق وحبس حتى توفي في أقياده محبوساً سنة ٢٣١ .

وأبو عبد الله محمد بن عبد الحكم حين تغيظ مما جرى في مجلس الشافعي انتقل إلى مذهب أبيه وهو مذهب مالك ، وكان قبل قدوم الشافعي ينتحله . ولكنه مع انتقاله إلى مذهب مالك كان يقول بفضل الشافعي ، وتوفي سنة ٢٦٨ .

والمزني هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى . صنف من كتب الشافعي ومما أخذه عنه « المختصر الكبير » ثم « المختصر الصغير » الذي سار في بلاد المسلمين وانتفعوا به . قال عنه البيهقي : « ... فلا أعلم كتاباً صنف في الإسلام أعظم نفعاً وأعم بركة وأكثر ثمرة من كتابه » . ومات سنة ٢٦٤ .

والربيع هو أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي المؤذن خادم الشافعي . وهو الراوي لكتب الشافعي الجديدة على الصدق والإتقان . قال البويطي : الربيع في الشافعي أثبت مني . وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول لي : ماأحبك إلي . ومات سنة ٢٧٠ .

البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ـ ٣٦٢ .

(٧٣) ـ الفراسة عند العرب ، ص ٧٤ و ٧٥ .

(٧٤) ـ البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٧٥) ـ الفخر الرازي ، ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٧٦) ـ ابن أبي حاتم ، ص ١٣١ .

(٧٧) ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٧٨) ـ الفراسة عند العرب ، ص ٧٢ .

(٧٩) ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٤ ـ طبعة طهران .

(٨٠) ـ ابن حجر ، ص ٧٨ .

(٨١) ـ البيهقي ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٧ .

(٨٢) ـ كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(٨٣) ـ هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٩ .

(٨٤) ـ رجعت إلى مخطوطتين من كتاب الأنصاري الدمشقي محفوظتين في الظاهرية بدمشق .

وفيما يلي أقوال الشافعي الموجودة في كتاب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة :

في الرأس :

١ ـ انخفاش أم الرأس حتى كأنه كرسي دليل على مخالفة الناس .

في العين :

٢ ـ ارتفاع أحد الحاجبين وانخفاض الآخر عند الكلام والنظر وعند الحركة دليل على طبيعة الشر وعلى الدناءة .

٣ ـ العين الشديدة الغور حتى كأنها في نقرة غائصة يستعاذ منه (صاحبها) ومن شره .

٤ ـ العرب يصفون الجفن بالمرض وذلك من موجبات الحسن وهو دليل على الأنوثة (يشاركه في هذا القول الفخر الرازي) .

٥ ـ العين الدائمة الطرف وسرعة التقلب في مركبها دالة على الحمق والجنون والجبن (يشاركه فيه الفخر) .

٦ ـ العين التي تتحرك كأن بها قذى دالة على شهوة النساء والشبق (يشاركه فيه الفخر) .

٧ ـ تشحيم الجفن الأعلى دال على حب العلم وفعل الخير وعلى غفلة ورقة نفس ، ودقة الجفن الأعلى دال على الفهم والاغتلام وغزارة العقل .

٨ ـ العين البراقة الزرقاء بصفرة زرنيخية والخضراء كالفيروزج وفيها مع ذلك نقط حمر كالدم أو بيض شبيهة بالمسامير دالة على الخيانة والشر والسوء (يشاركه فيه أبو بكر الرازي) .

٩ ـ العين الراكدة الرطبة العظمية وهي متحركة الجفن بخفة وجبهة صاحبها ملساء دالة على الحظ وجمع المال ومحبة العلم (ويشاركه فيه أبو بكر الرازي) .

في الجبين :

١٠ ـ عظم الجبين دليل البله وعرضه دليل قلة العقل وصغره دليل لطف الحركة واستدارته دليل الغضب بسرعة واستطالته مع التغضن وانكباب الحاجبين دليل السفه ودناءة النفس والكذب .

١١ ـ الجبهة الخشنة دليل القحة وضيقها دليل سوء الفهم .

١٢ ـ الجبهة المربعة دالة على جودة الفهم وحب العلم .

١٣ ـ الجبهة الناتئة في وسطها دالة على الحرص والشح .

١٤ ـ الجبهة العالية دليل القحة والشجاعة (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

١٥ ـ الجبهة الناتئة المعقدة دليل الخيانة والغش .

في الأذن :

١٦ ـ الشعر على الأذن دليل على جودة السمع وعلى الجهل وقلة الفهم .

١٧ ـ الأذن الكبيرة ذات الانفراش دالة على الهذر والحمق ورداءة الهمة والكذب (ويشاركه فيه ابن عربي) .

١٨ ـ صغر الأذن دال على قصر العمر .

١٩ ـ الأذن المستديرة الرقيقة الشبيهة بالرق وهي ممسوحة إلى خلف الرأس دالة على الذكاء وخفة النفس والعقل والترف (ويشاركه فيه ابن عربي) .

٢٠ ـ الشحمة الكبيرة النازلة من الأذن دالة على غلظة الطبع وعلى الخيانة . (ويشاركه فيه أرسطو) .

في الأنف :

٢١ ـ غلظ الأرنبة وامتلاء طرفها دليل العي وقلة الفهم وكثرة المزاح .

٢٢ ـ طول الأنف ودقة أرنبته دليل الطيش والحمق وسرعة الغضب .

٢٣ ـ عرض الأنف بمجموعه دليل حب الأذى والفساد .

٢٤ ـ الأنف المقوس القصبة إلى الأرنبة يسيراً دليل النفش والطيش .

٢٥ ـ انتفاخ القصبة من غير علة دليل حب الجور والعبث بالناس .

٢٦ ـ انتفاخ المنخرين وسعتها دليل معالجة التقحم .

٢٧ ـ تقنطر الأنف حتى كأنه ثلث دائرة دليل الكذب وإظهار غير مافي النفس .

٢٨ ـ حسن الأنف وسبوطته دال على حب النساء والشبق .

٢٩ ـ الأنف الرقيق رأس الأرنبة مع تقوس القصبة وظهور تخاطيط منخرية دليل الاحتياج إلى الناس .

في الفم :

٣٠ ـ غلظ الشفتين دليل الحمق وغلاظة الطبع (ويشاركه فيه بوليمون) .

٣١ ـ الفم المتقدم البارز كالزلوم دليل الشره والبله وكثرة الكلام .

٣٢ ـ استقامة الفم مع صغره يكون (صاحبه) مغتالاً سفاكاً للدماء .

في الأسنان :

٣٣ ـ الأسنان الشبيهة بأسنان الكلب وسيا الأنياب دليل الغدر والحسد .

٣٤ ـ (الأسنان) الكبار المفلجة المختلفة دالة على الطبع الردي .

٣٥ ـ الثقيل الأسنان الغليظ الشفتين دليل على الاغتلام وسوء الهمة والخلق .

في اللحية :

٣٦ ـ (اللحية) المتفرقة فرقتين دالة على الكذب والغدر (ويشاركه فيه ابن عربي) .

٣٧ ـ اللحية الخفيفة جداً بتفريد له (للشعر) وسبوطة دالة على حب الدهان والنقش والشعبذة والكتابة .

٣٨ ـ اللحية التي تشبه في نباتها لحى التيوس دالة على الشبق وحب المال .

٣٩ ـ اللحية المرسلة الجعدة الشعر التي دون الكثة دليل الفطنة والإقدام والعبث بالناس .

في الوجه :

٤٠ ـ الوجه الناتئ الوجنتين مع غلظ الشفتين دليل محبة الفساد والعبث .

٤١ ـ الوجه المحدب كأنما هو سدس دائرة دليل التهور وسوء الفهم .

٤٢ ـ الوجه المنصف يمنة ويسرة خد ولحي أوسع وأكبر من خد ولحي دليل اضطراب العقل .

في العنق :

٤٣ ـ العنق الطويل الدقيق دال على الجبن وضعف النفس ورقة القلب ، (ويشاركه فيه ابن عربي) .

٤٤ ـ العنق الطويل المائل يسرة أو يمنة مع الحركة دال على قلة ثبات ونقص عقل وخور .

٤٥ ـ نتق الحنجرة دليل البخل والجهل (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٤٦ ـ العنق المسترخي دليل حسن الصوت وسوء الفهم والجبن .

في الكتف :

٤٧ ـ انهدال الكتفين وامتلاؤهما باللحم دليل جودة الطبع وحسن الخلق .

٤٨ ـ قوة عضلة الكتفين دلالة قوة النفس والنشاط (ويشاركه فيه ابن عربي) .

في الظهر :

٤٩ ـ من كان واسع مابين المنكبين فهو فطن نشيط (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٥٠ ـ من كان بارز المتنين مهري الوسط والسلسلة خفيفة والفقرات من غير سمن ولا عبالة ظاهرة يكون قوي الحس نشيطاً نكاحاً (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٥١ ـ من كان أحنى الظهر طويله بارز الفقرات من غير هزال إن كان عنقه مع ذلك قصيراً فهو عابث خبيث النية (ويشاركه فيه ابن عربي) .

في الكف والأصابع :

٥٢ ـ الكف الرقيق الصغير مع قصر الأصابع دليل على سوء الأخلاق وعلى السرقة

وسوء الفهم (ويشاركه فيه أرسطو) .

٥٣ ـ الأصابع الطوال في الكف اللين الحسن دال على جودة الفهم والطبع .

٥٤ ـ الأصابع المحددة الرؤوس الغلاظ المنابت، دالة على سوء الفهم والنهم .

٥٥ ـ الكف الصغير والقصير ذو الأصابع الطوال الرقاق دال على الرقة والخيانة .

في البطن :

٥٦ ـ البطن الصغير المستدير الشكل دال على جودة الفهم (ويشاركه فيه الفخر الرازي) .

٥٧ ـ البطن المتسع الطويل دال على النهم والجهل .

في الورك :

٥٨ ـ الإلية الناتئة مع الالتصاق بالأخرى دالة على التأنيث والركة .

٥٩ ـ الورك ذو اللحم الساتر عصبه وعضله من غير عبالة البدن دال على صحة المزاج والشبق سيا المشعر يسيراً .

في القامة :

٦٠ ـ الطويل القامة جداً مع قلة نبات عارضيه بالشعر خفيف العقل رواغ .

في المشية :

٦١ ـ الهاز عطفيه في مشيته بسرعة دليل سوء الهمة والعجلة في الأمور .

٦٢ ـ المحرك إحدى يديه دون الأخرى إذا مشى دليل التكبر والغفلة والشجاعة .

في الصوت :

٦٣ ـ الصوت العالي جداً مع عبالة البدن دال على قوة الشهوة والقدرة على النكاح .

في الضحك :

٦٤ ـ من كان إذا ضحك أخذه الربو فهو جاهل متكبر .

(٨٥) ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

نظرات في كتاب التعليقات والنوادر

الجزء الثاني (٣٩٢ صفحة)

المؤلف : أبو علي هارون بن زكريا الهجري

المحقق : الدكتور حمود عبد الأمير حمادي

طبع جامعة الموصل ١٩٨١

الأستاذ صبحي البصام

احتوى كتاب التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري على فوائد في نوادر اللغة وغريبها ، وفرائد في مواطن العرب وأنسابهم ، وضم أشعاراً فصيحة عليها زي البداوة ، وأبرز طائفتين من النساء ، احداهما تعمل الشعر ، والأخرى ترويه . وكثير مما في هذا الكتاب يندر العثور عليه فيما بين أيدينا من كتب . وقد أحسن الدكتور الفاضل حمود عبد الأمير حين صحّ عزمه على أن يقوم بتحقيقه ونشره ، ولكنه ، كما قال في المقدمة ، اضطر الى أن يقصر تحقيقه على نسختين منه بدار الكتب المصرية ، احداهما منسوخة عن الأخرى ، وفيهما مافيهما من نقص وخرم . وكنت قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب فوجدت فيه كثيراً مما يحسن التنبيه عليه ، فلما رأيت غير واحد من فضلاء الأدباء قد نشر ماعنده فيه صرفت النية عن النشر . ثم قرأت الجزء الثاني من الكتاب فرأيت أن أنبّه هاهنا على مالفت نظري فيه ، متجنباً الإطناب المملّ ، آخذاً بالاختصار الذي لايخل :

١ ـ في (ص ٦) قال الهجري «وأذلفت الفرسُ : اذا طرحت ولدها ولم يبلغ مدى الحمل ، وقد تم خلقه ، ولم يتم ، إلاّ أنه لم يتمّ حمله » . وليس في كتب اللغة (أذلف) بالذال المنقوطة والفاء بهذا المعنى ولا قريب منه ، وإنما هو تصحيف (أزلقت) بالزاي والقاف . قال البكري في لآليه (السمط ١٠٣/١) : « ويقال : أسقطت المرأة ، وأجهضت الناقة ، وأزلقت الرمكة ، وسبطت النعجة » وقول الهجري : (ولم يتم) بعد (خلقه) كأنه ليس من كلامه لزيادته .

٢ ـ وفي (ص ٧) قال بعضهم وقد باع ناقته واسمها عجلى ، فحنّت فشاقه حنينها :

لقد راعني رضيع عجلى ودونها من الدرب بابٌ موثق وسقائفُ

و « رضيع » لايقوم بها وزن ولامعنى ، وأجدها تصحيف « ترجيع » يقال رجّعت الناقة في حنينها أي قطّعته . يدلّ على ذلك البيت بعده :

فحنّي فقد أصبحتِ في دار غربة .. الى آخره .

٣ ـ وفي (ص ١٧) لبعضهم :

وكان أخا العزّاء فيما ينوبنا على حين اخوانِ الثقات قليلُ

وكسر النون من « إخوانِ » وكأنه مضاف اليه ، وحقه الضم لأنه مبتدأ ، والجملة « اخوانُ الثقات قليلُ » في محل جرّ مضاف اليه .

٤ ـ وفي (ص ٢٠) قال أبو علي الهجري « قالت عمرة بنت النعمان الأنصارية :

فإنْ ولدت مُهراً كريماً فبالحرى وإن يك إقرافٌ فمن قبل الفحلِ »

وهاهنا أربعة أمور تقال : منها أن الأغلب في رواية البيت لهند وليس

لعمرة ، بدلالة بيت قبله لم يذكره الهجري ، وهو :

وهل هندُ الاّ مهرة عربية سليلة أفراس تجلّلها بغلُ

ومنها : أن الأكثر في رواية البيت :

فإن أنجبت مهراً عريقاً فبالحرى وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

وبها يتنفي منه الإقواء . ومنها : أن الأستاذ المحقق قال في البيت الذي رواه الهجري « لم أعثر على البيت في مختلف المصادر الأدبية » ؛ مع أنه مذكور في العقد الفريد (١١٥/٦) والأغاني (١٣٤/٨) وأخبار النساء (ص ٥٣) وبلاغات النساء (ص ١٣٣) والمحاسن والأضداد (ض ١٨٥) وأدب الكاتب (٣٥/١) والأغاني (١٣٠/١٤) وتهذيب اللغة (٥٠/٦) لعثر عليه مع البيت الذي قبله . ومنها : أنّ أهل العلم لم يرتضوا رواية « بغلُ » كابن السِّيد البطليوسي ، لأن البغل لا ينسل .

٥ - وفي (ص ٢٣ - ٢٥) قصيدة نسبها الهجري الى مزاحم العقيلي ، أولها :

طوافاً خيال العامرية بعدما هجعنا وقد قفّى على الليل سائقُه

وهي خليط من شعر مزاحم العقيلي وابن الدمينة ، لأن نصفها الأخير منسوب الى ابن الدمينة في ديوانه صنعة ثعلب ومحمد بن حبيب (ص ٥٢ - ٥٤) ، ولأنّ قسماً من هذا النصف منسوب الى ابن الدمينة في أمالي القالي والحماسة والشعر والشعراء والفاضل وأخبار النساء[1] ؛ وقال الأستاذ المحقق إنه لم يعثر من القصيدة الا على أبيات في الشعر والشعراء ، وهو

(١) من شاء وقف على تخريج الأستاذ أحمد راتب النفّاخ للقصيدة في تحقيقه ديوان ابن الدمينة .

قول يُجيب عنه ما قدّمت من مراجع .

٦ - وفي (ص ٢٩) للتميمي :

أرى ثَمَراتٍ في العذوق سوالماً يُمَنَّعن من زيد فهُنّ صحائحُ

ومع جواز ثمرات بالثاء أظن أن الأصل في الرواية « تَمَرات » بالتاء المثناة . وكُرّر البيت على وجه آخر وفيه ثمرات بالثاء وهو :

أرى ثمراتٍ في العذوق سوالماً يُمَنّعن من زيد فهن جيادُ

وفيه إقواء لم ينبّه عليه لأن البيت الذي قبله مكسور الرويّ ، وآخره : ببلاد

٧ - وفي (ص ٢٩) أنشدت الدعدية للفهمي :

وإني اذا استنجدتُ عنك فقيل لي بأحسن حال سرّني حسنُ حالكِ

وواضح أنّ « استنجدتُ » بالجيم فالدال تصحيف « استخبرتُ » .

٨ - وفي (ص ٣١) نقل الهجري من نوادر أبي المفدّى : « ينضح عن حسبه بالفِعَال الجميل » ، وكُسرت الفاء من الفِعال والصواب فتحها . والفَعَال بالفتح كما في كتاب العين اسم للفعل الحسن كالجود والكرم . وزعم الأزهري في تهذيب اللغة (فعل) أنه يستعمل للخير والشرّ .

٩ - وفي (ص ٣١) لابن الطَّثْرِيّة :

أعنّي على صَرْف النوى ليس بها غداً ياوليّ المؤمنين يدان

ويستقيم وزن البيت ومعناه بأن يقال « ليس لي بها » .

١٠ - وفي (ص٣٧) قصيدة لكعب بن مشهور الخبّلي صاحب أم عمرو جاء فيها :

فما حُبُّ أمّ العمرو الاّ سجيّةً   براني عليها اللهُ حين براني

ينصب « سجيّةً » والصواب الرفع ، لأنّ (ما) التي تعمل عمل ليس ينتقض نفيها بإلاّ ، فإن انتقض بها بطل عملها ، قال تعالى « وما محمدٌ الاّ رسولٌ » (آل عمران/١٤٤) ، وقال « وما أمرُنا الاّ واحدةٌ » (الشورى/٨) . وجاء فيها :

خليلان أمّا أمُّ عمرو فمنهما   وأمّا عن الأخرى فلا تَسَلاني

وهذا البيت في الأغاني (٢٦٧/٢٠) برواية « خليليّ » بدل « خليلانِ » وقبله :

من الناس إنسانان ديني عليهما   مِليّان لو شاءا إذن قضياني

ورواهما أبو الفرج للمخبل القيسي ، ولكنه قال : وروى المفضل بن سَلَمَة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدمينة . قلتُ : وديوانه خلوّ منهما ، والبيتان معروفان في كتب التأريخ ، وكان استشهد بهما بعض الخلفاء العباسيين ، وقد نظر الى وزير له ، فعُلِم أنه سينكبه ، وقد فَعَل . والبيت الثاني يروى فيه « فواحد » مكان فمنهما .

١١ ـ وفي (ص ٤٠) لابن بغيض اللصّ :

مضى له نصف شهر لم يذُق قنصاً   فعاين الصيد بعد .... لُقيانا

وقبل « لُقيانا » فراغ لكلمة ، وقال فيه الأستاذ المحقق : هكذا ورد الشطر الثاني وهو ناقص . قلتُ : أرجّح أنه : بعد النصف لُقيانا .

١٢ ـ وفي (ص ٤٤) ستة أبيات نسبها الهجري لِـ « آخر » أوّلها :

فواكبداً كادت عشيَّة غُرّبٍ   من الوجد اثر الظاعنين تَصَدَّعُ

وقال الأستاذ المحقق : « لم أجد الأبيات ولا قائلها في المصادر المتوفرة ولعلها لأبي الغطمش حسب ماجاء في هامش الأصل » . قلتُ : الأبيات لذي الرمّة كما في ديوانه ، وروي منها بيتان في الحيوان ، وبيت في ثمار القلوب ، وبيت في العقد الفريد ونسب الى مجنون ليلى ، وهو :

عشيّة مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع

١٣ - وفي (ص ٥٦)جاء في هامش للأستاذ المحقق « أمّا الثاني عشر برواية ... » ، والصواب « فبرواية ... » بالفاء ، لأنّ « أمّا » شرطية ، والفاء لازمة لها ، قال تعالى ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق ﴾ (البقرة/٢٦) . ويجوز حذفها في الشعر ضرورةً . وكُرّر ذلك منه (ص ٧١) بقوله « وأما البيت الثاني جاء برواية » والصواب : « فجاء برواية .. » .

١٤ - وفي (ص ٥٨) قال الهجري : « المُجْسَد ، بضم الميم ، المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران . وأجسدتُهُ : أشبعته حتى يقوم ، ومثلُهُ : أقدمته ، قال الهذلي :

قد أقدَم أحبابُ القميص خَلُوقُها »

قلتُ : أرى أنّ « يقوم » بالقاف والواو تصحيف « يُفْدَم » بالفاء والدال - لا القاف والواو - ، أي يُصَيَّر أحمر . و « أقدمتُهُ » تصحيف « أفدمته » أي صيّرته أحمر . و « أقدَم » في قول الهذلي تصحيف : أُفْدَمَ . وتكرار التصحيف ثلاث مرات يُنبيء أن الغلط من الناسخ . و« أحباب » بالحاء إنما هي أجباب بالجيم جمع جيب وبفتح الآخر لا ضمه ، لأنه مفعول به .

١٥ - وفي (ص ٦٧) أبيات لأبي خراش الهذلي أولها :

فجّع أضيافي جميلُ بن مَعْمَرٍ لذي نجد تأوي اليه الأراملُ

وقال فيها الهجري إنها في رثاء رجل : « قتله جميل بن معمر يوم فتح مكة » .وظنّ الأستاذ المحقق أنّ القاتل هو الشاعر جميل بثينة ، وجعل يعرّف القارىء إيّاه ، وليس الأمر كذلك ، والأسماء قد تتشابه ، وأين زمان رجل قتل رجلاً في فتح مكة على قول الهجري ـ والصواب معركة حنين ـ من زمان جميل بثينة ؟ وإنما هذا رجل آخر عاش في الجاهلية وأدرك الاسلام فأسلم . وفي سيرة ابن هشام (ق ٤٧٢/٢ ـ ٤٧٤) والأغاني (٢١٠/٢١) وغيرهما ما يدلّ على وهم الهجري ، والأستاذ المحقق[1] .

١٦ ـ وفي (ص ٧٢) لبعض بني عذرة أبيات فيها :

وتذهب من القُنّاص في متمَنّعٍ متى ما تُفَزَّعُ يرمي هضبٌ بها هَضْبا

ورُفع « تفزّعُ » و « يرمي » ، والصواب « تفزَّعْ » و « يرمِ » بالجزم فيهما ، لأنّ متى اسم زمان تضمّن معنى الشرط ، ولحقته « ما » الزائدة للتوكيد ، كقوله :

متى ما تلقني فَرْدَين ترجُفْ روانفُ أليتيك وتُستطارا

ووقعت الرواية في نسخة (أ) من المخطوطة على الوجه الصحيح في « يرمِ » ولكنّ الأستاذ المحقق قال بتحريفها . ثمّ إنّ وزن البيت لا يستقيم الاّ بجزم الفعلين . و « تذهبُ » حقه الرفع كما يدل موضعه من البيت ومما قبله ، وبالرفع يختل الوزن ، وربما كان تحريف فعل آخر ، ويجوز إصلاحه بأن يُقال « وتلهو عن القنّاص ... » .

---

(١) ومن شاء نظر في سيرة ابن هشام (ق ١٤٢/١ و ٣٤٨) بتحقيق السقا والأبياري وشلبي ، وفي نسب قريش (ص ٣٩٥) بتحقيق محمود محمد شاكر .

١٧ ـ وفي (ص ٧٤) لقُرّة بن عياضي في زوجهِ وقد فركته :

مهْـــــــــلاً جُحَيفَ لاتقـــــــــولي زُوَرا
متى حلبتِ أربعين خـــــــــــــــوَرا
الاّ ثُليـــــــــــأً قعبـــــــــكِ المكســـــــورا

وضبطت « زُوَرا » بضم ففتح ، و « خـوَرا » بفتـح الـواو ، والصـواب « زُوْرا » و « خُوْرا » بضم فسكون منهما ، يـدلّ على ذلـك معنـاهمـا ، وموضع « المكسُوْرا » بعـدهمـا . أمـا الزّور فـالكـذب ، وأمـا الخُوْر فجمع خوّارة ، وهي الغزيرة اللبن ، على غير قيـاس ، وهو جمع أراه على تـوهّم أنّ مفرده خوراء .

١٨ ـ وفي (ص ٨٠) قال الأستاذ المحقق : « السحاب الذي يتـدلّى ويـدنو مثـل هُـدب القـديفـة » . وهـو قـول نقلـه من بعض كتب اللغـة فغلبته العجلة عند كتبه ، فأحلّ « القـديفـة » العـاميـة العراقيـة ، وهي بالدال ، محلّ « القطيفة » الفصيحة وهي بالطاء .

١٩ ـ وفي (ص ٨٠) لأبي الحواس الخُزيمي قصيدة جاء فيها :

صَبَرَت سُلَيم يـوم وعقـة عـامرٍ   صبر الكرام ويـالَـهُ من مـدعَقِ

وأقرّ الأستـاذ المحقق « وعقـة » في البيت ، وقـال يفسّرهـا : « رجل وعق لعق حريص جـاهـل ... » . ولا مـوضـع لهـذا المعنى مَن البيت . وأجـد « وعقـة » تحريف « وقعـة » ، والمعني : صبرت سُليم يـوم محـارَبـة عـامر إياهم . وسياق الأبيات يدلّ على « وقعة » لا وعقة .

٢٠ ـ وفي (ص ٨٦) لغُزلان الثامي :

جُنِنّ جُنـونـاً من بعـول كأنهـا   قرود تبـاري في ربـاط يمـانِ

برواية « تبارى » بالراء المهملة ، و « رباط » بالباء المفردة . وأشار الأستاذ المحقق الى رواية (أب) وهي « زياط » بالياء المثناة ، وقال بتصحيفها . وعندي أنّ « رياط » بالياء هي الصحيحة ، وأنّ « تبارى » صوابها « تبازى » بالزاي . وإنما يذكر الشاعر نساء لهنّ بعول ، ويشبه البعول بالقرود وهم يتبازون عند إتيانهم نساءهم برياطهم . والتبازي إخراج العجيزة ، ومنه قول عبد الرّحمن بن الحكم (مجالس ثعلب) :

فتبازتْ فتبازختُ لها   جلسةَ الجازر يستنجي الوَتَرْ

ونُسب في اللسان قول عبد الرحمن بن الحكم الى عبد الرحمن بن حسان (باب بزا) وذلك وهم .

٢١ ـ وفي (ص ٩٣) لعطية بن شجرة أبيات أوّلها :

فما أدماء أم أغنّ طفلٍ   خذول فارد ترعى السَّلاما

وفسّر الأستاذ المحقق « أدماء » بموضع بين خيبر وديار طيء ، نقلاً من « مراصد الاطلاع » ، مع أنّ المراد بأدماء الظبية ، لذلك جاء بعدها « أم أغن طفل » و « ترعى السّلاما » . وضبطت « السَّلاما » بفتح السين والصواب الكسر ، وهو ضرب من الشجر .

٢٢ ـ وفي (ص ١٠٢) لصاحب أم عائذ :

جرى لك بالهجران من أم عائذ   على الفرع صردان بذاك جُنُوحُ

وفسّر الأستاذ المحقق « الهجران » من « مراصد الاطلاع » بأنه « مدينتان متقابلتان في رأس جبل بحضرموت » . وأرى أن « الهجران » هاهنا الصّرم والقطع ، وذلك في البيت وما بعده غاية في الوضوح .

٢٣ ـ وفي (ص ١١٣) لبعض بني نهد :

كما اشتهت خُلقت حتى اذا كانت كما تمنت فـلا طـول ولا قِصَرُ

و « كانت » مع صحة معناها لايصح بها الوزن ،وظني أنها تحريف « كملت » وبها يصح الوزن والمعنى . وقوله : كما اشتهت خُلقت ، كأنه تجاوز على قدرة الله تعالى وإرادته ، وأين هذا من قول : حسان بن ثابت :

خُلقت مبّرءاً من كل عيب كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ

٢٤ ـ وفي (ص ١١٧) لنُصيحة بن المسلّم :

ولقد نزلتُ بخير من وطىء الحصى أُمّاً وخيرهم أباً ونَجَارا
وشريفَهم وكريمَهم ورفيعَهم وابن الذي ولد النبيّ مررا

ونُصب : شريفَهم وكريمهم ورفيعَهم من البيت الثاني ، والصواب الجرّ ، لأن العطف على « خيرِ » في البيت الأول . وفتح النون من « النَجار » في البيت الأول والصواب الكسر .

٢٥ ـ وفي (ص ١١٩) لَمعْن بن فُهَيرة قصيدة جاء فيها في صفة أطلال :

والخيم قد أودى به مَرّ البلى ورائحٌ وانٍ روايـاه رَعِـدْ

ولا أرى معنى واضحاً ل « ورائح وانٍ » ، وربما كان تصحيف « ودالحٌ دانٍ » ، وهو السحاب المتلىء ماء القريب من الأرض . وجاء فيها (ص ١٢٤) :

فـإنما أولادُه من بعده دُرٌّ وياقوتٌ وتبرٌ يَنْتَقِدْ

وأظنّ « ينتقد » تصحيف « يتّقد » . وجاء فيها (ص ١٢٦) :

يـاأيهـا المهـدي لعيسى مـدحـةَ البئرِ بمـا سرّك إنّ الغُنْمَ غـدْ

برواية « البئرِ » بكسر الراء ، على أنه مضاف اليه ، لذلك جعلت « مدحة » بفتح الهاء وبلا تنوين . وأراه تصحيف « أبشِرْ » . أما « مدحةَ » فالصواب فيه « مدحةً » بتنوين الفتح . وجاء فيها (ص ١٢٦) :

أبقى الإلـه عترة تَنْمي بهـا لم يكُ فيها عن هدى الحق لحدْ

وضبطت « تَنْمي » بفتح فسكون ، فهل المراد أن الممدوح ينمي بعترته ؟ وما قيمة مدح كذلك ؟ ولعلها أن تكون « تُنمى لها » بضم التاء ، اي تنسب اليها . فتكون « بها » تصحيف « لها » ، وجاء فيها (ص ١٢٦)

أمنعُ من ذي لِبَـد في غيلـه عبلُ الذراعين لـه جِلْدٌ ويَـدْ

برواية « جِلْد ويَدْ » ، وأي إنسان ليس له جلد ويد ؟ وربما كان ذلك تحريف « جِدٌّ وأيْد » أي له عزم وقوّة .

٢٦ ـ وفي (ص ١٢٨) قال الهجري « رجل رَقُوبٌ وامرأة مُقلابٌ اللذان لا ولد لهما » . قلتُ : أما « الرقوب » ، فورد في كتب اللغة أنه يقال للرجل وللمرأة . وأما « مُقلاب » فليس له ذكر في كتب اللغة بالمعنى المذكور ، وأظنه تصحيف « مِقلات » وهي المرأة التي لايعيش لها ولد . وقيل كلّ أنثى لايبقى لها ولد ، ومنه قوله :

بُغـاث الطير أكثرهـا فراخـاً وأم الصقر مِقـلاتٌ نَـزُورُ

وجاء في تمام نص الهجري « حُزن الشيخ الرقوب والعجوز المقلان » هكذا (المقلان) بالنون ، والصواب المقلات بالتاء .

٢٧ ـ وفي (ص ١٢٩) قال الهجري « وقد ورّد الرمّان ثم خضب ثم

أرعث ثم عَقَـد » وفسّر الهجري « أرعث » فقـال « والرَّعث الجنـون » ، وليس في كتب اللغـة الرعث بمعنى الجنون ، ولا صلـة للجنون بطـور من أطوار الرمّان ، وإنما هو تصحيف الناسخ لِـ « العُثنون » .

٢٨ ـ وفي (ص ١٣٩) قال الأستاذ المحقق في « جُـدّة » : « بلـد على ساحل بحر الأحمر » . واللائق بمن يحقق كِتاباً قـديماً ككتـاب الهجري أن يستعمل الاسم الصحيح القديم لهذا البحر ، وهو « القُلزُم » ، أمـا تسميتـه البحر الأحمر فجـاءنـا منقـولاً من اللغـة الانكليزيـة Red Sea في عصر من عصورنا المتـأخرة هـذه . وحَسَنٌ أن يقول بعـد « القلزم » : « وهو الـذي يقال له الآن البحر الأحمر » . وقوله « بحر الأحمر » باضـافـة الموصوف الى صفته الصواب فيه : البحر الأحمر .

٢٩ ـ وفي (ص ١٤٠ ـ ١٤٢) قصيـــدة لبعضهم جـــاء فيهـــا (ص ١٤٠) :

وقـولا فتى يشكـو من الحب زفرة تضمنهـا عنـد الصَّفـا من جَمَـالِـكِ

وضبطت « تَضَمَّنها » بفتح التاء فـالضـاد فـالميم المثقلـة ، اي بـالبنـاء على الفاعل ، والصواب « تُضُمِّنها » بضم التـاء فـالضـاد وكسر الميم المثقلـة ، اي بالبناء على المفعول . وجاء فيها (ص ١٤١) : « وأرسلت الانضاء يسمعْنَ في الثرى » . وقـــال الاستـــاذ المحقـق في « الثرى » : « في (ا) البرى : تحريف » . وكان عليه أن يأخذ برواية (ا) وهي « البرى » ، ولا وجـه لقوله تحريف . فالبرى التراب ، وهو عام ، وله مكانـه في البيت ، والثرى التراب الندي ، وهو خاص ، ولا دلالة عليه في البيت .

٣٠ ـ وفي (ص ١٤٤) قصيدة لابن الدمينـة مكسورة الرويّ ، جـاء فيها :

سلي هل شكى شاكٍ من الناس واحدٌ   كشكوَيَّ لا أُعطى ولا أنا تاركُ

وفي البيت إقواء لم يُنبه عليه ، كما لم يُنبّه عليه في زيادات ديوانه (ص ١٦٧) ولو كان اليّ لقلتُ : كشكويّ لا يُعطى وليس بتاركِ

٣١ ـ وفي (ص ١٤٨) روي هذا البيت مفرداً :

اذا فَتَن النـاسَ البـلاءُ وأدخَلـوا   على الناس مجهولاً من الأمر المنكرِ

بالألف واللام من « المنكرِ » وبكسر الكاف ، وكأنه صفة للأمر ، وإنما هو بفتح الكاف ، وبحذف الألف واللام ، أي « مُنكَرٍ » ، لأنه نعت « مجهولاً » ، وكُسر آخره للمجاورة ، كقولهم : هذا جُحرُ ضَبٌّ خربٍ ، وكقول امرىء القيس : « كبيرُ أُناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ » . هذا إن كانت رواية الهجري بالكسر ، وإلاّ كان « مُنكَرا » بالنصب .

٣٢ ـ وفي (ص ١٥٠) لبعضهم :

وكنتَ سيفَ الله لم يُفلَّـل
يَفْرَعُ أحيانـاً وحينـاً يعتلي
سوالفُ العادين هـذا المُنْصُـلُ

وقال الأستاذ المحقق « في البيت الثالث إقواء » ، وهو يريد الشطر الثالث ، وليس فيه اقواء ، وإنما هو تحريف أدّى الى الإقواء ، وينبغي أن تكون الرواية « سوالفَ العادين هَذَّ المُنْصُلِ » بالذال المثقلة من « هذّ » ، والهذّ القطع السريع ، والتقدير : تهذّ هذّ المُنْصُلِ . وينبغي نصب « سوالفَ » لأنها في موضع المفعول من يعتلي .

٣٣ ـ وفي (ص ١٦٤) للقرديّ :

قررتُ قرار التيس طيّر عقلــــه كـلابٌ وكَـلاّبٌ ذكيٌ وقـــافِرُ

وفسّر الأستاذ المحقق « قـافر » عن اللسـان (بـاب قفر) قـائـلاً : « أقفر الرجلُ صار الى القفر ، وأقفر الرجلُ من أهله جلا ، وأقفر ذهب طعـامـه وجاع . » قلتُ : كلّ ذلك لا موضع لـه في تفسير معنى البيت المـذكور ، وإنمـا القـافر من قَفَر الأثر أي تتبعـه ، ويكثر ذلـك في الصيـد ، كما في البيت المـذكـور ، ففرار التيس من الكـلاب والكَـلاّب والقـافر إنمـا هـو لخوفه أن يُصاد ، ويُقال أيضـاً أقتفر ، وفي الحـديث أنـه سُئل عمن يرمي الصيد فيقتفر أثره . وقال امرؤ القيس :

وقـد اغتــدي ومعي القــانصــان وكُـــــلٌّ بمربــــــأةٍ مُقتفِرْ

٣٤ ـ وفي (ص ١٧٥) لبعضهم :

ومـا رِيٌّ لـومـاءُ العُـذيب وردتُـهُ ولكنّ أشبــاه العـــذيب قليــلُ

والبيت مختل الوزن بـ « ريٌّ » وأظنّ أن الصـواب « ومـا الريُّ ... » على جهة الاستفهام الانكاري .

٣٥ ـ وفي (ص ١٧٦) روى الهجري قول بعضهم : « أجـأ وهـو أكبر الجبلين .. » وقـال الأستـاذ المحقـق « أجـأ : هكـذا وردت على وزن أفعل ... » . قلتُ : ليس وزن « أجـأ » أفعـل ، وإنمـا وزنـه فَعَـلٌ نظير أسَف وأجَل .

٣٦ ـ وفي (ص ١٨١) قال الأستاذ المحقق في « التهـامل » : « أعتقـد تحريف حيث لايستقيم المعنى » . وهو يريد : أعتقد أنه تحريف . وقولـه « حيث » للتعليل ليس بالفصيح .

٣٧ ـ وفي (ص ١٨٤) لصاحب أم عمرو قصيدة جاء فيها :

كما لا يداويني من الشوق والهوى من الناس الاّ أُم عمرو وطبيبُها

و « طبيبها » تخل بالمعنى والوزن ، والصواب « وطِبِبُها » ، أما « طبيبُها » فوردت بعد ثلاثة أبيات . وجاء فيها :

فهل تُجزينيّ أمُّ عمرو علاقتي بها وآشتهاري كل واش يعيبها

و « اشتهاري » إنما هي تصحيف « انتهاري » ، أي زجري .

٣٨ ـ وفي (ص ١٨٨) ورد الاسم « أبو مُهْوس الأسدي » ، وضبطت مُهْوس بضم فسكون مع إغفال ضبط الواو وبالسين المهملة . وفي الحيوان (٢٠٧/١ و ٣٢١/٣) والخزانة (٨٦/٣ و ١٤٢) والإصابة (٢٠١٥) رُوي « أبو المُهَوِّش » بضم ففتح فتثقيل الواو المكسورة فالشين المعجمة . ولعله « أبو المَهْوَش » بفتح فسكون ففتح وبالشين المعجمة . جاء في اللسان (باب ـ هوش) « وأبو المَهْوَش من كُناهم » . وأبو المَهْوش الأسدي هو حط بن رئاب أو ربيعة بن وثاب ، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام[٢] .

٣٩ ـ وفي (ص ١٩١ ـ ١٩٩) قصيدة للمستنير العتكي جاء فيها (ص ١٩٢) :

وإذاً لرُحتَ وشعبُ قومك سالم والحرب سابِغٌ ذيلُها لم يُكشفِ

و « سابِغٌ » بتنوين العين المهملة الصواب فيها « سابِغُ » بالغين المعجمة المضمومة ، وهي مضاف و « ذيلها » مضاف اليه . وجاء فيها : (ص ١٩٨) :

(٢) تُركت الميم في اللسان (ط . صادر) بلا ضبط ، وضبطتها بالفتح دون الضم لعدم « أهوش » في العربية ، ولقول صاحب اللسان في الهَواش : كأنه جمع مَهْوَش من الهَوْش الجمع والخلط . ومن شاء راجع تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون لهذا الاسم في الحيوان .

إن تروهـا مثـل الـذي أخبرتكم حـذو المثـل نعلـهُ لم تخصِفِ

وكان البيت في الأصل ، على ماذكر الأستاذ المحقق « إن تروها كالذي ... » فحذف الكاف ووضع مكانها « مثل » فلم يصلح شيئاً . وأرى « إنْ » تحريف « إمّا » ، فيكون الصواب في صدر البيت : إمّا تروها كالذي أخبرتكم . وبذلك يستقيم الوزن والمعنى .و « تخصِفِ » الصواب فيها« تُخصَفِ » بفتح الصاد لا كسره . وجاء فيها (ص ١٩٥) :

مـاشئت من بطـل يجود بنفسه قعصـاً ومُنعَفر الجبين مُسيِّفِ

وضبطت الياء المثقلة من « مُسَيِّف » بالكسر ، والصواب الفتح على المفعول لا الفاعل ، وهو المضروب بالسيف ، وهو الموافق لمعنى البيت ، ومنه قول السُلَيك بن السُلَكَة (الأغاني ٣٧٨/٢٠) وكان قتل بعضهم بالسيف :

وعاشيةٍ راحت بطاناً ذعرتُها بسوط قتيلٍ وسطها يُتَسَيَّفُ

٤٠ ـ وفي (ص ١٩٩) لجميل بثينة :

فقلتُ بل مرض قد كاد يُذهبني فاستَضْحَكت ثم قالت بيّنْ ذاكا

وضبط « استَضْحَك » بفتح التاء والحاء ، أي على الفاعل ، والصواب ضم التاء وكسر الحاء ، لأنه من الأفعال التي وردت على المفعول ،والغلط فيه قديم ، وممّن نبّه عليه الزبيدي في كتابه لحن العوام (ص ٢٥٥) قال : « ويقولون استَضْحَكَ الرجلُ ، والصواب فيه استُضحِك . وفي الحديث أن عكرمة بن أبي جهل بارز يوم أُحد رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فاستُضحِك النبي » .

٤١ ـ وفي (ص ٢٠٦) قال الأستاذ المحقق في عزة بنت جميل صاحبة

كُثيّر « توفّت في مصر » ، والصواب « تُوُفيّت » . يُقال تُوُفّي فهو مُتَوَفّى ـ بالألف ـ ، وتُوُفّيتْ فهي متوفّاة ، وتوفّاه اللهُ فاللهُ المتوفّي ، بالياء . ويغلط الناس في ذلك منذ القديم ، ففي بعض كتب الأدب القديم ، أنّ رجلاً سُئل عن ميت مسجّى بقربه ، وحوله ناس كثير ، من المُتَوَفّي ؟ ـ بالياء . فأجاب قائلاً ، وجوابه صحيح : « اللهُ تعالى » . قال : « فاجتمع عليّ الناس ، وضُربتُ حتى متُّ » .

٤٢ ـ وفي (ص ٢٠٨) قال الهجري « وهي وُطيّة الجعفريّة » ، ووُطيّة تصحيف « قُطَيّة » ، لقول الهجري بعد سطرين « تصغير قطاة ، ومن قال قطبة بضم القاف والباء فقد أخطأ » . وقوله « بضم القاف والباء » لايتّجه ، وأظنّ أن الصواب فيه « ... وفتح الباء » .

٤٣ ـ وفي (ص ٢١٠ ـ ٢١١) أبيات جاء فيها (ص ٢١١) :

فلو كنتِ دَهناً بانـاً مسكاً ولو كنتِ غسلاً كنتِ من ورق النَّضْرِ

والشطر الأول يعوزه « كنتِ » بعد « دهناً » ليجبر وزنه ويصحّ معناه . ودَهناً ، بفتح الدال الصواب فيه الضم . وجاء فيها :

ولو كنتِ أرضاً كنتِ ميـاء سهلـة ولو كنتِ نوماً كنتِ تعسيلة الفجرِ

و « مياء » الصواب فيها « ميثاء » وهي الأرض اللينة السهلة من غير رمل . و « تعسيلة الفجر » لا معنى لها هاهنا ، لأن التعسيل صنع العسل ، وإنما هي تحريف « تعريسة الفجر » ، وهو نزول القوم في السفر من آخر الليل ليستريحوا ثم يُنيخون وينامون نومة خفيفة ، ثم يثورون مع انفجار الصبح . وورد عجز البيت في بيت من أبيات في الأزمنة والأمكنة (٢٧٧/١) وهي ليست من الأبيات التي رواها الهجري ، والبيت :

ولو كنتِ لهواً كنتِ تعليل ساعـة ولو كنتِ نوماً كنتِ تعريشة الفجرِ

وروي البيت عل نحو آخر في أبيات رواها نفطوية عن ثعلب في الأزمنـة والأمكنة أيضاً ، وهو :

ولو كنت ظِلاً كنتِ ظـلَّ غمـامـة ولو كنتِ نوماً كنتِ تعريسة الفجرِ

٤٤ ـ وفي (ص ٢١٦) روى الهجري عن العُبادي أنـه قـال : « البَهْمُ والسَّخلُ صغـار ولـد المعزى » . والقول يعوزه حـاشيـة في نحو هـذا المعنى « البَهْم بفتح الباء وسكون الهاء . وورد في فقه اللغة للثعـالبي (ص ٦٠) مضموم البـاء غلطـاً . ولثعلب في اللسـان (بـاب ـ بهم) قول يشبـه قول العُبادي الذي روى عنه الهجري ، ولكنّ البَهْمَ في فقه اللغة : صغـار أولاد الضـأن والمعـزى . وفي نصّ آخر في اللسـان أنّ البهم صغـار أولاد الضـأن والمَعَز والبَقَر من الوحش وغيرها . »

٤٥ ـ وفي (ص ٢١٧ ـ ٢١٨) جـاء في أسنـان الإبل مـارواه الهجري عن غيره :

« فاذا أثنى ذهب عنه اسم القَعُود ، ثم رباع ، ثم سَدَسٌ ثم فـاطر . ويقطر اذا استكمل السنة الثامنة » . قلتُ : يقطر بالقاف أجدها تصحيف يفطر بالفـاء . وقول الهجري حقّـه حـاشيـة في نحو هـذا المعنى : « قولـه سَـدَس بفتحتين هو أيضاً سَدِيس . قال الثعالبي في فقه اللغـة (ص ١٤٧ ـ ١٤٨) (فاذا كان في السـادسة وألقى ثنيته فهو ثنيّ ، فاذا كان في السابعـة وألقى رباعيته فهو رَباع ، فاذا كان في الثامنـة فهو سـديس) وفي اللسـان ورد السَدَس والسديس ، قـال (بـاب ـ سـدس) : (والسّـديس والسَّـدَس من الإبل والغنم الملقي سديسه) » . وفي كتاب الهجري فوائد في اللغـة كثيرة لم يُقابل الأستاذ المحقق بينها وبين ماذكرته كتب اللغة فيها . ومـا التفتٌ

اليه في هذه الفقرة والتي قبلها قليل من كثير ترك غير مُلتفت اليه . فان قيل : هذا تطويل يؤثر هو تجنبه . فالجواب : يستطيع أن يحيل على صفحة الكتاب أو باب المعجم .

٤٦ ـ وفي (ص ٢٢٢) لغدير بن ناهض :

وإذا بـك المتحلّفون تشبّهوا أنت المكارمُ والفِعال الأصيدُ

وإنما « المتحلّفون » بالحاء المهملة تصحيف « المتخلّفون » بالخاء المعجمة ، وهم المتروكون إلى وراء . والضمير « أنت » تصحيف « أبَت » والصواب في الفِعال المكسورة الفاء الفَعَال بفتح الفاء ، وقد مضى القول في ذلك (الفقرة ٨) .

٤٧ ـ وفي (ص ٢٢٣) جاء فيما أنشده غدير بن ناهض :

فيُصبح باليه جديداً ونبتُهُ أفيفاً ويني مالُهُ حين يَسْرَحُ
أرى فَزَعاً غُرّاً يبشّرن بالحيا يُنتّج في أوطان مَيّ ويلقحُ

وفي البيت الأول أرى أنّ « أفيفاً » بالفاء تحريف « أثيثاً » بالثاء ، والنبت الأثيث الكثير الملتف . وفي البيت الثاني أرى « فَزَعاً » بالفاء تصحيف « قَزَعاً » بالقاف ، وهو السحاب المتفرّق ، وأنّ « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » بالميم بعد الغين ، وهو الماء الكثير الذي يغمر ويغطي ، أو البحر ، ووصفَ القَزَع وهو جمع بالغمر وهو مفرد معروف في لغة العرب ، كقوله تعالى ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ (التحريم/٤) وكقول زهير :

وإن يشتجرْ قوم يقل سَرَواتُهم هُمُ بيننا فهم رضىً وهُمُ عَدْلُ

٤٨ ـ وفي (ص ٢٢٥ عرّف الأستاذ المحقق « خيبر » ، وجاء في

تعريفه ، وهو ينقل من « مراصد الاطلاع » (٤٩٤/١) : « وكانت داراً لبني قريظة والنضير ، وكان بها السموأل بن عاديا » . هكذا ، وهو وهم من صاحب المراصد ، لأنّ الثابت أنّ مسكن السموأل كان بتيماء ، وهي كما قال فيها ابن خلّكان « بُلَيدة في بادية تبوك ، اذا خرج من خيبر إليها تكون في منتصف طريق الشام » (الوفيات ٣٨٨/٤) وقال الثعالبي في ثمار القلوب (ص ٤١٢) : « حصن تيماء بُلدة بين الشام والحجاز ، لها حصن يتمثل به في الحصانة ، يُقال إنّ سليمان عليه السلام بناه بالحجارة والكلس فسمّته العرب الأبلق لما يشوبه من البياض والسواد ، وكان ملكه عاديا اليهودي ثم ابنه السموأل » . وقال الأعشى :

كن كالسموأل اذ سار الهُمام لـه ... في جحفل كسواد الليل جرّارِ
بالأبلق الفرد من تيماء منزلـه ... حصنٌ حصينٌ وجار غير غدّارِ

٤٩ ـ وفي (ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨) روى الهجري لعمرو بن المسلّم قوله :

أقمتُ زماناً بالمدينة راجناً ... أُباصرُ ماوالي أميةَ صانعُ
نهاري نهار الناس حتى اذا دجا ... لي الليل هزّتني اليك المضاجعُ
أعلّل نفسي بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهمّ بالليل جامع
ليرزقنك الله من بين خلقه ... أم أنتِ من الرزق الذي الله مانعُ

وقال الأستاذ المحقق في الأبيات انه لم يجدها « في المصادر الأدبية المختلفة » . قلتُ : إن كان الهجري رواها لعمرو بن المُسَلّم ، فهي مروية ـ عدا البيت الأخير ـ لابن الدمينة كما في في ديوانه (٨٨ ـ ٩٠)وكما في الأغاني (٩٩/١٧ ـ ١٠٠) وكما في مراجع أُخر ذكرها محقق ديوانه الأستاذ أحمد راتب النفاخ . وإن كان الأستاذ المحقق قال بعدم عثوره عليها في المراجع ففيما ذكرت إفادة . والبيت الأول

فيه« راجناً »وهو تصحيف « راجياً » ، وروايته في ديوان ابن الدمينة :

أقمتُ على رَمّان يوماً وليلة   لأنظر ماواشي أُميمة صانعُ

وفي الأغاني « زِمّان » بالزاي بدل رَمّان بالراء وأظنها تصحيفاً . ورواية « واشي » في الديوان والأغاني وغيرهما جيدة ، ولكنّ « والي » التي رواها الهجري لاتقل عنها جودة ، والتصحيف بينهما ممكن .

٥٠ ـ وفي (ص ٢٣٤) أبيات لمنقذ بن عطاء مكسورة الرويّ ، جاء فيها :

الى جهم فتى كعب جميعاً   وأكرمُها اذا عَدّ الكرامُ

وضُمّت الميم من (أكرمُها) والصواب الكسر . وفي البيت إقواء لم يُنبّه عليه ، ولو كان الشاعر قال : لدى عَدِّ الكرامِ ، لزال الإقواء . وفي البيت الذي يليه إقواء ، وآخره : واشتَدّ الزحامُ ، ولم يُنبّه عليه .

٥١ ـ وفي (٢٣٥ ـ ٢٣٧) قصيدة جاء فيها :

وقامت تستشيف كما استشافت   شخوصاً صار عنها أم الغزالِ

ولم يتضح لي وجه الكلام بـ « تستشيف » و « استشافت » ، وعجز البيت مكسور الوزن ، ولعله أن يكون :

وقامت تستشف كما استشافت   شخوصاً صارعَتْ أُمّ الغزالِ

وجاء فيها :

فلما اذا جَنّ سوادُ ليلٍ   بهيم اللون مشتبه الظلالِ

وصدر البيت مختل الوزن ، وأظن الصواب فيه : فلما أنْ أجنَّ ... وجاء فيها :

تبـاثثنـا الحـديثَ وقُلْنَ سقيـاً للليلـةِ كُنَّ من بين الليـالي

هكذا ، يفصل « كُنّ » عن « ليلة » ، وكأنها فعل ، مع أنها ضمير مضاف اليه ، فالصواب « ليلتكنّ » بالربط .

٥٢ ـ وفي (ص ٢٣٧) قال الهجري « الحُصاص صوت العَدْو » وقال متماً قوله « واذا كان من الإست فهو النصيص » . ولاشك أن الاست هاهنا الدبر ، أي أن الصوت الخارج منه يُقال له النصيص . ولكنّ الأستاذ المحقق فسّر الاست بما هذا نصه : « جاء في اللسان ـ است ـ ٢/٣٠٧ است الدهر : يريد ماقدم من الدهر » فما دخل است الدهر في كلام الهجري ؟ وتكرّر ذلك منه ، ففي (ص ٢٨٢) لعصماء بنت مروان :

بـآست بني واقف والنبيت وعوف وبـآست بني الخزرجِ

وقال مفسراً الاست بهذه العبارة : « است الدهر : يريد ماقدم من الدهر » ، ومرجعه أيضاً اللسان .

٥٣ ـ وفي (ص ٢٣٨) بيتان أولها مضموم ، أما آخرهما وهو :

ويـاذات غِسل ريحُ أرضك طيّبٌ كمسك لقى بين الصلاء سحيقُ

فضمّت القاف من « سحيقُ » وحقها الكسر لأنها نعت لمسك ، وهذا إقواء لم ينبه عليه . وفسّر الأستاذ المحقق « الصّلاء » بالشواء ، مع أن المراد به النار المتخذة في الشتاء طلباً للدفء ، وكانوا يلقون عليها الأطياب ، قال أبو دهبل الجمحي ، وقيل بل عبد الرحمن بن حسان (ديوان أبي دهبل ص ٧٠) :

تجعل المسك واليلنجوج والندّ صلاء لها على الكانونِ

وقال عدي بن زيد :

ربّ نـــــار بت أرقبهـــــا تقضم الهنـــــدي والغـــــارا

ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « الشمس صلاء العرب » .

٥٤ ـ وفي (ص ٢٥٠) لتوبة أو المجنون :

كفى حُـزنـــاً أني مُقيم ببلـــدةٍ مجـاورتي ليلى بهـا لا أزورهـا

وضمّت الحـاء من « حُزنـاً » والـوجـه « حَـزَنـاً »بفتحتين ليستقيم الـوزن ، يُقال (حُزْن) و (حَزَن) ،قال تعالى « وقالوا الحمد لله الـذي أذهب عنـا الحَزَن » (فاطر/٣٤) .

٥٥ ـ وفي (ص ٢٥١) لتوبة أو المجنون :

أمـا وأبي ليلى لقـــد كنتُ مَرّةً أُحبّ غُـدُوّاً نحـو ليلى أزورهـا
ولكنّ ليلى قطّعت كلّ مرّةٍ وكل قـوى حُبّاً قـديمـاً نغيرهـا

و « مَرّة » من البيت الأول أجدها « مُـدّة » بـالـدال وبضم الميم . أي أنـه ظلّ مدة يخب فرسه أو بعيره لزيـارة ليلى . و « مرّة » من البيت الثـاني أهملت ميمها بلا شكل وحقها الكسر ومعنـاهـا طـاقـة الحبل . و « حبّـا » بالنصب الصواب فيهـا « حبٍّ » بـالجر . والمعنى أن ليلى قطعت كلّ حبل للوصل ، وجميع قوى الحب التي كنا قديماً نشدّ فتلها .

٥٦ ـ وفي (ص ٢٥٤) جاء أن بعضهم قال في امرأته بعد أن طلّقها :

خذي الظهر فابتاعي به مردقوشة لآخر غيرى وأرجي الأدواتِ

وعوضاً من أن يفسر الأستـاذ المحقق « مردقوشـة » فسّر جزءاً منهـا ، وهو « قوش » ، قـال « قوش : الرجل الضئيـل الجسم العجمي الأصـل . انظر

اللسان (قوش) » . وهذا كلام لايمت الى البيت بسبب ، ثم إنّ المردقوش مفسّر في « مردقش » من اللسان ، قال « المردقوش : المرزنجوش . غيره : المردقوش : الزعفران . وأنشد ابن السكيت قول ابن مقبل :

يعلون بالمردقوش الوردَ ضاحيةً   على سعابيب ماء الضالة اللجنِ »

وفسّره بأحسن من ذلك الأديب الطبيب داود الأنطاكي في تذكرته (١/ ٢٦٨ ـ مرزنجوش) . قال إن معناه بالفارسية آذان الفار ، وإنه من الرياحين التي تزرع في البيوت وغيرها ، دقيق الورق ، بزهر أبيض الى الحمرة ، يخلف بزراً كالريحان ، عطري ، طيب الرائحة . وذكر له منافع في الربو وتفتيت الحصى وغيرهما . فالشاعر ينصح لمطلقته أن تشتري الرياحين لآخر غيره لينخدع بها .

٥٧ ـ وفي (ص٢٥٤) جاء لبعضهم من قصيدة :

وتقتحم الأنساب من دون خندف   كأنك تعطى دونهم باليد السُّفلا

ورسمت « السفلا » بالألف والصواب بالياء ، وجاء نحو من ذلك في مواضع أُخر من القصيدة . ففي (ص ٢٥٧) : أيها أحلا ، وفي (ص ٢٦٠) : طريقتك المثلا ، وفي (ص ٢٦١) : مجالس لا تُقلا ، والصواب بالياء .

٥٨ ـ وفي (ص ٢٥٥) قصيدة لعبد الله بن أبي صبح المزني ، جاء فيها :

وحيٌّ بني لُقمانَ فالحيُّ حيرةٌ   وتقرأ عليهم من تحيتنا مثلاً

وأظن أن الصواب « وحيَّ » و « فالحيَّ » بالنصب منهما لا الرفع ، لأنها في موضع العطف على البيت قبله :

تبلّغ يعقوب بن يحي رسالةً   وعمراً وشبلاً أودع اللهُ لي شبلا

و « تقرأ » حقه الرفع وبه يكسر الوزن ، ولجبره يجب أن تسهّل الهمزة فيقال « وتقرا » .

٥٩ ـ وفي (ص ٢٥٨) روي البيت الأول والثاني من قصيدة لعبد الله بن أبي صبح المزني :

الا حييا الذلفا ألا حييا جُملا   وقولا تغنّى حاتم بكما جهلا
لكيما تظنا اليوم أنه فارغٌ   وأقسم أني قد ملأته بي شغلا

والبيت الثاني غير صالح وزناً ولا معنى ، وأظنّ أن الصواب في رواية صدره « ... أنيَ فارغٌ » ، أما عجزه فيجوز إصلاحه بأن يُقال :

« وأُقسم أني ممتلٍ منهما شُغلا » بحذف الهمزة من آخر ممتلىء . وذلك كله يوافق سياق البيت الأول .

٦٠ ـ وفي (ص ٢٦١) جاء « ومن أمثالهم : لا يعجز القَدُّ عن نَتْنِ خبث الريح » ، وضبط « القَدّ » ، وهو ضرب من الجلود ، بفتح القاف ، والصواب الكسر . وكُرّر الغلط في (ص ٢٦٢) .

٦١ ـ وفي (ص ٢٦٢) لرملة « أخت مُشَيْع » ترثيه :

ألا أيها الناعي سُحيراً مُشيَّعاً   لعمري لقد صبّحتنا ببَلا
تركنا لواء العز والمجد ثاوياً   ببُغمة مبنياً عليه بنا
لعمرك ماكُنّا ملِلْنا مُشيِّعاً   ولكن دواعي ميتة وقصا

هكذا وردت أواخر الأبيات « ببلا » و « بنا » و « قصا » بالصاد المهملة . وعندي أنّ الأولى بالهمز مع السكون ، أي : ببلاءْ ، وبناءْ وقضاء ،

بالصاد المعجمة . وضُبط مُشَيْع في كلام الهجري باسكان الياء وعلى صيغة التحقير ، وضُبط في الشعر مرتين بكسر الياء المثقلة ، وأظنّ أن الصواب فيهما « مُشَيَّع » بضم ففتح فياء مثقلة مفتوحة ، وهو من أسماء الرجال كما في كتب اللغة ، ومعناه الشجاع ، لأن قلبه لا يخذله فكأنه يشيّعه ، أو كأنه يُشيَّع بغيره .

٦٢ - وفي (ص ٢٦٤) قال الهجري : « وكان هُلَيل بن دَمْلج ممن شرى مع سعيد ومسعود ابني أبي زينب المحاربي ... » . وفسّر الأستاذ المحقق « شرى » بقوله « شرى فلان غضباً ، وشرى الرجل واستشرى غضب ولجّ في الأمر » وهو تفسير غامض ، وبعيد من دلالة النص . وإنما المراد من « شرى » دخل في مذهب الشراة ، وهم الخوارج . قيل كأنه من شرى نفسه أي باعها ، وكأنهَ من قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءمرضاة الله ﴾ (البقرة/٢٠٧) وقيل في تفسير الشراة غير ذلك .

٦٣ - وفي (ص ٢٦٤) قال الهجري « يُقال شقا نابُهُ : اذا طلع » ويليق بقوله حاشية تقول : « ويُقال شقأ نابُهُ بالهمز ، وشقّ نابه بالتثقيل (اللسان - بابا شقأ وشقّ) » . وأظنّ أن شقّ هو الأصل في ذلك .

٦٤ - وفي (ص ٢٧٠) قال الأستاذ المحقق في خُرَيم بن أوس : « لم تفصح عنه المصادر في حين تذكر أخيه » ، والصواب « أخاه » . وربما كان الأصل في قوله « اسمَ أخيه » فسقط « اسم » إبّان الطبع . وللمطبعة في طبعها الكتاب مناكير سيأتي الكلام عليها .

٦٥ - وفي (ص ٢٧٤) ثلاثة أبيات لبعض بني جعدة أو لبعض بني مرداس أوّلها :

ولا تبكي على بطـــل أتـــاه   حمـــامُ المـــوت يهلـــك ذميا

والصواب « لم يهلك » . وثانيها :

يخلّف بعـــده إمـــا أخـــاه   وإمّـا ابنـاً لـه يحمي الحريـا

وقال فيه الأستـاذ المحقق « البيت غير مستقيم الوزن » ، مع أنـه مستقيم ، ثم كُرّر البيت في الصفحة نفسها فقـال مصححاً ايّاه : « والـذي أعتقـده هو : وأمّا ابنه يحمي الحريا » فكسره بعد أن كان مستقيماً .

٦٦ ـ وفي (ص ٢٧٧) لعمرو بن المسلّم الرياحي في عجوز تـداويـه من الغرام :

فقـالت تقرّب فـآبتَـدَأْتُ فـأتبعتْ   يديها من الجوف الكلوم الـدواميا

و « فـابتـدأتْ » بـاسكان الآخر مُجحف بوزن البيت ومعنـاه ، وأظنّ أنّ الصواب « فآقتربتُ » . وجاء في الشعر أن العجوز قالت لـه بعـد الفحص عن علّته :

فقدتُ التي ألعتك في الحب ماأرى   أمـا خشيت فيما أرتـكَ الجـواريـا

والصواب « فقدتَ » بتوجيه الخطاب اليـه ، لأنـه دعـاء على حبيبتـه ، و « الجوازيا » بالزاي لا الراء .

٦٧ ـ وفي (ص ٢٨٧) روى الهجري بيتين ، ومهّـد لهما بـ « غيره » لوكأنه لم يكن يعرف اسم قائلها ، وهما :

لعمرُ أبيـــك مـــانُسب المعلّى   الى كَرَم وفي الـــدنيـــا كريمُ

ولكنّ البـــــلاد اذا اقشعرّت   وصـــوّح نبتهـــا رَعَى الهشيم

وقال الأستاذ المحقق :« البيتان في أمالي القالي ٢٧٧/٢ بنفس الرواية وبلا

نسبة » . وقد وهم في قوله هذا في موضعين ، أحدهما أن البيتين في الأمالي منسوبان الى أبي علي البصير ، والآخر أنهما في ص ٢٨٧ لا ٢٧٧ وأيضاً هما منسوبان اليه في مروج الذهب (١٤٧/٤) ومعجم الشعراء (ص ١٨٥) . وهما في هجاء المعلّى بن أيوب . وضبطُ « رَعَى » بفتح ففتح في البيت الآخر الصواب فيه « رُعِيَ » على المفعول ، بدلالة سياق الشعر .

٦٨ ـ وفي (ص ٢٨٣) لعصماء بنت مروان :

ألا أنِفٌ يبتغي غِرَّةً فيقطعُ من أمل المُرتجَى

وضُمّ آخر « فيقطعُ » ، والصواب « فيقطعَ » بالفتح لأنه منصوب بفاء السببية المسبوقة بالاستفهام . ووضعت فتحة على جيم « المرتجَى » والصواب « المرتجِى » بالكسر ويُغني عنه تنقيط الياء .

٦٩ ـ وفي (ص ٢٨٧) أربعة أبيات أولها :

لازلتَ في كلأ عميم نبتُهُ صخِبِ الذُبابِ

ورابعها :

لا تتقي غزو الجيوش ولا مغاورة الذباب

ولا وجه لتكرير الذباب فيه ، وواضح أنها تصحيف « الذئاب » . ثم إنّ الميم من « عميم » والشين من « الجيوش » حق كلّ منهما أن يكون في عجز بيته ، لأن البيتين مدوّران .

٧٠ ـ وفي (ص ٢٨٩) قال الهجري في عقارب الشتاء « ثم يقارب القمرُ العقرب ليلة اثنتين وعشرين وهي الجَثوم ، يكون في كانون الثاني » . وقوله « كانون الثاني » صحيح ، وسبقه الى هذا الاستعمال

الجاحظ ، واللغة العليا كانون الاخر ، وممن آخذ باللغة العليا ابن قتيبة في كتابه مواسم العرب ، قال (ص ٤٩) : « لأربع ليال تخلو من كانون الآخر » . ويجوز أن يُقال تشرين الثاني ، واللغة العليا تشرين الآخر . وقد أخذت المعجمات المعتمدة باللغة العليا . هذا في الشهور الرومية . أما في العربية فيقال جُمادى الآخرة وربيع الآخر ، فمن قال جمادى الثانية وربيع الثاني فقد خالف كلام الفصحاء . ونَفس القول في ذلك يطول ، اجتزىء منه بما قلت .

٧١ ـ وفي (ص ٢٩١) للغاضري ثلاثة أبيات أولها :

وهاجرة يقبل الذئب فيها على الغنم الرباع وهُوْ يراها

و « يقبل » بالباء تصحيف « يقيل » بالياء ، أي ينام منتصف النهار . و « على » أجدها تحريف « عن » ، فيكون المعنى أنّ الذئب من شدة حرّ الهاجرة يُؤثر أن ينام عن غنم يراها . وآخرها :

قطعتُ مخوفها بعثمّاتٍ عشاف السرّ تنفخُ في بُراها

و « عشاف» بالشين المعجمة تصحيف « عساف » بالمهملة . و « السرّ » بكسر السين فالراء المثقلة تصحيف « السير » ، و « تنفخ » بالخاء المعجمة تصحيف « تنفُجُ » بالجيم . والمعنى : أنه قطع مخوف الصحاري بإبل طويلة غليظة تركب رأسها في السير لايثنيها شيء ،وتثير ماتطأ من تراب . وممن أشار الى عسف ناقته كثيّر ، قال : « عسوفٌ بأجواز الفلا حميريةٌ ... »

٧٢ ـ وقد كدّ الدكتور حمود نفسه فيا لم يكن واجباً عليه ، ذلك أنه ماوجد في الكتاب أحداً منسوباً الى قبيلة الاّ ذكر سلسلة نسبها ، مع

الاشارة الى مرجع أو مرجعين ، فاحتوى ذلك كثيراً مما دونه في الكتاب ، فكان كمن أوجف فأعجف ، على حين خلّف للقارىء قدراً كبيراً من النصوص الغامضة تنتظر من يفسّرها .

٧٣ - والغلط المطبعي في الكتاب يشق تعديده ،ويطول استقصاؤه . وكنت في أثناء قراءتي الكتاب أعلّم على قريب من موضع الغلط بعلامة « ط » ثم وجدت أني غريق بحر من « الطاءات » فالغلط متفش في كل صفحة ، وقد يكون في الصفحة غلطة واحدة ، وقد تزيد وتزيد حتى تبلغ سبعاً . ولما كان الكتاب في نحو ٤٠٠ صفحة ، استدللت أن الغلط قد جاوز ألفاً ، وما رأيت غلطاً مطبعياً بلغ من كتاب مابلغ من هذا الكتاب . ولاشك أنّ طائفة من العثرات التي نبّهت عليها كانت من غلط المطبعة ، وكنتُ أمسكتُ عن الاشارة الى ذلك ، تاركاً إياه لفطنة القارىء وحدسه . يُضاف الى ذلك أن حروف المطبعة مسحوقة ، فتركت أثرها السيء في المطبوع . ومن جرّاء الغلط المطبعي ، وعثرات التحقيق ، وجدت في ثمر الكتاب حموضة ، وفي مورده رنقاً .

٧٤ - وقد كان لي في الكتاب نظرات أُخر تشتمل على فقر تزيد على ثلاثين ، وتخص القسم الأخير من الكتاب ، وكان يرجى لها أن تكون مع هذه النظرات عند التبييض ، ولكنها ضاعت ومعها الكتاب ، فغبرت في دار الغربة أشهراً مؤملاً أن أتلافى الأمر بلا جدوى .

ولا أُذكر أن الدكتور حموداً في تحقيقه الكتاب قد جَشم المشقة ، وبذل الوسع ، وأتى بفوائد حسنة كثيرة لا تخفى عنها الا العيون الداءة ، ويضيق عطني عن ذكرها لما ذكرتُ من ضياع قسم من مسوّدة مقالتي ومعها الكتاب ، وهو انْ كان أصاب في مواضع كثيرة فاصابته محمودة ،

وإن كان أخطأ الصواب في غيرها فذاك مستطاعه على أنه إن شاء يوماً أن يعيد طبع الكتاب بجزأيه ، فالرأي أن يأخذ بالصحيح مما يُتعقب عليه من أمور ، وأن يقابل مايحتاج الى مقابلة مما قاله الهجري بكتب اللغة والأدب ، وأن ينظر في نصوص لحلّ مشكلها وفتح مستغلقها ، وأن يُعنى بتخريج غيرها ، وأن لا يحتجر عن سؤال أهل العلم ممن له بصر في اللغة أو خبرة في التحقيق ، ولعله أن يظفر بمخطوطة أخرى للكتاب . وينبغي أن يدفع بالكتاب الى المطبعة التي يأنس فيها جودة الطبع وسلامته من الغلط . وعندئذ يُسَدّ الخلل ، ويُقام المَيَل ، وتُوَقّى النواقص ، وتُذَيّل القوالص ، ويحلو ثمر الكتاب ، ويصفو مورده . وذلك أنفى للومه ، وأبلغ في عذره .

لندن : صبحي البصام

● نظر الاستاذ أحمد راتب النفاخ في مقالة الاستاذ صبحي البصام ، فعلّق عليها بكلمة تنشر في العدد القادم من المجلة إن شاء الله
[لجنة المجلة] .

الحدائق الغناء في أخبار النساء

أو « تراجم شهيرات النساء »

تأليف : علي بن محمد بن جميل المعافري المالقي (ت ٦٠٥ هـ)

تحقيق : الدكتورة عائدة الطيبي

الأستاذة سكينة الشهابي

من المخطوطات النادرة النفيسة التي تضمها مكتبة تشيستر بتي بدبلن كتاب صغير في أخبار النساء أدرج في خزانة المكتبة برقم ٣٠١٦ ، وتحت عنوان : « تراجم شهيرات النساء » .

يتألف الكتاب من أحد عشر جزءاً حديثياً اختارت منه الدكتورة عائدة الطيبي سبعة أجزاء حققتها وطبعتها تحت عنوان : « الحدائق الغناء في أخبار النساء » .

جامع الكتاب أو مؤلفه « علي بن محمد بن جميل المعافري الأندلسي المالقي[1] . ولد في مالقة في منتصف القرن السادس الهجري ، وقصد الشرق شأنه في ذلك شأن معاصريه من علماء الأندلس الذين جعلوا الشرق كعبتهم يولون وجههم إليه حين يبحثون عن العلم ، ويريدون ارتشافه من منابعه الأولى .

---

(١) انظر حديثاً أوفى عن المالقي في الأعلام ٤ / ٣٣٠ ، ومقدمة الحدائق الغناء .

وقد أهله فضله وعلمه أن يقع الاختيار عليه لتولي إمامة قبة الصخرة والخطابة فيها أيام الملك الناصر صلاح الدين .

جمع المالقي أخبار كتابه ، وسمعها وكتبها سنة ٥٨١ هـ . وفي هذه السنة نفسها نجد اسمه بين سامعي التاريخ الكبير على القاسم بن علي بن عساكر في دار السنة بدمشق[٢] .

استطاع المالقي أن يؤلف من حوله القلوب ، فأجمعت على محبته ، حتى إذا أدركته المنية سنة ٦٠٥ هـ رافقته الألوف إلى مثواه الأخير رافعة الأكف إلى الله ، داعية أن يسكنه فسيح جنانه .

وبقليل من التأمل في تاريخ دمشق ، وفي هذا الكتاب الذي جمعه المالقي في أخبار النساء يبدو لنا بوضوح أن كتاب المالقي ليس إلا مختارات من أخبار نساء ترجمهن الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق كتبها بخطه ، وسمعها على عشرة من شيوخه[٣] . وقسمها إلى أحد عشر جزءاً ، ووضع في كل جزء عدداً من التراجم .

---

(٢) انظر تاريخ دمشق (نسخة كولومبيا رقم ١٥٣ ق ٨٢ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٤٥ ، ١٦٦) . وانظر كذلك الحدائق الغناء ص ٨٩ . فقد جاء في نهاية الجزء الخامس : « آخر الجزء والحمد لله وحده ، وصلواته على محمد وآله وسلامه . وكتبه علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي بدمشق في شهور سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بعد أن سمع ما فيه من الأخبار على الشيوخ المذكورين في أول كل خبر فيه ، في التاريخ المذكور » .

(٣) الشيوخ الذين سمع منهم مختاراته : (١) أبو محمد القاسم بن عساكر ، (٢) أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن السلمي الموازيني ، (٣) أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن =

ولم يكن ذا منهجٍ واضح في توزيع مترجماته على الأجزاء ، كذلك فإن هؤلاء اللواتي اختارهن لم يكن اختيارهُ لهن بدافع من سبب بيّنَ إلاّ إذا قدّرنا أنه كان يرغب بالطريف من الأخبار دون سواه . ومثل هذا التقدير تؤيده اختيارات المالقي في الترجمة الواحدة ؛ فهو يحذف من الأخبار مافيه ضبط اسم أو كنية ، أو تحقيق نسب . كذلك يختار من الروايات الكثيرة التي يوردها ابن عساكر في الخبر الواحد أكثر هذه الروايات طولاً ، وأجملها عرضاً ؛ فهو في أخبار سلامة القس لا يذكر ما نقله ابن عساكر عن ابن ماكولا والدارقطني في ضبط اسمها ، ولا ماقرأه في كتاب عتيق من جمع الصولي في الحديث عن ولادتها(٤) . بل يصطفي من ترجمتها الطويلة غرائب الأخبار والأشعار . ومثل هذا نستطيع أن نقوله في ترجمة سكينة بنت الحسين ، وعائشة(٥) بنت طلحة ، وغيرهن من النساء اللواتي اتسعت ترجماتهن ، وتنوعت أخبارهن .

وإذا كنا قد استطعنا بهذا أن نجد ما يشبه التعليل لانتقائه الترجمات من تاريخ دمشق ، ولاختياره للأخبار في الترجمة الواحدة فإننا لانستطيع أن نعلل هذه التقسيمات العامة في الكتاب كله .

= صصري ، (٤) أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي ، (٥) إسماعيل بن جوهر ، (٦) أبو الحسن هبة الله بن علي بن خلدون ، (٧) أبو القاسم غانم بن محمد ، (٨) إسماعيل بن علي بن إبراهيم أبو الفضل الجنزوي ، (٩)عبد الرحمن بن الحسين بن الخضر ، (١٠) عبد الله بن المسلم . وقد راعيت في ترتيب أسمائهم غزارة الرواية .

(٤) انظر الحدائق الغناء ٩٢ ، وتاريخ دمشق ـ تراجم النساء (ت ٥٦) .

(٥) انظر الحدائق الغناء ٥٤ ، ١٤٢ ، وتاريخ دمشق ـ تراجم النساء ٤٣ ، ٦١ .

فقد تقدم أن الكتاب يتألف من أحد عشر جزءاً حديثياً يبدأ كل واحدٍ منها بفهرسٍ للتراجم التي يتضمنها الجزء ، وذكر للسماع . وينتهي بعض هذه الأجزاء باسم الناسخ ـ وهو المعافري نفسه ـ وتاريخ النسخ ، ومكانه ، وتأكيد لسماعه على الشيوخ المذكورين في الأخبار[٦] وقد يخص بعض مترجماته بجزء كامل ، فقد استغرقت أخبار عائشة بنت طلحة الجزء الرابع من مختارات المالقي ، وسكينة بنت الحسين استغرقت أخبارها الجزء الثامن[٧] ، ولكنه لم يراع في أسماء اللواتي اختارهن الترتيب الهجائي ولا الموضوع الواحد . قد يوهم عرضه للترجمات في الجزء الواحد أن هناك ما يشبه التسلسل الهجائي ، ولكن مثل هذا الترتيب يخص كل جزءٍ من أجزائه مستقلاً عما قبله وما بعده . فلو نظرنا في الجزء السابع مثلاً[٨] لوجدنا المالقي بدأ هذا الجزء بعزة ، وأنهاه بليلى بنت الجودي مراعياً في أسماء المترجمات الترتيب الذي وردن عليه في تاريخ دمشق . ولكنه بعد أن بدأ هذا الجزء بعزة وأنهاه بليلى قصر الجزء الثامن على سكينة بنت الحسين . وكذلك بعد أن خص الجزء الرابع لعائشة بنت طلحة أتبعه في الجزء الخامس بترجمة « هوى » . وهكذا .

وعمل المعافري هذا لا نستطيع تفسيره إلا بشيء واحد وهو أنه كان يريد أن يسمي انتقاءه من تاريخ دمشق تأليفاً ، وأن يبعد الشبه بين الكتابين ، فقد حافظ على الترتيب الهجائي لأسماء مترجماته ضمن الجزء

(٦) انظر الحدائق الغناء ٨٩ .

(٧) انظر الحدائق الغناء ٥٤ ، ١٤٢ .

(٨) انظر الحدائق الغناء ١٣٠ ، ١٤١ .

الواحد من أجزائه المختارة والمسموعة على شيوخه ، ولكنه عرض هذه الأجزاء ليس على نسق واضح يمكن أن يفهم منه مغزى معين سواء كان ذلك في الشكل أو المضمون ، ولذلك فقد بعدت الصلة ـ إلا على المتمرس في أخبار التاريخ ـ بين الأصل والفرع ، بين التاريخ وبين الأخبار التي سمعها المؤلف من التاريخ ، فأراد أن يجمعها ويختصرها بأسلوب معين ليؤلف منها كتاباً صغيراً يضم أخباراً لعددٍ ممن ترجمهن الحافظ في التاريخ . ولكن المقارنة بين تاريخ دمشق وهذه الأخبار سرعان ما تكشف الصلة الوثيقة بين الكتابين ، فيحسُّ أنه إنما يقرأ في تاريخ دمشق ، والجديد في الأمر أن اسم الحافظ واسم ابنه القاسم أضيفا إلى حلقات الأسانيد حيث رويت عنها الأخبار . وربما اختفى اسم الحافظ وبقي القاسم وغيره من شيوخ المالقي رواةً للأخبار عن شيوخ أبي القاسم أنفسهم ، الذين روى عنهم هذه الأخبار في التاريخ .

كان ابن عساكر في تراجمه مؤرخاً يجمع كل ما سمعه وقرأه وكُتب به إليه من أخبارٍ تتعلق بالمترجمة ؛ كان يهتم باسم المترجمة وضبطه ، وضبط نسبها ، يحقق في ذلك تحقيقاً كبيراً ، ويهتم بروايتها ـ إن كانت لها رواية ـ وينقل ما قيل في مولدها ووفاتها ، ويلملم كل ما استطاع الوصول إليه من أخبارها . أما المالقي فكان يهمه لون واحد من الأخبار ، وهو أكثرها شيوعاً وطولاً وطرافةً ، ويقصد أنْ يكون من ذلك النوع الذي يمتع القارئ ويسليه ، فحين يأتي ابن عساكر بالخبر من طرق متعددة يأخذ المالقي هذا الخبر من طريق واحدٍ فقط ، ويجتهد أن يكون أطول الأخبار ، وأشملها ، وأغزرها بالفوائد الأدبية على القارئ ؛ وهو في عمله هذا يلتقي بابن منظور المصري مختصر تاريخ دمشق ؛ كل

من الرجلين يتجنب التكرار إلا حين يكون في هذا التكرار جديد ذو غناء ، ولكن المالقي كان حريصاً أشد الحرص على الأسانيد كما وردت في التاريخ بدءاً من شيخ الحافظ ابن عساكر ، أما ابن منظور فإنه حذف الأسانيد في مختصره كذلك فإن ابن منظور حافظ على الصلة بين التاريخ وبين مختصره ولم ينسب العمل لنفسه . أما المالقي الذي روى الأخبار عن شيوخه ووصل هذه الرواية بشيوخ الحافظ ابن عساكر في قسم كبير منها فقد أبهم الصلة بينها وبين موردها الكبير ، أراد أن يختار ساقية من بحر متلاطم ليطلق عليها اسمه . ولكن ماء ذلك البحر كان ذا طعم خاص لا يخفى على المتذوق .

والحقيقة أن كتاب المالقي هذا ذو قيمة كبيرة . ولا يكتسب قيمته من أنه كتاب صنعه مؤلفه في القرن السادس الهجري بغرضٍ واحدٍ ، ولكن أهميته تأتي من أمرين : أولهما أنه يطلعنا على ذلك النوع من الكتب التي عَمِلَت في تاريخ دمشق تنظيماً ، واختصاراً ، واختياراً ، وثانيهما أنه يعتبر قطعةً نفيسة من التاريخ كتبها أحد العلماء الذين سمعوا تاريخ دمشق على القاسم سنة ٥٨١ هـ .

وحين نتذكر أن القسم الذي وصلنا من تاريخ دمشق وفيه تراجم النساء وصلنا بخط متأخر جداً ـ كتبت نسخة أحمد الثالث في القرن العاشر ، وكتبت نسخة سليمان باشا في القرن الثاني عشر ـ نعلم أن تراجم شهيرات النساء أجود قطعة وصلتنا من أخبار النساء في تاريخ دمشق .

وكم كنا نتمنى أن تنشر هذه المخطوطة كاملة ، ولكن المحققة السيدة عائدة الطيبي اكتفت بسبعة أجزاء وجدت فيها أخباراً لشهيرات النساء في

عصر صدر الإسلام وأهملت الأجزاء الباقية لأنها لم تجد فيها أخباراً لنساء عشن في هذه الفترة .

وقد بذلت المحققة جهوداً مشكورة في تحقيق هذه الأجزاء السبعة ، ووضعت بين يدي عملها مقدمة وافية فيها حديث جيد عن المؤلف ومراحل حياته ، ومكانته العلمية ، وكان وصفها للأصل المخطوط في غاية الدقة .

وعلى الرغم من اتقان المحققة ، وعنايتها الكبيرة بضبط الأصل وصحة إعجامها له وحسن فهمها للنصوص ، وصحة تفسيرها للمعاني فإن القارئ يعثر على ما لابد منه من الأخطاء لأن الكمال لله وحده ، وهو سبحانه المنزه عن الخطأ .

وقد قسمت ما وجدته من أخطاء إلى نوعين :

١ ـ أوهام في الاجتهاد . وهذا شيء طبيعي فالمجتهد قد يخطئ وقد يصيب .

٢ ـ أوهام في القراءة أدت إلى بعض التصحيف والتحريف في الألفاظ .

أ ـ اختارت المحققة كما أسلفت سبعة أجزاء من الأصل المخطوط وترتيبها بين الأجزاء (٣ ـ ٩) . وأهملت الأجزاء (١ ، ٢ ، ١٠ ، ١١) لاعتقادها أن هذه الأجزاء الأربعة خارجة عن موضوع المخطوط الرئيسي ؛ « فالجزء الأول يتكلم عن حواريي السيد المسيح ، والثاني عن حواء ، والعاشر يروي قصة بلقيس وسليمان ، والحادي عشر يدور حول أيوب وزوجته[٩] » .

(٩) انظر مقدمة الحدائق الغناء ص ١١ ـ ١٢ .

والحقيقة أن ما سمته الدكتورة عائدة موضوعاً رئيسياً ليس أكثر من نسبة معينة للتراجم زادت في النساء اللواتي عشن في القرون الإسلامية الخمسة الأولى . ونقصت في أخبار اللواتي وردن دمشق قبل الإسلام ، أو كن من ساكنيها وأهلها .

ب ـ رأت المحققة أن أبا محمد القاسم بن عساكر « كان مصدر معظم الأخبار التي جمعها المعافري في كتابه الذي نحن بصدده[10] » ، وهذا صحيح من حيث المبدأ . فقد روى عنه ٧٦ خبراً من أصل ١٣٨ خبراً يتألف منها الكتاب . والحقيقة أن الحافظ أبا القاسم بن عساكر هو مصدر الأخبار كلها وقد روى المؤلف قسماً لا يستهان به منها عن شيخه القاسم بن عساكر .

جـ ـ لم تقف المحققة وقفة متأنية أمام العبارات التي وردت بلفظ الحافظ وأهمها ما يعيدنا فيه إلى أخبار ذكرها في بعض تراجم نسائه ، ففي أخبار عائشة بنت طلحة[11] ، جاء في قصة مصعب وأم منظور : « وقد ذكرت ذلك في ترجمة بثينة » . ومن الواضح أن مختارات المالقي من تاريخ دمشق ليس فيها ترجمة لبثينة ، والعبارة المتقدمة نقلت بلفظها من تاريخ دمشق[12] . وهذا يوثق الصلة بين مختارات المالقي والتاريخ الكبير ، ويحتم على المحققة أن تنبه إلى هذه الصلة .

---

(١٠) انظر مقدمة الحدائق الغناء ص٩ .

(١١) انظر ص ٩٥ من الحدائق الغناء .

(١٢)انظر تراجم النساء ت ٦١ .

د ـ ما رواه الحافظ ابن عساكر بلفظه في أخبار النساء من غير طريق إلى كتاب بعينه يرويه المالقي عن شيوخه عن ابن عساكر .

قال ابن عساكر في وفاة عريب المأمونية : « بلغني أن مولد عريب سنة إحدى وثمانين ومائة ، وتوفيت سنة سبع وسبعين ومائتين ، ولها ست وتسعون سنة وماتت بسرّ من رأى » . وصدر المالقي هذا الخبر بالطريق التالي : « أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم قراءةً ، والقاضي أبو المواهب لفظاً بدمشق ، قالا : أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ؛ قال[١٣] » :

وهذا يدلنا بوضوح على أن المالقي يروي ما يرويه من التاريخ الكبير ، ولم تشر إلى ذلك المحققة .

هـ ـ تقول المحققة ما معناه ان الحجاج بعث بليلى إلى من يقطع لسانها وقد استطاعت أن تخلص نفسها بذكائها[١٤] .

ولا أظن أن الحجاج أراد فعلاً أن يقطع لسان ليلى ، وليس المراد من قطع اللسان بهذا القول ظاهر معناه ، والذي أراده وهو من أساليب العرب المعروفة أن يقطع لسانها بالبر والصلة . ولكن الرجل الذي أرسلت إليه ليلى لم يكن يتقن الأساليب العربية ففهم من الأمر ظاهر معناه ، يؤكد ذلك غضب الحجاج وثورته عندما أخبرته ليلى بما كان عزم عليه الرجل ، نقم عليه جهله ، ولم يغضب عليه لأنه لم ينفذ لأمره .

---

(١٣) انظر الحدائق الغناء ص ١٠٩ .

(١٤) انظر الحدائق الغناء ص ١٩ .

و ـ ونظراً لبعد مابين المحققة وتاريخ دمشق من جهة ، والموارد التي استمد منها هذا التاريخ من جهة ثانية فإن نصاً رواه ابن عساكر من كتاب الجليس والأنيس ، وكان لفظ المعافى واضحاً فيه نسبته للمالقي واتخذت منه دليلاً على أن المعافري جمع هذه الأخبار « ليمتع بقراءتها من ناحية ، وليستغلها من ناحية أخرى ، إما عن طريق روايتها على تلاميذه ، وإما باستعمالها في كتاب آخر[١٥] » . تقول : « يطول الحديث في شرح كلمات لليلى الأخيلية ويتشعب ، فيضع المؤلف حداً لهذا الاستطراد ويعلق على ذلك بكلمات من عنده هي ، على ما يبدو ، الوحيدة في المخطوطة التي لم يروها عن غيره » . والحقيقة أن المخطوطة كلها ليس فيها كلمة لم يروها المعافري عن غيره . وهذا الاستطراد ليس من كلامه ولكنه من كلام المعافى بن زكريا القاضي الذي يروي من طريقه ابن عساكر الخبر بطوله ، إنه من تعليقات المعافى في مجلس من مجالسه التي كانت حافلة بالطرائف والأخبار والأشعار واللغة والغريب . كان المعافى موسوعة كبيرة لا يبدأ الحديث في موضوع من الموضوعات إلا يسترسل فيه لا يوقفه عن هذا الاسترسال إلا الحد الذي وضعه للمجلس الواحد من مجالسه ، فهو حين يتذكر هذا الحد يتوقف عن الاستطراد وينتقل إلى شيء آخر جديد يمكن أن يكون أكثر نفعاً ومتعة للقارئ .

ز ـ تعترض المحققة على إدراج هذا الكتاب في كتب التراجم ولا أجد لديها الحجة القوية من أجل هذا الاعتراض ؛ فهي ترى أن محتوياته « واردة على شكل وحدات منفردة من الأخبار والحكايات المتفاوتة

(١٥) انظر الحدائق الغناء ص ١١ والجليس والأنيس ق ٢٥ .

الطول ، يدونها المؤلف حرفياً كما سمعها من شيوخه ، ويستهل كلاً منها بإسنادِ . . » ، والاعتراض على قولها قوي ، وهو أنه لم يكن يدخل في الترجمة الواحدة ماليس فيها ؛ كان يختار من أخبار المرأة التي يترجمها ابن عساكر في التاريخ ، وهو وإن لم يكن له طابع واضح في الاختيار ، ولا منهج في حذف ما يحذف ، وتثبيت ما يثبت فإنه لم يكن يخلط ما كان يختاره في ترجمة امرأة من النساء مالا يخصها ، أو ما ورد في ترجمة سواها ، وماذا تقول المحققة عن فهرس الموضوعات الذي كان يضعه المؤلف بين يدي كل جزء وهو سرد لأسماء النسوة اللواتي تذكر أخبارهن فيه ؟

٢ ـ وفيما يلي ثبت بما تهيأ لي الصواب فيه من الألفاظ والأسماء :

ص ٣٤ س ١ . قالت : « دَلَجة » ، والصواب : « دُلجة » بضم الدال كما في الاشتقاق والقاموس .

ص ٣٥ س ٣ . قالت : « تخرُق الأرياح » ، والصواب : « تخرِق » بكسر الراء .

ص ٣٦ س ٦ . قالت : « . . ابن منسم » ، والصواب : « ابن مِقسَم » . روى أبو بكر ابن مِقْسَم كتاب : « المجالس » عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

ص ٣٧ س ١٧ . قالت : « الشاسي » ، والصواب : « الشاشي » نسبة إلى « شاش » مدينة وراء نهر سَيْحونَ نسب إلى هذه المدينة الهيثم بن كليب صاحب المسند كما في الأنساب . واللباب ومعجم البلدان .

ص ٤٦ ، ٨٨ ، ١٤٦ وما بعد : « الكناني » ، والصواب : « الكتاني » . وموضع أبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني معروف

في هذه الأسانيد ، وأخباره معروفة في كتب التراجم والأنساب .

ص ٤٧ س ٤ . قالت : « فُلق » ، والصواب : « فِلق » بكسر الفاء . فِلق الخبز كسره .

ص ٤٨ س ١٣ . قالت : « حر » ، والصواب : « جِسْر » يراجع في ذلك الإكمال ٢ / ١٠٠ .

ص ٤٩ س ١ . قالت : « هشام بن عماد » ، والصواب : « هشام بن عمار » مشهور .

ص ٤٩ س ١٤ . قالت : « أبو الحسين علي بن المسلم » ، والصواب : « أبو الحسن » . يراجع للتأكد مشيخة ابن عساكر ق ١٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ١٥٢ ، ومرآة الزمان ٨ / ٥١ .

ص ٥١ س ١ . قالت : « أبو الحسن بن النقور » ، والصواب : « أبو الحسين » . مترجم في هامش التحقيق من تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ص ٧٤ .

ص ٧٢ س ٨ . قالت : « صُضْرى » ، ضبطت اللفظة بضم الصاد أكثر من مرة . والمعروف أنه بفتح الصاد الأولى وسكون الثانية . يقارن ما ورد في الحدائق بالمطبوع (عاصم ـ عايذ) ٨٩ .

ص ٨٠ س ٥ . قالت :

إني أضرب الخلائق بالعود ... وأحكاهم لبَمٍ وزير

ضَبَطَتْ الهمزة بالكسر . والصواب فتحها لمناسبة البيت قبله .

ص ٨١ س ٤ . قالت : « محمد بن سعيد » ، والصواب : « محمد بن سعد » ، فهو صاحب الطبقات الكبرى ، أحد من روى عنهم الحارث بن محمد ، ابن أبي أسامة . .

ص ٨٤ س ٩ . قالت : « اختلى الناس » ، والصواب : « اختلف الناس » كما في تاريخ دمشق .

ص ٨٤ س ١٣ . قالت : « احتسبت » ، والصواب : « أحسست » .

ص ٨٥ س ١٥ . قالت : « نزاعةٌ » ، والصواب في هذه اللفظة النصب كما وردت في القرآن الكريم . وذكرت في هامش هذه الصفحة أن سعداً هو سعد بن خارجة أخو زيد بن خارجة لأمه . والصواب أنه « سعد بن خارجة أخو زيد بن خارجة لأبيه وأمه . انظر الإصابة ٢ / ٢٤ (٣١٤٣) .

ص ٨٦ س ١٩ . قالت : « العسلي » . والصواب أنه : « العنبسي » .

ص ٨٨ س ٢ . قالت : « حماد بن سلمة بن عطاء بن السائب » ، والصواب : « حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب » .

ص ٨٩ س ٢ . قالت : « امرأة ساقة » ، والصواب : « امرأة شابة » .

ص ٩٢ س ٩ . قالت : « أبو علي صفوان » ، والصواب : « أبو علي بن صفوان » .

ص ٩٣ س ١٠ . قالت : « عن عمه والحارث بن عيسى بن عبد الأعلى » . والصواب : « عن عمه الحارث بن محمد ، عن عيسى بن عبد الأعلى » .

ص ٩٤ س ١٤ . قالت : « ذرياق » ، والصواب : « ترياق » .
ص ٩٤ س ١٧ . قالت : « عن أبي الفرح » ، والصواب : « عن أبي الفرج » بالجيم .
ص ٩٦ س ٤ . قالت : « المنحي » ، والصواب : « المنبجي » .
ص ١٠١ س ٤ . قالت : « يطرق عريباً » ، والصواب منع « عريب » من التنوين للعلمية والتأنيث .
ص ١٠٤ س ٢ . قالت : «ياخير من مُسي » ، والصواب : « يا خير من مشى » .
ص ١٠٤ س ١٢ . قالت : « ملأته في سعادات » ، والصواب : « مليته » .
ص ١٠٩ س ٧ . قالت : « أصبحونا » ، والصواب وصل الهمزة لا قطعها .
ص ١٠٩ س ٨ . قالت : « العدوية » ، والصواب : « العذرية » ، كما في تاريخ دمشق .
ص ١٢٠ س ١ . قالت : « عزة بنت حميد » ، والصواب : « حميل » ، كما في تاريخ دمشق .
ص ١٢٤ س ٢ . قالت : « فلما مضت يأساً » ، والصواب : « قضت يأساً » .
ص ١٢٤ س ٥ . قالت : « فضربت رجله » ، والصواب : « رحله » ، كما في تاريخ دمشق .
ص ١٢٥ س ٣ . قالت : « فتجانت » ، والصواب : « فتحايت » ، كما في تاريخ دمشق .

ص ١٢٨ س ٩ . قالت : « مربد » ، والصواب : « مُرَيْد » . يراجع فيه الإكمال ٧ / ٢٣٤ .

ص ١٣١ س ١٨ . قالت : « لا نزوجه » ، والصواب : « لا تزوجه » .

ص ١٣١ س ٢٠ . قالت : « المِطرف » ، والصواب : « المُطرف » ، بضم الميم . جاء في القاموس مُطرف : كمكرم لقب عبد الله بن عمرو بن عثمان لحسنه .

ص ١٣٦ س ٨ . قالت : « حدثنا أبو محمد العلوي ، وهو يحي بن محمد بن أحمد بن زبارة حدثنا أبو محمد العلوي . . » ، وحدثنا الثانية مقحمة لأن أبا محمد هذا هو المتقدم ، وهو صاحب كتاب النسب .

ص ١٣٧ س ١ . قالت : « وقد ذكر أنها » ، والصواب : « وقد ذكرنا أنها » ، كما في تاريخ دمشق .

ص ١٣٧ س ٨ . قالت : « خِلّة » ، والصواب : « خُلّة » ـ بالضم ـ لأن معناه الصديق في النص ، والخُلة ـ بالضم ـ الصديق للذكر والأنثى ، أما الخِلة فهي المصادقة .

ص ١٣٩ س ١ . قالت : « سقطت أسنانها سن سن » ، والصواب : « سناًسناً » .

ص ١٤٢ س ١٩ . قالت : « أبو بكر بن ربذة » ، والصواب : « أبو بكر بن رِيذَة » .

ص ١٤٣ س ٢ . قالت : « حدثني » ، والصواب : « حدثتني » .

ص ١٤٥ س ١٦ . قالت : « أبو منصور بن رزيق » ، والصواب : « أبو منصور بن زريق » .

ص ١٤٨ س ١٣ . قالت : « ونقـذت أسبـاب » ، والصواب : « وبعـدك أسباب » .

ص ١٤٩ س ٤ . قالت : « ولا الموت فيهـا » ، والصواب : « ولا الموت فيا » .

ص ١٤٩ س ١١ . قالت : « ويلتقي . . » ، والصواب : « وتلتقي » .

ص ١٥٠ س ٢ . قالت : « الهمْذاني » ، والصواب : « الهَمْداني » .

ص ١٥٠ س ٢ . قـــالت : « أحمـــد بن سعيـــد » ، والصـواب : « أحمـد بن شعيب » كما في تـاريخ دمشق ، وتـاريـخ بغداد ٤ / ١٩٣ .

ص ١٥٠ س ٧ . قـــالت : « الخطفى » ، والصــواب الخطفي بلفـــظ النسب وكذلك في ص ١٥٢ .

ص ١٥٠ س ١٥ . قـالت : « تبُصّ » بضم البـاء . والصـواب : « تبِصّ » بكسر الباء .

ص ١٦٢ س ٨ . قالت : « تبدل عزمهم » ، والصواب : « عزهم » .

ص ١٦٢ س ١٢ . قـالت : « أحمـد بن عبيـد بن أبي الحسن المـدائني » ، والصواب : « أحمد بن عبيد عن أبي الحسن المدائني » .

ص ١٦٣ س ١٣ . قـــالت : « مـولى العنبســة » ، والصــواب : « مــولى لعنبسة » .

ص ١٦٣ س ١٠ . قالت : « والله لا يعطي العداة » ، والصواب : « ولله لا تعط » .

ص ١٦٣ س ١٤ . قالت : « زف كتيبة » ، والصواب : « رز كتيبـة » ، وهو صوت تسمعه من بعيد .

ص ١٦٤ س ٥ . قـالت : « بـالقـور » ، والصـواب : « القَـوْزُ » وتكرر الخطأ في ص ١٧٠ .

ص ١٦٤ س ٣ . قـالت : « بلى قـد تصبر العين » ، وهو تحريف واضح لا يستقيم به البيت وزنـاً ولا معنى ، وصوابـه : « بلىَ قد يضير العين » .

ص ١٦٦ س ١٦ . قالت : « وإصابتنا » ، والصواب : « وأصابتنا » .

ص ١٦٧ س ٣ . قالت : « التي تأتي » ، والصواب : « الذي يأتي » .

ص ١٧٢ س ١١ . قالت : « محمـد بن أحمـد بن أبي البلح » ، والصواب : « محمـــد بن أحمـــد بنِ أبي الثلــج » وهـو شيـخ المعافى بن زكريا القاضي أكثر عنـه في كتـابـه الجليس والأنيس .

ص ١٧٤ س ١٨ . قـــالت : « شيبخت » ، والصـــواب : « سيبخت » . انظر تـاريـخ دمشق « عبـد الله بن جـابر ـ عبـد الله بن زيد » ص ٣١ هـ ٣ .

ص ١٧٥ س ١ . قـالت : « أعـلاه : نمرقـة » ، وصـوابـه : « أعلى نُمرُقة » . ويبدو أن الذي قـاد إلى هـذا التصحيف في اللفظـة الأولى رسم آخرهـا بـالألف الطويلـة . ومثل هـذا الرسم كثير في الإمـلاء القـديم . والنمرقـة ذكرتهـا المعاجم بالضم ، وقالت إنها مثلثة .

هذا ما جرى به قلمي وأنا أقرأ كتاب : « الحـدائق الغنـاء في أخبـار النساء » أضعه بين أيدي القراء فأرجو أن تقبله مني السيدة المحققـة وتقبل مني كلمـة تقـدير وإعجـاب بهـذا العمل القيم الـذي خـدمت بـه المكتبـة

العربية . ولعل هذه المقدمة الشائقة التي صدرت بها الكتاب تكوّن بداية طريق جديدة لدراسة المجتمع العربي بشكل عام ، وأهمية المرأة في هذا المجتمع بشكل خاص . لقد استطاعت الدكتورة عائدة أن ترسم لنا بدقة دور المرأة في عصر صدر الإسلام . وتلقي الضوء على جوانب من المجتمع كانت وما زالت تشغل بال القارئ العربي يريد أن يعرف ما مدى الحرية التي تتمتع بها المرأة ؟

أرتنا الدكتورة عائدة أن المرأة العربية كانت تتمتع بحرية كبيرة ، وكانت تشكل فعلاً نصف المجتمع ، وكانت تلك الرؤية مبنية على أسس ثابتة سليمة مستمدة من تلك الأخبار التي انتقاها المالقي من تاريخ دمشق ، وجمعها في هذا الكتاب الطريف « تراجم شهيرات النساء » .

سكينة الشهابي

آراء وأنباء

أسبوع العلم الثاني والعشرون

نظّم المجلس الأعلى للعلوم بدمشق أسبوع العلم الثاني والعشرين في الفترة الواقعة بين ٢٠ ـ ٢٦ محرم ١٤٠٣ هـ / ٦ ـ ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ م .

وقد ألقي ما يزيد على مائة وخمسين بحثاً ودراسة ومحاضرة في العلوم الأساسية ، والعلوم الزراعية والبيولوجية ، والعلوم الطبية والصيدلية وطب الأسنان ، والعلوم الهندسية ، شارك فيها أكثر من خمسين ومائة عالمٍ من جنسيات مختلفة .

وأقيمت ندوتان :

الأولى : ندوة الإنسان والبيئة شارك فيها السادة : الدكتور المهندس الزراعي يحي بكور والدكتور عادل حموي الأستاذ بكلية العلوم (جامعة دمشق) والدكتور أحمد ديب دشاش الأستاذ بكلية الطب والمهندس سعد الله الشواف .

والثانية : ندوة النسبية . شارك في مناقشاتها السادة : الدكتور عبد الكريم اليافي ، والأستاذ المهندس وجيه السمان ـ عضوا مجمع اللغة العربية بدمشق ـ والدكتور هانس ستيفاني أستاذ الفيزياء في جامعة يينا في ألمانيا

الديمقراطية ، والدكتور أدهم السمان أستاذ في كلية العلوم بجامعة دمشق ، والمهندس فايز فوق العادة أمين سر الجمعية الكونية السورية ، والأستاذ فريجيس كاروليهازي أستاذ الفيزياء في جامعة بودابست في هنغاريا ، والأستاذ محمود الصغيري من مركز الدراسات والبحوث اليمني ...

كما واكب الاسبوع معرضان :

أحدهما : معرض الكتاب العلمي الذي أقيم في قاعة مكتبة جامعة دمشق ، وضم مجموعة كبيرة من الكتب تمثل منشورات المؤسسات التعليمية ، والعلمية ، والثقافية في القطر العربي السوري ، والمكتبات ودور النشر ، إضافة إلى مساهمة بعض المراكز الثقافية غير العربية ، والمنظمات الدولية .

والثاني : معرض الأجهزة العلمية والمستحضرات الطبية . وقد عرضت فيه الشركات العالمية ، والمكاتب العلمية التي اشتركت فيه كل ما استجد في عالم التكنولوجيا من أجهزة ومستحضرات .

ندوة حول حياة المستعرب كراتشقوفسكي وأعماله

دعا المركز الثقافي السوفييتي بدمشق مساء الأربعاء ١٩٨٣/٣/١٦ إلى ندوة خصصت للحديث عن المستعرب السوفييتي الكبير أغناطيوس كراتشقوفسكي بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده ، وقد شارك في الندوة السادة : الدكتور عبد الكريم اليافي عضو مجمع اللغة العربية ، والدكتور كوتشا جعفر يدزة رئيس المركز الثقافي السوفييتي بدمشق ، والأستاذ الأديب سعيد حورانية .

تحدث الدكتور كوتشا جعفر يدزة في بداية الندوة عن حياة المستعرب كراتشقوفسكي وأعماله ، فذكر بأنه روسي المنشأ . ولد في ١٨٨٣/٣/١٦ في أسرة علم ، يعمل ربها في مجال التربية ، مما هيأ له سبل الوصول إلى أعلى مراحل الدراسة ، فحصل على الإجازة الجامعية عام ١٩٠٥ م من كلية الدراسات الشرقية ، وعين أستاذاً في قسم اللغة العربية في الكلية نفسها . وفي عام ١٩٠٨ أوفد إلى المشرق العربي لدراسة اللغة العربية عن قرب . وللتعرف على رجالات العلم والأدب ، فأقام في جامعة القديس يوسف ببيروت ، وزار مصر مرتين ، وزار دمشق وحلب وحمص وحماة والقدس والناصرة ، وتعرف على المخطوطات فيها وعمل بها ... وعاد إلى وطنه عام ١٩١٠ ليعاود سيرته الأولى ويتابع عمله التربوي ، وفي عام ١٩٢١ انتخب عضواً عاملاً في أكاديمية العلوم ، وفي عام ١٩٢٣ انتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، واشترك في

نشاطاته ، كما انتخب عضو شرف في المجمع العلمي العراقي . ثم أصبح رئيساً لقسم اللغة العربية للأكاديمية في لينينغراد عام ١٩٣٠ . واستمر في عطائه العلمي إلى أن توفي في ١٩٥١/١/٢٤ ، ودفن في لينينغراد .

أما أعماله فقد أربت على الخمسين والأربعمائة . وكان تاريخ الأدب العربي من أكبر اهتماماته .. فدرس حياة الوأواء الدمشقي وشعره .. وأعمال المعري ، وشعر أئمة الابداع في الأدب العربي كعمر بن أبي ربيعة ، والخنساء ، وابن المعتز ، والبحتري ، وذي الرمة ، والشنفرى .. وترجم بعض أعمالهم إلى اللغة الروسية كنشيد الصحراء للشنفرى و « رسالة الملائكة » للمعري ... ووضع العديد من الكتب حول تاريخ الأدب العربي ككتاب « الملاحظات العامة حول تطور الشعر العربي » ألفه عام ١٩٢٤ ، وكتاب « الشاعرية العربية في القرن التاسع » عام ١٩٣٠ . وجذبته الحركة الأدبية التي ظهرت في الأندلس فأفرد لها دراسة في كتاب ألفه عام ١٩٤٠ .

وكانت المخطوطات شغله الشاغل .. بحث عنها في كل مكان ، وكشف عن بعضها ككتاب « المنازل والديار » لأسامة بن منقذ ، ومخطوطات ابن مماتي ..

كما أولى اهتمامه أيضاً الجغرافية العربية .. فدرس نشأتها ، وساير مراحل نموها .. ولم تفته دراسة الأدب العربي الحديث ، خاصة أنه عاش مرحلة انبعاثه في أوائل القرن العشرين ، وواكب أعلامه الذين أقاموا صرحه ، وشادوا بنيانه كأمين الريحاني ، وبطرس البستاني ، وجرجي زيدان ، وقاسم أمين ، وطه حسين .. فألف كتاب « الأدب العربي الحديث » عام ١٩٣٥ ، و « الأدب العربي في القرن العشرين » عام

١٩٤٠ ، و « الأدب العربي المعاصر » عام ١٩٤٧ . فكان أحد مؤسسي فرع دراسة الأدب العربي الحديث ...

ونتيجة تعلقه باللغة العربية وآدابها دعا إلى الاستعراب وشجع عليه .. وألف كتاب « تاريخ الاستعراب الروسي » فمنح بسببه جائزة الدولة السوفييتية .

وبلغ به حبه للغة العربية أن أوصى بكتابة بيتين من الشعر العربي على قبره ..

أحدهما بيت الخنساء :

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى

والآخر لأبي العتاهية :

الموت باب وكل الناس داخله

ثم تحدث الأستاذ الأديب سعيد حورانية فتناول منهج كراتشقوفسكي في التحقيق والتثبت من النصوص . فأشاد بقدرته على الاستنتاج ، ودقته العلمية في ضبط النصوص ، وسعة أبحاثه ، فقد غطى كل مراحل الأدب العربي من الشنفرى إلى أمين الريحاني بالإضافة إلى تعمقه في دراسة بعض أعلام الأدب العربي الذين اعترى مؤلفاتهم الغموض ، ودارت حول آثارهم المناقشات كالمعري ، وتحريه عن صدق بعض النظريات حول أصل الشعر الجاهلي التي بدأ يثيرها بعض المستشرقين ، وتبناها عدد من الأدباء العرب .. وأفاض الأستاذ حورانية في حديثه عن شغف كراتشقوفسكي في تحري الدقة العلمية في مثل قصة مجنون بني عامر ، فاستعرض كل المصادر التي أتت على ذكر القصة ، وقارن بينها بصدق العالم ، وأناة الباحث .

وكان مسك الختام حديثاً للدكتور عبد الكريم اليافي الذي استوفى حياة المستعرب وعلاقاته العلمية واتجاهاته الفكرية وأعماله الاستشراقية .. فأضاف ملاحظات جليلة ، ونفذ ببصيرة المفكر إلى أعماق كراتشقوفسكي ، فعلل ولعه بالشرق ، وحبه للغة العرب إلى نشأته في اوزبكستان حيث عمل أبوه لسنوات .. عايش أهلها الذين يدينون بالإسلام ، فأحب عاداتهم ، وأعجب بلغتهم .. وكبر هذا الحب في قلبه مع الأيام . فاتجه إلى دراسة بعض اللغات الشرقية والسامية ، إلا أنه آثر البقاء في رحاب العربية ، فانصرف إلى دراستها ، والتعمق في شعابها ، ولاقى في ذلك الكثير من الصعاب .. لكنه عزم على السير في هذا السبيل حتى أنه حبس نفسه في قرية من قرى لبنان ، لا يستمع إلا إلى أهلها . ولا يتكلم إلا بلسانهم ، فأضحى من يسمعه يحسب أنه عربي أصيل .

في رحلته إلى البلاد العربية تجاذبه أمران : صداقته للكتب والمخطوطات من جهة ، وصداقته للناس من جهة أخرى .

تعرف على المخطوطات في مكتبات بيروت ودمشق (مكتبة الملك الظاهر - كما كان يدعوها -) وحلب والقاهرة (المكتبة الخديوية ، ومكتبة الأزهر) .

وتعرف على أعلام الأدب ، والباحثين العرب والأجانب في ذاك الوقت كالريحاني ، وجرجي زيدان ، ومحمد كرد علي ، ولامنس ، ونللينو وغيرهم ...

ومن خلال معايشته للمخطوطات ، وإدامته النظر بها استطاع أن يبعث بعض كنوزها .. ففي المكتبة الخديوية بمصر وجد مخطوطته « ديوان الوأواء الدمشقي » فأحياها وطبعها عام ١٩١٣ م . كما اكتشف

مخطوطة « رسالة الملائكة » للمعري ونشرها عام ١٩٣٢ . وكان له الفضل في إكتشاف بعض مخطوطات أسامة بن منقذ كما سلف .

وفك رموز بعض النصوص العربية المكتشفة ..

ولكنه وجّه جل اهتمامه لتاريخ الأدب العربي ودراسة أعلامه .. فأظهر أعمال الشنفرى ، وعمرو بن قميئة ، وسلامة بن جندل ، والنعمان بن بشير ، وأبي دهبل الجمحي ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وابن المعتز ، وعلي بن الجهم ..

وكتب سلسلة مقالات نوه بها بأعلام الأدب الحديث .. وبالتيارات الأدبية المهجرية ..

وترجم إلى اللغة الروسية « كليلة ودمنة » وقصة « الأيام » لطه حسين . و « رسالة الملائكة » للمعري و « ديوان الوأواء الدمشقي » . وكان أول من كتب بالروسية عن الأدب العربي الحديث وأعلامه .

وفي عام ١٩٦٣ صدرت له ترجمة كان قد أعدها للقرآن الكريم باللغة الروسية .

واختتم الدكتور اليافي حديثه عن المستعرب الكبير بأبيات من نظمه ..

وسوف تنشر مقالة الأستاذ الدكتور اليافي في العدد المقبل من مجلة المجمع

فادية محي الدين

مجلة معهد المخطوطات العربية بالكويت

صدر عن معهد المخطوطات العربية في الكويت الجزء الثاني من المجلة التي تحمل اسمه● وقد افتتح العدد الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بكلمة منه جاء فيها : « بين يدي الباحثين والعلماء الجزء الثاني من « مجلة معهد المخطوطات العربية » في ثوبها الجديد . وهو الجزء الذي تُتمُّ به مجلة المعهد مجلدها السادس والعشرين .

لقد تعرضت هذه المجلة لما تعرض له العمل العربي من مصاعب وعقبات ، فتوقفت عن الصدور فترة قصيرة من الزمن . وهي فترة انتقال المعهد من مقره السابق [بالقاهرة] إلى مقره الجديد في الكويت . ولكن العمل الدؤوب المخلص خلَّف وراءه تلك المصاعب والعقبات ، ماضياً بالمجلة إلى غاياتها النبيلة .

إن معهد المخطوطات في مرحلته الحالية يسعى - كما سعى من قبل - إلى تحقيق الأهداف السامية التي أُسِّس من أجلها . ولعلَّ من أهمها تصوير المخطوطات العربية من شتَّى بقاع الأرض ، وفهرستها فهرسة

● ويرأس تحرير المجلة الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مدير معهد المخطوطات . وهي تهتم بنشر الدراسات والبحوث والنصوص المحققة والفهارس والتقارير المتعلقة بالتراث العربي المخطوط والمطبوع ، في جميع فروع المعرفة الإنسانية .

فنية ، وتيسير تداولها ، ودراستها دراسة علمية ، ونشر المهم منها ، مستعيناً ـ لتحقيق ذلك كله ـ بالعلماء والمتخصصين من مختلف أنحاء العالم .

وهذه المجلة التي يصدرها المعهد مرتين في العام هي واحدة من الجهود التي تُبذل لإحياء ثروتنا العربية من المخطوطات ، إيماناً بدور الثقافة العربية في بناء مجتمعنا المعاصر .

وإننا نأمل في أن يكون صدور هذه المجلة من جديد بدايةً لنشاط حافل يؤتي ثماره اليانعة في وقت ليس ببعيد .

والله الموفق »

وقد احتوى الجزء الثاني بالإضافة إلى كلمة الافتتاح المقالات والدراسات التالية :

- دراسة وتعليق على كتاب : « التصريف لمن عجز عن التآليف »
الجزء الثلاثون ـ للزهراوي — د . أحمد مختار منصور
- حول المخطوطات العربية في جنوب يوغسلافيا — د . محمد موفاكو
- دراسة تحليلية في ديوان خالد بن يزيد في الكيمياء
فاضل خليل ابراهيم
- رسالتان في الهندسة تنسبان إلى أرشميدس — د . أحمد سليم سعيدان
- « مسائل نحو مفردة » للعكبري — ياسين محمد السواس
- التراث العربي في المكتبة الوطنية بباريس — د . محمد زهير البابا
- المخطوطات اليمانية في مكتبة : علي أميري ـ ملّت باستانبول .
د . محمد عيسى صالحية

- التعريف بكتاب « أعلام السنن » للخطابي د . يوسف الكتاني
- مخطوط « نوازل ابن سهل الأسدي الاندلسي »
د . محمد عبد الوهاب خلاّف
- المجلد العاشر « لذيل تاريخ بغداد » لابن النجار ماجد الذهبي
- جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي :
حياته وآثاره المخطوطة والمطبوعة صلاح الدين الخيمي
- تعليق على مقالة : مصادر الباخرزي في كتابه :
« دمية القصر وعُصرة أهل العصر » د . سامي مكي العاني
- كتاب نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا (الجزء الأول)
ملاحظات حول ثلاث مخطوطات د . عبد العزيز المانع
- وجهة نظر في تحقيق التراث ونشره د . محمد إحسان النص

وكان قد صدر الجزء الأول في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢ م وتضمن من البحوث والدراسات مايلي :

- نظرة في تحقيق الكتب (علوم اللغة والأدب) .
د . أحمد مطلوب
- إنشاء معهد قبل قرنين لتلقين فن الكتابة
والتزويق والتجدول . د . عبد الهادي التازي
- تقديم وتحليل لكتاب « جامع المبادئ والغايات »
لأبي علي الحسن بن علي (أو عمر) المراكشي . د . محمد سويسي
- مجموع خطي نادر في الطب والصيدلة . أسامة النقشبندي
- ضوء جديد عن زمن تأليف جمهرة أشعار العرب د . سليمان الشطي
- مصادر الباخرزي في كتابه « دمية القصر وعصرة أهل النصر » .
د . محمود عبد الله الجادر

- الأشهب بن رميلة « شاعر أموي مغمور ، تحقيق ودراسة » .

د . نوري حمودي القيسي

- قواطع الأدلة في الأصول لابن السمعاني ،
دراسة وتحقيق للمقدمة . د . محمد حسن هيتو

- كتاب في علم الخواص للمدايني . د . سامي مكي العاني
- برنامج صلة الخلف بموصول السلف (القسم الأول) . د . محمد حجي
- نقد كتاب « التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح » .

د . أحمد مختار عمر

- تقرير عن « معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب » .

فادية محي الدين

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

عام ١٩٨٢ (١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ)

١ ـ زجر النابح (مقتطفات) :

تأليف أبي العلاء المعري ـ جمع وتحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٦ صفحة (الطبعة الثانية) .
وهو كما يقول ابن العديم : كتاب يتعلق بلزوم مالايلزم ، يردّ فيه المعري على من طعن عليه في أبيات من هذا الكتاب ونسبه إلى الكفر فيها فبين وجوهها ومعانيها .

٢ ـ التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) :

تأليف أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي ، من علماء القرن السابع الهجري ـ تحقيق أبو العيد دودو ـ مراجعة الدكتور عدنان درويش ـ ٣٥٦ صفحة . والكتاب تأريخ للدولة الأيوبية يبدأ بحوادث سنة ٥٨٩ وينتهي إلى سنة ٦٣١ هـ

٣ ـ الأزهية في علم الحروف :

تأليف علي بن محمد النحوي الهروي ـ تحقيق الأستاذ عبد المعين الملوحي ـ ٣٨٤ صفحة ـ الطبعة الثانية ـ يتناول المؤلف في كتابه هذا العوامل النحوية بمنهجية ودقة ، ووضوح تقسيم ، وتنوع أمثلة ، وشواهد متعددة .

٤ ـ كتاب الأفضليات :

تأليف أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ـ تحقيق الدكتورين وليد قصاب وعبد العزيز المانع ـ ٣٩٢ صفحة .

الكتاب مجموعة رسائل أدبية من أدب العصر الفاطمي كتبها المؤلف للملك الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش المصرية ، وهي سبع رسائل : رسالة العفو ـ رد المظالم ـ لمح الملح ـ منائح القرائح ـ مناجاة شهر رمضان عقائل الفضائل ـ التدلي على التسلي .

٥ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ قسم الأدب ـ الجزء الأول :

وضعه الأستاذ رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ـ ٤٥٦ صفحة وهو وصف للمخطوطات الأدبية مرتبة حسب التسلسل الهجائي يبدأ بحرف الهمزة وينتهي بحرف القاف .

٦ ـ تاريخ مدينة دمشق :

تصنيف الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ ـ تحقيق الدكتور شكري فيصل ـ روحية النحاس ـ رياض مراد .

ويضم تراجم ٢٠٦ من الأعلام من حرف العين رتبت أسماؤهم بحسب التسلسل الهجائي ويبتدئ من تراجم من اسمه عبادة وينتهي بتراجم عبد الله بن ثوب .

٧ ـ شعر ابن ميادة (الرماح بن أبرد المري) :

جمع وتحقيق الدكتور حنا جميل حداد ـ راجعه وأشرف على طباعته الأستاذ قدري الحكيم ـ ٣٣٦ صفحة .

الكتب التي قرر المجمع طباعتها

لعام ١٩٨٣ م (١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ هـ)

ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الأدب) الجزء الثاني وضعه رياض مراد و ياسين السواس .

ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم المجاميع) وضعه ياسين السواس .

ـ الثقافة الاسلامية في الهند ـ تأليف عبد الحي الحسني .

ـ أسباب حدوث الحروف لابن سينا ، تحقيق حسان الطيان ويحي ميرعلم .

ـ مشيخة أبن طهمان ، تحقيق محمد طاهر ملك .

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر :

ـ جزء فيه ترجمة عثمان بن عفان ، تحقيق سكينة الشهابي .

ـ جزء فيه تراجم (عبد الله بن سالم ـ عبد الله بن أبي عائشة) تحقيق مطاع الطرابيشي .

ـ جزء فيه قسم من السيرة النبوية ، تحقيق نشاط غزاوي .

ـ حواشي ابن بري على المعرب للجواليقي ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي :

ـ سفر السعادة وسفير الافادة للسخاوي ، تحقيق محمد الدالي .

ـ كتاب معرفة الرجال ليخي بن معين ، تحقيق محمد الكامل القصار .

- التوفيق للتلفيق للثعالبي ، تحقيق إبراهيم الصالح .
- شعر دعبل بن علي الخزاعي ، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر .
- المستدرك على فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر) وضعه رياض مزاد .
- ديوان شفيق جبري يشرف على طباعته قدري الحكيم .
- نظرات في ديوان بشار بن برد للدكتور شاكر الفحام .
- كتاب اللامات لأحمد بن فارس ، تحقيق الدكتور شاكر الفحام .
- كتاب وصف المطر والسحاب لابن دريد ، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي ، ومراجعة الدكتور شاكر الفحام .
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء .
- شعر خداش بن زهير ، تحقيق الدكتور يحيي الجبوري .
- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ، تأليف صفي الدين الحلي ، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي .

الكتب المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ١٩٨٢

الأستاذ محمد مطيع الحافظ

- **غريب الحديث** للإمام أبي سليمان حمد الخطابي (١ ـ ٢) تحقيق عبد الكريم العزباوي ـ مكة المكرمة ١٩٨٢ م .
- **دراسات في الفقه الإسلامي** إعداد د . عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان ، و د . محمد ابراهيم أحمد علي ـ مكة المكرمة .
- **عالم الأمة وزاهد العصر العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسني** تأليف محمد رياض المالح ـ دمشق ١٩٧٧ م .
- **المنهج الاسلامي في الجرح والتعديل** تأليف د . فاروق حمادة ـ الرباط ١٩٨٢ م .
- **معجم الشيوخ** تأليف محمد بن فهد الهاشمي المكي ـ تحقيق محمد الزاهي ـ مقابلة الأستاذ حمد الجاسر ـ الرياض ١٩٨٢ م .
- **الفكر الإسلامي والاختيار الصعب** د . عباس الجراري ـ الدار البيضاء ١٩٧٩ م .
- **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة** تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ـ الرياض ١٩٨١ م .
- **شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في أصول**

الفقه تأليف محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار (المجلد الثالث) تحقيق د . محمد الزحيلي ، و د . نزيه حماد ـ مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ .

ـ **أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية** مع تحقيق كتابه الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي (١ ـ ٣) ـ دراسة وتحقيق د . سعدي الهاشمي . الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .

ـ **المصطلح النحوي : نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري** تأليف عوض القوزي ـ الرياض ١٩٨١ م .

ـ **المساعد على تسهيل الفوائد** تأليف بهاء الدين بن عقيل (الجزء الثاني) تحقيق د . محمد كامل بركات ـ مكة المكرمة ١٩٨٢ م .

ـ **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد** (١ ـ ٢) تأليف الأستاذ حمد الجاسر ـ الرياض ١٩٨١ م .

ـ **معجم قبائل المملكة العربية السعودية** (١ ـ ٢) تأليف الأستاذ حمد الجاسر ـ الرياض ١٩٨١ م .

ـ **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)** لأبي البقاء أيوب الكفوي (٤ ـ ٥) تحقيق د . عدنان درويش ومحمد المصري ـ دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة** تأليف د . ابراهيم يوسف السيد ـ الرياض ١٩٨٠ م .

ـ **أخبار أبي العيناء اليمامي** تأليف محمد بن ناصر العبودي ـ الرياض ١٩٧٨ م .

ـ **شعراء أمويون (القسم الثالث)** دراسة وتحقيق د . نوري حمودي القيسي ـ بغداد ١٩٨٢ م .

- **أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج** تأليف د . مسعود بوبو - دمشق ١٩٨٢ م .

- **حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام** تأليف د . نشأة ظبيان - دمشق ١٩٧٦ م .

- **ابن طفيل وقصة حياة حي بن يقظان** تأليف د . عمر فروخ - بيروت ١٩٨٢ م .

- **في صحبة الشعر والشعراء** تأليف محمد عبد الغني حسن - القاهرة ١٩٨٢ م .

- **النبع (شعر)** حسن كامل الصيرفي - القاهرة ١٩٨٢ م .

- **مع الشعراء (مختارات ومطالعات)** تأليف الأستاذ حمد الجاسر - الرياض ١٩٨٠ م .

- **شرح الكافية الشافية** لمحمد بن عبد الله المعروف بابن مالك (١ - ٥) تحقيق عبد المنعم هريدي - مكة ١٩٨٢ م .

- **التكملة للإيضاح العضدي** لأبي علي الفارسي - تحقيق د . حسن شاذلي فرهود - الرياض ١٩٨١ م .

- **سيفيات المتنبي : دراسة نقدية للاستخدام اللغوي** تأليف سعاد عبد العزيز المانع - الرياض ١٩٨١ م .

- **أبو ذؤيب الهذلي - حياته وشعره** تأليف نورة الشملان - الرياض ١٩٨٠ م .

- **أسطورة فاوست** تأليف أندره دابيزيس - ترجمة خليل شطا - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الرواية السورية (١٩٦٧ - ١٩٧٧)** تأليف نبيل سليمان - دمشق ١٩٨٢ م .

- **المبارزة** تأليف الكسندر كوبرين - ترجمة يوسف حلاق - دمشق ١٩٨٢ م .

- **عزيزي تيو** (مختارات من رسائل فانسنت فان كوخ إلى شقيقه تيو) اختيار وترجمة عاصم الباشا - دمشق ١٩٨٢ م .

- **أبطال وطباع** (مقالات في النقد والنقد المقارن) تأليف ايفريم كارنفيلوف - ترجمة ميخائيل عيد - دمشق ١٩٨٢ م .

- **القصة القصيرة في سورية** تأليف د . حسام الخطيب - دمشق ١٩٨٢ م .

- **النحل البري والعسل المر** (دراسة في الشعر السوري المعاصر) تأليف حنا عبود - دمشق ١٩٨٢ م .

- **بيكيت (حضور الأدب)** تأليف جيرار ديروزوا - ترجمة ولي الدين السعيدي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الملك ماتياس الأول (الجزء الأول)** تأليف يانوش كورشال ترجمة ماري لو سمعان - دمشق ١٩٨٢ م .

- **المأساة والخوف** (لماذا لا يحالف النجاح الدراما المأساوية الحديثة) تأليف جون فون زيلسكي - ترجمة عارف حذيفة - دمشق١٩٨٢ م .

- **الكاتب الامريكي الأسود**(المجلد الأول : القصص ، والمجلد الثاني : الشعر والدراما) تأليف كريستوفر بيغربي - ترجمة هاني الراهب - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الأوباش (رواية)** تأليف أحمد يوسف داود - دمشق ١٩٨٢ م .

- **يو - اس (نحن والولايات المتحدة)** (مسرحية) تأليف بيتر بروك - ترجمة فاروق عبد القادر - دمشق ١٩٨٢ م .

- **كائنات على قنديل الطالعة** (شعر) علي قنديل - تقديم محمد عفيفي مطر - دمشق ١٩٨٢ م .

- **أيام الكومونة** (مسرحية) تأليف بريخت ترجمة صياح الجهيم - دمشق ١٩٨٢ م .

- **أحميدا المسيردي الطيب** (مجموعة قصص) تأليف واسيني الأعرج - دمشق ١٩٨٢ م .

- **سيرة شحاته** (سي البزل) كوميديا مصرية في عرض شعبي - تأليف سمير عبد الباقي دمشق ١٩٨٢ م .

- **صوتوا لأمي** تأليف كورنيليا جاكوبسن - ترجمة لطفية ديب عرنوق - دمشق ١٩٨٢ م .

- **القطة التي تنزهت على هواها** (مسرحية) تأليف ناتاليا سليبكوفا - ترجمة سعيد حوارنية وعاطف أبو جمرة دمشق ١٩٨٢ م .

- **حصان طروادة يلقى حتفه** (قصائد من ألبانيا) للشاعر الألباني اسماعيل كاداره ترجمة عبد اللطيف الأرناؤوط - دمشق ١٩٨٢ م .

- **النسر** (كوميديا بربرية) تأليف رامون دِل باليية - إنكلان - ترجمة رفعت عطفة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **وجه الفضة** (كوميديا بربرية) تأليف رامون دِل باليية - إنكلان - ترجمة رفعت عطفة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **نشيد الذئاب** (كوميديا بربرية) تأليف رامون دِل باليية - إنكلان - ترجمة رفعت عطفة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **قصص فيتنامية** تأليف عدد من المؤلفين ترجمة موفق شقير مراجعة عبد الكريم محفوض - دمشق ١٩٨٢ م .

- **متهمون تحت الطلب** (رواية) تأليف فؤاد حجازي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **عازف الكمان (قصص للأطفال)** تأليف كاترين جاكسون ترجمة محمد الموحد - دمشق ١٩٨٢ م .

- **ياحاضر يازمان (مسرحية)** تأليف فرحان بلبل - دمشق ١٩٨٢ م .

- **إشراقات في الزمن الرخو (شعر)** تأليف علي سليان - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الغرق وراء الأزمنة المرة (رواية قصيرة)** تأليف فاروق مرعشي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **قصيدة الطين (شعر)** تأليف محمد عمران - دمشق ١٩٨٢ م .

- **معجم الأساطير اليونانية والرومانية** إعداد سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر - دمشق ١٩٨٢ م .

- **شعر المقاومة الجزائرية** تأليف صالح خرفي - الجزائر .

- **محمد عبد الحليم عبد الله (حياته وأدبه)** د . يوسف حسن نوفل - الرياض ١٩٨١ م .

- **القلاع أيام الحروب الصليبية** تأليف فولفغانغ مولّر - فينز - ترجمة العميد الركن محمد وليد الجلاد - مراجعة اللواء الركن سعيد طيان - دمشق مركز الدراسات العسكرية - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الإيناس في علم الأنساب** تأليف الحسين بن علي الوزير المغربي - تحقيق الأستاذ حمد الجاسر - الرياض ١٩٨٢ م .

- **من أخبار الحجاز ونجد** تأليف محمد أديب غالب - الرياض ١٩٧٥ م .

- **رحلات حمد الجاسر (١)** الرياض ١٩٨٠ م .

- **بلاد الجوف أو دومة الجندل** تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل - الرياض ١٩٨١ م .

- **رسائل في تاريخ المدينة** قدم لها وأشرف على طبعها الأستاذ حمد الجاسر - الرياض ١٩٧٢ م .

- **قلعة دمشق** تأليف د . عبد القادر ريحاوي - دمشق ١٩٧٩ م .

- **مدينة دمشق** (دراسة في جغرافية المدن) تأليف صفوح خير - دمشق ١٩٨٢ م .

- **دمشق وأهميتها العمرانية والمعمارية عبر العصور التاريخية** تأليف بشير زهدي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ** تأليف عبد الله عبد العزيز بن ادريس - الرياض ١٩٨٢ م .

- **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع** تأليف حمد الجاسر - الرياض .

- **المجاز بين اليمامة والحجاز** تأليف عبد الله بن محمد بن خميس - الرياض .

- **رحلة إلى بلاد نجد** تأليف الليدي آن بلنت - ترجمة محمد أنعم غالب - الرياض ١٩٧٨ م .

- **مكة وعلاقاتها الخارجية** (٣٠١ - ٤٨٧ هـ) تأليف أحمد عمر الزيلعي - الرياض ١٩٨١ م .

- **ذرائع العصبيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان** تأليف الأستاذ محمد بهجة الأثري - بغداد ١٩٨١ م .

- **أسئلة الحياة** للدكتورة نجاح العطار - دمشق ١٩٨٢ م .

- **من مفكرة الأيام (مقالات وذكريات)** للدكتورة نجاح العطار - دمشق١٩٨٢ م .

- **الحضارة التقنية الخاسرة** تأليف اوريو جياري وهنري لوبرجيه - ترجمة صلاح الدين برمدا - دمشق ١٩٨٢ م .

- **التوسع الاقتصادي للولايات المتحدة الامريكية في الأقطار العربية** تأليف أ . ي . اوسيبوف - ترجمة هاني خليل - دمشق ١٩٨٢ م .

- **فلسطين أولاً** تأليف لوكاس غرولنبرغ - ترجمة محمود فلاحة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **أسطورة الآلة بنتاغون القوة (الجزء الثاني) (٢)** تأليف لويس ممفورد - ترجمة إحسان حصني - دمشق ١٩٨٢م .

- **الآلة في خدمة الإنسان** تأليف رينيه غويو - ترجمة خليل فريجات - دمشق ١٩٨٢ م .

- **نظرات في علم الاقتصاد** تأليف مجموعة من المؤلفين - ترجمة محمد حنونة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الجزائر والأصالة الثورية** تأليف صالح خرفي - الجزائر .

- **هل نحن وحيدون في العالم** تأليف يوهان دورستر - ترجمة المهندس سمير شعبان ، و د . مظفر شعبان - دمشق ١٩٨٢ م .

- **أبعاد العالم العربي وآفاقه** - تأليف عبد الحميد ابراهيمي - ترجمة ناجي الدراوشة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الطفل والإبداع الفني** تأليف نور - زاده برونير - ترجمة لميس مخلوف - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الكيمياء الإشعاعية** تأليف غوردون هيوز - ترجمة د . عبد

المجيد شيخ حسين ـ دمشق ١٩٨١ م .

ـ **العالم بعد مائتي عام (الثورة العلمية والتكنولوجية خلال القرنين القادمين)** تأليف هيرمان كان وآخرين ـ ترجمة شوقي جلال (من سلسلة عالم المعرفة) ـ الكويت ١٩٨٢ م .

ـ **الشفافيات التعليمية** مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٤٠١ هـ .

ـ **الإدمان ـ مظاهره وعلاجه** ـ تأليف د . عادل الدمرداش (من سلسلة عالم المعرفة) ـ الكويت ١٩٨٢ م .

ـ **البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية** تأليف د .أسامة عبد الرحمن (من سلسلة عالم المعرفة) ـ الكويت ١٩٨٢ م .

ـ **الجبر المجرّد بطريقة التّعَلّم الذاتي النشط** تأليف نيل ديفدسون وفرانس جيوليك ـ ترجمة د . ديب حسين ـ راجعه علمياً د . محمد عرفات النتشه ـ وراجعه لغوياً د . أحمد سعيدان ـ عمان ١٩٨٢ م .

ـ **الدراسات العليا في جامعات الجمهورية العربية السورية** وزارة التعليم العالي ـ دمشق ١٩٨٢ م .

ـ **اعلامات بيبليوغرافية** دار الكتب الوطنية ـ تونس ١٩٨٢ م .

محمد مطيع الحافظ

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والخمسين

المقـالات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی





رمضان ١٤٠٣ هـ

تموز (يوليو) ١٩٨٣ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تحيّة إلى ذكرى

المستعرب اغناطيوس كرتشكوفسكي

لمرور مائة عام على ميلاده

الدكتور عبد الكريم اليافي

بين الاتحاد السوفياتي والبلاد العربية علاقات ثقافية قديمة دعمتها وعززتها ثورة اكتوبر أو تشرين الأول ، فلقد اهتمت روسية قبلُ بالثقافة العربية وحفزت طائفة من أبنائها المثقفين على تدارسها . فنشأت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثلّة من العلماء والباحثين اختصوا بالثقافة العربية وتبوؤوا مكانة مرموقة بين مستعربي العالم ومستشرقيه .

وكان للمدرسين العرب شأن هام في إعداد المستعربين الروس في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، مثل محمد عياد الطنطاوي المصري الذي درس في جامعة بطرسبورغ و غ . ا . مرقص الأستاذ في معهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وفضل الله صروف وميخائيل عطايا وأمثالهم الذين درسوا أو ألقوا محاضرات في المعاهد الروسية .

ولكن الاتصال بين العالم العربي وروسية كان ضعيفاً . ولقد قوي بعد ثورة ١٩٠٥ التي لم يكتب لها النجاح . وكان من سبل الاتصال بعض الضباط العرب الذين أسرهم الروس . كان لفريق منهم شأن وطني بعد أن تأثروا بالأفكار الثورية فبدؤوا يتمردون على السلطة العثمانية في الذهاب إلى الجزيرة العربية ولاسيا اليمن لقمع بعض الحركات التحررية التي كانت تقوم بها أسرة حميد الدين .

كذلك كانت الحروب التحررية في البلقان مثل بلغاريا واليونان وغيرهما ذات تأثير في الفكر التحرري العربي إذ حفزت الضباط العرب الذين كانوا في الجيش العثماني على التفكير ومناهضة نير السيطرة العثمانية فاشتغلوا في سبيل إنشاء الجمعيات العربية فتألف بعضها علناً وبعضها سراً .

ثم دفع مؤتمر باريس الحركات العربية التحررية إلى الأمام إذ بلور التفكير العربي في توجهه نحو الانفصال عن الامبراطورية العثمانية ونوه بضرورة استقلال البلاد العربية .

ودخلت الحركات العربية الثورية مرحلة جديدة من النضال مع ثورة تشرين ١٩١٧ . ولقد كان لتأثير هذه الثورة جوانب عديدة في روسية وفي العالم ، إذ هي تعلن في شعاراتها تساوي الشعوب ومناهضة الاستعمار وتدعو إلى تقويضه في كل مكان .

هذه الثورة أثرت في تلك العلاقات الثقافية بين الجانبين الجانب الروسي الذي غدا سوفياتياً والجانب العربي الذي يتطلع بأعماق قلوب أبنائه إلى أحلام الحرية والاستقلال وتوطيد العلم والتقدم .

المستعرب الكبير اغناطيوس كرتشكوفسكي عاصر المرحلتين مرحلة القيصرية الروسية والمرحلة السوفياتية ، وكان المؤثر الأكبر في تأسيس المدرسة السوفياتية الحديثة في الاستعراب كما كان ذا شأن عال في تاريخ الاستعراب العالمي بما ترك من بحوث علمية واسعة وبعلاقاته الفذة مع الأعلام المفكرين في البلاد العربية ولاسيا بلاد الشام سورية ولبنان والأردن وفلسطين وكذلك بانتخابه عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي

بدمشق ومراسلاته إياه . ويهمنا في هذا الحديث أن نتعقب مراحل حياته ولقاءاته برجال الفكر العرب وأن نبرز بعض جوانب آثاره العلمية .

ولد إغناطيوس يوليانوفتش كرتشكوفسكي في ١٦ آذار[1] عام ١٨٨٣ بمدينة ويلنا عاصمة لتوانية القديمة . وكان والده رئيساً لمدرسة المعلمين فيها . ولد إذن في جو علمي وتعليمي . ونشأ طول حياته في هذا الجو الفكري المبارك .

لم تمض على ولادته سنتان حتى سُمّي والده رئيساً لمدرسة المعلمين بمدينة طشقند أو مدينة الشاش كما دعاها العرب وهي اليوم عاصمة جمهورية اوزبكستان . وبعد مدة سُمّي ناظراً عاماً للمدارس في آسية الوسطى . كانت الفتيات الاوزبكيات يداعبن هذا الولد الصغير ذا العينين الزرقاوين . وقد نشأ بين يدي حاضنته الاوزبكية فكان أول ألفاظ بغم بها ألفاظ اللغة الاوزبكية . وهكذا تفتحت عيناه على حضارة الشرق بما وقعتا عليه من ناس ومساجد وأسواق وعادات ولباس . فكان لذلك الأثر العميق في نفسه أيام طفولته وربما كان ذلك سبب ميله إلى الشرق وإلى العرب وإن لم يكن إذ ذاك مدركاً لهذا الميل الأول .

وليس ذلك غريباً إذا عرفنا أن نحواً من أربعين ألف عربي يعيشون في أراضي آسية الوسطى كما ظهر من دراسات أندرييف وأوشانين الاتنوغرافية والانتربولوجية . وهم يتكلمون بلهجة قريبة من اللهجة العراقية تداخلها عناصر من اللغتين الاوزبكية التركية والطاجيكية

---

(١) أرخ المستعرب ميلاده في ٤ آذار ١٨٨٣ بمقالة نشرها عن نفسه في مجلة المجمع العلمي بدمشق (المجلد السابع سنة ١٩٢٧) والفرق راجع إلى انه أرخ بالتقويم الميلادي الشرقي .

الفارسية ، كما أظهرت ذلك دراسات العالمتين الاتنوغرافيتين بوريكينا واسماعيلوفا وأيدتها دراسات يوشمانوف وكما خلص إلى هذه النتيجة نفسها العالم السويدي نيوبيرغ . وقد كتب بعد ذلك فينيكوف عام ١٩٤٠ بحثاً بعنوان « العرب في الاتحاد السوفياتي » .

نعود إلى الطفل كرتشكوفسكي . في سنة ١٨٨٨ رجع والده إلى ويلنا وصار مديراً للمكتبة العمومية ورئيساً في لجنة البحث عن الآثار التاريخية القديمة وعاش هو وأسرته في بيت صغير بولاية ويلنا . وكان في البيت خزانة كبيرة للكتب أثّلها أبوه وجده اطلع الطفل الناشئ فيها على كتب التاريخ والقصص الروسية .

في سنة ١٨٩٣ دخل المدرسة الإعدادية او الجمناز وأنهاها سنة ١٩٠١ وشرع اهتمامه منذ الفصل الأخير في تلك المدرسة يتوجه نحو دراسة اللغة العربية . ثم دخل في السنة نفسها قسم اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورغ وانضم إلى فرع لغات الشرق الإسلامي فصرف أربع سنوات في دراسة اللغة العربية والفارسية والتركية والتتارية وبعض اللغات السامية كالعبرانية والحبشية القديمة ولكن اللغة العربية لثرائها وجمالها ومكانتها كانت أشد اللغات جذبا له .

في سنة ١٩٠٣ توفي والده . وفي سنة ١٩٠٥ أكمل دراسته في الكلية ونال رصيعة ذهبية لتأليفه دراسة في إدارة الخليفة المهدي العباسي معتمداً على المصادر العربية كالطبري وابن الأثير والمسعودي والعيني وغيرهم . وكان لايكتفي بالمطالعة بل يخالط أولاد العرب الساكنين في روسية كفضل الله صروف وانطون خشاب الطرابلسي . وبهذه المخالطة بدأ يطلع على اللغة الدارجة في سورية .

في سنة ١٩٠٧ قدم فحص الماجستير في الآداب العربية . وفي صيف هذه السنة قررت نظارة المعارف وجامعة بطرسبورغ إرساله إلى الشرق العربي لتعلم اللغة العربية الدارجة ولزيارة المكتبات العربية وتبين مافيها من كنوز المخطوطات والتعرف إلى العلماء العرب والاطلاع على العادات العربية . وذلك مدة سنتين .

لقد كتب اغناطيوس ترجمة حياته بالعربية في مقالة نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد السابع ص ١٢٢ ـ ١٢٦ سنة ١٩٢٧) كما ترجم هو نفسه حياته في سفر بديع كتبه بالروسية ونُقل إلى العربية سنة ١٩٦٣ أي بعد وفاته وهو « مع المخطوطات العربية » .

هذا الكتاب وتلك المقالة وكتاب نجيب العقيقي عن المستشرقين وغيره نعتمدها في تتبع حياة المستعرب اللامع .

سافر بالباخرة وشاهد في طريقه أوديسا ومر بالبسفور فتملى القسطنطينية وإزمير تتلألآن بأنوارهما في الظلام . وفي شهر تموز ١٩٠٨ وصل بيروت . وهو يذكر أنه وجد العقبات في التفاهم مع الناس وذلك أنه درس الفصحى إلى درجة لابأس بها ولكنه كان مضطراً إلى أن يستعمل اللغة العامية . فكان الناس في الشارع لايكادون يفهمونه . ولذلك عزم على الانزواء في بلدة صغيرة بلبنان مدة شهرين كيلا يسمع ولايتكلم إلا العربية الدارجة وبقيت ذكرى انزوائه هذا عالقة بباله ليتحدث عنها في الترجمة . وهو يذكر محبته للشعب وقضاءه أغلب أوقاته بين الناس يحدثهم ويستمع إليهم ، والناس في كل مكان يستضيفون ذلك الموسكوبي الغريب بنفوس راضية مبتهجة على حد تعبيره هو . وليس ذلك بمستغرب من أبناء الشرق المشهورين بحب الاستضافة .

ثم يهبط إلى جامعة القديس يوسف ببيروت وهي كما يقول : نصف عربية ونصف فرنسية وفيها اطلع على كثير من المخطوطات العربية القيمة كما تعرف طائفة من الباحثين الأجانب جاؤوا لغايات تبشيرية أو غيرها ومنهم الأب لامنس اليسوعي المعروف الذي هو من أصل بلجيكي والفرنسي رونز نفال باحث اللهجات العربية وتعرّف ثلة من الباحثين العرب كالأب لويس شيخو الماريني الأصل والدمشقي أنطون صالحاني المختص بدراسة ألف ليلة وليلة ودراسة الأخطل الشاعر الأموي المشهور ، ثم تعرف إلى أحد نجوم الأدب العربي الحديث الناشئين كما يدعوه هو وهو أمين الريحاني وقد طاف بالمدن السورية فأم حلب واطلع على المكتبة المارونية فيها وزار حمص وعرف فيها كما يقول المعلم المتواضع قسطنطين يني الذي كان يهتم بالتمثيل المسرحي بمدارس هذه المدينة والذي شاء القدر بعدئذ أن يكون المسؤول عن تنظيم سلاح الطيران الخاص بالشريف حسين الذي صار ملك الحجاز . ولما أتى دمشق اطلع على مكتبة الملك الظاهر كما يدعوها وتعرف « إلى الكثيرين من العلماء الذين صاروا من أعضاء المجمع العلمي المكرمين فيما بعد » ولاسيما محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس وزار إدارة المجلة نفسها .

إن اللغة العربية كالخضم الواسع كلما أبحر المرء فيها شعر بأغوارها العميقة ، فلا غرو أن نجده يكتب إلى شقيقته ان اللغة العربية تزداد صعوبة كلما ازداد المرء دراسة لها .

ويصف المستعرب الشاب رحلاته في بلاد الشام متنقلاً بين روابي لبنان وسهول سورية وربوع فلسطين فيزور القدس ويطوف مرات بالمكتبة الخالدية فيها ويقابل خليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي وينشر

خلال تطوافه في بعض الصحف العربية مقطوعات عاطفية من نوع الشعر المنثور ربما أوحى بها إليه بعده عن بلده الأصلي وكان يوقعها باسم الروسي الغريب .

لقد كان اينما ذهب يتصل بابناء الشعب ويتحدث مع معلمي القرى وأطبائها وصحفيي المدن الصغيرة ومراسلي الجرائد وكلهم يقابلونه بالود والترحاب ويتحدثون معه الساعات الطوال ويذكر أنهم جميعاً كانوا تتقد في نفوسهم مشاعر الثورة ويحلمون بالتحرر الوطني وأن الأدب الوطني المتحمس يستجمع ميولهم واهواءهم ويحبّون معه التراث العربي التليد الذي مازالت صوره وآثاره حسب تعبير السائح الروسي حية في قلوبهم .

لقد كتب في ترجمته لنفسه التي خطها بالعربية : « أن هذا اللطف العربي من الأسباب التي جذبتني إلى الشرق جذبة لا أتخلص منها مادمت حياً . » صداقة الكتب والمخطوطات العربية من جهة وصداقة الناس في سورية الطبيعية التي تشمل لبنان وسورية والأردن وفلسطين من جهة ثانية كلتاهما أقامتا ركن صداقة هذا المستعرب الشاب مع العرب . وعلى الرغم من تزاحم هاتين الصداقتين واشتباكهما فقد كاد ميزانها يتعادل لولا أن رجحت كفة المخطوطات التي كان ولعه بها عظيماً جداً . ولكن حب المخطوطات أنفسها وجهه مرة ثانية إلى الناس . وهكذا وجد أنه لا يمكن الفصل بين الناس والكتب .

هذا الظمأ إلى العلم وإلى دراسة المخطوطات العربية حمله إلى القاهرة . فيلجأ إلى المكتبة الخديوية وفيها يعثر على ضالة من ضالاته وهي مخطوطات شعر الوأواء الدمشقي الذي كان شعره موضوع رسالة الماجستر ليقارن هذه المخطوطات القاهرية بالنسخ التي أحضرها معه من

بطرسبورغ . ثم ينتقل إلى مكتبة الأزهر . وحسبنا للدلالة على حب اغناطيوس لمخطوطات التراث العربي جملةٌ وردت في كتابه « مع المخطوطات العربية » حين يقول في الحديث عن مكتبة الأزهر : « ويمكنك هناك أن تجد في كل سطر الدرر والجواهر التي لايعرفها الناس والتي لم يرها أحد مطلقاً . وإن النظرة السريعة في هذه الفهارس لشبيهة بالنظرة في رواية مغامرات ممتعة تطالعك من حين لآخر بالمفاجآت والمستغربات » . وهذا تنديد غير مباشر بعزوف المثقفين العرب إذ ذاك عن مطالعة تلك الثروة العظيمة . وقد استطاع أن يستعير بعض تلك المخطوطات إلى منزله . وهو يصف حاله معها فيقول : « ومن جديد عزلتني المخطوطات بعيداً عن الناس . وقد كان يؤسفني أن الوقت كان قليلاً لهذه المخطوطات وأنه يترتب عليّ أن أدرسها بسرعة محمومة . وكانت المخطوطات كأنما تتسابق فيما بينها على افتتاحي لها . » ثم يذكر فرحته أيضاً بلقاء مخطوط للصولي وآخر للمعري وثالث لقصة عن الحلاج . ثم يقول : « وكنت أغرق في هذا البحر من المخطوطات أحاول أحياناً أن أنسخ مقتطفات من بعضها بسرعة وأحياناً أخرى أكتب فقط عنوان المخطوط مؤملاً بسذاجة أن آتي إلى القاهرة مرة أخرى . » .

ويتعرف في مصر إلى كثير من علمائها ولاسيا إلى جرجي زيدان السوري الأصل وإلى العلامة أحمد زكي باشا وإلى المستشرق الايتالي نلينو ولم يكن في ذلك الوقت آلات لتصوير الكتب كالتي نجدها الآن . ولكن الأمر الغريب أننا نجد تقاعساً في العصر الحاضر عن الإكباب على المخطوطات بل على الكتب عامة والإفادة منها واعتبار سطورها درراً وجواهر كما مر بالموازنة مع مانجده عند أولئك الباحثين الأعلام بل لانجد شيئاً ولو قليلاً يقايس بجهودهم العظيمة ومشاقّهم الكبيرة وأتعابهم الجبارة

مع انه يسهل للمرء الحصول على صور المخطوط وهو قابع لايريم في بلده .

ويحدثنا أيضاً لما أزف رحيله عن مصر كيف تحدّث مع الصبيان الصغار حين أراد أن يزور مكتبة أحمد تيمور باشا بالقاهرة وكيف تصور أحد الصبيان أن المستشرق الروسي انما هو سوري بسبب لهجته العربية السورية وأن قبعته لم تخدع الصبي في زعم الصبي فلما ودعه صرخ الفتى المصري : مع السلامة سلّم على دمشق .

وقد كتب هو نفسه بالعربية عن السنتين اللتين قضاهما في بلاد الشام وفي مصر : « استفدت في هاتين السنتين أكثر مما استفدت طول حياتي . ولا أزال أرجو أن يرزقني الله رؤية تلك البلاد المحبوبة ومسامرة أعيان علمائها مرة ثانية . » ولكن الحرب العالمية الأولى وثورة أكتوبر وأعباء المستشرق العلمية ورحلاته في الغرب والحرب العالمية الثانية ونشاطه عند محاصرة الألمان لمدينة لينغراد كل ذلك ضنّ عليه بتحقيق ذلك الرجاء وحال دونه .

ومن عجائب المصادفات انه في مصر عند سفح أهرام خوفو عام ١٩٠٨ تعارف هو وفيرا ألكسندرفنا التي كانت تدرس الآثار العربية وتهتم بالنقوش والرسم والتي غدت زوجته ومعاونته وتركت بحوثاً جمة جيدة في اختصاصها كما شاركته في كتابة بعض البحوث ورعت مكانته وقدرت علمه .

وهانحن أولاء نرسم بخطوط خاطفة بقية نشاطه .

بعد رجوعه إلى روسية صيف ١٩١٠ سمّي مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية بطرسبورغ . ثم كلف التدريس في الكلية . وفي سنة

١٩١٤ يسافر إلى أوربة لدراسة المخطوطات العربية في مكتباتها المشهورة ولاسيا في مدينة ليبزيغ الالمانية وليدن الهولندية . ثم يعيّن سنة ١٩١٧ معلماً أول للعربية وآدابها في الكلية المذكورة آنفاً ، وتنشب الثورة السوفياتية ثورة أكتوبر في تلك السنة . وفي سنة ١٩٢١ ينتخب عضواً عاملاً في أكاديمية العلوم الروسية بقسم التاريخ واللغات . وفي السنة التالية ينتخب أميناً لهذا القسم .

وفي سنة ١٩٢٣ انتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق وهو مجمع اللغة العربية اليوم وذلك في جلسة هذا المجمع المنعقدة في ١٦ تشرين الثاني من تلك السنة . وجرت مراسلات متعددة بينه وبين رئيس المجمع محمد كرد علي وأعضائه . وقد نشر مقالات متعددة في مجلته .

واستمر كرتشكوفسكي يوالي نشاطه العلمي بجامعة ليننغراد وبأكاديمية العلوم السوفياتية وينشر في الحين بعد الحين أبحاثه الممتعة المفيدة ، كما يشارك في الندوات والمؤتمرات ويعلق على البحوث المنشورة في المجلات العلمية .

وإبّان حصار الألمان لمدينة ليننغراد في الحرب العالمية الثانية أبدى شجاعة كبيرة إذ عمل على صون الآثار العلمية والثقافية ولاسيا المخطوطات العربية الثمينة المحفوظة في معاهد تلك المدينة الكبيرة وفي متاحفها ومكتباتها . وقد قدرت الحكومة السوفياتية نشاطه زمن ذلك الحصار حق قدره فمنحته أعلى وسام سوفياتي ألا وهو وسام لينين ثم هو ينال بعدئذ وسام لينين الثاني تقديراً لمآثره العلمية الفذة .

وقد كتب أثناء الحرب هذه كتابه المشهور « مع المخطوطات العربية » الذي ترجم إلى عدة لغات . ثم كتب آخر مشهوراً « من تاريخ الاستعراب الروسي » . والعالم النحرير البحاثة مثل هذا المستعرب الكبير تضيق بنشاطه الأوقات والأعوام فهو لايفتأ يكتب ويؤلف ويعلق حتى توافيه المنون في الرابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٥١ عن سن لاتتجاوز السابعة والستين .

تتراوح آثار كرتشكوفسكي العلمية بين نيف وخمسين واربعمائة كتاب ورسالة ومقالة كما يذكر شرباتوف في كتابه « الاستعراب في الاتحاد السوفياتي » وستمائة دراسة علمية كما تذكر زوجته فيرا كرتشكوفسكايا في مقدمة كتابه الذي أعادت نشره « مع المخطوطات العربية ».من تلك الدراسات مائتان وخمسون على الأقل مخصصة للتاريخ والأدب العربيين . وتقديراً لأعمال المستعرب العلمية قرر مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي بتاريخ ٥ نيسان عام ١٩٥١ ومجلس رئاسة أكاديمية العلوم السوفياتية بتاريخ ١٣ نيسان من العام نفسه وهو العام الذي توفي فيه المستعرب الكبير طبع منتخبات من تلك الأعمال فظهرت في ستة أجزاء بين عامي ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠ .

تعتبر دراسات كرتشكوفسكي أبهى الصفحات في تاريخ الاستعراب السوفياتي . ولقد توزعتها اتجاهات متعددة أهمها تاريخ الشعر العربي ونقدُه منذ قديم الأزمان إلى العصر الحديث . وأهم من عني بهم وكتب عنهم الشنفرى وعمرو بن قميئة وسلامة بن جندل وأبو دهبل وهب بن زمعة الجمحي والنعمان بن بشير وبكر بن عبد العزيز وذو الرمة والأخطل وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وأبو نواس وابن المعتز والمتنبي وعلي بن الجهم

والوأواء الدمشقي ثم أبو العلاء المعري. ويرجع الفضل إليه في الكشف عن رسالة الملائكة للمعري في مكتبة الأزهر وقد قضى نحوا من عشرين سنة في دراسة جميع المخطوطات والمطبوعات المشابهة لتلك الرسالة وقد نشرها عام ١٩٣٢ وكذلك اهتم بالأمير السوري أسامة بن منقذ وعرّف كتابه المنازل والديار وقد جهل هذا الكتاب المستعربون الأوربيون حتى الذين درسوا أسامة دراسة خاصة . وأسامة هذا معاصر للحملات الصليبية الأولى .

وكذلك من أهم دراساته العلمية تاريخ الأدب الجغرافي العربي والكتاب الذي ألفه فيه من أعظم الكتب التي كتبها المستعربون في تاريخ الحضارة العُربية. يقول المؤلف في مقدمته: «والكتاب يقدم في آن واحد نصيباً متكافئاً لكل من الأدب العلمي والأدب الشعبي ويجهد في أن يلم بأطراف الجغرافية الرياضية والوصفية كما جهد في الإحاطة بالجغرافية العامة والاقليمية . وهو لايهمل قصص الرحلات حتى تلك التي تحمل طابعاً أدبياً صرفاً بل وأسطورياً »

ثم يقول في المدخل : « إن المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا . وقد وضح بجلاء في الخمسين عاما الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقت لانفسها طرقاً ومسالك جديدة في العصور الوسطى ومازالت حية إلى أيامنا هذه أعني علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجية والجيولوجية . أما فيا يتعلق بالأدب الفني العالمي فان العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءاً أساسياً من التراث العام للبشرية ، كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد كبير من المصنفات والفنون

الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية .[٢] » .

واهتم هو وزوجته في فك رموز بعض النصوص العربية مثل النص المكتوب على الجلد الذي وجد في طاجكستان بين أطلال قصر « موغ قلعة » عام ١٩٣٣ وهو رسالة من الأمير الصغدي المحلي إلى الوالي العربي كتبت في عهد مبكر جداً في آخر القرن الأول الهجري حوالى ٩٩ أو مائة للهجرة .

ومن أهم مافعل كرتشكوفسكي ـ وكلِ مافعل مهم ـ أن كتب سلسلة من المقالات نوه فيها بآثار ممثلي الاتجاهات الأدبية الحديثة مثل جرجي زيدان وأمين الريحاني اللذين عرفهما إبان رحلته إلى سورية ومصر ومثل جبران ـ وهولدة المستعرب ولدا في عام واحد ـ واليازجي والبستاني وميخائيل نعيمة وجميل الزهاوي وقاسم أمين وطه حسين ومحمود تيمور ونوه خاصة بالتيارات الأدبية المهجرية . وهو يفتخر في مقالة نشرها بمجلة المجمع العربي بدمشق بأنه أول من كتب بالروسية عن الأدب العربي الحديث في القرن التاسع عشر . وقلَّ من كتب من مستشرقي أوربة فيه .

وقد ترجم إلى الروسية كتاب كليلة ودمنة (وفي رأينا ان الشاعر الروسي كريلوف الذي شهر بكتابته قصصاً شعرية عن الحيوانات تأثر بهذا الكتاب لامباشرة بل بطريق الشاعر الفرنسي دو لافونتين الذي ظهرت في عصره ترجمة الكتاب إلى الفرنسية بعنوان Le Livre des lumières) ، كما ترجم المستعرب قصة الأيام للكاتب المصري المشهور طه حسين . وكتب مقدمات متعددة لآثار أدبية عربية حديثة

(٢) ترجم الكتاب ترجمة جيدة السيد صلاح الدين عثمان باشراف لجنة التأليف والترجمة والنشر واختيار الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

ترجمت إلى الروسية أو لكتب مدرسية تعليمية في اللغة العربية ، كما اشترك هو وبارانوف في وضع القاموس العربي الأول للغة العربية المعاصرة .

وفي سنة ١٩٦٣ أي بعد وفاته باثنتي عشرة سنة صدرت في الاتحاد السوفياتي ترجمة كان أعدها للقرآن .

ولم يفته أن يكتب عدة مقالات عن تأثير بعض الكتاب الروس في الأدب العربي الحديث . كتب مثلاً مقالة سنة ١٩٤٠ بعنوان « غوركي والأدب العربي » أبان فيها ان الأدباء العرب الحديثين وجدوا في غوركي على الفور كاتباً ثورياً يدافع عن الطبقات المظلومة ، ومقالة أخرى سنة ١٩٤٤ بعنوان « تشيخوف في الأدب العربي » . وكان في مستهل نشاطه الأدبي كتب عام ١٩١٠ مقالاً ذكر فيه ان ليون تولستوي معروف عند العرب معرفة لعلها خير من معرفة أي شعب من شعوب الشرق الأدنى به .

واهتمامه بالمخطوطات العربية فاق كل اهتمام أيان كانت في البلاد العربية أو أوربة أو البلاد السوفياتية . كتب مقالاً عام ١٩٢٤ بعنوان « مجموعة المخطوطات العربية في قازان » أشار فيه إلى أن بعض هذه المخطوطات التي يناهز عددها ستمائة هي كشف لاجدال فيه للاستعراب على النطاق الأوربي العام . وكتب مقالاً عن المخطوطات العربية التي وردت من الجهة القفقاسية أثناء الحرب العالمية الأولى.وكذلك وصف مجموعة المخطوطات التي أهداها غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية إلى القيصر نقولا الثاني ، الى جانب مقالات أخرى في هذا الصدد .

هذا وفي معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية وحده

من المخطوطات ما يزيد على ١٢ ألف مجلد بصرف النظر عن المخطوطات التي في لينينغراد وآسيا الوسطى ولاسيما طشقند .

يبقى علينا الآن أن نشير إلى بعض علاقاته بالمجمع العربي بدمشق فقد كتب عدة مقالات في مجلته أشرنا إلى بعضها .

ومنها مقالة بعنوان « صدى أعمال المجمع في روسية » استهله بقوله : « من أحسن أدلة التقدم في الحياة العمرانية للبلاد العربية ظهور المجمع العربي بدمشق » . ثم يقول : « إن نبأ تأسيس المجمع العلمي في دمشق لا في مصر - حيث نمت في العهد الأخير الآداب والعلوم العربية نمواً غريباً - أذهل أصدقاء الشعب العربي » .

ويقول أيضاً : « على أن قائمة أسماء الأعضاء العاملين في إنماء هذا المجمع الجديد دلت لحسن الحظ أنه وإن كانت دمشق المركز فتدور حوله البلاد العربية قاطبة . » وينوه بأعضاء المجمع فيقول : « وكل أعضاء المجمع يوحدهم اطلاعهم على الأساليب العلمية الأوربية التي اقتبسوها إما بتحصيلهم في مدارس أوربية أو باختصاصهم بدرس تلك الطرق على أحدث نمط عرفه العصر » .

ويقول أيضاً : « أما اختيار الأعضاء من البلاد الخارجية فيدل على لطف وأدب كبيرين ونظر علمي حقيقي . ومن البديهي أن إدخال الأعضاء الأجانب من ممثلي الشعوب الأجنبية المعدودين من كبار المستشرقين هو شجاعة لايستهان بها . » ثم يبيّن تفوّق الشرق على الغرب في اتساع روح التعاون فيكتب بلغته العربية المبينة : « ومما مرّ نستدل أن العرب قد تمكنوا من عمل مايتصوره الغرب مستحيلاً في أوربة بعد الحرب (أي العالمية الأولى) أعني ربط جميع البلاد العربية بمنتدى علمي

واحد ، بل ربط جميع علماء المشرقيات في أوربة . وهنا أيضاً في فهم كنه التمدن الروحي الحقيقي يمكننا بملء الجرأة أن نسمي الشعب الشرقي معلّم الغربيين . وفي هذا وحده خدمة وفضل للمجمع العربي لاحد لهما . »

سيداتي سادتي

بعد كتابة هذه التحية إلى ذكرى المستعرب السوفياتي الكبير تمثل طيفه بجانبي وأسمعني هذه القطعة الشعرية وهو الذي يحب الشعر العربي قديمه وحديثه . يتحدث في هذه القطعة عن نفسه ويخاطب الأمة العربية .

أحببت بعد بلادي أربع العرب ... فطفت في بعضهـا للعلم والأدب
يحدوني الشوق والآمال واسعة ... والعزم مثل شباة السيف لم يخب
العرب من أعرق الأقوام قاطبة ... تراثهم حلية التاريخ والحقب
كم من مطالعة لي في ذخائرهم ... مجلوة الحسن لم توصم ولم تُعَبِ
خمسين عاماً يراعي مشرعٌ أَلِقٌ ... يَفْرِي إهاب الدجى في عالم الكتب
جلوت كل بديع من صحائفها ... مابين مستغلق بالٍ ومحتجب
وكم عكفت على الآمال أنسجها ... عسى أرى ذات يوم ثورة العرب
قد كان غابرهم للكون مفخرة ... مابال حاضرهم يدعو إلى العجب
تركت بعدي للأجيال شاخصة ... أمثولة الحب والاخلاص والنصب
ياأمة يرقب التاريخ نهضتها ... طال السبات وطالت غمرة النوب
لموا شتاتكم وامضوا إلى هدف ... عالي النباهة فوق النجم والسحب
عسى يعود زمان المجد ثانية ... وتنتهي فترة التشكيك والريب
لايعرف المجد الا كل مجتهد ... ماضي العزيمة نضو الجد والدأب

الدكتور عبد الكريم اليافي

تقي الدين أبو بكر بن قاضي شهبة
بقلم
ابنه البدر محمد بن قاضي شهبة

حققها : الدكتور عدنان درويش

شهدت المئة الثامنة والمئة التاسعة من الهجرة النبوية أعلاماً كثيرين من العلماء ، حفظوا بما جمعوه في بطون مصنفاتهم الضخام ما أبدعته عقول نبغت خلال أزمان طالت فرقت في قدمها إلى بدء حركة التدوين في القرن الثاني للهجرة ، مضفين على فضل الجمع حسن التأليف وبراعة تصنيف الفنون وترتيبها ، فأغنوا التراث الإسلامي المكتوب بهذه الآثار التي أثروها في مختلف شعب المعارف الإنسانية ، ونصبوا بذلك صوىً مضيئة يتهدى بها الخلف في سيرهم على نُهَج لواحب رسمها السلف وأثلوا قواعدها . ليجنبوا الوارثين مزالق التيه والضياع لو كانوا من القارئين .

في هذين القرنين من الزمان ظاهرة عجب ، تلك هي كثرة العلماء والمصنفين الموسوعيين ـ على قول أهل هذا الزمان ـ ، نبغ حفاظ ومحدثون ومؤرخون وواضعو كتب الرجال والمجاميع الثقافية ، فالنويري ، والذهبي ، والمزي ، والبرزالي ، وابن رافع ، وابن كثير ، والصلاح الصفدي ، والحسيني ، والتاج والتقي السبكيان ، وابن حجي ، والشهاب ابن حجر ، والتقي والبدر ابنا قاضي شهبة ، والمقريزي ، وابن تغري بردي ، والقلقشندي ، والسخاوي . هؤلاء العلماء الأعلام وكثيرون غيرهم

وراء كل واحد منهم من المصنفات الضخمة ما تتجمل به جنبات المكتبة العربية الموروثة وتزدان .

ومن هؤلاء العلماء الأعلام من نبتوا في بيوت علم يخلف الخلف سلفاً من بيته أقام له قواعد البحث والنظر والتدريس والتصنيف فيأخذ بها ويمضي على السنن متأسياً بالأب والجد ، ومن هذه البيوت الأسرة الأسدية التي سمي بنوها فيما بعد ببني قاضي شهبة الأسدي ، لأن أحد أعلام هذا البيت وهو نجم الدين عمر من أواسط سلسلة هذه الأسرة تولى منصب القضاء في بلدة شُهْبة[1] إحدى بلاد جبل حوران مدة أربعين عاماً فعرف أبناؤه وأحفاده من بعده ببني قاضي شُهبة ، وقد سبق النجم عمر هذا نفر من هذه الأسرة الأسدية وكانوا قضاة وعلماء ، وخلف من بعد عمر أبناؤه وأحفاده وأحفاد أحفاده فعرفوا ببني قاضي شهبة ، وهكذا ترقى أصول هذا البيت إلى مطلع القرن الثامن للهجرة ، وتمتد فروعه بأبنائه العلماء والقضاة في سموق حتى تبلغ نهاية القرن التاسع للهجرة ، ويتأثل التراث العلمي ويستمر في هذه الأسرة مدة قرنين من الزمان شغلتها بالقضاء والعلم والحديث والتصنيف والتدريس في المدارس والتصدر في حلقات الجوامع يفيد أبناؤها الناس ويتصدون للنفع العام .

هذا العقد من علماء هذا البيت كان واسطته التقي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر قاضي شهبة الأسدي ، العالم الكبير والقاضي والمؤرخ والمصنف المكثر الذي توفي في سنة إحدى وخمسين وثماني مئة أنجب ابنه البدر محمداً مُجَنَّبَةَ الواسطة في العقد ، وكان كأبيه عالماً قاضياً مؤرخاً كثير التصانيف ترجمه السخاوي في (ضوئه) فقال[2] :

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان : « شُهْبَة : من قرى حوران ، ينسب إليها مَخْلَد الشُّهبي

(٢) الضوء اللامع : ٧ / ١٥٥ ـ ١٥٦ .

« محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب ، الفقيه ، أبو الفضل ابن فقيه الشام التقي الأسدي الدمشقي الشافعي ، ويعرف كسلفه بابن قاضي شهبة .

ولد في طلوع فجر الأربعاء ثاني صفر سنة ثمانٍ وتسعين وسبعمائة ، ونشأ فحفظ كتباً منها (المنهاج) لرؤيا رآها أبوه ، وتفقه بأبيه وغيره ، وأسمعه أبوه على عائشة ابنة ابن عبد الهادي ، والشهاب ابن حجي ، وابن الشرائحي وغيرهم ـ فيما قاله ابن أبي عذيبة ـ وقرأ على شيخنا [ابن حجر] في سنة ست وثلاثين بدمشق (الأربعين المتباينات) له . وارتحل إلى القاهرة بعد أبيه وحضر مجلس شيخنا [ابن حجر] وتناظر هو والبرهان بن ظُهَيْرَة بين يديه فكان الظفر للبرهان ، واستنابه السقطي ، وبرع في الفقه استحضاراً ونقلاً ، وشرح (المنهاج) بشرحين سمى أكبرهما (إرشاد المحتاج إلى توجيه المنهاج) والآخر (بداية المحتاج) وعمل (سيرة نور الدين الشهيد) وصنف غير ذلك .

وتصدى للإقراء فانتفع به الفضلاء ، ودرس بالظاهرية ، والناصرية ، والتقوية ، والمجاهدية الجوانية ، والفارسية ، وكذا في الشامية البرانية نيابة عن النجم ابن حجي ، وولي إفتاء دار العدل ، وناب في القضاء من سنة تسع وثلاثين حتى مات ، وصار بأخرة فقيه الشام بغير مدافع ، عليه مدار الفتيا ، والمهم من الأحكام ، وعرض عليه قضاء بلده فأبى .

لقيته بدمشق وسمعت كلامه ، وكان من سروات رجال العلم علماً وكرماً وأصالة وعراقة وديانة ومهابة وحزامة ولطافة وسؤدداً . وللشاميين به غاية الفخر .

مات في ليلة الخميس ثاني عشر رمضان سنة أربع وسبعين ، ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير عند أسلافه بعد الصلاة عليه بعدة أماكن ،

وكانت جنازته حافلة ، وكثر الثناء عليه . ولم يخلف بدمشق في محاسنه مثله رحمه الله وإيانا » انتهى .

وكان البدر محمد هذا كثير الإعجاب بأبيه وعلمه ، كثير البر به نجابة وعرفاناً ، لا يفتأ يذكره في كتاباته ويثني عليه ، وكأنه رأى من كمال البر أن يعقد لوالده ترجمة يبقي بها ذكره محفوظاً في الدفاتر - على شهرته - يقرؤها ويتناقلها الوارثون ، فكانت هذه الرسالة الصغيرة التي تشغل من الورقات لواذ خمس ، وتداولها النساخ ، وسارت نسخ منها في الآفاق حتى استقرت إحداها في الغرب من العالم في مكتبة برلين تحت الرقم / ١٠١٣٠ / يضمها مجموع ، ووصفها ألفارت (W. Ahlwardt) في فهرسه لمخطوطات دار الكتب البرلينية . وقفت عليها في فهرست ألفارت ، وحرصت على اجتلابها فكتبت إلى المستشرقة الألمانية الأستاذة السيدة بربارة شيفر : (Barbara Schäfer) فأرسلت إلي مصورتها مشكورة متفضلة ، فقمت بتحقيقها ونشرها لما تشتمل عليه من الفوائد .

تقع هذه النسخة في ثماني صفحات ونصف الصفحة ، وهي في المجموع الذي ضمت إليه تقع بين الصفحات منه من الورقة / ١٧٥ / حتى الورقة / ١٧٩ / وتشتمل الصفحة منها على خمسة وعشرين سطراً ، كتبها الناسخ الذي لم نقف على اسمه بخط النسخ الجميل المشرق المعجم المقيد بالشكل الكامل ، غير أنها لم تبرأ من التصحيف والغلط القليل في النحو والإملاء والضبط .

ويبدو من قراءة هذه النسيلة أن تلميذاً للبدر محمد بن قاضي شهبة واضع الترجمة هو الذي استملاها منه أو نقلها عنه ، وذلك واضح من الخطبة التي وضعها التلميذ مستهلاً بها كلام أستاذه البدر . ولم نظفر بمعرفة اسم التلميذ هذا . وأخرجنا الترجمة محققة على وجه نرجو أن نبلغ به صواب الأصل الذي خرجت عليه ، والله ولي التوفيق .

د . عدنان درويش

[١ أ] / بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

قال أستاذي الشيخُ الإمام العالمُ العلاّمة ، جمالُ العصر وكمالُ الدهر ، حُجّةُ الأدب ولسانُ العرب ، أفضلُ القضاة بَدْرُ الدين ضياءُ الإسلام شَرَف الأنام ، مفتي المسلمينَ مفيدُ الطالبين وَلِيُّ أمير[1] المؤمنين ، أبو الفضل محمد بنُ قاضي شُهْبَةَ الأسَدي الشافعي ، خليفةُ الحُكْم العَزيز بالشّام المحْروس ، ومفتي دار العَدْل الشريف ، مَتّع الله المسلمين بطول بَقائه ، وأسْبَل عَلَيْه سوابِغَ نَعْمائِه بمَنّه وكَرَمه :

الحمد لله على قضائه الذي لا يُدافَعُ ، وحُكْمِه الذي لا يُمانَع ، وأمْرِه الذي إذا بَرَز لا يُراجَع ، سبحانه منْ مَلِكٍ تفرَّدَ بالخُلود ، وليس لملكه أمَدٌ[2] محدودٌ ولا أجَلٌ[2] مَعْدُود ، أقَّتَ لجَميع الأمم وغيرهم يوماً ﴿ ذَلكَ يَوْمٌ مجموعٌ لَهُ النّاسُ وذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهود[3] ﴾ .

أحمدُه على قَضائه الذي فَرّقَ بين الأحْباب ، وشتَّتَ شملَ الترائِبِ والأتْراب وأبْلى تلكَ الوُجُوهَ الحسانَ تحتَ رَدْمِ التُّراب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادَةَ من أيْقَن بمَعادِه ، وفوّضَ إلى الله سُبْحانه وتعالى وحَمَدَهُ في إصْداره وإيراده .وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه الذي ابْتَلِي فصبر ، وامْتُحِنَ فضاعف الحمدَ وشكر صلى الله عليه وعلى آله الذين صَبَروا عند صَدْمَةِ المصائب ، واتّقَوْا بحُسْنِ الثقة بالله سهاماً من البَلْوَى صَوائِب ، وما منهم إلا مَنْ توجَّعَ قلبُه وأصبح مَحْزوناً

(١) كذا الأصل ، ولعلها : « أمر » .
(٢) الأصل : « أمداً » « أجلاً » .
(٣) هود ، الآية : ١٠٣ .

لفَقْدِ الحبائِب ، صلاة تُبلغُ قائِلَها الأمَدَ(٤) الأَقْصَى ، ويَفُوزُ ببركاتِها بما لا يُحْصَرُ ولا يُحْصَى .

وبعد : فقد ذكرتُ في هذه الأَوْراقِ شيئاً من تَرْجَمةِ شَيْخي وأستاذي وَوالدي تَغَمّدهُ الله برحْمَتِه والرِّضْوان ، وَطرَفاً من ابتداءِ تصدِّيه للنَّفْعِ العامِّ والخاص ، وذكرَ بعضِ مجموعاتِه ومؤلَّفاته على سَبيلِ الاختصارِ دونَ الإطْنابِ والمبالغةِ في الألقاب ، فإنه ـ رَحِمهُ اللهُ تعالى ـ كان يكرَهُ ذلكَ ، حتىَّ إنَّهُ لما وَلِي القضاءَ مَنَعَ من كِتابَةِ « شَيْخ الإسلام » في أَلْقابه ، ومَنْ خاطَبَهُ بذلِكَ زَجَرَه . ولقد وقفْتُ على فَتْوى وقد كُتِبَ له فيها : « ما قولُ سيّدنا ومولانا شَيْخِ الإسلامِ في كذا ؟ » فَضربَ بخطِّه على لَفْظَةِ «شيخ الإسلام» ثم كَتَبَ على الفتوى. فالله تعالى [أسأل(٥)] أَنْ يرفعَ قَدْرَه في الآخرةِ كما رَفَعَه في الدُّنيا ، ويجْعلهُ في الجَنَّةِ من أَهْلِ المنزلَةِ العُلْيا / والمرتبة العُظمَى بمنِّه وكَرَمه آمين ، فأقول : [ب

هو الشيخُ الإمامُ العالمُ العلاَّمة ، شيخُ البلادِ الشاميَّة وعالُمها ومُفتيها ومدرسُها قاضي القضاة تقيُّ الدين أبو الصِّدْقِ أبو بكرِ بنُ الشيخ العالم الفَقيهِ الفَرَضي المدرّسِ شهابِ الدين أحمدِ بنِ الشيخ الإمام العلاَّمةِ شيخِ الإسلامِ شمسِ الدينِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ الشيخِ الفقيه العالم القاضي نَجْمِ الدين عُمَرَ بنِ الشيخِ الإمامِ الفقيهِ العالمِ المُصدَّرِ شرفِ الدين فخرِ القضاةِ تاج الأئمَّةِ أبي عبد الله محمد بن القاضي الإمام العالم المُصدَّرِ كمالِ الدينِ شرفِ القُضاةِ عبدِ الوهّابِ بن القاضي الفقيهِ العالمِ القاضي جمالِ الدين محمد بن ذُؤَيْبِ بن مُشَرّف ، ابن قاضي شُهْبَة(٦) الأَسَديّ الشافعي .

(٤) الأصل : « للامد » .

(٥) ليست في الأصل .

(٦) ابن قاضي شهبة : لقب أبي بكر وأبيه وأعمامه وجدّه وإخوة جده ثم أولاده من هذه =

وَلدَ بدمشقَ في ربيع الأولِ سنةَ تِسْعٍ وسبعينَ وسبعِ مائـة . وحَفِـظ القرآن وقـام بـه في رمضـانَ في ثـلاثِ سنينَ في حيـاة والـده . وحَفـظ (التَّنْبيهَ) في الفقه للشيخ أبي إسحـاقَ الشِّيرازي(٧) ، و(منْهـاجَ الأُصول) للقاضي العلاَّمة نـاصرِ الـدين البَيْضَـاوي(٨) ، و (ألفيَّـةَ ابن مـالـك)(٩) في النحو في صِغَرِه ، ثم حفظ (الحاوي الصغير)(١٠) في كِبَرِه . واشتَغَلَ ودَأبَ وحصَّل ، وسمعَ الحديثَ على جَمَاعَةٍ من المشايخ ، وأخَذَ الفقْهَ عن جماعَـةٍ من العُلَماء الأعيان .

منهم : الشيخ الإمـامُ الفقيـهُ المحـدِّثُ الحـافـظُ المفسِّرُ الأصوليّ المتكلِّمُ النَّحْوي اللغوي المنطقي الجَدَلي الخِلاَفي النَّظَّار شيخُ الإسلام سِرَاج الـدين البُلْقِيني(١١) .

= الأسرة ، وقد لقبوا بذلك لأن نجم الدين عمر وهو أبو جَدّ أبي بكر أقام قاضياً بشهبـة ـ قريـة في جبل حوران ـ مدة أربعين عاماً . وبذلك لايكون « قاضي شهبة » حسب وروده هاهنا أباً لمشرّف الجد الأعلى في نسب أبي بكر بن قاضي شهبـة . وهـذا مـاأراده واضع الترجمـة . انظر : الضوء اللامع : ١١ / ٢١ .

(٧) في فروع الفقـه الشـافعي ، لأبي إسحـاق إبراهيم بن علي الشيرازي المتـوفى سنـة ٤٧٦ هـ . الكشف : ١ / ٤٨٩ ، وبروكلمان : ١ / ٣٨٧ وذيله : ١ / ٦٦٩ .

(٨) هو منهاج الوصول إلى علم الأصول : في علم أصول الفقـه ، لنـاصر الـدين عبـد الله بن عمر البيضـاوي الشيرازي المتـوفى سنـة ٦٨٥ هـ . الكشف : ٢ / ١٨٧٨ ، وبروكلمـان : ١ / ٤١٨ ، وذيله : ١ / ٧٤١ .

(٩) المنظومة المشهورة في النحو . واضعها جمال الـدين محمد بن عبـد الله الطـائي الشهير بـابن مـالـك المتوفى سنـة ٦٧٢ هـ . الكشف : ١ / ١٥١ ، وبروكلمـان : ١ / ٣٥٩ ، والـذيـل : ١ / ٥٢١ .

(١٠) في فروع الفقـه الشـافعي ، لنجم الـدين عبـد الغفـار القـزويني المتـوفى سنـة ٦٦٥ هـ . الكشف : ١ / ٦٢٥ ، وبروكلمان : ١ / ٣٩٤ ، والذيل : ١ / ٦٧٩ .

(١١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهـاب ، سراج الـدين ، أبو حفص ، الكنـاني العسقـلاني الأصـل البلقيني ، المصري الشـافعي ، الإمـام ، الحـافـظ ، المصنف ، قـاضي القضـاة بمصر : شعبان سنة : ٧٢٤ هـ ـ ذو القعدة سنة ٨٠٥ هـ في القاهرة . ترجمه ابن قاضي شهبـة في =

ومنهم : الشيخَ الإمامُ العَلاَّمة الوَرِع بقيَّةُ السَّلف ، أقدم المدرِّسين ، شيخ الشافعيَّةِ ومدرِّسُ البادَرائِيَّة[١٢] ، أقضى القضاة شرف الدين أبو البَقَاء محمود[١٣] بن الإمام العلاَّمَةِ جمالِ الدين بن الإمامِ العَلاَّمة كمالِ الدين البَكْري الوَائلي المعروف بابْنِ الشَّرِيشي .

ومنهم : الشيخ الإمام العلاَّمَةُ بقيَّةُ السلف ، مفتي المسلمين صَدْرُ المدرِّسين ، شهاب الدين أبو العبّاس أحمد الزُّهْرِي[١٤] .

ومنهم : الشيخُ الإمامُ العلاّمة فقيه العصر شرف الدين أبو الرُّوح عيسى الغَزِّي[١٤] .

ومنهم : الشيخُ الإمام العلاَّمةُ الحَبْرُ المحدِّث الفقيه النَّحْوي بدر الدين أبو عبد الله محمد بن مَكْتُوم[١٥] ، وهو جَدِّي لِوَالِدَتي .

ومنهم : الشيخُ الإمام العَلاَّمةُ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد المَلْكَاوي[١٦] .

ومنهم : الشيخ الإمام العَلاّمة الحافظ المُحَقِّقُ شهاب الدين أحمدُ بن حِجِّي[١٤] ، وعنه أخذَ علمَ التاريخ .

= ذيله على الذهبي ترجمة مبسوطة في الورقة ٢٣٣ ب ـ ٢٣٤ أ . وانظر الضوء اللامع : ٦ / ٨٥ .

(١٢) مدرسة للشافعية بدمشق ، بناها نجم الدين عبد الله البادرائي سنة ٦٥٣ هـ ، وتقع في الزاوية الشرقية الشمالية من أعمدة جوبيتر قرب الأموي . الدارس للنعيمي : ١ / ٢٠٥ .

(١٣) في الأصل : « محمد » خطأ الناسخ . وانظر ترجمته في تراجم رجال سند ابن قاضي شهبة في رواية فقه الشافعي ، الملحقة بآخر الترجمة .

(١٤) انظرهم أيضاً في تراجم رجال روايته فقه الشافعي في آخر الترجمة .

(١٥) محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم ، بدر الدين ، القيسي السويدي الدمشقي ، المعروف بابن مكتوم ، الشافعي ، الفقيه المحدث النحوي : ٧٤٠ هـ ـ جمادى الأولى : ٧٩٧ هـ في دمشق انظر ابن قاضي شهبة ١ : ٥٦٦ .

(١٦) أحمد بن راشد بن طرخان ، شهاب الدين ، أبو العباس ، الملكاوي ، الدمشقي الشافعي ، الشيخ الإمام المفتي ، القاضي ، نائب القاضي الشافعي بدمشق ، توفي في رمضان سنة ٨٠٣ هـ الضوء اللامع : ١ / ٢٩٩ .

ومنهم : الشيخَ الإمامُ العلاَّمة المفَنّنُ جمالُ الدين الطِّيْماني[١٧] ، وعنه أخذ الأُصُول ، قرأ عليه (شرْحَ المُخْتَصِر) للأَصْفهاني[١٨] ، و (الحاوي الصغير) وهو الذي رَغبَّه في حِفْظه .

وأخذ النَّحو عَنِ الشيخِ العالِمِ المفَنّنِ شرفِ الدين محمود الأَنْطاكي[١٩] .

وروى (المِنْهاجَ)[٢٠] عن جَمَاعةٍ من المشايخ ، منهم : الشيخان العالِمانِ شيخا عصرهما قاضي القضاة شهابُ الدين أحمدُ الزُّهْري[٢١] الشافعي ، والعَلاَّمَةُ الرَّبّاني شَرَف الدين / محمود بن الشَّرِيشي[٢١] عن [٢ أ] العَلاَّمَةِ شمسِ الدين محمد بن النَّقيب[٢١] تلميذ المصنف عن المصَنِّف[٢١] . ورَواهُ أيضاً عن جَدِّه الشيخ الإمام شَمْسِ الدين محمد[٢١] بالإجازة الخاصَّة عن العَلاّمةِ علاءِ الدّينِ ابن العَطّارِ[٢٢] عَيْنِ أصحاب المؤلف عن المؤلف .

(١٧) عبد الله بن محمد بن طيمان ، جمال الدين ، الطيماني ، الدمشقي ، الشافعي ، الفقيه : قبل سنة ٧٧٠ هـ ـ صفر سنة ٨١٥ هـ . الضوء اللامع : ٥ / ٥٠ .

(١٨)هو شرح كتاب (مختصر المنتهى لابن الحاجب) في علم أصول الفقه ، وضعه شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني ، أبو الثناء ، الشافعي الأصولي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ . الدرر الكامنة ، لابن حجر : ٤ / ٣٢٧ . وانظر الكشف : ٢ / ١٨٥٥ .

(١٩) محمود بن عمر بن محمود بن إيمان ، شرف الدين ، الأنطاكي ثم الدمشقي ، الحنفي ، النحوي ، خطيب بدمشق . توفي بدمشق في شعبان سنة ٨١٥ هـ . الضوء اللامع : ١٠ / ١٤٢ .

(٢٠) هو (منهاج الطالبين) لمحيي الدين يحيى بن شرف بن مري ، أبو زكريا ، النواوي الدمشقي ، الشافعي ، الحافظ الفقيه المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . وقد اختصر فيه كتاب (المحرر) في فروع الشافعية ، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني المتوفى سنة ٦٢٣ هـ . الكشف : ٢ / ١٦١٢ . وبروكلمان ١ / ٣٩٣ والذيل : ١ / ٦٧٨ ، وشذرات ابن العماد : ٥ / ٣٥٥ .

(٢١) انظرهم في تراجم رجال السند آخر الترجمة .

(٢٢) علي بن إبراهيم بن داوود بن سلمان ، أبو الحسن ، علاء الدين ، ابن العطار الشافعي ، الدمشقي ، الفقيه المتكلم المحدث : شوال ٦٥٤ هـ ـ ذي الحجة ٧٢٤ هـ بدمشق . الدرر : ٣ / ٥ ، الشذرات : ٦ /٦٣ .

وروى (التَّنْبيهَ) أيضاً عن جَدِّه المشارِ إليه بالإجـازَةِ الخـاصَّـةِ عن ابن دَقِيـقِ العِيـد[٢٣] بـالإجـازة العـامــة عن ابن الجُمَّيْـزي[٢٤] عن ابن أبي عَصْرُون[٢١] عن أبي علي الفَارِقِي[٢١] عن المؤلف .

وروى فِقْهَ الشافعي عن غالب[٢٥] مَنْ تَقَـدَّم أَخْـذُهُ الفقـهَ عنهم مِمَّنْ أخَذَ عن جَدِّهِ الشيخ شمس الدين ورَفِيقَيْهِ ابن خَطيبِ يَبْرُوَد وابن قاضِي الزَّبَداني عن الشيخ برهانِ الـدين الفَزَاري عن والـدِهِ الشيخ تـاجِ الـدين الفَزَاري عن الشيخ تَقِي الدين ابنِ الصَّلاح .

ومن طريـق آخر عن العـلاّمـةِ شهـاب الـدين أَحْمـدَ بن حِجّي عن والده العلاّمَة شيخِ الشافِعية علاء الدين حِجّي ، عن الشيخ شَمْسِ الـدين ابن النَّقِيب ، عن الشيخ الإمام العلامة الربَّاني مُحْيي الدين النَّواوِي قَدَّس الله رُوحَه ، عن جَمَاعَة من مشـايخـه ، عن الإمـام العَلاّمـة مفتي الإسلام تَقّي الـدين أبي عَمْرو بن الصَّـلاح ، عن والـده الإمـام البـارِع صَلاَح الدين ، عن الشيخ الإمام العَلاّمة قاضي القضاة شَرَف الدين أبي سَعْد عبد الله بن أبي عَصْرون ، عن الشيخ الإمام العَلاّمـة الحسين أبي علي الفَـارِقي ،

---

(٢٣) محمـد بن علي بن وهب بن مطيع ، أبو الفتح ، تقي الـدين ، القشيري المصري القـوصي ، المعروف بابن دقيق العيد ، المـالكي ثم الشـافعي ، المحـدث ، القـاضي : شعبـان ٦٢٥ هـ ـ صفر ٧٢٠ هـ . الدرر : ٤ / ٩٣ .

(٢٤) علي بن هبـة الله بن سلامـة بن المسلم ، أبو الحسن ، بهـاء الـدين ، الشهير بـابن الجميزي ، اللخمي ، المصري الشافعي ، مسنـد مصر ، والمـدرس والخطيب بها : ذو الحجـة ٥٥٩ هـ ـ ذي الحجة ٦٤٩ هـ . الشذرات : ٥ / ٢٤٦ .

(٢٥) انظر التراجم التي وضعنـاهـا لرجـال طرق روايـة أبي بكر بن قـاضي شهبـة عنهم فقـه الشافعي والتي تصله بالإمام صاحب المذهب ، وذيلنا بها هذه الترجمة .

(٢٦) مدرسـة للشـافعيـة في بـاب البريـد بـدمشق ، وقـد درست ولم يبق لها أثر . الـدارس ، للنعيمي : ١ / ٣٣٦ .

عن الشيخ الإمام العَلاّمة جمال الإسلام إبراهيم أبي إسحاق الشيرازي ، عن الشيخ الإمام العَلاّمة القاضي أبي الطَّيِّب طاهِر الطَّبَري عن الشيخ الإمام العَلاّمة شيخ الشّافعية في عصره الفقيه أبي الحسن محمد المَاسَرْجسي ، عن الإمام العلامة أحد أئمة المذْهَب أبي إسحاق إبراهيم المَرْوَزي عن الشيخ الإمام حامِلِ لِواءِ الشّافعية في زمانِه وناشِر مذْهَب الشافعي القاضي أبي العَبّاس أحمد بن سُرَيج ، عن الشيخ الإمام أبي القاسم عُثْمان بن سَعيد الأنْماطي ، عن الإمام العَلاّمة الزاهد المجتَهد أبي إبراهيم إسماعيل المُزَني ، عن الإمام المُطَّلِبي أبي عَبْد الله مُحَمّد بن إدْرِيس الشّافعي رضي الله عنه .

هذه السلسلة من طريق العِراقيين .

ومن طريق المَراوِزَة بالسَّنَد المتَقَدِّم إلى الشيخ تَقيّ الدين ابن الصَّلاح ، عن والدِه ، عن الشيخ الإمام شيخ المَذْهَب في زمانه أبي القاسم عُمَرَ بن البَزْري إمام جَزِيرَةِ ابن عُمَر وفقيهها ومُفْتيها ، عن الإمامين حُجَّةِ الإسلام أبي حامِد محمد الغزالي وعماد الدين شمس الإسلام أبي الحسن الطَّبَرِي المعروف بالكَيّا الهَرَّاسي ، عن العلاّمةِ ضياءِ الدين أبي المعالي عَبْدِ الملك إمام الحَرَمَيْن ، عن والده رُكْنِ الإسلام العَلاّمَةِ أبي محمد عبد الله الجُوَيْني ، عن الإمام الجليل أبي بَكْر القَفَّال الصغير شيخ طريقَة خُراسان ، عن الشيخ الزاهدِ الإمام أبي زيد المَرْوَزِي ، عن العَلاّمة أبي إسحاق المَرْوَزِي ، عن أبي العَبّاس بن سُرَيْج ، عن أبي القاسم / الأنماطي ، عن أبي إبراهيم المُزَني ، عن الإمام المُطَّلِبي الشّافعي رضي الله عنه وعن أصحابه . [٢ ب]

ولازَمَ الاشْتِغال ، وأكَبَّ على الطَّلَب ، وجدَّ واجتهد ، إلى أن فَضُلَ وبرَع ، وشارك في العلوم ، وَدرَّس بالمدرسَةِ الطَّبَريَّة[٢٦] ، والمدرسة

الأَمينيَّة[٢٧] ، والمدرسة الإقْباليّة[٢٨] دَرْسَ إجْلاسٍ لكونِهِ المعيدَ بالمدرستين المذكورَتَين ، وحضر إجْلاسَه قاضي القضاة سَريُّ الدين ابن المِسَلاَّتي[٢٩] ، وكان هُوَ الوَصِيَّ عليه من قِبَلِ والده وبقيةُ القضاة والفقهاء ، وكان ذلك قبلَ الثمانمائة .

ثم بعد الثمانمائة حضر التَّصْديرَ بالجامع الأموي ، وأشْغَل وحَضَرَ عنده جماعة من طَلَبة والده وغيرُهُم ، ثم بعد فِتنة العدوِّ المخذولِ تَمرْلَنْك[٣٠] استمرَّ على ملازَمَةِ الاشْتِغال بالعلم ، ولم يلْتَفتْ إلى ما الناسُ فيه منَ الغَلاءِ المُفْرِط وقِلَّة المُتحصِّل ، بل يتقنعُ بالقَليل ويُكِبُّ على الاشتغال .

ثم لازَمَ الشيخَ جمال الدين الطَّيْباني وقرأ عليه (شرح الإصْفَهاني لمُخْتَصَر ابنِ الحاجِب) في أُصُولِ الفِقه ، و (الحَاوي الصغير) ثم تَصدَّى في

---

(٢٧) مدرسة للشافعية بدمشق ، قبلي باب الزيادة الآخذ إلى القبلة ، من أبواب الجامع الأموي ، وهي شرقي المدرسة المجاهدية جوار قيسارية القواسين بظهر سوق السلاح . بناها أمين الدولة كمشتكين الأتابك بدمشق المتوفى سنة ٥٤١ هـ . ووقفها سنة ٥١٤ هـ ، وموقعها اليوم في سوق الحرير . الدارس للنعيمي : ١ / ١٧٧ ، والخطط لكرد علي : ٦ / ٧٧ . ومخطط دمشق للمنجد : رقم ٦٧ .

(٢٨) مدرسة للشافعية بدمشق بين باب الفرج وباب الفراديس شمالي الأموي ، أنشأها جمال الدين إقبال خادم نور الدين أو صلاح الدين المتوفى سنة ٦٠٣ هـ . ولم يبق منها اليوم إلا الحجر الذي كان على باب الدارس : ١ / ١٥٨ ، والخطط لكرد علي : ١ / ٧٦ ، ومخطط المنجد : رقم ١١ .

(٢٩) محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن علي ، سري الدين ، أبو الخطاب ، السلمي ، المسلاتي الدمشقي . قاضي الشافعية بدمشق ، ومدرس ببعض مدارسها : رمضان سنة ٧٥١ بدمشق - رجب سنة ٧٩٩ بالقاهرة . تاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / ٦٤٢ .

(٣٠) كان ذلك في أواخر سنة ٨٠٣ للهجرة ، وتمرلنك : هو تيمور بن غازي بن أبغاي السمرقندي الغازي المشهور ، توفي سنة ٨٠٧ للهجرة ، وقد عقد له ابن قاضي شهبة في تاريخه في وفيات هذه السنة ترجمة مبسوطة . تاريخ ابن قاضي شهبة ، الورقة ٢٥٥ أ .

سنة ثلاث[٣١] عشرة وثمانمائة بالجامع الأموي للإشغال[٣٢] والإفتاء ، فعكف عليه الطَّلَبَةُ من الفضلاء الحُذّاق ولازموه مع وجود المشايخ الذين [هم[٣٣]] أكبر سناً منه وأكثر رواجاً في ذلك الوقت لكثرة حُفْظِه ونَقْله وحُسْنِ تَقْريره وتَحْقيقه وتَحْريره .

وكان كثيرَالاطّلاع ، صحيحَ النَّقْل ، عارفاً بالدَّقائق والغَوامِض ، معروفاً بحل المُشْكلاتِ ، مع فَهْم صَحيح ، وسُرْعَة اذْراك ، وقُدْرَة على المناظرة ، وكان يَعْتَني في دُروسِه بحَيْثُ لا يَتْرِكُ لأحَدٍ مِّنْ يحضُرُ عنْدَه ما يقولُه ولَوْ طالَعَ منَ الشروحِ ما عَسَى أن يطالع .

وأشْغَلَ في الفِقْه والأُصول والحديث ، وأقرأ (التَّنْبيه) و (المِنْهاج) و (الحاوي) و (مِنهاج البَيْضاوي) و (مُخْتَصر ابن الحاجب[٣٤]) وشَرَحَ (ألْفِيَّة العراقي)[٣٥] في عُلُوم الحديث مِراراً ، واستمرَّ ملازِماً لذلك إلى وفاته .

وفي أوائلِ سنةِ عشرينَ وثمانمائة اسْتَنابَه قاضي القُضاةِ نجمُ الدين بنُ حِجِّي[٣٦] في القضاء ، وكان كثير الكراهة له ، ولما طلَبَه قاضي

---

(٣١) في الاصل : « ثلاثة » .

(٣٢) في الأصل : « الاشتغال » تصحيف واضح .

(٣٣) ليست في الأصل .

(٣٤) مختصر منتهي السول والأمل في علمي الأصول والجدل ، لجمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر ، أبو عمرو الرويني ثم المصري الشهير بابن الحاجب ، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ : وفيات ابن خلكان : ١ / ٣٩٥ ، والكشف : ٢ / ١٨٥٥ .

(٣٥) منظومة في علوم الحديث عنوانها : (التبصرة والتذكرة) واشتهرت بالألفية ، وضعها زين الدين عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ . الكشف : ١ / ١٥٦ ، وبروكلمان : ٢ / ٦٦ ، والذيل : ٢ / ٦٩ .

(٣٦) عمر بن حجي بن موسى بن أحمد ، نجم الدين ، أبو الفتوح ، السعدي الحسباني الأصل الدمشقي الشهير بابن حجي ، الشافعي ، القاضي ، قاضي حماة ، قاضي طرابلس ، قاضي دمشق ومدرس ببعض مدارسها : ٧٦٧ هـ - قتل في ذي القعدة ٨٣٠ هـ . الضوء اللامع : ٦ / ٧٨ .

القُضاة لهذا الأمْرِ شَقَّ عليه ذلك وتَغَيَّر لونُـه ، وكان ذلـك بحَضْرَة جماعَـةٍ من الأَعْيانِ ، فاعْتذرَ إليه بأَشياء كثيرة ، فلم يقْبَلْ ذلـك ، فلم يمكنـه إلا الامتثال[٣٧] ، فباشر ذلك بعفَّةٍ ومهابَـةٍ زائـدةٍ وتصميم في الأمور ، مع نُفُوذِ كلمته .

وكان مُهاباً شَهْماً مُعَظَّما عند الخاصِّ والعامِّ ، له صورة كبيرة وحشمة بالغة . ثم باشَرَ لجمَاعَةٍ من القضاة بعزَّةٍ زائـدة ، واستمرَّ على ذلـك إلى سَنَـةِ خَمْسٍ وثلاثين وثمانمائـة . ثم تَرَكَ القَضـاءَ بـإشـارةِ الشيخ الإمـام العَلاَّمـة الزاهِـدِ العـابـد الورع القُـدْوَةِ المحقِّق . فريـدِ الـدهرِ ووحيـدِ العصر علاء الدين مُحَمَّد البُخاري[٣٨] الحنفي .

ثم إنَّ بعضَ النَّـاس منَ القُضـاةِ والأُمراء سَـأَلوا الشيـخَ عَـلاء الـدين المُشـارِ إليـه في عَـوْده إلى نِيـابَـةِ الحُكْم[٣٩] ، وذكرُوا لـه أنَّ في مُبَـاشَرَتِـه مَصْلَحـةً . فلم يلتَفِتْ الشيـخ رضي الله عنـه إلى ذلـك وقـال : « مَصْلَحـةُ فراغِه للعلم أعظم ، هذا اتْركُوهُ لِي ، أنا ما رأيتُ في بَلَدِكُمْ غيرَه ، وأنـا ماأتَجمَّل مَعَ أحَد » وحجَّ في سنة سبعٍ وثلاثين / وثمانمائة . [٣ أ]

وفي آخر أمره انتهتْ إليه رِئاسةُ العِلْم بالبلادِ الشاميَّـةِ ، حتى لم يبقَ بها من يُضاهيـه في هـذا الأمْرِ ، وصـارَ هو المشـارَ إليـه في مَشْيَخَـةِ العلْم والتدريس ، والمعوَّلَ عليـه في الإشكالاتِ والفَتَـاوَى ، وأتتـهُ الفَتَـاوَى من

(٣٧) الأصل : « الأمثال » تصحيف واضح .

(٣٨) محمد بن محمد بن محمد ، علاء الدين ، البخاري ، الحنفي ، الفقيه ، نشأ ببخـارى ورحل إلى الهند ثم إلى مكة ثم مصر واستوطنها وانتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن توفي بها ودفن بالمزة : سنة ٧٧٩ هـ ـ ٨٤١ هـ . الضوء اللامع : ٩ / ٢٩١ ، والشذرات : ٧ / ٢٤١ .

(٣٩) وظيفة ينهض بها قضاة يعينهم قضاة القضاة ليضطلعوا بـالحكم نيـابـة عنهم ، وهم يجلسون في حوانيت خاصة بهم . صبح الأعشى للقلقشندي : ٤ / ١٩٢ .

الأَقْطارِ البعيدة والبلاد الشاسِعَةِ ، ورحل الناسُ إليـه من الآفـاقِ للقراءَةِ عليه ، وخضعَ له كلٌّ من يُنْسَبُ إلى عِلْم الفقْه وغيره . وأخـذت الطَّلَبَـةُ عنهُ طبقـةً بعـدَ طبقَـةٍ حتى لم يبقَ بـدمشق قـاض[٤٠] ولا مفت[٤٠] إلاّ من طَلَبَته ، ولا طالبُ عِلْم إلا منْ تلامذَته أو تَلامذَةِ تَلامذَته . وبَعُدَ صيتُـهُ حتى إنَّ شَـارُخْ بنَ تَمرْلَنْـك[٤١] راسَلَـهُ بـالسَّـلام بمُشَـافَهَـةِ الأمير شَكْبُغَـا الدَّوادار[٤٢] لمّا أن جَهَّزَهُ إليه مَولانا السلطان[٤٣] بالرِّسـالـة ، فـأخبرَني أنَّـه قال له عنْدَ سَفَرِه إلى بلاد الشام : « سَلِّمْ بحَلَب على الشّيخ بُرْهـان الـدين القـوف[٤٤] المُحـدِّث . وبـالشـام على ابن قَـاضِي شُهْبَـة ، وابنِ مُـزَلِّـق[٤٥] . وبمصْرَ على ابنِ حَجَر[٤٦] ، وعَبْدِ الباسِطِ[٤٧] .

(٤٠) الأصل : « قاضي » « مفتي » .

(٤١) هو شاهرخ القان معين الدين سلطان بن تيمورلنـك ملـك المشرق وسلطـان مـاوراء النهر وخراسان وخوارزم وعراق العجم ومازندران ومملكة دلي من الهند ، وكرمـان وأذربيجـان ، ولم يذكر السخاوي تاريخ وفاته . الضوء اللامع : ٣ / ٢٩٢ .

(٤٢) لم نقف على ترجمة له .

(٤٣) هو الملك الظـاهر جقمق ، أبو سعيـد الجركسي العلائي ، تسلطن سنـة ٨٤٢ هـ وتوفي في صفر سنة ٨٥٧ هـ ودفن في القاهرة . الضوء اللامع : ٣ / ٧١ ـ ٧٤ .

(٤٤) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى ترجمته ، ولعل في الاسم تصحيفاً .

(٤٥) هو محمد بن علي بن أبي بكر بن محمد ، شمس الدين ، الحلبي ، ثم الدمشقي ، ويعرف بابن المزلق بضم الميم وفتح الزاي المنقوطة واللام المشددة . كبير التجار الـدمشقيين . توفي سنـة ٨٤٨ هـ بدمشق . الضوء اللامع : ٨ / ١٧٣ .

(٤٦) أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي ، شهـاب الـدين ، أبو الفضل الكنـاني العسقلاني ، المصري ثم القاهري ، ويعرف بابن حجر ، الشافعي ، الإمام ، الحـافـظ المحدث المصنف المؤرخ المسند ، القاضي بالقاهرة ، والمدرس ببعض مدارسها : شعبـان سنـة ٧٧٣ هـ ـ ذي الحجـة سنـة ٨٥٢ هـ في القاهرة الضوء اللامع : ٢ / ٣٦ .

(٤٧) عبـد البـاسـط بن خليـل بن إبراهيم ، زين الـدين ، الـدمشقي ثم القـاهري ، من كبـار الأعيان وأرباب الدولة في كبـار وظـائفهـا بـالقـاهرة : سنـة ٧٨٤ هـ ـ شوال سنـة ٨٥٤ هـ في القاهرة الضوء اللامع : ٤ / ٢٤ ـ ٢٧ .

وكان كثيرَ البرّ والإحْسان للطَّلَبَةِ والفُقَراءِ والغُرَباء ويَبرُّهم كثيراً ، ويحبُّ الفُقَراء[٤٨] ، وكان له حَظٌّ وافِرٌ منهم .

وكان الشيخُ الإمامُ العلاَّمَةُ الزّاهِدُ العابدُ تَقي الدين الحُصْني[٤٩] يُثْني عليه في مَجْلسه ، ويخصُّه بإرسالِ الفتاوَى إليه . وكان يُوافي الناسَ بحقوقهم ، يسلّمُ على القادمين ، ويعودُ المرضَى ، ويُشيّع الجنائز ، ويحضر الصُّبَح[٥٠] . وعنده برٌّ وصِلَة لأقاربه وجيرانه ، وربما كان يطبخُ الطعامَ الملوَّنَ ويفرّقُه على أقاربه وجيرانِه جميعَه ، ثم يأكل هو قليلاً من الحِمّصِ بالمِلْح من غير زيت ولا غيره ، كما أخبرني بذلك بعضُ خَدَمه بعدَ وفاته ، وأما هو فما كان يعلمني[٥١] بشيء من ذلك ، وقد أخبرني بعضُ الطَّلَبَة ممَّن[٥٢] كان مُقيما عنده بالزَّاوية الحَلَبية[٥٣] في العشر الآخر من شهر رمضان أنه كان قد يجهِّزُ له القَطايفَ واللَّوْزينَج وغير ذلك فيطعمُه للطَّلَبَة والفقراء ، ويأكل هو وقت السحور كِسْرَةً مع عنَب وجُبْنَة ولا يأكل من ذلك شيئاً .

---

(٤٨) المتصوفة .

(٤٩) أبو بكر بن محمد بن شاذي ،تقي الدين الحصني - حصن كيفا - الشافعي ، نزيل القاهرة ، الفقيه المحدث المفتي العلامة ، المدرس ببعض مدارس القاهرة : سنة ٨١٥ هـ - ربيع الأول سنة ٨٨١ هـ بالقاهرة الضوء اللامع : ١١ / ٧٦ .

(٥٠) كذا الأصل ، ولعله يريد بها جمع « صبحة » على الدارجة في أيامه والتي سترد في هذه الترجمة أيضاً ، والمراد بها - على الأرجح - حضور مجالس لقراءة القرآن والأذكار والأدعية تعقد في صباح كل يوم من الأيام الثلاثة التي تعقب يوم وفاة المتوفى ، ويقال عنها في دارجة أيامنا : « الصباحية » .

(٥١)الأصل : « يعلمين » طفرة قلم .

(٥٢) الأصل : « من » .

(٥٣) لم نعثر عليها بهذا الاسم ولعلها المقصورة الحلبية شرقي الجامع الأموي . انظر مخطط المنجد : رقم ٢٠ .

وكان مبروكاً[٥٤] في رزقه ، فإنّه كان له برّ كثير وعطاء جزيل وكثرةُ عِيال ، ومع هذا لما أن توفي لم تبلغ جَوامِكُ[٥٥] الوظائف المُخْتَصَّة به في كلِّ شَهْر ألفاً ومائتي[٥٦] درهم .

وكان جميعُ مابيدهِ من الوظائف المشهورة قد استنْزَلَ عنها بعِوَضٍ كان يستَدينُه ثم يوفِّيه بعد ذلك . وكان قد باشَرَ غالبَ تَداريس البَلَد ، منها ما هو بطريق الأصالة ، ومنها ماهو بطريق النّيابة ، فمن ذلك إفتاء دار العَدْل[٥٧] الشّريف بدمشق ، وتدريسُ المدرسَةِ الظاهرية الجُوّانية[٥٨] ، وتدريسُ المدْرَسَة التَّقَويّة[٥٩] ، وتدريسُ المدرسةِ

(٥٤) كذا الأصل ، ولعلها من عامية أيامه ، فصيحها : « مباركا له في رزقه » .

(٥٥) مفردها : « جامكية » وهي مايرتب من مال ومطعم وملبس وغير ذلك لمماليك السلطان في الأصل ، ثم أصبحت تطلق على مايرتب للموظفين والمدرسين ، ويقال لمن يستحقها ويتناولها « أصحاب جوامك » .

نزهة النفوس والأبدان ، تحقيق حبشي : ١ / ٣٥٠ الحاشية ٢ ، وذيل المعاجم العربية لدوزي .

(٥٦) الأصل : « ألف ومئتين » خطأ .

(٥٧) بدمشق ، كان أول من بنى هذه الدار لكشف الظلامات وسماها دار العدل نور الدين الشهيد وفي العهد المملوكي أضيفت إلى دار السعادة وأصبحت مركزاً للحكومة فيها يجلس النائب وأركان الحكومة للنظر في أمور البلاد . ولاة دمشق في عهد المماليك ، للأستاذ دهمان : ٢٦ ـ ٢٩ .

(٥٨) مدرسة للشافعية بدمشق ، داخل بابي الفرج والفراديس بينهما ، جوار الجامع الأموي ، شمالي باب البريد ، وقبلي الإقباليتين والجاروخية ، وشرقي العادلية الكبرى ، بابها متواجهان بينهما الطريق ، وفيها تربة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، بناها الملك الظاهر بيبرس في حدود سنة ٦٧٠ هـ وهي اليوم مقر دار الكتب الظاهرية الوطنية بدمشق .

الدارس : ١ / ٣٤٨ ، ومخطط المنجد ، رقم : ٢٤ .

(٥٩) مدرسة للشافعية داخل باب الفراديس بدمشق شمالي الجامع الأموي شرقي الظاهرية و الإقباليتين بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة ٥٧٤ هـ وموضعها مايعرف اليوم بجادة بين السبعة طوالع ، وقد حولت إلى دار للسكن .

الدارس : ١ / ٢١٦ ، مخطط المنجد ، رقم : ٢٩ .

المَسْروريّة(٦٠) ، وتدريسُ المُجاهِدِيّة الجُوَّانية (٦١) ، وتدريس المدرسة الأَمينيّة ، وتدريسُ الفارسية ، وتدريسُ المدرسة العَذْراوِيّة(٦٢) ، والمدرسة الرُّكنية(٦٣) ، النصف منها أصالة والنصف نيابة عن نجم الدين ابن المدني(٦٤) ، وتدريسُ المدرسة الأمجديّة بالشَّرَفِ الأعلى(٦٥) وتدريسُ الحَلْقة القُوصِيّة(٦٦) بالجامع الأموي / ، ثم آثر به أقضى القُضاة تقي الدين [٣ ب] الأَذْرَعي(٦٧) ، ثم آثره أيضاً برُبع تدريس الرّكْنية . وآثر أخي سري

(٦٠) مدرسة للشافعية بدمشق بباب البريد ، أنشأها الطواشي شمس الدين مسرور ، وقيل : إنها منسوبة إلى الأمير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادلي . مجهولة ، وقد درست .
الدارس : ١ / ٤٥٥ .

(٦١) مدرسة للشافعية بدمشق بالقرب من باب الخواصين جوار المدرسة النورية ، وقفها الأمير مجاهد الدين أبو الفوارس الجلالي الكردي مقدم الجيش بالشام المتوفى سنة ٥٥٥ هـ .
الدارس : ١ / ٤٥١ ، ومخطط المنجد : رقم ٦٥ .

(٦٢) مدرسة للشافعية والحنفية بدمشق بحارة الغرباء داخل باب النصر ، أنشأتها في سنة ٥٨٠ هـ ، الست عذراء بنت أخي صلاح الدين الأيوبي المتوفاة سنة ٥٩٣ هـ وقد درست وضاعت معالمها .
الدارس : ١ / ٣٧٣ ، مخطط المنجد : رقم ٥٠ .

(٦٣) مدرسة للشافعية بدمشق في زقاق بني مفلح أمام المقدمية وبينهما الطريق ويعرف الآن بـ (دخلة بني عبد الهادي) في العمارة . وقفها ركن الدين منكورس المتوفى سنة ٦٣١ هـ ولم يبق لها أثر .
الدارس : ١ / ٢٥٣ ، مخطط المنجد : رقم ٧ .

(٦٤) لم نهتد إلى ترجمته ، ولعل الناسخ صحف في اسمه .

(٦٥) الشرف الأعلى : هو المكان المشرف على المرجة ونهر بردى بدمشق ، وهو الذي فيه اليوم مدرسة جودة الهاشمي ، ويقابله الشرف الأدنى أو القبلي .
إعلام الورى ، لابن طولون : ٢٤ والحاشية رقم ١ فيها للأستاذ دهمان .

(٦٦) انظر الدارس : ١ / ٤٣٨ .

(٦٧) أبو بكر بن أحمد بن سليمان بن داوود ، تقي الدين ، أبو الصدق ، الأذرعي ثم الدمشقي ، الشافعي أقضى القضاة ، مفتي دار العدل ، مدرس ببعض مدارس دمشق : سنة ٧٩٨ هـ - ربيع الأول ٨٥٨ هـ بدمشق . الضوء اللامع : ١١ / ١٩ .

الدين[٦٨] بالرُّبع الثاني له من التدريس المذكور ، وآثرني بتدريس المدرسة المُجاهدِيّة الجوانية ، وبربع تدريس التَّقَوية ، ودَّرس كُلٌّ منا بحضرته . وآثر أخي جمال الدين يوسُف[٦٩] بنظر الأمجدية وتدريسها وبنصف تدريس العَذْراوية . وباشر تدريسَ الشَّاميّة البَرَّانية[٧٠] بعد وفاة قاضي القضاة نجم الدين ابن حِجّي نيابة عن ولده مدة ، وألقى بها دروساً حافلة . وباشر تدريسَ الشامِيَّة الجُوّانية[٧١] نيابة عن المَقَرّ الكَمالي ابن البارِزي[٧٢] ، وتدريس العَزِيزيّة[٧٣] عن المشار إليه ، وتدريس الناصِريّة الجوانية[٧٤] عن المرحوم بهاء الدين بن حِجّي[٧٥] .

---

(٦٨) لم أهتد إلى ترجمته .

(٦٩) لم نجد له ترجمة في وفيات القرن التاسع أو القرن العاشر .

(٧٠) مدرسة للشافعية بدمشق بالعقيبة في محلة العونية أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شاذي المتوفاة سنة ٦١٦ هـ ،
الدارس : ١ / ٢٧٧ ، مخطط المنجد : رقم ٤ ، مخطط دهمان رقم ١٢٠ .

(٧١) مدرسة للشافعية أيضاً بدمشق ، قبلي المارستان النوري ، أنشأتها أيضاً ست الشام .
الدارس : ١ / ٣٠١ ، مخطط المنجد : رقم ٥٤ .

(٧٢) محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد ، كمال الدين ، أبو المعالي ، الحموي ، ثم القاهري ،ثم الدمشقي ، ثم القاهري الشهير بابن البارزي ، الفقيه ، القاضي ، والمدرس ببعض مدارس دمشق : ذو الحجة سنة ٧٩٦ هـ ـ صفر ٨٥٦ هـ ودفن بالقاهرة .
الضوء اللامعْ : ٩ / ٢٣٦ ـ ٢٣٩ .

(٧٣) مدرسة للشافعية بدمشق ، شرقي التربة الصلاحية وغربي التربة الأشرفية وشمالي الفاضلية بالكلاسة لصيق الجامع الأموي . بناها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ وقد درست ولم يبق منها سوى بعض جدرانها وعقد أبوابها .
الدارس : ١ / ٣٨٢ ، ومخطط المنجد : رقم ٣١ .

(٧٤) مدرسة للشافعية بدمشق داخل باب الفراديس شمالي الجامع الأموي والرواحية بشرق وغربي وشمال وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي المتوفى سنة ٦٥٩ هـ . وهي في جادة حمام أسامة اليوم وتحولت إلى دار سكن .
الدارس : ١ / ٤٥٩ ، ومخطط المنجد رقم ١٧ .

(٧٥) محمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد ، بهاء الدين ، أبو البقاء السعدي الحسباني =

وولي قضاء الشافعية وماهو من مُضَافاته كالخطابة ، ونظر البيمارستان النوري(٧٦) ، ومشيخة الخانِقاه السُّمَيْساطِية(٧٧) وغير ذلك مرتين من غير إشعار له بالتولية ، وكان قد صَمَّم أولاً على عدم القبول ، وليت ذلك تمَّ له ، ولكن كان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً ؛ فإنه لم يحصُل له من ذلك طائل ، وركبه الدين بسببه ، وكان مباشرتُه للقضاء في المرتين دونَ السَّنة ، ثم أقبل بعده على ملازمة الإشْغالِ والإفتاء والتدريس ، وصار أكابر الناس بين القضاة والأمراء والتجّار وغيرهم يقصدونه للزيارة وغيرها ، وكان القضاة المخالفون(٧٨) من المذاهب الثَّلاثَةِ إذا أُشكَلَتْ عليهم واقِعَةٌ رجعوا إليه في الحكم إلى مايُفْتي به .

ولزِمَ الكتابةَ ، وكتب الكثير بخطه ، بلغ ماكتبه بخطِّه نحوَ مائةِ مُجَلَّدَة ، منها ماهو نَسْخٌ ، ومنها ـ وهو الأكثر ـ تأليفٌ له . فمن مؤلفاته :

كفايةُ المُحْتاجِ إلى شَرْحِ المنهاج(٧٩) : خمس مُجَلَّدات ضخمة ، وصل فيه إلى أثناء « كتاب الخلع » .

الدمشقي ، الشافعي ، الفقيه ، الصوفي ، مدرس ببعض مدارس دمشق : ربيع الأول سنة ٧٦٣ ـ شوال ٨٠٠ هـ بدمشق . ابن قاضي شهبة : ١ / ٦٨٢ من المطبوع .

(٧٦) مستشفى بدمشق في الشرق الجنوبي من الجامع الأموي ، وهو واحد من البيمارستانات المشهورة في العالم الإسلامي ، بناه نور الدين الشهيد سنة ١١٥٤ للميلاد ، ولايزال إلى اليوم وموضعه في سوق الحريقة بدمشق ، وقد اتخذ منه اليوم متحفاً للطب العربي .

الخطط ، لكرد علي : ٦ / ١٦٢ ، وآثار دمشق التاريخية لسوفاجيه : ٤٩ .

(٧٧) في الأصل : « الشميصاتية » ولعلها على اللفظ الدارج في تلك الأيام ، وموقعها شمال الجامع الأموي بدمشق لصيقة به وقفها أبو القاسم علي بن محمد السلمي الحبشي السميساطي أحد أكابر الرؤساء بدمشق المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

الدارس : ٢ / ١٥١ ، مخطط المنجد : رقم ٤٢ .

(٧٨) في الأصل : « المخالفين » .

(٧٩) أي منهاج الطالبين ، الكشف : ٢ / ١٨٧٣ .

وعليه حواش[٨٠] له اعتراضات على شراح (المنهاج) وعلى (المُهمّات)[٨١] وغيرها ، لو جمعت كانت نحو مجلدين .

ونكت المنهـــاج الكبرى[٨٢] : أكثَر فيهـــا من المَنْقُــولِ والمَبْحُــوثِ والاعتراضات على المتأخرين ، كتب فيها من « بـاب من تلزمـه الزكاة » إلى آخر « كتاب القِراض »

وإقنـاع المُحْتـاج إلى شرح المِنْهـاج[٨٣] : كتب منــه من « كتـاب السَّلَم » إلى أثناء « كتاب العدد » .

ونكت كبرى على التَّنْبِيه[٨٤] : كتب منها من « كتـاب الصيـام » إلى أثناء « كتاب النكاح » في مجلـدة بخطـه وبعض أخرى ، وهي في الغـايـة من التحرير على (التنبيه) ثم أعرض عنها .

وكتب **نكتاً على التَّنْبِيه**[٨٤] : أخصر منها جاءت في مجلدين .

وعليها حـواش[٨٥] اعترض فيهـا على شراح (التَّنْبِيـه) وعلى الشيـخ كال الـدين النشـائي[٨٦] اعتراضـات كثيرة سماهـا : **كافي النبيـــه في نكت التَّنْبِيـه** ، بيض منهـا عـدة نسخ ، وقرئت عليـه في حيـاتـه ، لم يُكْتَب على التَّنْبيه أحسنُ منها في معناها .

---

(٨٠) في الأصل : « حواشي » .

(٨١) هو (المهمات على الروضة) في فروع الفقه الشافعي ، لجلال الدين عبـد الرحيم بن حسن الإسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ .
الكشف : ٢ / ١٩١٥ .

(٨٢) انظر كشف الظنون : ٢ / ١٨٧٣ .

(٨٣) كشف الظنون : ٢ / ١٨٧٣ .

(٨٤) الكشف : ١ / ٤٨١ .

(٨٥) في الأصل : « حواشي » .

(٨٦) كال الدين أحمد بن عمر بن أحمد النشائي القاهري الشافعي المتوفى سنة ٧٥٧ هـ .
الـدرر الكامنـة : ١ / ٢٢٤ ، الكشف : ١ / ٥٧٣ ، وبروكلمـان : ٢ / ١٨٩ ، والـذيـل : ٢ / ٢٧١ .

ولبـاب التهـذيب لخص فيـه (تَهْـذِيب الكمـال)[٨٧] للمـزي ، و (التذهيب)[٨٨] للذهبي ، في أربع مجلدات ، وصل فيه إلى أثناء « باب الهاء » وبقي عليه / مواضع متفرقة . [٤٢أ]

والذيل على تـاريخ ابن كَثِير وغيره[٨٩] : كتب منـه خمسَ مجلـدات ضخمة إلى سنة عشر وثمانمائة ، وكتب كراريس متفرقة من ذلك نحو مجلدة إلى سنة وفاته ، لكن فُقِدَ من ذلك كراريسُ لم نجدها بعد وَفاته . ثم اختصر هذا الذَّيْلَ فكتبَ منه مجلَّدين إلى سنة ثمان وثمانمائة ، وكتب منه كراريس بعد ذلك لو تم كان مجلدة أخرى .

والمنتَقى من تاريخ الإسكندرية المسمى (بكتاب الإعلام فيما جَرَتْ بـه الأحكام من الأمـور المقْضِيّـة في وقْعَـة الإسكَنْـدَرِيّـة) تـأليف محمد بن قاسم بن محمد النُّوَيْري[٩٠] : في مجلدين في نصف البلدي .

والمنتقى من الأنساب لابن السَّمعاني[٩١] : في مجلدة .

والمنتقى من نُخْبَة الدَّهْر في عجَائِبِ البَرِّ والبحر[٩٢] : مجلدة .

---

(٨٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي المزي المتوفى سنة ٧٤٢ ، كشف الظنون : ٢ / ١٥٠٩ .

(٨٨) في الأصل : « التهذيب » تصحيف . مختصر تهذيب الكمال ، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وسماه (تذهيب التهذيب) .

(٨٩) أي الذهبي والبرازلي .

(٩٠) المالكي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ . الكشف : ١ / ٢٨٢ .

(٩١) الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد المروزي الشافعي الحافظ المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . الكشف : ١ / ١٧٩ .

(٩٢) للشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي ، الشهير بشيخ الربوة ، المتوفى سنة ٧٢٧ هـ .
الكشف : ٢ / ١٩٣٦ . والدرر : ٣ / ٤٥٨ .

ومنتَقى من تاريخ دمَشق لابن عَسَاكر[٩٣] : مجلدين .

وطبقات النُّحاة واللُّغويين[٩٤] : في مصنفين ، أحدهما : على السنين والآخر : على الحروف سماه : **التبيين في طبقات النُّحاة واللُّغويين**[٩٥] ، كل واحد في مجلد .

ومناقب الشافعي وطبقات أصحابه[٩٦] : إلى آخر سنة أربعين وثمانمائة في مجلدة .

والإعْلام بتاريخ الإسْلام[٩٧] : بدأ فيه من أوّلِ المائة الثالثة ، ووصل إلى آخر المائة الثامنة .

وطَبَقات الفُقَهاء الشافعية[٩٨] : جمعها من (تاريخ الإسلام)[٩٩] للذهبي ثم ذيل عليها في ثلاث مجلدات .

إلى غير ذلك من المؤلفات والمجاميع التي لم تكْمَل . .

توفي رحمه الله في يوم الخميس بعد العَصْر حادي عَشَر ذي القَعْدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة فُجاءَة ، فإنه ـ رحمه الله تعالى ـ حضر الدروس يوم الأربعاء قبل وفاته بيوم ، وألقى الدُّروس ، واستطْرَد في دَرْس التَّقوِيَّة إلى فَضْل الموت في ليلة الجمعة ويوم الجمعة وذِكْر مافيه ؛ فلما أن حضر في المدرسة الناصِريّة وفرغ من الدَّرْس ذكر بعضُ الطَّلبةِ وقوعَ

(٩٣) للحافظ أبي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ هـ . الكشف : ١ / ٢٩٤ .

(٩٤) كشف الظنون : ٢ / ١١٠٧ .

(٩٥) لم يذكره صاحب الكشف .

(٩٦) كشف الظنون : ٢ / ١٨٤٠ .

(٩٧) كشف الظنون : ١ / ١٢٧ .

(٩٨) كشف الظنون : ٢ / ١١٠١ .

(٩٩) والمسمى أيضاً بـ (تاريخ الذهبي) . الكشف : ١ / ٢٩٤ .

الموتِ فجاءَةً في الناس فقال : « موتَ الفُجاءة وإن كان أخذه أسف فهو في حق الغافل والمذنب ، وأما في حق المتَيَقّظ[١٠٠] فلا بأس به ، وأنا أختاره للراحة من الآلام والأمن من الافتتان »

ثم إنه لما أن أراد الركوبَ على البَغْلة قال : « تأخروا أنتم كلُّكم حتى أروحَ أنا وأخَلّيكم » ثم قال : « مابقي فينا شَيْء » . ثم توجه إلى البيت فتغدّى وجلسَ للكتابَة على عادتِهِ . ثم في عَشَيَّةِ ذلك اليومِ تَعَشَّى وتَسَحَّر لصومِ يومِ الخميس على عادَتِه ونامَ . فلما أن كان في آخرِ الليل شَكا من ضَرَبانٍ في كَتِفَيه ومابينهما ، وتألَّم لذلك تألُّما شديدا ، فلما أن طلع الفجرُ توجَّه إلى الحَمَّام فحصل له به راحةٌ ، ثم خَرَج وتوجَّهَ إلى البيت وصَلَّى الصبح ، فعاد عليه الوجع ، فعاد إلى الحَمَّام ثانيا ؛ ثم خرج وتَغَطى[١٠١] فسكن عنه الوجَعُ والألم ونام . فلما أن كان قُبَيْلَ العَصْرِ خرج وتوضَّأ ودخل إلى قاعتِه التي يجلسُ بها ، فصلى الظُّهْرَ ثم جلس للكتابةِ في (نكَتِه على التَّنْبيه) في تحرير بعض دُروسِ الطَّلَبَة فيها ؛ فدَخَلْتُ عليه فوجدته يكتب ، فسألته عن حاله ، فذكر لي أنه طَيّب / وأنَّ ذلك الألَم قد [٤ ب] زال . ثمَّ تركَ الكتابة ، وأخذَ يحادثني وقال : « غلب النوم علي حتى إني لم أُصَلِّ الظُّهرَ إلا قَبْلَ أن تحضر بيسير ، وكان مافاتني البارِحَةَ من النوم استَوْفَيْتُه اليوم » فقلت له : حصل به خير . فقال : « ظهر لي أنَّ شيء[١٠٢] ينزل مِنْ دماغِي ، وهو ينْتَقِل منْ عُضْوٍ إلى عضو » فقلت له : فهل بقي من ذلك الوجع شيء ؟ قال : « لا ، ولكن أرى على مَعِدَتي شيئاً كالحجر » ثم إنه أخذ يحدثني . ثم التفت إلى جهَةِ يَسَارِه وتأخَّر إلى

---

(١٠٠) في الأصل : « المتيقض » .

(١٠١) في الأصل : « وتغطا » .

(١٠٢) كذا الأصل ، ولعله ساق الحوار على العامية .

ورائـه بحركـة قويـة واتكأ[١٠٣] على المِخَـدَّةِ التي وراءه ؛ فـوثبتُ ومَسَكْتُ برأسه ، ففتح فاه وغَمَّضَ عَيْنَيْه من غير أن يحصل له لفقة[١٠٤] ولاغيرها ؛ فأخذتُ أحْضُنُه وأحوطه ولا أقدرُ أن أستغيثَ بأحَدٍ خَوفـاً أن يكونَ قـد حصَلَ له إغمـاءٌ فينزعج ؛ ثم نـاديتُ بعضَ الخـدم ، فلمـا أن حضر النسـاءُ استَغَثْنَ من حُزْنِهنّ . ثم استمر جالسا مُسْنِـداً ظهره [إلى[١٠٥]] المخـدة من غير حَرَكة . ثم بعد ذلـك حضر الأطبـاء والنـاس فـأخبروا بمفـارقَتِـه بعـد امْتِحـانِـه بمرآةٍ[١٠٦] وغيرهـا . فلا حول ولاقوة إلا بـالله .ثم جُهِّـزَ في اليَـوْم الثاني وهو صَبِيحَةُ يوم الجمعة .

حَضَر جنـازَتَـه غـالبُ أهـل البلـد والخـواصُّ والعـوامُّ ، وحملـوه على الأعنـاقِ ثم على الرُّؤوس ، ثم رُفِعَ النعشُ بـالأيـدي والأصـابـع ، وارتَفَـعَ النعشُ حتى أخْبر غيرُ واحـدٍ أنـه كان يـدخُلُ الرَّجلُ الطويل من النـاسِ ويُمدُّ يدَهُ فلا يصلُ إلى النَّعش .

وكان له جنازةٌ لم يُرَ مثلُها في زماننـا ، ودُفِن بمقبرة بـاب الصغير[١٠٧]

---

(١٠٣) الأصل : « اتكى » .

(١٠٤) كذا الأصل . ولعله يريد : « الفواق » وهو ترديد الشهقـة ، ومـا يـأخـذ الإنسـان عنـد النزع ، وجاء على العامية الدارجة في عصره .

(١٠٥) ليست في الأصل .

(١٠٦) يريد بوضع مرآة أمام أنفه وفمه لاختبار تردد النفس بما يترك ذلك من أثر على المرآة .

(١٠٧) مقبرة في جنوب دمشق ، سميت بذلك لقربها من الباب الصغير وهو البـاب الجنوبي من أبواب دمشق ، وسمي بذلك لصغره ، وهو روماني رممه الأتـابـك نور الـدين في النصف الثـاني من القرن الثاني عشر للميلاد .

دمشق القديمـة للمنجـد : ٤٩ ، إعلام الورى لـدهمـان : ٣٨ ح . وصف دمشق لإيليسيف : ٣١٠ وخريطته : هـ / ٧ و ٨ .

بين جَدِّه الشيخ شمس الدين[١٠٨] وبين عَمٍّ والده الشيخ كمال الدين[١٠٩] ابن قاضي شهبة ، رحمهم الله تعالى . وحضر في صُبْحَتـه[١١٠] في الأيـام الثلاثـة خلق لايحصي[١١١] عدَّتَهُم إلا الذي خَلَقهم ، وقرئ في كل يوْم عـدَّةُ خَتْمات وأهديتْ في صحائفه .

ورأى[١١٢] النـاس لـه منـامـات حَسَنـة كثيرة حتى يتـوارد الـواحـدُ والاثنان والثلاثة على رؤية[١١٣] منامٍ في ليلة واحدةٍ بمعنى واحـد ، وتكرَّرَ ذلك من الرّائين الثقات ، ولقد عبَّر على مناماتٍ حَسَنـة رؤيتْ لـه تـدلُّ لـه على عُلُوِّ مقـامـه في الـدّار الآخرة مـالم تحصَ كثرةً حتى إني كنتُ قـد كتبتُ بعضَهـا فجـاءَتْ في أوراقٍ كَثيرة ،وأردْتُ أن أذكرَ شيئـاً منهـا ثم رأيت الإعراضَ عن ذلك أوْلى .

ورُثي بقصـائـد كثيرةٍ أردتُ أن أذكر منهـا شيئـاً هنـا ، ثم تـذكَّرْتُ كراهيته لذلك في حال حياته ، فـإنـه ـ رحمـه الله تعـالى ـ كان إذا مُـدِحَ بشيء من القَصـائِـدِ لايُعْجبـه ذلـك ، فيجيزُ المـادحَ بشَيء ثم يَغسِلُ تلـك القصيدةَ من غير يقف عليه[١١٤] أحد .

ولم يكنْ بيَده عندَ وفاته وظيفةُ قراءَةٍ ولا إمامَـةِ مَسْجـد ولا عمـالـة

(١٠٨) محمد بن قاضي شهبة ، انظره في تراجم رجال الرواية .

(١٠٩) عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدي ، ابن قاضي شهبة ؛ سنـة ٦٥٣ هـ ـ ذي الحجـة سنة ٧٢٦ هـ .

الدرر الكامنة : ٢ / ٤٣١ .

(١١٠) انظر تعليقنا السابق على كلمة « صبح » .

(١١١) الأصل : « لاتحصى » .

(١١٢) الأصل : « ورأ » .

(١١٣) الأصل : « رؤيت » .

(١١٤) كذا الأصل ، ولعله يريد : أن يقف على مدحه .

على وَقف . وكان فيـه خِصـالٌ كثيرةٌ من خِصـالِ الصـالحين وسيرةِ السَّلَفِ ما يكثُرُ تعـدادهـا ، ولـولا علمي بكراهيتـه للمـدْح والثّنـاءِ لأطْنَبْتُ في ذلك ، فعلِمَ اللهُ أنه كان / فوق ماقيلَ وما يقالُ فيه . [٥ أ]

فرحِمَه اللهُ تَعالَى وبَلَّ ثراه بوابلِ سحائبِ رحْمتـه لقـد آنَسَ الوادي وأوْحَشَ النَّادي ، فواللهِ لم نُصَبْ في زَمانِنا بمِثْلِه ، ولكنّه قد وَرَد عن سيِّد البَشر ﷺ : « مَنْ عَظُمَتْ مُصيبتُه ـ أو مُصابُه ـ فلْيَسلِّ مُصـابَـهُ بي ـ أو فَلْيذكُر مُصا [به] بي[١١٥] » فَنَقُولُ[١١٦] كما قال بعضهُم :

يـــارَسُـولَ اللهِ يـــاخَيْرَ الــوَرَى   مَنْ بِـهِ هَـانتْ رَزَايـا الكِرامِ[١١٧]

فهو الذي قيلَ فيه :

ومَـوْتُ العَـــــالِمِ النِّحرير شَيْنٌ   وقَـدْ ثُلِمَتْ من الإسْـلامِ ثُلْمَـه

والله لقد أوحَشْتَ الأحبابَ والأترابَ :

- - - - - - - - - - -   يـــابَحْرَ علمٍ تَحْتَ كَـــوْمِ تُرابِ

فرحِمَه الله تعالى رَحْمةً واسعةً ، وأناله الجنَّةَ بمَنّه وكرمه .

وهذا ماتَيَسَّرَ من تَرْجَمَةِ شيخِ الإسلامِ الشيخِ تقيّ الـدين ابن قـاضي شُهْبَةَ رضوانُ الله عليه .

---

(١١٥) كذا الأصل . والذي في سنن الدارمي : المقدمة : ١٤ :

« إذا أصـاب أحـدكم مصيبـة فليـذكر مصيبتـه ـ أو مصـابـه ـ بي فـإنهـا من أعظم المصائب » .

(١١٦) في الأصل : « فيقول » وليس بذلك الوجه .

(١١٧) الشطر الثاني في الأصل :

- - - - - - - - - - -   يـــامن بـــه هـــانت رزايـــا الكرام

ولايقوم بذلك الوزن .

- ١ -

الإمام الشافعي

صاحب المذهب

أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، القرشي المطلبي .

ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين ، وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ ، وتوفي فيها سنة ٢٠٤ للهجرة .

والإمام رحمه الله كثير المناقب ، جم المفاخر ، منقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله ، وسنة الرسول ﷺ ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم ، واختلاف أنظار العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب وأدبهم ولغتهم ونحوهم وشعرهم مالم يجتمع لغيره .

وفيات الأعيان : ٤ / ١٦٣

☆ ☆ ☆

رجال الرواية

- ٢ -

المزني

إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق ، أبو إبراهيم ، المزني .

صاحب الشافعي ، من أهل مصر ، ولد سنة ١٧٥ للهجرة ، وتوفي سنة ٢٦٤ هـ . وكان زاهداً عالماً مجتهداً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة ، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاواه وما ينقله عنه ، صنف كتباً

كثيرة في المذهب .

وفيات الأعيان : ١ / ٢١٧ ، طبقات الشافعية للسبكي : ١ / ٢٣٨ .

☆ ☆ ☆

ـ ٣ ـ

الأنماطي

أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأحول الأنماطي ، الشافعي ، الفقيه .

كان من كبار فقهاء الشافعية ، أخذ الفقه عن المزني والربيع بن سليمان المرادي ، وأخذ عنه أبو العباس بن سريج وآخرون ، وكان هو السبب في نشاط الناس ببغداد وميلهم إلى كتب الشافعي وحفظها ، توفي سنة ٢٨٨ هـ .

وفيات الأعيان : ٣ / ٣٤١ ، وتاريخ بغداد : ١١ / ٢٩٢ ، والعبر : ٢ / ٨١ للذهبي .

☆ ☆ ☆

ـ ٤ ـ

ابن سُرَيج البغدادي

أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، الشافعي .

فقيه الشافعية في عصره ، ولد سنة ٢٤٩ هـ ، وولي القضاء بشيراز ، وقام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في الآفاق . أخذ الفقه عن أبي القاسم الأنماطي ، وعنه أخذ كثير من فقهاء الإسلام وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني ، له نحو أربعمائة مصنف ، توفي سنة ٣٠٦ للهجرة .

وفيات الأعيان : ١ / ٦٦ ، تاريخ بغداد : ٤ / ٢٨٧ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢ / ١٥١ ، تذكرة الحفاظ : ٨١١ ، والعبر : ٢ / ١٣٢ .

- ٥ -

أبو إسحاق المروزي

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي ، الشافعي .
إمام عصره في الفتوى والتدريس ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج وبرع فيه ، وانتهت إليه الرياسة في المذهب في العراق بعد ابن سريج ، وصنف كتباً كثيرة وشرح (مختصر المزني) وأقام ببغداد دهراً طويلاً يدرّس ويفتي ، وأنجب من أصحابه خلقاً كثيراً ، ثم ارتحل إلى مصر في أواخر عمره ، فأدركه أجله بها فتوفي سنة ٣٤٠ للهجرة .
تاريخ بغداد : ٦ / ١١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٢٦ ، تهذيب الأسماء واللغات : ١٧٥ .

☆ ☆ ☆

العراقيون

- ٦ -

الماسَرْجسي

أبو الحسن محمد بن علي بن سهل بن مصلح الماسَرْجِسي ، الشافعي.
أحد أئمة الشافعيين بخراسان وأعرفهم بالمذهب وترتيبه وفروع مسائله ، صحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وخرج معه إلى مصر ولزمه إلى أن مات ، ثم رجع إلى بغداد ، وكان يخلف علي بن أبي هريرة في مجالسه بعد قيامه عنها ، ثم انصرف إلى خراسان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، ودرس

بنيسابور ، وعنه أخذ فقهاؤها وعليه تفقه القاضي أبو الطيب الطبري ، وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .

وفيات الأعيان : ٤ / ٢٠٢ . والعبر : ٣ / ٢٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات : ٢ / ٢١٢ .

☆ ☆ ☆

- ٧ -

أبو الطيب الطبري

أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري ، القاضي ، الفقيه ، الشافعي .

ولد سنة ٣٤٨ هـ ، كان ثقة صادقاً ديناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه ، محققا في علمه سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب ، قال الشيخ أبو إسحاق : لازمت مجلسه بضع عشرة سنة ودرست أصحابه في مسجده سنين بإذنه ، ورتبني في حلقته ، توفي سنة ٤٥٠ هـ .

وفيات الأعيان : ٢ / ٥١٢ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢ / ٢٤٧ وطبقات السبكي : ٣ / ١٧٦ .

☆ ☆ ☆

- ٨ -

أبو إسحاق الشيرازي

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي ، الشافعي .

ولد سنة ٣٩٢ هـ وسكن بغداد وتفقه على جماعة من الأعيان ، وصحب

القاضي أبا الطيب الطبري كثيراً وانتفع به ، وناب عنه في مجلسه ، ورتبه معيداً في حلقته ، وصار إمام وقته ببغداد ، وولي مدرسة نظام الملك إلى أن توفي سنة ٤٧٦ هـ . وله تصانيف كثيرة .

وفيات الأعيان : ١ / ٢٩ ، تهذيب الأسماء : ٢ / ١٧٢ ، طبقات السبكي : ٣ / ٨٩ .

☆ ☆ ☆

- ٩ -

أبو علي الفارقي

أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي ، الفقيه الشافعي .

ولد سنة ٤٣٣ هـ ، وكان مبدأ اشتغاله بميا فارقين على أبي عبد الله محمد الكازروني فلما توفي انتقل إلى بغداد واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب المذهب وعلى أبي نصر بن الصباغ صاحب الشامل ، وتولى القضاء بواسط . توفي سنة ٥٢٨ هـ .

وفيات الأعيان : ٢ / ٧٧ ، طبقات السبكي : ٤ / ٢٠٩ .



- ١٠ -

ابن أبي عصرون

أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي ابن أبي عصرون الموصلي ، الفقيه الشافعي .

ولد سنة ٤٩٢ هـ ، وكان من أعيان عصره وفضلاء زمنه ، وممن سار ذكره وانتشر أمره ، تفقه على غير واحد من الأئمة في بغداد ، ثم توجه إلى

مدينة واسط ، وقرأ على قاضيها الشيخ أبي علي الفارقي وأخذ عنه فوائد المذهب ، ودرس بالموصل في سنة ٥٢٣ هـ وأقام بسنجار مدة ، ثم انتقل إلى حلب في سنة خمس وأربعين ، ثم قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في صفر سنة ٥٤٩ هـ ، ودرّس بالزاوية الغربية من جامع دمشق ، وإليه تنسب المدرسة العصرونية في دمشق ، وله تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٥٨٥ هـ ودفن في مدرسته التي أنشأها .

وفيات الأعيان : ٣ / ٥٣ ، العبر : ٤ / ٢٥٦ ، طبقات السبكي : ٤ / ٢٣٧ .



ـ المراوزة ـ

ـ ١١ ـ

أبو زيد المروزي

أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي الفاشاني ، الفقيه ، الشافعي .

كان من الأئمة الأجلاء ، حسن النظر ، مشهوراً بالزهد حافظاً للمذهب ، وله فيه وجوه غريبة ، أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي ، وأخذ عنه أبو بكر القفال المروزي ، ودخل بغداد وحدث بها وسمع منه الدارقطني والمحاملي ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها سبع سنين وحدَّث هناك بصحيح البخاري عن الغربري ، قال الخطيب البغدادي : « وأبو زيد أجل من روى هذا الكتاب » توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة للهجرة بمرو .

تاريخ بغداد : ١ / ٣١٤ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٢٠٨ ، طبقات

الشيرازي : ١١٥ ، طبقات السبكي : ٢ / ١٠٨ ، تهذيب الأسماء واللغات : ٢ / ٢٣٤ .

☆ ☆ ☆

- ١٢ -

أبو بكر القفال الصغير

أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله ، المعروف بالقفال ، المروزي ، الفقيه الشافعي .

ولد سنة ٣٢٧ هـ ، وكان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وورعاً وزهداً ، وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره ، وتخاريجه كلها جيدة ، وإلزاماته لازمه ، اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به . توفي سنة ٤١٧ للهجرة .

وفيات الأعيان : ٣ /٤٦ ، العبر : ٣ / ١٢٤ ، طبقات السبكي : ٣ / ١٩٨ .



- ١٣ -

عبد الله الجويني

أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الفقيه الشافعي ، والد إمام الحرمين .

كان إماماً في التفسير والفقه والأصول والعربية والأدب . اشتغل على أبي بكر القفال المروزي بمرو ولازمه واستفاد منه وانتفع به وأتقن عليه المذهب والخلاف وقرأ عليه طريقته وأحكمها ، فلما تخرج عليه عاد إلى

نيسابور سنة سبع وأربعمائة وتصدر للتدريس والفتوى ، وتخرج عليه خلق كثير ، منهم ولده إمام الحرمين ، توفي سنة ٤٣٨ هـ .
وفيات الأعيان : ٣ / ٤٧ ، العبر : ٣ / ١٨٨ ، طبقات السبكي : ٣ / ٢٠٨ .

☆ ☆ ☆

- ١٤ -

إمام الحرمين

أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، المعروف بإمام الحرمين .
أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك ، ولد سنة ٤١٩ للهجرة وتفقه في صباه على والده أبي محمد ، ولما توفي والده قعد مكانه للتدريس ، وإذا فرغ منه مضى إلى الأستاذ أبي القاسم الإسكافي بمدرسة البيهقي حتى حصّل عليه علم الأصول ثم رحل إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء ، ثم خرج إلى الحجاز وجاور بمكة مدة أربع سنين وبالمدينة يفتي ويدرس ويجمع طرق المذهب ، ولهذا قيل له : « إمام الحرمين ثم عاد إلى نيسابور في أوائل ولاية السلطان ألب أرسلان السلجوقي والوزير يومئذ نظام الملك فبنى له المدرسة النظامية بمدينة نيسابور وتولى الخطابة بها ، وكان يجلس للوعظ والمناظرة وظهرت تصانيفه وحضر دروسه الأكابر من الأئمة ، وانتهت إليه رياسة الأصحاب ، وفوض إليه أمور الأوقاف ، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، مسلماً له المحراب والمنبر والخطابة

والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وله مصنفات في كل فن ، توفي سنة ٤٧٨ هـ .

وفيات الأعيان : ٣ / ١٦٧ ، المنتظم : ٩ / ١٨ ، طبقات السبكي : ٣ / ٢٤٩ ، العبر : ٣ / ٢٩١ .

☆ ☆ ☆

- ١٥ -

أبو حامد الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي ، الفقيه الشافعي . حجة الإسلام . ولد سنة ٤٥٠ هـ ، لم يكن للشافعية في آخر عصره مثله ، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين ، وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه وصنف في ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبجح به ، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي ، وفوض إليه تدريس المدرسة النظامية بمدينة بغداد فألقى الدروس بها ، فأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ، ثم ترك جميع ماكان عليه سنة ٤٨٨ هـ وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وله تآليف في عدة فنون ، وتوفي سنة ٥٠٥ للهجرة .

وفيات الأعيان : ٤ / ٢١٦ ، طبقات السبكي : ٤ / ١٠١ ، تبيين كذب المفتري : ٢٩١ ، ٣٠٦ .

☆ ☆ ☆

- ١٦ -

الكَيّا الهرّاسي

أبـو الحسن علي بن محمـد بن علي الطبري المعروف بـالكيـا الهراسي ، الفقيه الشافعي .

ولد سنـة ٤٥٠ هـ ، كان من أهل طبرستـان ، وخرج إلى نيسـابور وتفقـه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني مدة إلى أن برع ، وكان حسن الوجه جهوري الصوت فصيح العبـارة حلو الكـلام ، ثم خرج من نيسـابـور إلى بيهـق ودرس بها مـدة ، ثم خرج إلى العراق وتـولى تـدريس المـدرسـة النظامية ببغداد إلى أن توفي سنة ٥٠٤ هـ .

وفيـات الأعيـان : ٣ / ٢٨٦ ، تبيين كـذب المفتري : ٢٨٨ ، العبر : ٤ / ٨ .

☆ ☆ ☆

- ١٧ -

ابن البَزَري

أبو القـاسم عمر بن محمـد بن أحمـد بن عكرمـة المعروف بـابن البَزَري الجزري ، الفقيه الشافعي ، إمام جزيرة ابن عمر وفقيهها ومفتيها .

ولـد سنـة ٤٧١ هـ وتفقـه أولاً بـالجـزيرة على الشيـخ أبي الغنـائم محمـد بن الفرج بن منصـور بن إبراهيم بن الحسن السلمي الفـارقي نـزيـل جزيرة ابن عمر ، ثم رحل إلى بغـداد واشتغـل على الكيـا الهراسي وحجـة الإسلام أبي حامد الغزالي وسمع عليه وعلى أخيه أحمـد وأدرك جمـاعـة من العلمـاء واستفـاد منهم ، ورجـع إلى الجـزيرة ودرّس بهـا ، وكان من العلم والدين في محل رفيع ، وكان من أحفظ من بقي في الـدنيـا على مـايقـال

لمذهب الإمام الشافعي ، وانتفع به خلق كثير . توفي سنة ستين وخمسمائة للهجرة .

وفيات الأعيان : ٣ /٤٤٤ ، طبقات السبكي : ٤ / ٢٨٨ ، العبر : ٤ / ١٧١ .

☆ ☆ ☆

- ١٨ -

صلاح الدين والد ابن الصلاح

عبد الرحمن بن عثمان بن موسى ، صلاح الدين .

لم نظفر له بترجمة مفردة ،لكنه ذكر في ترجمة ولده التقي ابن الصلاح ، فقد جاء في الوفيات عن التقي ابنه :

« قرأ الفقه أولاً على والده الصلاح وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم » .

وفي الترجمة ذاتها يقول ابن خلكان عن التقي :

« وتوفي والده الصلاح ليلة الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثماني عشرة وستمائة بحلب ودفن خارج باب الأربعين في الموضع المعروف بالجبل بتربة الشيخ علي بن محمد الفارسي ، وكان مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة تقديراً لأنه كان لايتحققه ، وتولى بحلب تدريس المدرسة الأسدية المنسوبة إلى أسد الدين شيركوه بن شاذي ، وكان قد دخل بغداد واشتغل بها ، واشتغل أيضاً على شرف الدين بن أبي عصرون » .

وفيات الأعيان : ٣ / ٢٤٣ .

☆ ☆ ☆

- ١٩ -

التقي ابن الصلاح

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى .
تقي الدين ، أبو عمرو ، الكردي الشهرزوري الموصلي ، المعرف بابن الصلاح الشافعي ، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وقرأ الفقه والنحو ، وحدث وأفتى وصنف في التفسير والحديث ، وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة .
وفيات الأعيان : ٣/ ٢٤٣ .

☆ ☆ ☆

- ٢٠ -

محيي الدين النواوي

يحي بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين الحزامي الحوراني ، محيي الدين ، أبو زكرياء ، النواوي الدمشقي ،
الحافظ المحدث ، شيخ الإسلام ، ولد في نوى من قرى حوران بسورية سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وتوفي فيها سنة ست وسبعين وستمائة .
الطبقات للسبكي : ٥ / ١٦٥ ، والشذرات لابن العماد : ٥ / ٣٥٤ .

☆ ☆ ☆

- ٢١ -

ابن النقيب

محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد ،شمس الدين ، أبو عبد الله ، الدمشقي المعروف بابن النقيب ، الشافعي .

شيخ الشافعية ، قاضي القضاة ، ولد سنة اثنتين وستين وستمائة وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة بدمشق .

الدرر الكامنة : ٣ / ٣٩٨ ، وطبقات السبكي : ٦ / ٤٤ .

☆ ☆ ☆

- ٢٢ -

علاء الدين حجي

حجي بن موسى بن أحمد بن سعد ، علاء الدين ، أبو محمد الحسباني السعدي الشافعي .

الإمام الفقيه محدث الشام ، ولد سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، وتوفي بدمشق في صفر سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة للهجرة .

تاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / ٤٣ من المطبوع ، والدرر : ٢ / ٦ .

☆ ☆ ☆

- ٢٣ -

أحمد بن حجي

أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد ، شهاب الدين ، أبو العباس ، السعدي الحسباني الدمشقي ، الشافعي .

فقيه دمشق ومحدثها ، مقرئ ، مؤرخ ، له تصانيف ، ولد في المحرم سنة ٧٥١ هـ ، وتوفي بدمشق سنة ست عشرة وثمانمائة للهجرة .

الضوء اللامع : ١ / ٢٦٩

☆ ☆ ☆

- ٢٤ -

التاج الفزاري

عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع ، تاج الدين ، أبو محمد ، الفزاري البدري ، المصري الأصل الدمشقي . الشهير بالفركاح ، الشافعي .
من علماء الشافعية بدمشق ، ولد في ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة وتوفي في جمادى الأولى سنة تسعين وستمائة بدمشق .
طبقات السبكي : ٥ / ٦٠ .

☆ ☆ ☆

- ٢٥ -

البرهان الفزاري

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع ، برهان الدين الفزاري ، الشافعي الدمشقي .
أصله من صعيد مصر ، نشأ بدمشق وبها تعلم ودرس وحدث ، ولد سنة ستين وستمائة ، وتوفي بدمشق في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة للهجرة .
الدرر الكامنة : ١ / ٣٤ ، وطبقات السبكي : ٦ / ٤٥ .

☆ ☆ ☆

- ٢٦ -

الشمس محمد بن قاضي شهبة

محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، الأسدي ، المعروف بابن قاضي شهبة الشافعي .

جد التقي أبي بكر بن قاضي شهبة لأبيه ، شيخ الشافعية بدمشق في زمنه ، ومدرس في بعض مدارس دمشق ، ولد في ربيع الأول سنة أربع وتسعين وستمائة ، وتوفي بدمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة للهجرة .

انظر ترجمته مبسوطة في تاريخ حفيده ابن قاضي شهبة : ١ / ٥٠ ـ ٥٢ من المطبوع .

والدرر : ٤ / ١١٠ .



ـ ٢٧ ـ

ابن خطيب يبرود

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، الشافعي الشهير بابن خطيب يبرود .

محدث دمشق وفقيهها والقاضي بها ومدرس ببعض مدارسها ، ولد سنة إحدى وسبعمائة ، وتوفي بدمشق في شوال سنة سبع وسبعين وسبعمائة للهجرة .

ترجم له ابن قاضي شهبة ترجمة مبسوطة في تاريخه (الورقة ١٧٢ب ـ ١٧٣ أ) .

وانظر الدرر : ٣ / ٣٢٢ .

☆ ☆ ☆

ـ ٢٨ ـ

ابن قاضي الزبداني

محمد بن الحسن بن محمد بن عمار ، جمال الدين ، أبو عبد الله ، الحراني ، المعروف بابن قاضي الزبداني ، الشافعي .

مفتي دمشق والقاضي بها ومحدثها وفقيهها ومدرس ببعض مدارسها ، ولد في جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وتوفي بدمشق في المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة للهجرة .

بسط ابن قاضي شهبة ترجمته في تاريخه (الورقة ١٦٥ أ ـ ١٦٥ ب) .

وانظر الدرر : ٣ / ٤٢٣ .

☆ ☆ ☆

ـ ٢٩ ـ

الشرف ابن الشريشي

محمود بن محمد بن أحمد بن محمد ، شرف الدين أبو الثناء ، البكري الوائلي ، المعروف بابن الشريشي ، الشافعي .

شيخ دمشق ومحدثها ، ومفتيها والقاضي بها ومدرس ببعض مدارسها ، ولد في حمص سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وتوفي بدمشق في صفر سنة خمس وتسعين وسبعمائة للهجرة .

انظر ترجمته مبسوطة في تاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / ٤٩٦ ـ ٤٩٨ من المطبوع .

والدرر : ٤ / ٣٣٤ .

☆ ☆ ☆

ـ ٣٠ ـ

الشهاب الزهري

أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب بن ترجم ، شهاب الدين ، أبو العباس ، الزهري ، البقاعي الدمشقي الشافعي .

أحد علماء دمشق في عصره ومفتيها والقاضي بها والمدرس ببعض مدارسها ، ولد سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، وتوفي بدمشق في المحرم سنة خمس وتسعين وسبعمائة للهجرة .

انظر ترجمته مبسوطة في تاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / ٤٨١ ـ ٤٨٢ من المطبوع .

والدرر : ١ / ١٤٠ .

☆ ☆ ☆

- ٣١ -

الشرف الغزي

عيسى بن عثمان بن عيسى ، شرف الدين ، أبو الروح ، الغزي الدمشقي الشافعي .

أقضى القضاة ، الإمام ، فقيه دمشق والقاضي بها والمدرس ببعض مدارسها ، لم يذكر تلميذه ابن قاضي شهبة تاريخ مولده ، بل ذكر وفاته في رمضان سنة تسع وتسعين وسبعمائة بدمشق وتوسع في ترجمته .

تاريخ ابن قاضي شهبة : ١ / ٦٣٦ ـ ٦٣٨ من المطبوع ، والدرر : ٣ / ٢٠٥ .

☆ ☆ ☆

تحقيق لفظ تُبَّت

الأستاذ صبحي البصّام

١ ـ شاع في العصر الحديث في لفظ « تُبَّت » ـ وهي الهضبة الواقعة بين الصين وكشمير من الهند ـ كسر أولها وإسكان ثانيها أو كسره ، فيقال « تِبْت » أو « تِبِت » . هكذا سمعناها من معلّمينا ونحن تلاميذ صغار ، وهكذا جعل يلفظَها مذيعو الأخبار في الأقطار العربية وغيرها ، بل هكذا طفق يلفظها جل أهل الأدب . وإنما جاءنا ذلك من لغات الأعاجم . ويلفظها الأنكليز « تِيْبَيْت ـ TIBET » ؛ وكأننا أخذناها عنهم بعد أن صيّرنا الياء الأولى كسرة والياء الآخرة كسرة أو سكوناً .

٢ ـ والصوابُ « تُبَّت » بضم الأول وتثقيل الثاني وفتحه . وأول من ضبطها صاحب اللسان [باب : تبع] بنقله قول الزجّاج : « ويقال إنّ تُبّت اشتق لهم هذا الاسم من آسم تُبّع ، ولكن فيه عجمة ». ثم أقرّ صاحب القاموس هذا الضبط بقوله بأنها كسُكّر . على أن الزبيدي أفاد في التاج [باب : تبّت] أنّ الزمخشري ضبطها بكسر الأول وفتح الثاني وتثقيله . وأهملت تُبّت في الجمهرة والتهذيب والصحاح والمحكم مع ورودها في كتب الأدب والتأريخ . ثم إنّ ذكرها في اللسان انما جاء اتفاقاً في تفسير تُبّع .

أ ـ وفي مصداق تثقيل الباء من « تُبَّت » قول ظهير الدين البارزي (الفوات ٦ / ٥٨) :

يـــــالحيـــــة الحِبّ التي زال بهـــــــا تثبّتي

هــل أنت فــوق خـــدّه الـ وردي مســـــك تُبَّتِ ؟

ب ـ وقول أبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (اليتيمة ٤ / ٢٨٧) :

شكرتـك طـول الـدهر غير مقـابـل

نـدى لـك بل جريـاً على طول منّتي

ومن لـــك بـــالطر الجـواد بمسكـــه

بـلا سنبـل يرعـاه في أرض تُبَّتِ ؟

هكذا وجدت صدر البيت في اليتيمة ، وطبعتها قديمة يعوزها مزيد عناية في التحقيق ، وإنما أُريـد بـ « الطر » الطرف بـدلالـة « الجواد » بعـده ، وكلا اللفظين محرّف ، بل أجـد أكثر صـدر البيت محرّفاً ، والصواب فيـه « ومن لك بالظبي المراد لمسكه » ، وبلاد تبّت معروفة بالظباء التي يتخذ منها المسك.جاء في التاج : « وفيها ظباء المسـك التي لا يشبهها شيء » . وإن جُعل المسك التبّتي متخذاً من الخيل في اليتيمة فقد جُعل متخـذاً من الكلاب في تـأريخ الطبري[1] (٨ / ٣٤٩) وذلـك في قول بعضهم لهـارون الرشيد : « قد جئتك بغـاليـة ليس لأحـد مثلهـا ، أمـا مسكهـا فمن سُرَر الكلاب التبّتيّة العتيقـة ، وأمـا عنبرهـا فمن عنبر بحر عـدن » ، والصواب « الظبـاء » لا « الكلاب » . ومنـه قول المتنبي : « فـإنّ المسـك بعض دم الغزال » .

ج ـ وأيضاً في مصـداق تثقيل البـاء من « تُبَّت » قول دعبل الخزاعي وهو يفخر بقومه من اليمن (الإكليل ٨ / ٢٠٩) :

---

١ ـ بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم .

وهم كتبـوا الكتـاب ببـاب مرو

وهم غرسـوا هنـاك التُبَّتينـا

وقوله : التُبَّتين ، بحذف الياء ، كقوله تعالى : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين ﴾ [سورة الشعراء ، آية : ١٩٨] . وقوله : غرسوا التبّتين ، إشارة الى إسكان بعض التبابعة قوماً من اليمن بتبّت قبل زمن الاسكندر المقدوني . وذلك معروف في كتب التأريخ . ذكر أبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال (ص ٢٨) أن تبّع الأقران لما توجه لغزو الصين اجتاب المفازة حتى بلغ التبّت ، فرآها مكتلئة طاهرة المياه فابتنى بها مدينة فأسكن بها ثلاثين ألف رجل من قومه . وذكر الطبري في تأريخه (١ / ٥٦٧) أن الذين أُسكنوا اثنا عشر ألف فارس ، وقال : « فهم أهل التبّت ، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب ، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها » . وممن ذكر شيئاً في ذلك الهمداني في اكليله (٨ / ٢١٣) . فإن صح ما قيل من أن المقيم بتبّت يغلبه سرور لا يُعلم سببه ، ويعتريه ابتسام لا يدرك سرّه[٢] ، وصحّ ما قيل من توطّن أهل اليمن إيّاها ، فظني أنها لصقت بقلوبهم ، وعلقت بنفوسهم ، على نحو أنطقهم بلغة أهليها وأنساهم لغتهم .

د ـ وأيضاً من شواهد تثقيل الباء من تبّت نسبة رجل اليها ذكر اسمه الزبيدي في التاج ، وهو أبو جعفر محمد بن محمد التبّتي .

٣ ـ ولا ينقدح شك في قلبي في أن ضبط اللسان لتُبَّت ثم القاموس بضم الأول وفتح الثاني وتثقيله هو اللغة العليا .

---

٢ ـ ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم كالجاحظ في الحيوان (٧ / ٢٣٠) .

أ ـ ذلك بأنّ الأصل في تُبّت كما في معجم أوكسفورد[٣] كلمتان « تُو Tö » أي عالٍ ، و « بُوت BHOT » اسم علم لهضبة . ومعنى « تُوبُوت » : « بوت العالية » . ولدأب العرب في تغيير الاسم عند إعرابه ، أراهم قلبوا الواو من « تو Tö » باء ولذلك نظائر في لغتهم ، وأدغموها في باء « بُوت BHOT » فصارت « تُبُّوت » ، ثم ذهبوا يحذفون الواو ويفتحون الباء اختصاراً وتخفيفاً فكانت « تُبَّت » وكأنها منحوتة من كلمتين . وفي أربعة الشواهد التي ذكرتها على تثقيل الباء ثلاثة شعرية ضبطت التثقيل ضبطاً . إن تثقيل باء تبّت يمنحها عند النطق بها قوة ورنيناً ، ويخفف أثر الوهن والخفوت في صوتي التاءين وهذا التثقيل لم يجهل قدره ، ولا حيف على حقه ، الا بانصرافنا عن ادبنا القديم . أما ضم الحرف الأول من تبّت فأصل بشهادة اللسان والقاموس وأوكسفورد . وشهادة أوكسفورد لها نفوذها ، لأن قوله في أصول الألفاظ يبعد أن يطوره غلط أو يشوبه شطط .

ب ـ أما ضبط الزمخشري إياها بكسر أولها وفتح ثانيها مثقلا ، فأظنّ له وجهاً ، فإن يكن ذلك صحيحاً كان لغة في تبّت أو لغيّة . ذلك بأنّ كسر الحرف الأول من « تبّت » ربما وقع من ميل قسم من العرب الى الكسر ، ككسر بعض القبائل أحرف المضارعة ، نحو قولهم « تِفعل » في « تَفعل » ، وهي اليوم اللغة التي عليها العامة في العراق . وضبط الزمخشري ـ لولا التثقيل فيه ـ يكاد يطابق اللفظ الانكليزي TIBET[٤] .

٣ ـ The Oxford Dictionary Of English Etymology .

٤ ـ قلتُ : قول الانكليز « تيبيت » بدل « تُوبُوت » يذكرني مافي لغتنا من أن الواو والياء أختان ، وقد تحل أحداهما محل الأخرى .

ج ـ وأما ضبط شيخ الزبيدي لها بفتح أولها وكسر ثانيها مثقّلاً ، فالرجل متأخّر زماناً ، وضبطه لم يهدني الى أصل ، ولا أعانني على تعليل ، فلا معاج لي عليه .

وقول اللسان ، بل قول الزجّاج ،.. بأن المقول في تُبّت إنّها من تُبّع فزعم قد يكون مبنيّاً على التظني ، لموافقة الحرفين الأولين من تُبّع نظيريها من « تبّت » ولما قيل من وصول تُبّع الى تُبّت . وذلك لا يزحّلني عما صحّ عندي من أن تُبّت تحدّرت الينا من « تُوبُوت » وأنّ معناها « بُوت العالية »[٥] .

لندن ٥ / ١ / ١٩٨٣ م صبحي البصام

---

٥ ـ أنبّه هاهنا معتذراً أني سهوت في مقالتي « قولهم ما يلي بلا مفعول » في هذه المجلة (مج ٥٦ ج٣) عن عبارة العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في كتابه فلسفة النحو والصرف وفيها يستثني شيئاً من وجوب ذكر المفعول ل « يلي » بقوله (ص ١٣٧) : « ماعدا ولاية الحكم » ، على أنه استثناء ينقضه في الأقل رجز العجاج المذكور في مقالتي ، ثم ان استثناءه لايغير من جوهر مقالتي .

تعقيب موجز

الدكتور شاكر الفحام

في كتب الرحالة وأصحاب المسالك والممالك والجغرافيين العرب أطرافٌ من أخبار بلاد التُّبَّت وصفة موقعها وأراضيها ونتاجها ، ولُمَعٌ يتشقَّقُ إليها الحديثُ تتصل بطباع أهليها وسكانها وأصولهم وتاريخهم وملوكهم ومنتمى لغتهم ، وما قام بينهم وبين جيرانهم من علائق المودة والإخاء ، أو ما شجر بينهم من جاحم الحروب والعداء . ولم تَعْرَ كتبُ التاريخ والأدب والمحاضرات والحيوان والنبات وأمثالها من ذكر بلاد التبت والتعرض لخواصها في هوائها ومائها وسهلها وجبلها ، وتعداد عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وأنهارها ، مما لا يخلو من فائدة أو طرفة أو حقيقة تكشف مجهولا وتنير طريقا . ولعل باحثا ذا همة ينهض بجمع ماتشتت في بطون الكتب ، ولَمِّ ما تناثر من أخبار هذا الإقليم وأخبار سواه من الأقاليم ، يضمُّها بين دفتي كتاب مؤلف ، أو يشير الى مواضعها في دليلٍ مُرْشد ، فيقدم للناشئة العربية وللعلماء ذخيرة سنيَّة يئلون اليها ليجدوا فيها بغيتهم على أهون سبيل وأيسر طريق ، قد كُفوا مؤونة التنقير والتنقيب ، وأصبحت النصوص والمادة الأساسية منهم على طرف الثُّمام .

أما الكلمة التي حبّرها الأستاذ صبحي البصام بعنوان (تحقيق لفظ تُبَّت) فقد قصرها على تناول ما جاء بشأن ضبط هذه اللفظة في كتب

اللغـة ومعجماتهـا ، ومـا يستتبع ذلـك من ذكر شواهـد تعزز الرأي الـذي ذهب اليـه وتـؤكـده ، أو من تفسير يقـود الى حـادثـة تـداولتهـا كتب التـاريخ ، ولم يمضِ في كلمتـه الى أبعـد من هـذه الحـدود . لقـد سعدتُ بقراءات الكلمة ، وكان أن ذكرتني بطائفـة من النصوص اللغويـة مرت بي في أثناء مطالعاتي ، فرأيت أن أعرضها هنـا لتكون ضميمةً الى مـاجـاء بـه الأستاذ الفاضل البصّـام . ولم أسلـك في سردهـا سبيل الاستقصـاء والتتبع فتلـك سبيـلٌ تحتـاج الى تفرغ ونشـاط ، وهمـا مني منـاط الثريـا ، وإنمـا تناولتُ من هذه النصوص مـا دنـا وقرب . ووقفتُ عنـد الجـانب اللغوي لا أجـاوزه الى سواه من نقول ، إلا فيا لابـدَّ منـه مما يتطلبـه فهمُ النصّ اللغوي . عسى أن تكـون كلمـة الأستـاذ البصـام وتعقيبي المـوجـز حـافـزاً ومحرضاً لناشىءٍ باحثٍ قد أُوتي القوة والجَلَد ، ورُزِق الصبر والدأب وحب العلم والتفاني في سبيله ، ليمضيَ في جمع أشتـات هـذه النصوص الموزعـة في كتب اللغة ومعجماتها .

ـ إن استعراض هذه النصوص يوحي لقارئها أول مايوحي أن كلمـة التُّبَّت تردُ بمعنى الإقليم تـارة ، وبمعنى سكان هـذا الاقليم تـارة أخرى . وتلك سبيلٌ سلكها العرب على قلـة في جملـة من أسماء البقـاع ، يطلقون على السكان اسم الإقليم والبلد ، وقـد نبّـه اليهـا العلمـاء . تحـدث يـاقوت الحموي عن مدينة كابل (معجم البلدان ـ كابل) ثم أتى بشوَاهـد من الشعر على عادته ، وقدّم لشاهد منها فقال : « وقـال الأعشى ، وسمّى أهل كابُل كابُلاً :

ولقــــــــد شربتُ الخمر تَرْ كضُ حـولنــــا تُرْكٌ وكابُــلْ »

واليك ماعنَّ بـالبـال وسمح بـه الخـاطر من نصوصٍ لغويـة تنـاولت لفـظ (تُبَّت) .

١ ـ جاء في كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ط بغداد ١٩٨١) ٢ : ٧٩ « تُبَّع : اسم ملك من ملوك اليمن ، وكان مؤمنا . ويقال : تُبَّت ، اشتُقَّ لهم هذا الاسم من تُبَّع ، ولكن فيه عجمة . ويقال : هم من اليمن ، وهم وضائعُ تُبَّع بتلك البلاد » .

٢ ـ وقال المسعودي في مروج الذهب (بيروت ١٩٦٥ م) ١ : ١٨٦ ـ ١٨٨ « وبلادُ التُّبَّتِ مملكة متميزة من بلاد الصين ، والغالب عليهم حِمْيَرُ ، رتَّبهم بعضُ التبابعة .... وهذا البلد سُمّي بمن ثُبِّتَ فيه ورُتِّب به من رجال حِمْيَر فقيل : ثُبَّت ، لثبوتهم فيه ، وقيل : لمعانٍ غير ذلك ، والأشهر ماوصفنا . وقد افتخر دعبل بن عليّ الخزاعيّ بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ، ويفخر بقحطان على نزار فقال :

وهم كتبوا الكتاب بباب مروٍ وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سَمَّوْا سَمَرقنداً بشمر وهم غرسوا هناك التُّبَّتِينا

.... وبلادُ التُّبَّتِ متاخمةٌ لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاتها .... وقد كانوا في قديم الزمان يسمُّون ملوكهم تُبَّعاً اتباعاً لاسم تُبَّع ملك اليمن ، ثم إن الدهر ضرب ضَرَبانَه ، فتغيرت لغاتهم عن الحِمْيَرية وحالت الى لغات تلك البلاد بمن جاورهم من الأمم ، حتى قد سمَّوا ملوكهم بخاقان .... » .

٣ ـ وقال الأزهريُّ في التهذيب (ط القاهرة) ٢ : ٢٨٤ : « قلتُ : وأما تُبَّعٌ الملكُ الذي ذكره الله في كتابه فقال : (وقومُ تُبَّعٍ كلٌّ كذَّبَ الرسلَ) [سورة ق ، آية ١٤] ، فقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال : ما أدري أتُبَّعٌ كان لعيناً أم لا . وقال الليث [في كتاب العين] : كان تُبَّعٌ ملكاً من الملوك ، وكان مؤمناً . وكان فيهم تبابعة . قال [الليث] :

ويقال : إن تُبَّت اشتُقَّ لهم هذا الاسم من تُبَّع ولكن فيه عجمة ولُكْنة ، ويقال : هم اليوم من وضائع تُبّع بتلك البلاد » .

٤ ـ وقال نشوانُ بن سعيد الحميري في شمس العلوم ١ : ٢١٤ (باب التاء والباء وما بعدهما) : « الزيادة : فُعَّل ، بضم الفاء وفتح العين مشدّدة . (ت) التُّبَّتُ : اسم بلادٍ يُجْلب منها المسكُ ، وهي دون الصين ، فيها قومٌ من قبائل اليمن ، زيُّهم زيُّ العرب ، ولهم ملكٌ منهم قائم بنفسه . يقال : إن الذي نقلهم الى هنالك الملك شمر يرعش بن أبرهة ذي المنار ، له ولهم حديث . ويقال : نقلهم ابنُ ابنه تبع الأكبر بن تبع الأقرن بن شمر يرعش . قال دعبل بن عليّ الخزاعي في قصيدته الدامغة في ملوك حمير :

وهم كتبوا الكتابَ بباب مروٍ   وهم غرسوا هناك التُّبَّتِينا »

٥ ـ وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (تبت) : « تبت ، بالضم (أي بضم أوله) ، وكان الزمخشريُّ يقوله بكسر ثانيه ، وبعضٌ يقوله بفتح ثانيه ، ورواه أبو بكر محمد بن موسى [الحازمي ، له كتاب ما اختلف وائتلف من أسماء البقاع] بفتح أوله وضمّ ثانيه . [والباء] مشدّد في الروايات كلها . وهو بلد بأرض الترك .... وانما سُمّيت تُبَّت بمن ثُبّتَ فيه ورُتّب من رجال حِمْيَر ، ثم بُدّلت الثاءُ تاءً ، لأن الثاء ليست في لغة العجم . وكان من حديث ذلك أن تُبَّعاً الأقرن سار من اليمن .... حتى أتى بلاداً واسعة كثيرة المياه والكلأ ، فابتنى هناك مدينة عظيمة وأسكن فيها ثلاثين الفاً من أصحابه ممن لم يستطع السير معه الى الصين وسماها ثُبَّت . وقد افتخر دعبل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي عارض بها الكميت فقال :

وهم كتبوا الكتاب بباب مَرْوٍ وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سمَّوْا سمرقنداً قديماً وهم غرسوا هناك التُّبّتينا

وأهلُها ، فيا زعم بعضُهم ، على زيّ العرب الى هذه الغاية ، ولهم فروسيةٌ وبأسٌ شديدٌ ... وكانوا قديماً يسمُّون كل من ملك عليهم تُبَّعاً ، اقتداءً بأولهم ، ثم ضرب الدهرُ ضَرْبَه فتغيرت هيئتُهم ولغتهم الى ما يجاورهم من الترك ، فسمَّوا ملوكهم بخاقان .... ، ولتُبَّت مدنٌ كثيرة ، وينسبون مِسْكَ كل مدينة اليها .... »

٦ ـ وقال الصغاني في التكملة والذيل والصلة (تبت) : « وتُبُّت ، بضمتين ، والباء مشدَّدة : أرضٌ ينسب اليها المسكُ الذكيّ » .

٧ ـ وجاء ابن منظور صاحب لسان العرب (وكتابه انما هو جمع وتأليف لخمسة كتب من أمهات كتب اللغة هي التهذيب للأزهري والصحاح للجوهري والمحكم لابن سيده وحواشي ابن بري على الصحاح والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير) فنقل عبارة الأزهري في التهذيب قال (اللسان ـ تبع) : « قال الأزهري : وأما تُبَّعٌ الملك الذي ذكره الله عزَّ وجل في كتابه فقال : (وقومُ تُبَّعٍ كلٌّ كذَّب الرسل) [سورة ق ، آية ١٤] فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : ما أدري أتُبَّعٌ كان لعيناً أم لا . قال [الأزهري قال الليث] ويقال : إن تُبَّت اشتُقَّ لهم هذا الاسم من اسم تُبَّع ، ولكن فيه عُجْمة ، ويقال : هم اليوم من وضائع تُبَّع بتلك البلاد » .

٨ ـ وقال الحميري في الروض المعطار : ١٣٠ ـ ١٣١ (تبت) : « تُبَّت : في بلاد الترك ، وهي مملكة متميزة من بلاد الصين ، والغالب عليهم حِمْيَر ، رتَّبهم بعضُ التبابعة .... والمشهور أنه تُبَّت ، بالتاء

المثناة ، وقال المسعودي [في مروج الذهب] : سُمِيّ هذا البلد بمن ثُبِّت فيه ورُتِّب له من رجال حِمْيَر فقيل : ثُبَّت (أي بالثاء المثلثة في أوله) لثبوتهم . وقد افتخر دعبل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار :

وهم كتبوا الكتاب بباب مروٍ وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سمَّوا سمرقنداً بشمرٍ وهم غرسوا هناك التُّبَّتينا

وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاتها ، ولأرض الهند وخراسان ومفاوز الترك .... وكانوا في قديم الزمان يسمُّون ملوكهم تُبَّعاً بتُبَّع ملك اليمن ، ثم ان لغاتهم تغيرت عن الحِمْيَرية وحالت الى لغة تلك البلاد بمن جاورهم من الأمم .... » .

٩ ـ وقال الفيروزابادي في القاموس المحيط (تبت) : « تُبَّت ، كسُكَّر : بلادٌ بالمشرق ، ينسب اليها المسكُ الأذفر » .

١٠ ـ وقال مرتَضَى الزَّبيديّ في التاج (تبت) : « تُبَّت ، كسُكَّر ، هكذا ضبطه غير واحد ، وكان الزمخشريُّ يقول بالكسر (اي بضم أوله وكسر ثانيه) ، ورُويَ بفتح أوله وكسر ثانيه ، [وباؤه] مشدّد في الجميع ، نقله شيخنا . وقد أهمله الجوهري .... وذكر صاحب اللسان في تركيب ت ب ع أن تُبَّت اشتق لهم هذا الاسم من اسم تُبَّع ، ولكن فيه عجمة ، ويقال : هم اليوم من وضائع تُبَّع بتلك البلاد . يُنسب اليها المسك الأذفر وهو أفضل من الصينيّ لخاصية مراعيها .... » .

١١ ـ بيتا ظهير الدين البارزي اللذان أوردهما الأستاذ البصَّام واستمدهما من فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، قد جاءا ايضاً في الوافي بالوفيات للصفدي (٦ : ١٨٠) ، وجاءت رواية البيت الثاني فيه :

هــل أنت فــوق خــدّه الـ ورديّ مِسْـك تنبتي ؟

ثم علّق الصفدي على البيت بقولـه : « قلتُ : كان الأصـل أن يقـول : تنبتين ، ولكنه حذف النون على لغة من قال :

أبيتُ أسْرِي وتبيتي تـدلكي
وجهـك بـالعنبر والمِسْـك الـذّكي

والصحيح ان الأرض التي ينسب اليها المسك يقـال لهـا : ارض التبت ، وهي بلاد الترك التي بها غزال المسك ، ليس فيها نون البتـة ، وانما هي بتـاءين ثـالث الحروف ، الأولى مضمومـة ، وبينهما بـاء ثـاني الحروف مفتوحـة ، على وزن عُمَر » . وضبـطُ الصفـدي : تبت ، على وزن عمر ، ضبطٌ يحتمله وزن البيت ، فهو من مجزوء الرجـز ، دخـل ضربَـه الطيُّ (وهو حذف الرابع الساكن من الجزء) .

١٢ ـ وأما قول دعبل الخزاعيّ الذي رواه الأستاذ البصّام :

وهم كتبـوا الكتـاب ببـاب مروٍ وهم غرسـوا هنـاك التُّبَّتينـا

فهذه روايته في الاكليل (٨ : ٢٠٩) وشمس العلوم (١ : ٢١٤) وخلاصة السيرة الجـامعـة : ٩٠ ، وهو ملفق من بيتين في روايـة المسعودي (مروج الـذهب ١ : ١٨٨) ، ويـاقـوت الحمـوي (معجم البلـدان ـ تبت ، سمرقنـد) ، والحميري (الروض المعطـار ـ تبت) . وانظر شعر دعبـل بن عليّ الخزاعي صنعـة الـدكتـور عبـد الكريم الأشتر (دمشـق ـ مجمـع اللغـة العربية بدمشق) : ١٩٣ ، ١٩٥ .

شاكر الفحام

التعريف والنقد

كتاب جديد في الفلك

الأستاذ المهندس وجيه السمان

بعد كتابتي لمقالي السابق عن مصطلحات الفلك الحديث ، اطلعني صديق لي على موسوعة علمية مصورة أصدرتها حديثاً باللغة العربية الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان في طرابلس ، عاصمة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية . وهي مقتبسة من موسوعة انكليزية اسمها The joy of knouledge Eneycloperedia طبعت باللغة الانكليزية عام ١٩٧٦ وسميت الموسوعة العربية : بهجة المعرفة . وهي في عشر مجلدات طبعت في ايطاليا طبعاً أنيقاً جداً وأخرجت إخراجاً ممتازاً فيه كثير من الصور الملونة ، على يد الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان .

وهي تنقسم إلى مجموعتين كل واحدة منهما في خمس مجلدات ، وتبحث في المواضع الآتية :

المجموعة الأولى :

١ ـ العلم .

٢ ـ الكون .

٣ ـ الأرض .

٤ ـ الحياة .

٥ ـ الأداة والآلة .

المجموعة الثانية :

١ ـ هذا الإنسان .

٢ ـ الإنسان والمجتمع .

٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ مسيرة الحضارة .

وأحب أن أتكلم الآن عن المجلد الثاني من المجموعة الأولى ، الذي عنوانه : الكون . فهو في الواقع كتاب حديث في الفلك يرجع تاريخ طبعته الإنكليزية إلى عام ١٩٧٦ والطبعة العربية تحمل تاريخ ٣٠ / ١ /١٩٨٠ . وان مادفعني إلى اختيار هذا المجلد للكلام عنه قبل غيره هو رغبتي في الحاق هذا البحث بمقالي السابق الذي خصصته لمصطلحات الفلك الحديث .

ينقسم هذا الكتاب إلى سبعة أقسام :

١ ـ تقنات علم الفلك (٢٠ صفحة) ويبحث في الأبعاد الفلكية والمراقب والمراصد الكبرى وفي الفلك غير المنظور . أقول : إن الشائع هو قولك تِقْنيات لاتِقنات ، لأنها تؤخذ من تِقن وهو الماهر الحاذق ، وتقني وهو ماينسب إلى التِقن .

٢ ـ النظام الشمسي (١٠٣ صفحات) ويبحث في تطور هذا النظام وفي مكوناته من سيارات وأقمار وكويكبات ومذنبات وشهب ونيازك . ويستأثر بقسم كبير لدراسة الشمس . ويورد كثيراً من الصور التي التقطتها مركبات الفضاء لعطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشتري ، وهنا تقف الصور لأن المركبتين فوياجور ١ و ٢ وصلتا إلى زحل بعد تاريخ طبع النسخة الإنكليزية ، إذ حدث ذلك في عامي ١٩٨٠ و ١٩٨١ .

٣ ـ النجوم (٣٦ صفحة) ويبحث في أنواع النجوم وفي تطورها وفي

النجوم غير المنتظمة وفي العناقيد النجمية (وأقول هنا ان كلمة العناقيد ترجمة لـ :Clusters ليست ناجحة جداً ، لأن العنقود له شكل خاص وللكلمة الإنكليزية معنى آخر أكثر موافقة وهو التجمع أو المجموعة ، ويسميه الفرنسيون Amas .

٤ ـ المجرات (٢٠ صفحة) .

٥ ـ خرائط النجوم (٢٨ صفحة) .

٦ ـ الإنسان في الفضاء (٢٦ صفحة) ويبحث فيا أنجز من ريادة الفضاء .

٧ ـ متفرقات كالبحث في وجود عوالم أخرى مسكونة غير الأرض .

يلي ذلك معجم عربي انكليزي بالمصطلحات الواردة في الكتاب وعددها ٨٦٧ مصطلحاً وينتهي الكتاب بمجموعة صور الكواكب الرئيسة المعروفة قديماً ، كما ظهرت في كتاب الفلكي أبي الحسن الرازي المعروف بالصوفي (المتوفى سنة ٣٧٦ هـ ـ ٩٨٦ م) .

يبلغ عدد صفحات الكتاب ٣٩٥ صفحة وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق سميك ومجلد تجليداً متقناً . ويعد أحدث كتاب في الفلك طبع بالعربية حتى الآن . وإن وجود الأجزاء العشرة في مكتبة الإنسان زينة جميلة إضافة إلى مافيها من فائدة كبيرة .

أعود إلى هذا المجلد الثاني فأقول انه لما كانت طبعته الإنكليزية تحمل تاريخ ١٩٧٦ ، فإن الظن الغالب هو أن المعلومات التي فيه يرجع عهدها إلى ماقبل ذلك بعام على الأقل ، أي إلى ١٩٧٥ ولذلك فإن ماحدث في الفلك من مكتشفات بعد هذا التاريخ غير وارد فيه .

وهذه مشكلة كبرى من مشاكل الكتب العلمية في أيامنا هذه . فكلما

كان العلم الذي يعالجه الكتـاب ذا تطور سريع كالفلـك الحـديث أو علوم الفضاء أو الألكترونيات مثلاً ، احتاج هذا الكتاب إلى تجديد كلما أعيـد طبعه (ضمن مدة خمسة أعوام) وقـد أصبح من المتفق عليـه الآن أن أكثر الكتب العلمية كالطبية ينبغي تجديدها كل خمسة أعوام على أبعـد تقـدير وإلا فإنها لاتعود تمثل بحق مرحلـة التقـدم التي وصل إليهـا ذلـك العلم . وإذا أراد الإنسـان مراجعـة آخر المراحل التي وصـل إليهـا علم من العلـوم فإنه قلما يجدها في الكتب (إلا ماظهر منها في تلك السنة أو التي قبلها) وعليه أن يطلبها في المجلات والدوريات المتخصصة .

لمعالجة هذه المشكلة عمدت الإدارات المشرفة على إصـدار الموسوعـات إلى إصدار ملاحق لها الفينة بعد الفينة تدرج فيها المكتشفات والمكتسبات العلمية والتقنية الجديدة حتى تضفي على الموسوعـة ثوبـاً من الجـدة يضمن لها موافقة زمنها ، إلى أن يصدر لها ملحق جديد وهكذا .

وفقاً لهذه القاعدة تقريباً تعد هذه الموسوعة موسوعة حـديثة ويعـد هذا المجلد الثاني منها جامعاً للمعلومات الفلكية الحديثة . وهو موجه ـ كما تقول المقدمة ـ « إلى القارئ المدرب الـذي تلقى تعليمـاً منظماً يعـادل على الأقل مرحلة التعليم الإعدادي . فقراءة موضوعات الموسوعة من دون إلمـام بأوليات المعرفة قد لاتكون أمراً مشوقاً » .

إن جعل الحد الأدنى لثقافة القارئ الـذي يمكن أن يشوقـه الكتـاب والذي يمكن أن يستفيد منه بالتعليم الإعدادي فيـه تفـاؤل كبير جـداً من قبل من خططوا لهذه الموسوعة ، وقد أثـار دهشتي إلى أقصى حـد عنـدمـا تصفحت ماورد في هذا المجلـد من معلومـات فلكيـة مبنيـة على الفيزيـاء والكيمياء والنظريات الذرية والميكانيك وعلى الفلك ذاته . إن المعلومـات

المبسوطة فيه وإن كانت مبسطة فإنها قد لخصت وأعطيت نتائجها بصورة مكثفة ، لذلك فإن استيعابها لايتيسر إلا لمن عنده أساس متين وثقافة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء لاتقل عن الشهادة الثانوية العلمية أو السنة الأولى الجامعية . لذلك فإنني أرجو أن يكثر المثقفون من قراء هذه الموسوعة حتى يتمكنوا من فهم مافيها . ولاأقف عند هذه النقطة لأنني أعدها ثانوية ، وقد يكون بين هواة العلوم عدد كبير ممن لايحملون الشهادة الثانوية . ومن المعلوم انه كلما سهل عرض المواضيع التي توردها الموسوعة وتجنبت القراء المتخصصين انحطت سويتها ولم تعد تفي بالغرض المرجو منها .

ملاحظات عاجلة على كتاب الفلك :

لم تتيسر لي مطالعة هذا الكتاب بدقة لأن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً (خلافاً لما يظن) ولكن لفتت نظري أثناء تصفحه ملاحظات كثيرة منها اللغوية ومنها العائدة إلى الترجمة ومنها العلمية .

الملاحظات اللغوية :

لاحظت أن المشرف الذي كتب المقدمة ورئيس قسم التحرير الذي شرح خطة التحرير قد استعمل أسلوباً هو إلى الصحافة والإذاعة أقرب منه إلى الأسلوب الأدبي العلمي . ومن المعلوم أن المقدمة لابد أن تكتب بلغة رصينة يتجنب فيها الأسلوب الصحفي الذي يعرض أخباراً تنشر اليوم وتقرأ ثم لايعود إلى مراجعتها أحد . (وأورد فيما يلي مقاطع من المقدمة) قال : **بالنسبة** إلى هذه النقطة ـ فمنهج التحرير نفسه في **تغطية** مواد الموسوعة ـ **لاتغطي** كثيراً مما يهمنا نحن ـ **بالنسبة** لهذه النقطة ـ المجموعة الأولى **موجهة لتغطية** ـ مقابل أن يكتفي **بتغطية**

شبه عامة . فنرى ان كاتب المقدمة قد استعمل هاتين الكلمتين : **بالنسبة و تغطية** وكلاهما من التعابير المولدة الجديدة التي درجت على ألسن الناس ونراها في الصحف والمجلات ونسمعها في الإذاعة والتلفزيون وكلاهما خطأ ، ومن الناس من يبدأ جمله عند الكلام بقوله دائماً : بالنسبة ، أما التغطية فيكثر استعمالها في الإذاعة والتلفزة عند الكلام عن الصحفي الذي يتولى مهمة المشاركة في مؤتمر أو ندوة أو ماشابه ذلك ويقدم عن هذا تقريراً يومياً مصوراً أو صوتياً أو مكتوباً . وهي بلا ريب ترجمة حرفية لكلمة To cover وفي العربية مايقوم في هذا الباب مقام التغطية فيمكن أن نقول : معالجة ، تزويد ، المام ، أخبار ، وأوفاه حقهْ من الرعاية والاهتمام الخ ... وبدلاً من أن نقول بالنسبة يمكن أن نقول : ماكان من أمر كذا ، أو فيما يخص كذا أو يتعلق بكذا ، أو من شأن كذا ، الخ ...

ننتقل الآن إلى خطة التحرير (ص ١٤) وهي تحمل توقيع رئيس قسم التحرير ، فنجد فيها هذه العبارات :

« الواقع ان **مثل هذا** الزعم ليس خيالياً فحسب » ، والأولى ان يقال إن هذا الزعم وأمثاله ...

« هذا المنهج في **تغطية** جميع وحدات الموضوع من عدة زوايا » (ص ١٥) والأولى أن يقال : التوفية أو الموافاة .

« كيف تبحث ؟ الخطوة الأولى أن تحدد لنفسك المجلد الذي **يتعامل** مع موضوعك » (ص ١٦) يخيل إليّ أن قوله يتعامل هو ترجمة حرفية لـ : To deal with . وخير من ذلك ان يقول : الذي يبحث في موضوعك ، أو يطرق موضوعك أو يعالج موضوعك ، أو الذي له علاقة بموضوعك أو مساس بموضوعك . الخ ...

تتردد هذه الكلمات في سائر الكتاب ، ويشاهد فيه أحياناً تقديم خبر كان على اسمها أو تقديم المفعول على الفاعل : « لما كانت معروفة مدة دوران الأرض حول الشمس » (ص ٣٣) . « معروف الآن أن قطر مجرتنا » (ص ٣٥) ، وقد يكون ذلك أحياناً بسبب مقتضيات الترجمة .

ملاحظات على الترجمة :

ان الحكم الصحيح العادل على الترجمة يقتضي وجود الأصل الانكليزي أمامي ، ولكنه ليس موجوداً ، لذلك أكتفي بالملاحظات الآتية ويتعلق أكثرها بالمصطلحات المستعملة :

١ ـ جاء في الصفحة ٢٢ ذكر الفلك الإشعاعي ويقصد به بلا ريب Radio Astronomy . ان استعمال كلمة الإشعاع هنا مقابل كلمة Radio غير مناسب لان الإشعاع يشمل جميع الأمواج الكهربائية المغنطيسية من الأمواج الهرتزية بأنواعها إلى ماتحت الأحمر ، فالضوء المرئي ففوق البنفسجي فالإشعاع السيني فأشعة غاما . وأما مايقصد بـ Radio waves فيستحسن ان يترجم بالأمواج الراديوية وهي تسمى أيضاً بالأمواج الهرتزية نسبة إلى العالم الذي تكلم عنها وولدها عملياً وقد تكرر الكلام في الكتاب عن هذه الأمواج ، فورد في الصفحة ٢٢ قوله الفلك الإشعاعي كما قلت ، ثم في الصفحة ٢٤ ورد ذكر المراقب الراديوية (حيث استعمل المصطلح الصحيح) وعاد ذكر الفلك الإشعاعي في الصفحة ٢٧ ، وفي الصفحة ٤٤ (في بحث الفلك غير المنظور) ورد ذكر الاشعاعات الكهرمغنطيسية وسائر الإشعاعات الأخرى . فما يسميه المترجم بالإشعاعي هو جاء في الأصل باسم Radio . وتستعمل هذه الإشعاعات أو هذه الموجات في الراديو والتلفزة والاتصالات اللاسلكية وهنالك فلك خاص يعتمد عليها نشأ بعد الحرب العالمية الثانية واتسع نطاقه بانشاء

المراصد الراديوية الضخمة التي تتلقى هذه الأمواج من الشمس ومن المجرة ومن خارج المجرة . وقد رأيت من ترجم الأمواج الراديوية (في موسوعة أخرى غير هذه) بالأمواج اللاسلكية : جرياً على التسمية القديمة للراديو : Wireless بالانكليزية و Sans fil بالفرنسية .

وجاء في معجم لاروس ان الفلك الراديوي علم قد أسس على رصد الكون في نطاق الأمواج الكهربائية المغناطيسية التي تتراوح أطوالها بين بضعة ملمترات وبين ٢٠ متراً .

٢ ـ ورد ذكر طبقات الجو العليا المتأينة بإشعاع الشمس (وخاصة بالأشعة فوق البنفسجية) وتنعكس على هذه الطبقات أمواج الراديو ، فوردت ترجمتها بأنها الطبقة **الثقيلة** ، والحقيقة انها تنسب إلى العالم الانكليزي Heviside واسمه هذا يوحي بالثقل ، ولكنه اسم عالم وينسب إليه قسم من هذه الطبقات فيقال طبقات هفيسايد كما يقال طبقة Kenelly وطبقة Appleton .

٣ ـ وردت في الصفحة ٢٥ عبارة : انهيار الجاذبية ، ويفهم منها ان الجاذبية تنهار والحقيقة هي ان مادة النجم الغازية تكون في حالة توازن بين الجاذبية الثقلية التي تجذبها نحو مركز النجم وبين قوى التمدد الناجمة عن التفاعلات النووية في قلبه ، والتي تسعى في تفجير النجم نحو الخارج ، فإذا تغلبت قوة الجاذبية على قوة الانفلات انهارت مادة النجم نحو مركزه بفعل الجذب ، وليس هذا انهياراً للجاذبية .

٤ ـ ترجمت كلمة Field تارة بالحقل (في أول الكتاب) وتارة بالمجال : مثال ذلك قوله حقل مغنطيسي في عطارد (ص ٧٩) ، خلو القمر من حقل مغنطيسي (ص ٦٠) ، حقل الأرض المغنطيسي (ص ٨٦) ثم

جاء : في الصفحة ٨٩ قوله ليس للمريخ مجال مغنطيسي واستمر على ذلك .

٥ ـ ترجم مصطلح Temperature في المعجم الذي في آخر الكتاب بالحرارة ، في حين ان المصطلح العربي المتفق عليه بالإجماع في وقتنا الحاضر هو درجة الحرارة . وان كلمة حرارة تقابل Heat أو Chaleur وهنالك فرق كبير بين معنى المصطلحين فلا يمكن المزج بينهما . وتابع المعجم مسيرته فترجم Critical Temperature بالحرارة الحرجة وفسرها بأنها درجة الحرارة التي لا يمكن لغاز عند درجة أعلى منها أن يتحول إلى سائل بواسطة الضغط وحده مهما كان . وفي هذا تصرف في المصطلحات غير جائز أبداً ، لأنه يعني هنا اعتبار الحرارة (أي كمية الحرارة) ودرجة الحرارة شيئاً واحداً ، أو أنه يعتبر مفهوم الحرارة ودرجة الحرارة شيئاً واحداً .

٦ ـ اصطلح على استعمال رمز : كلم للكيلومتر وسم للسنتيمتر والرمز الدولي المتفق عليه لهما هو km للكيلومتر أي كم و cm للسنتيمتر أي سم . مثلما ان المللمتر يرمز إليه بـ mm أي مم ولا مجال للقول بأن كم قد تلتبس بالكم والكمية ، فالكلم قد يلتبس بالكلام والكلم .

٧ ـ ورد في معجم المصطلحات (الذي في آخر الكتاب) انه معجم المصطلحات الفنية . وهو من إعداد الدكتور خليل الجر عميد كلية التربية في الجامعة اللبنانية . وكلمة فن تعني Art وكان ينبغي ان يقول المصطلحات العلمية أو التقنية .

٨ ـ ورد في هذا المعجم تعريف لكلمة Convection بأنها الحمل الحراري أو التصعد . والمعروف والمقرر هو أن التصعد أو التصعيد هو تحويل الصلب إلى بخار دون المرور بحالة السائل . ويسمى Sublimation . ويسمى

بالعربية أيضاً بالتسامي . وأعتقد ان الدافع إلى تسمية الحمل الحراري بالتصعد هو ان ظاهرة الحمل تحصل في الإناء المملوء ماءً والموضوع على النار في اتجاه الصعود .

٩ ـ ترجم مصطلح Magnetic declination بالحدور المغنطيسي ، والمصطلح عليه هو الانحراف المغنطيسي . وهو في مكان ما ، الزاوية الثنائية الواقعة بين مستوى الزوال الجغرافي وبين مستوى الزوال المغنطيسي المارين في تلك النقطة ويقال ان الانحراف شرقي أو غربي حسب وضع الإبرة المغنطيسية بالنسبة إلى مستوى الزوال الجغرافي .

ثم استعمل مصطلح الانحراف لكل من Aberration و Variation وسمي Declination (في علم الفلك) بالانحراف الزاوي .

وقد جاء في المعجم الفلكي لأمين المعلوف :

Aberration of light = تغير في مكان جرم سماوي حادث من حركة الأرض في فلكها . وكنت أود أن أسميه زوغان النور أو زيغانه ، ولكن الفلكيين العرب قالوا : انحراف النور (فانديك ونلينو) وانحدار النور (نلينو) .

وجاء أيضاً :

Declination = الميل وهو بعد جرم عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً .

وجاء في المعجم الفلكي لمنصور جرداق : Aberration = الانحراف ، الانحدار ، الزيغان .

Declination = الميل (مع عين التعريف الذي أورده المعلوف) .

وجاء في معجم المصطلحات الفلكية لجامعة الدول العربية ، الذي طبع في المغرب عام ١٩٧٧ :

Aberration = زيغ ، Declination = الميل (بدون شرح) .

فيبدو لنا ان هذين المصطلحين لم يأخذا بعد تسميتهما النهائية ولم يتم الإجماع عليهما .

١٠ ـ سمي النجم Alcor بالخوّار ، في حين ان اسمه الدارج والمعروف هو السهى (أو السها) ويقول المعلوف ان التسمية الانكليزية آتية من خوّار العربية ، فقالوا في وصفه : كوكب خوّار أي ضعيف . ويقول الشدياق مايشبه ذلك ، ويذكر ان من أسمائه الصيدق والصيدوق .

١١ ـ الألبيدو = Albedo : وهو نسبة الضوء المنعكس على سطح غير مصقول إلى الضوء الساقط عليه . ويقول معجم لاروس ان أصل الكلمة من اللاتينية : Blanc = Albus . ويقول المعلوف : ان الكلمة ليست عربية ولكنها شبيهة بالعربية ، ويسميها : البياض وكذلك يسميها الشدياق كما يسميها النوار أيضاً . ويسميها المعجم الفلكي لجامعة الدول العربية بالعاكسية . وعلى كل حال فلا مانع من تسميتها بالبياض لأن ذلك يفيد معناها تماماً ، ولأنه خير من إضافة الـ إلى البيدو حتى تصبح الألبيدو = الـ ـ الـ ـ بيدو !

١٢ ـ Albedometer يسميه المترجم : الالبيدو متر ، ويفضل ان يسمى : مقياس البياض .

١٣ ـ جاء في معجم المصطلحات : البلسار = Pulsar : نجم نتروني أصغر من الأقزام البيض وأكثر منها كثافة ، يتكون في قلب سديم ناجم عن انفجار متجدد أعظم (أي مايسمى : Supernova) .

أقول : ان هذا النوع من النجوم هو من أواخر المكتشفات الحديثة ، اكتشف أول نموذج له عام ١٩٦٧ على يد جماعة من الفلكيين البريطانيين وهو يبث إشارات راديوية تتوالى بشكل نبضات ذات دور ثابت تماماً وبقي خبر اكتشافه مكتوماً حتى اكتشفت الجماعة عينها ثلاثة منابع من

النوع نفسه ، فأعلنوا عن اكتشافهم في شباط من عام ١٩٦٨ .

ان اسم هذا النوع من النجوم هو النجوم النابضة بسبب الإشارات الراديوية التي تبثها ، وقد ظن بعض العلماء في أول الأمر ان هذا البث آت من نجوم بعيدة بقصد الاتصال بما يمكن ان يكون في الكون من مخلوقات . ولما كانت هذه الاشارات بمثابة نبضات فقد سمي النجم Pulsar أي النابض ، وهذه هي التسمية الصحيحة له . على حين ان المترجم قد فضل اعطاء اسم النابض إلى نوع النجوم المتغيرة التي تسمى : Variables ، ودور تغيرها طويل ولذلك فهو ليس نبضاً .

فقد جاء في الصفحة ١٧٦ عنوان هو : النجوم النابضة . وعُرّفت بانها متغيرات يتضاءل ضياؤها مع الوقت نتيجة لأدوار من التمدد والتقلص تمر فيها . وذكر منها النجم دلتا قيفاوس الذي له دور تغير يبلغ ٥,٣ أيام ، وذكر أيضاً المتغيرة الجنوبية كبّا الطاووس دورها ٩,١ أيام وزيتا التوأمين دورها ١٠,٢ أيام . الخ ... لقد سماها كل الذين كتبوا في الفلك الحديث بالمتغيرات .

فهذه التغيرات الدورية في الضياء ليست نبضاً حتى يسمي مصادرها بالنجوم النابضة كالتي اسمها Pulsars ودور نبضها ثانية أو مايقارب الثانية .

جاء في لسان العرب : نبض العرق ينبض نبضاً ونبضاناً : تحرك وضرب . والنابض العصب والمنابض مضارب القلب ونبضت الامعاء تنبض : اضطربت ... الخ .

وقد اشتهر بين النجوم المتغيرة نجم دلتا قيفاوس ، فاصبحت النجوم المتغيرة تسمى بالقيفاوية نسبة إلى قيفاوس وسماها المترجم القيفاوسية وهو

لفظ مستثقل . جاء في آخر كتاب النجوم في مسالكها (ترجمة عبد السلام الكرداني) Cepheid variables = المتغيرات القيفاوية ، وهو لفظ مقبول .

١٤ ـ ترجم Super Nova بالمتجدد الأعظم وهي ترجمة حرفية تبقى صالحة حتى يوضع لها مصطلح نهائي يتفق عليه . وكانوا يسمون الـ Nova بالنجم الجديد أو الوقتي . هكذا فعل المعلوف والشدياق ومعجم الجامعة العربية .

١٥ ـ ترجم مصطلح Oscillation بالترجح والمصطلح المستعمل هو اما التذبذب أو الاهتزاز أو النوسان .

١٦ ـ ترجم Accumulator بالمركم والحاشدة ، والمصطلح الأول هو المستعمل .

١٧ ـ ورد في معجم آخر الكتاب Hygrometer و Hydrograph ترجما على الترتيب بالمرطاب والمرطاب الآلي . وهذا الجهاز الأخير ليس آلياً ولكنه جهاز راسم أو مسجل . وقد استعمل في الكتاب لأجهزة القياس (وهي التي تنتهي أسماؤها بـ Meter) كلمة مقياس . فقال : مقياس الاستقطاب ومقياس الفلطية ومقياس الارتفاع . كما استعمل لأجهزة الكشف (وهي التي تنتهي أسماؤها بـ Scope) كلمة مكشاف فقال عن Spectroscope : مكشاف الطيف ، وعن Polariscope مكشاف الاستقطاب ، وبقيت أجهزة التسجيل ينبغي ان يستعمل لها اسماً يبتدأ برسام أو راسم أو مسجل فيقول عن المرطاب : مقياس الرطوبة وعن Hydrograph مسجل الرطوبة . وبذلك تكون القواعد الثلاث قد روعيت .

١٨ ـ ترجم Impedance بالمقاومة الاطارية . والمعروف لها مقابلان هما : الممانعة والمعاوقة فلا حاجة إلى إضافة مصطلح جديد لايفهمه أحد

ولايفيد المعنى المطلوب .

١٩ ـ المرقب أو التلسكوب = Telescope . ويسمى في سورية : الراصدة ومادام هذا الجهاز منصوباً في المرصد الفلكي فان تسميته بالراصدة جائزة أكثر من غيرها .

٢٠ ـ ورد عند الكلام عن أنواع المراقب وتعداد انواعها ذكر نوع أخير سمي في الكتاب بتلسكوب كودي (هكذا) مما يوحي بان كودي هذا هو صانع أو مخترع هذا المرقب وجاء ذكر بؤرة كودي ونظام كودي ومرقب كودي (ص ٣٦ ـ ٤٠) فكأن كودي عالم فلكي استنبط هذا النوع من المراقب مثل نيوتن وكاسغران وهرشل . وقد فتشت عن كودي هذا كثيراً في كتب الفلك بل وفي قسم البصريات من كتب الفيزياء (وخاصة في بحوث الآلات البصرية) ولكنني لم أجد له أثراً ، بل عثرت على ماكنت اتوقعه من ان كلمة كودي هذه هي Coudé وتعني بالفرنسية ماله مرفق او كوع (مكوّع) . فهنالك راصدات لها مرآة خاصة تأتي في آخر طريق الضوء الآتي من النجم وتعكس الحزمة الضوئية إلى خارج اسطوانة الراصدة بشكل مستعرض (أي ذي كوع) حتى تخرج هذه الحزمة جانبياً من الاسطوانة من فتحة خاصة بها ، حيث يسهل فحصها أو تصويرها أو اسقاطها على راسم الطيف ، الخ ... فهذا النوع من الراصدات يسمى بالفرنسية Télescope Coudé وتسمى بؤرته الأخيرة التي تتجمع فيها الأشعة خارج اسطوانة الراصدة Foyer Coudé . وقد اخترعها Nasmyth في القرن التاسع عشر .

ويؤيد قولي هذا الوصف الآتي الوارد في الصفحة ٣٧ من الكتاب الذي اتكلم عنه إذ يقول : « هنالك نموذج للعاكس أحدث من النماذج السابقة هو مرقب كودي الذي يحتوي على مرآة ثانوية ومرآة إضافية

تـدور على المحـور القطبي للمرقب . الفـائـدة الكبرى من ذلـك هي عـدم الاضطرار إلى تحريك التجهيزات الثقيلـة والـدقيقـة بعـد تركيبهـا . اكثر العاكسات الحديثة تعتمد بؤرة كودي (ا هـ) فهذه التسمية قد أضافت إلى أسماء العلماء من أمثال نيوتن اسم زميل لاوجود له هو كودي .

٢١ ـ ورد في الكتـاب ذكر الأقـزام البيضـاء والأقـزام السـوداء والعمالقـة الحمراء ، والفجوات السوداء ، والصواب ان تكـون : البيض والسـود والحمر والسود .

٢٢ ـ ترجم مصطلح Black hole بـالفجوة السوداء . والفجوة هي الفرجـة بين الشيئين ومـااتسـع من الأرض . ومنـه : بينـك وبين القبلـة فجـوة . والفجوة أيضاً ساحة الـدار ، الخ ... والمقصود هنـا هو الثقب لأنـه يبتلع كل شيء يقع في نطاق جاذبيتـه حتى الضوء . وقـد ورد في اعلى الصفحـة ١٧٠ من الكتاب قوله : « هذه هي الفجوة السوداء . وهي منطقـة تعمل بمثابة مركز للتجارب التثاقلي . ولم أفهم على م تعود كلمة التثـاقلي (وهي مـذكرة) اعلى المركز وهو مـذكر ام على التجـارب وهي مـؤنثـة . ولعـل فيها خطأً مطبعياً .

٢٣ ـ ورد في الصفحـة ٨٣ حسـاب لـدرجـة الحرارة بمقيـاس فهرنهـايت هكـذا : ٣٥٠ س = ١٠٠٠ ف والصـواب ان الـدرجـة ف يجب ان تكـون ٣٥٠×١,٨+٣٢=٦٦٢ ف

٢٤ ـ ورد في الصفحـة ٩٥ ذكر مقيـاس الطيف السيني الفلـوري ولكن لم يرد ذكره في المعجم ولم نستطع التعرف على ماهيته .

٢٥ ـ جـاء في الصفحـة ١١٦ ان المشتري يبعـد عن الأرض ٦٢٩ مليـون كيلومتر ، والحقيقة ان ابعـاد الكواكب السيـارة جميعهـا عن الأرض تتغير بـاستمرار بسبب دورانهـا حول الشمس ولـذلـك فـإنهـا تمر بنهـايـة عظمى

عندما تكون الأرض والكواكب متقابلين بالنسبة إلى الشمس وتمر بنهاية صغرى عندما يكونان على خط واحد وفي ناحية واحدة بالنسبة إلى الشمس .

هذه خلاصة ماعثرت عليه من ملاحظات عند تصفحي لهذا الكتاب القيم ، وربما كان ثمة ملاحظات غيرها لاتظهر إلا بعد دراسة بطيئة أكثر تفحصاً وتدقيقاً . وعلى كل حال فإني أرجو ان يطبع الكتاب والموسوعة كلها طبعة جديدة تصحح فيها الأخطاء حتى تتم الفائدة المرجوة منه لشدة حاجة القارئ العربي إلى هذا النوع من المراجع العلمية المبسطة .

وجيه السمان

ديوان أبي الفتح البستيّ

الدكتور شاكر الفحام

- ١ -

أبو الفتح عليّ بن محمد (أو أحمد) البستيُّ ، من شعراء القرن الرابع الهجريّ وكتّابه[١] . ولد بمدينة بُسْت (وهي بضم الباء وسكون السين)[٢] فعرف بها وشهر بنسبته اليها . وتقع بُسْت بين سجستان وغزنين (غزنة) وهراة ، على ضفة نهر هندمند (هلمند)[٣] . وصفها الجغرافيون والرحالة العرب فعدّدوا مزاياها ، وتحدثوا عن خصب أراضيها وكثرة خيراتها وسعة متنزهاتها وبساتينها . وموقعُها اليوم في الجمهورية الأفغانية الى الغرب من مدينة قندهار[٤] منحرفة بجنوب ، وهي أقل شأناً ومكانة مما كانت عليه في عصور العربية والاسلام الزاهرة[٥] .

ويذكر أبو الفتح البستيُّ في شعره أنه ينتمي الى الغطاريف من قريش ، فآباؤه يتحدرون من أرومة عبد شمس بن عبد مناف السادة النجب ، وأعمامه إخوتُهم الأمجاد من هاشم بن عبد مناف آباء الخلائف ، أما أخواله فيمانون من بني عبد المدان السَّراة الأشراف ، بيت مذحج وأخوال أبي العباس السفاح :

أنا العبدُ ترفعني نسبتي ... الى عبد شمس قريع الزمان
وعمي شمسُ العلا هاشمٌ ... وخالي من رهط عبد المدان[٦]

- ترجم القدماءُ لأبي الفتح البستيّ في كتبهم[٧] ، واختاروا من أشعاره ورسائله[٨] ، وموجزُ ما قالوه في سيرته أنه نشأ في مدينة بُسْت[٩] ، وتأدب على علمائها ، وأكثر الأخذ عن علامة عصره أبي حاتم محمد بن حبان البستي[١٠] الذي كان قد خرج من نيسابور سنة أربعين وثلاث مئة لينصرف الى وطنه بست يدرّس ويفيد بعلومه حتى توفي ببلدته سنة ٣٥٤ هـ ، وسمع أبو الفتح من أصحاب علي بن عبد العزيز وأقرانه[١١] ، ودَرَس « وسمع الكثير » ومهر في العلوم التي عرفها عصره ، ونبغ في الكتابة والشعر حتى قالوا في حقه : « هو أديب زمانه » « وهو أوحد عصره في الفضل والعلم والشعر والكتابة » و « كان شاعراً مجيداً يقصد التطابق والتجانس في شعره » ، « ورأيته يغرف في الأدب من البحر ، وكأنما يُوحَى اليه في النظم والنثر ، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز ، وأخذه منها بالحظ الوافر » . وقد تجلّت في كتابته وفي منظومه آثار ثقافات عصره التي لقفها ووعاها : منطقاً وفقهاً وتفسيراً ونحواً وتنجيماً وفلسفة وحكمة . وذكروا من مؤلفاته : شرح مختصر الجويني في الفروع (فروع الشافعية)[١٢] .

زار أبو الفتح مدينة نيسابور الشهيرة غير مرة ، وكانت غاصَّةً بعلمائها وفقهائها ، فقرأ وأفاد حتى أقروا له بالفضل[١٣] . ومن كبار العلماء الذين قرؤوا على أبي الفتح ورووا عنه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري وابو عثمان الصابوني والحسين بن علي البرديمي[١٤] . وأحبَّ ابو الفتح نيسابور التي أحبته وأثنى على أهل الفضل فيها :

بنيسابور ساداتٌ كرامٌ ترى أحلامَهم أحلامَ عادِ
اذا بدؤوا بخيرٍ تمَّمُوه وعادوا بعده أحلى معاد[١٥]

وردَّد أبو الفتح مدح نيسابور والاشادة برجالها الكرام :

لله نيسابور من حلَّه ما مثلها دارٌ ولا حلَّه
للخير والمير بها كثرةٌ والشرُّ والضير بها قِلَّه[16]

لقي أبو الفتح أبا منصور الثعاليَّ صاحب يتيمة الدهر في قدماته الثلاث نيسابور تجمعهما لحمةُ الأدب التي هي أقوى من قرابة النسب[17] . وتغنّى ابو الفتح بصداقة الثعالبي ، ومما قاله فيه :

قلبي مقيم بنيسابور عند أخٍ ما مثله حين تُستقرَى البلادُ أخُ
له صحائف أخلاقٍ مهذبةٍ منها العلا والنهى والمجد تنتسخُ[18]

وكان من أصدقاء أبي الفتح البستي بلديُّه الامام ابو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستيّ صاحب غريب الحديث[19] ، والأديب الكاتب مؤرخ الدولة الغزنوية أبو نصر العتبي صاحب اليميني ، وقد مدحه ابو الفتح وبالغ في الثناء عليه[20] . ونعم ابو الفتح بصداقة اخوانه وخلصانه ، كان يأسرهم بشمائله ومناقبه ، ويبهرهم ببراعته وبلاغته ، ولعل أبا روح ظفر بن عبد الله الهروي قد عبرّ فأحسن التعبير عن مشاعر الاصدقاء المحبين المحيطين بأبي الفتح حين قال :

بأبي وأمي مَنْ شمائلُهُ ريحُ الشمال تنفَّست سحرا
واذا امتطى قلماً أناملُه سَحَرَ العقولَ به وما سحرا[21]

أُولع أبو الفتح بالبديع في شعره ، وأَوْلَى الجناسَ عنايةً خاصة ، واستفرغ فيه جهده ، حتى إنه أبدع منه ألواناً عرف بها ، وحاكاه فيها شعراء عصره ، ينهجون نهجه ويقتفون اثره ، وقد أدى هذا التلاقي

والتوافق أن تختلط جملةٌ من أشعارهم تنسبها عدةٌ من الكتب لأبي الفتح، وتنسبها كتب أخرى الى سواه من شعراء عصره. وقد أشاء النقاد والبلاغيون بطريقة ابي الفتح في الصنعة والتجنيس البديع، ويروي لنا الثعالبي السبب الداعي الذي حرك ابا الفتح البستي لنهج طريقته في التجنيس قال: « سمعتُ أبا الفتح يقول: لما أنشدني شعبة [بن عبد الملك البستي] قوله:

فديتُ مَنْ زارني على حَذَرٍ ‏ ‏ من الأعادي وقلبُه يَجِبُ
فلو خلعتُ الدنيا عليه لما ‏ ‏ قضيتُ من حقه الذي يجبُ

استحسنته وانا إذ ذاك في زمان الصبا، فأخذتُ نفسي بسلوك طريقته في المتشابه[٢٢]، حتى قلت ما قلت[٢٣] ».

بدأ أبو الفتح حياته مؤدبا[٢٤]، ثم ارتقت به الحال فأصبح كاتباً لباي توز صاحب بست، ولما آلت بست الى ملك أبي منصور سبكتكين سيد غزنة، وكان ذلك في حدود سنة ٣٦٦ هـ ضمَّه اليه وأدناه[٢٥]، وظلَّ البستيُّ في صحبته، يشيد بفتوحاته ومآثره « وصار ينظم بأقلامه منثور الآثار عن حسامه، وينسج بعباراته وشائع فتوحه ومقاماته »[٢٦]، حتى مضى سبكتكين لسبيله سنة ٣٨٧ هـ، ونهض بأعباء الملك بعده ابنه محمود بن سبكتكين، بعد نزاع قصير بين الأخوين محمود واسماعيل ابني سبكتكين، فانضمَّ اليه البستيُّ « وكان كاتب السلطان محمود مدة »، « وكتب له عدة فتوح »[٢٧]. ثم أُقصي الشاعرُ الكاتب الأديب ليقضي بقية أيامه نائياً غريباً في ديار الترك، لم تشفع له خدماته، وماضيات أيامه، ولم ينفعه استعطافه السلطان ضارعاً اليه متذللا:

ولقد جمعتُ من الذنوب فنونَها ‏ ‏ فاجمع من العفو الكريم فنونَه[٢٨]

وتلتوي عباراتُ مترجمي أبي الفتح في بيان سبب هذا الإقصاء ودواعيه ، ومتى تمّ ، تأتمّ كلها بعبارة العتبيّ الغامضة في كتاب اليمينيّ إذ قال يصف مادهاه أيام السلطان[٢٩] محمود بن سبكتكين : « الى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه الى ديار الترك من غير قصده وإرادته ، فمات بها غريبا ، ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا »[٣٠] . أيكون البستيُّ قد تورَّط فأقحم نفسه في النزاع الناشب بين السلطان محمود الغزنوي وايلك خان ، ومال بهواه الى الترك القادمين من الشرق يبتغي الحظوة لديهم ؟ لانملك من الأدلة ما يكشف لنا قناع هذه الفترة الغامضة من تاريخ حياته ، وأوضح ما نلقاه في هذا الصدد كلمة البيهقي : « ثم اتفق له مفارقة خراسان مع الخاقانية ، وتوفي بما وراء النهر »[٣١] . بل إن في ديوان أبي الفتح أبياتاً تشي برضاه في بادئ الأمر عن هذا الانتقال الى ما وراء النهر ، قبل ان يدركه الندم على ما فَرَطَ منه ، ولات حين مندم :

للناسِ في أُخْراهُمُ جَنَّةٌ وجنَّةُ الدنيا سَمَرْقَنْدُ
يامَنْ يساوي أرضَ بَلْخٍ بها هل يستوي الحنظَلُ والقَنْدُ[٣٢]

ولكن متى تمت هذه النقلة الى ديار الترك ؟ لا نجد إشارة الى ذلك في كتب المتقدمين الذين ترجموا لأبي الفتح وعُنُوا بسرد أخباره ، على أننا نستطيع أن نرجح أن ذلك قد تمّ بعد سنة ٣٩٥ هـ ، فقد ذكر الذاكرون أن محموداً الغزنوي غزا مدينة بهاطية من أعمال الهند ، وهي وراء المولتان سنة ٣٩٥ هـ ، واستولى عليها ، فلما عاد الى غزنة لقي في عوده شدة شديدة من الأمطار وكثرتها وزيادة الأنهار ، فقال أبو الفتح البستي في ذلك :

ألا أبلغ السلطان عني نصيحةً يُشَيِّعُها ودٌّ ورأيٌ محنَّكُ

تجاوزتَ أوجَ الشمسِ عزاً ورفعةً ... وذلّلتَ قسراً كلَّ مَنْ قد تملكوا
فما حركاتٌ متعباتٌ تُديمها ... تأنَّ فأوجُ الشمس لا يتحرّكُ[٣٣]

ومثلُ هذا الترجيح تعزّزه أحداثُ التاريخ ، فالخلاف بين محمود الغزنوي سيد خراسان وايلك خان سيد بلاد ما وراء النهر قد ذرَّ قرنُه عام ٣٩٦ هـ ، حين عبر عسكر ايلك خان الى خراسان ، وكانت حروب ومنازعات استمرت عامي ٣٩٦ هـ و ٣٩٧ هـ خُتم النصر فيها ليمين الدولة محمود الغزنوي ، وسلمت له خراسان ، وأكثر الشعراءُ تهنئته بهذا الفتح[٣٤] . فلعل أبا الفتح ، لأسباب نجهلها ، آثر الانحياز إلى فريق أيلك خان وكان يظن أنه الفائز المنتصر ، فلما نكص ايلك خان على عقبيه عاد معه الى بلاد ما وراء النهر ليلقى الغربة ، ويتجرع غصص فراق الأحبة ويذوق مرارة البعد عن الأوطان .

وظلّ أبو الفتح في منفاه بالبلد البعيد النازح ، لا ينتفع بعيشه ، ولا يسلو أحبته ، يبكي غربته ويشكو تشرده ، ويذكر بالأسى مرابع صباه ومعاهد شبيبته ، قد فقد أصدقاءه وعارفيه ، ينادي بأرفع صوته فلا يجد المسعف ولا يلقى المستجيب . وعانى ابو الفتح ما عانى ، وأقام مفرداً كئيباً يتحسَّرُ على ما كان فيه من نعمة ، ويأسى على ما آل اليه من شقاء فيتمتم :

كنتُ في نعمةٍ وظلٍّ رخاءٍ ... ونسيم من النعيم رخاءِ
فاتبعتُ الهوى وخالفتُ رأيي ... واتباعُ الهوى وبيءُ الهواءِ

ويقول :

أراح اللهُ قلبي من زمانٍ ... مَحَتْ يدُه سروري بالإساءه

فإن حَمِدَ الكريمُ صباحَ يومٍ وأنّى ذاك لم يَحْمَدْ مَسَاءَه[٣٥]

وطال شقاء الغريب النازح يؤرقه الحنين ويرمضه الشوقُ حتى وافته منيته في بخارى (أو أوزكند) سنة ٤٠٠ هـ (ويزحزحها بعض مترجميه الى سنة ٤٠١ هـ أو سنة ٤٠٢ هـ) . قال المنيني شارح اليميني : « وقبره بها معروف »[٣٦] .

- لم يذكر أحد من مترجمي ابي الفتح سنَّه حين وفاته ، ولم نجد في شعره إلا إشارات عامة لا تنبئ باليقين القاطع من عمره ، من مثل قوله وقد بلغ الخمسين :

خمسون عاماً كنتُ أمَّلتُها كانت أمامي ثم خلَّفتُها
كنز حياةٍ لي أنفقتُه على تصاريفَ تصرَّفتُها
لو كان عمري مِئَةً هدَّني تذكُّري أنّي تنصَّفْتُها[٣٧]

ومثل قوله وقد وَخَطَه الشيبُ :

ياشيبتي دومي ولا تترحلي وتيقَّني أني بوصلك مولعُ
قد كنتُ أجزعُ من حلولك مرةً والآن من خوف الترحل أجزعُ[٣٨]

لعل خير ما أختم به هذه الترجمة الموجزة كلمةُ عمران بن موسى الطولقي في أبي الفتح البستي ، وكان معجباً بطريقته في التجنيس ، فأشاد به ورفع من قدره ، وتغنى ببلده بست التي أنجبته ، قال :

اذا قيل : أيُّ الأرض في الناس زينةً
أجبنا وقلنا : أبهجُ الأرض بُسْتُها
فلو أنني أدركتُ يوماً عميدَها لزمتُ يدَ البستيّ دهراً وبُسْتُها[٣٩]

- ٢ -

ديوان أبي الفتح :

يقول عبد الغافر في ترجمة أبي الفتح البستي : « وديوانه مشهور معروف » ويقول السمعاني متحدثاً عن أبي الفتح : « وشعره مدوَّنٌ مشهور »[٤٠] ، ويقول ابن الجوزي : « وقد انتقيتُ من جميع ديوانه أبياتاً مستحسنة فرتبتُها على حروف المعجم »[٤١] ، ويقول ابن خلكان : « ورأيتُ في أول ديوانه أنه ابو الفتح علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز الكاتب الشاعر »[٤٢] ، ويقول ابن كثير : « وله ديوان جيد قويّ »[٤٣] ، ويقول صاحب اللباب : « صدر الأفاضل والكتّاب أبو الفتح البستي صاحب التحسين والبلاغة .... من الشعراء ذوي اللسانين ، وله ديوانان أحدهما بالعربية والثاني بالفارسية »[٤٤] . ولم يحدثنا أحد عمن نهض بجمع ديوان أبي الفتح وترتيبه[٤٥] . وتدلّ اختيارات الصفدي في الوافي بالوفيات أنه ينتقي من ديوان لأبي الفتح مرتب على حروف المعجم .

- وقد مثل ديوان أبي الفتح البستي في العصر الحاضر مطبوعاً مرتين :

المرة الأولى - وتمت في بيروت بمطبعة ثمرات الفنون غرة شهر رمضان سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ، فجاء الديوان في خمس وثمانين صفحة ، وقد نسقت قوافيه على ترتيب حروف المعجم ، مع اضطراب يسير في قوافي الميم والنون .

المرة الثانية - وتمت في بيروت ايضاً بمطبعة دار الأندلس (كانون الثاني ١٩٨٠ م) ، وقد نسقت قوافي الديوان على ترتيب حروف المعجم ،

وشفعه محققه الدكتور محمد مرسي الخولي بلحقٍ ضمَّ الزيادات التي عثر عليها متناثرة في كتب الأدب والتراجم والمحاضرات ، فجاء في ثلاثٍ وستين ومئة صفحة (ص : ٢١٥ ـ ٣٧٧) ، وكان الديوان جزءاً من كتابٍ أصدره المحقق بعنوان (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره) وهو الرسالة التي تقدم بها الأستاذ الخولي لنيل درجة الماجستير (التبريز) في الآداب . ولعله يحسن ان نوازن بين الطبعتين ونحن نقوّم عمل الأستاذ الخولي ، فتلك الموازنة جزء من التقويم الذي قصدنا إليه .

ديوان البستي بطبعته الأولى :

أشرف على تصحيح الديوان إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي الذي اجتهد وجهد لإصابة الصواب ، كما جاء في كلمة الختام . وقد احتفى المصحح بديوان أبي الفتح شيخ بست فنظم أبياتاً ثمانية أرَّخ في آخرها لسنة صدور الديوان على عادتهم في ذلك العصر :

فلهـذا نـادى يراعي أرّخْ   إن شعر البستيّ وافٍ بطبعِ

(إن = ٥١ ، شعر = ٥٧٠ ، البستي = ٥٠٣ ، وافٍ = ٨٧ ، بطبع = ٨٣) ، (٥١ + ٥٧٠ + ٥٠٣ + ٨٧ + ٨٣ = ١٢٩٤ هـ) .

وابراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي (١٢٤٠ ـ ١٣٠٨ هـ) أديب شاعر ، له تآليف حسان ، وثلاثة دواوين شعرية[٤٦] . ولكنه لم يعلّق على ديوان أبي الفتح البستي الذي أشرف على طبعه بشيء ، ولم يذكر شيئاً من أنباء المخطوطة التي اعتمدها ، واكتفى بأن قال في المقدمة (ص : ٢ ـ ٣) : « أما بعد ، فلما كان ديوان الأديب الكاتب أبي الفتح علي بن محمد البستي[٤٧] صاحب الطريقة الأنيقة في صناعة التجنيس

البـديع ديوانـاً عزيز الوجود ، حتى كأنـه مفقود ، وقـد اشتمـل على نكت لطيفة ، ونوادر شريفة ، ومعـانٍ غريبـة ، ومقـاصِد عجيبـة ، رغبنـا في طبعه ، هديةً لفريق الأدب ، الذين يَنْسِلُون الى اقتنـاص أوابـده من كل حَدَب ، ليُقْتَفَى أثره في تلـك الصنـاعـة ، ويَعلم مـالـه فيهـا من البلاغـة والبراعة . وقد ذكره الثعالبي في يتيمته ، وبـالغ في الثنـاء عليـه .... وقـد وجدنا ديوانه مرتباً على حروف المعجم ، لكن بدون ديباجة فطبعنـاه كما وجدناه » . وقد بيَّن الدكتور محمد مرسي الخولي في دراستـه أن المخطوطـة التي طبع عنها الـديوان طبعتـه الأولى ببيروت موجودةً اليوم في جـامعـة برنستون بـالولايـات المتحـدة الامريكيـة ، وكانت ملكاً لأسرة البـارودي ببيروت ، فتسللت الى جامعة برنستون عام ١٩٢٥[٤٨]

ـ أكثر ديوان أبي الفتح نُتَفٌ ومقطعـات وأبيـات يتيمـة ، وتقلُّ فيـه القصائد[٤٩] . وبلغ مجموع ذلك كلـه (٣٩٩)[٥٠] ، مقـدار أبيـاتهـا كلهـا نحو (١١٤١) بيت .

وبدا للأدبـاء أن الـديوان لا يجمع شعر البستي كلـه . يقول الزركلي في ترجمـة البستي : « لـه ديوان شعر مطبوع ، صغير ، فيـه بعض شعرِهِ ، وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدوَّن »[٥١] . وكان لابدّ من محـاولـة جادة لطبع الديوان طبعة ثانية تجمع شعر الشاعر كلَّه أو جُلَّه .

ديوان البستي بطبعته الثانية :

وهـذه الطبعـة كانت جـزءاً متمماً لـدراسـة الشـاعر التي نهض بعبئهـا الدكتور محمد مُرسي الخولي (١٩٣٠ ـ ١٩٨٢ م) أفـاض الله عليـه سحـائب رضوانه[٥٢] ، وقد اعتمد في طبع الديوان نسختين خطيتين : احداهما نسخة برنستون التي رجح أنهـا الأصـل لطبعـة بيروت الأولى لتماثلهما ، والثـانيـة

نسخة احمد الثالث باصطنبول ، والتي وجدها أكمل من الاولى فاعتمدها أصلاً ، ثم ضمَّ الى الديوان لحقاً جمع فيه المتناثر من شعر البستي في كتب الأدب . وقد بدا لي أن أُحصي زيادات نسخة الديوان المتخذة أصلاً (نسخة احمد الثالث) على سابقتها (نسخة برنستون) فوجدتها (١٥٢) بيت موزعة على القوافي[٥٣] (الباء / أحد عشر بيتاً ، التاء / عشرة أبيات ، الثاء / بيتان ، الحاء / بيتان ، السين / ثلاثة أبيات ، الفاء / ثلاثة أبيات ، الكاف / بيت واحد ، اللام / أربعة أبيات ، الميم / أربعة أبيات ، النون / واحد وستون بيتا ، الهاء / خمسة وثلاثون بيتا ، الياء / ستة عشر بيتا) ، وهذا القدر من الأبيات (١٥٢) هو هو الذي أشار اليه الأستاذ المحقق الدكتور الخولي بقوله : « ولقد بلغت الإضافات في النسخة الكاملة [يعني نسخة احمد الثالث] خمسين مقطوعة عدتها مائة واثنان وخمسون بيتا »[٥٤] . وبديه أن تكون عدة أبيات الديوان في نسخة أحمد الثالث (١١٤١ + ١٥٢ = ١٢٩٣ بيت) ، ولكن الذي يفاجئك أن الديوان الذي حققه الدكتور الخولي معتمداً فيه نسخة أحمد الثالث لا يضم إلا (١٢٧٢ بيت) ، فهو يقل (٢١) بيتاً عما قدرناه له . وسببُ ذلك فيما يبدو لي يعود الى المطبعة ، فقد أسقطت عدة أبيات ونتف ومقطعات مما ضمّه الديوان بطبعته الأولى ، وقد رأيتُ أن أورد ما سقط ليثبته في مواضعه من كان بحوزته الديوان الجديد ، بعد أن أصبح الديوان بطبعته الأولى عزيز المنال نادر الوجود .

وقال (ديوان أبي الفتح البستي : ١٩) :

قـامت تريـد الرواح وهنـا   فقلتُ : خلّي روحي وروحي
ولا تعـوجي من بعـد وليٍ   لتنشئي ذا ريـح وروحِ

فإن أتاك الناعي بيومي | كدأب موسى نوحي ونوحِ
وحققي بعد موت بعدي | كل فصيح معاً فصيحي

قد فصل في هذا البيت [يعني البيت الأخير] بين المضاف والمضاف اليه بقوله : بعدي ، ثم فيه تقديم وتأخير ، والأصل : وحققي بعد موت كل فصيح بعدي اهـ(٥٥) .

وقال (ديوان ابي الفتح البستي : ٢٢) :

إن المودَّة حدُّها | من غير نقص أو زياده
عقدٌ من الآمال والـ | آجال تنظمه القلاده

وقال (ديوان أبي الفتح البستي : ٢٦) :

رأيتُ الناس من يحسن اليهم | ويأمن مكرهم فهو السعيدُ
وذاك لأن شرهم قريبٌ | وخيرهم ، اذا اختبروا ، بعيدُ
اذا بدؤوا بظلم تمَّمُوه | ولم يرضوا به حتى يعيدوا
وإما أومضوا يوماً بوعدٍ | فوعدُهُمُ اذا امتحنوا وعيدُ

وقال (ديوان أبي الفتح البستي : ٣٣) :

يا من تبجح بالدنيا وزخرفها | كن من صروف لياليها على حَذَرِ
ولا يغرّك عيشٌ إن صفا وعفا | فالمرءُ من غرر الأيام في غرر
إن الزمان كما جربت خلقته | مقسَّم الأمر بين الصفوِ والكَدَرِ

وهذه المقطوعة روآها الأستاذ الخولي ولكن سقط منها البيت الثالث (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٥٦) ، وكذا الحال في المقطوعة (ديوان ابي الفتح البستي : ٣٨) :

قل للذي غرّه عزٌّ وساعده فيما يحاوله نقضٌ وإمرارُ
لا تفتخر بغنىً أمطيت كاهله فإن اصلك يا فخّارُ فَخّارُ
هذا ولكن من الغدار يألفه يكون وهو من الإقبال إدبارُ(٥٦)

فقد سقط منها البيت الثالث ايضا (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٦٢) .

وقال (ديوان ابي الفتح البستي : ٣٩) :

وليلٍ كأصداغ الحبيب قطعته بوردٍ كخديه وجامِ عُقار
وأنجمه تبدو كأعشار عسجدٍ تضمنه في الجو جامعُ قاري

وقال (ديوان أبي الفتح البستي : ٤٩) :

ثاني الحروف من اسم من أنا عبده جذرٌ لأوله بغير خلافِ
وكذاك ثالثُها لضعف أخيرها جذر وهذا في الدلالة كافي(٥٧)

وقال (ديوان أبي الفتح البستي : ٨١ ـ ٨٢) :

اسم الذي أنا طائعاً أفديه خافٍ ولكن فطنتي تُبديه
مقدار ثالثه اذا حصلته مضروب حاشيتيه في ثانيه

وقال (ديوان أبي الفتح البستي : ٨٤) :

لا تجزعنّ لدارٍ أقفرت وخلت فليس في طبعها إلا أواريُّ
فالعزّ والمال والأهلون قاطبة والعمر في هذه الدنيا عواريُّ
وفي النطاف التي يسخو الزمانُ بها
لمن تبصّر رشدا وارعوى ريُّ

ومما يرجح عندي أن المطبعة قد أفسدت على الأستاذ الخولي بعض

صنيعه ما تراه من اختلاط بيتين مكسوري الروي ببيتين مرفوعي الروي دون فاصل (ص ٣٠٧) ، او أن يأتي بكلمة (قال) ويذكر بحر البيتين ، ويخرجها ، ثم لايأتي بها (ص ٣٢٠ هـ ١) ، أو يأتي ببيت ويسقط أخاه ، ثم تجد في الهامش من الشروح ما ينبئ بالبيت المفقود (ص ٣٤٠ ، الرقم ٣٠) ، أو تجد الأبيات دون مقدمتها (ص ٣٦٤ ، الرقم ١٠٥) ، أو تجد التعليق في غير موضعه (ص ٢٩٣ هـ ١ ، ص ٢٩٥ هـ ٢) . وبسبب من هذا كله نجد أن الخطأ يمور في الديوان فيفسد المعنى حيناً ، ويكسر الوزن تارة كقوله (ص ٢٤٤)

لكل امرئ منا نفوسٌ ثلاثة يُعارضُ بعضاً بعضُها بالمقاصدِ

فقد أخلَّ الطابعُ بترتيب الكلمات في الشطر الثاني فأفسد الوزن ، وقوله (ص ٢٤٥) :

وإن أردتَ أماناً من غوائله فلا تعرّفه من أبنائه أحدا

فقد حرّفت المطبعة (أماناً) لتصبح (إماماً) . وقوله (ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣) :

قلتُ إذ مات ناصر الدين والدنـ ـيا حَبَاهُ إلاهُه بالكرامَةْ

فقد صحفت (حباه) وهي بباء موحدة تحتية الى (حياه) بياء مثناة تحتية مشددة ، فأخلّت بوزن البيت ، وقوله (ص : ٣٤١) :

سبحان من سخّر الأقوام بعضهم
بالبعض حتى استوى التدبيرُ واطّردا

فقد سقطت كلمة (بالبعض) من أول العجز فأوجبت الخلل في البيت . وهكذا تطالعك الأغلاط أنّى توجهت ، والشواهدُ في ذلك لا حصرَ لها

ولا عَدّ (فكأنني بدل فكأني ، فإنني بدل فإني ، مكبب بدل مُكبّ ، ونزل السقاةُ دنانهم فكأنما نزلت لنا بدل بَزَل السقاةُ دِنانَهم فكأنما بُزِلَتْ لنا ، سبحانه خالق بدل سبحانَ خالقِ ، ما عُمّرت فيه بدل ما عمّرت في ، مفنون (بنونين) بدل مفتون ، بالتاء والنون ، اسم مفعول مشتق من فتن ، .....) (ص : ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤) .

فاذا أضفت الى ذلك عبث الطباعة بالأرقام المسرودة لم يبق لك أن تطمئن الى رقم حتى تعود محققا ومصححا . إذا رَجَعَك المحقق (ص ٢٢٥) الى شرح المنيني على اليميني (٢ / ٨) وجدت أن الصواب هو (٢ / ١٧) ، واذا أحالك (ص ٢٦٦) الى تاريخ العتبي (١ / ١١٥) كان عليك أن تبذل الجهد لتعلم ان الرقم الصحيح هو (١ / ١٥٥) ، وكذا الأمر اذا وقفك (ص ٣٠٢) على تاريخ العتبي (١ / ٢٥٦) فأنت مضطر أن تصحح ذلك لتجعله (١ / ٢٦٠) ، وهكذا دواليك . وثالثة الأثافي الخطأ في الضبط الذي استفاض في الديوان ، يصبح به المرفوع منصوباً أو مجرورا ، ويغدو المنصوب مرفوعا أو مجرورا وهكذا . إنها جناية المطبعة العربية لا يكاد ينجو من براثنها ناج .

أما النهج الذي اتبعه الدكتور الخولي في تحقيق الديوان فقد بيّنه بقوله : « اعتمدت في تحقيق الديوان على نسخة أحمد الثالث الكاملة ، وأشرتُ اليها في التعليقات بالرمز (أ) ، مع الاستئناس بالنسخة الأخرى [نسخة برنستون] وأشرتُ اليها بالرمز (س) ، أما المطبوعة فلم أرمز إليها بشيء ، وقد بينتُ الفروق دائماً بين هذه النسخ الثلاث في هامش الصفحات . ثم نظرتُ بعد ذلك في كتب الأدب المختلفة منذ القرن الرابع الذي عاش فيه البستي حتى القرن الحادي عشر الهجري ، فجمعتُ منها

ماعثرتُ عليه من شعر البستي ، وقد كان من أهم هذه الكتب كتب أبي منصور الثعالبي معاصره وصديقه ، فلم أترك منها مخطوطاً أو مطبوعاً إلا اطلعت عليه . ثم كتب الموسوعات والمجاميع الأدبية والمختارات . وقد أمدتني هذه كلها بقدر كبير من شعر البستي ، فوثقت منها ما كان موجوداً بالديوان ، ووضعت بعضها في أماكنه من المقطوعات الناقصة منه بين معقوفين ، ثم أفردتُ الزائد على ذلك في ملحق خاص في آخر الديوان »[٥٨] .

ويضمُّ الملحق الذي أشار اليه الخولي نحو مئة وخمس واربعين مقطوعة عدتها تقرب من أربع مئةِ بيتٍ لم ترد في نسخ الديوان[٥٩] .

ـ خرّج الدكتور الخولي أبيات الديوان في مصادر التراث وبيّن ما ترجّحت نسبته في هذه المصادر بين البستيّ وسواه من شعراء عصره . وما أكثر ما اختلطت أشعار البستيّ بأشعار أصحابه ممن نهجوا نهجه في التجنيس ولا سيا أبو الفضل الميكالي . وقد عاد المحقق الى نحو من خمسين مصدراً ما بين مطبوع ومخطوط يستعينها في التخريج ، وفي تبيان تلك الأبيات المشتركة النسبة بين البستي وغيره من الشعراء في كتب الأدب[٦٠] . وبديه أن كتب التراث التي ضمّت شعر البستي لاعدّ لها لسعة الخزانة العربية ، فلا يقوى أحد مهما علت همته أن يحيط بها ، أو يتتبع أشعار البستي المنثورة فيها . ومن هنا فاني أرى أن أولّ ما يجب أن يُعنى به جامعُ شعر البستيِّ أن يستقصي ما ورد من أشعاره في الكتب التي تدنو من عصر الشاعر ، فيجعل همَّه ووكده تتبع المصادر الأولى ، ويبذل جهده للاحاطة بها في نطاق المستطاع الممكن ، دون أن يغضّ الطرف عما جاء في الكتب الأخرى التي في طوقه وقدرته أن يعود اليها ، يضم الى ذلك

التعرف الى الكتب التي تفردت برواية أبيات للشاعر ، لا تعضدها في ذلك كتب أخرى ، فهذه لها مكانتها وقيمتها في جمع الشعر وتدوينه .

وقد وفّر الدكتور الخولي لعمله أسباب النجاح « ثم نظرت بعد ذلك في كتب الأدب المختلفة منذ القرن الرابع .... » ، وأسرع فأقول إن ما اطلع عليه الدكتور الخولي من الكتب لجمع أشعار البستي ليس بالقليل ، ولكن ما فاته الاطلاع عليه من الكتب ليس بالشيء القليل ايضا ، فالخزانة العربية أكبر من أن يحاط بها ، (ومن أدمن قرع الباب فتح له) . لا أحب ان أكلف الدكتور الخولي شططا ، فقد تعب وتتبع وقدّم ثمرة جهوده وجنى كدّه ، وهو نتاج طيب يستحقّ عليه كل تقدير . ولكن لاحت لي في أثناء تصفحي الديوان أمور وددت لو خلا منها :

ـ أولها : أن المحقق تعهد أن يضم الى المقطوعات الناقصة ما يجده من تمات ، فيلحقها بها مضمومة بين معقوفين « .... ووضعتُ بعضها في أماكنه من المقطوعات الناقصة فيه بين معقوفين ... » ولكنه لم يقو على الوفاء بما وعد ، فقد أورد الديوان قصيدة أبي الفتح في الاعتبار بوفاة ناصر الدين سبكتكين ، وذكر المحقق ورودها في تاريخ العتبي ، ثم نسي أن يورد بين حاصرتين بيتها الأخير الذي تفرد اليميني بروايته :

[كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهرُ جيلاً فجيلا][٦١]

ـ ثانيها : أخذ المحقق نفسه بشرح ما غمض وايضاح ما غُمَّ والتذكير بأحداث التاريخ وملابساتها[٦٢] ، ولكنه لم يوفق للصواب دائما . ومن أمثلة ذلك :

قوله (ص ٣٠٥) ان الخليفة القادر بالله (الذي تولى الخلافة

مـا بين ٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ) قـد خلع على الأمير محمود بن سبكتكين لقب سيف الـدولـة حين انتصر على الخـارجين على الـدولـة السـامـانيـة سنـة ٣٨٣ هـ ، وقد جعل مرجعه في ذلـك تـاريخ العتبي . وتعود الى تـاريخ العتبي لتجده يفصح إفصاحاً مـا بعده إفصاح ان الامير الرضا نوح بن منصور الساماني هو الـذي لقب الأمير سبكتكين بنـاصر الـدولـة ، ولقب ولده محموداً بسيف الدولـة . أمـا الخليفـة القـادر بـالله فقـد لقب محمود بن سبكتكين بيمين الدولة وأمين الملـة (اليميني ١ : ١٩٣ ، ٣١٧ ، الكامل لابن الأثير ٩ : ٤٢) . بـل ان المحقـق نفسـه كان قـد ذكر في مفتتـح كتـابـه (ص ١٤ ـ ١٥) أن نوح بن منصور هو الذي لقب محموداً بسيف الدولة .

وقوله (ص ٧٦ ، ٢٢٠) : الفارياب بلـدة ببلخ ، وهو أمر غريب ، فالفارياب بلد ، وبلخ بلد ، فـالفـاريـاب مـدينـة مشهورة بخراسان من أعمـال جوزجـان قرب مـدينـة بلخ ، بينهما ست مراحل ، ولا يعقـل ان تكون مدينة الفارياب داخل مدينـة بلخ (معجم البلـدان ـ فـاريـاب ، بلدان الخلافة الشرقية : ٤٦٧ ، ٤٦٨) .

وقولـه (ص ٢٥٣) ان الكمر مفرده أكمر ، وهو تفسير غريب لم يقل بـه أحـد . فـالكمر (محركـة) جمـع مفرده كمرة بهـاء (القـامـوس المحيط ـ كمر) .

وقولـه (ص ٢٦٦) أن ابن سيجور هـو أبـو علي الحسن بن محمـد بن ابراهيم بن سيجـور ، وتعـود الى تـاريـخ العتبي (١ : ٥٠) والى الفتـح الـوهبي (١ : ٢٦٧) ، فتجـد أنـه أبـو علي محمـد بن محمـد بن ابراهيم بن سيجور .

ـ ثالثها : يبدو أن الجذاذات والأوراق قد ازدحمت على المحقق فاضطربت تعليقاته واختلطت ، وأخذ يضع الشيء في غير موضعه ، ويثبت مالا حقيقة له . من ذلك :

قوله (ص ٢٣١ هـ ٥) إن هذه المقطوعة وما بعدها من المقطوعات (ومجموع ذلك خمس مقطوعات) قد سقطت من المطبوعة ونسخة برنستون ، وتعود الى الديوان بطبعته الاولى (ص ١٣ ـ ١٤) لتجد أن ثنتين من هذه المقطوعات قد ثبتتا فيه .

وقوله (ص ٢٦٢ هـ ٣) ان الأبيات في المنتظم ، وتعود الى المنتظم لابن الجوزي فلا تجد شيئا . والبيتان المذكوران قد جاءا في يتيمة الدهر للثعالبي (٤ : ٣٢٦) ، وأسقط المحقق أخاهما البيت الثالث كما ذكرنا آنفا .

ـ ومثل هذا الاضطراب والخلط قد تفشّى في الكتاب كله دراسة وديوانا . يذكر مثلاً نسب البستي (ص ٣٩) ومرجعه فيه وفيات الأعيان ، وتعود لتتحقق فتجد أن ما ساقه من نسب مستمد من طبقات الشافعية للسبكي ووفيات الأعيان معاً ، قد مزج المحقق بينهما على غير علم منه .

وينقل (ص ٣٥٦) ترجمة الداوودي عن العتبي ، وتعود لتتبين أن الترجمة مأخوذة عن يتيمة الدهر للثعالبي (٤ : ٣٤٥)

ويخطئ في تخريج الروايات فينسب (ص ٣٤٤ هـ ٢) لتحفة الوزراء بعض ما جاء في العتبي ، وينسب (ص ٣٥٩ هـ ٢) لليتيمة بعض ما جاء في العتبي .

ويورد (ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥) القصيدة التي مطلعها :

البين بيَّن أشجاني وأشجاني وبلَّ بالدمع أرداني وأرداني

ويذكر أنها لم ترد في المطبوعة ، وكان يحسن ان يكون اكثر دقة فيذكر ان المطبوعة الاولى قد اوردت منها (ص ٨١) بيتيها الأول والثاني فقط .

ويخرّج بيتين (ص ٢٧٢ هـ ٦) في وفيات الأعيان ، وتعود الى الوفيات فلا تجد لهما أثرا .

رابعها : التزم المحقق أن يذكر اسم البحر في رأس كل قصيدة ومقطوعة ونتفة وبيت يتيم ، وهو أمر حسنٌ لابأس به . ولكن يفاجئك المحقّق بخطئه حيناً في تسمية البحر . من ذلك قول البستي (ص ٢٧٦) :

رأي الإمام أبي حنيفة رأيٌ مسالكُه لطيفَهْ
لكنَّ رأي الشافعيِّ (م) نتائجُ السُّنَنِ الحنيفَهْ

فقد جعله المحقق من مخلع البسيط ، وانما هو من مجزوء الكامل .

كذلك فقد اضطرب عليه الأمر حين جعل شطري بيت واحدٍ من بحرين مختلفين ، وهو قولُ البستيّ (ص ١٩٤ ، ٢١٩) :

لم تر عيني كاتباً مثله لكل شيءٍ شأى وشاءَ

فالشطر الأول من السريع ، والثاني من مخلّع البسيط ، ولعل الصواب ما جاء في طبعة الديوان الأولى (ص ٥) :

لم تر عيني كاتباً مثله لكل شيءٍ شاء وشَّاءَ

وهي رواية الوافي بالوفيات ، والأنيس في غرر التجنيس للثعالبي (ص ٤١٤) .

وأورد المحقق (ص ٢٦٩) قول أبي الفتح :

لاتَعْصِيَنْ شمسَ العلا قابوسا
فمن عصى قابوسَ لاقى بوسا

فجعله من البسيط ، والصواب أنه من مشطور السريع أو مشطور الرجز ، أو من تامهما والبيت مصرَّع .

وأورد (ص ٢٨٦) قولَ أبي الفتح :

ماذا عليه لو أباح ريقه
لقلب صبٍّ يشتكي حريقه

وجعله سهواً من مجزوء الرجز .

وأورد (ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩) بيتين جعلهما من السريع :

قل لمنى قلبيَ إسماعيلا أَنْعِمْ بنعم ودع لإسماعي لا
أشعلت حشاي بالجوى تشعيلا فارددْ رمقي فإنَّ صبري عِيلا

وليس البيتان من السريع ، والأول منهما قد حرّفه الناسخ ، ولعلَّ صوابه ما جاء في كتاب الأنيس في غرر التجنيس للثعالبي (ص ٤٥٣) :

قولا لمنى قلبيَ إسماعيلا أَنعِمْ بنَعَمْ أَطَلْتَ إسماعي لا

وقد علّق الأستاذ هلال ناجي محقق الأنيس بأن هذا البيت بهذه الرواية قد جاء ايضا في كتاب لمح الملح للحظيري (الورقة ١٥٢) . فاذا صحّ ذلك ، وأرجو ان يكون صحيحاً بعون الله وتوفيقه ، فإن البيتين رباعية (دو بيت)[٦٣] .

وذكر المحقق قول أبي الفتح (ص ٣٥١ رقم ٦٩) :

لايَسُوأنْكَ إن برا نيَ دَهْرٌ فلم يَرِشْ

فجعله من المجتث ، والصواب أنه من مجزوء الخفيف .

وأورد (ص ٣٦٠ رقم ٩٤) :

ما قضى الله كائنٌ لا محالَهْ والشَّقِيُّ الذميمُ من لام حالَهْ

فجعله من الرجز وهو من الخفيف

ـ خامسها : خرّج المحقّق أبيات الديوان ، وملحق الديوان في المصادر والمراجع التي اجتمعت له ، ولكنه لم يستوف كل ماجاء من أشعار البستي في هذه المصادر ، فأخلَّ بما كان تعهَّد به[٦٤] ، وخالف عن سُنّة التخريج التي تُلزمه باستيفاء جميع ماجاء في المصادر التي اعتمدها ورجع اليها ونقل عنها . والأمثلةُ في هذا الباب كثيرة كثيرة .

لم يخرّج بيتي أبي الفتح (ص ٢٣١) :

إذا دهى خطبٌ فآراؤه تُغْني عن الجيش وتسريبه

وهما في تحفة الوزراء (ص ٦٤) منسوبان لأبي الفتح ، وهما في زهر الآداب (٢ : ٢١٥) منسوبان الى أبي الفضل الميكالي .

أهمل (ص ٢٤١ هـ ٢ ، ص ٢٨٠ هـ ٣) التخريج في زهر الآداب (١ : ١٦٩ ، ١٨٥) .

ولم يخرج البيتين (ص ٢٦٨ هـ ٧) في زهر الآداب وهو من مصادره (ورد البيتان في زهر الآداب ٢ : ٢١٥ ، منسوبين الى أبي الفضل الميكالي) .

ذكر (ص ٢٦٩ هـ ١) أن البيت نسب في تاريخ العتبي الى أبي الفضل الميكالي ، ونسي أن يضم الى ذلك كتاب زهر الآداب (٢ : ٧٧) .

ذكر (ص ٢٧٥ هـ ١) أن الأبيات وردت في خاص الخاص (ص ٣٣) وتجاهل ورودها في خاص الخاص نفسه (ص ١٥٥) .

لم يخرج (ص ٢٧٩ هـ ٤ ، ص ٢٨٢ هـ ٥) في يتيمة الدهر (٤ : ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

أهمل (ص ٣٠١ هـ ١) أن يخرج البيتين في وفيات الأعيان (٦ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

لم يخرج بيتي أبي الفتح (ص ٣١١) :

إذا نَسِيَ النـاسُ إخـوانَهم　　وخـان المـودّة خـوّانُـهـا

وهما في يتيمة الدهر (٤ : ٣٢٠) .

أورد النتفة ٥٢ (ص ٣٤٧) ولم يخرّج بيتها الثاني في تحفة الوزراء وهو من مصادره (ورد البيت في التحفة : ٤٤ ، غير منسوب) .

لم يخرّج المقطوعة ٨٨ (ص ٣٥٨) في زهر الآداب (٤ : ٢٢) .

اورد النتفة ١٠٣ (ص ٣٦٣) ولم يذكر أنها وردت في خاص الخاص (ص ٦٢) .

ـ ثم هو لا يدقّق في التخريج ، فاذا ورد قول أبي الفتح البستي في اليميني وفي شرحه الفتح الوهبي ذكر المحقق الشرح وتناسى الأصل وهو الأهمّ والمقدّم في الذكر لأنه من أقدم المصادر (ص ٢٢٥ ، ٢٥٥ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤) .

ويرد بيتا أبي الفتح البستي في الفتح الوهبي دون اليميني فيسهو المحقق ويخرجها (ص ٢٧١ هـ ٤) في اليميني ، وكذلك بيت أبي الفتح (ص ٢٣٦ هـ ٤) خرجه المحقق في اليميني وهو في الفتح الوهبي وتناسى تخريجه في زهر الآداب (١ : ٣١٥) .

ولئن التزم المنيني أن يعيد في كتاب الفتح الوهبي كل ما جاء في اليميني لأنه شرحه « شرحاً على طريقة الحلّ ، يكون جميعُ المتن فيه مدرجا »[٦٥] ، إني كنت أرجو للمحقق الدكتور الخولي (ولا أُلزمه) ألا يُسقط الفتح حين تعداد المراجع في التخريج ليكون أوضح للناشئة . وليته فعل .

وكان من آثار اهمال استقصاء شعر البستي في المصادر أن فات المحقق شعر لم يرد في الديوان فلم يتح له ضمُّه الى الملحق الذي أفرده في آخر الديوان .

ـ ورد في خاص الخاص (ص ١١٨) بيتان على الراء لم يذكرهما المحقق في قافية الراء (ص ٣٤٤ ـ ٣٥٠) .

ـ وورد في يتيمة الدهر (٤ : ٢٤٩) أبيات على القاف لم يذكرها المحقق في قافية القاف (ص ٣٥٧) ، ولكنه ذكرها في أثناء الدراسة (ص ٧٧) .

ـ وجاء في اليتيمة (٤ ـ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) أبيات على اللام لم يذكرها المحقق في قافية اللام (ص ٣٥٩ ـ ٣٦٤) ولكنه ذكرها أيضا في أثناء الدراسة التي افتتح بها الكتاب (ص ٧٧) .

ـ وجاء في اليتيمة (٤ : ٣٢٢) والأنيس في غرر التجنيس

(ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤) ومعاهد التنصيص (٣ :٢٢٢) ثلاثة أبيات على اللام لم يذكرها المحقق في قافية اللام .

ـ وجاء في الأنيس في غرر التجنيس ، وهو من مصادرْ المحقق (ص ٤١٤ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٦) بيتان على النون ، وثلاثة أبيات على الطاء ، وبيتان على الباء ، وبيتان آخران على النون ، وبيتان على العين ، وبيت على الهاء ، وبيتان على اللام ، وبيتان على الراء ، لم تُذْكر في قوافيها في الملحق .

ـ ولقد بدا لي أن أتتبع مصدراً من مصادر المحقق التي اعتمدها فأتبين نسبة ما خرّجه من أبياته . فاخترتُ كتاب الأنيس في غرر التجنيس للثعالبي ، وهو كتاب قد حققه حديثاً الأستاذ هلال ناجي ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي (مج ٣٣ ج ١ ، ص : ٣٦٩ـ ٤٠١ مقدمة المحقق ، ثم النص ، ص : ٤٠٣ ـ ٤٨٠) . وكان الدكتور الخولي قد اعتمد مخطوطة من مخطوطاته لم يبين رقمها والخزانة المحفوظة فيها . وقد ظهر لي بعد التتبع أن الدكتور الخولي أهمل التخريج في كتاب الانيس في غرر التجنيس في نحو خمسٍ وسبعين مرة ، وأنه استقى منه ست مرات ، خمس منها لم يشر الثعالبي فيها إلى صاحب الأبيات ، وليس لدى الدكتور الخولي مصدر آخر يئل اليه غير الأنيس في غرر التجنيس ، فكيف تأتى له أن يثبت أن هذه الأبيات للبستي ؟ لاأدري ، إلا أن تكون المخطوطة التي استمدّ منها ، ولم يذكر شيئاً عنها ، تخالف المخطوطة المنشورة ببغداد .

ـ سادسها : لا يُعنى المحقق بتصحيح المصحّف والمحرّف من الأبيات ، من مثل قول البستي في الاعتذار (ص ٣٧٣) :

ولقد جمعتُ من العيوب فنونَها فاجمع من العفو الكريم فنونَهُ

فقد صحفت العيوب الى العيون في وفيات الأعيان ، فنقلها المحقق كما جاءت .

ـ كذلك فإنه يورد الرواية الملحونة لا يقف ليصححها كقول أبي الفتح (ص ٢٢٧) :

يا عائبَ الحبرِ والأقلام ما قدحت زنادُ قولِك الا الافك والكذب

والبيت من مقطوعة مكسورة الرويّ ، والرواية الصحيحة جاءت في طبعة الديوان الأولى (ص ١١) :

ياعائبَ الحبرِ والأقلامِ ما قدحت زنادُ قولِك غيرَ الإفكِ والكذبِ

ـ ومثل قول أبي الفتح في العتاب (ص ٢٣٥) :

نسخ المودّة لا بأخرى مثلها نسخ العتاب بسُنَّةٍ لم تثبُتِ

فالعتاب في البيت محرفة عن الكتاب (القرآن الكريم) ، وطالما أفاد ابو الفتح في أشعاره من مصطلح الفقهاء في كتبهم ومن مصطلح سواهم من أرباب العلوم الأخرى ، حتى أصبح ذلك سمةً بارزة من سمات شعره .

ـ ومثل قوله في الحكمة (ص ٢٣٦) :

فلا تعدنّ حديثاً إنْ طبعهم موكّلٌ بمعاداة المعادات

وصحته : (فلا تُعيدَنْ حديثاً) بنون التوكيد الخفيفة .

ـ ومثل قوله (ص ٣٤٥ رقم ٤٦) :

كم مذنبٍ قد ضاقني فقرنته صفحاً وغفرا

نقل المحقق البيت كما جاء في المنتظم (٧ : ٧٣) ، ويبدو لي أن

التصحيف قد زحف الى كلمتين فيه ، صحتهما فيما أرجح (ضافني فقريته) ، ضافني بالفاء بدل القاف ، ومعنى ضافني : نزل بي وصار لي ضيفا ، وقريته ، من القِرَى . يقال : قرى الضيفَ يقريه قِرىً وقَراءً : أضافه .

ـ سابعها : التكرار ، يترجم المحقق لبعض رجالات العصر في موضع ، ثم يتناسى ذلك فيترجم له مرة ثانية ، أو ثانية وثالثة . فقد ترجم لسبكتكين في مطلع كتابه (ص ١٤ ـ ١٦) ثم ترجم له بايجاز في هامش (ص ٢٨٧) ، ثم عاد فترجم له في هامش ص (٢٩٠) .

وترجم للعتبي في هامش (ص ٢٨١) ثم عاد فترجم له في هامش (ص ٢٩١) ، وكان قد ترجم له ترجمة قصيرة في مطلع كتابه (ص ٣٣) .

وترجم لأبي روح ظفر بن عبد الله الهروي (ص ٧٦) ثم ترجم له في هامش (ص٢٨١) ، وحين أراد (ص ٣٥٠ هـ ٢ ، ص ٣٧٧ هـ ١) أن يحيل على موطن ترجمته أخطأت المطبعة في الإحالة .

وترجم لأبي سليمان الخطابي (ص ٧١ ـ ٧٣) ثم ترجم له في هامش (ص ٣١٠) وحين أحال عليه (ص ٣١٢ هـ ٣) خانته المطبعة .

ـ ثامنها : اختلطت أبيات البستيّ بأبيات عصرييه من الشعراء الذين نهجوا نهجه في التجنيس أو قلّدوه ، فلم يُغْفِلْ ذلك المحقق ، وخرّج في حواشيه شطراً طيباً منه . لكنه ، الى ذلك ، قَبِلَ أن يُورد في كتابه كلَّ ما نسب الى البستيّ في الكتب ، وإن كان ظاهر البطلان ، دون أن يشير او يعلّق بكلمة . من ذلك أنه قَبِل ما جاء في المنتحل منسوباً الى البستي (ص ٣٦٩ رقم ١٢٦) :

وكنتَ كذئب السَّوْءِ لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدمِ

وهو من مقلَّدات شعر الفرزدق (طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٣٦٢) .

وأورد بيتين للبستي (ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ رقم ٣٨) استمداداً مما جاء في تحفة الوزراء (ص ٦٥) دون أن يذكر أن هذين البيتين قد وردا ضمن قصيدة دالية طويلة قالها أبو سعيد الرستميّ في مديح الصاحب بن عباد (يتيمة الدهر للثعالبي ٣ : ٣٠٧) .

ـ تاسعها : لم يُعْنَ المحقق بصنع فهارس يختم بها الديوان تكون مفاتيح تهدي المطالع . كان لابدَّ من فهرس للقوافي مرتّب ترتيباً يسهل على مراجعه الاهتداء الى بغيته ، فأكثرُ شعرِ أبي الفتح أبياتٌ مُفْردةٌ ونتفٌ ومقطعاتٌ وتقلُّ فيه القصائد ، مما يعسر فيه على الباحث الوصولُ الى بغيته دون فهرس هادٍ ميسَّر منسوق على القوافي ، مرتب على البحور ، وحركات الرويّ ، وفقاً لما جرى عليه مفهرسو الشعر واطمأنوا اليه[٦٦] . كذلك لابد من فهرس للأعلام الذين عرض لهم ابو الفتح في شعره . وكان يحسن بالمحقق أن يختم الديوان بثبت يضمُّ المراجع والمصادر التي استعان بها في تحقيقه .

● ● ●

وبعد فإن التحقيق الذي قام به الدكتور مُرسي الخولي خطوةٌ جادّة ذلَّل بها كثيراً من العقبات التي كانت تعرض للباحث في شعر أبي الفتح البستيّ ، وما دفعني لتسطير ما سطَّرتُ إلا الرغبة في خدمة العربية والتراث نتعاون جميعاً لنجلو عن وجهها المشرق الوضاء . وما أظن ما سردت من مآخذ إلا هنات هيّنات في جنب ما كابده الأستاذ المحقق حتى ضمن لعمله ما اراده له من النجاح . ولقد فتح الدكتور الخولي البابَ

على مصراعيه لتحقيقٍ أوْفى ، وجَمْعٍ أشمل لما تبدَّد من شعر البستيّ ، ينهض به باحث دائب صبور ، يمضي خطوة أفسح ، فيوسّع مراجعه ومصادره وينوّعها ، ويتهدَّى الى كنوزٍ من شعر البستيّ لم تنشر بُعد ، ولا يتجاهل كتباً من كتب البلاغة والنقد ذات شأن ، تعين الدارس الباحث في كشف آثار ابي الفتح في صنعة الخالفين من الشعراء . ولعل استيفاء التخريج في مصادر القرنين الرابع والخامس الهجريين مما يكشف عن قيمة أبي الفتح في عصره وبعيد عصره ، ومما يفيد في توثيق شعره ، وترجيح نسبة ما اختلط من شعره بأشعار عصرييه . إن ضمَّ المتناثر وجمع المتفرق المتبقي من شعر أبي الفتح البستي في سلك ديوانه أمرٌ ضروريٌّ يحسن التصدي له وإنجازه . وما زلتُ أذكر أني كنت عرضتُ في الماضي لمخطوطة كتاب الدلائل المحفوظة في دار الكتب الظاهرية ووصفتها ، وذكرتُ أن الناسخ قد زَيَّن صفحة العنوان بثلاثة أبيات من شعر أبي الفتح البستي :

يقولون كم تَشْقَى بدرسٍ تُديمه ... وتمعنُ فيه دائباً كل إمعانِ
فقلتُ : ذروني ، انما انا كادحٌ ... لأكمل ذاتي أو لأجبر نقصاني
اذا لم يكن نقصانُ عمري زيادةً ... لِعِلْمي فاني والبهيمة سيَّانِ

ثم علّقتُ في الحاشية بأن الأبيات الثلاثة لم ترد في الديوان (ط بيروت ١٢٩٤ هـ)(٦٧) ، وعدتُ اليوم الى طبعة الديوان الثانية التي حققها الدكتور الخولي فلم أجد الأبيات .

أتمنى ان يكون الديوان في طبعته القادمة أكثر إحاطة ، وأوفى استيعابا ، ينظم في سلكه أشعار أبي الفتح التي تبددت في بطون الكتب المختلفة .

التعليقات

● أردتُ بهذه التعليقات الناشئةَ العربيةَ المحبةَ لأمتها وتراثها ، أفتح لها مغاليق الخزائن العربية النفيسة ، وأدلُّها على المصادر والمراجع ، وآخذ بيدها حتى تمضي في طريق ملحوب . إنها معقد الأمل ومناط الرجاء أن تؤدي أمانة الأجداد فتنشر لهم تراثهم محققاً على خير مايكون التحقيق .

(١) عرفت مصر في المئة الرابعة شاعراً من شعراء الفسطاط هو أبو الفتح بن البيني ، وقد تصحف اسمه في يتيمة الدهر للثعالبي ، وفي العمدة لابن رشيق فأصبح أبا الفتح البستي . انظر المغرب في حلى المغرب لابن سعيد / قسم مصر ١ : ٢٧٢ ، يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، العمدة لابن رشيق ١ : ٢٦٣ .

(٢) هي عند المسعودي : بُسْط بالطاء تارة ، وبُسْت بالتاء تارة (مروج الذهب ١ : ١٩٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢ : ٢٥١ ، ٣ : ٣٣٧ ، ٥ : ١٠٨ ، ١٤٢) .

(٣) هو عند المسعودي : هرمند بالراء المهملة ، وهو نهر بلاد سجستان ، ونهر بسط . انظر كتاب مروج الذهب (بيروت ١٩٦٥ م) ١ : ٢٤٦ ، وكتاب التنبيه والاشراف (القاهرة ١٩٣٨ م) : ٥٠ .

(٤) يرى المنيني شارح اليميني أن قندهار هي قصدار (ويقال قزدار) القديمة (الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي للشيخ المنيني ١ : ٧٢) ، ولعله وهم فيا ذهب إليه . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (قُزْدار ، قُصْدار ، قُنْدهار) ، وكتاب بلدان الخلافة الشرقية لمؤلفه كي لسترنج (الترجمة العربية) : ٣٦٨ ، ٣٧٠ .

(٥) الأنساب للسمعاني (البستي) ، والاكمال لابن ماكولا ١ : ٤٣١ ، ومعجم البلدان لياقوت (بست ، هندمند) ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢١٥ ، ودائرة المعارف لبطرس البستاني (بست) ٥ : ٤١٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٣ : ٦٢٥ ـ ٦٢٦ ، وبلدان الخلافة الشرقية لمؤلفه كي لسترنج (الترجمة العربية) : ٢٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية باللغة الفرنسية) ١ : ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥ ، وقد عدَّد كاتبُ المقالة سورديل تومين في ختامها أبرز المصادر التي يحسن العوْدة إليها في دراسة مدينة بست . ويتردد الدكتور الخولي ، من غير ماسببٍ مقبولٍ ، في تحديد موقع بست فيقول : « بست تقع في بلاد الأفغان الحالية أو قريباً منها » (أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٤٠) .

(٦) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره ، للدكتور محمد مرسي الخولي (بيروت ١٩٨٠ م) : ٣٢٣ ، ولم أجد سنداً يؤيد ماذهب إليه فوك من أن أبا الفتح البستي من أرومة فارسية (دائرة المعارف الإسلامية ـ الطبعة الثانية باللغة الفرنسية ١ : ١٣٨٨) .

(٧) من المصادر والمراجع التي ترجمت لأبي الفتح البستي وروت أخباره والتي ضمَّ جملةً صالحةً منها مقتطفاتٍ من أشعاره ومتخيراتٍ من رسائله وأقواله :

- تاريخ اليميني للعتبي ، وشرحه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي للشيخ المنيني (القاهرة ١٢٨٦ هـ) ١ : ٦٧ ـ ٧٢ .
- يتيمة الدهر للثعالبي (القاهرة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م) ٤ : ٣٠٢ ـ ٣٣٤ .
- تتمة صوان الحكمة (وطبع في دمشق بعنوان تاريخ حكماء الإسلام) للبيهقي (لاهور ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٥ م) : ٣٤ ـ ٣٧ .
- السياق لعبد الغافر (مصورة) : لوح ٦١ .
- الأنساب للسمعاني (بيروت ١٩٨٠ م) ٢ : ٢٠٨ ، ٢١٠ / البستي .
- المنتظم لابن الجوزي (حيدر اباد الدكن ١٣٥٨ هـ) ٧ : ٧٢ ـ ٧٣ / سنة ٣٦٣ هـ .
- الكامل لابن الأثير (القاهرة ١٣٠١ هـ) ٩ : ٩١ / سنة ٤٠٠ هـ .
- معجم البلدان لياقوت الحموي (بست) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ م) ٣ : ٣٧٦ ـ ٣٧٨ .
- الوافي بالوفيات للصفدي (مصورة خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق) مج ٢٢ لوح ٦٣ ـ ٦٥ .
- العبر للذهبي (الكويت ١٩٦١ م) ٣ : ٧٥ ـ ٧٦ .
- المشتبه في الرجال للذهبي (القاهرة ١٩٦٢ م) ١ : ٧٢ .
- توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (مخطوطة دار الكتب الظاهرية) مج ١ ، ق ٥٦ أ .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني (القاهرة ١٩٦٤ م) ١ : ١٤٩ .
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (القاهرة ١٣٢٤ هـ) ٤ : ٤ ـ ٦ .
- طبقات الشافعية للأسنوي (القاهرة ١٣٩٠ هـ) ١ : ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

- مرآة الجنان لليافعي (حيدر اباد الدكن ١٣٣٨) ٢ : ٤٥٣ .

- روضات الجنات للخوانساري (قمّ ١٣٩٢ هـ) ٥ : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

- المختصر من أخبار البشر لأبي الفداء (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ٢ : ١٣٩ / سنة ٤٠٠ هـ .

- البداية والنهاية لابن كثير (سنة ٣٦٣ هـ ، سنة ٤٠١ هـ) ١١ : ٢٧٨ ، ٣٤٥ .

- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (سنة ٣٦٣ هـ ، سنة ٤٠١ هـ) ٤ : ١٠٦ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

- حياة الحيوان الكبرى للدميري (القاهرة) ١ : ٢٥٤ - ٢٥٧ .

- مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (حيدر اباد دكن الهند ١٣٢٨ هـ) ١ : ٢٢٩ - ٢٣٠ .

- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (القاهرة ١٩٤٧ م) ٣ : ٢١٢ - ٢٢٣ .

- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (سنة ٤٠٠ هـ) ٣ : ١٥٩ - ١٦٠ .

- كشف الظنون لحاجي خليفة (ط استانبول) ١ : ٧٧٢ ، ٢ : ١٣٣٦ ، ١٦٢٦ .

- هدية العارفين لاسماعيل البغدادي (ط استانبول) ١ : ٦٨٥ .

- دائرة المعارف لبطرس البستاني (ط ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م) ٢ : ٢٩٢ - ٢٩٦ .

- دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٣ : ٦٢٩ - ٦٣٠ .

- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ٢ : ١٨٦ .

- معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ١ : ٥٦٤ .

- الأعلام للزركلي (ط ٣) ٥ : ١٤٤ ، (ط ٤) ٤ : ٣٢٦ .

- تاريخ الأدب العربي لبركلمن ١ : ٢٩١ - ٢٩٢ ، الذيل ١ : ٤٤٥ ، (الترجمة العربية) ٥ : ٢٣ - ٢٥ .

- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (دمشق ١٩٥٩ م) ٧ : ١٨٦ .

- دائرة المعارف بادارة فؤاد أفرام البستاني (بيروت ١٩٦٤ م) ٥ : ٢٢ - ٢٤ .

- دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية باللغة الفرنسية) ١ : ١٣٨٨ - ١٣٨٩ .

- أبو الفتح البستي ، حياته وشعره للدكتور محمد مرسي الخولي (بيروت ١٩٨٠ م) .

- أبو الفتح البستي لمحمد الخولي (مجلة العربي بالكويت / تشرين الثاني ١٩٧١ م ، العدد ١٥٦ ، ص : ١٤٣ - ١٤٧) .
- أبو الفتح علي بن محمد البستي لدرية الخطيب ولطفي الصقال (مجلة التراث العربي بدمشق / تشرين الأول ١٩٨٢ ، العدد ٩ ، ص : ١٦٥ - ١٧٧) .
- وله ترجمة صغيرة في الموسوعة العربية الميسرة : ٣٧١ ، وأصغر منها في المنجد (الأعلام) : ١٣٢ ،

وانظر بقية المراجع في تتمة صوان الحكمة للبيهقي ، وطبقات الشافعية للأسنوي وتاريخ الأدب العربي لبركلمن ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية باللغة الفرنسية) ومقالة مجلة التراث العربي .

(٨) سيمر بك في التعليق رقم (٦٠) أبرز المصادر التي تخيرت من أشعار أبي الفتح البستي .

(٩) لم يذكر أحدٌ سنة ولادة أبي الفتح البستي ، ولكن قراءته على أبي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفّى عام ٣٥٤ هـ ترجح ألا تتجاوز ولادته العقد الرابع من القرن الرابع .

(١٠) تجد ترجمة أبي حاتم محمد بن حبان البستي في معجم البلدان لياقوت الحموي (بست) ، والأنساب للسمعاني (البستي) ٢ : ٢٠٩ - ٢١٠ ، واللباب لابن الأثير (البستي) ١ : ١٥١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٩٢٠ - ٩٢٤ ، ولسان الميزان ٥ : ١١٢ - ١١٥ ، وانظر بقية مصادره في معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ١ : ٥٦٣ - ٥٦٤ ، والأعلام للزركلي ٦ : ٧٨ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩ : ١٧٣ - ١٧٤ .

(١١) الأنساب للسمعاني ٢ : ٢١٠ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ : ٤ ، معجم البلدان لياقوت (بست / ط ليبزيغ ١٨٦٦ م) ١ : ٦١٢ ، الوافي بالوفيات للصفدي مج ٢٢ لوح ٦٣ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٨ ، وعليٌّ بن عبد العزيز من تلاميذ أبي عبيد القاسم بن سلام ، تجد ترجمته في طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٠٧ ، ومعجم الأدباء ١٤ : ١١ - ١٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٦٢٢ - ٦٢٣ ، وانظر بقية مصادره في إنباه الرواة للقفطي ٢ : ٢٩٢ ، وكتاب الأعلام للزركلي (ط ٤) ٤ : ٣٠٠ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ : ١٢٤ .

(١٢) اليميني على هامش الفتح الوهبي ٢ : ٧٠ - ٧١ ، يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٠٢ ، الأنساب للسمعاني ٢ : ٢١٠ ، المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٧٢ ، طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٤ ، طبقات الشافعية للأسنوي ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢١٣ ، كشف الظنون ٢ : ١٦٢٦ ، هدية العارفين ١ : ٦٨٥ .

(١٣) الأنساب للسمعاني ٢ : ٢١٠ ، طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٤ .

(١٤) طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٤ ، معجم البلدان (بست) ، وتجد ترجمة الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله) ومراجعها في طبقات الشافعية ٣ : ٦٤ ـ ٧٢ ، وفي الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٧ ، وتجد ترجمة أبي عثمان الصابوني (اسماعيل بن عبد الرحمن) في طبقات الشافعية ٣ : ١١٧ ـ ١٢٩ .

(١٥) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٤٨ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤١٦ (مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٣ ، ج ١) .

(١٦) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٣٦٢ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٥ .

(١٧) يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٢ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢١٣ .

(١٨) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٤١ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٠ ، زهر الآداب ١ : ١٦٩ ، وانظر في اليتيمة (٤ : ٣٢٠) وكتاب أبو الفتح البستي ، حياته وشعره (ص : ٢٧٥ ، ٣١١) أبياتاً أخرى مدح بها البستيُّ صديقه الثعالبي .

(١٩) طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٥ ، وتجد ترجمة أبي سليمان الخطابي ومراجعها في مقدمة كتاب غريب الحديث للخطابي (دمشق ١٩٨٢ م) ١ : ٨ ـ ٤٥ ، ومجلة معهد المخطوطات (الكويت) مج ٢٦ ، ج ٢ ، ص : ٧٢٥ ـ ٧٢٩ ، والأعلام للزركلي ٢ : ٢٧٣ .

(٢٠) يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٢٠ ـ ٣٢١ ، أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٩١ ، وتجد ترجمة العتبي (محمد بن عبد الجبار) في يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٩٧ ـ ٤٠٦ ، والأعلام للزركلي (ط ٤) ٦ : ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ١٢٦ ، وقد عرض الدكتور الخولي في دراسته لذكر طائفة من أصدقاء الشاعر ومحبيه (أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٧٠ ـ ٨٢) .

(٢١) خاص الخاص للثعالبي : ١٦٩ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٤٨ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤١٥ ، وانظر ترجمة أبي روح ظفر بن عبد الله الهروي في يتيمة الدهر ٤ : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

(٢٢) ويقول الثعالبي في ترجمة أبي الفتح : « أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه »

(يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٢) . وقد عُني علماء البلاغة المتأخرون ببيان مختلف أنواع التجنيس ، فقسموا الجناس خمسة أقسام ، أولها : الجناس التام : وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وفي أعدادها وفي هيآتها وفي ترتيبها ، فإن كان اللفظان من نوع واحد من أنواع الكلمة : اسمين أو فعلين أو حرفين سمي الجناس مماثلاً ، وإن كان اللفظان من نوعين من أنواع الكلمة : اسم وفعل ، أو اسم وحرف ، أو فعل وحرف سمي الجناس مستوفى . ثم قسم البلاغيون الجناس التام تقسيماً آخر ، وهو انه إن كان أحد لفظيه مركباً والآخر مفرداً سمي جناس التركيب ، فان اتفق اللفظان المفرد والمركب في الخطّ خُصّ هذا النوع من جناس التركيب باسم المتشابه لاتفاق اللفظين في الكتابة كقول أبي الفتح البستي :

إذا ملك لم يكن ذا هبه ... فدعه فدولته ذاهبه

وإن لم يتفق اللفظان المفرد والمركب في الخط خُصّ هذا النوع من جناس التركيب باسم المفروق لافتراق اللفظين في صورة الكتابة ، كقول أبي الفتح البستي :

كلكم قد أخذ الجا ... مَ ولاجامَ لنا

ما الذي ضرّ مدير الـ ... جام لو جاملنا

(تهذيب الإيضاح للأستاذ عز الدين التنوخي ١ : ٢٣٨ ـ ٢٤١ ، شروح التلخيص : مختصر السعد ومواهب الفتاح وعروس الأفراح ٤ : ٤١٢ ـ ٤١٩) .

(٢٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٧ ، وقد تحدث الدكتور الخولي عن طريقة أبي الفتح البديعية (أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ١٦١ ـ ١٩٦) .

(٢٤) تتمة اليتيمة للثعالبي ٢ : ٢٠ .

(٢٥) اليميني على هامش الفتح الوهبي ١ : ٦٤ ـ ٧١ ، يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، الكامل لابن الأثير ٨ : ٢٧٢ ، طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ١٤ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٢٦) اليميني على هامش الفتح الوهبي ١ : ٧١ ، يتيمة الدهر لثعالبي ٤ : ٣٠٤ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢١٤ ، قال المنيني شارح اليميني (الفتح الوهبي ١ : ٧١) : « الوشائع : جمع وشيعة وهي لفيفة من غزل . وفي التركيب [ينسج بعباراته وشائع فتوحه ومقاماته] استعارةٌ بالكناية وتخييلٌ وترشيح » .

(٢٧) اليميني على هامش الفتح الوهبي ١ : ٧١ ، يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٠٤ ، تتمة صوان الحكمة للبيهقي : ٣٥ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٢٨) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٣٧٣ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، شذرات الذهب ٣ : ١٦٠ .

(٢٩) جاء في طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ١٣ « إن مصطلح الدول أن السلطان مَنْ مَلَكَ إقليمين فصاعدا ، فإن كان لايملك إلا إقليماً واحداً سمي بالملك ، وإن اقتصر على مدينة واحدة لا يسمى لا بالملك ولا بالسلطان بل بأمير البلد وصاحبها ... » .

(٣٠) اليميني على هامش الفتح الوهبي ١ : ٧١ ـ ٧٢ ، يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٣٠٤ ، معاهد التنصيص ٣ : ٢١٥ .

(٣١) تتمة صوان الحكمة : ٣٥ ـ ٣٦ ، والخاقانية : ملوك الترك . قال ابن نظيف الحموي في التاريخ المنصوري (موسكو ١٩٦٠) : ١٤ « وقد كان للترك ملوك يقال لهم الخاقانية ، وللديلم ملوك يقال لهم الكيانية ، وللأنباط ملوك يقال لهم النماردة ، وللروم ملوك يقال لهم القياصرة ، وللفرس ملوك يقال لهم الأكاسرة ، وللأقباط ملوك يقال لهم الفراعنة » . وروى المسعوديُّ من قصيدة (مروج الذهب ١ : ١٩٠) :

في الفرس كسرى وفي الروم القياصرُ والـ حبشِ النجاشيُّ والأتراكِ خاقانُ

(٣٢) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٣٤٢ ، معجم البلدان لياقوت الحموي (سمرقند) .

الحنظل : الشجر المرُّ . القند (بفتح القاف وسكون النون) : عسل قصب السكّر اذا جُمِّد .

ـ وسمرقند : بلد معروف مشهور في بلاد ماوراء النهر ، وهو قصبة الصُّغْد (معجم البلدان لياقوت الحموي ـ سمرقند) . واقليم الصغد يقع مابين سيحون وجيحون وفيه المدينتان الجليلتان : سمرقند وبخارى ، وهما على نهر الصغد . وكان نهر جيحون في القديم الحدّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والأقوام الناطقة بالتركية ، وتسمى البلاد التي وراءه : ماوراء النهر . ومن الأدقّ أن يُعَدَّ الصغد اسماً للرساتيق المحيطة بسمرقند ، وكان من الخصب واليسار والازدهار ماجعل الجغرافيين والرحالة العرب يعدُّونه واحداً من جنات الدنيا الأربع . وقد فصّل كي لسترنج القول في سمرقند وموقعها وصُغْدها (الفتح الوهبي ٢ : ٢١٦ ، ٢٢٠ ، بلدان الخلافة الشرقية / الترجمة العربية ٢٢ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ـ ٥٠٨) . وسمرقند اليوم في جمهورية اوزبكستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي .

ـ وبلخ : مدينة مشهورة من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة (معجم البلدان ـ بلخ ، الفتح الوهبي ٢ : ٢١٦) ، وكان اقليم خراسان في أيام العرب ينقسم إلى أربعة أرباع ، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة

عواصم للاقليم منفردة حينا ، ومجتمعة حينا ، وهذه المدن هي : نيسابور ومرو وهراة وبلخ ، وقد فصل كي لسترانج القول في بلخ ومكانتها وربضها (بلدان الخلافة الشرقية / الترجمة العربية : ٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٦٢ ـ ٤٦٤) . وكان يقال : أخرجت بلخ أربعة من الأفراد : أبا القاسم الكعبي في علم الكلام ، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف ، وسهل بن الحسن في شعر الفارسية ، ومحمد بن موسى في شعر العربية (يتيمة الدهر ٤ : ٨٥ ـ ٨٦) . وبلخ اليوم في شمالي جمهورية افغانستان .

ـ يفضّل أبو الفتح البستي في بيتيه ديار الترك التي يحكمها ايلك خان (ورمز إليها بسمرقند) على ديار خراسان التي يحكمها محمود الغزنوي (ورمز إليها ببلخ) .

(٣٣) اليميني على هامش الفتح الوهبي ٢ : ٦٦ ـ ٧١ ، الكامل لابن الأثير ٩ : ٧٧ ، تاريخ أبي الفداء (القاهرة ١٣٢٥ هـ) ٢ : ١٣٧ ، أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

وجاء لفظ (بهاطية) في رسالة لبديع الزمان الهمذاني (بهاضية) بالضاد المعجمة ، انظر رسائل ابي الفضل بديع الزمان (القاهرة ١٩٢٨ م) : ١٢ .

(٣٤) اليميني على هامش الفتح الوهبي ٢ : ٧٦ ـ ٩٤ ، ٢١٥ ـ ٢١٩ ، الكامل لابن الأثير ٩ : ٧٨ ـ ٨٠ .

(٣٥) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٣٣ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٧ ، ٣٣٠ .

(٣٦) اليميني على هامش الفتح الوهبي ١ : ٧١ ـ ٧٢ ، الفتح الوهبي ١ : ٧٢ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٤ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٣٧٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٤ : ٤ ، الأنساب للسمعاني ٢ : ٢١٠ ، المشتبه للذهبي ١ : ٧٢ ، توضيح المشتبه لابن ناصر الدين مج ١ ق ٥٦ أ ، شذرات الذهب ٣ : ١٥٩ ، هدية العارفين ١ : ٦٨٥ .

ـ وبخارى : مدينة من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلّها ، وكانت قاعدة ملك السامانية حتى طفئت شعلة دولة آل سامان بما وراء النهر وأطراف خراسان سنة ٣٨٩ هـ (معجم البلدان ـ بخارى ، اليميني على هامش الفتح الوهبي ١ : ٣١٨ ـ ٣٢٠ ، ٣٤٧ ـ ٣٥٠) . وكانت بخارى واختها سمرقند قصبتي اقليم الصغد ، أجل أقاليم ماوراء النهر الخمسة ، وقد ذكر بخارى وأبان عن مكانتها كي لسترانج في كتابه بلدان الخلافة الشرقية (الترجمة العربية) : ٢٢ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣ ـ ٥٠٦ ، وتقع بخارى اليوم في جمهورية اوزبكستان .

ـ وأُوزكند (بضم الهمزة وسكون الواو والزاي) ، ويقال : أُوزجند ، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة (معجم البلدان ـ اوزكند) ، وكانت قاعدة ملك ايلك خان (الفتح الوهبي ١ : ٧٢ ، ٣٢٠ ، ٣٤٥) ، ويقول كي لسترنج : إن مدينة اوزكند هي آخر مدن فرغانة

شرقا . وفرغانة اقليم في أعلى نهر سيحون (عرف في الآزمنة الأخيرة بخانية خوقند ، ثم أعادت إليه حكومة الاتحاد السوفييتي اسمه القديم : فرغانة) (بلدان الخلافة الشرقية / الترجمة العربية : ٤٧٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٣١) .

(٣٧) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٤٣ ، ٢٢٣ .

(٣٨) أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٤٣ ، ٢٧٢ ـ ٢٧٣ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٩ .

(٣٩) معجم البلدان (بست) .

(٤٠) السياق لعبد الغافر (مصورة) : لوح ٦١ ، الأنساب للسمعاني ٢ : ٢١٠ .

(٤١) المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٧٢ .

(٤٢) وفيات الأعيان ٣ : ٣٧٨ ، ونسبُ أبي الفتح البستي الذي أورده ابن خلكان نقلاً من أول ديوانه جاء مماثلاً لما ذكره ياقوت في معجم البلدان (بست) قال : « وأبو الفتح علي بن محمد ويقال ابن أحمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز البستي الشاعر الكاتب صاحب التجنيس » . أما السبكي في طبقات الشافعية ٤ : ٤ فقد خالف بعض المخالفة في سرد الأسماء قال : « علي بن محمد ، وقيل علي بن أحمد ، ثم قيل : اسم جده حسين بن يوسف بن عبد العزيز . وقيل : الحسن » .

(٤٣) البداية والنهاية ١١ : ٢٧٨ .

(٤٤) دمية القصر للباخرزي (تح محمد التونجي) ١ : ٣٢٤ هـ ١ ، ٣ : ١٧٤٥ ، ويقول بركلمن : « وقد نظم [البستي] بلغته الفارسية إلى جانب العربية » (تاريخ الأدب العربي / الترجمة العربية ٥ : ٢٣) . وروى الثعالبي في الأنيس في غرر التجنيس : ٤٧٩ ، بيتاً للبستي ملمعاً . والتَلميعُ : جنس من التجنيس مركّب من الفارسية والعربية .

(٤٥) ذكر الصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة ان للثعالبي كتاباً بعنوان « الطرف من شعر البستي » ، انظر مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٣٣ ج ١ : ٣٩٣ (كانون الثاني ١٩٨٢ م) .

(٤٦) تجد ترجمة ابراهيم بن علي الأحدب ومراجعها في كتاب الأعلام للزركلي ١ : ٥٥

(٤٧) جاء اسم الشاعر ونسبه على غلاف الديوان المطبوع باسقاط اسم أبيه : « ديوان البليغ المنشىء الكاتب الأديب أبي الفتح علي بن الحسين بن عبد العزيز البستي » . وجاء في مطلع طبعة الديوان الثانية : « قال ابو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن عبد العزيز البستيّ

الكاتب » (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١٧) . وانظر فهرس المخطوطات المصورة (القاهرة ١٩٥٤) ١ : ٤٥٥ ، رقم ٢٧٦ .

(٤٨) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١١ ـ ٢١٢ ، وقد بيّن الدكتور الخولي ايضاً أن مخطوطة الديوان التي ذكر بركلمن أنها في دار الكُتب الظاهرية بدمشق ليست إلا النسخة المطبوعة ببيروت ، أهداها الى الظاهرية السيد عبد القادر القباني ، وكان قد أخطأ طابعو سجلّ المكتبة العمومية (دار الكتب الظاهرية الآن) ، وكان سجلا يضمُّ الكتب المخطوطة والمطبوعة معاً ، فأثبتوا أن الكتاب المذكور مخطوط بدل ان يثبتوا أنه مطبوع ، فتابعهم بركلمن في الخطأ . انظر : تاريخ الأدب العربي لبركلمن (الترجمة العربية) ٥ : ٢٤ ، سجل المكتبة العمومية بدمشق (طبع بمطبعة الجمعية الخيرية بدمشق الشام ١٢٩٩) : ٩٢ رقم ٣٨ ، أبو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٤٩) للعروضيين أقوال في أسماء الجملة من الأبيات . يقول ابن رشيق : « اذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة .... ومن الناس من لا يعدّ القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد ، ويستحسنون أن تكون القصيدة وترا ، وأن يتجاوز بها العقد أو توقف دونه .... » (العمدة ١ : ١٦٤) . وقال الدمنهوري : « ومقدار القصيدة سبعة أبيات فما فوقها ، ومقدار القطعة ثلاثة أبيات فما فوقها الى السبعة ، وهذا مارجحه ابن واصل فيهما . وقيل : أقل القصيدة ثلاثة أبيات ، وقيل عشرة ، وقيل أحد عشر ، وقيل ستة عشر ، وقيل عشرون . والقطعة مادون القصيدة على كل قول فيها » (حاشية الدمنهوري على متن الكافي : ٨٣) . وعدّد الصبان الأقوال المذكورة في القصيدة ورجح مارجحه ابن واصل (شرح الصبان على منظومته : ٢٥) ، ورووا عن الفراء أن العرب تسمي البيت الواحد يتيما ، والبيتين والثلاثة نُتْفة (شرح الصبان : ٢٥ ، حاشية الدمنهوري : ٨٣) . وفي عبارة الثعالبي مايشعر أن النُتفة عنده قد تزيد على ثلاثة أبيات (يتيمة الدهر ٤ : ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٩٣ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٤٠٧ ، ٤٢١ ، ٤٣٦) .

(٥٠) جاء في ديوان أبي الفتح البستي (ص : ٥١ ـ ٥٢) بيتان وبيت ، والثلاثة هي مقطوعة في الديوان الجديد (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره للدكتور محمد مرسي الخولي : ٢٨١) ، كذلك جاء في الديوان (ص : ٦٤ ، ٦٥) نتفتان على قافية اللام ، ولكنهما وردتا مقطوعة واحدة في الديوان الذي حققه الدكتور الخولي (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ . وروى الديوان بطبعتيه بيتين في قافية الدال (ط١) : ٢٢ ، (ط٢) : ٢٤٤ ، ثم كررهما في قافية الميم (ط١) : ٦٨ ، (ط٢) : ٣٠٢ ، وقد اشار الدكتور الخولي الى هذا التكرار . وروى الديوان في قافية الراء (ط٢) : ٢٥٤ ، أربعة أبيات ، ثم أعادها في قافية الياء (ط٢) : ٣٢٩ .

(٥١) الأعلام ٤ : ٣٢٦ .

(٥٢) تجد نبذة عن الدكتور محمد مرسي الخولي في مجلة عالم الكتب مج ٣ ، ع ٢ (تموز ١٩٨٢ م) : ٣٠٣ .

(٥٣) هناك مقطوعة سقطت من نسخة أحمد الثالث فاستدركها المحقق من ديوان أبي الفتح بطبعته الأولى (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

(٥٤) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١٠ .

(٥٥) في البيت الثاني من المقطوعة نظر .

(٥٦) لعل في البيت تحريفا .

(٥٧) أوجب ابن رشيق في (باب أحكام القوافي في الخط) أن تحذف ياء كافٍ في الخط ولا تثبت اذا كانت وصلاً للقافية . قال : « .... فأما ما يكون منوّنا نحو قاضٍ وغازٍ ، أو مجزوماً نحو لم يقضِ ولم يغزُ فلا يجوز ان يثبت فيهما الياء والواو على المسامحة ، لانها سقطا بالتنوين والعامل .... » (العمدة ٢ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

(٥٨) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١٣ ، وتجد وصف نسختي ديوان أبي الفتح البستي المخطوطتين : نسخة برنستون ونسخة أحمد الثالث في (ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١١ ـ ٢١٣) ، كما تجد وصف نسخة أحمد الثالث المخطوطة في فهرس المخطوطات المصورة (القاهرة ١٩٥٤ م) ١ : ٤٥٥ رقم ٢٧٦ .

(٥٩) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١٠ ، وقد رقم الدكتور الخولي المقطعات التي أضافها فبلغ بها ثلاثاً وخمسين ومئة مقطعة ، أما عدة أبياتها فسبعة وستون وثلاث مئة بيت ، لابد أن نسقط منها النتفة (رقم ٤٥ ص ٢٤٥) لأنها جاءت في أصل الديوان (ص ٢٥٢) .

(٦٠) المؤلفات المخطوطة والمطبوعة التي عاد اليها الدكتور الخولي لتخريج أشعار البستي هي : الآداب ، أسرار البلاغة ، أجناس التجنيس ، الاقتباس من القرآن ، الأمثال ، الايجاز والاعجاز (الاعجاز والايجاز) ، البداية والنهاية ، برد الأكباد في الاعداد ، بلوغ الأرب للسجاعي ، بهجة المجالس ، تحرير التحبير ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، التحفة البهية ، تحفة الوزراء ، التمثيل والمحاضرة ، ثمار القلوب ، حماسة الظرفاء ، حياة الحيوان ، خاص الخاص ، روضات الجنات ، زهر الآداب ، سلافة العصر ، شفاء الغليل ، طبقات الشافعية للسبكي ، طراز المجالس ، الطرائف ، غرر التجنيس ، الفتح الوهبي ، كنايات الثعالبي ، كنايات الجرجاني ، اللآلىء والدرر ، لسان الميزان ، لطائف المعارف ، اللطف واللطائف ، مجاني الأدب ، مجمع الأمثال ، مجموع شعري مخطوط بجامعة تونس ، معاهد التنصيص ، المنتحل ، المنتظم ، من غاب عنه المطرب ، نثر النظم ، النجوم الزاهرة ، نهاية الأرب ، الوافي بالوفيات ، وفيات الأعيان ، يتيمة الدهر ، اليميني .

(٦١) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢٩٠ .

(٦٢) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٦٣) سأفرد كلمة خاصة أتحدث فيها عن الدوبيت (الرباعي) وأوزانه .

(٦٤) ابو الفتح البستي ، حياته وشعره : ٢١٣ .

(٦٥) الفتح الوهبي ١ : ٣ .

(٦٦) انظر الطريقة التي ارتضاها الاستاذ احمد راتب النفاخ في فهرسة شواهد سيبويه (فهرس شواهد سيبويه : ٧ ـ ٨) .

(٦٧) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥١ ، ص ٢٣٤ .

شاكر الفحام

الفراسة عند العرب
القسم الرابع

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

الفراسة عند الجاحظ (ـ ٢٥٥)

قد يكون من الضروري والمفيد أن أستقدم الكلام في الفراسة عند الجاحظ ببضع ملاحظات :

الأولى أن من يتقدم إلى الجاحظ يبتغي دراسة جانب من جوانب أدبه تتلقاه صعوبتان : أولاهما اتساع علمه المستخرج من الكتب وغنى تجربته المستخلصة من الحياة والناس . وثانيتهما طريقته في التأليف إذ يختلط عنده كل شيء بكل شيء . فيجد لذلك من يريد أن يدرس جانباً منه أن عليه أن يدرس مؤلفاته جميعاً أو أن يستعرضها على الأقل بشيء كثير من الأناة .

الثانية أن ما ورد في كتابات الجاحظ مما يدخل في الفراسة لم ينصّ دائماً أنه داخل فيها . ولست أرى بأساً في ذلك . فما كتبه أبقراط مثلاً والأطباء من بعده من يونان وعرب مما يدخل في الفراسة لم ينصّوا هم أيضاً أنه منها ولكنه كان منها وعُدَّ منها وأدخل في علم الفراسة .

الثالثة أن كثيراً من الأقوال في الفراسة الواردة في مؤلفاته ليست له بل هو ينقلها عن غيره . وما من بأس ههنا أيضاً . فإذ لم ينكرها أو

ينقدها فقد أصبحت من معلوماته ، ويمكن إلا في حالات خاصة أن تُعد أقوالاً له قد ارتضاها .

ثم إن الحوادث والأقوال والآراء في الفراسة جاءت منثورة في كتبه ورسائله ، فكان لا بد من جمعها وترتيبها وتبويبها ، وقد فعلت متبعاً في التصنيف خطة تشبه إلى حد ما خطة الفخر الرازي في كتابه « علم الفراسة » :

الفراسة وحدودها

وردت كلمات « فراسة وتفرس ومتفرس .. » كثيراً في كتابات الجاحظ ، ولكن مدلولاتها كانت تختلف سعة وضيقاً من موضع إلى موضع فيها :

فقد استعملها بمعنى الكشف عن الطباع الثابتة ، وهو في الحقيقة الموضوع الأصلي والمركزي لعلم الفراسة :

قال :[٨٦] « فلما حزتُ المؤانسة .. أردت خبرة المشاهدة ، **فبلوت أخلاقك وامتحنت شيمك وعجمت مذاهبك على حين غفلاتك وفي الأوقات التي يقل فيها تحفظك ، أراعي حركاتك وأراقب مخارج أمرك ونهيك** ، فأرى من استصغارك لعظيم النعم التي تنعم بها واستكثارك لقليل الشكر من شاكريك ، ماأعرف به وبما قد بلوت من غيرك وماقد شهدت لي به التجارب ، **أن ذلك منك طبع غير تكلف .. »**

وقال :[٨٧] « وأنا أظن أن الذنب مقسوم بينك وبين وكلائك . فارجع إلى نفسك فلعلك أن ترى أنك إنما أتيت من قبل الفراسة ...

ذلك حيلة منه ودهاء قدمه أمام ما يريد أن يؤكد لنفسه ويوطد لها من قبول القول في سائر ما يرد عليه من الكتب ... ويجعل ما تقدم له من الرجوع عن قوله عندما تبين له خلاف ما قال أوثق أسباب عدالته وأحكم عرى نصفته ...

« وإنما البلية في غيبة حذّاق المغتابين الذين يسمعون فيضحكون ولا يتكلمون ... وأحذق منهم الذين يستمعون ويُسكتون القائل ويدعون الله بالصلاح للمقول فيه . فهم قد أسكتوا القائل المغتاب ودعوا للمقول فيه وأوكدوا قول القائل .. »

وتوسع الجاحظ بمعنى الفراسة إلى حدود أبعد حتى أصبحت تدل على التبصر في الأمور وتفهم المواقف واستقراء الحوادث والكشف عما وراءها :

ذكر عن خالد بن برمك أنه[91] « بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة (بن شبيب الطائي صاحب أبي مسلم) وهم يتغدون ، وذلك في بعض منازلهم حين فصلوا من خراسان إلى الجبل ... وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال ... وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علّقوا على دوابهم ونصبوا قدورهم وقرّبوا سُفَرهم ... فنظر خالد إلى الصحراء فرأى أقاطيع الظباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر . فقال لقحطبة : أيها الأمير ناد في الناس : ياخيل الله اركبي ، فإن العدو قد حث إليك السير وعامة أصحابك لن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل . فقام قحطبة مذعوراً فلما لم ير شيئاً يروعه ولم ير غباراً قال لخالد : ماهذا الرأي ؟ قال : أيها الأمير لا تتشاغل بي وبكلامي وناد في الناس ، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت حتى خالطت الناس ؟ إن وراءها جمعاً عظيماً ... فوالله ما ألجموا

وأسرجوا حتى رأوا ساطع الغبار ، ولا تلبّسوا وتسلحوا حتى رأوا الطليعة ، فما التأموا حتى استوى أصحاب قحطبة على ظهور خيولهم . ولولا نظرة خالد بن برمك وفراسته لقد كان ذلك الجيش العظيم اصطلم » .

ويدعو الجاحظ أنواع الفراسة الثلاثة هذه « العلم بالغائب » ويعرفه التعريف التالي(٩٢) : **« فأما العلم بما غاب مما لا يدركه أحد بعيان ، مثل سرائر القلوب وماأشبهها ، فإنما يدرك علمها بآثار أفاعيلها وبالغالب من أمورها ... وأول العلم بكل غائب الظنون ، والظنون إنما تقع في القلوب بالدلائل ، فكلما زاد الدليل قوي الظن حتى ينتهي إلى غاية تزول معها الشكوك عن القلوب ... »**

وقال :(٩٣) « وقال أوس بن حجر :

مليح نجيح أخو مأزق نقاب يحدث بالغائب »

ولكن الجاحظ يدخل في الفراسة أيضاً « الفراسة في الحيوان » . ففي مواضع كثيرة من كتاب « الحيوان » ومن كتبه الأخرى يسرد الصفات التي يجب أن تتوفر في الأنواع المختلفة من الحيوان ليكون الحيوان أقوى قوة أو أسرع عدواً أو أهدى إلى غاية أو أصبر على المشاق أو أجمل شكلا الخ .. ويذكر أحياناً الطرق والأساليب التي تعرف بها هذه الصفات :

قال :(٩٤) « قال (أفليمون صاحب الفراسة) : جماع الفراسة (في الحمام) لا يخرج من أربعة أوجه : أولها التقطيع والثاني المجسّة والثالث الشمائل والرابع الحركة :

« فالتقطيع : ... الخ »

وقـال :[٩٥] « الأصمعي قـال : قـال ابن أقيصر* : خير الخيـل إذا استدبرته جنا وإذا استقبلته أقعى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا ردى دحا .

« ونظر ابن أقيصر إلى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فأشار إلى فرس منها فقال : تجيء هذه سابقة ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتها مشت فكتفت وخبَّت فوجفت وعدت فنسفت »

فما مكان تلك العلوم العشرة أو الأحد عشر الملحقة بعلم الفراسة من علم الفراسة عند الجاحظ ؟

جاء في كتاب الحيوان تحت عنوان « باب آخر يدّعونه للفأر »[٩٦] « وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفراسة في قرض الفأر كما ينظر بعضهم في الخيلان وفي الأكتاف وفي أسرار الكف : ويزعمون .. »

وفي كتابات الجاحظ ، التي بين الأيدي ، نصوص يرد فيها ذكر هذه العلوم الملحقة[٩٧] ، ما عدا علمي الريافة والاختلاج ، ولكنها قليلة ومقتضبة ومحدودة الدلالة وليس فيها ما يدل على أن الجاحظ كان يرى فيها علوماً قريبة من علم الفراسة بله أن تكون ملحقة به - إلا القيافة فقد قرنها بالفراسة في مواضع كثيرة فاعترف بذلك بالعروة الوثقى التي تربط بين هذين العلمين .

---

* ابن أقيصر أحد بني أسد بن خزيمة بصير بالخيل - جنا : أكب ، في أمالي القالي : « ويستحب من الفرس أن يكون إذا استدبرته كالمنكب » - في أمالي القالي : « الرديان : أن يرجم الأرض رجماً بين المشي الشديد والعدو ، وإذا رمى بيديه رمياً لا يرفع سنبكه عن الأرض قيل : مرّ يدحو دحواً » - كتفت : ارتفعت فروع أكتافها - الوجيف : ضرب من السير فيه بعض السرعة - النسوف من الخيل : الواسع الخطو (منقول عن حواشي المحقق على « البيان والتبيين »)

الأمصار والبلدان

الجاحظ يرى أن البيئة ذات تأثير حاسم على طبائع قطانها من ناس وحيوان ، فتطبعهم جسدياً ونفسياً بطابعها الخاص :

يقول :[٩٨] « **ونسيت ، أبقاك الله ، عمل البلدان وتصرف الأزمان وآثارهما في الصور والأخلاق وفي الشمائل والآداب وفي اللغات والشهوات وفي الهمم والهيآت وفي المكاسب والصناعات .. »**

والبيئة الطبيعية إنما هي الشمس وحرارتها والأهوية والمياه والتربة :

قال :[٩٩] « فالسواد والبياض إنما هما من قبل خلقة البلدة وما طبع الله عليه الماء والتربة ومن قبل قرب الشمس وبعدها وشدة حرها ولينها .. »

وقال ، وهو يتحدث عن المسخ إمكانه وامتناعه ، ناقلاً قول من يرى إمكانه نتيجة فساد يطرأ على البيئة :[١٠٠] « .. **لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام** كما عمل ذلك في طباع الزنج وطباع الصقالبة .. »

وقد كرر الجاحظ في كتاباته ذكر بلاد الترك وحرة بني سُليم مثلاً لقوة تأثير المصر لا على سكانه الأصليين فقط ولكن على الطارئين عليه من الناس أيضاً وعلى دوابه وطيره وهوامه وكل شيء فيه :

قال :[١٠١] « وإنما خصوا (الترك) بالحنين من بين جميع العجم لأن في تركيبهم وأخلاط طبائعهم من تركيب بلدهم وتربتهم ومشاكلة مياههم

ومنـاسبـة إخـوانهم مـاليس مـع أحـد سـواهم .. وأنت لا تغلـط في التركي ولا تحتاج فيه إلى قيافة ولا إلى فراسة ولا إلى مساءلة . ونساؤهم كرجالهم ، ودوابهم تركية مثلهم .

« وهكذا طبع الله تلك البلدة وقسم لتلك التربة . وجميع دور الدنيا و (من ؟) نشوها إلى منتهى قواها ومدة أجلها جاريـة على عللهـا وعلى مقدار أسبابها وعلى قدر ما خصها الله تعالى به وأبانها وجعل فيها ...

« وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسـان لا تفصل بين من نـزل أبـوه بفرغـانـة وبين أهـل فرغـانـة ، ولا ترى بينهم فرقـاً في السبـال الصهب والجلود القشرة والأقفـاء العظيـمـة والأكسيـة الفرغـانيـة . وكـذلـك جميـع تلـك الأربـاع لا تفصـل بين أبنـاء النـازلـة وبين أبنـاء النابتة » .

وقـال(١٠٢) « إن في العرب قبـائل سوداً كبني سليم بن منصـور . وكل من نـزل الحرة من غير بني سليم كلهم سـود . وإنهم ليتخـذون المماليـك للرعي والسقاء والمهنة والخـدمـة من الأشبـانيين ومن الروم نسـائهم ، فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة إلى ألوان بني سليم . ولقد بلغ من أمر تلك الحرة أن ظباءها ونعـامهـا وهوامهـا وذبـابهـا وثعـالبهـا وشـاءهـا وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود .. »

وتحدث الجاحظ في مواضع مختلفة من كتبـه ورسـائلـه عن الأمصـار والبلدان : عن فساد هواء بعضها ومائه وتربته حتى ليكاد يخرج بـإنسـانـه وحيوانه عن طبيعة نوعـه وهيـأتـه(١٠٣) . وأن بعض البلـدان ذوات روائح طيبة ويزداد الطيب فيها طيباً ، وبعضها ذوات روائح فـاسـدة والطيب

سريعاً ما يفسد فيها[١٠٤] . وأن بعض المدن تزيد في قوة الإنسان ومنّته وأخرى تنقص من عقله وفهمه[١٠٥] . وينقل عن أبقراط قوله[١٠٦] : « يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تتطلع لهوائها وتنزع إلى غذائها » . ويأتي بطرائف وغرائب من مثل[١٠٧] : « ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض تُبَّت لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير عجب حتى يخرج منها » .

والخلاصة إن الجاحظ يجعل من العامل الجغرافي ـ كما يقال اليوم ـ العامل الأول والأساسي في نشوء الأمم وإعطائها خصائصها الجسدية والعقلية ، فالوطن يصهر الشعوب المختلفة الأصول ثم يسبكها أمة واحدة ، كما فعلت الجزيرة العربية بشعبي قحطان وعدنان :[١٠٨] « العرب كلهم شيء واحد ، لأن الدار والجزيرة واحدة ، والأخلاق والشيم واحدة ، واللغة واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك ... **ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء** ، فهم في ذلك بذلك شيء واحد ... »

الشعوب والأمم

الأمم عند الجاحظ أربع : العرب والفرس واليونان والهند ، هذا حين ينظر إلى الحضارة والحكمة والعلم والأدب والبلاغة . ولكنه يقف طويلاً عند الترك وأهل الصين والسودان ، ويمر على ذكر القبط والحبش وأهل الزابج والصقالبة والأشبانيين والفرنجة . ويخص كل أمة بخصائص ويصفها بأوصاف :[١٠٩] فللعرب الشعر والخطابة والبلاغة ، ولليونان الحكمة وصناعة المنطق والعلم ، وللفرس الملك والإدارة ، وللهند الحكمة والحساب والفلك ، والترك لهم الحرب ، والصين لهم الصناعة الخ ..

ويفصل القول في صفة طبائع هذه الأمم واختصاصاتها :

فيقول مثلاً في اليونانيين وكثيراً ما يقرنهم بالصينيين من حيث هما نموذجان لأمتين إحداهما نظرية والأخرى عملية :[١١٠] «ألا ترى أن اليونانيين الذين نظروا في العلل لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً بأكفهم ولا أصحاب زرع ولا فلاحة وبناء وغرس ، ولا أصحاب جمع ومنع وحرص وكدّ . وكانت الملوك تفرغهم وتجري عليهم كفايتهم . فنظروا حين نظروا بأنفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان فارغة ، حتى استخرجوا الآلات والأدوات ...

« وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الأداة ويصوغون المثل ولا يحسنون العمل بها ، ويشيرون إليها ولا يمسونها ويرغبون في العلم ويرغبون عن العمل .

« فأما سكان الصين فهم أصحاب السبك والصياغة والإفراغ والإذابة والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير والنسخ والخط ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويعانونه وإن اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه .

« ... لأن أولئك حكماء وهؤلاء فعلة » .

ولم يقف الجاحظ عند الأمم الكبرى وحدها ولكنه ذكر الجماعات الإنسانية الأضيق نطاقاً أيضاً :

فذكر مثلاً الشام والعراق والحجاز فنقل قول عبد الملك بن مروان في صفة روح بن زنباع[١١١] : « جمع أبو زرعة طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز » . ووصف الأهواز وأهلها[١١٢] ، وأنباط

بيسان[١١٣] ، وبخل أهل خراسان ومرو منها خاصة[١١٤] . وأقام منافرة بين البصرة والكوفة[١١٥] الخ ..

وكتب في شعبي العرب الكبيرين : قحطان وعدنان[١١٦] ، ووصف قريشاً[١١٧] ، وبين صفات بطونها[١١٨] ، وألف في « فرق ما بين هاشم وعبد شمس »[١١٩] الخ ...

واستقى أبو عثمان معلوماته عن البلدان والشعوب من الكتب التي امتلأت بها أسواق الوراقين في البصرة وبغداد ، ومن المساجد والأسواق والمجتمعات العامة في هاتين المدينتين اللتين كانتا محشراً للناس من كل لون وكل أمة ، ولا سيما من مصدر هام جداً هو الرقيق الذي كان يجلب إليهما من أقصى المعمورة جنوباً من الزنج إلى أقصاها شمالاً من الصقالبة ومن غاية شرقها من الترك والسند إلى نهاية غربها من الفرنجة والإشبانيين ... فوصف لنا تصرف أنواع الرقيق وما يحسنون من المهن وقدراتهم على مواجهة الظروف الجديدة عليهم . وأكتفى بالنص التالي[١٢٠] :

« .. وأصحاب الإبل يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والروم للإبل ، يرون أنهم يصلحون على معايشها وتصلح على قيامهم عليها ...

« فأما السند فإن السندي صاحب الخُرْبَة إذا صار إلى البدو وهو طفل خرج أفصح من أبي مهدية ومن أبي مطرف الغنوي . ولهم طبيعة في الصرف لا ترى بالبصرة صيرفياً إلا وصاحب كيسه سندي . واشترى محمد بن السكن أبا روح [فرجاً] السندي فكسب له المال العظيم . فقل صيدلاني عندنا إلا وله غلام سندي . فبلغوا أيضاً في البربهار والمعرفة بالعقاقير وفي صحة المعاملة واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً . وللسند في الطبخ طبيعة ما أكثر ما ينجبون فيه .

« وقد كان يحي [بن خالد] أراد أن يحول إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والنوبة إلى صبيان السند فلم يفلحوا فيه . [وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم فلم يفلحوا فيه] . وفي السند حلوق جياد وكذلك بنات السند » .

الأمزجة والطباع

قال الجاحظ[١٢١] : « أو ما علمت أن الإنسان ... إنما سموه العالم الصغير سليل العالم الكبير لما وجدوا فيه من جميع أشكال ما في العالم الكبير . ووجدنا (وجدوا) له الحواس الخمس ووجدوا فيه المحسوسات الخمس . ووجدوه يأكل اللحم والحب ، ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسبع . ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد وغدر الذئب وروغان الثعلب وجبن الصِّفْرِد☆ وجمع الذرّة وصنعة السُّرفة وجود الديك وإلف الكلب واهتداء الحمام . وربما وجدوا فيه مما في البهائم والسباع خلقين أو ثلاثة ...

« ... وفيه الصفراء وهي من نتاج النار وفيه السوداء وهي من نتاج الأرض وفيه الدم وهو من نتاج الهواء وفيه البلغم وهو من نتاج الماء ...

« فجعلوه العالم الصغير إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاطه وطبائعه : ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا وآلة اليقين والشك .. (ثم يمضي فيسرد عدداً كبيراً من الأضداد من الصفات العقلية والخلقية) .. »

☆ الصفرد : طائر جبان ـ السرفة : دويبة تتخذ بيتاً من دقاق العيدان فتدخله وتموت (القاموس)

هذا نص هام في أوجه مما نحن فيه من الفراسة ، وبخاصة في مسألة الأمزجة والطباع . فأبو عثمان ، كما هو واضح ، يقول بالطبائع الأربع التي يردها إلى الأخلاط الأربعة التي يرجعها إلى الأركان الأربعة : النار والأرض والهواء والماء . إنه لم يأت ، فيما بين الأيدي من كتاباته ، بنظرية مكتملة في الأمزجة وأنواعها والسمات الجسدية والصفات الأخلاقية والعقلية لكل مزاج منها ، ولكننا نعثر على نصوص تدل على أنه كان على علم بهذه النظرية المعروفة لدى أطباء زمانه ، مثل هذا النص :(١٢٢) « .. إن داء الحزن وإن كان قاتلاً فإنه داء مماطل وسقمه سقم مطاول ومعه من التمهل بقدر قسطه من أناة المرة السوداء . وداء الغيظ سفيه طياش وعجول فحاش يُعجل عن التوبة ويقطع دون الوصية ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء .. »

ولكل إنسان ، برأي الجاحظ ، طبعه الخاص ، وهو على هدى إذا أخذ في اتجاه طبعه وفي نجح وروح ، ويتخبط ويضل إذا خالفه ، والمرء لا يأبق من طبعه :

قال(١٢٣) : « قد زعم أناس أن كل إنسان فيه آلة لمرفق من المرافق وأداة لمنفعة من المنافع ، ولابد لتلك الطبيعة من حركة وإن أبطأت ولابد لذلك الكامن من ظهور ، فإن أمكنه ذلك بعثه وإلا سرى إليه كما يسري السم في البدن ... ولذلك صار طلب الحساب أخف على بعضهم وطلب الطب أحب إلى بعضهم وكذلك النزاع إلى الهندسة وشغف أهل النجوم بالنجوم . وكذلك أيضاً ربما تحرك له بعد الكِبْرة وصرف رغبته إليه بعد الكهولة على قدر قوة العرق في بدنه وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه .. وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم ، ثم

لا تدري كيف عرض لهذا هـذا السبب دون الآخر إلا بجملـة من القول ، ولا تجد المختـار لبعض هـذه الصنـاعـات على بعض يعلم لم اختـار ذلـك في جملـة ولا تفسير ... وليس العجب من رجل في طبـاعـه سبب يصل بينـه وبين بعض الأمـور ويحركـه في بعض الجهـات ، ولكن العجب ممن يمـوت مغنياً وهو لا طبع له في معرفـة الوزن وليس لـه جرم☆ حسن فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغني خاصة أن يكون مطرباً ومغني عامة .. »

وفي اختلاف طبـائع الأفراد ، كما في اختلاف طبـائـع الأمم ، حكمـة ومصلحة للعالمين :

قال أبو عثمان(١٢٤) : « اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالسار والضعة بـالرفعـة والكثرة بـالقلـة . ولو كان الشر صرفـاً هلـك الخلـق ، أو كان الخير محضـاً سقطت المحنـة وتقطعت أسبـاب الفكرة ، ومع عـدم الفكرة يكـون عـدم الحكمـة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعـالِم تثبت وتوقف وتعلم ، ولم يكن علم ولا يعرف بـاب التبيّن ... وعـادت الحـال إلى حـال السبـع والبهيمـة وإلى حـال الغبـاوة والبـلادة وإلى حـال النجـوم في السخرة ...

« ولـو استـوت الأمـور بطـل التمييز ، وإذا لم تكن كلفـة لم تكن مثوبة ، ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله تعالى .. »

ويلوح من هذا النص أيضاً أن أبـا عثمان لا يجعل من الطبـائع قـدراً مقدوراً بل إن للإنسان حرية بها يحصل التكليف ويكون الجزاء ـ وإلا لم

☆ الجرم : الصوت

يكن معتزلياً . ويتضح ذلك أكثر في قوله[١٢٥] : « والعادة القائمة والنسق الذي لا يتخطى ولا يغادر والنظام الذي لا ينقطع ولا يختلط في ذوي التمكين والاستطاعة وفي ذوي العقول والمعرفة ، أن أبدانهم متى أحست بأصناف المكروه والمحبوب ، وازنوا وقابلوا وعايروا وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ... واختاروا بعد ذلك أتم الخيرين وأنقص الشرين ، فأما الشر صرفاً والخير محضاً فإنهم لا يتوقفون عندهما ... وإنما ينظرون في الممزوج .. »

والعقل الذي هو أداة التميز والاختيار لا يقوم العقل الغريزي منه وحده لشهوات الإنسان وطبائعه بل لا بد من شد أزره بالنظر والعلم والتجربة وهو العقل المكتسب :

قال :[١٢٦] « .. ولن تفي قوة غريزة العقل بجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اعوج منها ويسكن ما تحرك ، دون النظر الطويل الذي يشدها والبحث الشديد الذي يشحذها والتجارب التي تحنكها .. » . وقال أيضاً :[١٢٧] « وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطبوع والكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب ، ومثلوا ذلك بالنار والحطب والمصباح والدهن ، وذلك أن العقل الغريزي آلة والمكتسب مادة .. »

ويلحق بمسألة الطباع مسألة « إنضاج الأرحام » . نقل الجاحظ عن أبي إسحاق النظام قوله : « إن الأمة التي لم تنضجها الأرحام ، ويخالفون في ألوان أبدانهم وأحداق عيونهم وألوان شعورهم سبيل الاعتدال ، لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم وشمائلهم وتصرف هممهم في لؤمهم وكرمهم لاختلاف السبك

وطبقات الطبخ وتفاوت مـا بين الفطير والخمير والمقصر والمجـاوز ، وموضع العقـل عضـو من الأعضــاء وجـزء من الأجـزاء ، كالتفــاوت الـذي بين الصقالبة والزنوج » .

ويلحق بها كذلك ماتزعمه العرب للإسقـاط والإتـآم واليتن والغيلـة من نقص في تكوين الطفل وقوتـه ، ومـا للحمل في أول الهلال أو المحـاق من تأثير على بنية الطفل . قـال أبو عثمان :(١٢٩) « وتزعم الأعراب والعرب أن النطفة إذا وقعت في الرحم في أول الهلال خرج الولد قوياً ضخماً وإذا كان في المحاق خرج ضئيلاً شختاً ، وأنشد قول الشاعر :

لقحت في الهـلال عن قُبُـل الطهــــر وقــد لاح للصبـــاح بشير
ثم نَمّى ولم يُراضـــع فَلُـــوّاً☆ ورضـاع المُجـحّ عيب كبير » .

النقص والتعويض

واهتم الجاحظ بأصحاب العاهات والزمنى وذوي النقص والـدمـامـة ، وأي شيء لم يثر اهتمام أبي عثمان ويبعثــه على التنقير والبحث ؟ ، فكتب كتابـه « البرصـان والعرجـان والعميـان والحولان » والعور والحـدب ومن سقي بطنـه والجـذم والعسر والقرعـان والصلعـان والمفـاليـج ومن أصيب بـاللقــوة والشــط والسنــوط والفقم والثرم والــوقص والــزرق والقصـــار والمهزولون الخ ..

وما اجتلب ذكر هؤلاء الزمنى ، كما يقول في مقدمة كتابه ، إلا :(١٣٠) « ليجعل ذاك سبباً إلى ... وإلى أن جماعـة فيهم كانوا يبلغون مع العَرَج مالا يبلغه عامة الأصحّاء ومع العمى يدركون مالا يـدركـه أكثر البصراء ؛

☆ فلا الصبي فلواً عـزلـه عن الرضـاع أو فطمـه ـ أجحّت المرأة حملت فـأقربت وعظم بطنها فهي مُجحّ (القاموس)

ولما جاء أيضاً في ذلك من الأشعار الصحيحة ومن الأمثال المضروبة ..، وكيف جزع من جزع وصبر من صبر ، وماروووا في ذلك من الأخبار النافعة والأحاديث السائرة ..، وكيف تبين ذلك النقص وظهر ذلك الخلل على بعض ولم يتبين على بعض » . فقد كان له إذن هدف أدبي وهدف أخلاقي ، وهذا الهدف الثاني هو الذي يهمنا في علم الفراسة لأنه هو الذي يكشف عن موقف هؤلاء المنقوصين من نقصهم وعن درجة تغلبهم عليه أو سقوطهم تحت ثقله .

وفي قليل من الأخبار والأقوال والأشعار أنقلها عنه كفاية للتمثيل :

قال :(١٣١) « وخطب الطائي الأعرج (عدي بن عمرو) امرأة فشكت عرجه إلى جاراتها فأنشأ يقول :

تشكّى إلى جاراتها وتعيبني فقالت معاذ الله أنكح ذا الرِّجْلِ
فكم من صحيح لو يوازن بيننا لكنا سواء أو لمال به حملي »

وقال :(١٣٢) : « وكان أوفى (بن موألة) على شرفه وسؤدده قصيراً نحيفاً ، وهو الذي يقول :

إذا كنت قصداً في الرجال فإنني إذا حل أمر ساحتي لجسيم »

وقال :(١٣٣) « وأما من فخر بالعمى فمنهم بشار بن برد ... وهو الذي يقول :

إذا ولد المولود أعمى وجدته وجدّك أهدى من بصير وأحولا
عميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم معقلا
وغاض ضياء العين للعلم رافد وقلب إذا ما ضيع الناس حصّلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا »

وفي هذه المواقف اعتدال وإجمال وفخر مقتصد ، ولكنها قد لا تكون دائماً كذلك فتتجاوز القصد إلى الغلو والمبالغة فتثير الابتسام أو العجب أو السخرية أو الإنكار . ولا نكاد نقع في كتابات أبي عثمان على ما قد تخلفه العاهة في صاحب العاهة من شذوذ أو اندفاع إلى الشر والأذى والتعذيب الذي قد يتجه إلى الشخص ذاته :

قال :[١٣٤] « ويكون الأعرابي شختاً مهزولاً ومقرقماً ضئيلاً فيجعل ذلك دليلاً على كرم أعراقه وشرف ولادته . قال الأصمعي : قلت لغلام أعرابي : مالي أراك ضعيفاً نحيفاً وصغير الحجم قليلاً مهزولاً ؟ قال : قرقمني العز .. وأنشدوا :

قرقمني العز وأضواني الكرم »

وقال :[١٣٥] « قالوا : ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الأسدي لمحمد بن حسان بن سعد وغيره من الولاة والوجوه هابه أهل الكوفة ... وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه . فترك الوقوف بأبوابهم ، وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله ، فلا يحبس له رسول ولا يؤخر عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجة على أكثر مما قدر وأوفر مما أمل . فقال يحي بن نوفل :

عصا حكم في الدار أول داخل
ونحن عن الأبواب نقصى ونحجب »

وقال :[١٣٦] « قال لي ثمامة (بن أشرس) : رأيت جماعة نساء لم أر قط أحسن ولا أملح شكلاً ولا أظهر دلاً مع لباس وشارة ، وإذا فتيان من فتيان الغزل والجمال واليسار قد عارضوهن ، والتفتّ فإذا أنا بالمشمرخ الأحدب ، وإذا هو يتقدمهن مرة ويزاحمهن مرة ، وإذا هو في ذلك

يختـال في مشيتـه ويخطر بكميـه ، فـأقبلت عليـه واحـدة منهن فقـالت : عذرت هؤلاء الذين يُدِلّون بالشباب والجمـال واليسـار فقـد أطمعهم ذلـك فينا ، أنت بأي شيء تدل ؟ قـال : بـالبراعـة والظرف ، قـال : فضحكن منه وصار أكثر كلامهن معه دون جميع الناس وغلب عليهن وشغلهن » .

وقد مر الجاحظ على ذكر المشعِّبين وما يصنعون صنعاً من عاهات في الأطفال المعَدّين للكدية . ومن المؤسف أنه لم يذكر شيئاً عما تتركـه هـذه العاهات في نفوس هؤلاء الأطفـال حين يكبرون وفي أخلاقهم وسلوكهم ، واكتفى بالحكم عن المشعبين وعلى آباء هؤلاء الأطفال الذين[١٣٧] « لا أدري أيهم أعظم كفراً وأقسى قلباً » .

ولكنه أطال الوقوف على تشويـه آخر مصنوع هو الخصـاء ، ووصف آثاره الجسدية والنفسية والخلقية . وهذه نصوص مختـارة في هـذا الموضوع ذات قيمة في أوجه مختلفة من علم الفراسة :

قال الجاحـظ[١٣٨] « ... فـإن الخصي يكون أنتن وصنـانـه أحـدّ ويعم أيضـاً خبث العرق سـائر جسـده حتى لتوجـد لأجسـادهم رائحـة لا تكون لغيرهم .

« ... والإنسان إذا خصيَ طال عظمه وعرض ...

« وتعرض للخصيـان أيضـاً طول أقـدام واعـوجـاج في أصـابـع اليـد والتـواء في أصـابـع الرجـل وذلـك في أول طعنهم في السن . وتعرض لهم سرعة التغير والتبدل وانقلاب عن حد الرطوبة والبضاضـة وملاسـة الجلـد وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه إلى التكرش والكمود وإلى التقبض والتخدد ... »

وقال : « ... وليس بعد المنكح باب له موقع كموقع المطعم ، فاجتمعت تلك القوى التي كانت للمنكح ... إلى القوة التي عنده للمطعم ... ولذلك صار الخصي آكل من أخيه لأمه وأبيه ...

« ودوام الأكل في الإناث أعم منه في الذكور ... وما أشك أن الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربي عليه مقطّعاً غير منظوم ... وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه ... »

وقال : « ويعرض له ... تغير الصوت حتى لا يخفى على من سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصي ..

« ومتى خُصي قبل الإنبات لم يُنْبِت ، وإذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه تساقط كله إلا شعر العانة ... ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن ... وهذه الخصال من أماكن شعر النساء ... ألا ترى أن المرأة لا تصلع فناسبها الخصي من هذا الوجه ... »

وقال : « والخصاء ينقص من شدة الأسر وينقض مبرم القوى ويرخي معاقد العصب ويقرب من الهرم والبلى ...

« والخِصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبْاعهم في معرفة أبواب الخدمة وفي استواء حالهم في باب المعاطاة لم تر أحداً منهم قط نفذ في صناعة تنسب إلى بعض المشقة وتضاف إلى شيء من الحكمة مما يعرف ببعد الروية والغوص بإدامة الفكرة ... »

وقال : « ويعرض للخصي العبث واللعب بالطير وما أشبه ذلك من أخلاق النساء وهو من أخلاق الصبيان أيضاً

« ويعرض له الشره عند الطعام والبخل عليه والشح العام في كل شيء وذلك من أخلاق الصبيان ثم النساء ...

« ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له حب النميمة وضيق الصدر بما أودع من السر وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له ... البصر بالرفع والوضع والكنس والرش والطرح والبسط والصبر على الخدمة وذلك يعرض للنساء .

« ويعرض له الصبر على الركوب والقوة على كثرة الركض حتى يجاوز في ذلك رجال الأتراك وفرسان الخوارج ..

« ويعرض له حب الرمي بالنشاب ... ويعرض له حب أن تملكه الملوك على ألا تقيم له إلا القوت ويكون ذلك أحب إليه من أن تملكه السوقة وإن ألحقته بعيش الملوك ...

« ويزعم كثير من الشيوخ المعمرين وأهل التجربة المميزين أنهم اختبروا أعمار ضروب الناس فوجدوا طول الأعمار في الخصيان أعم منه في مثل أعدادهم من جميع أجناس الرجال .. »

وقال : « ولفرط إرادتهم النساء وبالحسرة التي نالتهم ... أبغضوا الفحول بأشد من تباغض الأعداء فيما بينهم ... وبغض الخصي للفحل من شكل بغض الحاسد لذي النعمة وليس من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنايات » .

وقال : « ولرجال كل فن وضرب من الناس ضرب من النسك ، إذ لا بد لأحدهم من النزوع ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الخصي غزو الروم ، فظن عند ذلك أهل الفراسة أن سبب ذلك إنما كان لأن الروم لما كانوا هم الذين خصوهم كانوا مغتاظين عليهم ... ونسك المغني أن يكثر التسبيح وهو يشرب النبيذ والصلاة على النبي ﷺ والصلاة في جماعة ... ونسك المتكلم التسرع إلى إكفار أهل المعاصي وأن يرمي الناس بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أموراً : منها أن ذلك ليس إلا من تعظيمه للدين ... ومنها أن يقال لو كان نطفاً أو مرتاباً أو مجتنحاً على بلية لما رمى الناس ولرضي منهم بالسلامة .. ولم نجد في المتكلمين أنطف ولا أكثر عيوباً ممن يرمي خصمه بالكفر » .

و « نص النسك » هذا ينقلنا من النقص الجسدي وما يولد من اتجاهات في التفكير والأخلاق إلى النقص النفسي أو النقص الاجتماعي ، وهو النقص الذي يجده المرء في باطنه ، وما يكون انعكاسه على النفس والسلوك . فالمغني مثلاً الذي طالما لغا لسانه بما يعده هو والمجتمع معصية كأنه حين نسك يريد أن يطهر هذا اللسان بذكر الله والصلاة على رسوله . والمتكلم الذي يضطرب الشك في أعماق نفسه فكأنه يريد أن يسكت هذا الشك في نفسه أو يقنع نفسه والآخرين بامحاء هذه الشكوك فيسارع إلى إلقاء مافي نفسه على الآخرين .

ونص الجاحظ يوحي بأن هؤلاء النساك على علم بما يعتمل في أعماقهم أي إنهم إذن مراؤون ، ولكن هذا العلم بأعماق النفس قد لايكون وهذا مايدعوه الصوفية : الرياء الخفي .

وفي كتابات الجاحظ نصوص كثيرة في المسالك التي يسلكها الإنسان وتكون تعبيراً إيجابياً أو سلبياً عن نقص معنوي يشعر به أو قد شعر به ثم غاب عنه ، منها :

قوله[١٣٩] : « وأنا أحذرك من اللجاج .. فإن اللجاج لايكون إلا من خلل القوة وإلا من نقص في التمكين ، واللجوج في معنى المغلوب .. ولا يكون إلا والعقدة منحلة والنفس منقوصة .. »

وقوله[١٤٠] : « والنبيل لايتنبّل كما أن الفصيح لايتفصح ، لأن النبيل يكفيه نبله عن التنبل والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح . ولم يتزيد أحد قط إلا لنقص يجده في نفسه ولا تطاول متطاول إلا لوهن قد أحس به في قوته » .

وقوله[١٤١] : « والكبر في الأجناس الذليلة من الناس أرسخ وأعم ، ولكن الذلة والقلة مانعتان من ظهور كبرهم ، فصار لايعرف ذلك إلا أهل المعرفة ...

« والجملة أن كل من قدر من السّفلة والوضعاء والمحقّرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته ... مالا خفاء به ...

« وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار المملوك أسوأ ملكة من الحر .

« وشيء قد قتلته علماً وهو أني لم أر ذا كبر قط على من دونه إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه » .

وما نقله من قول عمر[١٤٢] : « ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه » .

ومن مقالة معاوية لابن الأشعث[١٤٣] : « وأذن معاوية للأحنف بن قيس ، وقد وافى معه محمد بن الأشعث ، ثم أذن له فقدمه عليه ، فوجد من ذلك محمد بن الأشعث ، ثم أذن له فدخل ، فجلس بين معاوية والأحنف . فقال له معاوية : إنا والله ما أذنا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك ، وما رأيت أحداً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها ، وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلاً وضعة .. »

فروق مابين الجنسين

للجاحظ في موضوع المرأة ثلاثة كتب : كتاب الجواري والغلمان[١٤٤] - وكتاب القيان[١٤٥] - وكتاب النساء . أما الأول والثاني فيصفان ظواهر ويعالجان مشكلات في المجتمع الذي عاش فيه الجاحظ مثل الشذوذ الجنسي والمتاجرة بغناء القيان وجمالهن وإغرائهن ورقابهن . وأما الثالث فالذي بقي منه حطام كتاب[١٤٦] : شيء عن الحب والعشق وشيء عن جمال المرأة وأن الرجل أدرى بجمال المرأة من المرأة بالمرأة ، بل إن فيه شيئاً عن ضرورة وجود السلطان لإصلاح العامة ، ثم لانعثر بين هذا الحطام على شيء في الموضوع الأصلي للكتاب الذي حدده الجاحظ نفسه في الكتاب ذاته حين قال[١٤٧] : « كنا نحب أن يخرج هذا الكتاب تاماً ويكون للأشكال الداخلة فيه جامعاً ، وهو القول فيما للذكور والإناث في عامة أصناف الحيوان ... فمنع من ذلك فرط الكبرة وإفراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة .

« فلما وافق هذا الكتاب منا هذه الحال .. اجتنبنا (أحببنا) أن نقصد من جميع ذلك إلى **فرق مابين الرجل والمرأة ...** »

ـ أقـول : لانعثر بين الحطـام على شيء من « فرق مـابين الرجـل والمرأة » إلا أن يكون هذا القول العـام[١٤٨] : « ونحن وإن رأينـا أن فضل الرجـل على المرأة ، في جملـة القـول في الرجـال والنسـاء ، أكثر وأظهر ، فليس ينبغي لنـا أن نقصر في حقـوق المرأة . وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق الأمهات وكذلك الإخوة والأخوات والبنون والبنات . وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذه أرحم » .

ولذلك ماكان من إطالة مانقلت من نص « مـايعرض للخصيـان » ، فهو من بين مابقي من كتابات الجاحظ أوسع نص حديثاً في صفة النسـاء وأخلاقهن ومداركهن . ففيه يذكر أبو عثمان شيئاً عن منابت شعر النسـاء وامتنـاعهن على الصلع ، ومـا يراه في شرههن عنـد الطعـام وبخلهن عليـه وبخلهن عـامـة وحبهن للغيبـة والنميـة وضيـق صـدورهن بـالسر وسرعـة غضبهن ورضاهن وبصرهن بالخدمة وأعمال البيت عامة وصبرهن عليها ...

فروق مابين الأسنان

وداع آخر هو مافي هذا النص من مقارنة بين هـذه الأخلاق وأخلاق الصبيـان ، إذ النصوص التي تعرض للفروق بين الأسنـان : من الطفـولـة والشبـاب إلى الكهولـة والشيخوخـة نـادرة فيما بين الأيـدي من كتـابـات الجاحظ على الرغم مما أبـداه من اهتمام بهـذا الموضوع حين قـال[١٤٩] : « فمن الأبواب الكبار (في الحيوان) القول في فصل مابين الذكورة والإناث وفي فصل مابين الرجل والمرأة خاصة .

« وقـد يـدخـل في القـول في الإنسـان ذكر اختـلاف النـاس في الأعمار » .

فليس إلا أقوال في الشيخوخة ، وما أكثر ما في الشعر العربي من الشكوى من الشيخوخة ، ولكن بعض هذه الأقوال يدقق في وصف بعض آثار الشيخوخة ويحاول تبيين أسبابها مثل(١٥٠) :

« قال أبو إسحاق : وقد غلط أيضاً كثير منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغم ، ولو كان طباعه البلغم ، والبلغم لين رطب أبيض ، لما ازداد عظمه نحولاً ولونه سواداً وجلده تقبضاً .

« وقال النمر بن تولب :

كأن محطاً☆ في يدي حارثية صناع علت مني به الجلد من عل

وقال الراجز :

وكثرت فواضل الإهاب

« قال : ولكنهم لما رأوا بدنه يتغضن ويظهر من ذلك التغضن رطوبات بدنية كالبلغم في الفم والمخاط السائل في الأنف والرمص والدمع في العين ، ظنوا أن ذلك لكثرة ما فيه من أجزاء الرطوبات ، وأرادوا أن يقسموا الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة على أربعة أقسام كما تهيأ لهم ذلك في غير باب .

« وإذا ظهرت تلك الرطوبات فإنما هي لنفي اليبس لها ولعصره قوى البدن . ولو كان الذي ذكروا لكان دمع الصبا أكثر ومخاطه أغزر ورطوباته أظهر . وفي البقول والرياحين والأغصان والأشجار ذلك إذ كانت في الحداثة أرطب وعلى مرور السنين والأيام أيبس » .

☆ المحط : الحديدة تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم (عن حاشية المحقق)

مشابهة الإنسان للحيوان

قـال الجـاحـظ في نص « العـالم الصغير »[١٥١] : « أو مـاعلمت أن الإنسان .. إنما سموه العالم الصغير ... ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ... وربما وجدوا فيه مما في البهائم والسباع خلقين أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته وصولته وحقده وصبره على حمل الثقل ، ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل غدره ومكره واستزواحه وتوحشه وشدة نكره » .

فالإنسان برأي الجاحظ فيه من كل حيوان ، وقد تغلب عليه الصفة أو الصفات من حيوان معين ولكنه لا يبلغ فيها مبلغ هذا الحيوان .

وقد حددت الأمثال السائرة مـاستقر في أذهـان النـاس لكل حيوان من صفة غالبة . فإذا أطلق المثل على إنسان تحددت الصفة المشتركة بينه وبين هذا النوع من الحيوان :

قـال[١٥٢] : « يقـال : أجرأ من الليث ، وأجبن من الصفرد ، وأسخى من لافظة ، وأصبر على الهون من كلب ، وأحـذر من عقعق ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سرفة ، وأظلم من حية ، واعذر من الـذئب ، وأخبث من ذئب خمر ، وأشـد عـداوة من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحمق من حبارى ، وأهدى من قطـاة ، وأكـذب من فـاختـة ، وألأم من كلب على جيفـة ، وأجمع من ذرة ، وأضـل من حمـار أهلي ، وأعـق من ضب ، وأبر من هرة ، وأنفر من الظليم ، وأضل من وَرَل☆ ، وأضل من ضب ، وأضل من الحية .. »

☆ الورل : دابة كالضب (القاموس)

بل إن القبائل والشعوب قد تغلب عليها صفات نوع معين من الحيوان :

قال[١٥٣] : « وبنو أسد أسد الغياض وأشبه شيء بالأسد ، فلذلك تشتهي من اللحمان أشهاها إلى الأسد . والدليل على أنهم أسد وفي طباع الأسد أنك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب ومن فرسانهم لوجدت شطرها أو قريباً من شطرها لبني أسد » .

وقال[١٥٤] : « الغراب من لئام الطير .. ومن ذوات البراثن الضعيفة .. ومن ذوات المناقير .. وهو مع أنه قوي النظر لايتعاطى الصيد .. وهو فسل إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزالا ...

« وهو مع ذلك يكون حالك السواد شديد الاحتراق . ويكون مثله من الناس الزنج فإنهم شرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ... »

بل إن بعض الأمم قد ارتبطت بأنواع معينة من الحيوان حتى أصبحت رموزاً لها ، كارتباط الفرس بالديك وارتباط العرب بالكلب . وما المفاخرة التي أقامها الجاحظ بين صاحب الديك وصاحب الكلب إلا رمز لما كان يشور من منافرات بين العرب والشعوبية . وترجع هذه الارتباطات إلى عقائد دينية أو ضرورات معاشية : فللديك قداسته عند المانوية[١٥٥] : « (فـ) العوام تقضي على من كان في داره ديك أبيض أفرق بالزندقة » ، وله فائدته المعاشية عند اصحاب الحرث ، على حين لا يستغني الرعاة عن الكلب .

وقد يشابه بالمقابل الحيوان الإنسان كما نقل الجاحظ عن[١٥٦] : « مثنى بن زهير ، وهو إمام الناس في البصرة بالحمام وكان جيد الفراسة حاذقاً بالعلاج ...

« قال مثنى بن زهير : لم أر شيئاً قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لاتريد إلا ذكرها كالمرأة لاتريد إلا زوجها وسيدها الخ .. »

ولكن الجاحظ اكتفى بعامة بالمشابه بين الإنسان والحيوان في الطباع والسلوك ولم يصلها بالمشابه الجسدية كما ينبغي في الفراسة وإن فعل ذلك أحياناً كما في « نص الغربان » ونصوص ، ذُكرت من قبل ، على بيئات قوية تطبع إنسانها وحيوانها بطابع واحد مثل بلاد الترك وحرة بني سليم .

ونصوص على بيئات فاسدة تكاد تمسخ صورة الإنسان[١٥٧] : « .. لاننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام ...

« وقد خبرنا من لايحصى من الناس أنهم قد أدركوا رجالاً من نبط بيسان ولهم أذناب إلا تكن كأذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلا كأذناب السلاحف والجرذان فقد كان لهم عجوب طوال كالأذناب .

« وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شبه القرد .. »

ونصوص أخرى على الخلق المركب[١٥٨] : « وشر الطبائع ماتجاذبته الأعراق المتضادة والاخلاق المتفاوتة والعناصر المتباعدة ...

« وكذلك البغل : خرج من حيوانين يلدان حيواناً مثلهما ويعيش نتاجها ويبقى بقاءهما ، وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر ... وخرج أطول عمراً من أبويه وأصبر على الأثقال من أبويه .

« أو كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال ...

« وزعم عثمان بن الحكم : أن ابن المذكرة من المؤنث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظام الدواهي وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك لم ينجع فيه أدب ولا يطمع في علاجه طبيب ... »

ففي هذه النصوص ما يشير إلى تبدلات جسدية أو تكوينات جسدية تصحبها تبدلات وصفات نفسية سلوكية تحدث في الإنسان والحيوان على السواء ويتشابه فيها الإنسان والحيوان .

المهن

ليس كالوصف الذي وضعه الجاحظ على لسان خالويه المكدي[١٥٩] يصف فيه تجربته في الحياة ومغامراته مع الناس وفي الآفاق ، وبخاصة حين يقول : « إني قد لابست السلاطين والمساكين وخدمت الخلفاء والمكدين وخالطت النساك والفتاك » ـ كلمة تصف معرفة أبي عثمان بطبقات مجتمعة وفئاته ومهنه . ففي كتاباته نلتقي بالمكدين والطفيليين .. والكناسين والحاكة والسماكين والصاغة والأكارين والرعاة .. والوكلاء والتجار والصيارفة .. والحجاب والكتاب وأمراء الجيوش والولاة والوزراء والخلفاء ، وبالفتاك واللصوص والشطار والمجان والزهاد والمتصوفة والفقهاء والقضاة والمتكلمين والشعراء والعلماء .. ـ نلقاهم في جدهم وهزلهم وفي مناظراتهم ومواعظهم وسمرهم ...

والمهن من ممارستها تكوّن أجساد العاملين فيها وعقولهم تكويناً خاصاً ، وكذلك المجتمع في مواقفه من المهن وتصنيفه لها رفعة وحطة وفيما

يتيح لأربابها من كسب وتعليم وماتقننه تقاليده من لباس وركاب يصوغ اهتماماتهم وأخلاقهم وسلوكهم وحركاتهم ولغتهم صياغة معينة . واذا كنا لا نجد فيا بقي من مؤلفات الجاحظ كل شيء عن المهن في مجتمعه وآثارها ففي النصوص التي نقع عليها فيها مقنع ودلالة كافية . ولو أن مؤلفاته وصلت إلينا كلها فلربما كانت تكتمل عندنا صورة المجتمع الذي عاش فيه بفئاته ومهنه كلها أو معظمها[١٦٠] .

فما قاله فيا تتركه المهنة من طابع على جسد صاحبها قوله[١٦١] : « وقد وصف عبيد الراعي كيف تتحول صورة الراعي وتتبدل خلقته . وكذلك **كل صناعة تصور صاحبها على ما يشاكلها** . ألا ترى أن الحائك يعرف بصُدرته وتفحُّج رجليه ولا يكون أبداً إلا وجلد بطنه أسود ـ وقال عبيد الراعي :

ترى وجهه قد شاب في غير لحية ... وذا لبد تحت العصابة أنزعا
ترى كعبه قد كان كعبين مرة ... وتحسبه قد عاش حولاً مكنعا☆

« وقال يزيد بن مفرغ ما يؤكد قولنا ويفسره :

يقولون أوس شاعر فاحذرنه ... وما أنا إن لم أهج أوساً بشاعر
رأيت لأوس خلقة فشنأتها ... لهازم☆☆ حراث وتقطيع جازر

« وقال آخر :

وصفت بجهدي وجه حفص وخلقه
فما قلت فيه واحداً من ثمانيه

☆ المكنع : المقيد (القاموس)

☆☆ اللهزمة : اللحمة الناتئة خلف الأذن (عن حاشية المحقق)

لهـــــازم أكار وخلقـــــة كافر وتقطيع كشخان ورأس ابن زانيـه
ولحيـــــة قـــواد وعيني مخنـــق . . . .
وراحـة صبـاغ وصـدرة حـائـك ومرفق سقط رُدّ في الرحم ثانيـه »

وفيما تعود عليه من كسب قال :[١٦٢] « ... ولم أر سقاء قط بلغ حـال اليسار والثروة . وكذلك ضراب اللبن والطيان والحراث ، وكذلك ما صغر من التجـارات والصنـاعـات . ألا ترون أن الأموال كثيراً مـا تكـون عنـد الكتاب وعنـد أصحـاب الجوهر وعنـد أصحـاب الوشي والأنمـاط ، وعنـد الصيارفة والحنـاطين ، وعنـد البحريين ... والجلاب أبـدأ والبيـاذرة أيسر ممن يبتـاع منهم . وجمـل الأمـوال حـق بـأن تربـح الجمـل من تفـاريـق الأموال . وكذلك سبيل القصاب والجزار والشواء والبازيار والفهاد » .

وأما في التعليم فيقول الجاحظ[١٦٣] : « ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتابة والحساب ، ثم لعب الصوالجة و ... وبعد ذلك الفروسيـة واللعب بـالرمـاح والسيوف و ... ثم النجـوم واللحـون والطب والهندسة ، وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار و ...

« ويأمرون بتعليم أبناء الرعية الفلاحة والنجارة والبنيان والصيـاغـة والخياطة والسرد والصبغ وأنواع الحياكة .. »

وإذا لم يحصل في تاريخ الإسلام أن وجد نظام ثابت للتعليم يفرضـه السلطان ، فالواقع الاجتماعي كان يصرف بعـامـة طبقـات المجتمع إلى أنواع من التعليم ودرجات تناسب كل طبقة طبقة منهـا على النحو الـذي نقلـه الجاحظ عن الأوائل أو نحو قريب منه ، فتختلف أفهامهم ومعارفهم تبعـاً لما فرضه هذا الواقع عليهم من تعليم .

فلا عجب وهذان هما مستويا أصحاب الحرف الدنيا في المعاش والتعليم أن ينحط مستوى تفكيرهم وأن يحكم عليهم المجتمع بالحمق والغباء .

قال الجاحظ[١٦٤] : « وقد سمعنا قول بعضهم : الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين . قال : والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون ، لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد في فعال ولا مقال » .

ولا عجب أن يدور بين أفراد هذه الطبقة مثل الحوار الذي دار بين كناسي الكرخ وعريفهم ورواه لنا الجاحظ[١٦٥] .

ونقع في كتابات الجاحظ على نصوص تكشف عن موقف الطبقة الثرية من هذه الطبقة الفقيرة :

قال :[١٦٦] « سمعت شيخاً من مشايخ الأبلة يزعم أن فقراء أهل البصرة أفضل من فقراء أهل الأبلة ، قلت : بأي شيء فضلتهم ؟ قال : هم أشد تعظيماً للأغنياء وأعرف بالواجب .

« ووقع بين رجلين أبليين كلام ، فأسمع أحدهما صاحبه كلاماً غليظاً فرد عليه مثل كلامه . فرأيتهم قد أنكروا ذلك إنكاراً شديداً ولم أر لذلك سبباً . فقلت : لم أنكرتم أن يقول له مثلما قال ؟ قالوا : لأنه أكثر منه مالاً ، وإذا جوّزنا له جوزنا لفقرائنا أن يكافئوا أغنياءنا ، ففي هذا الفساد كله »

وكذلك نقع على نصوص أخرى تنطوي على أحكام قاسية على أخلاق أصحاب هذه المهن الدنيا :

قال :[١٦٧] « كما أن كل حجام في الأرض من أي جنس كان ومن أي بلد كان فهو يحب النبيذ ، وكما أن أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة في كل بلد من كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة ، فعلمنا بذلك أن ذلك خلقة في هذه الصناعات وبنية في هذه التجارات حين صاروا من بين جميع الناس كذلك » .

وكل ما يتصف به أصحاب هذه المهن من صفات جسدية وعقلية وخلقية مترابطة فيما بينها يدل بعضها على بعضها ، وعلى هذا الترابط تقوم الفراسة .

ويلحق بأصحاب هذه المهن الدنيا فئات اجتماعية أخرى مثل المكدين والعيارين والطفيليين واللصوص الخ .. ولقد أوسع الجاحظ المكان في كتاباته لهذه الفئات ، بل لقد خص بعضها بكتب قائمة برأسها وصف فيها أخلاقها وتصرفاتها وتقاليدها الخ ...

كما يقابل هذه الطبقات التي تترسب في قاع المجتمع طبقات أخرى تتصدره يمكن أن نميز فيها طبقتين : طبقة التجار والصيارفة والوكلاء . وطبقة عمال السلطان من حجاب وكتاب وقادة وولاة ووزراء .. وقد وصفها الجاحظ أيضاً وخص بعضها بكتب خاصة .

ولا أريد أن أتوقف عند هذه الطبقات الثرية ولا عند أولئك المتشردين والشذاذ فذلك بحث يطول .

ولكنني لا أريد أن أنهي هذا الجانب من البحث دون الإشارة إلى رسالة « صناعات القواد[١٦٨] » الهزلية الجدية الساخرة : فقد تصور أبو عثمان فيها أرباب مهن مختلفة خاضوا معركة حربية ثم أخذ كل واحد

منهم يصف هذه المعركة ، وأورد أبو عثمان أبياتاً في الغزل وضعها على لسان كل منهم ؛ فتتكشف في الوصف والغزل عقولهم وتصوراتهم وأساليبهم في التعبير ومعجم ألفاظهم التي صاغتها وفرضتها عليهم مهنهم المختلفة .

الهيأة وصفات الأعضاء

الاعتدال والتوازن والانسجام في الجسم وبين الأعضاء والجوارح والقسمات دليل عند الجاحظ على الاعتدال والتوازن والانسجام في النفس والتفكير والخلق :

قال أبو عثمان :(١٦٩) « وكان يقول (النظام) : إن الأمة التي لم تنضجها الأرحام ويخالفون في ألوانهم وأحداق عيونهم وألوان شعورهم سبيل الاعتدال لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم وتصرف هممهم في لؤمهم وكرمهم .. »

وقال :(١٧٠) « .. وفراسة الرجل السوء أن يكون منقبضاً غير منشرح وأن يرى لونه إلى الصفرة والكمود من غير مرض وأن يكون طائش القلب وأن يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

« ومن فراسة الرجل الصالح أن تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهي سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق وغير كارهٍ للدعابة والمزاح يذكر من يذكر بخير لين المحاورة مُتواضعاً »

أما في الألوان والأعضاء والجوارح ففي كتب الجاحظ أقوال كثيرة ومتناثرة تصفها وتصف المحمودة منها والمذمومة والممدوحة والمهجوة والمشؤومة وما يتوسم فيها الخير :

الألوان

كان العرب بعامة يتشاءمون بالصهب والحمر القشر :

قال أبو عثمان :[١٧١] « .. وقال الشاعر :

وخصم غضاب ينفضون رؤوسهم أولي قدم في الشغب صهب سبالها
ضربت لهم إبط الشمال☆ فأصبحت يرد عداة آخرين نكالها »

وقال :[١٧٢] « .. وكان النعمان أزرق أقشر أحمر العينين أحمر الحماليق . وفيه يقول أبو قردودة حين نهى ابن عمار عن منادمته :

إني نهيت ابن عمار وقلت له : لا تأمنن أحمر العينين والشَعَرَة »

وقال :[١٧٣] « وكنت أظن بالحمر الألوان التسرع والحدة فوجدت الحلم فيهم أعم . وكنت أظن بالسمان الخدال☆☆ العظام أن الفالج إليهم أسرع فوجدته في الذين يخالفون هذه الصفة أعم »

الرؤوس

وكانوا يعيبون صغر الرأس :

قال :[١٧٤] « وممن يضاف إلى صغر الرأس ويعاب بذاك سنان بن سلمة الهذلي . وهو الذي قال له ابن راشد الجديدي : والله ماأنت بعظيم الرأس فتكون سيداً وماأنت بأرسح فتكون فارساً » .

وينعتونه برأس العصا :

☆ إبط الشمال فسره الجاحظ بالفؤاد

☆☆ الخدال جمع خدل وهو الممتلئ الأعضاء لحماً في رقة عظام

قال[١٧٥] : « وكان عمرو بن هبيرة صغير الرأس . فقال سويد بن الحارث :

من مبلغ رأس العصا أن بيننا ضغائن لا تنسى وإن قدم الدهر »

ويحمدون الرؤوس العظام :

قال :[١٧٦] « قال مسكين الدارمي في عظم رؤوس بني تميم :

وإنا أناس تملأ البيض هامنا ونحن حواريون حين نزاحف

.....

« عبد الوارث عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : الصورة الرأس فإذا ذهب الرأس فلا صورة » .

وكانوا يمدحون الصلع ويرون أنه دليل السؤدد والسيادة :

قال :[١٧٧] « وقال آخر :

بنّى (لنا) المجد آباء لنا سلفوا صلع الرؤوس وسيما السادة الصلع

« وقال الآخر :

إذا مالقينا أصلع الرأس أشيبا طويل القرا ضخم العثانين أكلفا
فذاك الذي لا يخلف البرق ودقه ويصبح بساماً وإن كان مدنفا

. . . .

لهاميم صلعَ في قديم أرومة
وحادث مجد كان بالأمس مطرفا »

العيون

ويشاءمون بالزرق . وإذا وصفوا العين بالزرقة وقع على لونين : فقد تكون زرقاء اللون وقد تكون ذهبية :

قال :[١٧٨] « ومن الزرق ممن كانوا يتشاءمون به قيس بن زهير وكان أزرق وكان بكراً وابن بكر . وكانت البسوس زرقاء وبكراً بنت بكر ...

« وقال عبد الله بن همام السلولي :

ولا يكونن مال الله مأكلة لكل أزرق من همدان مكتحل

« وقال آخر :

لقد زرقت عيناك ياابن مكعبر كما كل ضبي من اللؤم أزرق »

وحمرة العيون قد تكون[١٧٩] « للعرض المفارق كعين الغضبان وعين السكران وعين الكلب وعين الرمد ...

« قال أبو حية :

غضاب يثيرون الذحول عيونهم كجمر الغضا ذكيته فتوقدا »

ولكنهم بعامة يذمون الحمر العيون الحمر الحماليق☆ : وقد مر ذكر النعمان وما قال أبو قردودة في حمرة عينيه .

وقال أبو عثمان :[١٨٠] « وقال معاوية لصحار العبدي : يا أحمر ، قال : والذهب أحمر ، قال : ياأزرق قال : والبازي أزرق . وأنشدوا :

☆ الحماليق باطن الأجفان

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عتاق الطير شكل عيونها »

والشكلة عندهم محمودة :

قال :(١٨١) « وقال يونس : لم أر قرشياً قط أحمر عروق العينين إلا كان سيداً شجاعاً . وروى أن النبي ﷺ كان أشكل العينين ضليع الفم » .

الأنوف

يقول أبو عثمان :(١٨٢) « والأنف هو النخوة وموضع التجبر .. والأنف هو موضع الخُنْزُوانة والنُّعَرة☆ » ويحمد في الأنف الشمم :

قال :(١٨٣) « قال حسان بن ثابت :

بيض الوجوه نقية أجسادهم شم الأنوف من الطراز الأول

«وقال ابن مقرم الضبي :

وفتية لا يشين الفحش مجلسهم شم العرانين لا ميل ولا عزل

« وقالوا : وكانوا بنو عبد المطلب عشرة يأكل أحدهم جذعة ويشرب فَرْقاً☆☆ ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم » .

وقال :(١٨٤) « ووصف الإنسان بأنه أقنى مدح ، وكذلك جوارح الطير . قال ذو الرمة :

☆ الخنزوانة : الكبر ، وكذلك النعرة (عن حاشية المحقق)

☆☆ الفرق مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة اصع

نظرت كما جلى على رأس مرقب
من الطير أقنى ينفض الطل أزرق »

ويهجون بالأنوف الفطس والسائلة المسترخية العظيمة الأرنبة وبالأنوف الشعر :

قال :(١٨٥) « وقال أبو عزة وهو عمرو بن عبد الله بن وهب بن حذافة بن سعد بن جمح :

قبح الإله وجوههم وشياتهم مما تجن صدورهم أو تخمز
زرق العيون كأن حد أنوفهم كمر الكلاب لناظر يتبصر

« وقال عقيل بن علّفة يهجو عمار بن عيينة بن حصن :

لم يبق من آل بدر غير أهجنة شعر أنوفهم حول ابن عمار

« وأنشد أبو الرديني العكلي :

عدمت أنفاً هاهنا مستالا من امرئ قد عدم الجمالا
وحاجبين عظما وطالا وعين سوء تكسر المكحالا »

الأفواه والأصوات

وكانوا (ونعني دائماً العرب) يمدحون الواسع الشدق الجهير الصوت ويذمون الضعيف الصوت الصغير الفم :

قال أبو عثمان :(١٨٦) « وحدثني محمد بن يسير الشاعر قال : **قيل لأعرابي : ماالجمال ؟ قال : طول القامة وضخم الهامة ورُحب الشدق وبعد الصوت .**

« وسأل جعفر بن سليمان أبا المِخش عن ابنه المخش ، وكان جزع عليه جزعاً شديداً ، فقال : صف لي المخش ، فقال : ☆كان أشدق خُرْطُمانياً ، سائلاً لعابه ، كأنما ينظر من قَلْتَين ، وكأن ترقوته بُوان أو خالفة ، وكأن منكبه كِركِرة جمل ثَفال ، فقأ الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله .

« قال : وقلت لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : غؤور العينين وإشراف الحاجبين ورحب الشدقين ...

« ويدلك على تفضيلهم سعة الأشداق وهجائهم ضيق الأفواه قول الشاعر :

لحى الله أفواه الدَّبى من☆☆ قبيلة
إذا ذكرت في النائبات أمورها

وإنما شبه أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها ...

« وقال بشار بن برد يهجو بعض الخطباء :

ومن عجب الأيام أن قمت ناطقاً
وأنت ضئيل الصوت منتفخ السَحْر

« وكان أبو عروة الذي يقال له : أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخلِّيها ويذهب هارباً على وجهه ، فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدي فقال :

☆ الخرطماني : الكبير الأنف ـ القلت : النقرة في الجبل تمسك الماء ـ البوان : عمود في مقدم الخباء ـ الخالفة عمود في مؤخره ـ الثفال : البطئ (عن الحاشية)

☆☆ الدبى : أصغر الجراد والنمل (القاموس)

وأزجر الكاشح العدو إذا اغتابك عندي زجراً على أضم☆
زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يلتبسن بالغنم

« وأنشد أبو عمرو الشيباني لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن يزيد بن نعيم ، قال أبو عبيدة وأبو الحسن (علي بن محمد المدائني) : كان شبيب يصيح في جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوي أحد على أحد ، وقال الشاعر فيه :

إن صاح يوماً حسبت الصخر منحدراً
والريح عاصفة والموج يلتطم

« قال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين في عيب التشادق :

له حنجر رحب وقول منقح وفصل خطاب ليس فيه تشادق »

اللسان

وكانوا يرون في اللسان الطويل حتى يضرب أرنبة الأنف القدرة على القول القاطع والهجاء الموجع :

قال :[١٨٧] « وقال سويد بن أبي كاهل :

(ورأى مني مقاماً صادقاً ثابت الموطن كتام الوجع)
ولساناً صيرفياً صارماً كذباب السيف ما مس قطع

☆ الأضم : الغضب

« وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت : ما بقي من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ، ثم قال : والله ما يسرني به مقول من معد ، والله لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه .

« قال : وسمعت أعرابياً يصف لسان رجل فقال : كان يشول بلسانه شولان البَروق* ويتخلل به تخلل الحية .

« قال : ووصف أعرابي رجلاً فقال : أتيناه فأخرج لسانه كأنه مخراق** لاعب » .

الأعناق

وكانوا يمدحون الرقاب الغلب والأعناق الطويلة السبطة ، ويهجون بالرقاب الشعر :

قال :(١٨٨) « وأنشد أبو عبيدة :

وصلع الرؤوس عظام البطون   جفاة المحز غلاظ القَصَر***
شداد المقابض يوم الجلاد   رحاب الشداق طياب الخبر »

وقال :(١٨٩) « وقال الشمردل :

إذا جرى المسك يندى في مفارقهم   راحوا كأنهم مرضى من الكرم
يشبّهون ملوكاً من تجلتهم   وطول أنضية**** الأعناق والأمم »

---

* البروق : الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذٍ ترفع ذنبها

** المخراق منديل أو نحوه يلوى فيضرب به (تفسير الألفاظ منقول عن حاشية المحقق)

*** القصر : العنق

**** النضي : السهم الذي لم يُرَش يعني أن أعناقهم ملس مستوية ـ الأمم : القامات (من شرح الجاحظ)

وقال :[١٩٠] « وقال آخر ووصف عنق رجل :

يـــارُبَّهـــا يـــوم تـــلاقي أسلمـــا   يـــوم تـــلاقي الشيظم المقـــوّمـــا
عبـــل المشــــاش وتراه أهضما   كأن بين منكبيـــــــه سلّما »

قال :[١٩١] « وفزارة تهجى بشعر القفا . ولذلك قال الحارث بن ظالم حيث انتسب إلى قريش وانتفى من بني مرة بن عوف :

فمـــا قـــومي بثعلبـــة بن سعـــد   ولا بفـــزارة الشعر الرقـــابـــا »

الأكف

ويمـــدحون القبضـــات القـويـــة والأكف ذات العروق البـــارزة في ظاهرها :

قال :[١٩٢] « قال دريد بن الصمة :

أبلـــغ نعيمـــاً وأوفى إن لقيتهما   إن لم يكن كان في سمعيهما صمم
فـــلا يـــزال شهـــاب يستضـــاء بـــه   يهـــدي المقـــانب☆ مـــا لم تهلـــك الصّمم
عـاري الأشـاجـع معصـوب بلمتـه   أمر الـــزعـامـــة في عرنينـــه شمم

الأوراك

ويمدحون كذلك الأوراك الرسح . وقد مر من قبل قول ابن راشد لسنان بن سلمة : « .. وما أنت بأرسح فتكون فارساً » .

☆ المقانب جمع مقنب ، والمقنب الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة ـ الصّمم جمع صمة وهو الشجاع (من الحاشية)

البطون

وكانوا يفخرون بشدة الجسم مع هزاله وخفة الحشا ويذمون السمن :

قال :[١٩٣] « وللحسين بن مُطير :

رأت رجلاً أودى بوافر لحمه طلاب المعالي واكتساب المكارم
خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه على قاطع من جوهر الهند صارم
فقلت لها : لاتعجبنَّ فإنني أرى سمن الفتيان إحدى المشاتم »

وقال :[١٩٤] « وقيل لآخر : ما أسمنك ؟ قال : قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة »

ومع ذلك هناك أقوال تتمدح بالبطون المندلقة . وقد ذُكر من قبل ما أنشد أبو عبيدة : « وصلع الرؤوس عظام البطون .. » .

وقال أبو عثمان :[١٩٥] « وقال معاوية بن أبي سفيان : ثلاث خصال من السؤدد : الصلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة »

الهيأة والمشية

قال :[١٩٦] « ومما مدح به العماني هارون الرشيد .. قوله :

جهير العطاس شديد النياط جهير الرواء جهير النغم
ويخطو على الأين خطو الظليم ويعلو الرجال بجسم عمم »

« وكان الرشيد إذا طاف بالبيت جعل لإزاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الذئب .

« وقال إبراهيم : ونظر إليه أعرابي في تلك الحال والهيأة فقال :

خطو الظليم ريع ممسىً فانشمر »

والخلاصة

أظن أنه أصبح من الممكن ، بعد هذا الاستعراض لما عند الجاحظ في الفراسة ، استخراج بعض النتائج :

أولاً ـ إن كتب الجاحظ ، ما وصل منها فقط ، معدن غني يمكن أن تستخرج منه كل الفلزات والمواد اللازمة والكافية لتشييد بناء لعلم الفراسة إن لم يكن مكتملاً فيكاد يكونه .

ثانياً ـ إن مفهوم الفراسة كان عند الجاحظ واضحاً ومحدداً : في معناها من حيث هي كشف عن الطباع الثابتة أو عما يختلج في النفس مما هو عارض ، وفي معناها من حيث هي علم بالغائب في كل الأمور .

ثالثاً ـ ولكنه ينقل عن أصحاب الفراسة أن علوماً مثل علوم الكف والأكتاف والخيلان وقرض الفأر الخ .. تدخل في علم الفراسة ، وهي من العلوم التي كان يدعوها القدماء علوم تقدمة المعرفة وتدعى في أيامنا العلوم التنبؤيه ، مما يدل على أن الفراسة في عصره لم تكن قد تميزت من التنبؤ بالمصاير : مصاير الأفراد ومصاير الجماعات . فهل كان الجاحظ نفسه يدخل هذه العلوم فيما كان يسميه العلم بالغائب ؟ إن أبا عثمان لم يقل : العلم بالغيب بل قال : العلم بالغائب . فما أظنه ، وهو المعتزلي ، كان يسلم بإمكان الاطلاع على الغيوب . والنصوص التي يرد فيها ذكر العلم بالغائب لا تدل على أكثر من معرفة حدسية بالمسبَّبات استناداً إلى أسباب تخفى إلا على العقل النافذ والبصيرة الثاقبة . وقد عرفه على كل حال فقال : « وأول العلم بكل غائب الظنون ، والظنون إنما تقع في القلوب بالدلائل ، فكلما زاد الدليل قوي الظن حتى ينتهي إلى غاية تزول معها الشكوك عن القلوب .. » .

رابعاً ـ أما العلوم الأخرى التي ألحقت بعلم الفراسة ، مثل استنباط المعادن ومعرفة الغيث والاهتداء في القفار الخ ، فيبدو أنها كانت في عصر الجاحظ وعنده مازالت بعيدة عن علم الفراسة ومستقلة عنه .

خامساً ـ إلا القيافة من هذه العلوم فالجاحظ كثيراً ماقرنها بالفراسة ، فكثيراً ماردد مثل هذه الصيغة : « إن الأمر كذا لا يحتاج إلى فراسة أو قيافة لمعرفة كذا » ، مما يدل على أن الجاحظ كان يدرك القربى الحميمة التي تربط بين العلمين ، ولكنهما بقيا عنده متميزين أحدهما من الآخر .

سادساً ـ إن الجاحظ كان بالتأكيد مطلعاً على بعض كتب الفراسة المترجمة عن اليونانية . فهو يذكر أفليمون ويعطيه لقب صاحب الفراسة ، وأشك أن يكون على اطلاع على كتاب « سر الأسرار » المنسوب لأرسطو أو أي كتاب آخر له في الفراسة ، فهو على كثرة ما يذكر صاحب المنطق لم أقع مرة على اسمه مقترناً بالفراسة . وقد نقل الجاحظ عن هذه الكتب وتأثر بها : فقوله بالأخلاط مثلاً قد أخذه منها ، وكذلك فكرة تأثير البيئة على الإنسان والحيوان ، ولكنه ملأها بمعلومات مستقاة من مصادر عربية أو مصادر راهنة موجودة في مجتمعه .

سابعاً ـ ولكنه فيما عدا ذلك كان يرجع إلى مصادر عربية أو إلى ما كان متداولاً في عالمه مما هو متوارث من حضارات قديمة أو إلى تجربته الخاصة ولا سيما مايتصل من هذه المعلومات بالنقص العضوي أو النفسي أو بالمهن أو بدلالات الهيآت والأعضاء .

وإن في الأقوال والأشعار التي اعتمدها ما يوضح معنى ماذكر من وجود كتابات في الفراسة في اليمن رحل الشافعي في طلبها وكتاب في

الفراسة باسم الشافعي ، إذ يكفي أن يعن فقط لإنسان أن يجمع تلك الأقوال والأشعار حتى تجتمع له مادة تصلح لأن تكون أساساً لكتاب في الفراسة ، فاذا هو صاغها قواعد عامة أصبحت كتاباً في الفراسة كاملاً لا ينقصه إلا قليل ، والعصر بعد كان عصر وضع القواعد العامة وإنشاء العلوم ، ففيه وضعت علوم النحو والصرف واللغة والعروض والقافية والفقه وأصوله والحديث وعلومه والكلام و .. والجبر الخ ..

ملحق

باب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس

ويبقى ماذكره بروكلمان[١٩٧] عن كتاب للجاحظ بعنوان « باب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس » ، توجد منه مخطوطة في ليدن ، وقد نشره في سان بترسبورغ سنة ١٩٠٧ ، وترجمه إلى الروسية وعلق عليه « ك . إينوسترانتسيف » في « مواد من مصادر عربية تفيد في تاريخ الحضارة في فارس الساسانية » . وذكره يوسف مراد في كتابه « الفراسة عند العرب » ، وفهد في مقاله « الفراسة » في دائرة المعارف الإسلامية (الجديدة) ، وكلاهما ينعته بأنه منحول للجاحظ .

ومما ذكره فهد[١٩٨] نعلم أن في الكتاب تعريفاً للفراسة ، واستشهاداً بالآية ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ على أن خصائص الطبع لا تبقى خافية ولو جدّ الإنسان في كتمانها .

ومما ذكره يوسف مراد[١٩٩] نعلم أن فيه كلاماً في دلالة الخيلان يشبه ما في كتاب ميلامبوس ، وذكراً لكتاب أبقراط « علامات ماقبل لحظة

الموت » ، وقصة اكتشافه ، وأن اسمه كما وضعه أبقراط « أسرار الطبيعة » ، وأن مترجمه حنين بن إسحاق . ونقل عنه الفقرة التالية (كما ترجمها عن الفرنسية الدكتور وهبه) : « ولقد وضع الله على كل عضو من أعضاء الجسم الحيواني أو الإنساني علامة ، ثم أخفى هذا العضو وهذه العلامة بغطاء من الصحة بحيث تبقى العلامة مختفية تحت الممتد والمحفوظ . وإذا ظهرت إحدى هذه العلامات عزم من ذلك ظهور مرض أو تخارج نقص ما أو موت عاجل أو انحراف كامن » .

وليس لي أن أحكم والكتاب ليس بين يدي . ولكن هذا الكتاب لم يشر إليه الجاحظ مرة واحدة في كتبه التي وصلت إلينا كما أشار إلى كثير من كتبه ، ولم يذكره له ابن النديم ولا ياقوت ولا حاجي خليفة ولا أي كاتب ممن ترجموا للجاحظ ، ولم ينقل عنه بل لم يشر إليه أي كتاب من كتب الفراسة ولا أيّ من كتب في الفراسة ـ مما وصل إلي علمه .

للبحث صلة

المراجع والتعليقات

(٨٦) رسـالـة المعـاد والمعـاش (الموجهـة إلى أبي الـوليـد محمـد بن أحمـد بن أبي دواد) ـ رسائل الجاحظ ، ج ١ ، ص ٩٣ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مصر ١٩٦٤

(٨٧) رسـالـة الوكلاء (وهي موجهـة إلى رجل كتب في ذم الوكلاء) ـ الرسـائـل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ مصر ١٩٧٩

(٨٨) رسالة كتمان السر وحفظ اللسان ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ١٤١ ـ ١٤٩

(٨٩) رسالة الحاسد والمحسود ـ الرسائل ، ج ٣ ، ص ٨

(٩٠) رسـالـة فصل مـا بين العـداوة والحسـد (قـد تكون موجهـة لأبي الحسن عبيـد الله بن يحيى بن خاقان) ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٥ .

ويدخل في هذا المعنى للفراسة ما ورد في « رسالة في الجد والهزل » : « وأمـا الواد ... ولا تغتر بقولـه : إني واد ... وانظر أنت في حـديثـه وإلى مخـارج لفظـه وإلى لحن قولـه وإلى طريقتـه وطبيعتـه وإلى خلقـه وخليقتـه وإلى تصرفـه وتصميـه وإلى توقفـه وتهوره ، وتـأمـل مقدار جزعه من قلة اكتراثه ، وانظر إلى غضبـه فيـك ولـك وإلى انصرافـه عمن انصرف عنـك وميله إلى من مال إليك ...

« ثم لا تحكم له بـذلـك حتى تكون حـالـه مقصورة على محبتـك ومحنوّة على نصيحتـك بـالعلـل التي تـوجب الأفعـال والأسبـاب التي تسخر القلـوب للمـودات كالعلـل الثـابتـة في الصنيعة ...

« فإن أنت لم تحكم له بالغاية مع اجتماع هذه العلل فيه ومع توافيها إليه ، ولم تقض له بأقصى الغاية مع ترادف هذه الأسباب وتكامل هذه الـدلائل وتعـاون هـذه البرهـانـات ـ فكل خبر بيِّنه زور وكل دلالة فاسدة . وقـد قـال الأول : دلائل الأمور أشد تثبيتـاً من شهـادات الرجـال ، إلا أن يكون في الخبر ومع الشهـادة برهـان ، لأن الـدليـل لا يكـذب ولا ينـافـق ولا يزيد ولا يبدل ، وشهـادة الإنسـان لا تمتنع من ذلـك ... » ـ الرسـائل ، ج ١ ، ص ٢٣٩ و ٢٤٠

(٩١) الحيـوان ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ و ٤٢٤ ـ تحقيـق عبـد السـلام هـارون ـ الطبعـة الثانية ١٩٦٦

(٩٢) رسالة المعاش والمعاد ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ١٢٠ و ١٢١

(٩٣) الحيوان ، ج ٢ ، ص ٦٠

(٩٤) انظر إلى النص كاملاً في الحيوان ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٣

(٩٥) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١١٦ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٥

وارجع إلى ما ذكر من صفة يستدل بها على فراهية الكلب : « قال بعض من خبر ذلك : إن طول ما بين يدي الكلب ورجليه بعد أن يكون قصير الظهر من علامة السرعة . قال : ويصفونه بأن يكون صغير الرأس طويل العنق غليظها الخ ... » (الحيوان ، ج ٢ ، ص ٤٥ ـ ٤٨) .

(٩٦) وتتمة الخبر : « ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزل في بعض القرى ، فقرض الفأر مسحاً له كان يجلس عليه فبعث به ليرفأ . فقال له الرفاء : إن هنا أهل بيت يعرفون بقرض الفأر ما ينال صاحب المتاع من خير أو شر فلا عليكم أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه . فبعث المنصور إلى شيخهم ، فلما وقعت عينه على موضع القرض وثب وقام قائماً ، ثم قال : من صاحب هذا المسح ؟ فقال المنصور : أنا ، فقام ثم قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والله لتلين الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً » ـ الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٠٣

وجاء في كتاب « البرصان .. » : « .. ومنهم إفريقي هرثمة (بن أعين) ، قدم به هرثمة ينظر في الأكتاف ويتكهن . والنظر في الأكتاف شبيه بالنظر في أسرار الكف وفي قرض الفأر وفي الخيلان ، ولكل صنف من هذه الأبواب صنف من الناس يدعون أن فيه علماً . وخبرني بكر بن الأشقر صاحب خمس بني تميم بالبصرة ، وكان أبو زيد (الكتاف ، افريقي هرثمة) جاراً له ببغداد ، قال : لم يزل يقول : لا يموت هرثمة حتى يهزم جيش المبيضة .. » ـ البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ص ٣٠٨ ـ تحقيق محمد مرسي الخولي ـ القاهرة ١٩٧٢

(٩٧) ففي المعادن صنف كتاباً ذكره في مقدمة كتاب الحيوان ـ الحيوان ، ج ١ ، ص ٥ .

وفي العرافة والزجرو ... ـ الحيوان ، ج ١ ، ص ٦٣ و ج ٢ ، ص ٢١٦ و ج٣ ، ص ٤٣٨ ـ ٤٥٧ و ج ٥ ص ٥٨٠

وفي الاهتداء في البراري ومعرفة الغيث ـ الحيوان ، ج ٣ ، ص ١١٩ ـ البرصان .. ص ١٨٤ و ٣٠٤ ـ وفي الحيوان ، ج ٦ ، ص ٣٠ هذا النص :

« ومن هذه الجهة عرفوا (الأعراب) الآثار في الأرض والرمل ، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء ، لأن كل من كان بالصحاصح الأماليس حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلى بعد الشقة مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه .

« ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب وضنه بالحياة اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث ...

« وأكثر سبب ذلك كله ، بعد فرط الحاجة وطول المدارسة ، دقة الأذهان وجودة الحفظ » .

وفي القيافة يكفي النص التالي مثالاً على قرن الجاحظ القيافة بالفراسة :

« .. وأنت لا تغلط في التركي ولا تحتاج فيه إلى قيافة ولا إلى فراسة .. » ـ الرسائل ، ج ١ ، ص٦٣

(٩٨) كتاب في الأوطان والبلدان ـ الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٠٩

وللجاحظ في الجغرافية ثلاثة كتب : هذا الكتاب ، الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٠٩ ـ ١٤٧ ـ رسالة الحنين إلى الأوطان ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ـ ٤١٢ ـ كتاب الأمصار وعجائب البلدان ، ذمّه المسعودي في مروج الذهب ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ، ج ٣ ، ص ١٢٥

(٩٩) فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢١٩

(١٠٠) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٠

(١٠١) رسالة مناقب الترك (الموجهة إلى الفتح بن خاقان) الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٣

وانظر : رسالة فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ـ كتاب البغال ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ـ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧١

(١٠٢) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢١٩

وانظر : كتاب البغال ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣١٣ ـ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧١

(١٠٣) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٢

(١٠٤) الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٤٢ ـ ج ٧ ، ص ٢٢٩

(١٠٥) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٣٥

(١٠٦) رسالة الحنين إلى الأوطان ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ٣٨٧

(١٠٧) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٣٥

ومثل : « والفرات خير من ماء النيل . وأما دجلة فإن ماءها يقطع شهوة الرجال ، ويذهب بصهيل الخيل ولا يذهب بصهيلها إلا مع ذهاب نشاطها ونقصان قواها ، وإن لم يتنسم النازلون عليها أصابهم قحول في عظامهم ويبس في جلودهم » (النيل يعني نيل الكوفة وهو خليج كبير يتخلج من الفرات حفره الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر ـ القحول : اليبس ـ الشرح منقول عن حواشي المحقق) ـ الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٣٦

(١٠٨) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٩١

(١٠٩) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٧ و ٢٨ ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٧

وللجاحظ كتب في الأمم والشعوب منها :

في مناقب الترك وعامة جند الخلافة ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٥ ـ ٨٦

فخر السودان على البيضان ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ١٧٧ ـ ٢٢٥

مفاخرة السودان والحمران ـ العرب والعجم ـ العرب والموالي ـ الصرحاء والهجناء ـ القحطانية والعدنانية ـ فخر هاشم وعبد شمس ـ فخر عبد شمس ومخزوم يرجع الى فهرست مؤلفات الجاحظ في : فهرست ابن النديم ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٢ (طبعة طهران) ـ معجم الأدباء لياقوت ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ ـ ١١٠ ـ أدب الجاحظ لحسن السندوبي ، ص ١١٦ ـ ١٥٨ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ج ٣ ، ص ١١٠ ـ ١٢٨ (الترجمة العربية)

(١١٠) رسالة مناقب الترك ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٧ ـ ٦٩

وانظر في وصف العرب : البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٨ ـ الرسائل ، ج ١ ، ص ٦٩ و ٧٠

وفي وصف الفرس : البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٨

وفي وصف الهند : رسالة فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٢٣ و ٢٢٤

وخص الترك برسالة مناقب الترك

وخص السودان برسالتين : مفاخرة السودان والحمران ، وهي مفقودة ـ وفخر السودان على البيضان

(١١١) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٨١

(١١٢) الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٣٥

(١١٣) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٢ ـ (وبيسان المذكورة قرية من قرى الموصل ـ نقلاً عن حاشية الحيوان)

(١١٤) البخلاء ، ص ١٧ ـ ٢٨ ، تحقيق طه الحاجري ، ط ٦ ، دار المعارف ، مصر ١٩٨١

(١١٥) رسالة الأوطان والبلدان ، الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٣٦ ـ ١٤٧

(١١٦) الحيوان ، ج ١ ، ص ٤

(١١٧) رسالة المعلمين ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ٤٥ ـ ٤٧

(١١٨) البخلاء ، ص ١٥٦

(١١٩) الحيوان ، ج ١ ، ص ٥

(١٢٠) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ و ٤٣٥

(١٢١) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٤

(١٢٢) رسالة في الجد والهزل (الموجهة إلى محمد بن عبد الملك الزيات) الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٣٤

وارجع إلى : البرصان .. ، ص ٥١ : « ومن البهق الأسود والأبيض ، وإنما ذلك على قدر النقص فإن كان من المرة السوداء كان أسود ، وإن كان من البلغم كان أبيض ، وإذا ابيض لم يؤمن » .

(١٢٣) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣

(١٢٤) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦

(١٢٥) الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٤٥

(١٢٦) رسالة حجج النبوة ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ٢٣٨

(١٢٧) رسالة المعاش والمعاد ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٩٦

(١٢٨) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٥

(١٢٩) البخلاء ، ص ١١١

وانظر ما جاء في البيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٩ : « ودخل عبيد الله (ابن زياد بن ظبيان التيمي) على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزبير ، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعد معه على سريره . فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك ؟ قال : والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ، ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه ، قال : ومن ذاك ؟ قال : من لم يولد لتمام ولم تنضجه الأرحام ومن لم يشبه الأخوال والأعمام ، قال : ومن ذاك ؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف ، قال عبد الملك : أو كذلك أنت ياسويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد فقال : ورِيت بك زنادي ، والله ما يسرني أنك كنت نقصته حرفاً واحداً مما قلت له وأن لي حمر النعم ، قال : وأنا والله ما يسرني بحلمك اليوم عني سود النعم » .

(١٣٠) البرصان ، ص ٧

(١٣١) البرصان ، ص ١٧

(١٣٢) البرصان ، ص ١٩

(١٣٣) البرصان ، ص ٢٠

وفي ديوان بشار ، ج ٤ ، ص ١٣٦ : في البيت الأول : نجد « أجولا » بدلاً من أحولا وفي البيت الثالث : « وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى » بدلاً من : وغاض ضياء العين للعلم رافد .

(١٣٤) البرصان ، ص ١٥

(١٣٥) البرصان ، ص ٢١١ ـ البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٧٥

(١٣٦) البرصان ، ص ٢٥٩

(١٣٧) البرصان ، ص ٢٣٧

(١٣٨) الحيوان ، ج ١ ، ص ١٠٦ ـ ١٧٤

(١٣٩) البرصان ، ص ٤

(١٤٠) رسالة النبل والتنبل وذم الكبر ، الرسائل ، ج ٤ ، ص ١٧٥

(١٤١) الحيوان ، ج ٦ ، ص ٧١

(١٤٢) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٥

(١٤٣) البيان والتبيين ، ج ٤ ، ص ٧٠

(١٤٤) رسالة مفاخرة الجواري والغلمان ، الرسائل ج ٢ ، ص ٩١ ـ ١٣٧

(١٤٥) كتاب القيان ، الرسائل ج ٢ ، ص ١٤٣ ـ ١٨١

(١٤٦) كتاب النساء ، الرسائل ج ٣ ، ص ١٣٩ ـ ١٥٩

في مقدمة كتاب الحيوان ، حيث يرد الجاحظ على ناقد كتبه ، يذكر عدداً من كتبه من جملتها « كتاب فصل ما بين الرجال والنساء وفرق ما بين الذكور والإناث » (الحيوان ، ج ١ ، ص ٤) . ولكنه يعود في الجزء السادس فيسرد أبواباً من الكتاب بقيت وعليه أن يكتبها من كبارها « القول في فصل ما بين الذكورة والإناث وفي فصل ما بين الرجل والمرأة خاصة » (الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٤) ، فيقعده المرض والشيخوخة على ما يظهر عن إنجاز ما قرر . ثم نجد في « الفصول المختارة من كتب الجاحظ لعبيد الله بن حسان » مختارات من كتاب النساء ، وفيه يعتذر بالشيخوخة والمرض عن معالجة موضوعات كان يريد أن يعالجها ليخرج الكتاب تاماً (كما نقلت في متن الدراسة) ، مما قد يوحي بأن الكتاب كتب بعد كتاب الحيوان كما هو الأمر في كتاب البغال . فهل هناك كتابان أم كتاب واحد هو المذكور في مقدمة الحيوان اكتفى به الجاحظ حين أقعده المرض والشيخوخة ؟

صاحب الفهرست يذكر كتابين ، يقول : « وأضاف إليه (إلى كتاب الحيوان) كتاباً آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى . وكتاباً آخر سماه كتاب البغال . ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحي بن سليمان ويكنى أبا يحي وراق الجاحظ » ـ ثم يذكر له كتاباً آخر باسم « كتاب النساء » (الفهرست ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٢ ، طبعة طهران) .

وكذلك فعل ياقوت نقلاً عن الفهرست (معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ ـ ١١٠)

(١٤٧) كتاب النساء ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ١٥٢

(١٤٨) الرسائل ، ج ٣ ، ص ١٥٧

(١٤٩) الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٤

(١٥٠) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤٨ ـ ٥٠

(١٥١) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢١٣

(١٥٢) الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٢٠

(١٥٣) الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٦٠

(١٥٤) الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣١٤

(١٥٥) الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٠٧

وانظر أيضاً : « يزعم زرادشت ، وهو مذهب المجوس ، أن الفأرة من خلق الله وأن السنور من خلق الشيطان وهو إبليس وهو أهرمن » ـ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٩٨

و « تزعم العامة أن الفأرة كانت يهودية سحارة ، والأرضة يهودية .. والضب يهودي ، ولذلك قال بعض القصاص لرجل أكل ضباً : اعلم أنك أكلت شيخاً من بني إسرائيل ..

« وتزعم المجوس أن شوتَن الذي ينتظرون خروجه ويزعمون أن الملك يصير له يخرج على بقرة ذات قرون ومعه سبعون رجلاً عليهم جلود الفهود لا يعرف هرّاً ولابرّاً حتى يأخذ جميع الدنيا ...

« والباز والفهد من جوارح الملوك ، والشاهين والصقر والزُّرّق واليؤيؤ . وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازي لأن ذلك من عمل البازيار ، ويستهجن حمل الصقور والشواهين وغيرها من الجوارح . وماأدري علة ذلك إلا أن الباز عندهم أعجمي والصقر عربي » ـ (لا يعرف هَرّاً ولا بِرّاً : يأخذ الناس بالغشم لا يميز بين مواليه ومعاديه ـ نقلاً عن حاشية الحيوان) ـ الحيوان ، ج ٦ ، ص ٤٧٧ و ٤٧٨

(١٥٦) الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٦٤

(١٥٧) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٧٠ ـ ٧٢

(١٥٨) الحيوان ، ج ١ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٤

(١٥٩) البخلاء ، ص ٤٨

(١٦٠) فيما يلي كتب الجاحظ التي تدخل في باب المهن :

كتب : أخلاق الشطار ـ أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة ـ أخلاق الملوك ـ أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات ـ الجواري ـ الحجاب ـ الطفيليين ـ حيل اللصوص ـ حيل المكدين ـ ذم أخلاق الكتاب ـ ذم الوراقة ـ السلطان وأخلاق أهله ـ طبقات المغنين ـ غش الصناعات ـ القحاب ـ صناعات القواد ـ القيان ـ مدح التجارة وذم عمل السلطان ـ مدح الكتاب ـ مدح الوراقة ـ المعلمين ـ المغنين والغناء والصنعة ـ الوكلاء ـ التبصر بالتجارة ـ القضاة والولاة ـ الأخطار والمراتب والصناعات (فهرست كتب الجاحظ في الفهرست ومعجم الأدباء وأدب الجاحظ للسندوبي وبروكلمان) .

(١٦١) البرصان ، ص ٢١٧

وقد يدخل في هذا المعنى قوله : « وكان أبو عبدان المخلّع مولى بَلْعنبر واسمه مرثد ، وكان أطيب الناس شعراً ، وكان صعترياً صاحب نيزكية وتخلع وكان ذا نشال ، وإذا تكلم عقف أصابعه . فلم يزل يتكلف ذلك حتى صار مخلعاً بالحق وصار أسوأ حالاً من الأشل . وكان في صغره خياطاً فصار في حال لا يستطيع أن يملك نفسه ولا يمسك أبوه (إبرة) بيّده .. » ـ البرصان ، ص ٢١٥ (الصعتري : الشاطر وهو من أعيا الناس خبثاً وحيلاً ـ النيزكية : الشر ـ التخلع : المشية في تفكك ـ نقلاً عن حاشية الكتاب) .

(١٦٢) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٣٤

(١٦٣) رسالة المعلمين ، الرسائل ، ج ٣ ، ص ٣٢

(١٦٤) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٤٩

(١٦٥) الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٣ ـ ١٥

(١٦٦) البخلاء ، ص ١٢٥

(١٦٧) رسالة مناقب الترك ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٥١ و ٥٢

(١٦٨) رسالة في الجد والهزل ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٩٣

(١٦٩) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٦

(١٧٠) التبصر بالتجارة تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، ص ٣٠ ـ دمشق ١٩٣٢

فالجمال والذكاء وحسن الخلق تجتمع عند الجاحظ وتكتمل في الاعتدال في الصورة

والتناسب بين الأعضاء . قال : « وأنا مبين لك الحسن : هو التام والاعتدال . ولست أعني بالتام تجاوز مقدار الاعتدال كالزيادة في طول القامة وكدقة الجسم أو عظم الجارحة من الجوارح أو سعة العين أو الفم مما يتجاوز مثله من الناس المعتدلين في الخلق ، فإن هذه الزيادة متى كانت فهي نقصان من الحسن وإن عدت زيادة في الجسم . والحدود حاصرة لأمور العالم ومحيطة بمقاديرها الموقوتة لها . فكل شيء خرج عن الحد في خلق حتى في الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور فهو قبيح مذموم .

« وأما الاعتدال فهو وزن الشيء لا الكمية .. ووزن النفوس في أشباه أقسامها . فوزن خلقة الإنسان اعتدال محاسنه وألا يفوت شيء منها شيئاً : كالعين الواسعة لصاحب الأنف الصغير الأفطس ، والوجه الضخم لصاحب البدن المجدّع النضو ، والظهر الطويل لصاحب الفخذين القصيرتين ، والظهر القصير لصاحب الفخذين الطويلتين ، وكسعة الجبين بأكثر من مقدار أسفل الوجه ... وإنما نعني بالوزن الاستواء في الخرط والتركيب ... » (كتاب القيان ، الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٦٢ و ١٦٣)

على أن الجاحظ كان من سعة آفاق التفكير والملاحظة بحيث يعلم أن الجمال ليس له مقياس واحد ثابت ، ويعلم أن معايير الجمال تختلف وترجع إلى عوامل كثيرة مثل الكثرة أو الندرة والإلفة أو الاستطراف والتشابه أو التخالف في الصورة والألوان أو نزعات اجتماعية ونفسية تتحكم بها ظروف كثيرة ومعقدة اقتصادية واجتماعية وفكرية ...

فهو يقول : « قالوا : وإن نظر البيضان إلى نساء السودان بغير عين الشهوة فكذلك السودان في نساء البيضان . على**أن الشهوات عادات وأكثرها تقليد** . من ذلك أن أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات والأغوار ، واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات وبنات الحبشيات ، وأهل الشام أشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات . وكل قوم يشتهون جلبهم وسبيهم ، إلا الشاذ وليس على الشاذ قياس » . (رسالة فخر السودان على البيضان ، الرسائل ، ج ١ ، ص ٢١٥)

(١٧١) البرصان ، ص ٣٥٢

(١٧٢) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ .

(١٧٣) الحيوان ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(١٧٤) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٤ ـ البرصان ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩ .

(١٧٥) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٤١ .

(١٧٦) البرصان ، ص ٣٠٨ و ٣٠٩ .

(١٧٧) البرصان ، ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

(١٧٨) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٣١ و ٣٣٢ .

(١٧٩) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ .

(١٨٠) الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ .

(١٨١) الحيوان ، ج ٥ ، ص ٣٣٣ .

(١٨٢) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٨٣) البرصان ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦ .

(١٨٤) البرصان ، ص ٣٠٢ .

(١٨٥) البرصان ، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٠ .

(١٨٦) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٢٠ ـ ١٢٩ .

(١٨٧) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .

(١٨٨) البرصان ، ص ٣٢٣ .

(١٨٩) الحيوان ، ج ٣ ، ص ٩١ .

(١٩٠) البرصان ، ص ٣١٨ .

(١٩١) البرصان ، ص ٢٩٨ .

(١٩٢) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(١٩٣) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(١٩٤) البخلاء ، ص ١٨٠ .

(١٩٥) البرصان ، ص ٣٢٣ .

(١٩٦) البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(١٩٧) تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ١١٨ (الترجمة العربية)

(١٩٨) دائرة المعارف الإسلامية (الجديدة) ، م ٢ ، ص ٩٣٧ و ٩٣٨ (في الفرنسية)

(١٩٩) الفراسة عند العرب ، ص ٥١ و ٥٧ و ٥٨ .

عبد الكريم زهور عدي

المعجم الكبير

الأستاذ وهيب دياب

أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الثاني من المعجم الكبير وهو يحوي الكلمات التي تبدأ بحرف الباء . وقد تصفحت هذا الجزء فرأيت أن أذكر الملاحظات التالية :

في الصفحة ١٣ (البابونج) لم يذكروا أنه معرب ولم يوردوا اسمه العربي وهو القُرَّاص .

في الصفحة ١٩ (بالي احدى الجزر الاندونيسية) وفي الصفحة ٢٨٦ (الجزر البريطانية) والصواب الجزائر ولنتذكر الجزائر الخالدات وقول صاحب المصباح (البلور حجر معروف وأحسنه مايجلب من جزائر الزنج) فجمع فعيلة فعائل واستثنوا بعض الكلمات التي تجمع على فُعُل مثل صحيفة وصحف وسفينة وسفن .

في الصفحة ٢١ (البارود) لم يذكروا أنه يسمى ثلج الصين وملح الصين .

في الصفحة ٢٢ (دعاية لدول المحور) لم يبينوا دول المحور .

في الصفحة ٢٢ (باريس[١] .... وعرف أهلها بالباريسيين) هذا حشو لا

---

(١) ورد اسمها عند المسعودي : « بريزة » . جاء في مروج الذهب (٢ : ١٤٥) : « وكلمة الافرنجة متفقة على ملك واحد لاتنازع بينهم في ذلك ولا تحزُّب ، واسم دار مملكتهم في وقتنا هذا « بريزة » وهي مدينة عظيمة . ولهم من المدن نحو من خمسين ومائة مدينة ، غير العمائر والكور » . وقد ألف المسعودي كتابه سنة ٣٣٢ هـ ، وأعاد تنقيحه سنة ٣٣٦ هـ [شاكر الفحام].

لـزوم لــه . وقــد ذكروا بــاري وبرلين وبرن وبــون ولم يــذكروا براغ وبرشلونة وبلغراد وبروكسل .

في الصفحـة ٢٥ (بـاشـا كلمـة تركيـة منحـوتـة في الارجـح من بـادشـاه الفارسية ، بمعنى السلطان) يقول طوبيا الغيسى في كتابه تفسير الألفـاظ الدخيلة في اللغة العربية (باشـا ـ فـارسي مركب من بـا أي قـدم ورِجل ومن شاه أى ملك وسلطان) . وكذلك يقول السيـد ادي شير في كتـابـه الألفاظ الفارسية المعربـة (البـاشـا مركب من پـا أي قـدم ومن شـاه أي الملك) .

في الصفحة ٢٦ (باغة) لم يقولوا دخيلة .

في الصفحة ٣٣ (الغرقِىء : قشر البيضة) التعريف ناقص فالغرقِىء القشرة الرقيقة الملتصقة ببياض البيضة .

في الصفحة ٤٢ (لونه أصفر داكن) الصواب (لونه أصفر أدكن) .

في الصفحة ٥٣ (افريقيا) صوابه (افريقية) كما جـاء في ص ١٥ و ٣٠ و ٢٥٢ وكما جاء في متن الجزء الأول .

في الصفحـة ٥٤ (رعـاة المــاشيــة) الاعلى (الرعــاء) وفي القرآن الكريم (حتى يصدر الرعاء) . فالرعاء للمواشي والرعاة لأولي الامر .

في الصفحة ١٠١ (بخارى) لم يقولوا ان الصغاني رسمهـا بخـارا وبخـاراء في التكملة والذيل والصلة ، قال الصغاني في التكملة ج ٥ ص ٧٤ (وزملقى : من قرى بخارا) وقال في ج ٥ ص ١٣٨ (فاشوق : من قرى بخاراء) .

في الصفحـة ١٠٨ (تحول السـائـل الى بخـار) الافضـل (تحـول المـائـع الى بخار) .

في الصفحة ١٨٦ (البرتقال) لم يذكروا ان الكلمة دخيلة وان أصلها البرتغال .

في الصفحة ١٨٩ (برج) فاتهم معنى ذكره الراغب الاصفهاني في المفردات في غريب القرآن قال : (تبرجت المرأة أي تشبهت به في اظهار المحاسن وقيل ظهرت من برجها أي قصرها ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ﴾ .

في الصفحة ١٩٣ (برجوازية) في كتاب الاعتبار عرَّبَ اسامة بن منقذ كلمة البرجوازي فجعلها البرجاسي .

في الصفحة ٢٠٨ (بردى النهر الرئيسي الذي يروي غوطة دمشق ومنبعه عين الفيجة) أرادوا عين الفيجة والصواب : ومنبعه سهل الزبداني .

في الصفحة ٢٢٤ ورد بعد لفظ البرنساء (النبراس ـ انظره في رسمه) ولا لزوم لذلك .

في الصفحة ٢٢٤ ورد (البرستاتة) وقد قال انستاس ماري الكرملي انها الموثة .

في الصفحة ٢٧٤ (البرميل يوضع فيه الخل والخمر ونحوهما من السوائل) لم يقولوا دخيل . والأفضل وضع كلمة الموائع بدل السوائل .

في الصفحة ٢٧٤ (الحافّة) الصواب الحافَة ، بتخفيف الفاء .

في الصفحة ٢٨١ (لمعاهدة تثبت توُافقة ادارة اطرافها) الجملة غير مفهومة .

في الصفحة ٤٠٠ مادة (بظر) فاتهم ابظر الرجل : تزوج نصرانية . ذكره ابن القطاع في كتابه (الافعال) .

في الصفحة ٤٥٦ (سوريا) صوابه سورية كما ورد في الصفحة ٢٥ .

في الصفحة ٤٧٤ (وأمير الألاي) كيف يعرف معنى الألاي من لايعرف اللغة التركية ؟ .

في الصفحة ٥٩٠ (البنكام ... الساعة المائية) هذا التعريف ناقص ، ففي شفاء الغليل للخفاجي في مادة اسطرلاب (تسمى الآلات التي يعرف بها الوقت اسطرلاب والطرجهارة وهي آلة مائية وبنكام وهي رملية ... ذكره في نهاية الارب) ، وفي مادة بنكام (... ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل) ، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ج ١ ص ٢٥٥ (وانقسمت البنكامات الى الرملية وليس فيها كثير طائل والى بنكامات الماء وهي أصناف ولا طائل فيها أيضاً والى بنكامات دورية معمولة بالدواليب يدير بعضها بعضاً) . وفي الحاشية ١ (ولفظ بنكام فارسي معرب ... وخصه صاحب الصحاح الفارسية بزجاج الساعات الرملية) .

وفي الصفحة ٥٩٤ (البن حبوب شجرة ..... وتقشر الثمرة والبذرة ثم تحمص) قال ابن مكي الصقلي في الصفحة ٨٩ من كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان (ويقولون حمصت الحب على النار والصواب حمست بالسين مأخوذة من الحماسة وهي الشدة وإنما قيل لقريش « الحمس » لشدتهم في دينهم) .

وفي كتاب الانيس المفيد لدي ساسي ص ٧٤ (اعلم ان القهوة هو النوع المتخذ من قشر البن او منه مع حبه المُجَحَّم ـ أي المقلي ـ من كتاب عمدة الصفوة في حل القهوة للشيخ عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي) .

وورد في مادة غرض في لسان العرب (والغريضة ضرب من السويق ،

يصرم من الزرع مايراد حتى يستفرك ثم يُشَهَّى ، وتشهيته أن يسخن على المقلى حتى ييبس) . فهذان فعلان يمكن استعمالها لتأدية معنى فعل حَمَّس .

وفي الصفحة ٦٥١ (كُوة) والأعلى كَوة بفتح الكاف .

وفي الصفحة ٦٩٣ على الخريطة (پولنده) وفي المتن (بولندا) وفي الصفحة ٥٢٩ بولندة .

وفي صفحة ٧٢٢ مع رسم البيضة (الصفار) والصواب الصفرة أو الذهب أو العرقيل أو المح أو الفص .

وفي الصفحة ٧٣٨ في الحقل الايمن السطر السابع (يقرم) صوابه يقوم .

هذا وفي المعجم كلمات كثيرة لم يشر الى كونها دخيلة وكم تمنيت لو نشرت في الكتاب اسماء اعضاء لجنة تأليفه لتقديم الشكر اليهم على مابذلوه من جهد ظاهر للعيان ولحضهم على الاسراع في العمل لأن ظهور الجزء الثاني المتضمن حرف الباء بعد ظهور الجزء الاول بعشر سنين مدعاة لليأس ونفاذ الصبر .

وهيب دياب

آراء وأنباء

أربعة أوسمة استحقاق من الدرجة الأولى

لعلماء مؤرخين سوريين

وافتتاح معرض (كتاب تاريخ سورية)

الدكتور عدنان درويش

في أمسيــة يـوم الاثنين العــاشر من ربيـع الآخر من سنــة ثــلاث وأربعمئة وألف للهجرة ، الرابع والعشرين من كانون الثاني من سنة ثلاث وثمانين وتسعمئة وألف للميلاد ، تحفّلت القاعة الشامية في المتحف الوطني بدمشق بجمهور من نخبة القوم ، علماء وأولي فضل ، لبوا دعوة المديرية العامة للآثار والمتاحف في وزارة الثقافة والإرشاد القومي ليشهدوا احتفالاً ترعاه وزيرة الثقافة والإرشاد القومي الدكتورة نجاح العطار لتكريم أربعة علماء مؤرخين من سورية ومنحهم أوسمة الاستحقاق السورية من الدرجة الأولى لما ثقلت موازينهم بما قدموه صامتين من عطاء حضاري ترسموا فيه سنة سلف ماجدين ، وما بذلوه متواضعين من جهد في بناء صرح حضارة الأمة التي نبتوا فيها فأزهروا وأتوا بالثمر الجني ، أولئك المجلون هم : علامة دمشق وأثريها ومؤرخها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان ، والعالم البحاثة صاحب التصانيف الكثيرة الأستاذ عمر رضا كحالة ، والأثري الفنان الرسام الأستاذ خالد معاذ ، والبحاثة الموسوعي والعالم اللغوي والشاعر الأستاذ خير الدين الأسدي عليه رحمة

الله ورضوانه .

وفي جو خفقت فيه بين جنبات القاعة معاني الإكبار والإجلال ترجعها ألفاظ التقدير والحب مهدت السيدة الوزيرة بكلمة جامعة لتقليد الأوسمة للعظماء العاملين فجاءت كلمة غنية بمعاني الإكرام والتقدير ، جاء فيها :

« إذا كانت الشعوب بنضالها وعطائها هي التي تصنع التاريخ في عصرنا بما تقدم من وقائع وأحداث يتشكل منها التاريخ ذاته ، فإن عمل المؤرخين ، لا في تدوين هذه الوقائع والأحداث فحسب بل في تحليلها وفهم ترابطها أيضاً ، يعدُّ إنجازاً كبيراً ، تحتاجه الأمة والحضارة والناس جميعاً » .

وتابعت قائلة : « ولقد كان تكريم الرئيس حافظ الأسد للسادة المؤرخين في هذا القطر تكريماً لكل المثل التي يناضل من أجلها بالصلاح والتنمية والثقافة على حد سواء ، وكان تكريماً ذا دلالة فهو يؤكد مرة أخرى اهتمام السيد الرئيس غير المحدود بالثقافة ورجالها ، وبالفكر وأعلامه ، وبكل الذين أسهموا في إغناء حضارتنا وأعطوا دفقاً جديداً لمسيرتها ، وأضافوا جديداً لكنزها ...

إن الأساتذة الأجلاء الذين منحوا أوسمة الاستحقاق قد كانوا كباراً في نتاجهم ، وكباراً في تكريس حياتهم لهذا النتاج ، فقد ولدوا مع بداية هذا القرن ، وأمضوا عمراً حافلاً بالعمل المثمر . وقد لايصدق إنسانٌ يرى آثار الواحد منهم أنها من نتاج فرد بذاته . فقد عمل كل واحد في قطاع خاص ، وتلاقوا في هدف واحد هو خدمة تاريخ هذا الوطن وإغناء الثقافة العامة . وأصبحت أعمالهم مراجع لمن يريد التعمق والتوسع .

وكثيرة هي الدراسات الجامعية التي اعتمدت على آثارهم .

لقد سار الشيخ الجليل محمد أحمد دهمان في مجال تحقيق ماحفظته المخطوطات من مكنون الأخبار والتاريخ والعلم ونشر ذلك بإضافات من ايضاحات لاتقل أهمية عما ورد في متن المخطوط ...

وقدم الأستاذ القدير عمر رضا كحالة جهداً لانظير له تعجز عن إنجازه المؤسسات ، فقد جمع أخبار القبائل العربية قديمها وحديثها في معجم مؤلف من ثلاثة أجزاء ضخمة ، ورصد أخبار المصنفين والمؤلفين ، وجمع تراجمهم ومؤلفاتهم من الكتب العربية ، وأخرج ذلك في خمسة عشر جزءاً ... ولا بد لي أن أؤكد على ناحية هامة تتعلق بالمرأة العربية التي لعبت دوراً في الفكر والسياسة والأدب ، المرأة التي أولاها الأستاذ كحالة اهتماماً خاصاً فتحدث عن أعلام النساء العرب والمسلمات منصفاً بذلك هذا الكائن الخلاق ...

ويقترن اسم خير الدين الأسدي مع مدينتنا الثانية حلب ، فقد رحل عنا العلامة خير الدين الأسدي إلى جوار ربه ومدادُ قلمه لم يجف ، وكان يكتب ويكتب في تاريخ حلب الشهباء ... وكان كلامه على هذه المدينة كلام المعلم والعارف والمحب ، وهذا كتابه الكبير يصدر منه المجلد الأول مؤكداً أهمية ماتركه راحلنا الكبير ، وغزارة مافيه من معارف وتواريخ .

أما الأستاذ خالد معاذ الذي يقف بيننا اليوم ، ونسأل الله أن يمد في عمره ، فقد عرفناه دائماً مصوراً وفناناً ومؤرخاً وأثرياً لم يترك شاردة تاريخية أو وثائقية عن دمشق إلا وجمعها ... وليس في دمشق أثر أو كتابة أو آبدة إلا وصوَّرها ، جامعاً في قلبه وذاكرته وخزانة وثائقه الأساس الذي يساعد على كتابة أضخم سفر عن دمشق ، وقد نشر

بعضه ، وما زال كثيره في الطريق إلى ذلك .

إذن فلتكن هذه الأوسمة بعضاً من تقدير هذه الأمة لمفكريها ، وبعضاً من التكرمة والوفاء من هذا الشعب لمؤرخيه ، ولتكن هذه البادرة الرائعة تقليداً في حياتنا الثقافية ، وطريقاً نسلكه في إبداعاتنا ، وفي تثمين هذه الإبداعات وتخليد منجزيها » .

وبعدما انتهت الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة من كلمتها تقدمت من الأساتذة العلماء الثلاثة الأستاذ دهمان وكحالة ومعاذ تقلدهم الأوسمة رموز التقدير والتكريم . وحمّلت الأستاذ رسلان وسام المرحوم الأسدي بصفته ممثلاً أسرته .

وبعد ذلك نهض الأستاذ كحالة يلقي كلمة حملها ، على وجازتها ، أجمل عبارات الشكر والاعتزاز بنيله شرف حمل وسام الاستحقاق ، ثم قام الدكتور أحمد دهمان نجل العلامة الشيخ فقرأ كلمة والده الذي أقعده مرضه عن إلقائها فكانت كلمة رائعة في التعبير عن أدق مشاعر الشيخ وأحاسيسه في هذا الموقف الجليل ، ومما جاء فيها :

« وقفت أسائل النطق إسعادي في هذا الموقف الجليل ، فاحتبس وغاب ، إلا كلمة أشربت بدمعي وتحرك بها لساني : أن الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة نفراً عاملين مؤمنين ، يعملون على مكانتهم ليؤثلوا معاني خلود أمتهم ، ويبنوا صروح أمجادها ، مبتغين وجه الله وراحة الضمير ، حتى إذا آن لهم أن يريحوا ركائبهم من أين رحلة العمل الطويلة الفوا جيلاً من الشباب يتعاورون الركائب ليتابعوا الرحلة سيراً وإصعاداً ، ووجدوا أذرع العرفان تمتد إليهم بحب ، وتضمهم بحنان واحترام ، وتأوي بهم إلى روضة غنيت بالتقدير والتكريم ، فتطمئن

نفوسهم وتقر عيونهم بأن زرعهم استوى على سوقه يؤتي أكله وثماره ، وما على الأجيال الشابة اللاحقة إلا أن يتأسوا بالرادة ، ويتهدوا بالمثل ، ويسيروا وراء الحداة ماضين إلى المجد والخلود ، فهم الشموس المانعة تتوقد نشاطاً وحيوية ، وسلفهم شموس آذنت بالأفول ...

كم أطيب اليوم نفساً بهذه البادرة الكريمة في حفل تكريم رعاه قلب قائد عظيم الرئيس حافظ الأسد ، فقد عرف قدر العلم فكرم أهله فكان لي من ذلك أسمى الفخر بأن أنالني الشرف العظيم بحمل أعلى رمز للتقدير ، وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى ، قدرني الله على الوفاء ببعض الجميل شكراً وثناء وحمداً ، إنه على ذلك قدير » .

ثم قام الأستاذ معاذ فتكلم بصوته الخفيض كلاماً موجزاً رقيقاً عبر فيه عن سعادته بنيل هذا الشرف ، وجاء آخراً الأستاذ محمد فاتح رسلان ممثلاً لآل الأسدي فألقى كلمة آل الأسدي التي عبر فيها عن سعادة الأسرة بأن توجت جهود فقيدهم المرحوم بنيله شرف الوسام التقديري .

وختم الخطباء كلماتهم بإزجاء عظيم الشكر للسيد رئيس الجمهورية على بادرته الطيبة هذه .

انها رمز كريم لرعايته للثقافة واهتمامه بالعلم ورجاله وعنايته بتنمية المؤسسات العلمية ومراكز البحث .

وختم الاحتفال بافتتاح معرض « كتاب تاريخ سورية » الذي ضم مجموعة كبيرة من المطبوعات التي تناولت تاريخ سورية ، والتي زخرت بالكتب النادرة والمصورات العربية والاجنبية .

عدنان درويش

توصيات
مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقراراته

عقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورته الأخيرة مابين (٢١ شباط ـ ٧ آذار ١٩٨٣ م) وانتهى إلى جملة من القرارات والتوصيات نثبتها فيما يلي :

١ ـ يوصي المؤتمر بأن تأخذ وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بقرارات المجمع في تيسير تعليم النحو التعليمي ، فيما تعده لطلابها من كتب في قواعد اللغة العربية .

٢ ـ يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بالعودة إلى تقاليدها القديمة من العناية بدروس المطالعة في تعليم اللغة العربية ، مع تقديم مختارات من النصوص القديمة الملائمة .

٣ ـ يعود المؤتمر لتأكيد توصيته المعاهد والجامعات في العالم العربي بأن تعنى باستخدام اللغة العربية في التدريس في مادة اللغة العربية ، وغيرها من المواد . ويرحب المؤتمر بما تم في هذا الشأن بمؤتمر اللغة العربية في الجامعات الذي انعقد بالإسكندرية في العام الماضي .

٤ ـ يدعو المؤتمر إلى أن تعنى الجامعات والهيئات العلمية بتغذية المكتبة العربية بمؤلفاتٍ حديثة في فروع العلوم والمعارف الإنسانية ، وبترجمة أمهات الكتب الغربية في شتى العلوم إلى اللغة العربية .

٥ ـ يوصي المؤتمر بأن تعود الصحف العربية إلى تقليدها القديم من تكليف مراجعين متخصصين في اللغة العربية يطمئنون إلى صحة ما يقدم للنشر من مقالات ومواد صحفية .

٦ ـ يؤكد المؤتمر توصيته وسائل الإعلام بضرورة الالتزام بقواعد اللغة العربية ، ونطق الكلمات نطقاً سليماً ، وإعداد من يضطلع بذلك إعداداً لغوياً وصوتياً .

٧ ـ يلاحظ المؤتمر أن هناك اتجاهاً نحو وضع لافتات المحال التجارية والأماكن العامة والمؤسسات الحديثة ، بألفاظ أجنبية ، والقانون يقضي بضرورة النص العربي ، ويبيح إضافة نص أجنبي إليه .

٨ ـ يكرر المؤتمر توصيته بالعناية بإحياء التراث العربي ، وإعداد المؤهلين له ، وبسط مداه على أن تنال العلوم الإسلامية حظها من هذا الإحياء .

٩ ـ تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته إلى وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام والمجامع والجامعات في الوطن العربي .

الكتب المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٣

الأستاذ محمد مطيع الحافظ

- **لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية** - تأليف د . علي عبد الله الدَّفاع - القاهرة ١٩٨١ م .

- **فتيا في ذم الشَّبَّابة والرقص والسماع** - تأليف موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة - تحقيق محمد بن عمر الظاهري - تقديم ومراجعة سهير محمد مختار .

- **التشريع الجنائي الاسلامي** - تأليف عبد الله بن سالم الحميد - الرياض ١٩٧٩ م .

- **كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم** - تأليف عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي - تحقيق د . زاهر الألمعي - الرياض ١٩٨١ م .

- **أصول التربية الاسلامية (مقارنة مع نظريات التربية)** - تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل - الرياض ١٩٨١ م .

- **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه** - تأليف د . محمد مصطفى الأعظمي - بيروت ١٩٦٨ م .

- **المصطلحات الأربعة في القرآن** - تأليف أبو الأعلى المودودي - الكويت ١٩٧١ م .

- **وفاء الفقه الاسلامي بحاجات هذا العصر وكل عصر** - تأليف أحمد عبد الغفور عطار - مكة المكرمة ١٩٧٩ م .

- **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ، وديوان العسكر المحمدي المليـاني** - تأليف قدور بن رويله - تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم - الجزائر ١٩٦٨ م .

- **اللمع في العربية** - تأليف عثمان بن جني - تحقيق حامد المؤمن - بغداد ١٩٨٢ م .

- **دراسات في علم النحو العام والنحو العربي** - تأليف فيكتور خراكوفسكي - ترجمة د . جعفر دك الباب - دمشق ١٩٨٢ م .

- **المعجم العربي الموحد لمصطلحات الحاسبات الألكترونية (عربي - انكليزي - فرنسي)** - المنظمة العربية للعلوم الإدارية - عمان ١٩٨١ .

- **مدخل إلى اللسانيات** - تأليف رونالدايلواز - ترجمة د . بدر الدين القاسم - دمشق ١٩٨٠ م .

- **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب** - تأليف محمد علي السراج - عني بمراجعته وتنسيقه خير الدين شمسي باشا - دمشق ١٩٨٣ .

- **الجملة الشرطية عند النحاة العرب** - تأليف إبراهيم الشمسان - تقديم د . محمود فهمي حجازي - القاهرة ١٩٨١ م .

- **في صحبة الشعر والشعراء** - تأليف محمد عبد الغني حسن - القاهرة .

- **ديوان أبي نواس الحسن بن هانىء الحكيمي (الجزء الرابع)** - تحقيق غريغور شولر - بيروت ١٩٨٢ .

- **هموم عربية في البيئة والثقافة والحضارة** - تأليف أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري - المدينة المنورة ١٩٨٢ م .

- **دراسات في الأدب المقارن** - تأليف د . محمد ألتونجي - دمشق .

- **مختارات من الشعر الجاهلي** - جامعة الجزائر - الجزائر ١٩٨١ م .

- **رحلة في كتاب من التراث** - تأليف عبد القدوس الأنصاري - جدة ١٩٧٨ م .

- **الغزو الفكري في العالم العربي** - تأليف عبد الله عبد الجبار - الرياض ١٩٧٤ م .

- **إلياس قنصل (الشاعر والكاتب والانسان العربي)** - تأليف فريد جحا - دمشق ١٩٨٣ م .

- **الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي** - تأليف د . نوري جعفر - بغداد ١٩٧٦ م .

- **المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي** - تأليف د . عز الدين اسماعيل - القاهرة ١٩٨٠ .

- **جوانب مضيئة من الشعر العربي** - تأليف محمد عبد الغني حسن - القاهرة ١٩٧٢ م .

- **المبالغة في الشعر العباسي** - تأليف عبد العزيز بن عبد الله الشبيلي - الرياض ١٩٨٠ م .

- **الشريف المرتضى (شاعريته وخصائص شعره)** - تأليف د . محمد ابراهيم المطرودي - الرياض ١٤٠٠ هـ .

- **رباعيات مختارة (شعر إلياس قنصل)** - جدة ١٩٨٢ م .

- **محاضرات الموسم الثقافي الأول** - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠٢ هـ .

- **مقالات نقدية في الأدب الكويتي الحديث** - تأليف سعيد فرحات - بيروت ١٩٨١ م .

- **الأفعى والراعي (قصص للأطفال)** - تأليف نظمية أكراد - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الغربة في الشعر الجاهلي (دراسة)** - تأليف عبد الرزاق الخشروم - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الولادة والموت (قصص)** - تأليف أحمد عودة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **دارة (شعر)** عبد الكريم الناعم - دمشق ١٩٨٢ م .

- **اعتذار آخر للوطن (شعر)** - تأليف رزق أبو زينة - دمشق ١٩٨٢ م .

- **حصان الأبانوس (مسرحية شعرية)** - تأليف خالد البرادعي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **النيران الأزلية (قصص)** - تأليف رحيم كريم - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الطريق الطويلة (قصص)** - تأليف محسن يوسف - دمشق ١٩٨٢ م .

- **اليامة (مسرحية)** - تأليف محي الدين زنكنه - دمشق ١٩٨٢ م .

- **بيت الخلد (رواية)** - تأليف وليد إخلاصي - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الأطلس التاريخي للدولة السعودية** - تأليف د . ابراهيم جمعة - الرياض .

- **الوافي بالوفيات** - تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - الجزء السابع عشر (عبد الله) تحقيق دورتيا كرافو لكسي - بيروت ١٩٨٢ م .

- **صور من البطولة في الجزائر** - تأليف محمد الصالح الصديق وفاضل المسعودي - الجزائر ١٩٨١ م .

- **تاريخ الدولة السعودية** - تأليف أمين سعيد - الرياض .

- **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي** - تأليف فاسيلي فلاديمير وفتش باركولد - نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت ١٩٨١ م .

- **تاريخ الكويت** - تأليف عبد العزيز الرشيد - بيروت ١٩٧٨ م .

- **أشهر رحلات الحج (ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي)** - تأليف حمد الجاسر - الرياض ١٩٨٢ م .

- **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود** - تأليف عبد الرحمن بن أحمد البهكلي - تكملة الحسن بن أحمد عاكش - تحقيق محمد بن أحمد العقيلي - الرياض ١٩٨٢ م .

- **تاريخ الإحساء السياسي** (١٨١٨ - ١٩١٣) - تأليف محمد عرابي نخلة - الكويت ١٩٨٠ م .

- **نظام الوزارة في الدولة العباسية** (العهدان البويهي والسلجوقي) - تأليف محمد مسفر الزهراني - بيروت ١٩٨٠ م .

- **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد** - تأليف ابن الديبع الشيباني الزبيدي - الكويت ١٩٨٢ م .

- **أزمنة التاريخ الإسلامي - (الجزء الأول - المجلد الثاني) -** تأليف د . عبد السلام الترمانيني - مراجعة وتحقيق د . شاكر مصطفى ، د . أحمد مختار العبادي - الكويت ١٩٨٢ م .

- **أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول** - تأليف د . علي عبد الرحمن العمرو - القاهرة ١٩٧٩ م .

- **تاريخنا بأسلوب قصصي** - تأليف أكرم زعيتر ، درويش المقدادي - بيروت ١٩٧٩ م .

- **المدينة المنورة في التاريخ (دراسة شاملة)** - تأليف عبد السلام هاشم حافظ - المدينة المنورة ١٩٨٢ م .

- **أبو العلاء اللاهوري** - تاليف د . ظهور أحمد أظهر - الرياض ١٩٨٢ م .

- **الوراقة والوراقون في التاريخ الاسلامي** - تأليف لطف الله قاري - جدة ١٩٨٢ م .

- **علم الهيئة الاسلامي مع كتاب (الهيئة السّنية في الهيئة**

السُّنية) ـ تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ حققه وقدم له وترجمه انطون م هاينن ـ بيروت ١٩٨٢ م .

ـ **من مباهج الفكر ومناهج العبر (صفحات من جغرافية مصر)** ـ تأليف محمد بن إبراهيم الوطواط ـ دراسة وتحقيق د . عبد العال عبد المنعم الشامي ـ الكويت ١٩٨١ م .

ـ **التراث الجغرافي الاسلامي** ـ تأليف د . محمد محمود محمدين ـ الاسكندرية ١٤٠١ هـ .

ـ **في ذكرى بياجية** ـ تأليف د . محمد عماد الدين اسماعيل ، د . محمد أحمد غالي ، د . حامد عبد العزيز الفقي ، د . عبد الرحيم عبد الله صالح ـ الكويت .

ـ **تراث الإسلام (القسم الأول)** ـ تأليف شاخت وبوزورث ـ ترجمة د . محمد زهير السمهوري ـ تعليق وتحقيق د . شاكر مصطفى ـ مراجعة د . فؤاد زكريا ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٨ م .

ـ **تراث الاسلام (القسم الثاني والثالث)** ـ تأليف شاخت وبوزورث ـ ترجمة د . حسين مؤنس ، احسان صدقي العمد ـ مراجعة د . فؤاد زكريا (من سلسلة عالم المعرفة) ـ الكويت ١٩٧٨ م .

ـ **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة** ـ تأليف د . نايف خرما ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٨ م .

ـ **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع** ـ تأليف د . عبد الباسط عبد المعطي (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٨١ م .

ـ **العلم ومشكلات الانسان المعاصر** ـ تأليف زهير الكرمي ـ (من

سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٨ م .

ـ **الكوميديا والتراجيديا** ـ تأليف مولوين ميرشنت ، كليفورد ليتش ـ ترجمة د . علي أحمد محمود ـ مراجعة د . شوقي السكري ، د . علي الراعي ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٩ م .

ـ **جمالية الفن العربي** ـ تأليف د . عفيف بهنسي ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٩ م .

ـ **التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان** ـ تأليف د . عبد المحسن صالح ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٨١ م .

ـ **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** . د . أنور عبد العليم ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٩ م .

ـ **الرق ماضيه وحاضره** ـ تأليف عبد السلام الترمانيني ـ (من سلسلة عالم المعرفة) الكويت ١٩٧٩ م .

ـ **الاحصاء النفسي** ـ تأليف د . السيد محمد خيري ـ الرياض ١٩٨١ م .

ـ **القانون التجاري السعودي** ـ تأليف د . محمد حسن الجبر ـ الرياض ١٩٨٢ م .

ـ **مقدمة للتكوين الجنيني** ـ تأليف ستيفن ب . اوبنهايمر ـ ترجمة د . رمسيس لطفي (من مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني) عمان ١٩٨٣ م .

ـ **من تاريخ الكتب والمكتبات** ـ تأليف د . عبد الستار الحلوجي ـ القاهرة ١٩٧٩ م .

- **إدارة التنمية وطموحات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي عام ٢٠٠٠** . تأليف د . محمد صادق (المنظمة العربية للعلوم الادارية) عمان ١٩٨٠ .

- **اختيار العاملين وتوجيههم** - إعداد عادل جودة (المنظمة العربية للعلوم الادارية) عمان ١٩٨٢ م .

- **الوصف الوظيفي كمدخل للتنظيم الجامعي** - تأليف د . حسين محمد علي علوي - (المنظمة العربية للعلوم الادارية) عمان ١٩٨٠ م .

- **دليل الباحث في إعداد البحوث والدراسات الاكاديمية** - تأليف . د . عمار بوحوش ، (المنظمة العربية للعلوم الادارية) عمان ١٩٨١ م .

- **نظرية الادارة في الاسلام** - تأليف د . أحمد ابراهيم أبو سن - (المنظمة العربية للعلوم الادارية) - عمان ١٩٨١ .

- **توصيات المؤتمرات والندوات العلمية التي عقدتها المنظمة العربية للعلوم الادارية خلال عشر سنوات ١٩٧١ - ١٩٨٠ وعرض نتائجها** - عمان ١٩٨١ م .

- **فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الابراهيمي في الخليل** - إعداد محمود علي عطا الله ، (من مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني) عمان ١٩٨٣ .

- **الكتاب السنوي الأول** - (الأمانة العامة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية) الرياض ١٩٨١ .

محمد مطيع الحافظ

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والخمسين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی





ذو الحجة ١٤٠٣ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٣ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب المحبة لله سبحانه

تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي

تحقيق عبد الكريم زهور عدي   مراجعة أحمد راتب النفاخ

المقدمة

أبو عثمان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي المتوفى بعد سنة ٢٥٦ وأبو إسحاق إبراهيم بن الجنيد الختلي المتوفى نحو سنة ٢٦٠ ـ هؤلاء الثلاثة ألف كل واحد منهم كتاباً في الحب ، ولقي كل كتاب منها نصيبه من الظلم أو الإهمال .

أما رسالة الجاحظ « في العشق والنساء » فقد ذُكرت كثيراً قديماً وحديثاً[1] ، وطبعت أربع طبعات آخرها بتحقيق عبد السلام هارون[2] ، وحصلت على الاعتراف بأنها الأولى في التراث العربي المفردة لدراسة الحب . ولكنها لم تصلنا كاملة ، ووصلتنا منها فصول اختارها عبيد الله بن حسان . وابن حسان ، على مابدا لي ، كان تنقصه القدرة على تمييز الأفكار الأساسية من الثانوية فيما يقرأ . فقد جاء في أول هذه المختارات مثلاً : « إنا لما ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو أصل

---

(١) ذكره في القديم مثلاً : ابن النديم ، الفهرست ٢٠٩ ـ ٢١٢ (ط . طهران) ـ وياقوت ، معجم الأدباء ١٦ / ١٠٦ ـ ١١٠ الخ .. ـ وفي الحديث كل من كتب في الحب عند العرب ومعظم من درس أدب الجاحظ .

(٢) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ٣ / ١٣٩ ـ ١٥٩ ـ وانظر في مقدمة المجلد الذي يجمع الجزأين ٣ و ٤ : جدول رسائل الجاحظ ٣ / ١٠ .

الهوى ، والهوى الذي يتفرع منه العشق ، والعشق الذي يهيم له الإنسان أو يموت كمداً الخ .. » . ولكن عبيد الله بن حسان لم يجد ، على مايظهر ، فائدة فيما ذكره الجاحظ في الحب والهوى والعشق فأهمله . ووجد فيما ذكره في « أن الناس لايصلحهم إلا رئيس واحد .. » ، وهو استطراد أظن أنه أتى به مناسبة مثل مناسبة قيام الرجال على النساء وسيادة الرجل في بيته وإلا لم يكن له أي مسوّغ - وجد فيه موضوعاً يجب اختياره وتثبيته ولو مفصولاً عن سياقه ومناسبته[٣] .

وأما رسالة الكندي « في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية » فقد ذكرها قديماً كتاب تراجم الحكماء[٤] بين ما ذكروه من كتب الكندي - ولا أعرف من المحدثين من ذكرها إلا اسماعيل البغدادي في « هدية العارفين »[٥] ، ومصطفى عبد الواحد في « دراسة الحب في الأدب العربي »[٦] . والرسالة قد ضاعت فيما ضاع من التراث العربي أو لم تكتشف بعد .

وأما كتاب الختلي « المحبة لله سبحانه » فلم يذكره من القدماء ، في حدود اطلاعي ، إلا الذهبي في كتاب « المشتبه في الرجال : أسمائهم

---

(٣) وعلى الرغم من ذلك أعطى الدكتور مصطفى عبد الواحد نفسه الحق في الحكم على الرسالة بأنها « رسالة موجزة لاتتجاوز عدة صفحات يغلب عليها الطابع الإنشائي ، ولم يتجاوز فيها الجاحظ ظاهر الملاحظات والوصف التقليدي لأحوال المحبين .. » - دراسة الحب في الأدب العربي ١ / ٤١ .

(٤) الفهرست ٣١٩ - إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ٣٧٤ (مصورة مكتبة المثنى) - عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١ / ٢١٢ (المطبعة الوهبية ، مصر) .

(٥) هدية العارفين ٢ / ٥٤٢ .

(٦) دراسة الحب في الأدب العربي ١ / ٤٢ .

وأنسابهم » ، قال [٧] : « ... وإبراهيم بن الجنيد الختلي مؤلف المحبة .. » ، والفيروز ابادي في القاموس (وبالتالي في التاج) في مادة « ختل » قال : « ... وكَسُكَّر كورة بما وراء النهر منها : ... وإبراهيم بن عبد الله مؤلف المحبة .. » ـ ومن المحدثين ، فيما أعلم ، إلا عمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » وفؤاد سيزكين في « تاريخ التراث العربي »[٨] . ولكن بقيت من هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية ، ربما كانت الوحيدة ، فسيزكين وحده ذكرها ، وذكرها وحدها .

فأي من هذه الكتب كان الأول ؟ ذلك مالا نستطيع القطع به وما لا قيمة له ، إذ هي جميعاً أوائل في اتجاهاتها وطريقتها في الدراسة : فكتاب الجاحظ هو الأول في الدراسة الأدبية للحب ، وكتاب الكندي هو الأول في الدراسة الفلسفية للحب ، وكتاب الختلي هو الأول في الدراسة الصوفية للحب . ولقد تبادلت الاتجاهات الثلاثة ، بالطبع وبالواقع ، التأثير والتأثر ، ولكن كلاً منها حافظ على طابعه الخاص وتميزه من الاتجاهين الآخرين .

واهتم الباحثون المحدثون اهتماماً ما بالاتجاهين الأدبي والصوفي ، وأهملوا الاتجاه الفلسفي بل لم ينتبهوا له ، وإذا اتفق أن مروا على ذكر رسالة الكندي أو رسالة ابن سينا مروا مسرعين ومعرضين ، وهذا مثال على موقفهم :

(٧) المشتبه في الرجال ، ت علي محمد البجاوي ١ / ١٣٦ و ١٣٧ (عيسى البابي الحلبي) .

(٨) معجم المؤلفين ١ / ٥١ ـ تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) ٢ / ٤٤٨ و ٤٤٩ .

المستشرق هـ . ريتر في مقدمته[٩] لكتاب « مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب » الذي حققه يميز بين نوعين من الكتب والرسائل العربية المفردة للحب : « نوع اعتبر مؤلفوها المحبة والعشق ظاهرة إنسانية .. » ، ونوع ثان « هو ماألفه أهل التصوف الذين يعتبرون محبة الجمال المخلوق مرحلة أولية في سلوك السالك يجب أن يرتقي منها إلى محبة خالق الجمال .. » ثم سرد الكتب من النوع الأول وهي : رسالة العشق والنساء للجاحظ ـ الزهرة لأبي محمد بن داود الظاهري (ـ ٢٩٧) ـ اعتلال القلوب لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ـ ٣٢٧) ـ مصارع العشاق لأبي محمد جعفر بن أحمد السرّاج (ـ ٥٠٠) ـ طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي (ـ ٤٥٦) ـ ذم الهوى لأبي الفرج ابن الجوزي (ـ ٥٩٧) ـ روضة العاشق ونزهة الوامق لأحمد بن سليمان الكسائي (ـ ٦٣٥) ـ منازل الأحباب ومنازه الألباب لأبي الثناء محمود بن فهد الحلبي (ـ ٧٢٥) ـ روضة المحبين لابن قيم الجوزية (ـ ٧٥١) ـ الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين لأبي عبد الله مغلطاي (ـ ٧٦٢) ـ ديوان الصبابة لابن أبي حجلة (ـ ٧٧٦) ـ أسواق الأشواق لإبراهيم بن عمر البقاعي (ـ ٨٨٥) ـ تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداود الإنطاكي (ـ ١٠٠٨) . وقفّى عليها بالكتب من النوع الثاني وهي : عطف الألف المألوف على اللام المعطوف لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي (ـ ٣٧١) ، وعده الأقدم من كتب التصوف في العشق ـ جمحة النهى عن لمحة المها لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الخبري الفيروز أبادي (ـ ٦٤٢) ـ نسل الأسرار وسر الإسكار للمؤلف نفسه ـ مشارق أنوار القلوب ومفاتيح

(٩) كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، المقدمة ص أ ـ و ـ طبعة صادر ١٩٥٩ .

أسرار الغيوب لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري القيرواني ابن الدباغ (ـ ٦٩٦) .

بيد أن رسالة مثل « رسالة في العشق » لابن سينا لاتدخل في أي من هذين النوعين ، بل هي عَلَم على نوع ثالث غيرهما . وإذا كان ريتر لم يبلغ علمه خبر مخطوطة كتاب الختلي فله عذره ، ولكن رسالة ابن سينا قد حققها ونقلها إلى الفرنسية المستشرق مهرن منذ سنة ١٨٩٤ .

وبالرجوع إلى كتب الفهارس والتراجم القديمة وقعتُ ، ولم استقص ، على أسماء الكتب التالية (وليس بين أيدينا منها إلا رسالة ابن سينا) : رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية لأبي يوسف يعقوب الكندي ـ كتاب في العشق[10] لأبي العباس أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي (ـ ٢٨٦) ـ كتاب المحبة[11] لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ـ٣١١) ـ رسالة في العشق[12] لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ـ ٤٢٨) .

---

(١٠) عيون الأنباء ١ / ٢١٥ ـ كشف الظنون ٢ / ١٤٣٩ ـ هدية العارفين ١ / ٥٣ .

(١١) كتاب المحبة : في عيون الأنباء ١ / ٣١٦ ـ وفي هدية العارفين ٢ / ٢٨ .

كتاب في الأوهام والحركات والعشق : في الفهرست ٣٥٩ ـ وفي إخبار العلماء ٢٧٦ .

كتاب في الأوهام والحركات النفسانية : في عيون الأنباء ١ / ٣٢٠ .

كتاب في الأوهام والحركات النفسية : في هدية العارفين ٢ / ٢٧ (أظن : « العشق » تصحيف عن « النفسية ») .

(١٢) عيون الأنباء ٢ / ٢٠ ـ كشف الظنون ١ / ٨٧٧ ـ هدية العارفين ١ / ٣٩ .

نشر الرسالة ونقلها إلى الفرنسية م . مهرن : رسائل الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في أسرار الحكمة المشرقية ، ٣ / ١ ـ ٢٧ ، ط . ليدن (مصورة مكتبة المثنى) .

ونجد في كشف الظنون : كتاب المحبة لأرسطو ، ثلاث مقالات .

قد تبين أن كتاب المحبة للختلي هو الأول في الاتجاه الصوفي في العشق ، وأن مخطوطته في الظاهرية هي - حتى تكتشف نسخة أخرى - الوحيدة ، وهذان السببان هما ما دفعني إلى تحقيقه :

ومؤلفه إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي[١٣] - المنسوب إلى الختل[١٤] بضم الخاء وتشديد التاء المفتوحة أو المضمومة على اختلاف ، وهي كورة واسعة خلف جيجون كثيرة المدن كثيرة الخيرات ، وهي غير ختلان بفتح الخاء وتسكين التاء والنسبة لها ختلي بفتح فتسكين - بغدادي سكن سامرا . وحدث عن سعيد بن أبي مريم وأبي سلمة التبوذكي وسليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق ويحي بن بكير ويوسف بن عدي . وسأل يحي بن معين عن الرجال سؤالات كثيرة الفائدة تدل على فهمه . وروى عنه أبو العباس بن مسروق الطوسي ومحمد بن القاسم الكوكبي وأبو بكر محمد بن أحمد العسكري وأحمد بن محمد الأدمي . وثقه الخطيب البغدادي وقال : له كتب في الزهد والرقائق . وقال الذهبي : لم أظفر له بوفاة وكأنها في حدود الستين ومائتين . ذكر له عمر كحالة خمسة كتب : الزهد ، المحبة ، الخوف ، الورع ، الرهبان . وسيزكين ثلاثة كتب : كتاب المحبة لله سبحانه - كتاب الأولياء ، اقتبس منه ابن حجر في الإصابة ٢ / ٤٣١ - كتاب الزهد ، ذكره ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٢٩ ، مدريد .

---

(١٣) ترجم له من القدماء : الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦ / ١٢٠ - والذهبي في تذكرةالحفاظ٢ / ٥٨٦ - وفي سير أعلام النبلاء ١٢ / ٦٣١ - وفي المشتبه في الرجال ١ / ١٣٦ - والجلال السيوطي في طبقات الحفاظ ٢٦٠ - وأخرج لي الترجمة من المرجعين الأخيرين الأستاذ عبد الجبار زكار - وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١ / ٩٦ - وترجم له من المحدثين : التونكي في معجم المصنفين ٣ / ٢٠٩ (ذكره عمر كحالة) - والأستاذ عمر كحالة في معجم المؤلفين ١ / ١٨ و ٥١ - والدكتور فؤاد سيزكين في تاريخ التراث العربي ٢ / ٤٤٨ .

(١٤) معجم البلدان ٢ / ٣٤٦ .

وكتاب « المحبة » مجموعة أقوال (٢٧٣ قول) : كثير منها لايتجاوز بضع كلمات مثل الأقوال : (٣ ـ ١٤ ـ ١٦ ـ ١٩ الخ ..) ، وقليل منها قد يبلغ عشرة أسطر أو يتجاوزها مثل الأقوال : (٦٨ ـ ٧٩ ـ ٨٢ ـ ١٧٧ ـ ٢١٢ ـ ٢٢١ ـ ٢٣٢) ، وأكثرها ما بين سطر واحد وأربعة أسطر .

وقليل من أقوال الكتاب مروية دون سند (٣٤ قولاً أي زهاء ١٧ ٪ من مجموع الأقوال) :منها أقوال للمؤلف خاصة (١٢ قولاً) ،والبقية (٢٢ قولاً) يرويها في هذه الصيغ : (بلغنا : ـ يقال : ـ قال بعض الحكماء : ـ ..) .

أما أكثر أقوال الكتاب فتسبقها أسانيدها . وهي إما : آيات من القرآن الكريم مصحوبة بتفسير أو تأويل أو تعليق (٢٧ آية) ـ أو أحاديث عن رسول الله ﷺ (٢٦ حديثاً) ـ أو أقوال منسوبة إلى الأنبياء : آدم وموسى وداود وسليمان وعيسى ، أو إلى الكتب السماوية : التوراة والزبور والإنجيل (٢٣ قولاً) ـ أو أبيات من الشعر الزهدي (٨ أقوال) ـ أو كلمات أو مواعظ لصوفية أو زهاد أو عُبَّاد أو عِباد صالحين معروفين بأسمائهم (١٠١ قول) ـ أو هي أقوال لعباد أو حكماء مجهولين بعضهم من الرهبان (٧٨ قولاً) .

قد شهد الخطيب لأبي إسحاق أنه ثقة ، وأقر الشهادة الذهبي حين نقلها في ترجمته . فلندرس الوثيقة التي بين أيدينا وهي أسانيد كتاب المحبة ، ولننظر : هل تؤيد الدراسة الشهادة . ولنكتف (موقتاً) بعينة منها : نصنف رجالها على أساس ماوصيفهم به علماء الجرح والتعديل . ولتكن هذه العينة أسانيد هذا القسم الأول من الكتاب المنشور في هذا

الجزء من المجلة :

عدد الأسانيد (٥٢ سنداً) تكرر الرجال فيها ولم تتكرر الأسانيد إلا مرتين . عدد رجال هذه الأسانيد (١٤٧ـ) ، لم نعثر على ترجمة (٢٨) منهم ، فيكون عدد من ترجمنا لهم (١١٩) . منهم (٨٧) وثقهم علماء الحديث أي مايقرب من ٧٥ ٪ ، و (١٠) مختلف فيهم ، و (١٣) مسكوت عنهم ، و (٩) متروكون أو ضعفاء أو عندهم مناكير أي (٧,٦ ٪) .

وهنا لابد من بعض الملاحظات :

أولاً ـ إن هذا التصنيف كان أساسه أحكام علماء الحديث ، وعلماء الحديث في تقويمهم لرواته يتبعون قواعد متشددة صارمة ، إذ أن دقة النص في الحديث ذات خطورة خاصة ، فهو كلام رسول الله ﷺ ، وهو المصدر الثاني بعد القرآن للتشريع في الإسلام ، ودقة النص في التشريع يقدرها رجال القانون قدرها الحق . ولكننا في مثل كتاب المحبة لسنا ، إلا قليلاً ، في صدد أحاديث شريفة ، بل في صدد أقوال تعبر عن أحوال روحية ونفسية ذاتية أو عظات ، أي مايسميه المحدِّثون : رقائق ، لاتترتب عليها أية أحكام شرعية .

ثانياً ـ وحتى إذا سلمنا بأحكام علماء الحديث فإن المختلف فيهم من الرواة وهم الذين يوثقهم جماعة ويضعفهم جماعة ، مثل يحي بن عبد الحميد الحماني (القول ١٥) وثقه ابن معين وطعن فيه ابن حنبل ، تقضي قواعد الإحصاء أن نضيف نصف عددهم (لا نصفهم) إلى عدد الموثَّقين .

ثالثاً ـ والمسكوت عنهم ليس معنى السكوت نزع الثقة بهم ، ولكنه قد يكون مثلاً أنهم لم يُعرفوا بالحديث ، مثل محمد بن النضر الحارثي

(٢١) فقد قالوا عنه : كان مشغولاً بالعبادة عن الرواية ، وهذه تزكية له ، فإذا كان القول قوله هو أو مايشبه ذلك لم يكن لنا أن نشك فيه .

رابعاً ـ وحتى المتروكون ليس تركهم حجباً للثقة عن أشخاصهم ، فعبد الواحد بن زيد (٤٤) متروك الحديث ولكنه كان من العُبَّاد الزهاد الوعاظ المعترف لهم بالصدق والصلاح ولكنه قد لايحرص في وعظه على النص على شرط علماء الحديث ، فإذا كان القول قوله أو قولاً لحكيم أو قصصاً فلا مجال عندها لتطبيق الحكم (متروك الحديث) عليه .

خامساً ـ حتى الضعفاء ، مالم ينص على أنهم كذابون أو يضعون الحديث أو منكرو الحديث ، لايصح نبذ مايروون بل تدرس كل حالة ثم يكون الحكم عليها ، فعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٤١) ضعفه ابن حنبل وابن المديني والنسائي ولكن روى عنه وكيع والترمذي وابن ماجه وخلق .

فإذا راعينا هذه الملاحظات ارتفعت نسبة الثقة بأسانيد الختلي ورجالها من ٧٥ ٪ إلى ٩٠ ٪ أو أكثر . ويكون حكم الخطيب عليه ، وهو الرزين الحريص ، في محله . ولنذكر مرة أخرى أنه سأل ابن معين عن الرجال سؤالات تدل على فهمه .

وإذا كان لي أن أقول أخيراً قولاً ما في كتاب المحبة ، دون أن أتورط في دراسة لمضمونه ، أقول : إن هذا الكتاب ينتسب إلى المرحلة الأولى من البحث العلمي مرحلة الجمع لحالات فردية وخاصة كثيرة ومتنوعة لتتبعها مرحلة التصنيف ثم مرحلة استخراج القواعد والقوانين العامة حيث يمكن . والذين قد يضيقون بمثل هذه الكتب من التراث عليهم أن يزجوا بأنفسهم ولو مرة واحدة في كتب مثل كتب

الانتربولوجيا أو كتب علم النفس التجريبي المبكرة ، وحتى المتأخرة إلى حد ما ، ويتخبطوا فيها بين ركام التجارب والملاحظات الجزئية والحالات الفردية ليعلموا أن هذه المرحلة من الجمع لابد منها لكل علم أو بحث علمي ، وليست مقصورة على بعض كتب التراث .

وصف المخطوطة :

ومخطوطة « كتاب المحبة » جزء من مجموع محفوظ في الظاهرية تحت رقم ٧٥ مجاميع ، رقمت أوراقه ترقيماً حديثاً . وتشغل المخطوطة منه سبعاً وعشرين ورقة ، من أول الورقة ٦٩ إلى نهاية الورقة ٩٥ . مقاسها ٢٠ / ١٣,٥ ، ومسطرتها من ٢٠ إلى ٢٢ سطراً . والخط نسخي معلق غير منتظم الإعجام . والهوامش خالية إلا من تصحيح رسم كلمة مطموسة في المتن أو غير واضحة أو استدراك نقص فيه ، وكلها بخط الناسخ . وليس في المخطوطة إلا عنوان واحد في منتصف الصفحة ٧٤ ظ : « باب من كان يسأل الله تعالى أن يرزقه حبه » . وقبل السطر الأخير من الصفحة ٨١ و ، وبعد نهاية الفقرة مباشرة ، هذه الكلمة « آخر الجزء الأول وأول الثاني » بغير خط النسخة ، وواضح أنها لم تكن في الأصل ، وأنها ليست أكثر من وقف يفصل بين جلستين كان الكتاب يقرأ فيهما .

وتاريخ نسخها كما جاء في ختامها : « وكتب في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة » . ولم يذكر فيها اسم ناسخها ، ولكن يوجد بخط آخر بعد نهاية النسخة مباشرة هذا النص : « شاهدت بخط أبي الفتح بن الحصري قال : نقلت هذه النسخة من نسخة مقروءة على الشيخ أبي غالب محمد بن أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني ومعها سماع شهدة ابنة أبي نصر أحمد بن الفرج الإبري بقراءة أبي نصر الأصبهاني والحمد لله .. » . وتحته مباشرة وبالخط نفسه هذا السماع : « قرأت جميع هذا الجزء على الشيخة العالمة الكاتبة شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري بحق سماعها من أبي غالب الباقلاني . فسمعه صاحب هذا الجزء أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي وعاد من هذه النسخة وجدد

القراءة وكانت القراءة من أصل بخط ابن الحصري أبي الفتوح ، وأبو القاسم عبد الله بن عمر بن أبي بكر المقدسي وأبو الفرج عثمان بن أبي نصر بن منصور الوتار وأبو عبد الله بن بخيت، بن محمود بن أبي الركاب العميدان وأبو العباس أحمد بن فهد بن حسين العلثي ، وذلك أعني القراءة يوم الجمعة سادس عشر محرم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وكتب محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن عيسى المقدسي . والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً » . فهذه النسخة إذن منقولة عن نسخة ابن الحصري المنقولة عن النسخة التي تحمل سماع شهدة ، فمن الناسخ ؟ أهو صاحبها عبد الرحمن أم غيره ؟ الأرجح أنه عبد الرحمن نفسه ، إذ في المجموع مخطوطات نسخت بالخط نفسه وصاحبها عبد الرحمن - وسماع له بخطه تظهر فيه ، على الرغم من الطريقة الغريبة التي كانوا يكتبون بها السماعات ، ملامح من الخط نفسه .

وعلى صفحة الغلاف عنوان الكتاب : « كتاب المحبة لله سبحانه » ، تأليف أبي اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد رحمه الله . ثم السند : رواية الشيخ أبي بكر محمد بن أحمد بن هارون العسكري عنه - رواية الشيخ أبي بكر محمد بن الحسين الآجري عنه - رواية أبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران عنه - رواية أبو غالب (كذا) محمد بن الحسين بن أحمد الباقلاني عنه - رواية الشيخة شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبَري عنه - سماع لصاحبه عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي متع به ، وصلى الله على محمد .

وأبو بكر العسكري[1] (- ٣٢٥) فقيه كان يتفقه لأبي ثور ، وحدث

(١) تاريخ بغداد ١ / ٣٦٩ .

عن الختلي تصانيفه في الزهد وعن غيره . قال الخطيب : أخبرنا أبو بكر البرقاني قال : أنبأنا علي بن عمر الحافظ ، قال : محمد بن أحمد بن هارون ثقة .

وأبو بكر الآجري[٢] (ـ ٣٦٠) قال الخطيب : كان ثقة صدوقاً ديناً وله تصانيف كثيرة . حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ، ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها .

وأبو القاسم بن بشران[٣] (ـ ٤٣٠) الحافظ . قال الخطيب : كتبنا عنه وكان صدوقاً ثبتاً صالحاً .

وأبو غالب الباقلاني البغدادي الفامي[٤] (ـ ٥٠٠) . رجل صالح .

وشهدة بنت أبي نصر الإبري الدينوري ثم البغدادي[٥] (ـ ٥٧٤) الكاتبة المسندة فخر النساء . كانت دينة عابدة صالحة ، سمّعها أبوها الكثير ، وصارت مسندة العراق . وكانت ذات بر وخير .

أما عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي الفقيه الحنبلي بهاء الدين أبو محمد[٦] (ـ ٦٢٤) ، فسمع بدمشق من ابن أبي الصقر وغيره ، ورحل إلى بغداد وسمع بها من شهدة وعبد الحق اليوسفي وطبقتها ، وسمع بحران من أحمد بن أبي الوفاء الفقيه ، ويقال : إنه تفقه ببغداد على ابن المنى وبالشام على الشيخ موفق الدين ولازمه . وصنف التصانيف . قال سبط

---

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠ / ٤٣٢ .

(٤) شذرات الذهب ٣ / ٤١٢ .

(٥) الشذرات ٤ / ٢٤٨ .

(٦) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون تحقيق محمد أحمد دهمان ٤٧٥ ـ الشذرات ٥ / ١١٤ .

ابن الجوزي : كان يؤم بمسجد الحنابلة بنابلس ثم انتقل إلى دمشق ، وكان صالحاً ورعاً زاهداً غازياً مجاهداً جواداً سمحاً . توفي في سابع ذي الحجة ودفن بسفح قاسيون .

وأُلحق بالسند بخط آخر هذا النص : « سمعه أحمد بن فهد بن حسين العلثي الحنبلي ... »

وأبو العباس العلثي الفقيه الحنبلي[٧] (ـ ٦٢٧) ، وقد تقدم أنه كان رفيق البهاء في سماع كتاب المحبة على شهدة ، تفقه على ابن المنى ، وكان حسن الكلام في مسائل الخلاف وفيه صلاح وديانة .

وتحته كُتب ، بأسطر تتجه من أعلى إلى أسفل ، سماع على الشيخ فخر الدين أبي محمد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد الحنبلي بتاريخ يوم الجمعة سابع عشر رمضان من سنة إحدى وسبعين وستمائة بمشهد ابن عروة من جامع دمشق .

والفخر أبو محمد البعلبكي[٨] (ـ ٦٨٨) الفقيه الحنبلي الزاهد المحدث ، سمع الحديث من أبي المجد القزويني والبهاء المقدسي وابن اللتي وخلائق ، وتفقه على تقي الدين أحمد بن العز ، وحفظ كتاب علوم الحديث وعرضه من حفظه على مؤلفه ابن الصلاح ، وصحب الشيوخ اليونيني والبطايحي والنووي . قال البرزالي : كان من خيار المسلمين وكبار الصالحين .

وفي الزاوية اليسرى من صفحة الغلاف : « سمعه يوسف بن عبد

(٧) الشذرات ٥ / ١٢٣ .

(٨) تاريخ الصالحية ٣٩٦ ـ الشذرات ٥ / ٤٠٤ .

المنعم وابنه عبدِ الله وأخوه عبد الرحمن . سمعه أحمد بن عبد الرحيم وسمع أخوه محمد بعضه » .

وفي الصفحة الأخيرة ٩٣ و ، بعد سماع أبي محمد عبد الرحمن على شهدة ، وقد سبق ذكره ، سماع عليه بتاريخ ٧ جمادى الآخر (كذا) سنة ٥٩٢ .

ثم في الصفحات الخمس التالية مجموعة سماعات :

سماع بنابلس في ذي القعدة ٥٩٦ .

سماع على الشيخين بهاء الدين وشهاب الدين محمد بن خلف في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٦١٧ .

سماع على الشيخ البهاء في جمادى الآخرة سنة ٦١٧ بجامع دمشق .

سماع على الشيخ البهاء في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٦٢٣ بجامع دمشق .

سماع على الشيخ البهاء في ١٤ رجب سنة ٦٢٤ في مسجد الحنابلة في ثغر بعلبك .

سماع على الشيخ أبي الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد بن أحمد العراقي في مجالس آخرها في العشر الأخير من صفر سنة ٦٥٢ .

ثم تصحيح السماع بخط الشيخ المذكور .

والرشيد العراقي الحنبلي الجابي[٩] (المتوفى في جمادى الأولى سنة ٦٥٢)

---

(٩) الشذرات ٥ / ٢٥٥ .

كان أبوه فقيهاً مشهوداً سكن دمشق واستجاز لابنه من شهدة والسلفي وطائفة .

سماع على الشيخ الفخر البعلبكي في ١١ من رجب الفرد سنة ٦٧٥ بمسجد ابن عمير داخل باب توما من دمشق .

سماع على الشيخ تاج الدين أبي محمد عبد الدايم بن زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي في ٣ ربيع الأول سنة ٦٧٧ بالجامع المظفري بسفح قاسيون ظاهر دمشق .

والتاج عبد الدايم[١٠] (ـ ٦٨٥) كان زاهداً . وروى عن الشيخ الموفق وجماعة .

وكتاب المحبة يقع في الترتيب الخامس في المجموع الذي جمع الكتب والرسائل التالية :

١ ـ الجزء الأول من حديث أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري البُندار سماع عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن عبد الله المقدسي على أبي الحسن عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف . سنة ٥٧٢ .

وسمعه عبد الرحمن والقاضي أبو العباس أحمد بن عماد الدين .

٢ ـ الجزء الثاني من أمالي القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي .

سماع عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي على شهدة . سنة ٥٧٢ .

(١٠) الشذرات ٥ / ٣٩١ .

وسمعه عبد الله بن عمر ومحمد بن خلف .

٣ ـ الجزء الثاني من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن خلف بن بخيت الدقاق .

سماع عبد الرحمن بن إبراهيم على شهدة . سنة ٥٧٢ .

وسمعه عبد الله بن عمر .

٤ ـ من حديث أبي عبد الله الحسين بن يحيي بن عياش القطان .

سماع عبد الرحمن بن إبراهيم على شهدة . سنة ٥٧٢ .

وسمعه عبد الله بن عمر ـ وسماع لهما ولآخرين سنة ٥٧٣ .

٥ ـ كتاب المحبة لله سبحانه .

٦ ـ الجزء فيه من حديث الشيخ أبي منصور محمد بن محمد بن عثمان السوّاق .

سماع عبد ألله بن عمر على شهدة بقراءة أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي وسماع عبد الرحمن ومحمد بن خلف .

٧ ـ جزء فيه ثلاثة مجالس من أمالي البحتري (أبي جعفر محمد بن عمر بن البحتري الرزاز) في نهاية المخطوطة : « كتبه من نسخة بخط محمد بن هاني .. وكان عليها سماعي بقراءتي وخطي بالسماع على ابن القزاز في ربيع الآخر سنة ٥٨٢ ببغداد . كتبه عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي سنة ٦١٨ » .

٨ ـ فيه سبع (كذا) مجالس من أمالي أبي القاسم بن بشران .

سماع عبد الرحمن المقدسي على الشيخ أبي الحسين عبد الحق اليوسفي .

٩ ـ الجزء فيه من حديث أبي عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردي وأبي عبد الله أحمد بن محمد بن غالب الباهلي غلام الخليل وأبي علي الحسن بن الفضل بن السمح البوصراي .

سماع عبد الرحمن المقدسي على أبي الحسين عبد الحق اليوسفي .

بلا رقم ـ كتاب أحكام العيدين تأليف أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض الفيريابي .

سماع عبد الرحمن المقدسي على الشيخ عبد المحسن بن بكر بن عبد المحسن . سنة ٥٧٢ .

١٠ ـ كتاب الرحلة في الحديث تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي .

سماع عبد الرحمن المقدسي على الشيخ عبد الحق اليوسفي . سنة ٥٧٤ .

١١ ـ الجزء فيه منتقا (كذا) من حديث أبي بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري .

سماع عبد الرحمن المقدسي وهو انتقاه على أبي الحسين عبد الحق اليوسفي عن أبي غالب محمد بن الحسين البقال . سنة ٥٧٤ .

وتكشف النظرة الأولى إلى أسامي كتب المجموع وأسانيدها ولاسيا الاسم الأخير من كل سند أن مجموعة من الشباب منهم : عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي (بهاء الدين) وعبد الله بن عمر المقدسي (سيف الدين)

وأحمد العلثي ومحمد بن خلف المقدسي (شهاب الدين) وغيرهم ، رحلوا إلى بغداد في طلب العلم فسمعوا على شيوخها وخاصة شهدة وعبد الحق اليوسفي ، وحين رجعوا إلى بلادهم حملوا معهم نسخاً من الكتب التي سمعوها ومنها كتب هذا المجموع . ويتراءى من مجموع النصوص أن شابين منهم كانا متميزين : أحدهما عُمِّر وأصبح شيخاً مقصوداً وهو البهاء عبد الرحمن ، والثاني اخترم شاباً وهو السيف عبد الله :

فأبو القاسم سيف الدين عبد الله بن عمر بن أبي بكر[١١] الفقيه الحنبلي ولد سنة ٥٥٩ بقاسيون ورحل إلى بغداد فسمع بها من جماعة ، وتفقه وبرع في معرفة المذهب والخلاف والفرائض والنحو والعروض . وغزا مع صلاح الدين . وسافر إلى حران فتوفي فيها شاباً في شوال سنة ٥٨٦ .

ويتضح من السماعات المسطورة على صفحات الأغلفة وفي الصفحات التي تعقب نهايات الكتب ، وهي سماعات تتشابه في خطوطها وفي شيوخها : البهاء خاصة والفخر البعلبكي والرشيد العراقي ، وتلاميذها ، وفي أمكنة استماعها : جامع دمشق والمسجد المظفري ومسجد ابن عمير ومسجدي الحنابلة في بعلبك ونابلس ـ يتضح أنهم جميعاً الشيوخ والتلاميذ ينتسبون إلى جماعة الحنابلة في بلاد الشام التي يكوِّن مقادسة الصالحية نواتها الصلبة ومركزها النشيط ولها امتداداتها في بلاد الشام ولاسيما في دمشق ونابلس وبعلبك[١٢] .

عبد الكريم زهور عدي

ملاحظة : لم أضف إلى المخطوطة إلا الأعداد التي رقمت بها الأقوال .

---

(١١) الشذرات ٤ / ٢٨٥ .

(١٢) ارجع إلى القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

كتاب المحبة لله سبحانه

تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي رحمه الله

رواية أبي بكر محمد بن أحمد بن هرون العسكري عنه

رواية أبي الفتح ... الحسن ... عنه

رواية أبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران عنه

رواية أبي غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني عنه

رواية الشيخة شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري عنه

سماع لصاحبه عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي نفعه الله

صفحة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر … عمر الازدي قلت لها اجزكم
اخبرنا ثقة … ابي نصر احمد بن الفتح بن
الشيخ ابو غالب محمد بن الحسن بن احمد الباقلاني قال انا ابو القاسم عبد الملك
بن محمد بن عبد الله بن بشران الواعظ قال نا محمد بن الحسين الآجري بمكة في المسجد
الحرام في ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة وكان قد خلت
من ذي القعدة اثنا عشر يوما وهو يوم الاحد قال ابو بكر محمد بن الحسين … باب
الحث على الشكر للنعمة حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي قال حدثنا
هشام بن يوسف القاضي عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي
بن عبد الله بن عباس عن ابيه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
احبوا الله عز وجل لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل
واحبوا اهل بيتي لحبي حدثنا ابراهيم قال نا محمد الرازي
قال نا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق قال خطب رسول الله صلى الله عليه فقال
احبوا ما احب الله احبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله عز وجل ولا
تقسو عليه قلوبكم حدثنا ابراهيم حدثني … …
قال حدثنا ابي الحواري حدثني عبد العزيز بن عمير قال سمعنا ابا سليمان الواسطي
… ذكر النعم يورث الحب حدثنا ابراهيم حدثني محمد بن الحسين
قال ذكر ابن عدي قال سمعت ابا اليمن يقول احب الله تعالى … الا …
ويورث الطاعة قال ابراهيم كان يقال من علامة المحب لله عز وجل
دوام الذكر بالقلب واللسان وقل ما ولع المرء بذكر الله تعالى الا افاد منه
حب الله عز وجل وتعالى تجد ذلك الموت … من القلب ما سواه … ذكر
القلوب الميتة حدثني محمد بن الحسين حدثني … الازرق حدثني
… الوصلي … ابنا … الله على حبك من علا…

الصفحة الأولى

لمن هو أهل لذكرك فتكاد أنفسهم حتى الذي سبقت به أهل صفاتك
وأهل محال طينته الطف لنا بكمال الانقطاع إليك وقرر في قلوبنا كمال معرفتك
[illegible] هاجته واجعل مزيدك من فضلك الثناء [illegible] واجعلنا
[illegible] واخرج من قلوبنا كل ما عدل بنا عنك [illegible] منك وصفنا
[illegible] وأعنا بكل معونة تبلغ بها رضى نفسك
[illegible] وهب بن منبه [illegible] عباداً قالوا لا نعبده خوفاً ولا رجاءً
ولكن نعبده حباً فإن الحب يخرج من قلوبنا الخوف والرجاء
آخر الجزء وصلى الله على سيدنا محمد [illegible] والحمد لله [illegible]

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

أخبرتنا شُهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري ، قيل لها : أخبركم الشيخ أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني قال : أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران الواعظ : حدثنا محمد بن الحسين الآجري بمكة في المسجد الحرام في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وكان قد خلت من ذي القعدة إثنا عشر يوماً وهو يوم الأحد : حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون العسكري الفقيه :

(١) حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الخُتلي : نا يحي بن مَعين نا هشام بن يوسف القاضي عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أحبوا الله عز وجل لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله عز وجل ، وأحبوا أهل بيتي لحبي . ٦٩ ظ

(٢) حدثنا إبراهيم نا محمد بن حميد الرازي ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولاتملوا كلام الله عز وجل ، ولاتقسونّ عليه قلوبكم .

(٣) حدثنا إبراهيم حدثني زياد بن أيوب دلويه الطوسي ثنا أحمد بن أبي الحواري حدثني عبد العزيز بن عمير قال : سمعت أبا سليمان الواسطي يقول : ذكر النعم يورث المحبة .

(٤) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين ثنا زكريا بن عدي

قال : سمعت عائذاً باليمن يقول : حب الله تعالى يضني الأبدان ويورث الطاعة .

(٥) قال إبراهيم : كان يقال : من علامة المحب لله عز وجل دوام الذكر بالقلب واللسان ، وقلّما ولع المرء بذكر الله تعالى إلا أفاد منه حب الله عز وجل . .

(٦) ويقال : تجدد ذكر الموت يحلق من القلب ما سواه ، ويحيي القلوب الميتة .

(٧) حدثني محمد بن الحسين حدثني محمد بن معاوية الأزرق حدثني سعيد العلاف الموصلي قال : قال فتح الموصلي : إيثار محبة الله على محبتك
من علامة / حبك لله عز وجل . ٧٠ و

(٨) وقال فتح : المحب لله عز وجل لايجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة .

(٩) حدثنا حرملة بن يحيي الكندي أنبا عبد الله بن وهب أنبا ابن لهيعة أنبا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عتبة بن حميد الضبي عن عبادة بن نسي أخبرني أبو موسى الكندي عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : الإيمان في قلب الرجل أن يحب الله عز وجل .

(١٠) حدثني محفوظ بن الفضل ثنا غوث بن جابر حدثني عقيل أبو معقل عن وهب بن منبه قال : إن المؤمن الخالص إيمانه لا يحب كحبه الله عز وجل أحداً ، ولا يخشى كخشية الله عز وجل أحداً ، فإنه يعلم علماً يقيناً أن الخلق كله لله عز وجل وبيد الله ، وكان الله تعالى أهل ذلك منهم في القدرة عليهم والنعمة والبلاء الحسنين عندهم .

(١١) حدثنا يحي بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شهاب : أن النبي ﷺ قال : رأس الإيمان المحبة لله عز وجل وفي الله ، وسنام الإيمان البر والعدل ، وتحقيق الإيمان إكرام ذي الدين وذي الشيبة ، ومن لم يرحم صغيراً ويجل كبيراً فليس منا .

(١٢) حدثني سعيد بن يعقوب الطالقاني ثنا عبد الله بن المبارك أنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي قال : ضرب رسول الله ﷺ يده في الخندق فقال : بسم الله وبه بدينا ، ولو عبدنا غيره شقينا ، حبذا رباً وحب دينا ، أو حبذا هو وحب دينا .

(١٣) حدثنا إبراهيم بن سعيد ثنا موسى بن أيوب النصيبي ثنا مخلد بن حسين عن شيخ من أهل البصرة وكان يهودياً فأسلم كان يقرأ الكتب قال : أول العبادة حب الله عز وجل ، ألا ترى أن الرجل يحب الرجل☆ فيبر بداره حباً له . قال إبراهيم بن سعيد الجوهري : كأنه يحث على الحج .

(١٤) حدثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا يزيد بن يزيد البكري ثنا حبيب يعني أبا محمد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ما الأوّاب ؟ قال : رجل قلبه معلق عند الله عز وجل .

(١٥) حدثنا يحي بن عبد الحميد الحماني ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ثنا عبد الصمد بن معقل قال : سمعت رجلاً سأل عمي وهب بن

☆ كتب الناسخ أولاً كلمة « الرجل » ثم بدا له فحكها واستبدل بها كلمة « الله تعالى » . والمعنى يقضي كما هو واضح بتثبيت الكلمة المحكوكة : « الرجل » .

منبه في مسجد الحرام قال : حدثني رحمك الله عن زبور داود قال : وجدت في أحد ثلاثين سطراً أن : يا داود اسمع مني والحق أقول : من لقيني وهو يحبني أدخلته جنتي ، يا داود / اسمع مني والحق أقول : من لقيني وهو يخاف عذابي لم أعذبه .

(١٦) حدثني عبد الله بن أبي بكر المقدسي ثنا مؤمل بن إسماعيل قال : كان كهمس العابد يقوم في جوف الليل فيقول : أتراك معذبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه ؟! ٧٠ ظ

(١٧) حدثني إسماعيل بن محمد ماهان حدثني أحمد بن أبي الحواري قال : لقيني راهب مرة وعلي عباءة فقال لي : لم لبست العباءة ؟ قال : قلت : خوفاً منه ، قال : وتحبه ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كلا لن يعذب من يحبه .

(١٨) حدثني إسماعيل بن محمد ثنا زهير البصري قال : لقيت شعوانة العابدة فقالت لي : ما أحسن طريقتك إلا أنك تنكر المحبة ، قال : قلت : ما أنكرها ، قالت لي : أتحب ربك ؟ قال : قلت : نعم ، قالت : فكيف تخاف أن لا يحبك وأنت تحبه ؟ قال : قلت : أنا أحبه لما أولاني وما بدأني بمعرفته ، ولي ذنوب أخاف أن لا يحبني بما كسبت ، قال : فغشي عليها ، ثم أفاقت فقالت : زه !

(١٩) حدثني حميد بن الربيع اللخمي حدثني زيد بن الحباب العكلي حدثني محمد بن صالح المدني حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن خباب قال : كنا مع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق فمرض بقديد فسمعته يقول : أنت ربي وحبي وسيدي .

(٢٠) حدثني زياد بن أيوب حدثني أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت بشر بن السريّ يقول : ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك .

(٢١) حدثنا علي بن عيسى المروذي حدثني محمد بن الحسن ثنا عثمان بن زفر التيمي ثنا حسن بن عياش قال : سمعت محمد بن النضر الحارثي يقول : ما يكاد يمل القربة إلى الله تعالى محب لله عز وجل وما يكاد يسأم من ذلك .

(٢٢) حدثني إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أنه قيل لبعض الحكماء : أي الأعمال أفضل ؟ قال : مازهدك في الدنيا ، قال : ثم ماذا ؟ قال هو على قلبك بذل المجهود من عملك لله عز وجل ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ما حبب إليك لقاء الله عز وجل ، قال : وما الذي يحبب إلى لقاء الله عز وجل ؟ قال : شدة حب الله عز وجل .

(٢٣) حدثني محمد بن الحسين حدثني محمد بن مالك بن ضيغم حدثني مولى لنا قد أدرك جدي يكنى أبا أيوب ، قال : قال لي جدك ضيغم ذات يوم : يا أبا أيوب منعني والله حب الله تعالى من الاشتغال بحب غيره ، قال : ثم مال فسقط مغشياً عليه . قال : وقال لي أبو أيوب : يا بني ما أدرك / من العابدين في زمانه أحداً أشد اجتهاداً منه ، ٧١ و
لكأنه قد كان رأى الآخرة ورافق النبيين والشهداء والصالحين ثم فرق بينه وبينهم فهو يُجِدُّ نفسه رجاء أن يرد إليهم .

(٢٤) نبأني علي بن مسلم الطوسي ثنا سيار بن حاتم ثنا رياح بن عمرو القيسي ثنا ثور بن يزيد قال :قرأت في التوراة : إن القلب المحب لله عز وجل يحب النصب لله تعالى .

(٢٥) حدثنا عبد الرحمن بن مسروق ثنا سيار بن حاتم ثنا جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إن القلب المحب لله تعالى يحب النصب لله تعالى .

(٢٦) قال إبراهيم بن الجنيد : قال بعض العباد : وجدت الله غيوراً يمنعني من كل من أرجوه وأن يسمح قلبي في مودته إجراء ذكره على لساني ، فواشوقاه واشوقاه ! ثم خر مغشياً عليه .

(٢٧) حدثنا يحي بن بكير ثنا أنس بن عياض أبو ضمرة نبأني نوفل بن مسعود أنه حدثه عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ثلاث من لقي الله عز وجل وهنّ فيه حرِّم على النار وحرِّمت النار عليه : إيمان بالله ورسوله ، والثانية حب الله ، والثالثة لأن توقد نار فيُلقى فيها أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر .

(٢٨) حدثني عبيد بن جناد الحبلي ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يكره أن يرجع في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ، وأن يحب المرء المسلم لا يحبه إلا لله عز وجل .

(٢٩) قال إبراهيم بن الجنيد : قد روينا أن القلب المحب لله تعالى يحب التعب والنصب لله عز وجل ، وهيهات أن يُنال حب الله بالراحة .

(٣٠) ثنا يحي بن عبد الله بن بكير ثنا المفضل بن فضالة القتباني عن أبي عروة البصري عن زياد أبي عمار عن أنس [بن] مالك قال : قال

رسول الله ﷺ : علامة حب الله حب ذكره وعلامة بغض الله بغض ذكره .

(٣١) وحدثنا الحسن بن عثمان بن حماد البصري قال أخبرني أسد / بن راشد أبو يزيد الدقاق ثنا عمار صاحب السقط عن أنس بن مالك قال : إن من علامة حب الله عز وجل حب ذكر الله ، ومن علامة بغض الله بغض ذكر الله . ٧١ ظ

(٣٢) حدثنا محمد بن يزيد بن كثير العجلي ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن بعض أصحابه قال : علامة حب الله تعالى كثرة ذكره فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت ذكره ، ومن علامة الدين الإخلاص لله ، وعلامة العلم خشية الله عز وجل ، وعلامة الشكر الرضى بقضاء الله والتسليم لقدره .

(٣٣) نبأني إسحاق بن إبراهيم الصوفي قال : قرأت في بعض الكتب قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين أحيوا قلوبكم بذكر الله عز وجل ، وأميتوها بالخشية ، ونوروها بحب الله عز وجل ، وفرحوها بالشوق إليه .

(٣٤) قال إبراهيم : قال بعض العلماء : اعلموا أنكم بالمحبة ترتفعون ، وبالمعرفة ترهبون ، وبالشوق ترغبون ، وبحسن النية تقهرون الهوى ، وبترك الشهوة تصفو أعمالكم ، حتى يريكم ملكوت السماء في عليين . فمن أراد منكم الراحة فليعمل في منازل أهل المحبة ، فإن من أخلاق محبة الله تعالى كثرة الذكر في ساعات الليل والنهار بالقلب واللسان ، فإن أمسك اللسان فبالقلب فإن ذكر القلب أبلغ وأنفع .

(٣٥) نبأني إبراهيم نبأني محمد بن الحسين حدثني الصلت بن حكيم قال : سمعت أبا عبد الرحمن المغازلي يقول : ليس يعطى طريق المحبة غافل ولاساه . المحب لله طائر القلب كثير الذكر ، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من السوابل والنوافل دأباً دأبا وشوقاً شوقا .

(٣٦) نبأني إبراهيم نبأني عون عن إبراهيم بن الصلت نبأني أحمد بن أبي الحواري ثنا موسى أبو عمران قال : من شرب بكأس المحبة لله عز وجل فقد ركب رحل المنقطعين إلى الله عز وجل .

(٣٧) نبأني إبراهيم نبأني سلمة بن شبيب أننا سهل بن عاصم أننا عبدة عن أبي خزيمة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ ، وقال ذلك عن ربه عز وجل ، قال : علامة الصدق أن يكون قلب العبد عندي معلقاً ، وإذا كان كذلك لم ينسني / على حال . فإذا كان كذلك مننت ٧٢ و
عليه بالاشتغال بي كيلا ينساني ، فإذا نسيني حركت قلبه ، فإذا تكلم تكلم بي وإذا سكت سكت لي . فذاك الذي تأتيه المعونة من عندي نائماً يقظان .

(٣٨) نبأني إبراهيم ثنا يحيى بن بكير حدثني المفضل بن فَضالة عن أبي عروة البصري عن أبي عمار عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أصبح همه غير الله تعالى فليس من الله عز وجل .

(٣٩) ثنا إبراهيم ثنا محمد بن مقاتل المروذي أننا عبد الله بن المبارك أننا سفيان قال : كتب إلى الحجاج بن فرافصة قال : قال بديل : من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل وإن تفكر حزن .

(٤٠) نبأني إبراهيم أنبأني إبراهيم بن إسحاق☆ قال : قال بعض طلاب الحكمة : عند معرفة الله يغلي هيجان المحبة ، وعند هيجان المحبة اتصال القلوب بذكره ومناجاته .

(٤١) نبأني إبراهيم ثنا حرملة بن يحيى أننا عبد الله بن وهب نبأني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : إن الله تعالى ليحب العبد فيبلغ من حبه إذ أحبه أن يقول : اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك .

(٤٢)نبأني إبراهيم نبأني إسحاق بن إبراهيم قال : قال بعض الحكماء : من أيس من الله عز وجل لجأ إلى نفسه ، ومن أيس من نفسه لجأ الى الله تعالى ، ومن لجأ إلى الله تعالى تم عزه وغناه .

(٤٣) نبأني إبراهيم نبأني الحسن بن محمد الخراساني☆☆ عن صالح بن عبد الله نبأني عبد العزيز بن عبد الوهاب قال : قال حكيم من الحكماء : إخواني معشر الديانيين ، اعلموا أنه لن تصفو القلوب من الدخل والعيوب حتى يكون الهم في الله تعالى هماً واحداً ويكون السبيل إلى محبة الله تعالى قاصداً . ثم قال : عقبة والله من العقاب كؤود لن يقطعها إلا حازم راد قد فارق الدنيا بقلبه وانقطع عن أهلها إلى ربه . ثم قال : جعلنا الله

☆ الأرجح أن الناسخ أخطأ وأن المقصود إسحاق بن إبراهيم فقد روى المؤلف عنه عن بعض الحكماء أكثر من مرة . فإن لم يكن أخطأ فهل المقصود : إبراهيم بن إسحاق بن عيسى البناني مولاهم أبو إسحاق الطالقاني (ـ ٢١٥) ، الذي قال فيه يعقوب بن شيبة : ثقة مرجئ ؟ الخلاصة ١٥ .

☆☆ الأرجح أن الناسخ أخطأ هنا أيضاً وأن المقصود محمد بن الحسين . ويؤكد الترجيح ما جاء في الفقرة التالية : « .. و حدثني محمد بن الحسين **أيضاً** عن صالح بن عبد الله .. » . هذا ولم أقع في كتب الرجال على محدث باسم الحسن بن محمد الخراساني يصح أن يروي عنه المؤلف .

وإياكم من أهل مخالصته والجد والاجتهاد في أمره حتى نظفر منه بكمال أهل الشوق وأعلى منازل أهل الصدق إفضالاً من ربنا وامتناناً وإحساناً منه على أهل العدوان . ثم قال : إخواني ، / المواعظ كثيرة والصفات عريضة والعاقل البصير يستدل بالنعت اليسير . ٧٢ ظ

(٤٤) ثنا إبراهيم قال : وحدثني محمد بن الحسين أيضاً عن صالح بن عبد الله ثنا أبو مسكين قال : سألت بعض العابدين قلت : أوصني ، قال : صم عن الدنيا واجعل فطرك عنده حتى يكون هو الذي يلي إفطارك عنده ، ودع عنك المداعبة في جد أو هزل ، وعليك بذكر الله تعالى بقلبك حتى ينتج على محبة الله تعالى .

(٤٥) حدثني إبراهيم حدثني علي بن عيسى بن☆ محمد بن الحسين حدثني جعفر بن خلف بن زيد القسام قال سمعت مضراً يقول : قال لي عبد الواحد بن زيد : ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضى ، ولا أعلم درجة أرفع ولا أشرف من الرضى وهو رأس المحبة .

(٤٦) قال إبراهيم : كان يقال : النعيم العاجل نعيم الذكر والتلذذ بالحزن ، وسل الله تعالى أن يسقيك شربة من حبه ، فإن سقاك فقد سعدت في العاجل والآجل ، والتقوى والزهد في حلال الدنيا وحرامها وترك المنزلة عند المخلوقين ، وعليك بالتواضع والخشوع والصمت والخلوة لعلك تنجو مما قد استوجبت بإذن الله العزيز الحكيم .

(٤٧) حدثني إبراهيم حدثني أحمد بن إبراهيم حدثني سلمة بن عقار قال : كان الفضيل بن عياض يقول : إلٓهي لو عذبتني بالنار لم يخرج

☆ هكذا في المخطوطة والصحيح أنها عن .

حبك من قلبي ، أنّى أنسى أياديك عندي في دار الدنيا ؟!

(٤٨) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين حدثني زكريا بن عدي قال : سمعت عابداً☆ باليمن يقول : سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده عز وجل .

(٤٩) قال إبراهيم : قال بعض الصالحين : آلهي وعزتك وجلالك لقد أحببتك محبة استقرت حلاوتها في قلبي ، وما تنعقد ضمائر موحديك على أنك تبغض محبيك .

(٥٠) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين حدثني إبراهيم بن سليان بن حريش ثنا يزيد بن علي بن جرير الحنفي قال : مررت على كلاب بن جري / ، وهو يصلي على الساحل في بعض الليل ، فسمعته ٧٣ و
وهو يقول في سجوده : وعزتك لقد خالط قلبي من محبتك أمر بكل لساني عما أجد منه في نفسي ، قال : ثم خفي علي ما كان قبل☆☆ ذلك . فانطلقت .

(٥١) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن الحسين ثنا عبد الله بن محمد التيمي ثنا معاذ بن زياد قال : قال فضل الرقاشي : ما اشتفى محب الله عز وجل من طاعته ولو حل بعظم الوسائل منازل الأبرار .

(٥٢) قال إبراهيم : بلغنا أن الله أوحى إلى داود عليه السلام : تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب واحد .

☆ قد تكون « عائذاً » . انظر الفقرة (٤) .

☆☆ هكذا في المخطوطة والمعنى يقضي أن تكون الجملة « ثم خفي علي ما كان بعد ذلك » .

(٥٣) قال إبراهيم : فنسأل الله تعالى العون والتوفيق والصدق والمحبة له والأنس به والرضى عنه والتسليم لأمره .

(٥٤) قال إبراهيم : وقد يمن الله تعالى على أهل طاعته بطاعته بلا أمر منهم استوجبوا عليه ، وكان الشكر منهم عليها إلهاماً منه ، فهو ولي كل نعمة ذو الطول والنعم الملي بحسن جزاء من أطاعه ذو الفضل العظيم .

(٥٥) حدثني إبراهيم ثنا يحي بن عبد الله بن بكير حدثني الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم أن مخبراً أخبره : أنه دخل على رأس الجالوت وهو يقرأ التوراة فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : مررت بحرف فأبكاني : يابني إسرائيل إني كنت أحبكم فلما عصيتموني أبغضتكم .

(٥٦) قال إبراهيم : وقد قال بعض العلماء : إن محبة الله تعالى ليست كمحبة الآمنين وإنما محبة الله في طاعته واجتناب معصيته .

(٥٧) حدثني إبراهيم حدثني حميد☆ الرازي ثنا جرير بن عبد الحميد عن الفضيل بن غزوان عن الحسن قال : من قال : إني أحب الله تعالى فهو كاذب لو أحب الله تعالى لعمل بعمل يحبه الله ، ومن قال : إني أحب الجنة فهو كاذب ولو أحب الجنة لعمل بعمل أهل الجنة ، ومن قال : إني أخاف النار فقد كذب لو كان يخاف النار لم يعمل بعمل أهل النار .

(٥٨) حدثني إبراهيم حدثني محمد بن بشر الكوفي المنقري☆☆ وأنشدني

☆ الأرجح أن المقصود محمد بن حميد الرازي .

☆☆ هل هي تصحيف العبدي .

في مثل ذلك : / ٧٣ ظ

تعصي الإلٓه وأنت تظهر حبه هذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتليك بنعمة جوداً وأنت لشكر ذاك مضيع
فاشكر أياديه إليك وصنعه في بطن أمك مولداً ورضيع

(٥٩) حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن بسام البلخي قال : سمعت أبا حازم القيساري ببيت المقدس قال : في الإنجيل مكتوب : إن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام : إن أسخط عليك لم ينفعك من رضي غيري ، وإن أرض عنك لم يضرك المبغضون ، أو حبك للعبد الزائل المسكين☆ . يا عيسى ، الحق ، والحق أقول ، إني أحب إلى عبدي من نفسه التي بين جنبيه .

(٦٠) قال إبراهيم : يقال : صدق المحبة لله عز وجل بالقلب مداومة ذكر القلب بالفرح بالله وإيثار محبته وشدة الأنس به ، وأن يشق عليه أن يحول بينه وبين الله تعالى حائل .

(٦١) حدثني إبراهيم حدثني أحمد بن سعيد الأزدي قال : سمعت عثمان بن صخر العتكي يقول : طوبى لمحبي الرب عز وجل الذين عبدوه بالفرح والسرور والأنس والطمأنينة فصاروا الصفوة من الخلق والخاصة من البرية ، يحنون إليه حنين الولهان ويشتاقون إليه شوق من لا صبر لهم عنه ، قد كُسروا بالخوف ورجوا بالظفر .

(٦٢) حدثني إبراهيم ثنا سعيد بن سليمان ثنا مبارك بن فضاله ثنا

☆ هكذا في المخطوطة ، والجملة كما هو واضح قلقة في مكانها هذا .

الحسن قال : كان ناس على عهد رسول الله ﷺ يقولون : يا رسول الله ، إنا نحب ربنا عز وجل حباً شديداً . فأحب الله تعالى أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

(٦٣) ثنا إبراهيم ثنا محمد بن حميد الرازي ثنا علي بن مجاهد ثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب قال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إن إبراهيم لم يحبني أحد من خلقي كحبه* إياي .

(٦٤) حدثني إبراهيم ثنا أبو بحر فرات بن محبوب السكوني ثنا عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ لا يشركون بي شيئاً ﴾ قال : لا يحبون غيري .

٧٤ و (٦٥) قال إبراهيم : حدثني رجل قال : قيل / لرابعة : كيف حبك المرسول ؟ قالت : إني لأحبه ، ولكن شغلني حب الخالق عن حب المخلوقين .

(٦٦) نبأني إبراهيم نبأني محمد بن الحسين حدثني أبو النعمان رستم بن أسامة حدثني عمير أبو يحي قال : سمعت عابداً من أهل الشام ببيت المقدس يقول : محبة الله تعالى ورثت أهلها سرور الأبد في دار المقامة . قال : ثم غشي عليه .

(٦٧) حدثني إبراهيم حدثني يونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرني سفيان بن عيينة عن رجل عن يحي بن أبي كثير اليامي قال : نظرنا فلم نجد شيئاً يتلذذ به المتلذذون أفضل من حب الله تعالى وطلب مرضاته .

* في المخطوطة أثبت الناسخ على السطر « كحبي إياه » وفوقها « كحبه إياي » .

(٦٨) حدثني إبراهيم حدثني إسحاق بن إبراهيم ثنا غوث بن جابر بن غيلان بن منبه الصنعاني عن رجل ثقة من أهل صنعاء عن أبيه عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون : يا عيسى ، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال : الذين رفضوا الدنيا فكانوا برفضها هم الفرحين ، وباعوها فكانوا ببيعها هم المربحين ، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلّت فيهم المثلات فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب وبه علموا ، لا يرون نيلاً مع ما نالوا ولا أمناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون .

(٦٩) حدثني إبراهيم حدثني إسحاق بن إبراهيم الثقفي ثنا جعفر بن سليمان الضُبعي قال : سمعت مالك بن دينار قال : قال موسى عليه السلام : إلَهي أين أبغيك ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا موسى ، ابغني عند المنكسرة قلوبهم فإني أدنو منهم في كل يوم وليلة باعاً ولولا ذلك لانهدموا . قال جعفر بن سليمان : فقلت لمالك بن دينار : كيف المنكسرة قلوبهم ؟ قال : سألت الذي قرأ الكتاب فقال : سألت الذي سأل عبد الله بن سلام فقال : سألت عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم ما يعني به ؟ قال : المنكسرة قلوبهم بحب الله عن حب غيره .

٧٤ ظ (٧٠) قال إبراهيم : سئل من أوتي الحكمة / عن عمل يقرب إلى الله تعالى وإلى خلقه ، فقال : بذلك لله ولعباده المحبة ، وسئل عما امتن الله تعالى به على القلوب ، فقال : الطهارة من دنس الشرك ، وهو قوله ﴿ ويطهركم تطهيرا ﴾ .

(٧١) ويقال : المحبة أن تؤثر الله تعالى على جميع الأشياء ، وعليك بالاهتمام بما يرضي الله عز وجل والحفظ لكل جارحة مما يسخط الله عز وجل .

(٧٢) ويقال : العزم أيأس النفس من خلاف الطاعة ، والصدق (و☆) العزم على أداء حقوق الله تعالى والوفاء بها عند مواقع الأعمال والحياء من الله تعالى وحسن المراقبة في السر والعلانية .

(٧٣) نبأني إبراهيم حدثني يحي بن سليمان الجعفي نبأني عبد الله بن وهب نبأني حرملة بن عمران أنه سمع كعب بن علقمة يقول : إن موسى عليه السلام لما أن هرب من فرعون قال : رب أوصني ، قال أوصيك أن لاتعدل بي شيئاً إلا اخترتني عليه فإني لا أرحم ولا أزكي من لم يكن كذلك .

☆ أظن أن الواو زائدة .

التعليقات

نبدأ بذكر رجال السند ثم نخرج الحديث أو القول ، لأن درجة الثقة بالسند ورجاله تفيد في تحقيق درجة صحة الحديث أو القول :

(١) السند

يحي بن معين أبو زكريا المري مولاهم (١٥٨ ـ ٢٣٣) . قال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحي فليس بحديث . الخطيب ، تاريخ بغداد ١٤ / ١٧٧ ـ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٢٩ ـ أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (تحقيق أبو غدة) ٤٢٨ ـ ابن خلكان ، وفيات الأعيان (تحقيق إحسان عباس) ٦ / ١٣٦ ـ ابن العماد ، شذرات الذهب ٢ / ٧٩ .

هشام بن يوسف الأبناوي أبو عبد الرحمن قاضي صنعاء (ـ ١٩٧) . روى عنه إسحاق وابن المديني وابن معين وقال : هو أثبت من عبد الرزاق في ابن جريج وأعلم منه بحديث سفيان . ثقة متفق عليه . ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ١١ / ٥٧ ـ الخلاصة ٤١٠ ـ الشذرات ١ / ٣٤٩ .

عبد الله بن سليمان النوفلي . قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢ / ٤٣٢) فيه جهالة . ونص ابن حجر في تقريب التهذيب (١ / ٤٢١) أنه مقبول .

التهذيب (تهذيب التهذيب) ٥ / ٢٤٦ ـ الخلاصة ٢٠٠ .

محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (ـ ١٢٥) أبو الخلفاء .

التهذيب ٩ / ٣٥٥ ـ الخلاصة ٣٥٢ ـ وفيات الأعيان ٤ / ١٨٦ ـ الصفدي ، الوافي بالوفيات (دار النشر فرانز شتاينر) ٤ / ١٠٣ ـ الشذرات ١ / ١٦٥ .

علي بن عبد الله بن عباس (ـ ١١٤) . قال ابن سعد : ثقة قليل الحديث . طبقات ابن سعد (دار صادر) ٥ / ٣١٢ ـ التهذيب ٧ / ٣٥٧ ـ الخلاصة ٢٧٥ ـ أبو نعيم ، الحلية ٣ / ٢٠٧ ـ ابن الجوزي ، صفة الصفوة (دار الوعي بحلب) ٢ / ١٠٧ ـ الوفيات ٣ / ٢٧٤ ـ الشذرات ١ / ١٤٧ .

عبد الله بن عباس (ـ ٦٨) . سمع من الرسول ﷺ خمسة وعشرين حديثاً وباقي حديثه عن الصحابة . روى ألفاً وستائة وستين حديثاً . اتفق البخاري ومسلم على خمسة وسبعين وانفرد البخاري بثمانية وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين . الطبقات ٢ / ٣٦٥ ـ التذكرة ١ / ٤٠ ـ الخلاصة ٢٠٢ ـ الحلية ١ / ٣١٤ ـ صفة الصفوة ١ / ٧٤٦ ـ الوفيات ٣ / ٦٢ ـ الشذرات ١ / ٧٥ .

الحديث

ذكره السيوطي في الجامع الصغير ـ فتح القدير ١ / ١٧٧ ونسبه إلى الترمذي والحاكم ، وهو كما قال : أخرجه الترمذي في المناقب من جامعه ـ تحفة الأحوذي ٤ / ٣٤٣ بلفظ « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » وقال فيه : هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ـ وأخرجه الحاكم في فضائل أهل البيت من المستدرك ٣ / ١٥٠ بمثل ما هنا وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

انظر : قوت القلوب ٢ / ١٠٠ ـ وإحياء علوم الدين ٤ / ٣٣٢ .

(٢) السند

محمد بن حميد التميمي الرازي أبو عبد الله (ـ ٢٤٨) . قال ابن معين : ليس به بأس رازي كيّس . وقال البخاري : حديثه فيه نظر . التذكرة ٢ / ٤٩٠ ـ التهذيب ٩ / ١٢٧ ـ الخلاصة ٣٣٣ ـ تاريخ بغداد ٢ / ٢٥٩ ـ الوافي ٣ / ٢٨ الشذرات ٢ / ١١٨ .

سلمة بن الفضل الأنصاري مولاهم القاضي أبو عبد الله الرازي (ـ ١٩١) . روى عنه ابن معين ووثقه . وقال البخاري : عنده مناكير . التهذيب ٤ / ١٥٣ ـ الخلاصة ١٤٩ ـ الوافي ١٥ / ٣٢٢ ـ الشذرات ١ / ٣٢٨ .

محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم أبوعبد الله (ـ ١٥١) . قال ابن معين : هو ثقة وليس بحجة . التذكرة ١ / ١٧٢ ـ الخلاصة ٣٢٦ ـ الوافي ٢ / ١٨٨ ـ الشذرات ١ / ٢٣٠ .

(٣) السند

زياد بن أيوب دَلُّويه الطوسي أبو هاشم (١٦٦ ـ ٢٥٢) قال ابن حنبل : اكتبوا عن زياد بن أيوب فإنه شعبة الصغير . تاريخ بغداد ٨ / ٤٧٩ ـ التذكرة ٢ / ٥٠٨ ـ الخلاصة ١٢٤ ـ الوافي ١٥ / ١٧ ـ الشذرات ٢ / ١٢٦ .

أحمد بن عبد الله الغطفاني أبو الحسن بن أبي الحواري (١٦٤ ـ ٢٤٦) . كوفي سكن دمشق . قال الجنيد : هو ريحانة الشام . العبر ١ / ٤٤٦ ـ التهذيب ١ / ٤٩ ـ الخلاصة ٨ ـ طبقات الصوفية للسلمي (تحقيق شريبة) ٩٨ ـ الحلية ١٠ / ٥ ـ صفة الصفوة ٤ / ٢٣٧ ـ الشذرات ٢ / ١١٠ .

عبد العزيز بن عمير .

أبو سليمان الدقاق الواسطي أيوب بن حسان . قال ابن أبي حاتم كتبت عنه مع أبي وهو صدوق . التهذيب ١ / ٤٠٠ ـ الخلاصة ٤٣ .

(٤) السند

محمد بن الحسين أبو جعفر ، ويعرف بابن شيخ البُرجُلاني (ـ ٢٣٨) . صاحب كتاب الزهد والرقائق . روى عنه إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد وابن أبي الدنيا . سئل ابن حنبل عن شيء من حديث الزهد فقال : عليك بمحمد بن الحسين البرجلاني . تاريخ بغداد ٢ / ٢٢٣ ـ العبر ١ / ٤٢٨ ـ الوافي ٢ / ٣٣٧ ـ الشذرات ٢ / ٩٠ .

زكريا بن عدي بن الصلت التيمي مولاهم أبو يحي الكوفي (ـ ٢١٢) . قال ابن معين لابأس به . تاريخ بغداد ٨ / ٤٥٥ ـ التهذيب ٣ / ٣٣١ ـ الخلاصة ١٢٢ ـ الشذرات ٢ / ٢٨ .

عائذ .

(٧) السند

محمد بن الحسين ، ذكر في (٤) .

محمد بن معاوية الأزرق النيسابوري (ـ ٢٢٩) . نزيل مكة . قال ابن معين : كذاب . الميزان ٤ / ٤٤ ـ التهذيب ٩ / ٤٦٤ ـ الوافي ٥ / ٤١ .

سعيد العلاف الموصلي .

فتح الموصلي أبو نصر (ـ ٢٢٠) . قال السلمي : فتح الموصلي كان من كبار مشايخ الموصل وكان يحضر بغداد لزيارة بشر الحافي .

تاريخ بغداد ١٢ / ٣٨١ ـ الحلية ٨ / ٢٩٢ ـ صفة الصفوة ٤ / ١٨٣ .

وهناك فتح موصلي آخر ما أظنه المقصود بهذا السند هو فتح بن محمد بن وشاح الأزدي أبو محمد (ـ١٧٠) .-زاهد ، قال المعافى بن عمران إنه لم يلق أعقل منه . تاريخ بغداد ١٢ / ٣٨٣ ـ صفة الصفوة ٤ / ١٨١ .

المعاني المتضمنة في الأقوال (٤) و (٥) و (٦) و (٧) و (٨) تتردد كثيراً في أقوال الصوفية . انظر مثلاً : قوت القلوب ٢ / ١٠٠ ـ ١١٥ ـ والإحياء ٤ / ٣٢٩ ـ ٣٣٩ .

(٩) السند

حرملة بن يحي بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي مولاهم الكندي أبو حفص المصري الفقيه صاحب الشافعي (١٦٦ ـ ٢٤٣) . قال ابن معين : أعلم الناس بابن وهب . التذكرة ٢ / ٤٨٦ ـ التهذيب ٢ / ٢٢٩ ـ الخلاصة ٧٤ ـ الوفيات ٢ / ٦٤ ـ الوافي ١١ / ٣٣٤ .

عبد الله بن وهب أبو محمد الفهري مولاهم (١٢٥ ـ ١٩٧ وقيل ١٩٩) . أحد الأئمة . قال ابن حنبل : ما أصح حديثه . وقال ابن معين : ثقة . الطبقات ٧ / ٥١٨ ـ التذكرة ١ / ٣٠٤ ـ الخلاصة ٢١٨ ـ الحلية ٨ / ٣٢٤ ـ صفة الصفوة ٤ / ٣١٣ ـ الوفيات ٣ / ٣٦ ـ الشذرات ١ / ٣٤٧ .

عبد الله بن لهيعة الحضرمي أبو عبد الرحمن ، قاضي مصر وعالمها ومسندها (ـ ١٧٤) . قال ابن حنبل : احترقت كتبه ، ومن كتب عنه قديماً فسماعه صحيح . وقال ابن معين : ليس بالقوي .

التذكرة ١ / ٢٣٧ ـ الخلاصة ٢١١ ـ الوفيات ٣ / ٣٨ ـ الشذرات ١ / ٢٨٣ .

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعباني أبو أيوب قاضي إفريقية (ـ ١٥٦) . وثقه يحي القطان . وقال ابن حنبل : حديثه منكر . الخلاصة ٢٢٧ ـ الشذرات ١ / ٢٣٩ .

عتبة بن حميد الضبي أبو معاذ البصري . وثقه ابن حبان . وضعفه أحمد . الخلاصة ٢٥٧ .

عبادة بن نسي الكندي أبو عمرو الأردني قاضي طبرية (ـ ١١٨) . وثقه ابن معين والنسائي . التهذيب ٥ / ١١٣ ـ الخلاصة ١٨٨ ـ صفة الصفوة ٤ / ٢١٦ ـ الشذرات ١ / ١٥٥ .

أبو موسى الكندي .

أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ـ ٥٨ وقيل ٥٩ وقيل ٥٧) مسنده خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً . اتفق البخاري ومسلم على ثلاثمائة وستة وعشرين ، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين ومسلم بثمانية وتسعين . الطبقات ٢ / ٣٦٢ ـ التذكرة ١ / ٣٢ ـ الحلية ١ / ٣٧٦ ـ صفة الصفوة ١ / ٦٨٥ .

الحديث بهذا النص لم نجده . والأحاديث التي بهذا المعنى كثيرة منها الحديث المشهور « لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

(١٠) السند

محفوظ بن الفضل بن أبي توبة أبو عبد الله (ـ ٢٣٧) .

ضعفه أحمد جداً . تاريخ بغداد ١٣ / ١٩١ ـ الميزان ٣ / ٤٤٤ ـ لسان الميزان ٥ / ١٩ .

غوث بن جابر بن غيلان بن منبه الصنعاني . سئل يحي بن معين عنه قال : لم يكن به بأس ، ما كتبت عنه حديثاً قط ، كان يروي حكمة وهب بن منبه . الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٥٧ .

عقيل بن معقل بن منبه اليماني أبو معقل . روى عن عميه همام ووهب . قال أحمد : ثقة قرأ التوراة والإنجيل . التهذيب ٧ / ٢٥٥ ـ الخلاصة ٢٧٠ .

وهب بن منبه بن كامل الأبناوي الصنعاني أبو عبد الله (ـ ١١٤ وقيل ١١٠) . وثقه النسائي . الطبقات ٥ / ٥٤٣ ـ التذكرة ١ / ١٠٠ ـ الخلاصة ٤١٩ ـ الحلية ٤ / ٢٥٠ ـ صفة الصفوة ٢ / ٢٩١ ـ الوفيات ٦ / ٣٥ ـ الشذرات ١ / ١٥٠ .

(١١) السند

يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم أبو زكريا المصري (ـ ٢٣١) . وثقه ابن حبان ، وضعفه النسائي . التذكرة ٢ / ٤٢٠ ـ التهذيب ١١ / ٢٣٧ ـ الخلاصة ٤٢٥ ـ الشذرات ٢ / ٧١ .

عبد الله بن لهيعة . ذكر في (٩)

يزيد بن أبي حبيب الأزدي مولاهم أبو رجاء المصري (٥٣ ـ ١٢٨) . قال ابن يونس : كان مفتي أهل مصر وكان حليماً عاقلاً وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل والحلال والحرام . التذكرة ١ / ١٣٠ ـ التهذيب ١١ / ٣١٨ ـ الخلاصة ٤٣٠ ـ الشذرات ١ / ١٧٥ .

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر المدني (٥٠ ـ ١٢٤) . قال عمر بن عبد العزيز : لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري . التذكرة ١ / ١٠٨ ـ الخلاصة ٣٥٩ ـ الحلية ٣ / ٣٦٠ ـ صفة الصفوة ٢ / ١٣٦ ـ الوفيات ٤ / ١٧٧ ـ الوافي ٥ / ٢٤ ـ الشذرات ١ / ١٦٢ .

الحديث لم نجده بهذا اللفظ . ووجدنا : .. عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا . أخرجه أحمد في المسند ١١ / ٢٥ و ١١ / ١٦٠ (تحقيق أحمد شاكر) ، وانظر تخريجه في الموضع الأول . وجاء من حديث ابن عباس : ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر . أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٩٥ ، وانظر تخريجه ثمة .

(١٢) السند

سعيد بن يعقوب الطالقاني أبو بكر (ـ٢٤٤) . وثقه أبو زرعة والنسائي . تاريخ بغداد ٩ / ٨٩ ـ التذكرة ٢ / ٤٦٠ ـ التهذيب ٤ / ١٠٣ ـ الخلاصة ١٤٤ .

عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي (١١٨ ـ ١٨١) . قال ابن عيينة : ابن المبارك عالم المشرق والمغرب . وقال شعبة : ماقدم علينا مثله . وقال ابن معين : ثقة صحيح الحديث . الطبقات ٧ / ٣٧٢ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢ ـ التذكرة ١ / ٢٧٤ ـ الخلاصة ٤٣٠ ـ الحلية ٨ / ١٦٢ ـ صفة الصفوة ٤ / ١٣٤ ـ الوفيات ٣ / ٣٢ ـ الشذرات ١ / ٢٩٥ .

سليمان بن طرخان التيمي نزل فيهم القيسي مولاهم أبو

المعتمر البصري (ـ ١٤٣) . وثقه ابن سعد . التذكرة ١ / ١٥٠ ـ التهذيب ٤ / ٢٠١ ـ الخلاصة ١٥٢ ـ الحلية ٣ / ٢٧ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٩٦ ـ الوافي ١٥ / ٣٩٣ .

عبد الرحمن بن مُل النهدي أبو عثمان (ـ١٠٠) . أسلم في عهد الرسول ﷺ ولم يلقه . وثقه ابن المديني وحاتم والنسائي . الطبقات ٧ / ٩٧ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ٢٠٢ ـ التذكرة ١ / ٦٥ ـ التهذيب ٦ / ٢٧٧ ـ الخلاصة ٢٣٥ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٠٠ ـ الشذرات ١ / ١١٨ .

الحديث لم نجده في كتب الحديث ، ولا في سيرة ابن هشام أو مغازي الواقدي أو حدائق الأنوار لأبي الديبع الشيباني . ووجدناه في تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس لحسين بن محمد الديار بكري ١ / ٤٨١ .

ذكرنا الدكتور شاكر الفحام بكتب غريب الحديث مثل « النهاية » ١ / ١٠٩ ، والمعاجم مثل اللسان والتاج : مادة « بدا » . وفيها أن الرجز لابن رواحة :

باسم الإلّه وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
وحبذا ربا وحب دينا

(١٣) **السند**

إبراهيم بن سعيد الجوهري أبو إسحاق الطبري ثم البغدادي (ـ ٢٤٧ وقيل ٤٩ وقيل بعد الخمسين) صاحب المسند . وثقه النسائي والخطيب . تاريخ بغداد ٦ / ٩٣ ـ التذكرة ٢ / ٥١٥ ـ التهذيب ١ / ١٢٣ ـ الخلاصة ١٧ ـ الوافي ٥ / ٣٥٤ ـ الشذرات ٢ / ١١٣ .

موسى بن أيوب بن عيسى النصيبي أبو عمران الأنطاكي .
قال ابو حاتم : صدوق التهذيب ١٠ / ٣٣٦ ـ الخلاصة ٣٨٩ .

مخلد بن الحسين الأزدي المهلبي أبو محمد البصري نزيل المصيصة (ـ ١٧١) وثقه العجلي . التهذيب ١٠ / ٧٢ ـ الخلاصة ٣٧١ ـ الحلية ٨ / ٢٦٦ ـ صفة الصفوة ٤ / ٢٦٦ .

(١٤) السند

حفص بن عمر الأزدي أبو عمر الحوضي البصري (ـ ٢٢٥) .
قال أحمد : ثقة ثبت متقن . التهذيب ٢ / ٤٠٥ ـ الخلاصة ٨٧ ـ الشذرات ٢ / ٥٦ .

يزيد بن يزيد البكري .

حبيب بن الشهيد الأزدي أبو محمد البصري (ـ ١٤٥) . قال أحمد بن حنبل : ثقة مأمون . التذكرة ١ / ١٦٤ ـ الخلاصة ٧١ ـ الوافي ١١ / ٢٩١ ـ الشذرات ١ / ٢١٦ .

الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (ـ ١١٠) . قال ابن سعد : كان عالماً جامعاً رفيعاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً ، ما أرسله فليس بحجة . الطبقات ٧ / ١٥٦ ـ التذكرة ١ / ٧١ ـ الخلاصة ٧٧ ـ الحلية ٢ / ١٣١ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٣٣ ـ الوفيات ٢ / ٦٩ ـ الوافي ١٢ / ٣٠٦ ـ الشذرات ١ / ١٣٦ .

(١٥) السند

يحي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني أبو زكريا الكوفي (ـ ٢٢٨) . وثقه ابن معين ، وطعن فيه ابن حنبل ، وضعفه

النسائي . تاريخ بغداد ١٤ / ١٦٧ التذكرة ٢ / ٤٢٣ ـ التهذيب ١١ / ٢٤٣ ـ الخلاصة ٤٢٥ ـ الشذرات ٢ / ٦٧ .

جعفر بن سليمان الضُبَعي نزل فيهم أبو سليمان البصري (ـ ١٧٨) . وثقه ابن معين وابن جنبل وقال ابن سعد : ثقة يتشيع . التذكرة ١ / ٢٤١ ـ التهذيب ٢ / ٩٥ ـ الخلاصة ٦٣ ـ الحلية ٦ / ٢٨٧ ـ الوافي ١١ / ١٠٦ ـ الشذرات ١ / ٢٨٨ .

عبد الصمد بن معقل اليماني (ـ ١٨٣) . وثقه ابن حنبل . الطبقات ٥ / ٥٤٧ ـ التهذيب ٦ / ٣٢٨ ـ الخلاصة ٢٣٩ .

وهب بن منبه . ذكر في (١٠) .

القول . ذكره أبو نعيم في الحلية ٤ / ٤٥ .

(١٦) السند

عبد الله بن أبي بكر المقدسي .

مؤمل بن إسماعيل العدوي مولاهم أبو عبد الرحمن البصري (ـ ٢٠٦) . وثقه ابن معين . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال ابن حجر : صدوق سيء الحفظ . التهذيب ١٠ / ٣٨٠ ـ تقريب التهذيب لابن حجر ٢ / ٢٩٠ ـ الخلاصة ٣٩٣ ـ الشذرات ٢ / ١٦ .

كهمس بن الحسن أبو عبد الله الدعاء الزاهد . الحلية ٦ / ٢١١ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢١٣ .

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٦ / ٢١٣ .

(١٧) السند

إسماعيل بن محمد ماهان

أحمد بن أبي الحواري . ذكر في (٣) .

(١٨) السند

إسماعيل بن محمد .

زهير بن الهنيد العبدري أبو الذيال البصري . وثقه ابن حبان ـ الخلاصة ١٢٣ .

شعوانة . من عابدات الأبلة . صفة الصفوة ٤ / ٥٣ .

(١٩) السند

حميد بن الربيع أبو الحسن اللخمي الكوفي (ـ ٢٥٨) . طعن فيه ابن معين . وكان ابن حنبل يحسن القول فيه . تاريخ بغداد ٨ / ١٦٢ .

زيد بن الحباب التيمي العكلي أبو الحسين الخراساني الكوفي (ـ ٢٠٣) . وثقة ابن المديني وأبو حاتم وابن معين . تاريخ بغداد ٨ / ٤٤٢ ـ التذكرة ١ / ٣٥٠ ـ التهذيب ٣ / ٤٠٢ ـ الخلاصة ١٢٧ ـ الوافي ١٥ / ٤٤ ـ الشذرات ٢ / ٦ .

محمد بن صالح التمار الأنصاري مولاهم أبو عبد الله المدني (ـ ١٦٨) . وثقة أبو داود وابن حبان . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي . التهذيب ٩ / ٢٢٥ ـ الخلاصة ٣٤١ ـ الوافي ٣ / ١٥٤ .

سليمان بن عبد الرحمن بن خباب .

القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي أبو عبد الرحمن (ـ ١٠٧) . أحد الفقهاء السبعة☆ . قال ابن سعد : كان ثقة عالماً فقيهاً إماماً كثير الحديث . الطبقات ٥ / ١٨٧ ـ التذكرة ١ / ٩٦ ـ سير أعلام النبلاء ٥ / ٥٣ ـ التهذيب ٧ / ٣٣٣ ـ الخلاصة ٣١٣ ـ الحلية ٢ / ١٨٣ ـ صفة الصفوة ٢ / ٨٨ ـ الوفيات ٤ / ٥٩ ـ الشذرات ١ / ١٣٥ .

(٢٠) السند

زياد بن أيوب . ذكر في (٣) .

أحمد بن الحواري . ذكر في (٣) .

بشر بن السري الأفوه أبو عمرو البصري ثم المكي (ـ ١٩٥) . وثقه ابن معين وابن حنبل وأبو حاتم . التذكرة ١ / ٣٥٥ ـ التهذيب ١ / ٤٥٠ ـ الخلاصة ٤٨ ـ الحلية ٨ / ٣٠٠ ـ الوافي ١٠ / ١٤٩ ـ الشذرات ١ / ٣٤٣ .

القول

ذكره أبو نعيم بالسند التالي : حدثنا أبو أحمد ثنا محمد ثنا جدي

☆ الفقهاء السبعة :

أبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي (ـ ٩٤) .

أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ـ ٩٩) .

أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي (ـ ٩٢ أو ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥) .

أبو أيوب وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو عبد الله سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج رسول الله ﷺ (ـ ١٠٧ وقيل ١٠٠ وقيل ٩٤) .

أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (ـ ١٠٢ وقيل ٩٩ وقيل ٩٨) .

أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي (ـ ٩٣ أو ٩٤) .

أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي ـ ارجع إلى الوفيات ١ / ٢٨٣ .

العباس قال : قال أحمد بن أبي الحواري .. ـ الحليه ١٠ / ٧ ـ وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ٣٥٩ .

(٢١) السند

علي بن عيسى

محمد بن الحسن

عثمان بن زفر بن مزاحم التيمي أبو زفر الكوفي (ـ ٢١٨) . قال مطين : ثقة . التهذيب ٧ / ١١٦ ـ الخلاصة ٢٥٩ .

حسن بن عياش الأسدي مولاهم أبو محمد الكوفي (ـ ١٧٢) . وثقه ابن معين . تاريخ بغداد ٧ / ٣٥٠ ـ الخلاصة ٨٠ ـ الوافي ١٢ / ١٩٩ .

محمد بن النضر أبو عبد الرحمن الحارثي . كان مشغولاً بالعبادة عن الرواية ، وقد أرسل الأحاديث ولم يصلها . صفة الصفوة ٣ / ١٥٩ ـ الوافي ٥ / ١٣١ .

(٢٢) السند

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب التيمي الحنظلي المروذي المعروف بابن راهويه (١٦٦ وقيل ١٦١ ـ ٢٣٨) . قال ابن حنبل : لا أعلم لإسحاق نظيراً ، إسحاق عندنا من أئمة المسلمين . تاريخ بغداد ٦ / ٣٤٥ ـ التذكرة ٢ / ٤٣٣ ـ الخلاصة ٢٧ ـ الحلية ٩ / ٢٣٤ ـ الوفيات ١ / ١٩٩ ـ الوافي ٨ / ٣٨٦ ـ الشذرات ٢ / ٨٩ .

قد يكون إسحاق الثقفي الوارد في السند (٦٩)

(٢٣) السند

محمد بن الحسين . مر في (٤)

محمد بن مالك بن ضيغم

أبو أيوب

ضيغم بن مالك أبو مالك العابد . صفة الصفوة ٣ / ٣٥٧ .

(٢٤) **السند**

علي بن مسلم بن سعيد الطوسي أبو الحسن نزيل بغداد (ـ ٢٥٣) . وثقة النسائي . تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٨ ـ التهذيب ٧ / ٣٨٢ ـ الخلاصة ٢٧٧ .

سيار بن حاتم العنزي أبو سلمة البصري (ـ ٢٠٠ وقيل ١٩٩) . قال الحاكم : في حديثه بعض المناكير . ضعفه ابن المديني . ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان جماعاً للرقائق . التهذيب ٤ / ٢٩٠ ـ الخلاصة ١٦٠ .

رياح بن عمرو القيسي أبو المهاجر الزاهد الكوفي . قال أبو زرعة : صدوق . الجرح والتعديل . ١ / ٢ / ٥١١ ـ الحلية ٦ / ١٩٢ ـ صفة الصفوة ٣ / ٣٦٧ .

ثور بن يزيد الكلاعي أبو خالد الحمصي (ـ ١٥٣) . قال ابن معين : ما رأيت شامياً أوثق منه . التذكرة ١ / ١٧٥ ـ التهذيب ٢ / ٣٣ ـ الخلاصة ٥٨ ـ الحلية ٦ / ٩٣ ـ الوافي ١١ / ٢٥ ـ الشذرات ١ / ٢٣٤ .

القول

ذكره أبو نعيم بالسندين : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا

إسحاق بن إبراهيم ثنا أبو [الحسن] علي بن مسلم الطوسي ح . وحدثنا علي بن أحمد بن عبد الله المقدسي ثنا عبد الجبار بن محمد بن عبيد الخثعمي ثنا أبي ثنا مؤمل ثنا سيار بن حاتم ثنا رياح بن عمرو القيسي ثنا ثور .. ـ الحلية ٦ / ٩٣ .

(٢٥) **السند**

عبد الرحمن بن مسروق

سيار بن حاتم . ذكر في السند السابق .

جعفر بن سليمان . ذكر في (١٥) .

مالك بن دينار أبو يحيى الزاهد الواعظ (ـ ١٢٧) . وثقه النسائي . الطبقات ٧ / ٢٤٣ ـ التهذيب ١٠ / ١٤ ـ الخلاصة ٣٦٧ ـ الحلية ٢ / ٣٥٧ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٧٣ ـ الوفيات ٤ / ١٣٩ ـ الشذرات ١ / ١٧٣ .

القول

ذكره أبو نعيم بالسند التالي : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال : ثنا أحمد بن الحسين قال : ثنا أحمد بن إبراهيم قال : ثنا وهب بن محمد البناني قال : ثنا جعفر بن سليمان ... قال : وسمعت مالكاً يقول : .. ـ الحلية ٢ / ٣٦٣ .

وانظر قوت القلوب ٢ / ١١١ : وعن عيسى عليه السلام : ...

(٢٧) **السند**

يحيى بن بكير . ذكر في (١١) .

أنس بن عياض الليثي أبو ضمرة المدني (ـ ٢٠٠) . وثقه

النسائي . التذكرة ١ / ٣٢٣ ـ التهذيب ١ / ٣٧٥ ـ الخلاصة ٤٠ ـ الوافي ٩ / ٤١٧ ـ الشذرات ١ / ٣٥٨ .

نوفل بن مسعود السهمي المديني . الجرح والتعديل ٤ / ١ / ٤٨٨ .

أنس بن مالك الأنصاري النجاري أبو حمزة (ـ ٩٣) خادم رسول الله ﷺ . له ألف ومئتا حديث وستة وثمانون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ومسلم بواحد وسبعين . الطبقات ٧ / ١٧ ـ التذكرة ١ / ٤٤ ـ الخلاصة ٤٠ ـ صفة الصفوة ١ / ٧١٠ ـ الوافي ٩ / ٤١١ ـ الشذرات ١ / ١٠٠ .

(٢٨) السند

عبيد بن جناد الحبلي . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سئل أبي عنه فقال : صدوق . الجرح والتعديل ٢ / ٢ / ٤٠٤ .

عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي مولاهم أبو وهب الجزري الرقي (ـ ١٨٠) . وثقه ابن معين والنسائي وابن سعد وقال : ربما أخطأ . التهذيب ٧ / ٤٢ ـ الخلاصة ٢٥٢ ـ الشذرات ١ / ٢٩٣

أيوب بن أبي تميمة كيسان أبو بكر السختياني العنزي (ـ ١٣١) .

قال شعبة : كان أيوب سيد العلماء ، وابن عيينة : لم ألق مثله ، وابن سعد : كان ثقة ثبتاً . الطبقات ٧ / ٢٤٦ ـ التذكرة ١ / ١٣٠ ـ التهذيب ١ / ٣٩٧ ـ الخلاصة ٤٣ ـ الحلية ٣ / ٣ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٩١ ـ الوافي ١٠ / ٥٤ ـ الشذرات ١ / ١٨١

أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري(ـ ١٠٤ أو ٦ أو

٧) . قال ابن سعد : ثقة كثير الحديث . الطبقات ٧ / ١٨٣ ـ التذكرة ١ / ٩٤ ـ التهذيب ٥ / ٢٢٤ ـ الخلاصة ١٩٨ ـ الحلية ٢ / ٢٨٢ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٣٨ ـ الشذرات ١ / ١٢٦

أنس بن مالك . ذكر في الفقرة السابقة .

الحديث

أخرجه بنحوه من أوجه عن أنس : البخاري في كتاب الإيمان ١ / ١٢ و ١٣ ، وكتاب الإكراه ٩ / ٢٠ من صحيحه (بولاق) ـ ومسلم في كتاب الإيمان ١ / ٤٨ من صحيحه (ط . استانبول)

وانظر كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك ٢٨٥ ـ وعوارف المعارف للسهروردي ٥٠٣ (ط . بيروت) ـ ومدارج السالكين لابن القيم ٢ / ١٨٦ و ٣ / ٢٤ ـ والروض الفائق للحريفيش ٢٣٤ .

(٣٠) السند .

يحي بن عبد الله بن بكير . ذكر في (١١) .

المفضل بن فضالة الرعيني القِتباني أبو معاوية (ـ ١٨١) . قاضي مصر . قال ابن يونس : ثقة . التذكرة ١ / ٢٥١ ـ التهذيب ١٠ / ٢٧٣ ـ الخلاصة ٣٨٦ ـ الحلية ٨ / ٣٢١ ـ صفة الصفوة ٤ / ٣١٣ ـ الشذرات ١ / ٢٩٧ .

أبو عروة البصري هل هو رافع بن زيد ، قال في ميزان الاعتدال ٤ / ٥٥٤ : مجهول ؟

زياد أبو عمار

أنس بن مالك . ذكر في (٢٧)

الحديث

ذكره السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : « علامة حب الله تعالى حب ذكره ، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز وجل » ، ونسبه إلى البيهقي في الشعب ، ورمز له بالحسن . وقال المناوي في الفتح ٤ / ٣٢٠ « ورواه عنه ـ أي عن أنس ـ الحاكم والديلمي » .

(٣١) السند

الحسن بن عثمان بن حماد البصري أبو حسان الزيادي (ـ ٢٤٢) . قال الخطيب : من أهل المعرفة والثقة والأمانة . تاريخ بغداد ٧ / ٣٥٦ ـ الوافي ١٢ / ٩٨ ـ الشذرات ٢ / ١٠٠ .

أسد بن راشد أبو يزيد الدقاق

عمار صاحب السقط

أنس بن مالك . (٢٧)

(٣٢) السند

محمد بن يزيد بن كثير العجلي أبو هشام الكوفي قاضي بغداد (ـ ٢٤٨) . وثقه البرقاني وقال العجلي : لا بأس به . وقال البخاري : رأيتهم مجمعين على ضعفه . تاريخ بغداد ٦ / ٣٢٤ ـ الخلاصة ٣٦٥ ـ الوافي ٥ / ٢١٦ ـ الشذرات ٢ / ١١٩ .

إسحاق بن سليمان القيسي مولاهم أبو يحيى الرازي (ـ ٢٠٠) . وثقه ابن سعد وابن معين . التهذيب ١ / ٢٣٤ ـ الخلاصة ٢٨ ـ الوافي ٨ / ٤١٣ ـ الشذرات ١ / ٣٥٦ .

عيسى بن أبي عيسى ماهان ، ويقال عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان ، أبو جعفر الرازي . قال عنه ابن حجر في التقريب : صدوق سيئ الحفظ . التهذيب ١٢ / ٥٦ ـ التقريب ٢ / ٤٠٦ .

الربيع بن أنس الكندي أو الحنفي البصري (ـ ١٣٩ أو ١٤٠) . قال أبو حاتم : صدوق . التهذيب ٣ / ٢٣٨ ـ الخلاصة ١١٤ .

(٣٣) السند

إسحاق بن إبراهيم الصوفي (٢٢)

(٣٥) السند

محمد بن الحسين . ذكر في (٤)

الصلت بن حكيم

أبو عبد الرحمن المغازلي

(٣٦) السند

عون بن سلاّم مولى بني هاشم أبو جعفر الكوفي (ـ ٢٣٠) . قال صالح جزرة : لابأس به . تاريخ بغداد ١٢ / ٢٩٣ ـ التهذيب ٨ / ١٧٠ ـ الخلاصة ٢٩٨ ـ الشذرات ٢ / ٦٩ .

إبراهيم بن الصلت الصوفي . قال الخطيب : ذكره السلمي في تاريخه . تاريخ بغداد ٦ / ١٠٥ .

أحمد بن أبي الحواري . (٣)

موسى بن مروان أبو عمران البغدادي نزيل الرقة (ـ ٢٤٠

وقيـل ٢٤٦) وثقـة ابن حبـان . تـاريـخ بغـداد ١٣ / ٤١ ـ التهـذيب ١٠ / ٣٦٩ ـ الخلاصة ٣٩٢ .

(٣٧) **السند**

سلمة بن شبيب النيسابوري أبو عبد الله نزيل مكة (ـ ٢٤٧) . قال أبو حاتم : صدوق . التهذيب ٤ / ١٤٦ ـ الخلاصة ١٤٨ ـ الوافي ١٥ / ٣٢١ الشذرات ٢ / ١١٦ .

سهل بن عاصم السجستاني . قال ابن أبي حاتم : كان رفيق أبي . سئل أبي عنه فقال : شيخ . الجرح والتعديل ٢ / ١ / ٢٠٢ .

عبدة بن سليمان الكلابي أبو محمد الكوفي (ـ ١٨٨ وقيل ٨٧ وقيل ٨٠) . وثقة ابن حنبل وابن سعد والعجلي . التذكرة ١ / ٣١٢ ـ الخلاصة ٢٤٩ .

هل عبدة هو هذا أم هو عبدة بن عبد الرحيم أبو الفضل المروزي . الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٩٠ ؟

أبو خزيمة هل هو أبو خزيمة العبدي البصري (قيل اسمه نصر بن مرداس وقيل صالح بن مرداس) . قال أبو حاتم : لا بأس به ؟ الخلاصة ٤٤٨ .

الحسن . (١٤)

(٣٨) **السند** هو السند (٣٠)

الحديث

أخرج الحاكم نحوه في الرقاق من المستدرك ٤ / ٣٢٠ من حديث ابن

مسعود ، قال : حدثنا عبد الباقي بن قانع الحافظ ببغداد ثنا عبيد الله بن أحمد بن الحسن المروزي ثنا إسحاق بن بشر ثنا مقاتل بن سليمان عن حماد عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يريد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيئ ، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم .

وقال الذهبي في المختصر : إسحاق ومقاتل ليسا بثقتين ولا صادقين . وأورد الحديث في ترجمة إسحاق بن بشر في ميزان الاعتدال ١ / ١٨٤ ـ ١٨٦ .

وانظر فتح القدير ٦ / ٦٧ .

(٣٩) السند

محمد بن مقاتل المروذي أبو الحسن الكسائي ولقبه رُخ (ـ ٢٢٦) . شيخ البخاري . وثقه ابن حبان . تاريخ بغداد ٣ / ٢٧٥ ـ التهذيب ٩ / ١٦٨ ـ الخلاصة ٣٦٠ ـ الوافي ٥ / ٥٢ ـ الشذرات ٢ / ٥٩ .

عبد الله بن المبارك . (١٢)

سفيان بن سعيد الثوري أبو عبد الله الكوفي (٩٧ ـ ١٦١) قال الخطيب : كان الثوري إماماً من أئمة المسلمين مجمعاً على إمامته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع . الطبقات ٦ / ٣٧١ تاريخ بغداد ٩ / ١٥١ ـ التذكرة ١ / ٢٠٣ ـ التهذيب ٤ / ١١١ ـ الخلاصة ١٤٥ ـ الحلية ٦ / ٣٥٦ ـ صفة الصفوة ٣ / ١٤٧ ـ الوفيات ٢ / ٣٨٦ ـ الوافي ١٥ / ٢٧٨ ـ الشذرات ١ / ٢٥٠ .

الحجاج بن فُرافصة الباهلي البصري العابد . قال ابن معين :

لا بأس به . التهذيب ٢ / ٢٠٤ ـ الخلاصة ٧٣ ـ الحلية ٣ / ١٠٨ ـ صفة الصفوة ٣ / ٣٣٥ ـ الوافي ١١ / ٣٠٥ .

بديل بن ميسرة العُقيلي البصري (ـ ١٣٠) . وثقة جماعة . الطبقات ٧ / ٦٠ ـ التهذيب ١ / ٤٢٤ ـ الخلاصة ٥٤ ـ الحلية ٣ / ٦٢ ـ صفة الصفوة ٣ / ٢٦٥ ـ الوافي ١٠ / ١٠١ .

القول

ذكره عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد والرقائق ٦٩ ـ وأبو نعيم في الحلية ٦ / ٢١٣ .

(٤١) السند

حرملة بن يحيى . (٩)

عبد الله بن وهب . (٩)

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني (ـ ١٨٢) . ضعفه ابن حنبل وابن المديني والنسائي . التهذيب ٦ / ١٧٧ ـ الخلاصة ٢٢٧ ـ الشذرات ١ / ٢٩٧ .

(٤٣) السند

محمد بن الحسين الخراساني . هل هو :

محمد بن الحسين بن إبراهيم بن الحر بن زعلان أبو جعفر العامري المعروف بابن أشكاب (ـ ٢٦١) وأصلهم من خراسان من بلد نسا . قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي وهو ثقة . وسئل أبي

عنه فقال : صدوق ؟ تاريخ بغداد ٢ / ٢٢٣ ـ التهذيب ٩ / ١٢١ ـ الخلاصة ٣٣٣ .

وهل يقصد المؤلف حين يروي عن محمد بن الحسين ابنَ أشكاب أم البرجلاني ؟ فبرجلان تطلق على محلة قرب واسط أو محلة في بغداد فهي ليست في خراسان ، ثم إن الخطيب البغدادي ينص على أن إبراهيم بن الجنيد ـ المؤلف ـ قد سمع من محمد بن الحسين البرجلاني ، وللبرجلاني هذا كتب في الزهد والرقائق ، أي من نوع ما يروي المؤلف في كتابه .

صالح بن عبد الله بن ذكوان الباهلي أبو عبد الله الترمذي نزيل بغداد (ـ ٢٣٩ وقيل ٢٣١) . روى عنه أبو حاتم وقال : صدوق . تاريخ بغداد ٩ / ٣١٥ ـ التهذيب ٩ / ٣٩٥ ـ الخلاصة ١٧١

عبد العزيز بن عبد الوهاب .

(٤٤) **السند .**

محمد بن الحسين . ذكر في الفقرة السابقة .

صالح بن عبد الله . في الفقرة السابقة .

أبو مسكين . هل هو أبو مسكين حرّ بن مسكين الأودي ؟ قال في تهذيب التهذيب ٢ / ٢٢٢ : وقد ذكره ابن حبان في الثقات .

هناك أبو مسكين آخر ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤ / ٢ / ٤٤٧ قال : أبو مسكين الجزري ، روى عن إسماعيل بن نشيط

(٤٥) **السند** .

علي بن عيسى . هل هو : علي بن عيسى بن يزيد الكَراجِكي (ـ ٢٤٧) . وثقه ابن حبان . الخلاصة ٢٧٦ أم هو : علي بن عيسى الكاتب كوفي الأصل (ـ ٢٣٣) ؟ الخلاصة ٢٧٦ .

محمد بن الحسين . إرجع إلى (٤) و (٤٣) .

جعفر بن خلف بن زيد القسام

مضر

عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد (ـ ١٧٧) . متروك الحديث . الميزان ٢ / ٦٧٣ الحلية ٦ / ١٥٥ ـ الشذرات ١ / ٢٨٧ .

القول

ذكره أبو نعيم في الحلية ٦ / ١٦٣ : حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا علي بن سعيد ثنا **إبراهيم بن الجنيد** ثنا محمد بن الحسين حدثني **سعيد** بن خلف بن يزيد القسام* قال سمعت مضر القارىء قال : قال عبد الواحد بن زيد : ...

(٤٧) **السند**

أحمد بن إبراهيم بن كثير أبو عبد الله العبدي البغدادي الدورقي الحافظ . (ـ ٢٤٦) . قال أبو حاتم : صدوق .. تاريخ بغداد ٤ / ٦ ـ تهذيب الكمال ١ / ٢٤٩ ـ تهذيب التهذيب ١ / ١٠ ـ الخلاصة ٣ ـ الشذرات ٢ / ١١٠ .

---

* اختلف اسم الراوي واسم جده عنهما في المخطوطة .

سلمة بن عقار . قال الخطيب : بلغني عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد قال : سألت يحي بن معين عن سلمة بن عقار فقال : ثقة مأمون . تاريخ بغداد ٩ / ١٣٤ ـ الجرح والتعديل ٢ / ١ / ١٦٧ .

الفضيل بن عياض أبو علي التميمي اليربوعي المروذي شيخ الحرم (ـ ١٨٧) قال ابن سعد : كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث . التذكره ١ / ٢٤٥ ـ التهذيب ٨ /٢٩٤ ـ الخلاصة ٣١٠ ـ الحلية ٨ / ٨٤ ـ صفة الصفوة ٢ / ٢٣٧ ـ الوفيات ٤ / ٤٧ ـ الشذرات ١ / ٣١٦ .

(٤٨) **السند** (٤) نفسه .

(٥٠) **السند**

محمد بن الحسين . (٤) و (٤٣) .

إبراهيم بن سليمان بن حريش الجرجاني مستملي ابن سماعة . الوافي ٥ / ٣٥٨ .

يزيد بن علي بن جرير الحنفي .

كلاب بن جُريّ العابد . صفة الصفوة ٣ / ٣٨١ .

(٥١) **السند**

محمد بن الحسين . (٤) و (٤٣)

عبد الله بن محمد التيمي .

معاذ بن زياد .

الفضل بن عيسى الرقاشي أبو عيسى الواعظ . قال أبو

داود : لايكتب حديثه . التهذيب ٨ / ٢٨٣ ـ الخلاصة ٣٠٩ ـ الحلية ٦ / ٢٠٦ .

(٥٢) القول

ذكره الغزالي في الإحياء ٤ / ٣٢٦ .

(٥٥) السند

يحي بن عبد الله بن بكير . (١١)

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم أبو حارث (٩٤ ـ ١٧٥) . الإمام عالم مصر وفقيهها . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث . وثقه أحمد وابن معين . الطبقات ٧ / ٥١٧ ـ تاريخ بغداد ١٣ / ٣ ـ التذكرة ١ / ٢٢٤ ـ التهذيب ٨ / ٤٥٩ ـ الخلاصة ٣٢٣ ـ الحلية ٧ / ٣١٨ ـ صفة الصفوة ٣ / ٣٠٩ ـ الوفيات ٤ / ١٢٧ ـ الشذرات ١ / ٢٨٥ .

خالد بن يزيد الجمحي مولاهم أبو عبد الرحيم المصري (ـ ١٣٩) . وثقه النسائي . التهذيب ٣ / ١٣٩ ـ الخلاصة ١٠٤ ـ الشذرات ١ / ٢٠٧ .

سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم أبو العلاء المصري (ـ ١٣٥ وقيل ١٣٣ و ١٣٠) . موثق . الطبقات ٧ / ٥١٤ ـ التهذيب ٤ / ٩٤ ـ الخلاصة ١٤٣ ـ الوافي ١٥ / ٢٦٩ ـ الشذرات ١ / ١٩١ .

زيد بن أسلم العدوي مولاهم (ـ ١٣٦) . قال مالك : كان زيد يحدث من تلقاء نفسه فإذا قام فلا يجترىء عليه أحد . وثقه أحمد ويعقوب بن شيبة وأبو حاتم والنسائي . التذكرة ١ / ١٣٢ ـ التهذيب

٣ / ٣٩٥ ـ الخلاصة ١٢٦ ـ الحلية ٣ / ٢٢١ ـ الوافي ١٥ / ٢٣ ـ الشذرات ١ / ١٩٣

القول . ذكره الغزالي في الإحياء ٤/٣٢٧ .

(٥٧) **السند** .

محمد بن حميد الرازي (٢) .

جرير بن عبد الحميد الضبي أبو عبد الله (ـ١٨٨) قال ابن عمار: حجة . تاريخ بغداد ٧ / ٢٥٣ ـ التذكرة ١ / ٢٧١ ـ التهذيب ٢ / ٧٥ ـ الخلاصة ٦١ ـ صفة الصفوة ٤ / ٨٧ ـ الوافي ١١ / ٧٧ ـ الشذرات ١ / ٣١٩ .

الفضيل بن غزوان بن جرير الضبي مولاهم أبو الفضل الكوفي . وثقه ابن معين . التهذيب ٨ / ٢٩٧ ـ الخلاصة ٣١٠ .

الحسن . (١٤) .

(٥٨) **السند**

محمد بن بشر العبدي أبو عبد الله الكوفي (ـ ٢٠٣) . وثقه ابن معين . التهذيب ٩ / ٧٣ ـ الخلاصة ٣٢٨ ـ الوافي ٢ / ٢٥٠ ـ الشذرات ٢ / ٧ .

الشعر

ذكر أبو نصر السراج البيت الثاني في اللمع ٨٧ ـ وأبو حفص عمر السهروردي في عوارف المعارف ٥٠٧ « وكانت رابعة تنشد : (وذكر البيتين الأول والثاني) » ـ وذكر ابن عبد ربه في العقد ٣ / ٢١٥ الأبيات الثلاثة الأولى ونسبها إلى محمود الوراق .

(٥٩) **السند**

إسماعيل بن إبراهيم بن بسام الترجماني البلخي البغدادي أبو إبراهيم (ـ ٢٣٦) قال ابن معين : ليس به بأس . التهذيب ١ / ٢٧١ ـ الخلاصة ٣٢ ـ الوافي ٩ / ٧٥ .

أبو حازم القيساري .

(٦١) السند

أحمد بن سعيد بن نجدة الأزدي البغدادي (ـ ٢٦٦) . تاريخ بغداد ٤ / ١٦٩ .

عثمان بن صخر العتكي .

(٦٢) السند

سعيد بن سليمان الضبي أبو عثمان سعدويه الواسطي البزاز نزيل بغداد (ـ ٢٢٥) . قال أبو حاتم : ثقة . تاريخ بغداد ٩ / ٨٤ ـ التذكرة ١ /٣٩٨٠ ـ التهذيب ٤ / ٤٣ ـ الخلاصة ١٣٩ ـ الوافي ١٥ / ٢٢٦ ـ الشذرات ٢ / ٥٦ .

مبارك بن فضالة بن أبي أمية مولى زيد بن الخطاب أبو فضالة البصري (ـ ١٦٤) قال أبو زرعة : ثقة إذا قال حدثنا . وقال أبو داود : ثبت إذا قال حدثنا . وقال أحمد : ما روى عن الحسن يحتج به . الطبقات ٧ / ٢٧٧ ـ تاريخ بغداد ١٣ / ٢١١ ـ التذكرة ١ / ٢٠٠ ـ التهذيب ١٠ / ٢٨ ـ الخلاصة ٣٦٨ ـ الشذرات ١ / ٢٥٩ .

الحسن . (١٤)

الآية وتفسيرها .

ذكر الطبري في تفسيره ٣ / ١٥٥ (ط . بولاق) تفسير الحسن للآية (قل إن كنتم تحبون الله .. الآية ٣١ من سورة النور) بثلاثة أسانيد مختلفة وبإسناد رابع عن ابن جريج التفسير نفسه .

وأورد ابن الجوزي في كتابه « الحسن البصري » ٧٥ (ط . المكتبة العلمية بحلب) هذا الخبر : « .. فقال النضر (وكان والياً على البصرة) : والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا . فقال الحسن : لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله .. الآية ﴾ فجعل سبحانه اتباعه ﷺ علماً للمحبة وأكذب من خالف ذلك .

وانظر مدارج السالكين ٣ / ٨ و ٣ / ٢١ .

(٦٣) السند

محمد بن حميد الرازي . (٢)

علي بن مجاهد بن مسلم الكابلي أبو مجاهد الرازي قاضيها . قال أحمد : لابأس به . وقال جزرة عن يحي : يضع . تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٦ - ميزان الاعتدال ٣ / ١٥٢ - التهذيب ٧ / ٣٧٧ - الخلاصة ٢٧٧ .

محمد بن إسحاق . (٢)

يزيد بن أبي زياد المدني . وثقة النسائي . قال البخاري : لا يتابع على حديثه . التهذيب ١١ / ٣٢٨ - الخلاصة ٤٣١ . .

محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي (- ١١٩ وقيل ١٢٠) . قال ابن عون : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي . وقال

ابن سعد : كان ثقة ورعاً كثير الحديث . التهذيب ٩ / ٤٢٠ ـ الخلاصة ٣٥٧ ـ الحلية ٣ / ٢١٢ ـ صفة الصفوة ٢ / ١٣٢ ـ الشذرات ١ / ١٣٦ .

(٦٤) السند

فرات بن محبوب السكوني أبو بحر الكوفي . روى عنه أبو زرعة . الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٨٠ .

عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي أبو عبد الرحمن الكوفي . (ـ ١٨٢) . قال ابن معين : ما بالكوفة أعلم بالثوري من عبيد الله الأشجعي ، وقال : صالح ثقة . تاريخ بغداد ١٠ / ٣١١ ـ العبر ١ / ٢٨٢ ـ الشذرات ١ / ٢٩٧ .

سفيان الثوري (٣٩)

ليث بن أبي سليم القرشي الكوفي (ـ ١٣٨) . قال أحمد : مضطرب الحديث . وقال ابن معين : ضعيف . التهذيب ٨ / ٤٦٥ ـ ميزان الاعتدال ٣ / ٤٢٠ ـ الخلاصة ٣٢٣ ـ الشذرات ١ / ٢٠٧ .

مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب أبو الحجاج المكي المقرئ الإمام المفسر (ـ ١٠٣) . وثقه ابن معين وأبو زرعة . الطبقات ٥ / ٤٦٦ ـ التذكرة ١ / ٩٢ ـ التهذيب ١٠ / ٤٢ ـ الخلاصة ٣٦٩ ـ الحلية ٣ / ٢٧٩ ـ الشذرات ١ / ١٢٥ .

الآية والتفسير

ذكر القرطبي تفسير مجاهد للآية (.. لايشركون بي شيئاً .. الآية ٥٥ من سورة النور) في تفسيره ١٢ / ٣٠٠ .

وذكره أبو نعيم في الحلية ٣ / ٢٩٦ بالسند نفسه عن غير طريق أبي إسحاق الختلي .

(٦٥) **السند**

رابعة العدوية العابدة الزاهدة . صفة الصفوة ٤ / ٢٧ ـ الوفيات ٢ / ٢٨٥ .

القول

ذكره الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين » ٩ / ٦٨٢ بالهامش (نقلاً عن شهيدة العشق الإلٓهي لعبد الرحمن بدوي ١٢٤) .

وذكر نحوه فريد الدين العطار في « تذكرة الأولياء » قال : ويروى أن رابعة رأت الرسول عليه السلام في المنام وهو يسلم عليها ويقول : يا رابعة أتحبينني ؟ فقالت يا رسول الله ، وهل ثمة من لا يحبك ، لكن حبي لله تعالى قد ملأ قلبي إلى حد لم يجعل ثمة مكاناً لمحبة غيره وكراهيته ؟ (نقلاً عن شهيدة العشق الإلٓهي ١٥٤) .

وذكره أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » ١ / ١٧٧ (تحقيق إبراهيم الكيلاني) ، وعلق عليه : « هذا الكلام عويص التأويل ، خرط القتاد دونه ولقط الرمال أسهل منه . وهي موكولة فيه إلى الله تعالى ، وقد رويته كما رأيته » .

(٦٦) **السند**

محمد بن الحسين . (٤) و (٤٣)

رستم بن أسامة أبو النعمان الضبي . نزل بالقادسية . حدثنا عبد الرحمن (ابن أبي حاتم) قال : سئل أبي عنه فقال : صدوق . الجرح والتعديل ١ / ٢ / ٥١٦ .

عمير بن سعيد النخعي الصهباني أبو يحيى الكوفي (ـ ١٠٧ وقيل ١١٥) . وثقه ابن معين وابن حبان . التهذيب ٨ / ١٤٦ ـ الخلاصة ٢٩٦ .

(٦٧) **السند**

يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص الصدفي أبو موسى المصري (ـ ٢٦٤) . وثقه النسائي وأبو حاتم . التهذيب ١١ / ٤٤٠ ـ الخلاصة ٤٤١ ـ الوفيات ٧ / ٢٤٩ ـ الشذرات ٢ / ١٤٩ .

عبد الله بن وهب . (٩)

سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم أبو محمد الكوفي (ـ ١٩٨) . قال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . وقال أحمد : ما رأيت أعلم بالسنن من ابن عيينة . الطبقات ٥ / ٤٩٧ ـ تاريخ بغداد ٩ / ١٧٤ ـ التذكرة ١ / ٢٦٢ ـ الخلاصة ١٤٥ ـ الحلية ٧ / ٢٧٠ ـ صفة الصفوة ٢ / ٢٣١ ـ الوفيات ٢ / ٣٩١ ـ الوافي ١٥ / ٢٨١ ـ الشذرات ١ / ٣٥٣ .

يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو النضر اليمامي (ـ ١٢٩) . قال أبو حاتم : لا يحدث إلا عن ثقة . الطبقات ٥ / ٥٥٥ ـ الخلاصة ٤٢٧ ـ الحلية ٣ / ٦٦ ـ صفة الصفوة ٤ / ٧٥ ـ الشذرات ١ / ١٧٦ .

(٦٨) السند

إسحاق بن إبراهيم . (٢٢) قد يكون إسحاق بن إبراهيم الثقفي المذكور في الفقرة التالية (٦٩) .

غوث بن جابر . (١٠)

وهب بن منبه . (١٠)

القول

ذكر ابن قتيبة نحوه في عيون الأخبار ٢ / ٣٥١ ، قال : حدثني عبد الرحمن العبدي عن يحي بن سعد السعدي قال : سأل الحواريون ...

وانظر العقد الفريد ٣ / ١٤٤ .

(٦٩) السند

إسحاق بن إبراهيم الثقفي أبو يعقوب الكوفي . وثقه ابن حبان . الخلاصة ٢٧ .

جعفر بن سليمان . (١٥)

مالك بن دينار . (٢٥)

القول

ذكر أبو نعيم في الحلية ٢ / ٣٦٤ جزأه الأول بسند ينتهي بجعفر بن سليمان عن مالك بن دينار .

(٧٠)

الآية ﴿ ويطهركم تطهيراً ﴾ ، سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٧٣) السند

يحي بن سليمان بن يحي بن سعيد الجعفي أبو سعيد الكوفي المقرئ (ـ ٢٣٧) وثقه ابن حبان . التهذيب ١١ / ٢٢٧ ـ الخلاصة ٤٢٤ ـ الشذرات ٢ / ٩١ .

عبد الله بن وهب . (٩)

حرملة بن عمران بن قراد التجيبي أبو حفص المصري (ـ ١٦٠) . وثقه ابن معين . التهذيب ٢ / ٢٢٩ ـ الخلاصة ٧٤ ـ الوافي ١١ / ٣٤٠ .

كعب بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي المصري (ـ ١٣٠) . وثقه ابن حبان . التهذيب ٨ / ٤٣٦ ـ الخلاصة ٣٢١ ـ الشذرات ١ / ١٧٧ .

أبو الفتح البستيّ

تحقيق الدكتور شاكر الفحام

عليٌّ بن محمد أبو الفتح البستيُّ ، الكاتب الشاعر . له طريق معروفٌ ، وأسلوب مشهور في التجنيس . سمع الكثير من أبي حاتم بن حبان[1] ، وتوفي سنة إحدى وأربع مئة .

ومن شعره :

[١] (السريع)

لَمْ تَرَ عيني كاتباً مثله لكل شيءٍ شاءَ وشَّاءَ
يُبْدِعُ في الكتب وفي غيرها بدائعاً إن شاء إنشاءَ

ومنه :

● ترجمة أبي الفتح البستي مستخرجة من كتاب الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي

● لم أشر إلى اختلاف الروايات في أشعار أبي الفتح إلا في القليل النادر . ولم أُعن باستقصاء المراجع في التخريج .

● تجد أبرز المصادر والمراجع التي ترجمت لأبي الفتح البستي ، وأشهر الكتب التي اختارت من أشعاره في مقالتنا « ديوان أبي الفتح البستي » المنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٨ ، ص : ٥٥٩ ـ ٥٦١ (رقم ٧) ، ٥٦٨ (رقم ٦٠) .

(١) ترجمة أبي حاتم محمد بن حبان التيمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) في معجم البلدان لياقوت الحموي (بست) ، والأنساب للسمعاني (البستي) ٢ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، واللباب لابن الأثير (البستي) ١ : ١٥١ ، وإنباه الرواة للقفطي ٣ : ١٢٢ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٩٢٠ ـ ٩٢٤ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٢ : ٣١٧ ـ ٣١٨ ، ولسان الميزان ٥ : ١١٢ ـ ١١٥ ، وانظر بقية مصادره في إنباه الرواة ٣ : ١٢٢ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ١ : ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ، والأعلام للزركلي ٦ : ٧٨ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩ : ١٧٣ ـ ١٧٤ .

[٢] (المتقارب)

ترحَّلْتُ عنــــه لفرط الشقــــاءِ وخلَّفتُ رشـــدي ورائي ورائي
فنـــائي قريبٌ إذا غبتُ عنـــه وإمَّـــا رجعتُ فنـــاءِ فنـــائي

ومنه :

[٣] (مجزوء الكامل)

العُمْرُ مـــــــا عُمِّرْتَ في ظـــلّ السرور مـــع الأحبَّـــهْ
فمتى نـــــــأيتَ عن الأَحِبْ (م) ـبَـــةِ لم يســـاوِ العمرُ حبَّـــهْ

ومنه :

[٤] (المتقارب)

يقـــول لغلمـــــانــــه أبشروا فــــإني اذا رُمْتُ أمراً عـــدلتُ
ولا تحسبُنّي ظلــومـــاً فـــإني أشـــــارطكم إن فعلتُ انفعلتُ

ومنه :

[٥] (البسيط)

قـد مرَّ أمسِ ولم يعبـأْ بـه أحـدٌ من التـواءِ وبـؤسٍ مرَّ أم رَغَـدِ(٢)
وعنـديَ اليـومَ قـوتٌ أستعفُّ بـه وان بقيتُ غـداً أصلحتُ أمْرَ غـدِ

ومنه :

---

(٢) روايـة الـديـوان (ط ١) : أفي ثراءٍ وبـؤس . (وكلمـة ثراء محرفـة) . وروايـة الديوان (ط ٢) : أفي التواءٍ وبؤس . جاء في أساس البلاغة (لوى) : « والتوى عليه الأمرُ : اعتاص . والتوت عليَّ حاجتي » .

[٦] (الكامل)

يـامغرمـاً بـوصـال عيشٍ نـاعمٍ ستصـدُّ عنـه طـائعـاً أوكارهـا
ان الحـوادث تُـزعـج الآسـاد عن سـاحـاتهـا والطيرَ عن أوكارهـا

ومنه :

[٧] (الكامل)

يامن عقدتُ بـه الرجـاء فلم يكن لي منـه إرفـادٌ ولا اينـاسُ
إن كان قـد جرح المطـامـع عفتي فـوراء ذاك الجرح يـأسٌ يـاسو

ومنه :

[٨] (البسيط)

ياأكثر الناس احسـانـاً الى النـاس واكرم النـاس إغضـاءً على النـاسي
نسيتُ وعـدك والنسيـان مغتفرٌ فـاعـذر فـأول نـاسٍ أوّلُ النـاسِ

ومنه :

[٩] (المتقارب)

تـقِ الله واطلب هـدى دينـه وبعـدهمـا فـاطلب الفلسفـهْ
ودعْ عنـك قـومـاً يعيبـونهـا ففلسفـة المرء فـك السفـه

ومنه :

[١٠] (الطويل)

وقالوا رض النفس الحرون وكُفَّهـا تعـدَّلْ وألـزمهـا أداءَ الفرائضِ
وإن لم ترضها أنت وحدك مصلحاً وجدتَ لها من دهرها ألفَ رائضِ

ومنه :

[١١] (مجزوء الرجز)

ولـــي أخ مـــطرف أصبـــح ظرف الظرف[٣]
إن قـلت صرفـي صرفـي يقـــل لي ردفي ردفي[٤]

ومنه :

[١٢] (المتقارب)

وبي رغبـةٌ فيـك إمّـا وفيتَ فهـل راغبٌ أنت في أن تفي
فأرْعَى ذِمامَـك مـادمت حيّـاً فـلا أستحيـلُ ولا أنتفي

ومنه :

[١٣] (السريع)

يـانـاقهـاً من مرضٍ مسّـه يَفديـكَ مَنْ عـاداك مِنْ نـاقِـه
كم قلتُ إذ قيـل بـه فَتْرَةٌ يـاربَّنـا بـالروح منّـا قِـهِ[٥]

ومنه :

[١٤] (السريع)

الآن نـولّنيَ مـا أبتغي إن كنتَ تنـوي ليَ تنـويـلا

---

(٣) رواية الديوان بطبعتيه : ولي أخ مستظرف .

(٤) رواية الديوان بطبعتيه : يقول ردفي ردفي . وفي رواية الوافي بـالوفيـات ضرورة اختلاس الحرف (الياء في لي) لاقامة الوزن .

(٥) فكّ ادغام (منّا) في احدى مخطوطتي الوافي ، ورسمت : (مِنْ ناقِهِ) لتناسب في صورة الخط ماجاء في البيت الأول .

يـــاليت شعري هــل أرى حضرة تُثْبِتُ تنفيــــــــــلاً وتنفي لا

ومنه :

[١٥] (المتقارب)

أمــا حــان أن يشتفي المستهــامُ بــزورة وصــلٍ وتــــأوي لَــــهُ
تُجمجمُ عن سُــؤْلــــه هيبــــةً ويعلم قلبـــــك تــــأويلَـــهُ

ومنه :

[١٦] (السريع)

أضـــاء [لي] ليــلُ أضـــاليلي وحـــــان تعطيــلُ أبــــاطيلي(٦)
نــــــــــاداني الشيبُ ولكنني أصمٌّ عن قيــــل المنــــادي لي
وابيضّ منــــديلي من بعـــدمـــا قــد كنتُ مســودَّ المنــاديــل(٧)

ومنه :

[١٧] (الطويل)

عجبتُ لوغدٍ قـد جـذبتُ بِضَبْعِـه فـأصبحَ يلقـاني بتيـهٍ وبيس مـا(٨)
يرومُ مسـامــاتي ومن دونهــا السما وكيف يبـــاريني سمــوّاً وبي سما

ومنه :

---

(٦) مابين الحاصرتين إضافة يستقيم بها وزن البيت ومعناه . وقد جاء الشطر الأول في ديوان أبي الفتح : أضاء ليل في أضاليلي .

(٧) في مخطوطتي الوافي بالوفيات : وابيضَّ من ذيلي من بعدما .

(٨) الضَّبع ، بسكون الباء : العضد . وجذب بضبعه : ساعده . وبيس ما : مخففة عن بئس ما (بئسما) . أي وبئسما فعل ، وبئس مايلقاني به .

[١٨] (الطويل)

عـــدوُّك إمّـــا مُعْلِنٌ أو مكاتِمٌ فكلٌّ بأن يُخْشَى وأن يُتَّقَى قَمِنْ(٩)
فكن حَـــــــــذِراً ممن يكاتِمُ أَمْرَه
فليس الـــــذي يرميـــــك جهراً كمَن كَمَنْ

ومنه :

[١٩] (البسيط)

إذا تحـــدّثتَ في قـومٍ لتـؤنسهم بمـا تحـدّثُ من مـاضٍ ومن آتِ
فـلا تُعِـدْ لحـديثٍ إن طبعهم مـوكّـلٌ بمعـاداة المعـاداتِ

ومنه :

[٢٠] (السريع)

إني على مـــابيَ من قـــوة عند الخطوب الصعبة الوافيـه
أجبنُ بـل أرعـد من خيفـةٍ أيـام ألقى فئـة القـافيـه

ومنه :

[٢١] (البسيط)

إنْ هـزّ أقـلامـه يـومـاً ليعملها أنسـاك كلَّ كميّ هـزّ عـاملَـهُ
وإن أقرّ على رقٍ أنـــاملَـــه أقرّ بـالرقّ كتـاب الأنـام لـه

(٩) يقال : هو قَمَنٌ بكذا (بفتح الميم كجبل ، وكسرها ككتف) أي خليق وجدير .
فمن فتح الميم لم يثنّ ولا جمع ولا أنّث ، ومن كسر الميم ثنّى وجمع وأنّث .

التخريج

[١]

ديـوان أبي الفتـح (ط ١) : ٥ ، (ط ٢) : ٢١٩ ، الأنيس في غرر التجنيس للثعالبي : ٤١٤

ـ خرّج الـدكتور الخـولي البيتين في يتيمـة الـدهر ٤ : ٣١٠ ، والـوافي بالوفيات ، وروضات الجنات ٥ : ٢٣٧ .

وخرّج الأستاذ هلال ناجي البيتين في لمح الملح (الورقة ٩) .

[٢]

ديـوان أبي الفتـح (ط ١) : ٤ ـ ٥ ، (ط ٢) : ٢١٩ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤٢٠

والبيتان هما الأول والخامس من مقطوعة عـدتهـا في الـديوان خمسة أبيات .

وهما الأول والثـالث في الانيس في غرر التجنيس الـذي روى ثلاثـة أبيات من المقطوعة .

ـ خرج الدكتور الخولي البيتين في الوافي بالوفيات .

● كنت بينت في مقـالتي « ديـوان أبي الفتـح البستي » المنشـورة في مجلة مجمع اللغـة العربية بـدمشق (مج ٥٨ ، ص : ٥٢٩ ـ ٥٦٩) أن ديوان أبي الفتح قـد طبع مرتين : أولاهمـا ببيروت سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) ، والثانية ببيروت أيضاً سنة ١٩٨٠ م . والاشارة الى طبعتي الديوان هاتين في التخريج .

وخرج الأستاذ ناجي ثاني البيتين مع سابق له في لمح الملح (الورقة ٩) ..

[٣]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٣٣

ـ ألحق الدكتور الخولي البيتين بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات ، وعن روضات الجنات ٥ : ٢٣٧

[٤]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٣٦

ـ ألحق الدكتور الخولي البيتين بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات .

[٥]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٢٥ ، (ط ٢) : ٢٤٧ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤٧٢ ، الغيث الذي انسجم للصلاح الصفدي ٢ : ٢٣١

ـ خرّج الدكتور الخولي البيتين في الوافي بالوفيات .

وخرج الاستاذ ناجي البيتين في لمح الملح (الورقة ٥٧)

[٦]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٣٦ ، (ط ٢) : ٢٥٩ ،

ـ خرّج الدكتور الخولي البيتين في الوافي بالوفيات ، وروضات الجنات ٥ : ٢٣٧

[٧]

ديــوان أبي الفتــح (ط ٢) : ٣٥١ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤١٦ ، تمام المتون للصلاح الصفدي : ٢٣١

ـ ألحق الـدكتـور الخـولي البيتين بـالـديـوان نقـلاً عن يتيمـة الـدهر للثعالبي ٤ : ٣٢٣ ، والوافي بالوفيات .

وخرج الأستاذ ناجي البيتين في لمح الملح (الورقة ٨٣) .

[٨]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٤٣ ، (ط ٢) : ٢٦٨ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤١٩ ، الغيث الذي انسجم ٢ : ١٢٢ ، الكشكول : ١٤٥

ـ خرّج الـدكتور الخـولي البيتين في مخطـوطتي الاقتبـاس من القرآن والوافي بالوفيات .

وخرجهما الأستاذ ناجي في لمح الملح (الورقة ٨٢) .

[٩]

ديـوان أبي الفتـح (ط ١) : ٥٣ ، (ط ٢) : ٢٨٣ ، تتمـة صـوان الحكمـة للبيهقي : ٣٦ ، والبيتـان همـا الأول والثـالث من مقطـوعـة في الديوان عدتها ثلاثة أبيات

ـ خرج الدكتور الخولي البيتين في يتيمة الـدهر ٤ : ٣١٤ ، ومعـاهـد التنصيص ٣ : ٢١٨ ، والوافي بالوفيات .

[١٠]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٥٢

ـ ألحق الدكتور الخولي البيتين بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات وروضات الجنات ٥ : ٢٣٧

[١١]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٥٣ ، (ط ٢) : ٢٨٢

ـ خرج الدكتور الخولي البيتين في الوافي بالوفيات .

[١٢]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٥٣ ، (ط ٢) : ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ، والبيت الأول مع سابق له في الانيس في غرر التجنيس : ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ،

والبيتان هما الثاني والثالث من مقطوعة في الديوان عدتها ثلاثة أبيات .

ـ خرج الدكتور الخولي أبيات المقطوعة في زهر الآداب والوافي بالوفيات . والصواب أن يخرج الأول مع سابق له في زهر الآداب ٢ : ٨٨ ، وأن يخرج البيتين في الوافي بالوفيات .

وخرج الأستاذ ناجي البيت الأول مع سابق له في يتيمة الدهر ٤ : ٣٢٣ ، وفي لمح الملح (١٠٠ ـ ١٠١)

[١٣]

لم يورد الدكتور الخولي البيتين في الملحق الذي ضمّه الى الديوان .

[١٤]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٦٥ ، وقد سقط البيت الثاني من

المقطوعة ، (ط ٢) : ٢٩٨ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤٣٦

والبيتان هما الثالث والرابع من مقطوعة عدتها في الديوان (ط ٢) خمسة أبيات .

ـ خرّج الدكتور الخولي البيتين في الوافي بالوفيات

وأورد الأنيس في غرر التجنيس البيت الثاني منهما فقط في مقطوعة من ثلاثة أبيات ، وخرجه الأستاذ ناجي في لمح الملح (الورقة ١٥٢) .

[١٥]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٦١ ـ ٣٦٢

ـ ألحق الدكتور الخولي البيتين بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات ، وذكر أن البيتين نسبا أيضاً في الوافي بالوفيات نفسه الى أبي الفضل الميكالي .

وجاء البيتان في زهر الآداب ٤ : ١٠٢ ، وفي فوات الوفيات ٢ : ٤٣٠ منسوبين الى الميكالي .

[١٦]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٦٤

ـ ألحق الدكتور الخولي الأبيات الثلاثة بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات .

[١٧]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٦٨ ، (ط ٢) : ٣٠٢

ـ ذكر الدكتور الخولي في تخريج البيتين أنهما منسوبان الى أبي الفضل الميكالي في الوافي بالوفيات .

والبيتان منسوبان كذلك الى أبي الفضل في فوات الوفيات ٢ : ٤٢٩

[١٨]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٧١

ـ ألحق الدكتور الخولي البيتين بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات ، وروضات الجنات ٥ : ٢٣٧

[١٩]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٢٣٦ ، الأنيس في غرر التجنيس : ٤٧٢ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٥٣ ، شذرات الذهب ٣ : ١٥٩

ـ خرّج الدكتور الخولي البيتين في يتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤ ، والاعجاز والايجاز ، وخاص الخاص : ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٣٧٧ ، والوافي بالوفيات ، والبداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٣٤٥

وخرج الأستاذ ناجي البيتين في لمح الملح (الورقة ٣٥) .

[٢٠]

ديوان أبي الفتح (ط ٢) : ٣٧٦

ـ ألحق الدكتور الخولي البيتين بالديوان نقلاً عن الوافي بالوفيات .

[٢١]

ديوان أبي الفتح (ط ١) : ٦٥ ، (ط ٢) : ٢٩٨ ، الأنيس في غرر

التجنيس : ٤١٢ ـ ٤١٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ : ٥ ، مرآة الجنان لليافعي ٢ : ٤٥٣ ، نهاية الأرب للنويري ٧ : ١٦ ، شذرات الذهب ٣ : ١٥٩ ، شرح مقامات الحريري للشريشي ١ : ٩٥ ، والبيت الثاني منها في خزانة الأدب لابن حجة الحموي : ٢٨ .

ـ خرج الدكتور الخولي البيتين في يتيمة الدهر ٤ : ٣١٠ ، والطرائف ، وزهر الآداب ٢ : ٨٨ ، والوافي بالوفيات ، ووفيات الأعيان ٣ : ٣٧٧ ، والبداية والنهاية ١١ : ٣٤٥ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٢٢ ،

وخرج البيت الثاني في أجناس التجنيس ونثر النظم .

والبيتان هما الثاني والثالث من مقطوعة عدتها في الأنيس في غرر التجنيس أربعة أبيات . وقد خرجها الأستاذ ناجي في لمح الملح (الورقة ١١٢) والمنزع البديع : ٤٩٢ ، وخرج البيت الثاني منها في العمدة لابن رشيق ١ : ٢٩٧

شاكر الفحام

أبو علي الفارسي النحوي

تحقيق الدكتور شاكر الفحام

١ ـ الحسنُ بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الفسويّ ، أبو عليّ الفارسيُّ النحويّ اللغويّ .

٢ ـ أخذ عن أبي اسحاق الزجاج ، وأبي بكر بن السرَّاج ، وأبي بكر بن دريد ، وأبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش . ورَوَى عن علي بن الحسين بن معدان ، وأبي بكر بن مجاهد .

٣ ـ قرأ عليه عضدُ الدولة فنا خسرو بن بويه الأدبَ ، وحظيَ عنده ، وروى عنه . وكانت مكانته عنده جليلة ، وصنَّفَ له الايضاح العضديّ ، والتكملة . وقرأ عليه عليُّ بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي ، وأبو الفتح عثمان بن جني ، وأبو طالب أحمد بن بكر العبدي . وروى عنه القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبو الحسن محمد بن عبد الواحد ، وعلي بن محمد بن الحسن / المالكي ، وأبو محمد الجوهريّ ، وأبو القاسم الأزهريّ ، وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع ، وأحمد بن فارس الأديب المنبجي ، وأبو الحسن الزعفراني .

٤ ـ قدم حلب على سيف الدولة أبي الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان ، وأقام بها عنده مدة ، واجتمع بأبي عبد الله الحسين بن خالويه ، وأبي سعيد السيرافيّ بحضرته ، وجرت بينهما وبينه بحوثٌ ومناظرات

● ترجمة أبي علي الفارسي مستخرجة من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم .

ومسائل . وكان يسمي ابن خالويه الجاهلَ ، وذكر ذلك في غير موضع من كتاب التذكرة . وأملى بحلب المسائل الحلبية ، وهي المسائل التي وقعت له بحلب وتكلم عليها . وكان بحلب في سنة سبع وأربعين وثلاث مئة ، فإنني وقفتُ على سماع أحمد بن فارس الأديب منه في جمادى الأولى من هذه السنة بحلب . وقيل إنه ورد حلب رسولاً الى سيف الدولة .

٥ ـ وكان حسن الكلام ، ماهراً في علم العربية ، حسن الغوص على المعاني الدقيقة .

٦ ـ وله من الكتب المؤلفة : (١) كتاب ردّ فيه على أبي اسحاق الزجاج في كتاب معاني القرآن مسائلَ ، لقبه كتاب الاغفال ، (٢) وله كتاب الحجة تكلم فيه على مذاهب القراء السبعة الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر بن مجاهد ، ووجوهها في العربية ، واحتجّ لكل واحدٍ منهم ، (٣) وله كتاب الايضاح والتكملة الملقب بالعضدي ، عمله للملك عضد الدولة فناخسرو ، (٤) وكتاب يُعْرف بالعوامل ، (٥) وكتاب المقصور والممدود، (٦) وكتاب التذكرة، وهو كتاب عزيز، كثير الفائدة، تكلم فيه / على معاني آيات من القرآن ، وأحاديث عن النبيّ ﷺ ، ومعاني أبياتٍ من أشعار العرب ، ومسائل من النحو والتصريف ، أبدع فيه ، وهو كثير الفائدة ، (٧) وكتاب الايضاح الشعري ، (٨) وله كتاب المسائل الحلبية التي ذكرناها ، (٩) والمسائل القصريات ، (١٠) والمسائل البغداديات ، (١١) والمسائل البصريات ، (١٢) والمسائل العسكرية ، (١٣) والمسائل الشيرازية ، (١٤) وكتاب نقض الهاذور .

٧ ـ وذكر أبو حيان التوحيديّ أنه كان يشرب ويتخالع ويفارقُ هَدْيَ أهلِ العلم .

٨ ـ أخبرنا أبو الفضل المرجَّى بن أبي الحسن بن هبة الله الواسطي التاجر قال أخبرنا القاضي أبو طالب محمد بن علي بن محمد بن الكتاني الواسطي قال أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن طاهر قال أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسّن بن علي التنوخي قال أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي قراءة عليه وأنا أسمع قال حدثنا علي بن الحسين بن معدان قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر كان جاراً له فأخبره أنه طلّق امرأته ثم ارتحل الى المدينة ليبيع عقاراً له ومالاً فيجعله في الكراع والسلاح ، ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقيه رَهْطٌ من قومه فنهوه عن ذلك ، وأخبروه أن رهطاً من قومه[1] أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ [فنهاهم نبيُّ الله ﷺ][2] وقال : أليس لكم فيَّ أسوة ؟ فراجع امرأته . فلما أن قدم علينا أخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله / ﷺ فقال : ألا أدلّك ، ألا أُنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قلت : مَنْ ؟ قال : عائشة . فذهبتُ اليها ومررت بحكيم بن أفلح فاستلحقته اليها ، فقال : ماأنا بقاربها ، إني نهيتها أن تقول بين الشيعتين شيئاً[3] فأبت إلا مُضِيّا ، فأقسمتُ عليه فقام معي فأتيناها فسلَّمنا عليها ودخلنا ، فعرفَتْ حكيماً فقالت : مَنْ هذا معك ؟ قال : سعد بن هشام ، فقالت : مَنْ هشام ؟ قال : ابن عامر ، فقالت : نعم المرءُ كان عامرٌ ، قُتل مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد . فقلتُ : ياأم المؤمنين ، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ ، فقالت : أما

(١) في صحيح مسلم ٦ : ٢٥ « أن رهطاً ستة » .

(٢) مابين الحاصرتين زيادة من صحيح مسلم ٦ : ٢٥ .

(٣) في صحيح مسلم ٦ : ٢٦ « أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً » .

تقرأ القرآن ؟ قلتُ : بلى ، قالت : فإنّ خُلُقه كان القرآن . فهممتُ أن اقوم ، فبدا لي فسألتها فقلتُ : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ هذه السورة : المزَّمِّل ؟ قلت : نعم ، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ بأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك اللهُ خاتمتها اثني عشر شهراً ، ثم أنزل الله تعالى التخفيف في آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعاً بعد إذ كان[٤] فريضة ، فهممتُ أن أقوم ، فبدا لي فسألتها فقلتْ : أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ فقالت : كنا نُعِدُّ له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله عز وجل لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك وهو يتوضأ ، ثم يصلي تسع / ركعات لا يقعدُ فيهن إلا في الثامنة ، فيحمد الله ويذكره ويدعو ثم ينهض ولا يسلّم ، ويصلّي التاسعة ، فيجلس فيحمد الله ويذكره ويدعو ثم يسلّم تسليماً يُسْمِعُنا ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعدما يسلّم ، فتلك احدى عشرة ركعة ، أيْ بُنَيّ . فلما أسنَّ رسول الله ﷺ وأَخَذَ اللحمَ أوْتَر بسبع ، ثم صلّى ركعتين وهو جالسٌ بعدما يسلّم ، فتلك تسعٌ ، أيْ بُنَيّ . وكان رسول الله ﷺ اذا صلّى صلاة أحبَّ أن يداوم عليها . وكان اذا غلبه عن قيام الليل شيء : نومٌ أو وجعٌ ، صلّى من النهار اثنتي عشرة ركعة[٥] . ولا أعلم نبيَّ الله ﷺ قرأ القرآن في ليلةٍ ، ولاقام ليلةً حتى أصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير شهر رمضان .

قال : فرجعتُ من عندها فأتيتُ على ابن عباس فأنبأته بحديثها ، فقال : صَدَقَتْ . أما إني لو كنتُ أدخلُ عليها لشافهتُها به مشافهة[٦] . فقال

(٤) في المخطوطة : كانت .

(٥) في المخطوطة : اثني عشر ركعة .

(٦) في صحيح مسلم ٦ : ٢٨ « فقال : صدقت . لو كنتُ أقربُها أو أدخل عليها لأتيتُها حتى تشافهني به » .

حكيم بن أفلح : أما إني لو كنتُ أعلمُ أنك لا تدخل عليها ماأنبأتك بحديثها .

٩ ـ أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكنديّ قال أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب قال قال لي التنوخيّ : ولد أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحويُّ الفارسيُّ بفسا ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وسمعنا منه في رجب من سنة خمس وسبعين وثلاث مئة ، وعلت منزلته في النحو حتى قال قومٌ من تلامذته هو فوق المبرّد وأعلم منه .

وصنَّف كتباً عجيبة حسنة / لم يسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وبرع له غلمان حذاق مثل عثمان بن جني وعلي بن عيسى الشيرازي وغيرهما . وخدم الملوك ونفق عليهم ، وتقدم عند عضد الدولة ، فسمعتُ أبي يقول : سمعتُ عضد الدولة يقول : أنا غلام أبي عليّ النحويّ الفسويّ في النحو ، وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم .

١٠ ـ أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن محمود بن الحسين الساوي بالقاهرة قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الاصبهاني اجازة إن لم يكن سماعا ، قال : سمعت القاضي أبا منصور العمراني بآمد يقول سمعت أبا الحسن علي بن فضال النحوي يقول : كان عضد الدولة يقرأ الأدب على أبي علي الفارسيّ ، ويبالغ في إكرامه ، ويُحْضره معه المائدة ، فلما كبر وأضرَّ كان يُحْضِره أيضاً على العادة المستمرة . وكان من رسمه[٧] أنه إذا فرغ من الأكل يلتفت والفَرَّاشُ قائمٌ فيقلب الماء على يده ، فاتفق يوماً أن كان الفرّاشُ مشغولاً ، فلما التفت الشيخ ليغسل يده اختلسه

(٧) أي وكان من رسم أبي علي الفارسي .

عضد الدولة وجاء مجيء الفرّاش فأخذ الإبريق وقلب على يده الماء ، فجاء الفرّاشُ فأومأ إليه أن أمسِكْ ، إلى أن فرغ وأعطاه المنديل فمسح يده ورجع الى مكانه . فقال الفراش : ياسيدنا تعلم من قلب على يدك الماء ؟ فقال : أنت . فقال إنما كان مولانا عضد الدولة . فقام الشيخ أبو علي قائماً وقال : لو لم أجد من حلاوة العلم إلا هذا لكان فضلاً كثيراً . ثم رفع يديه نحو السماء وقال : أكرمك الله الذي أكرمتني لأجله ، أكرمك / اللهُ الذي أكرمتني لأجله ، وجعل يكرره .

١١ ـ قرأتُ بخط أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الجواليقي رحمه الله في تعليق له نقله من خط ابن برهان ، وأنبأنا به شيخُنا أبو اليمن الكندي عنه قال فيما نقله من خط ابن برهان ، قال أبو الفتح[8] بعد أن دعا لأبي عليّ : كان إذا قعد على سريره الذي كان يقعد عليه أوقات درسه لا يرى العالم إلا دونه ، وما كان يفكر في أحد ، حتى إنه كان اذا جرى حديث عضد الدولة قال : صاحب السطح فعل كذا ، وصاحب السطح قال كذا ، وذلك أن الملك بشيراز كان يقعد في أكثر أوقاته على سطح له كان فيه مجلسه ، فكان أبو عليّ يجري على ذلك ويقول صاحب السطح : ثم قال أبو الفتح : وما كان مع ذلك إلا بحيث يضع نفسه ، فإنه كان فوق كل من نظر في هذا العلم ، ولو عاش أبو العباس وأبو بكر وطبقتهما لأخذوا عنه بلا أنفةٍ ، ولو أدركه الخليل وسيبويه لكانا يُقِرّان له ويتجمّلان به . وقرأتُ عليه بالشام كتاب تصريف المازني ، وكنتُ قليل المعرفة إذ ذاك باللغة ، فسألته عن شيءٍ من تفسير اللغة فيه ، فنظر اليّ مغضباً ، وعبس وجهه . قال أبو الفتح : وكذا طريقة النحويين .

(٨) أي أبو الفتح عثمان بن جني .

١٢ ـ قال : وذاكرتُ بكتاب العين يوماً شيخنا أبا عليّ فأعرض عنه ولم يرضه لما فيه من القول المرذول والتصريف الفاسد ، فقلت له كالمحتج عليه : فإن في تصنيفه راحةً لطالب الحرف / لأنه منساقٌ متوجه ، وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجمهرة ، فقال : أرأيت لو أن رجلاً صنَّف لغةً بالتركية تصنيفاً حسناً هل كنا نقبلها منه ونستعملها ؟ أو كلاماً هذا نحوه ، قد بَعُد عهدي به .

١٣ ـ وحدثنا [أبو علي الفارسي] قال : حدثني أبو بكر قال : مارأينا كتاب العين بسرَّ من رأى مع بعض أصحاب حسين(٩) .

١٤ ـ وكان أبو علي يقول : لما هممتُ بقراءة رسالة هذا الكتاب على محمد بن الحسن قال لي : ياأبا عليّ ، لا تقرأ هذا الموضع عليَّ فأنت أعلم به مني .

ـ محمد بن الحسن هو ابن دريد

١٥ ـ ومما نقله من خط ابن برهان ، قال ابن جني : وحدثني أبو علي أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب له جميع علم البصريين ، قال : وكنتُ كتبت ذلك كله بخطي ، وقرأته على أصحابنا ، فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً البته إلا نصف كتاب الطلاق [عن محمد بن الحسن](١٠) ، فسألته عن سلوته وعزائه عن ذلك ، فنظر اليَّ معجباً ثم قال : بقيتُ شهرين لا أكلم أحداً حزناً وهمّاً ، وانحدرتُ الى البصرة لغلبة الفكر عليَّ ، وأقمتُ مدةً ذاهلاً متحيراً .

(٩) الكلمة غير منقوطة ويمكن أن تقرأ « حنين » .

(١٠) مابين الحاصرتين زيادة من معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧ : ٢٥٧ .

١٦ ـ ومما نقله من خط ابن برهان ، وذكر ابن برهان أنه نقله من خط أبي الحسن الزعفراني مما حكاه عن أبي عليّ ، قال أبو عليّ : من كثرة احتشامي وتقبضي ما كنتُ أسمع السماعات الكثيرة فلا أقول لهم سَمِّعُوا لي ، وإلا لو كنتُ ممن لا يحتشم لقد كان من السماع لي بيد الناس غير قليل .

١٧ ـ وكان أبو علي اذا عبَّر عن لفظ ما فلم يفهمه القارئُه عليه وأعاد / ذلك المعنى عنه بلفظ غيره ففهمه يقول : هذا إذا رأى ابنه في قميص أحمر عرفه ، وإذا رآه في قميص كُحْلي لم يعرفه .

١٨ ـ وكان رحمه خشن الملمس ، حَزْنَ المتنفّس ، يريد من مبتدئي أصحابه أن يفهموا اللفظة من العلم بالكشف من القول ، وكان ربما توقف بعضهم عن فهم ما يقوله فينبو عنه ويقول له : ياهذا ، أليس قد مضى في ذلك اليوم لنا شيءٌ يشبه هذا ، ووالله ما نعلم الى شيء يوميءُ ، ولا كم بعد ذلك اليوم من يوم مجلسها ، ولعله أن يكون منذ ذلك اليوم الى وقتها من الأصول والفروع مالا يحيط بعلمه الا الله خالقها .

١٩ ـ ومما نقله من خط ابن برهان ، قال أبو الفتح : وكان أبو عليّ رحمه الله كثيراً ما يروم إبراز الشيء الى لفظه ، وهو نَصْبُ عينه ، ونَجيٌّ فكره ، وساترٌ بينه وبين كل مَرْئي غيره ، إلا أنه مع ذلك معازٌّ له ، متأبٍّ عليه ، غير مُسْمِح ولا منقاد معه ، فإن لم يكن إلا آخذ عنه سَهْلَ المذهب شرحه ، طيّع الطبع سُجَحَه ، قد جاوده الى الأمد ، وقاوده الى الخبار والجدد ، وفاتشه الأنقاب ، وصحبه في كل أوب وباب ، أجبلا فلم ينبطا ، وكانا حَرَىً أن يحتدا ويختلطا ، ثم كيف لنا بعدُ بساعةٍ من ساعاته ، ونفثةٍ من رقياته ، وعفا الله عنه ، فما أقلَّ العوضَ في هذا السواد منه .

٢٠ ـ قرأتُ بخط سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي : ذكر أبو الفتح في النوادر أنّ كتب أبي عليّ الفارسيّ احترقت بالبصرة في ربيع الأول سنة خمسٍ وثلاث مئة بدار أبي الريان الأهوازي الكاتب ، وكان قد أسكنه إياها ، ولم يكن بالدار تلك الساعة ، فلما علم جاء الى الدار ، فوقع من غلامه المفتاح ، وكان الخشبُ ساجاً فلم ينكسر ، فصعدوا الى السطوح ، وكان للدرجة باب مغلق فلم ينفتح ، وقويت النارُ فحالت بينه وبين الكتب ، وكان في الدار أثاثٌ كثيرٌ لصاحبها ، فغُشِيَ على الشيخ وحُمِل على الظهر الى دار أخرى لأبي الريان ، فبقي يوماً وليلة لا ينطق ، وثلاثةَ أيام لا يأكل ولا يشرب الا اليسير بالكراهة ، وبقي واجماً سنةً لا يُقْرِىء ولا يَقْرأ ، وكان أبو الريان يخدمه[11] ويسلّيه بكل ما يقدر عليه . وكانت الكتب أربع مئة مجلد ، فأعطاه ثلاث مئة دينار مغربية ، وأربعين حزمة كاغد . وكان ينخيه[12] ويقول له : الناس يقولون عنك صَحِفيٌّ ، لأنك عجزت عن العلم بعد مضيّ الكتب ، وكان قد سلم له المجلد الأول من كتاب سيبويه لأنه كان معه ، وكان لأبي الريان نسخة بخط السيرافيّ فوهبها له ، وعاد الى القراءة[13] .

٢١ ـ قرأتُ في تاريخ أبي غالب همام بن المهذب المعري ، قال : وحدثني الشيخ أبو العلاء / رحمه الله أن أبا علي كان صديقاً لجدّه أبي الحسن سليمان بن محمد ، وكان صادقه بانطاكية ، ثم أن أبا علي مضى الى العراق ، وصار له جاه عظيم من الملك فناخسرو ، وأن بعض الناس وقعت له حاجة في العراق احتاج فيها الى كتاب من القاضي أبي الحسن

(١١) وقد تقرأ : « يحدثه » .

(١٢) رجحنا هذه القراءة ، والكلمة غير واضحة تمام الوضوح .

(١٣) جاء الخبر (٢٠) في حاشية الصفحة من المخطوطة ، وفي آخره كلمة « صح » .

سليمان الى أبي عليّ الفارسيّ ، فلما وقف على الكتاب قال : اني نسيتُ الشام وأهله .

٢٢ ـ قال : وكان أهل بغداد يقولون في زمانه : لو عاش سيبويه لاحتاج اليه .

٢٣ ـ أنبأنا أبو اليمن الكنديُّ قال أخبرنا أبو منصور القزّاز قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسيّ . سمع عليَّ بن الحسين بن معدان صاحب اسحاق بن راهويه ، وكان عنده عنه جزءٌ واحد . حدثنا عنه الأزهريُّ والجوهريُّ وأبو الحسن محمد بن عبد الواحد وعلي بن محمد بن الحسن المالكي والقاضي أبو القاسم التنوخي .

ـ ومن مصنفاته كتاب الايضاح في النحو ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب الحجة في القراءات .

(التتمة والتعليق في الجزء التالي)

شاكر الفحام

المجلس الثمانون بعد المائتين

في فضل عبد الله بن مسعود

من أمالي الحافظ ابن عساكر

الأستاذة سكينة الشهابي

١ - يحدثنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي أن أباه أملى أربعمائة مجلس وثمانية مجالس في فن واحد[١] .

ومن فضل الله أن عدداً من هذه المجالس حفظته لنا دار الكتب الظاهرية بدمشق وثائق تراثيةً هامة تجمع صفة القدم ، وجودة الخط ، وصحة السماع . وكلُّ مجلسٍ من هذه المجالس يتناول فكرةً واحدةً ، قد تخص فرداً ، أو جماعة ، أو شهراً ، أو يوماً ، فهناك مجلس في فضل شهر رمضان[٢] ، ومجلس في فضل يوم عرفة[٣] ، ومجلس في ذم من لايعمل بعلمه ومجلس في ذم قرناء السوء[٤] . وهكذا .

والمجلس الذي أقدمه للقراء هو المجلس الثمانون بعد المائتين ، وهو من

(١) انظر معجم الأدباء ٨١/١٣

(٢) هو المجلس ٤٠٥ مخطوط في الظاهرية . مجموع ٨١ (١٣٠ - ١٣٣)

(٣) مخطوط في الظاهرية عام ٤٤٩٦ (١ - ٦)

(٤) نشره والذي قبله الأستاذ مطيع الحافظ . دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

أهم هذه المجالس لأنه يتحدث عن صحابي من خيرة الصحابة هو عبد الله بن مسعود .

٢ ـ لن أعرف بالحافظ الكبير صاحب تاريخ دمشق ، والذي أملى هذه المجالس الأربعمائة في مسجد بني أمية الكبير مستنداً إلى سارية من سواري هذا المسجد وحوله سامعون بأيديهم الكراريس والأقلام ، فقد كتب الكثير عن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، ابن عساكر(٥) ، أما الرجل الذي تحدث ابن عساكر عن فضائله فسأقتطف تعريفاً به من تاريخ مدينة دمشق .

٣ ـ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو عبد الرحمن الهذلي .

حليف بني زهرة . من المهاجرين الأولين . شهد بدراً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد اليرموك ، وكان على النفل ، وحدث عن النبي ﷺ .

فليس غريباً أن ينزل من تاريخ مدينة دمشق منزلاً رحباً ، وأن يخصه الحافظ بجزأين ونصف من أجزاء تاريخه الكبير ، ويسهب في سرد أخباره ، ويتصدر لإملاء فضائله ، وبيان المنزلة الكبيرة التي نزلها من الاسلام والمسلمين ، وذلك الدور الذي نهض به في حياة النبي ﷺ ، وبعد وفاته . فقد كان مقرباً من النبي ﷺ حتى ظن من أهل بيته ، وكان صاحب سواده ـ يعني سره ـ وسواكه ، ونعليه . وكان يمشي أمامه

(٥) يراجع من أراد تفصيلاً وافياً عن حياة هذا الرجل كتاب« ابن عساكر في ذكرى مرور ٩٠٠ » سنة على وفاته

بالعصا ، ويسير معه في الأرض وحَشْاً[٦] ، وكان لايحبس عن النجوى ، فقد قال له رسول الله ﷺ : « إذنك عليَّ أن ترفعَ الحِجاب وأن تسمع سِوادى حتى أنهاك » . وشهد له بالعلم والفضل ، فقال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » ، وقال أيضاً : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » . وأحب أن يسمع منه ، فقال له : يارسول الله أقرأ وعليك أنزل ، فقال له : « إنما أحب أن أسمعه من غيري » .

وقال عنه الصحابة : « كان يشهد إذا غبنا ، ويؤذن له إذا حجبنا » . وكان من أكثر علماء الصحابة فقهاً استفتاه عثمان ، على رغم ما كان بينهما من جفوة وأخذ بقوله . وعارض أبا موسى في فتوى فأقره أبو موسى ، وقال لسائليه : « لاتسألوني عن شيء مادام هذا الحبر بين أظهركم » . وقال عنه عمر : كُنَيفٌ مُلِيء علماً » وكان له موقف معارض في قضية إحراق المصاحف ولكنه عاد فوافق عثمان وصالحه[٧] .

---

(٦) أي منفرداً ليس معهما أحد

(٧) لينظر تفصيل ما أوجزته في تاريخ مدينة دمشق (م ٢٩ ق ١٧٦ ـ ٢٢٦) ، وتراجع أخباره وما رواه من حديث في : طبقات ابن سعد ١٥٠/٣ ، وطبقات خليفة ٣٦/١ ، وتاريخ خليفة ١٠١ وما بعد ، والتاريخ الكبيره/٢ ، والتاريخ الصغير ٦٠/١ ، والكنى لمسلم ق ٧٥ ، والمعرفة والتاريخ ٢٤٥/١ ، و ٤٣٢/٢ ـ ٤٥٢ ، والمعارف ٢٤٩ ، والأخبار الطوال ١٢٩ ، وتاريخ أبي زرعة ٦٥٥/١ ، والجرح والتعديل ١٤٩/٥ ، وكنى الدولابي ٧٩ ، وحلية الأولياء ١٢٤/١ ، وجمهرة أنساب العرب ١٩٧ ، والاستيعاب ٢٠/٧ ، وتاريخ بغداد ١٤٧/١ ، والاكمال ٢٣/٦ ، و ٥٣/٧ ، وطبقات الشيرازي ٤٣ ، وأسد الغابة ٣٨٤/٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢٨٨/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦١/١ ، ودول الإسلام ٥٤/١ ، وتاريخ الإسلام ٢٤/٢ ، وتذكرة الحفاظ ٣١/١ ، والعقد الثمين ٣٨٣/٥ وطبقات القراء ٤٥٨/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٧/٦ ، والإصابة ٣٦٨/٢ (ت ٤٩٥٣) والنجوم الزاهرة ٨٩/١ ، وطبقات الحفاظ ٥ ، وشذرات الذهب ٣٨/١

٤ ـ هذا المجلس إذاً وثيقة تاريخية هامة ، يزيد في أهميتها أنها سمعت على المصنف ، وعورضت سنة ٥٤٣[٨] ، يعني قبل أن يأخذ تاريخ مدينة دمشق شكله النهائي وقبل أن يسمع شيء منه على مؤلفه في مجالس عامة .

يضم هذا المجلس سبع عشرة فضيلة من فضائل عبد الله بن مسعود ، وهي خلاصة مارواه الحافظ في تاريخ مدينة دمشق ، بل هي خلاصة ماذكرته المصادر من هذه الفضائل ، أحسن ابن عساكر اختيارها كعادته دائماً حين يريد أن يختار ، ويمكن أن نقول : كان عمله بالنسبة لما ذكرته المصادر في فضائل عبد الله بن مسعود تلخيصاً ، وبالنسبة لما ذكره هو في التاريخ اختياراً ، اختار من الطرق الكثيرة التي تصله بالخبر في التاريخ طريقاً واحداً ، ولم يذكر كل ما أورده في ترجمة « عبد الله بن مسعود » من الفضائل كأنه قدر في ذلك الزمن الذي خصه للمجلس الواحد ، فلم يتجاوزه .

ونستطيع أن نقول إن هذا المجلس لبنة من اللبنات الكثيرة التي أعدها ليقيم عليها صرح التاريخ ، ولكن الحافظ استطاع بمهارة عجيبة أن يخلع فيه ثياب المؤرخ وأن يرتدي ثياب المعلم فيفسر مايحتاج إلى تفسير ويوضح ما يحتاج إلى توضيح . فكم من الرجال كان يذكرهم لنا في أسانيد التاريخ بالكنية والشهرة وقلما يتأنى ليعرفنا بهم ، إلاّ في النادر حين يكون هناك وهم في الطريق ، أو شك في اسم الرجل ، ويصح غيره موضعه ، وأقل من القليل أن يذكر المصنف في التاريخ اسم شيخه ، حتى

(٨) سَمِع هذا المجلس على المصنف أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن عبدان وهو أحد سامعي تاريخ دمشق سنة ٥٦٢ على مؤلفه . انظر الجزء المطبوع : (عاصم ـ عايذ) ٢٧٩ ، ٣٥٠ ، ٤١٩ ، ٤٩٤ .

إننا نسينا أسماء شيوخه وغدت كناهم هي المحفوظة في ذاكرتنا دون سواها . أما في مجلس الإملاء فتطالعنا الأسماء كاملةً ، حتى إذا ورد اسم في سند من الأسانيد مبهما فإنه لاينسى أن يعرفنا به في نهاية الخبر ، وكأنه المعلم المتأني الذي يحرص على ألا يكون في جانبٍ من جوانب درسه غموض أو إبهام[٩] .

لقد كان مجلس الإملاء في عصر ابن عساكر بمثابة الدرس في عصرنا الحاضر ، يكثف فيه المدرس مايريد أن يلقيه على مسامع تلامذته ، واذا كان المدرس الماهر هو الذي يوشح درسه بالملح والطرف ليدفع بها الملل عن نفوس تلامذته فإن ابن عساكر كان يختم مجلس الإملاء بأبيات من الشعر تجدد عندهم الرغبة في مجلس قادم في أسبوع قادم . وقد ختم مجلسه هذا بأبيات في مدح الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود والثناء عليه .

والخلاصة التي نصل إليها أن كل ما جمعه ابن عساكر في هذا المجلس سواءً أكان حديثاً عن الرسول ﷺ ، أم مما أثر عن السلف الصالح نجده مبثوثاً متفرقاً في تاريخ دمشق بشكل عام ، وفي ترجمة عبد الله بن مسعود من التاريخ بشكل خاص ، ومن الطرق ذاتها التي تلقى بواسطتها أخباره في هذا المجلس .

وكذلك فإن المجالس الكثيرة التي أملاها ابن عساكر انتقى موضوعاتها من التاريخ .

ولئن كانت الترجمة في التاريخ تتناول جوانب متعددة من حياة المترجم تلخص حياته ، وتختصر سيرته في محيطه وبيئته فإن مجلس الإملاء كان يتناول فكرة واحدة يقلب الحافظ جوانبها لتكون شاملة

---

(٩) انظر على سبيل المثال ص ٩

أكثر مايكون الشمول ، واضحة أحسن مايكون الوضوح . ولو حاولنا سبر أعماق هذه المجالس التي وصلت إلينا لوجدناها بجملها تبرز الفضائل وترغب بالتمسك بها ، وتنفر من الرذائل وتحث على الابتعاد عنها .

وبكلمة مختصرة فإن مجالس الإملاء كانت دروساً في الوعظ والإرشاد ، وغاية ممليها الإصلاح الإجتماعي . وتثبيت أسس المجتمع السليم الذي يقوم على مكارم الأخلاق

[illegible]

صاحب سواد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني سره وسواده
[illegible] وسواكه ونعليه وطهوره وهذا يكون في السفر
[illegible] ابو الفضل [illegible] ابن مسعود
عن القاسم [illegible] قال كان عبد الله [illegible] يلبس رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعليه ثم يمشي امامه بالعصا حتى اذا اتى مجلسه
نزع نعليه فادخلهما في ذراعيه واعطاه العصا فاذا اراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوم البسه نعليه ثم مشى بالعصا
امامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان
احب ابن مسعود لحب محمد صلى الله عليه وسلم ولشبه [illegible]
[illegible] المصطفى وجهاده ونباعه القرآن عنه وصلاته
[illegible] الهدى [illegible] بالحق [illegible]
[illegible] لقد ان صحب العلم وحسن خلقه
[illegible] كان [illegible] مثله [illegible]
[illegible]
[illegible]

الورقة الأخيرة من الأصل

[٢] بسم الله الرحمن الرحيم☆

١/ أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ الثقة أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي إملاءً من لفظه ونحن نسمع في المسجد الجامع بدمشق في يوم الاثنين التاسع من جُمادى الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . قال أخبرنا[١٠] الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ ، أنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النَّقُور ، قال : أنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن الوزير ، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، نا داود بن عمرو بن زهير الضَّبي ، نا حفص بن غياث ، نا الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم بن سُويد ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال :

قال عبد الله رضي الله عنه ، قال لي رسول الله ﷺ :

« إذْنُكَ عليّ أنْ ترفعَ الحجابَ وأن تسمعَ سِوادي[١١] حتّى أنهاكَ »

رواه مسلم عن أبي كامل فضيل بن حسين وقتيبة ، عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله .

☆يلي العنوان في الصفحة الأولى السماع التالي :

بلغ السماع من لفظ ممليه الشيخ الإمام الحافظ الثقة أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين . لصاحبه أبي عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن عبدان الأزدي ، وذلك في يوم الاثنين التاسع من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

(١٠) رواه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ٩٣/ترجمة عبد الله بن مسعود) ، والحديث في الصحيح : أخرجه مسلم (٢١٦٩ في السلام ، باب جواز جعل الإذن رفع الحجاب ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب : فضائل عبد الله بن مسعود ، وابن سعد في الطبقات ١٥٣/٣ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٢٦/٢ ، وأبو نعيم في الحلية ١٢٦/١ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١

(١١) السِّواد ـ بكسر السين ـ السرار ـ وهو السر ـ وقيل المحادثة

/٢ أخبرنا[١٢] الشيخ أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر بن أحمد الصائغ ، قال : أنا أبو الحسين محمد بن مكّي بن عثمان الأزديّ المقرىء بدمشق ، أنا أبو علي أحمد بن عمر بن محمد بن خُرَّشِيد قوله الأصبهاني بمصر ، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزيّ - المعروف بالحامض - نا محمد بن الحسن الأصبهاني ، نا بكير بن بكار ، نا المسعودي - يعني عبد الرحمن بن عبد الله ، نا عبد الملك بن عمير ، عن أبي المليح الهذليّ ، عن عبد الله رضي الله عنه قال :

كنت أستر رسول الله [٣] ، ﷺ ، إذا اغتسل ، بردائه ، وأوقظه إذا نام ، وأمشي معه في الأرض وَحْشاً[١٣] .

/٣ أخبرنا[١٤] الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ، أنا أحمد بن محمد بن أحمد البزاز ، أنا عيسى بن علي بن عيسى الكاتب ، أنا عبد الله بن محمد البَغَويّ ، حدثني أبو صالح محمد بن زُنْبور المكي ، نا فُضيل بن عياض ، عن الأعمش ، عن خَيْثمة ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما قال :

لا أزال أحبّ ابن مسعود - رضي الله عنه - لِما بدأ به النبي ﷺ ، فقال : « خُذوا القرآنَ مِنْ أربعة ، من ابنِ أمِّ عبد ، وأُبيّ ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حُذيفة - رضي الله عنهم »

---

(١٢) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ٩٠ / أخبار عبد الله بن مسعود) ، وابن سعد في الطبقات ١٥٣/٣ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٣٥/٢

(١٣) في حديث عبد الله أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ في الأرض وَحْشاً ، أي وحده ليس معه غيره

(١٤) ليس في السنن المطبوعة للنسائي ، وأخرجه ابن عساكر في التاريخ (مجلدة ٢٩ ق ١٠٧ . والحديث في الصحيح ، أخرجه البخاري في الفضائل - مناقب سالم ٣٥٤٨ ، ومناقب عبد الله بن مسعود ٣٥٤٩ ، ومناقب معاذ ٣٥٩٥ ، ومناقب أُبيّ ٣٥٩٧ ، وفي فضائل القرآن ٤٧١٣ ، باب القراء من أصحاب النبي ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٣٧/٢ ، والحاكم في المستدرك ٢٢٥/٣ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١

رواه النسائي عن محمد بن زُنْبور

٤/ **أخبرنا(١٥) الشيخ أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن البغدادي الحافظ ، قال : أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القفّال ، نا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن خرشيد قوله ، نا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ، نا أبو زرعة ـ يعني عبيد الله بن عبد الكريم الرازيّ ـ نا عبد العزيز بن عبد الله العامري ، نا محمد بن جعفر ، عن إسماعيل بن صخر ، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن أبيه ، عن جدّه ـ رضي الله عنه ـ**

أنّ رسول الله ﷺ ، قال : « مَنْ أحبَّ أنْ يسمعَ القرآنَ جديداً غَضّاً كما أُنْزِل فليسمعْهُ مِنْ ابنِ مسعود ـ رضي الله عنه [٤] قال : فلمّا كان الليل ذهب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى بيت ابن مسعود ليسمع قراءته فوجد أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قد سبقه ، فاستمعا ، فإذا هو يقرأُ قراءةً هيّنةً مُفَسّرةً حَرْفاً حَرْفاً ، فإن(١٦) كانت تلك قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه .

٥/ **أخبرنْا(١٧) الشيخ أبو القاسم الجُنيد بن محمد بن علي القايني الصُّوفي ، أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن شكرويه**

وأخبرنا الشيخ أبو سعد أحمد بن محمد الحافظ ، أنا أبو منصور بن شكرويه ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن علي السّمسار

---

(١٥) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (مجلدة ٢٩ ق ٩٨ ، أخبار عبد الله ابن مسعود)

(١٦) كذا في الأصل وفي أصل التاريخ وفوق « فإن » ضبة . وإن صحت الرواية فـ « إن » هنا بمعنى « قد »

(١٧) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (مجلدة ٢٩ ق ٩٦ ـ أخبار عبد الله بن مسعود)

قالا : أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد الوراق ، نا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبيّ إملاءً ، نا سعيد بن يحيي الأموي ، نا أبي ، نا مالك ـ يعني ابن مِغْول ـ عن حبيب بن أبي ثابت ، عن خيثمة ، قال :

إني أنظر إلى رجلٍ في المسجد عليه طيلسان ، فقال رجل : إن هذا ، أو جدّه ، راح إلى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فلقيه في ركب ، فقال : ياأمير المؤمنين ، أتيتك من عند رجل يكتب المصاحف من غير مصحف ، قال : فغضب وهو على راحلته حتى ذكرت الزِّقَّ وانتفاخَه ، فقال : ويحك ! من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : فسكن غضبه . قال : فذكرت [٥] انْفشاشَ الزّق . فقال : أوليس أحقَّ من بقيَ بذلك ؟ وسأحدّثكم بذلك : دخل النبيُّ ، ﷺ ذاتَ ليلةٍ المسجدَ ، وأبو بكر رضي الله عنه ـ عن يمينه ، وأنا عن شماله ، فإذا رجل يصلي ، فقال : « من سرَّه أن يقرأ القرآنَ غَضّاً كما أُنْزل فليقرأه على قراءة ابن أمِّ عبد ، سَلْ تعطَ ـ أو سل تؤته » . فأتيتُه فبشّرته ، فقال : سبقك أبو بكرٍ ، رضي الله عنه .

٦/ **أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشَّيْباني ، أنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد التميمي ، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القَطِيعيّ ، نا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثني أبي[(١٨)] ـ رحمه الله ـ نا وَكيع ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن مولى لربعيّ ـ عن رِبْعي ، عن حُذيفة ، رضي الله عنه ، قال :**

كنا عند النبي ﷺ ، جلوساً ، فقال : « إنّي لا أدري ماقَدْر بقائي

(١٨) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (م ٢٩ ق ١٠٢ ـ أخبار عبد الله بن مسعود) وانظر مسند أحمد ٣٨٥/٥ ، وتاريخ بغداد ٣٤٧/٤ . والحديث من طريق آخر في مسند أحمد ٣٨٢/٥

فيكم ، فاقتدوا باللّذَيْن مِنْ بَعْدي - وأشار إلى أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما ، وتمسّكُوا بعَهْدِ عمّار ، رضي الله عنه ، وما حدّثكم ابنُ مسعود ، رضي الله عنه ، فصدِّقوه » .

٧/ **أخبرنا[١٩] الشيخ أبو المعالي محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين الفارسي ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقيّ ، نا أبو عبد الله الحافظ [٦]، نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، نا أبو جعفر محمد بن علي الوراق ، حمدان ، نا يحيى بن يعلى المحاربي ، نا زائدة ، عن منصور ، عن زيد بن وهب ، عن عبد[٢٠] الله رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :**

« رضيتُ لأمّتي مارضيَ لها ابنُ أمِّ عبد » .

٨/ **أخبرنا[٢١] الشيخ أبو بكر وجيه بن طاهر بن محمد المعدل ، أنا أحمد بن الحسن بن محمد الأزهري ، أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلديّ ، أنا أبو بكر الأسفرائيني عبد الله بن محمد بن مسلم ، نا أحمد بن حرب ، نا قاسم بن يَزيد الجَرْميّ ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، ﷺ :**

« لو كنتُ مُسْتخلفاً أحداً بعدي عن غيرِ مَشورة من المسلمين لاستخلفتُ عليهم ابنَ أمِّ عبد » .

٩/ **أخبرنا[٢٢] الشيخ أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحُصين ، أنا أبو طالب**

---

(١٩) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ١٠٣ - أخبار عبد الله بن مسعود)

(٢٠) في الأصل « عبيد » ، والصواب من التاريخ

(٢١) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ٩٩ - أخبار عبد الله)

(٢٢) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ٨٨ - أخبار عبد الله بن مسعود) ، وانظر الغيلانيات ق ٦٥ ب . وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١٥٠/٣ ، وأحمد في =

محمد بن محمد بن إبراهيم بن غَيلان ، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، نا أبو الحسن علي بن الحسين العسكري ، نا عبدان العسكري ، نا يحيى بن زكريا ـ وهو ابن أبي زائدة ـ قال : [٧] حدثني أبو أيوب ـ وهو الإفريقي ـ عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال :

مرّ بي النبيُّ ، ﷺ ، وأنا في غنمٍ لعقبةَ ، فمسحَ رأسيَ وقال : « يرحمك الله إنَّكَ غُلَيِّم معلَّم » .

اسم أبي أيوب عبد الله بن علي ، وعبدان هو عبد الله بن محمد بن يزيد ، يعرف بالوكيل ، وليس بعبدان عبد الله بن أحمد الجواليقي .

١٠/ **أخبرنا[٢٣] الشيخان أبو محمد هبة الله بن أحمد ، وأبو الحرم مكي بن الحسن بن المعافى الجبيلي ، قالا : أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن أبي العلاء ، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر ، أنا خيثمة بن سليمان القرشي ـ نا محمد بن الحسين الحُنَيْني ، نا أبو حذيفة ـ يعني موسى بن مسعود ـ نا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن ابن ظالم ، قال :**

جاء رجل إلى سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ، فقال : إني أحببت علياً ـ رضي الله عنه ـ حُبّاً لم أحبّه أحداً . قال : أحببت رجلاً من أهل الجنة . ثم إنه حدثنا قال : كنا مع رسول الله ، ﷺ على حِراء ، فذكر عشرة في الجنة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن مالك ، وسعيد بن زيد [٨] وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه

= المسند ٢١٠/٥ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٣٧/٢ ، والبيهقي في الدلائل ٢٩٩ ب ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١

(٢٣) أخرجه الحافظ في التاريخ (م ٢٩ ق ٩٤ ـ أخبار عبد الله بن مسعود)

ابن ظالم اسمه عبد الله ، من أهل الكوفة

١١/ أخبرنا(٢٤) الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ، أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن البُسْري ، وأبو محمد أحمد بن علي بن الحسن بن أبي عثمان ، وأبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم الخوارزميّ القصّاريّ

وأخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن القصاري ، أنا أبي

قالوا : أنا أبو القاسم إسماعيل بن الحسن بن عبد الله بن الهيثم بن هشام الصّرصري ، نا الحسين بن إسماعيل المحاملي ، نا إبراهيم بن هانىء ، نا عبيد الله بن موسى ، نا شيبان ، عن الأعمش ، عن أبي عمرو الشيباني ، قال :

أتى رجل ابنَ مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقال : في حَجْري بنت عم لي ، وإن امرأتي خافتني عليها ، فأرضعتها . فقال : سألت أحداً قبلي ؟ قال : نعم ، أبا موسى ـ رضي الله عنه ـ فقال : حرّمت عليك . قال : إنّه لايقول شيئاً ، لا أحرّم من الرضاع إلاّ ما أنبت اللحم والدم . فأتيت أبا موسى ، فذكرت ذلك له ، فقال : لا تسألوني عن شيء مادام هذا الحَبْر بين أظهركم ، فوالله لقد رأيته وما أراه إلا عبد آل محمد ، ﷺ .

١٢/ أخبرنا(٢٥) الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك بن الحسين [٩] الخلال ، وغيره ، قالا : أنا أبو القاسم إبراهيم بن منصور السّلمي ، أنا أبو بكر بن المقرىء ، أنا أبو يَعلى أحمد بن علي المَوصلي ، نا أبو الربيع سليمان بن داود الزّهراني ، نا يعقوب بن إبراهيم ـ يعني أبا يوسف ـ نا أبو حنيفة ـ رحمهم

---

(٢٤) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ١١٣ ـ ١١٤) ورواه ابن سعد مختصراً في الطبقات ٣٤٣/٢

(٢٥) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ٩٤) ، وانظر فضائل الصحابة لخيثمة بن سليمان (خ ظاهرية ق ٢٤٦)

الله ـ عن الهيثم ـ قال أبو الربيع : يعني ابن حبيب ـ قال : قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه :

ماكذبت منذ أسلمت إلا كذبةً . كنت أرحلُ لرسول الله ، ﷺ ، فأتي برحالٍ من الطائف . فقال : أي الرحلة أعجب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقلت : الطائفية المنكبة . قال : وكان رسول الله ، ﷺ ، يكرهها . قال : فلما رحلها فأتي بها ، فقال : « مَنْ رَحَلَ لي هذه الرِّحْلة » ؟ قالوا : رَحَلَ لك الذي أتيت به من الطائف . قال : « ردوا الرِّحْلة إلى ابن مسعود » .

/١٣ **أخبرنا[٢٦] الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخَضِر السُّلمي ، نا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتّاني ، أنا عبد الرحمن بن عثمان ، ابن أبي نصر ، قال : قرىء على خيثمة بن سليمان ، قال : نا هلال بن العلاء بن هلال ، نا أبي ، نا إسحاق بن يوسف الأزرق ، نا أبو سِنان ، نا الضّحاك بن مزاحم ، عن النَّزّال بن سَبْرة الهلالي ، قال :**

قالوا لعلي ـ رضي الله عنه : [١٠] فحدثنا عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : ذاك أمرؤ قرأ القرآن فعلم حلاله وحرامه ، وعمل بما فيه ، ونزل عنده ، وخيّم .

/١٤ **أخبرنا[٢٧] الشيخ أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي ، أنا أبو نصر**

(٢٦) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ١١١ ـ أخبار عبد الله بن مسعود) . ورواه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٤٠/٢ ، وأبو نعيم في الحلية ١٢٩/١ ، والحاكم في المستدرك ٣١٨/٣ ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٩٢/١

(٢٧) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ١١٢ ـ أخبار عبد الله بن مسعود) . والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٤٢/٢ ، وابن سعد في الطبقات ١٥٦/٣ ، وأبو نعيم في الحلية ١٢٩/١ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٩١/١ . وانظر النهاية ٢٠٥/٤ ، واللسان : « كنف »

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن موسى ، أنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل بن يحيى الحربي ، أنا عبد الله بن محمد بن الحسن ، ابن الشرقي ، نا عبد الله بن هاشم بن حيّان العبدي ، ناوَكيع بن الجراح ، نا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال :

كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه إذ أقبل عبد الله ـ رضي الله عنه ـ فأكبّ على عمر ، فكلّمه ، ثم أدبر ، فجعل عمر ينظر إليه ويقول : كُنَيفٌ مَلِيء علماً ، كُنَيف[٢٨] مَلِيء علماً . ويقول هكذا بيده .

/١٥ **أخبرنا[٢٩] الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ، أنا أبو بكر محمد بن هبة الله بن الحسن الطبري ، أنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان ، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه ، نا يعقوب بن سفيان ، قال : حدثني ابن نُمير ، قال : نا وَكيع ، عن الأعمش ، عن العلاء ، عن أشياخ لهم قال :**

كان عمر ـ رضي الله عنه ـ على دارٍ لعبد الله ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة ينظر إلى بنائها ، فقال رجل من قريش : ياأمير المؤمنين [١١] ، إنك تُكْفَى هذا . فأخذ لبنةً فرمى بها ، وقال : أترغب بي عن عبد الله ؟

/١٦ **أخبرنا[٣٠] الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ، أنا أبو محمد عبد الله بن**

---

(٢٨) تصغير « كِنْف » وهو الوعاء . وهو تصغير تعظيم كقول الحباب بن المنذر : « أنا جذيلها المحك »

(٢٩) رواه ابن عساكر في التاريخ من هذا الطريق (م ٢٩ ق ١١٣ ـ أخبار عبد الله بن مسعود) ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٤٧/٢

(٣٠) أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق في التاريخ (م ٢٩ ق ١١٥) ، ورواه ابن سعد في الطبقات ٣٤٢/٢ ، عن عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٥٤٢/٢ عن محمد بن عبد الله بن نمير ، عن أبيه ، عن الأعمش بلفظ مقارب للفظ الحافظ . والحديث في كتب الغريب . انظر الحاشية التالية .

محمد بن عبد الله الخطيب ، أنا أبو حفص عمر بن أحمد بن كثير الكِناني المقرىء ، نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، نا أبو خَيْثمة زهيرٌ بن حرب ، ثنا معاوية بن عمرو ، نا زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مَسْروق ـ رحمه الله ـ قال :

جالست أصحاب محمد ﷺ وكانوا كالإخاذ[٣١] يُرْوي الراكب ، والإخاذ يروي الراكبين ، والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم . وإن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ من تلك الإخاذ .

١٧/ **أخبرنا[٣٢] الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه ، أنا أبو الحسن أحمد بن معروف بن بشر الخشاب ، نا أبو علي الحسين بن محمد بن عبد الرحمن ، نا محمد بن سعد ، أنا محمد بن عمر ، نا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القارّي ، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن عتبة ، قال :**

---

(٣١) الحديث في غريب أبي عبيد ٣٦٧/٤ ، والفائق ١٧/١ ، والنهاية ٢٨/١ واللسان : « أخذ » . ولفظهُ في النهاية : « جالست أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالإخاذ ، تكفي الإخاذة الراكب ، وتكفي الإخاذة الراكبين ، وتكفي الإخاذة الفئام من الناس » ، وقريب من لفظ النهاية لفظ غريب أبي عبيد والفائق واللسان . وجاء في تفسيره في النهاية : « الإخاذ مجتمع الماء وجمعه أُخُذ ككتاب وكتب ، وقيل : هو جمع الإخاذة ، وهو مصنع للماء يجتمع فيه . والأولى أن يكون جنساً للإخاذ لا جمعاً .. يعني أن فيهم الصغير والكبير ، والعالم ، والأعلم » . وواضح أن لفظ الحديث برواية الحافظ استعمل فيه الإخاذ جمعاً ومفرداً . وانظر معنى الإخاذ في حديث الشعبي (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٨ ج ١ : ٨ ، ٣٦ ، ٥٨)

(٣٢) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (م ٢٩ ق ٩٣) ، وابن سعد في الطبقات ١٥٣/٣ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١ .

كان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه [١٢] . صاحب سِواد رسول الله ﷺ ، يعني سِرّه ، ووساده ، يعني فراشه ، وسِواكه ، ونعليه ، وطَهُوره . هذا يكون في السفر .

قال : وحدثنا محمد بن سعد ، أنا الفضل بن دُكين ، نا المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال :

كان عبد الله ـ رضي الله عنه ـ يُلْبس رسول الله ، ﷺ نعليه ـ ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه ، فأدخلها في ذراعه ، وأعطاه العصا ، فإذا أراد رسول الله ، ﷺ ، أن يقوم ألبسه نعليه ، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ .

وقيل فيه :

أحبّ ابن مسعودٍ كحبِّ محمدٍ ... له ، ولنيل الهجرتين وسبقه
ونصرته للمصطفى وجهاده ... وتبلغيه القرآن عنه ، وصدقه
وتبيينه سبل الهدي ، وقيامه ... لخالقه بالحقّ في نصح خلقه
لئن ضحكوا منه لدقّة ساقه ... لقد كان ضخم العلم في حسن خلقه
فلا تنكروا مدحيه ، إن كنت صادقاً ... فإن امتداحي مثله بعض حقّه
اذا كان ذا فضل ، ودين ، وعفةٍ ... فكيف أكفُّ المدحَ عن مستحقّه
سقى الله قبراً ضمّ أوصال جسمه ... من المزن طول الدهر صيّب غدقه

وصلى الله على محمد وآله وسلم

بلغ السماع صاحبه أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن بن عبدان في التاريخ

١٩٨٣/٣/٩ . **سكينة الشهابي**

المواقف الشعرية لأبي طالب

والد سيدنا عليّ رضي الله عنه

بقـــلم

الدكتور : إ . ك . أحمد كوتي
الأستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت
كيرالا / الهند

قد يستغرب بعض الناس عنوان هـذه المقـالـة وهم يتسـاءلون : هل كان أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ووالد سيـدنـا عليّ رضي الله تعالى عنه شاعراً ؟ فنقول : نعم كان شـاعراً ، بل كان من أشعر قريش ، وأفصحهم لغـةً ، وأحسنهم أُسلـوبـاً ، وأغـزرهم معنىً . وإن القصـائـد والأبيـات التي رُويت لـه ولاتـزال محفـوظـةً في بطـون كتب الثقـات في التاريخ والسيرة والأدب تثبت هذه الحقيقة إثباتاً لايـدع مجـالاً للشـكّ . على أن هناك من يشكون ـ كما يشكون في كل شيء ـ في كون أبي طالب شاعراً وفي صحّة الأشعار المنسوبة إليه .

وليس أدلَّ على أن أبا طالب كان شاعراً مما قال عنه ذلك الرائـد في مجال نقـد الشعر محمـد بن سلاّم الجمحيّ : « وكان أبو طـالب شـاعراً جيّـد الكلام[1] » ولا أُنكر أنه من الممكن أن بعض الأشعار التي نجدهـا منسوبـة إلى أبي طالب في كتب التاريخ والأدب مشكوكٌ في صحتهـا ، أو مُخْتَلّـة في روايتهـا . ويُـلاحـظ هنـا أنَّ هـذه الظـاهرة ليست مقتصرة على أبي

طـالب بل تطـالعنـا في أكثر أشعـار أهل الجـاهليـة وصـدر الإسلام . فمن الخطأ أن نزعم معتمدين على هذه النظريـة التي لم تثبت بعـدُ أنّ الأشعـار المنسوبة إلى أبي طالب كلها منحولة وأنه لم يكن شاعراً قطّ .

ماهي المواضيع والفكر التي تتضمنهـا أشعـار أبي طـالب ؟ هي حبّـه الشديد وحنانه العميق ورعايته البالغـة لابن أخيـه محمـد ﷺ ، ومُعـاداة قومه قريش لهُ ، ودفاع عمه عن نفسـه ودينـه الجديـد الـذي جـاء بـه . فتمثل تلك الأشعار تمثيلاً صادقـاً مـاهو مشهور عن مَوْقِف أبي طـالب من ابن أخيه محمد ﷺ ودينه ، وهو موقف المناصرة والمعـاونـة والحمـايـة للنبي ﷺ والإقرار بصـدقـه وأمـانتـه والاعتراف بكون دينـه حقـاً ، مـع عـدم الايمان به والاعتناق له لأنه كان يخاف الملامة من قومه إنْ أسْلم[٢] .

اذا تتبعنا الأشعـار التي قـالهـا أبو طـالب في الاسلام[٣] رأينـا مواقف عديدة وقفها في الدفاع عن ابن أخيه ودينه الحق . وهذا بيان مجمل لتلك المناسبات التاريخية التي قال فيها أبو طالب أشعاره .

سفارة قريش إلى أبي طالب وشعره فيها :

إن أول موقف شعري وقفه أبو طالب في الدفاع عن ابن أخيـه محمـد ﷺ كان في أوائل دعوة الإسلام في مكة المكرمـة . وسيـاقـه أنـه لمـا رأى صناديد قريش كأبي لهب وأبي سفيان وأبي جهل أن أمر محمد في انتشـار ، وعدد المسلمين في ازدياد كُل يوم ، خافوا من ذلك خوفاً شديداً ووجـدوا فيـه خطراً عظيمـاً على مكانتهم وكيـانهم فحـاولوا محـاولات شتى ليـوقفـوا انتشار الدين الجديـد بين أهل مكـة ، فلم يُغْنِ ذلـك عنهم من محمـد ﷺ شيئـاً . هنـالـك عَظُم الأمرُ على قريش وحزَّ في صـدورهم ، وقلَّبوا وجوه الرأي فيا يفعلون ، فـاختـاروا أن يسلكوا خطّـة اللين والإقنـاع . ومشى

رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب يطلبون منه أن يصدَّ ابن أخيه عن سبّ آلهتهم وعيب دينهم وتسفيه أحلامهم وتضليل آبائهم . ولكن أبا طالب ردّهم خائبين . فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فلم ينجحوا في هذه السفارة أيضاً . ثم ذهبوا إلى أبي طالب مرة ثالثة في محاولة منهم لاستئصال هذه الفتنة التي ظهرت على يد محمد ، فقالوا له : « يا أبا طالب ، إن لك سِنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا . وإنّا والله لانصبر على هذا ، من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفَّه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » . وعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام ابن أخيه وخذلانه ، فبعث إلى محمد ﷺ فقصَّ عليه رسالة قريش ثم قال له : « فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تُحمّلني من الأمر مالا أطيق » . فلما سمع رسول الله ﷺ هذه الكلمات ظنَّ أن عمه ضَعُف عن نصرته والقيام معه فهو خاذله ومُسْلِمه . فقال بكل قوة وعزيمة ، وهو مختنق بالدموع : « ياعم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . فاهتز الشيخ لِما أحَسّ في جواب محمد من القوة القدسية والإرادة السامية ، فنادَى محمداً أنْ أقبلْ . فلما أَقبلَ قال له : « اذهبْ يابن أخي فقُل ما أحببتْ ، فوالله لا أُسْلِمك لشيءٍ تكرهه أبداً »(٤) .

فحينئذ قال أبو طالب لرسول الله ﷺ أبياتاً يؤكد فيها حمايته لابن أُخيه مادام حيّاً ويقر بأمانته وصحة دينه بحيث يُزيل كلّ قلق من قلب النبي ﷺ ويملؤه أملاً ، ويزيده ثباتاً وشجاعة . وإليكم تلك الأبيات(٥) :

والله لَن يَصِلُوا إليـك بجمعهم حتى أُوَسَّـدَ في التراب دفينـا
فامْضِ لأمْرِكَ ما عليك غضاضة أبشِرْ وقرَّ بـذاك منـك عيـونـا
ودَعوْتَني وعَلِمْتُ أنـكَ نـاصحي فلقـد صـدقتَ وكنتَ قِـدمُ أمينـا
وعرضْتَ دينـاً قـد عرفْتُ بـأنـه مِنْ خَيْر أدْيـان البريـة دينـا
لـولا المـلامـةُ أو حِـذاري سُبّـةً لـوجـدْتَني سمْحـاً بـذاك مُبينـا

وهذه الأبيات نقلها ابن كثير في تاريخه من رواية ابن اسحاق . ولكنها لم تَرِدْ في سيرة ابن هشام وهذا لايجعلها موضع الشك لأن معانيها توافق مابيّنا قبلُ من موقف أبي طالب المشهور تُجاه محمد ﷺ ودينه .

قصيدة أبي طالب اللامية في استعطاف قُريش :

والموقف الشعري الثاني الذي نرى أبا طالب يقفه في الدفاع عن النبيّ ﷺ قصيدتُه اللامية المشهورة . وهي من أبرع القصائد العربية وأجملها وهي التي خلّدت اسمَ أبي طالب كشاعر نابغ مفلق في صفحات الأدب العربي . وسبب إنشاده تلك الأبيات ما قامت به قريش بعد أن أخفقت في مسعاها السلمي ، من اللجوء إلى التعسف والعنف ، فخاف أبو طالب شرّهم ومكرهم ، وقال قصيدته اللامية المشهورة[٦] التي يستعطف بها قريشاً ويتودّد أشرافهم ، ويخبرهم مع ذلك أنه لايُسْلِمُ لهم رسولَ الله ولايتركه لشيءٍ أبداً حتى يهلك دونه .

قد تشكك البعض في صِحّة هذه القصيدة كما يقول ابن هشام نفسه بعد نقله لها في سيرته : « هذا ما صحّ لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يُنكر أكثرها » .[٧] وإني أظنُّ أن طول هذه القصيدة ـ وهي أربعة وتسعون بيتاً في سيرة ابن هشام بعد تركه أبياتاً غير

صحيحة ـ هو الذي جعل بعض الناس يشكون في صحّتها . فإنّ ابن هشام لم يُنكر القصيدة كُلّها ، بل أوْردَ الأبيات التي هي صحيحة في رأيه . وهذا هو موقف محمد بن سلاّم أيضاً من هذه القصيدة . فيقول فيها[٨] :

« وكان أبو طالب شاعراً جيّد الكلام ، وأبرع ماقال قصيدته التي مدح فيها النبي ﷺ وهي :

وأبيض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ

وقد زيد فيها وطُوِّلت . رأيتُ في كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة[٩] : « وقد علمتُ أن قد زاد الناسُ فيها فَلاَ أدري أينَ منتهاها . وسألني الأصَمعيُّ عنها فقلتُ : صحيحة جيدة . قال : أتدري أين منتهاها ؟ قلتُ : لا أدري » .

فيظهر من هذا أن ابن سلاّم لم يُنكر صحّة قصيدة أبي طالب كُلّها ، وانما بيّن أن بعض الزيادة والتطويل حدث فيها .

وأما ابن كثير فإنه لم ينقلها في تاريخه فقط ، بل أعلن اعتقاده أن نسبتها إلى أبي طالب صحيحة لاسبيل إلى أن يُشكك فيها ، وأثنى عليها أجمل الثناء . وإليك تعليق ابن كثير : « هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع يقولها إلاّ من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها »[١٠]

ويضيق بنا المقام عن نقل هذه القصيدة الغراء كلها . فلذلك نكتفي بنظرة خاطفة في أبياتها :

فمطلع القصيدة :

ولمّـــا رأيتُ القـــوم لا وُدّ فيهم وقـد قطعوا كُلّ العُرى والوسـائل
وقد صـارحونـا بـالعـداوة والأذى وقـد طـاوعوا امر العـدو المـزايـل

وفي بعض الأبيـات التي تليهـا يَتَعـوذ أبـو طـالـب بحرم مكـة وأهلهـا من أولئك الناس الذين يقصدون السوء به وبأهله . ومن تلك الأبيات :

أعوذُ برب النـاس من كُل طـاعن علينـا بسُوءٍ أو مُلـحٍ ببـاطـلِ
ومن كاشـحٍ يَسْعَى لنـا بمعيبـة ومن ملحق في الدين مـالم نحـاول
وثـورٍ ومَنْ أرْسَى ثبيراً مكانَـهُ وراقٍ ليرقى في حراء ونـازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكـة وبـالله إن الله ليس بغـافـل

ومن الحَرَم التي يتعوذ بهـا الكعبـة ، والحجر الأسْوَد ، والسعي بين الصفـا والمروة ، وحـجّ النـاس ببيت الله ، وعرفـة ، والمـزدلفـة ، ومنى ، والجمرة وغيرهـا من الشعـائر المقـدّسـة ، ثم يصرح أبو طـالـب في كلمـات واضحـة لاتدع مجالاً للشكِ بأنه لا يُسلم محمداً لأعـدائـه ولايتركـه أبـداً حتى يهلـك دونه :

كَذَبْتُمْ وبيت الله نُبْزَى[١١] مُحمـداً ولّما نُطـاعنْ دونـه ونُنـاضـل
ونسلمـه حتى نُصرّع حـولـه ونـذهـل عن أبنـائنـا والحلائـل

ثم يَمْدَحُ ابن أخيه بكونه برّاً صـالحـاً يُستسقى بـه المطر وملجأ لليتـامى والأرامل وهو من أحسن ما مُدِحَ به رَسُول الله ﷺ :

وأبيضَ يُستسقى الغمام بـوجهـه ثمـال اليتـامى عِصْمَـةٌ للأرامـلِ

ويُلاحظ هنا أن هذا الأمر الذي ذكره أبو طالب في هذا البيت قد تحقق واقعيـاً في حيـاة النبي ﷺ بعـد سنـوات وهـو بـالمـدينـة ، كما رواه ابن هشام[١٢] :

« وحدّثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله ﷺ المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حوالينا ولا علينا » ، فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل . فقال رسول الله ﷺ : لَوْ أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه ! فقال له بعض أصحابه : « كأنك يارسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل »

قال : « أجل » .

قال السُهيلي في الروض الأنف : « فإن قيل كيف قال أبو طالب : « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه » ولم يره قطّ استسقيَ به ، انما كانت استسقاءاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شوهِدَ ما كان من سرعة إجابة الله لهُ ؟ فالجواب : ان أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب مادلّةَ على ماقال »[١٣] . وذلك أنه تتابعت على قريش سنون أهلكتهم . فبينا هم كذلك سمعت رقيقة بنت أبي صَيْفي بن هاشم هاتفاً يَصرخ في المنام : يامعشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه ، فحيَّهَلا بالحيا والخصب . ثم أمرهم أن يصعدوا جبل أبي قبيس ليستسقي عبد المطلب بالنبيّ ﷺ ففعلوا واستسقى عبد المطلب ومعه رَسُول الله وهو غلام[١٤] .

ويتضح من كُل هذا أن أبا طالب لم يكن إلا صادقاً فيما وصَف به ابن أخيه في هذا البيت ، سواءً كان ذِكْراً لِما كان أو تنبؤاً بما سيكون .

وفي أبياتٍ تليها يذكر أبو طالب من عاداه وخذله من أشراف العرب ويلومهم لخذلانهم ومعاداتهم له في هذه الأزمة . ثم يعود لمدح محمد

ﷺ . ومن تلك الأبيات :

فلا زالَ في الدنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً لمنْ والاه ربُّ المشاكلِ
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... اذا قاسه الحُكامُ عند التفاضُل
حليم رشيدٌ عادل غير طائش ... يُوالي إلاهاً ليسَ عنه بغافل

ثم يقول انه لو لم يخش الملامة من العرب لاعتنق دين محمد :

فو الله لولا أن أجيء بسُبَّةٍ ... تجر على أشياخنا في المحافل
لكُنّا اتّبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول التهازُل
لقد علموا أنّ ابننا لامكذَّب ... لدينا ولايُعنى بقول الأباطل

ومن هذه النظرة الخاطفة في قصيدة أبي طالب اللامية يتبين لنا ماقدّمنا من موقف أبي طالب من ابن أخيه ودينه كما يتبين لنا بوضوح الأزمة الشديدة التي كان يجتازها الدين الناشىء في تلك الفترة القاتمة .

الهجرة الى الحبشة وأبيات أبي طالب فيها :

نرى أبا طالب يقف موقفاً شعرياً آخر يؤيّد به قضية المسلمين ونبيّهم ، وذلك في أثناء هجرة المسلمين إلى الحبشة في السنة الخامسة من النبوّة . ولما اطمأن أصحاب محمد وأمنوا في الحبشة في جوار ملكها النجاشي وجدت قريش في ذلك خَطراً لهم عظيماً فائتمروا فيما بينهم فقرروا أن يبعثوا عمرو بن العاص بن وائل ، وعبد الله بن أبي ربيعة سفيرين إلى النجاشي يطلبان منه أن يردّ المسلمين المهاجرين إلى مكة ، فسارا إلى الحبشة لهذه المهمة .

وقد روي ، بهذه المناسبة أبياتٌ لأبي طالب[١٥] قالها حين بعثت قريش سفيريها إلى النجاشيّ وهو يناشد فيها ملك الحبشة أن يُدافع عن

المهاجرين ويحسن جوارهم وألا يردّهم إلى مكة . ومن هذه الأبيات :

وهَلْ نالت افعال النجاشيّ جعفراً وأصحابه أوْ عاق ذلك شاغبُ
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانبُ

والذي دفع أبا طالب ، بوجه خاص ، أن يقول هذه الأبيات حاضّاً فيها النجاشيّ على إجارة المهاجرين هو أن ابنه جعفر بن أبي طالب كان منهم كما يدل عليه البيت الأول من البيتين المذكورين آنفاً . وقد صدق ظنّ أبي طالب في النجاشي فإنه أبى أن يردّ المهاجرين إلى مكة ورجع رسولا قريش يجران أذيال الخيبة[١٦] .

أمر الصحيفة وأشعار أبي طالب :

من المواقف الشعرية التي وقفها أبو طالب في الدفاع عن ابن أخيه ما كان بمناسبة مقاطعة قريش لمحمد ﷺ وأهله وحصارهم في شعب أبي طالب . وذلك أن قريش لما رأوا أن دين محمد يزيد قوة وانتشاراً وأن المسلمين اعتزوا باسلام بعض الشخصيات البارزة كحمزة بن عبد المطلب وعُمر بن الخطاب وأن المهاجرين إلى الحبشة وجدوا الأمن والقرار عند النجاشيّ ، ائتمروا وفكّروا فيما يفعلون في محمد وأصحابه فاتفقوا على أن يقاطعوا بني هاشم وبني المطلب مقاطعة تامة لاينكحونهم ، ولاينكح إليهم ،ولايبيعونهم شيئاً ، ولايبتاعون منهم ، ولايقيمون أي علاقة بهم ، فكتبوا ذلك في صحيفةٍ وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، فانحازت بنو هاشم إلا أبا لهب ، وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعب من شعاب الجبل بظاهر مكة يسمى بشعب أبي طالب . فظلّ هذا الحصار ثلاث سنوات متتابعة ، فقاسى محمد ﷺ وأصحابه خلالها مالا يوصف من المشقات

والحرمان .

ولما أجمعت قريش على مقاطعة محمد ﷺ وأهله وتعاهدوا عليها ، قال أبو طالب أبياتاً[١٧] يستنكر فيها صنيع قريش ويعلن لهم أن أهل محمد لايسلمونه ولايتركونه أبداً وأنهم يقاتلون دونه قتالاً شديداً.ومطلع القصيدة :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا　　لؤيّاً وخُصّا من لؤيٍّ بني كعبِ

ثم يقول إن محمداً نبي من الأنبياء كموسى عليه السلام وانه محبوب عند الله وعند الناس :

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً　　نبياً كموسى خُطَّ في أول الكُتْبِ
وانّ عليه في العباد محبة　　ولا خير ممّن خصّه الله بالحُبِ

ثم يذكر الصحيفة التي كتبتها قريش لمقاطعة محمد وأهله ، ويقول إنها ستكون نحساً وشُؤْماً عليهم كناقة صالح عليه السلام على قومه :

وأن الذي الصقتُم من كتابكم　　لكم كائن نحساً كراغية السقبِ[١٨]

ويصرح أبو طالب أنه وأهله لايسلمون محمداً لقريش أبداً :

فلسنا وربّ البيت نسلم أحمداً　　لعزّاء من عضّ الزمان ولاكربِ

وفي الأبيات التالية يقول إن قومه بني هاشم يُدافعون عنه بأي ثمن ، ويقاتلون دونه قتالاً لايملّونه ومنها :

أليسَ أبونا هاشمٌ شدَّ أزرَهُ　　وأوصى بنيه بالطعانِ وبالضربِ
ولَسْنا نَملّ الحربَ حتى تملّنا　　ولانشتكي ماقد يَنوبُ من النكبِ

ثم نرى أبا طالب مرة ثانية يقول أبياتاً في الموضوع ذاته . وكان

ذلك حينما نُقِضَتْ تلك الصحيفةُ الخاطئة . وخلاصة خبر نقض الصحيفة أنه كان بين قريش من يعطفون على محمد ﷺ وأهله حين حوصروا في شعب أبي طالب ، وهم هشام بن عمرو ، وزهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عديّ ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، فاجتمعوا سرّاً وتعاهدوا على القيام في أمر الصحيفة حتى ينقضوها . ثم ذهبوا في الغدِ إلى الكعبة فشقوا الصحيفة المعلقة عليها ، وحينئذٍ وجدوا أن الأَرضة قد أكلت الصحيفة إلا « باسمك اللهم »[١٩] فهكذا نقُضت الصحيفة وانتهى حِصار محمد ﷺ وأهله في الشعب . وقد سُرّ بذلك أبو طالب وقال أبياتاً[٢٠] يمدح فيها أولئك النفر الذين قاموا بنقض الصحيفة . وفي مطلع القصيدة يتساءل أبو طالب هل اتى خبر نقض تلك الصحيفة الظالمة المفسدة إلى الذين هاجروا من المسلمين إلى الحبشة :

الا هَلْ أتى بحريِّنا صُنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرودُ[٢١]
فيخبرهم أنّ الصحيفة مُزِّقَتْ ... وان كل مالَم يرضَهُ الله مُفسَدُ

وفي البيتين التاليين يذكر اجتماع هشام بن عمرو وزملائه وتعاقدهم على القيام بنقض الصحيفة :

جزى الله رَهطاً بالحجونِ تبايعوا ... على ملأٍ يهدى لِحَزْمٍ ويرشد
قُعوداً لدى خطم الحجونِ كأنهم ... مقاولة بل هم أعزّ واجدُ[٢٢]

وهذان البيتان يذكران المكان الذي اجتمعوا به ليلاً وتعاقدوا وهو « خطم الحجون » . فالحجون موضع بأعلى مكة وخطمه هو مقدّمه .

وهذا البيت يفيد بأنهم فعلوا ذلك سِرّاً في الليل :

قضَوا ما قَضوا في ليلهم ثم أصبحوا ... على مهلٍ وسائر الناس رُقَّدُ

ورُويَ أيضاً لأبي طالب ثلاثة أبيات [٢٣] قالها في أمر الصحيفة وأكل الأرضة مافيها من ظلم وقطيعة رحم :

وقد كان في امرِ الصحيفة عبرة   متى مايخبر غائب القوم يعجب
محا الله منهم كفرهم وعقوقهم   ومانقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمرِ باطلاً   ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب

فيتضح مما تقدم من البحث أمور ثلاثة : أن أبا طالب كان شاعراً نابغاً لا داعي للتشكك في شاعريته ، وأنه في شعره يصوّر بصدق موقفه من ابن أخيه ودينه ، وهو موقف الحماية لمحمد ﷺ والإقرار بصدقه في دعوته إلى الله مع عدم الإيمان بتلك الدعوة في نفس الوقت ، وأنه يؤرخ في شعره للعصرِ الذي عاش فيه ، والحوادث التي عاصرها .

فهكذا نرى أن لِشعرِ أبي طالب من الأهمية الأدبية والتاريخية ما يضمن له الخلود في الأدب العربي ويجعله جديراً بالدراسة والبحث .

المراجع والهوامش

١ ـ طبقات الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي بمطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩١٣ ، ص ٦٠ .

٢ـ هناك اختلاف في إسلام أبي طالب . فيزعم البعض ، خصوصاً الشيعة انه مات على الإسلام . والرأي الأغلب هو أنه مات على الكفر . (انظر لبحث هذا الموضوع كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ـ ١٢٦)

٣ ـ وأما الأشعار التي قالها أبو طالب في الجاهلية فنتركها هنا لأنها ليست جديرة بالذكر .

٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شبلي ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج ١ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

٥ ـ البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت ، ج ٣ ص٤٢ . [جاءت الأبيات المذكورة في سيرة ابن اسحاق (ط المغرب) : ١٣٦ ، (ط دمشق) : ١٥٥ ، وفي كتاب دلائل النبوة للبيهقي / باب قول الله عز وجل ﴿ ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك ... ﴾ ، وفي ديوان شيخ الأباطح أبي طالب ، جمع أبي هفان : ١٢ ـ ١٣ ، وأوردها الزمخشري والثعلبي في تفسير الآية الكريمة : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ ، وانظر أزهار الرياض للمقري ٢ : ٧٣ ـ ٧٤] [لجنة المجلة] .

٦ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩١ ـ ٢٩٩ ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٥٣ ـ ٥٧ ؛ خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ هـ ـ١٩٦٧ م ج ٢ ص ٥٩ ـ ٧٥ .

٧ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٩ .

٨ ـ طبقات الشعراء ص ٦٠ .

٩ ـ يبدو أن هذا النص محرف لأنه غير معقول أن يصاحب من ألف كتاباً منذ أكثر من مائة سنة ولعل صوابه « وهي أكثر من مائة بيت » [النص كما جاء في المطبوع صحيح لاتحريف فيه . وقد جلا معناه بأحسن بيان أستاذنا الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، انظر كتاب طبقات فحول الشعراء / تح الأستاذ محمود محمد شاكر ، ١ : ٢٤٤ ـ ٢٤٥] [لجنة المجلة] .

١٠ ـ البداية والنهاية ج ٣ ص ٥٧ .

١١ ـ « نُبْزَى محمداً » أراد « لانبزى » حذف لا من جواب القسم وهي مرادة ، أي لانُسلبه ولا نُغلب عليه . وكذلك الأمر في « ونسلمه حتى نصرع حوله » .

١٢ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠٠ .

١٣ ـ نقلاً عن خزانة الأدب ج ٢ ص ٦٨ .

١٤ ـ تفاصيل هذا الخبر في كتاب الطبقات الكبير تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي ، عُني بتصحيحه أدوارد سخو ، طبع مصوراً عن كتاب طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل سنة ١٣٢٢ هجرية دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ج ١ ق ١ ص ٥٤ ، ٥٥ .

١٥ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٧ ؛ البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٧ .

١٦ ـ تفاصيل هذا الخبر في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٦ ـ ٣٦٢ .

١٧ ـ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ؛ البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٧ .

١٨ ـ كراغية السقب : هو من الرغاء ، وهو اصوات الإبل . والسقب : ولد الناقة . وأراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .

١٩ ـ انظر تفاصيل هذا الخبر في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤ ـ ١٦ .

٢٠ ـ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٧ ، ١٨ ؛ البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٧ ، ٩٨ . وبعض هذه الأبيات توجد في كتاب نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، نشره وصححه وعلق عليه أ . ليفي ـ بروفنسال ، دار المعارف ١٩٥٣ ، ص ٤٣١ ؛ وفي كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر الطبعة الأولى حيدر آباد ١٣١٨ هـ ، ج ٢ ص ٩٣ .

٢١ ـ « البحري » هنا : من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر . وأرود : أرفق .

٢٢ ـ المقاولة : الملوك .

٢٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م . ج ٢ ص ٩٠ . [الأبيات الثلاثة جزء من قصيدة رواها أبو هفان ، انظر ديوان أبي طالب : ١٦ ـ ١٧] [لجنة المجلة] .

أحمد كوتي

نظرات دقيقة

حول (بعض وكل) في الأساليب العربية

د . عبد الرحمن محمد اسماعيل

يضيّق تراثنا العربي ويصعبه على أجيالنا أولئك الذين ليست لهم إلمامة به ، أو سعة اطلاع عليه ، حيث لم يتمرسوا بمقاييسه ، ولم يحيطوا بها علما ، ولم يدركوا أسراره ولطائفه ، ومن هنا تراهم يتبرمون منه تارة ، أو يصفونه بأنه صعب المرتقى وعر المسالك تارة أخرى ، والحقيقة غير مايفهمون ، فقد ثبت للباحثين سعة العربية ، واستقر ذلك لدى العرب والعجم ، كما تعارف عليه أئمة العربية وروادها الأوائل ، وتواصوا به فيما بينهم .

يقول شيخ اللغويين والنحويين الخليل بن أحمد الفراهيدي : لغة العرب أكثر من أن يلحن فيها متكلم ، ويقول الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد : أنحى الناس من لم يلحن أحدا . ويقول الكسائي : على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن الا القليل .(١)

ولما كان (لبعض وكل) طرائق شتى في الاستعمال العربي ، منها ما اتفق عليه العلماء ، ومنها ما اختلفوا فيه ، بل تعدى ذلك الى تلحين بعضهم بعضا ، وهم على درجة من العلم والفكر والأدب ، ثم انتقل ذلك الصراع الى المحدثين من المثقفين ـ قصدتُ أن أكتب في ذلك مايُجَلّي الصواب ، ويبتُّ أسباب الخلاف ، ويفيد منه القارئون والباحثون .

(١) المدخل لابن هشام اللخمي : ١٠

أولا : معنى بعض وكل :

بعضُ كل شيء : طائفة منه سواء قلت أو كثرت ، يقال بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض .[٢]

وكل تفيد الاستغراق سواء أكانت للتأكيد أم لا ، والاستغراق لأجزاء مادخلت عليه ان كانت معرفة ، ولجزئياته ان كانت نكرة[٣] ولفظها مفرد ، ومعناها جمع ، لذلك يجوز الإخبار عنها بالافراد حملا على اللفظ نحو : كل قائم ، كما يعود الضمير عليها مفردا مراعاة للفظ كما في قوله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ [سورة الاسراء ، الآية : ٨٤] ، وبالجمع كما في قوله تعالى : ﴿ كلٌّ له قانتون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١١٦] ، فقانتون خبر (كل) حملاً على معناها ، ويعود الضمير عليها جمعا كذلك نحو : كلٌّ حضروا ، يقول ابن جنى : وكأنه حمل عليه هنا : (أي على المعنى) ، لأن كلا فيه غير مضافة ، فلما لم تضف إلى جماعة عوّض من ذلك ذكر الجماعة في الخبر ، ألا ترى أنه لو قال : وكل له قانت ، لم يكن فيه لفظ الجمع البتة ، ولما قال : ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٩٥] ، فجاء بلفظ الجماعة مضافا إليها استغنى به عن ذكر الجماعة في الخبر .[٤]

ثانيا : أحوال بعض وكل في الاستعمال :

ترد بعض وكل في الأساليب العربية على ثلاثة أحوال :

---

(٢) انظر تاج العروس للزبيدي : ٨/٥ .

(٣) انظر تاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨ ، ورسالة الشيخ الصبان على البسملة : ٣

(٤) انظر الخصائص لابن جنى : ٣٣٥/٣ ، ٣٣٦ ، وتاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨ ، ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٦٦ وما بعدها ، والمخصص لابن سيده ١٧ / ١٣١ .

الأولى :

أن تستعملا مجردتين من (أل) والإضافة نحو قوله تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٣٦] وقوله : ﴿ وله من في السموات والأرض كلٌّ له قانتون ﴾ [سورة الروم ، الآية : ٢٦] ، فبعض الثانية في آية البقرة ، وكل في آية الروم مجردتان من (أل) والإضافة ، والتنوين فيهما عوض عن المضاف إليه . غير أن كلا اذا قطعت عن الاضافة جاز الإخبار عنها بالمفرد مراعاة للفظها ، وبالجمع مراعاة لمعناها كما ذكرتُ ذلك قبلا .

قال ابن مالك وغيره من النحاة إن الافراد على اللفظ ، والجمع على المعنى ، وهذا يدل على أنهم قدروا المضاف إليه المحذوف في الموضعين جمعا ، فتارة روعي كما اذا صرح به ، وتارة روعي لفظ كل . أ هـ . قال السهيلي : وفي هذه الحالة تلزم كل صدر الكلام نحو : كل يقوم ، وكلا ضربت ، وبكل مررت ، ويقبح أن تقول : ضربت كلا ، ومررت بكل .(٥)

الثانية : أن تستعملا مضافتين :

أما بعضُ فقد وردت مضافة في القرآن إلى المفرد النكرة نحو قوله : ﴿ قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩] ، والمعرفة نحو قوله : ﴿ ليذيقهم بعض الذي عملوا ﴾ [سورة الروم ، الآية : ٤١] ، والجمع المعرف نحو قوله : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٧٥] ، وقوله : ﴿ ياأيها الذين

(٥) انظر تاج العروس للزبيدي : ٨/١٠٠

آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٥١] .

وأما كل فتضاف الى النكرة مفردةً نحو قوله : ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ [سورة القمر ، الآية : ٥٢] .

ومثناةً نحو قول الفرزدق :

وكلٌّ رفيقي كلِّ رَحْلٍ وإن هما تعاطى القنا قوماهما أخوانِ

وجمعاً مذكراً نحو قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دويهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

ومؤنثاً نحو قول الآخر :

وكلُّ مصيبات الزمان وجدتُها
سوى فرقة الأحباب هينةُ الخطبِ(٦)

وتضاف الى المعرفة وكثيرا مايكون المضاف اليه جمعاً نحو قوله تعالى : ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٩٥] ... ونقل عن أبي حيان قوله : لايكاد يوجد في لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلهن قائمات وان كان موجودا في تمثيل كثير من النحاة . ا هـ ... كما نقل عن ابن السراج امتناع اضافة كل الى المفرد المعرف بالألف واللام التي يراد بها العموم(٧) . هذا ونقل اضافتها الى المفرد العلم نحو : كل زيد حسن : أي كل جزء من أجزائه حسن (رسالة الصبان على البسملة : ٣)

---

(٦) انظر مغني اللبيب لابن هشام : ١٩٦/١ وما بعدها ، وتاج العروس للزبيدي : ١٠٠/٨ بتصرف .

(٧) انظر التاج للزبيدي : ١٠٠/٨ .

فاستعمال بعض وكل في الحالين السابقتين لاخلاف فيهما حيث اتفق عليهما النحويون واللغويون لكثرة استعمالهما في أفصح الكلام وفصيحه، ووفرة الشواهد الدالة على ذلك شعراً ونثراً.

الحالة الثالثة :

أن تستعملا بالألف واللام، وفيها يحتدم الخلاف بين النحاة فيجيزها فريق وهو القياس والصواب، ويرفضها فريق آخر، ولا حجة لهم الا لأنها لم ترد في القرآن الكريم، ويحسن بنا أن نعرض لآراء النحاة أولاً ثم نختم برأينا معزَّزاً بالقياس والسماع، كي يقف القارىء على وجهات النظر المختلفة ويستبين له الحق والصواب.

قال صاحب تاج العروس : ويقال : كل وبعض معرفتان، ولم يجيء عن العرب بالألف واللام وهو جائز، لأن فيهما معنى الاضافة، أضفت أم لم تضف، هذا نص الجوهرى في الصحاح.

وقال أبو حاتم : وقد استعمل الناس الألف واللام في كل وبعض حتى سيبويه والأخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو، فاجتنب ذلك فانه ليس من كلام العرب، وكان ابن درستويه يجوِّزُ دخول الألف واللام على كل وبعض مع مخالفة جميع نحاة عصره له.[٨]

وقال السيوطي : وفي كتاب ليس لابن خالويه[٩] : العوام والخواص يقولون : الكل والبعض، وانما هو كل وبعض لاتدخلها الألف واللام، لأنهما معرفتان في نية الاضافة وبذلك نزل القرآن الكريم، وكذلك هو في أشعار القدماء.[١٠]

(٨) انظر التاج للزبيدي : ٨/١٠٠.

(٩) لم أجد ذلك في كتاب ليس الذي حققه الاستاذ احمد عبد الغفور عطار.

(١٠) انظر المزهر للسيوطي ١٠٥/٢، ١٠٦، وتاج العروس للزبيدي ٨/٥، المخصص لابن سيده ١٣١/١٧، وما بعدها.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات ، ولم يرد في شيء من القرآن ، ولا في شيء من كلام العرب الفصحاء الكلُّ والبعضُ ، وانما ذلك شيء يجري في كلام المتكلمين والفقهاء ومن نحا نحوهم[١١] ، الى غير ذلك مما يضيق عنه المجال .

وإني أجتزىء القول في مناقشة ماقد سلف من آراء المانعين دخول الألف واللام على بعض وكل في الأسطر الآتية :

- ان دعوى أنهما معرفتان بالاضافة ، لها ماينقضها حيث ذهب أبو علي الفارسي الى أنهما نكرتان قياسا على نحو : خذ ربعا وثلثا ونصفا وهي نكرات بالاجماع[١٢] والتنوين فيهما عوض عن المضاف اليه ، واضافتها ملحوظة في المعنى مع تنكيرها .[١٢]
- ودعوى أنهما لم يردا في القرآن الكريم وأشعار القدماء فلا تنهض حجة لأصحابها لأنه قد ورد في كلام العرب ما ليس في القرآن ، كما ورد به ما لم تقله العرب ، وليس القرآن كل كلامهم ، وان كان قمته ، ولسنا بصدد ضرب الأمثلة عليه ، كما أنه ورد في شعر القدماء مايثبت ذلك سماعا كما لم يمنع منه قياس نحويٌّ نحو قول المرقش الأصغر :

شهدت به عن غارة مسبطرَّة
يطاعنُ بعض القوم والبعض طوحوا[١٣]

فأل دخلت على بعض في بيت المرقش ، والقياس يعضده ويسانده لأن بعضا وكلا اسمان معربان والأسماء المعربة تدخل الألف واللام عليهما قال

(١١) المفردات للراغب الاصفهاني : ٤٣٧ .
(١٢) المقنع في الدراسات النحوية للباحث : ٢٩ .
(١٣) جمهرة أشعار العرب/٢٠١ لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي .

ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وال ومسند للاسم تمييز حصل

واذا كان القياس يبيح ذلك ، ثم جاء السماع به كان ذلك تأكيدا لصحة دخول (ال) عليهما ، ولو لم يرد سماع فلا يلزم من عدمه عدم الاطراد مع وجود القياس ، ولا يجوز أن يقال بالشذوذ فيما وجد له وجه من القياس .

هذا وقد سبق أن ذكرت أن سيبويه والأخفش ، ثم ابن جنى قد أدخلوا الألف واللام على كل وبعض في كتبهم ، ولا يخفى على امثالهم خطورة ذلك .[١٤]

لهذا أرى صحة دخول الألف واللام على كل وبعض ، قياسا وسماعا ، وليست (أل) هذه للتعريف كما يتوهم ، بل عوض من المضاف اليه المحذوف ، والتعويضُ (بال) عن المضاف اليه مذهبُ الكوفيين ، وجرى عليه المفسرون في قوله تعالى : ﴿ فان الجنة هي المأوى ﴾ [سورة النازعات ، الآية : ٤١] أي مأواه ، وقوله تعالى : ﴿ نُجبْ دعوتك ونتبع الرسل ﴾ [سورة ابراهيم ، الآية : ٤٤] : أي رسلك ، قال ابن مالك : وعليه يحمل قوله تعالى : ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ [سورة ص ، الآية : ٥٠] أي : أبوابها[١٥] فأل في الآيات الثلاث دخلت تعويضا لا تعريفا .

وحيث ورد التعويض بأل من المضاف اليه في كلام الله وكلام

(١٤) انظر استعمالات ابن جني في الخصائص : ٣٣٤/٣ .

(١٥) انظر البرهان للزركشي ٣٨/٤ ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي/١٢٤ ، تهميشة/٢ ، ١٢٨ ، ١٣٢ .

العرب فان ذلك يؤيد بل ويؤكد صحة دخول (أل) العوضية على بعض وكل رغم توقف بعض النحاة في ذلك ، كما ذهب الى هذا الذي بدا لي الامام اللغوّي أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي (١١١٠ ـ ١١٧٠) شيخ السيد مُرْتَضَى الزبيديّ صاحب تاج العروس ، قال الأزهريّ : النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل ، وان أباه الأصمعي ، قال الزبيديّ : قال شيخنا : أي بناء على أنها عوض عن المضاف اليه .[١٦]

وبما تقدم يتبين لنا الآتي :

أ ـ ان كلا وبعضا اذا قطعتا عن الاضافة لحقهما التنوين عوضا عن المضاف اليه المحذوف نحو قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣] أي على بعضهم ، فحذف المضاف اليه وعوض عنه التنوين ، ونحو قوله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ... ﴾ [سورة الاسراء ، الآية ٨٤] أي قل كل انسانٍ ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ... ﴾ [سورة الاسراء ، الآية : ١٣] فحذف المضاف اليه من الآية الاولى ، وعوض منه التنوين .

ب ـ اذا دخلت (أل) على بعض وكل حذف المضاف اليه لأنها عوض منه ، وهم لايجمعون بين العوض والمعوض منه فنحو : البعض حضر : أي بعضهم حضر ، ونحو :الكل قائم أو قائمون : أي كلهم قائم أو قائمون ، فحذف المضاف اليه ، وعوض عنه بـ (أل) . فأل تقابل التنوين في الاستعاضة بها عن المضاف إليه المحذوف .

وبعد : فهذه هي لغتنا الخالدة ، يبلى الزمان وهي متجددة ، وتكل

(١٦) انظر تاج العروس للزبيدي : ٨/٥ .

الألباب وهي فتيّة ، وتتحات الأفهام وهي كالطود راسخة شامخة لا يمسها سوء ، وعلينا أن نتفانى في إحيائها بالبحث وأن نفيَها حقَّها بالدرس ، فلقد شرفنا الله بها حيث أنزل بها وحيه ، وأشغل بها عباده من حيث كانت الى أن تقوم الساعة ، والحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة ـ جامعة أم القرى **عبد الرحمن محمد اسماعيل**

نجم الدين التفليسي

شاعر صوفي من القرن السابع الهجري

الدكتور كوتشا جعفريدزه

نادرا ما نجد في المصادر العربية المكتوبة في القرون الوسطى أسماء تحمل نسبة التفليسي ، ولكنها مع ذلك موجودة . من بين هذه الاسماء الطبيب المداوي لسيف الدولة الحمداني (٣٢٣ ـ ٣٥٤ هـ) عيسى الرقي التفليسي[١] وشارح المتنبي وهو الاديب الحسن بن بندار ابو محمد التفليسي[٢] والعالم الكبير حبيش التفليسي[٣] وغيرهم .

● الدكتور كوتشا جعفريدزه كاتب المقال هو مدير المركز الثقافي السوفييتي بدمشق . وهو متخرج في كلية الاستشراق بجامعة تفليس (بفتح التاء وبكسرها) أو تبيليسي كا تدعى اليوم . وقد عمل سابقا في معهد الاستشراق بتبيليسي . والمعهد غير الكلية اذ المعهد تابع لاكاديمية العلوم الجورجية . واختصاص الدكتور ـ الى جانب استعرابه ـ بالنقود الاسلامية القديمة . ومع ذلك اهتم بالعلاقات الجورجية العربية إبّان القرون الوسطى في المجالات الاقتصادية والسياسية .

وفي اثناء اقامته بدمشق مديراً للمركز الثقافي شرع يُعْنى بالعلماء والادباء المسلمين الذين خرجوا من تفليس ونسبوا اليها . وبينهم من قدم بلاد الشام . ومن هؤلاء الصوفي نجم الدين التفليسي ـ وما أجمل أن يحب المرء بلده ويعنى بتاريخها وشؤونها ـ والذي يطالع المختارات الشعرية القليلة التي وردت منثورة في بعض الكتب الادبية منسوبة الى نجم الدين لا بد ان يعجب ببلاغته وأدبه وحسن بيانه المصقول في ذلك العصر .

ونحن تنشر مقال الدكتور وما نقله من شعر نجم الدين الصوفي عن الكتب المحققة نقلاً دقيقاً وأميناً . ولكن نشير في الهامش الى ما نراه من تصحيح .

عبد الكريم اليافي

ان نسبة التفليسي تشير الى صلة ما بين حامل هذه النسبة وبين تبيليسي (تفليس بالعربية) عاصمة جورجيا السوفييتية التي كان يسميها العرب في القرون الوسطى جُرْزان أو بلاد الكُرْج .

وقد فتح تبيليسي وجرزان القائد العربي المعروف حبيب بن مسلمة في عهد الخليفة عثمان بن عفان . وفي ثلاثينيات القرن الثامن الميلادي أصبحت تبيليسي مركزا للامارة العربية . وفي القرنين التاسع والعاشر الميلاديين غدت هذه المدينة احدى أكبر مدن ما وراء القفقاس ، وقد كانت متصلة بواسطة طرق تجارية جيدة مع مختلف مدن الشرق الاوسط وكانت لها دار الضرب الخاصة حيث كانت تضرب الدراهم ، كما اشتهرت بحاماتها الكبريتية ، التي لا تزال تعمل حتى يومنا هذا .

وقد اصبح امراء تبيليسي منذ بداية القرن التاسع الميلادي ينتهجون سياسة مستقلة عن الخلفاء العباسيين وهذا ما كلف احدهم وهو اسحق بن اسماعيل حياته فقد وقع في الأسر بعد أن خسر معركة ضد احد قادة الخلافة وهو بغا الكبير ثم اعدم سنة ٨٥٢ م ، وقدم رأسه للخليفة المتوكل . وقد كتب شاعر البلاط علي بن الجهم قصيدة بهذه المناسبة حصل لقاءها على جائزة من امير المؤمنين بلغت ٣٠ ألف درهم[٤] .

منذ بداية القرن العاشر الميلادي بدأ يحكم تبيليسي امراء عرب من بني جعفر استمر حكمهم حوالي القرنين . كانت تبيليسي تعتبر اذ ذاك مركزا سياسيا واقتصاديا وثغرا للاسلام . في عام ١١٢٢ م احتل الملك الجورجي داود الرابع تبيليسي وجعلها عاصمة لمملكته الجورجية الموحدة . واستمر المسلمون بعد ذلك يعيشون في تبيليسي الى جانب المسيحيين . وقد قدم لهم الملوك الجورجيون الحماية فلم يكونوا يشعرون بشيء من الحرج

والضيق . ويتحدث عن هذا بوضوح ابن الأزرق الفارقي[٥] .

خرج من تبيليسي الكثير من مشايخ الاسلام والفقهاء والعلماء والتجار والحرفيين الذين كانوا يتمتعون بحرية التنقل الى العالم الاسلامي اذ ذاك ، وكثيرا ما كانوا يستقرون ويتابعون حياتهم في مختلف مدن الشرق الاوسط .

ان دراسة حياة هؤلاء الناس ونشاطهم لها اهمية كبرى في تاريخ جورجيا . فهي اولا تلقي الضوء على مختلف جوانب تاريخ حضارة المسلمين التبيليسيين وهذا لم يدرس بشكل كاف حتى الآن ، وثانيا تُبَيِّن الروابط الثقافية وغيرها بين تبيليسي وبقية مدن العالم الاسلامي ، ومن بين هذه المدن مدينة دمشق .

يشير ابن عساكر وابن شداد الى بعض المواقع الدمشقية المرتبطة باهالي دمشق المنسوبين الى تفليس . منها مثلا مسجد امين الدين بن سعيد التفليسي وعين التفليسي[٦] . وما بين ١٢٤٥ ـ ١٢٥٩ م كان نائب قاضي قضاة سورية كمال الدين التفليسي المولود في تبيليسي عام ٦٠١ أو ٦٠٢ هجرية (١٢٠٤ ـ ١٢٠٥ ميلادية) ثم هو يشغل في عام ١٢٥٩ م منصب قاضي القضاة[٧] مدة قصيرة .

في هذه المقالة أريد أن أركز الانتباه على أحد الشعراء المنسوبين الى تفليس ، وقد كان ذا علاقة بسورية في مراحل حياته الاخيرة ، وتوفي في ثلاثينيات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في دمشق .

اسمه ثابت بن تاوان بن احمد نجم الدين أبو البقاء التفليسي ، ولم يرد ذكره في دليل الادب لبروكلمان ولا عند خير الدين الزركلي وعمر

كحالة ، الا انه لم يكن قليل الشهرة عند معاصريه . نجد معلومات حول حياة نجم الدين التفليسي ونشاطه لدى شرف الدين الاربلي[٨] المعروف بابن المستوفي (المتوفّى ٦٣٨هـ ـ ١٢٣٩ م) والمنذري[٩] (المتوفّى ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) وأبي شامة[١٠] (المتوفّى ٦٦٥هـ ـ ١٢٦٨م) ومؤلفين متأخرين مثل محمد بن شاكر الكتبي[١١] (المتوفّى ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٢م) وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي[١٢] (المتوفّى ٧٦٤هـ ـ ١٣٦٢م) وأبي المحاسن ابن تغري بردي[١٣] (المتوفّى ٨٧٤هـ ـ ١٤٧٠م) .

لم يؤرخ أحد من هؤلاء ميلاد نجم الدين ، ولكن يمكن وضع هذا التاريخ في أواسط القرن السادس الهجري ، وأعتقد أنه ترك تبيليسي في شبابه المبكر واستوطن بغداد ، حيث حصل على علوم واسعة . وقد كان المؤرخ والمحدث المعروف ابن الجوزي أحد معلميه ، فقد كان نجم الدين يستمع الى دروسه ، ثم صار يحدث عنه .

في شبابه تقرب من الصوفي المعروف في عصره الفقيه والمفسر والواعظ شهاب الدين عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدي[١٤] (٦٣٢هـ ـ ١٢٣٤م) وأصبح من كبار أصحابه . وقد كان السهروردي يثق به الى درجة انه اذن له ان يصلح ما رآه في تصانيفه من الخلل . وبهذا يمكننا اعتبار نجم الدين منقحا لاعمال شهاب الدين السهروردي مثل « عوارف المعارف في بيان طريق القوم » و « جذب القلوب في مواصلة المحبوب » و « بغية البيان في تفسير القرآن » وغيره .

وتشير السير الى انه كان لنجم الدين التفليسي معرفة بالفقه والاصول والعربية والنحو واللغة والاخبار والسلوك ، وله رياضات ومجاهدات ، وكان مليح الكتابة والانشاء .

وقد قوّم الخلفاء العباسيون عاليا معارف نجم الدين التفليسي ووثقوا به كما وثقوا بشهاب الدين السهروردي في المهات الدبلوماسية ، ويعلمنا المنذريّ ومن بعده الصفديُّ والكتبيُّ أن نجم الدين أُرْسِلَ رسولا من ديوان الخليفة الى مصر ، ولكن للاسف لم يذكر تاريخ ارساله في هذه المهمة .

ولقد كتب نجم الدين التفليسي الكثير من المؤلفات وطائفة من القطع والقصائد الشعرية ، كانت معروفة معرفة جيدة بين معاصريه . ويورد شرف الدين الاربلي المؤرخ والشاعر في حديثه عن حياة نجم الدين التفليسي اربعا من تلك القطع الشعرية ، كما ضمن شهاب الدين القوصي(١٥) (المتوفّى ٦٥٣هـ ـ ١٢٥٥م) في كتابه « تاج المعاجم » الذي يتحدث عن رواة الحديث الشريف المعروفين من قبله ضمن كتابه هذا أربع قطع أخرى من شعر نجم الدين . ومن « تاج المعاجم » مع بعض الاختلاف في النص وردت هذه القطع في مؤلفات الصفدي والكتبي .

ويؤكد شرف الدين الاربلي أنه كان لنجم الدين « طبعٌ مُواتٍ في نظم الشعر » ، وقدر الدكتور عبد الكريم اليافي عاليا مقدرة التفليسي الشعرية عندما قرأه . كل هذا شجعني انا المؤرخ غير المختص بالشعر العربي أن أورد ذيلا قطعاً شعرية من نظم نجم الدين التفليسي ، معتمداً على تاريخ إربل لشرف الدين الاربلي والوافي بالوفيات للصفدي وفوات الوفيات للكتبي . أنقلها كما وجدتها في الكتب المحققة .

احدى هذه القصائد كتبها التفليسي على كتاب « قوت القلوب في معاملة المحبوب » وهو يعتبر من أشهر كتب الصوفي أبي طالب المكي (المتوفّى في ٣٨٦هـ ـ ٩٩٦م) . هذه القصيدة قرأها التفليسي على شرف

الدين الاربلي متأخرا في ١٥ ربيع الآخر ٦١٢هـ الموافق ١٣ آب ١٢١٥م .

(المتقارب)

سقى الله تُرْبَ أبي طـالبِ ... من السَّلسبيل بِمُزْنٍ سكوبِ
وجـازاه بالفضـل أسْنَى الجـزاء ... على حُسْن تأليف « قوت القلوب »
ولقَّــاه نَضْرةَ دار النَّعيم ... وأسكنـه في جـوار الحبيب
كما ضمَّنَ « القـوتَ » سرَّ العلـوم ... وأودعـه كلَّ معنىً عجيب
إشـاراتـهُ من وراء العقـول ... وأسراره من مَطـاوي الغُيـوب
ويكشف للمرء عن نفسـه ... مكانَ الهوى وخَفـايـا العُيـوب
متى خُصَّ عبـدٌ بهـذا الكتـاب ... وفهَّمـه الله فَهْم اللَّبيب
فـلا مسَّـه نَصَبٌ بعـده ... ولا مَسَّـه أبـداً من لُغـوب[١٦]

☆ ☆ ☆

أمـا القطع التي كتبهـا التفليسي ونقلهـا لنـا بخطوطهما كلٌّ من شرف الدين الاربلي وشهاب الدين القوصي ، فهي التالية :

(مجزوء الرمل)

اعقِلـوا الأخبـار عَقْـلَ (م) ... الرأي لا عَقْـل الرِّوايـهْ
فكثيرٌ مَنْ رواهـا ... وقليـلٌ ذو الرِّعـايـه[١٧]

☆ ☆ ☆

(الكامل)

يـا هـادمـاً منـذ الـولادة عُمْرَه ... مهـلاً فمـا المهـدوم الا زائـلُ
إنَّ الحيـاة حكت بِنـاءً مـائـلاً ... حتَّى متى يبقى البناء المائلُ ؟ !

ها أنت في نَفس السلامة هالكٌ   اذ بتَّ في حال الأمانة راحلُ☆(١٨)

☆ ☆ ☆

(المضارع)

يُشير باللّين قومٌ   وهُمُ☆☆ الشداد الغِلاظُ
لهمْ قلوبٌ نيامٌ   وألْسنٌ أيقاظٌ(١٩)

☆ ☆ ☆

(الرمل)

شرُ مَال حُزتَهُ ذاك الذي   حُزتَ☆☆☆ حدَّ العِلْم في استحْقاقِهِ
اكْتَسَبْتَ الاثْمَ في تَحْصِيلِهِ   وحُرِمْتَ الأَجْرَ في إنْفَاقِهِ(٢٠)

☆ ☆ ☆

(الكامل)

إن شَامَ قَلْبي عنكَ بارقَ سَلْوَةٍ   طفَقَ الغَرَامُ الى هَوَاكَ يحُثُّهُ
أو كَادَ يُبْدي ضُرهُ قال الهوى   لا كَانَ مَنْ يَشْكو الهَوَى وَ يَبُثُّهُ(٢١)

☆ ☆ ☆

(السريع)

اشْتَبَهَتْ في وَقْتِنَا الطّعْمَهْ   لا نعرفُ الحِلَّ من الحُرْمَهْ

☆ الصحيح :اذ انت في حال الامانة ذاهل .

☆☆ الصحيح من دون الواو ليستقيم الوزن أي : هم الشداد الغلاظ .

☆☆☆ الصحيح : جزت بالجيم من جاز يجوز أي تجاوز . وفي البيت جناس التصحيف بين حزته وجزت .

لكِنْ يـــدٌ أقصر من غَيْرهـــا وَلُقْمَـــةٌ أَصْغَرُ من لُقْمَـــة[٢٢]

☆ ☆ ☆

(مجزوء الرمل)

اغْتَنِمْ يــومَــكَ هــذا إنمــا يــومُــكَ ضِيفُ
وَانْتَهِــزْ فُرْصَــةَ عُمْرٍ حــاضِرٍ فــالــوَقْــتُ سَيْفُ
لا تُضَيِّــعْ هَــذِهِ الأَنْـ فَــاسَ فــالتَّضْيِيــعُ حَيْفُ
عــدٌ عَنْ سَــوفَ أو السَّــا عــة أو أيــن وكــيف[٢٣]

☆ ☆ ☆

ارتبطت سنوات حياة نجم الدين التفليسي الاخيرة بسورية كما ذكرنا آنفا ، ويتحدث أبو شامة عن مكانته العالية ويقول : انه كان « كبير المحل » فقد كان إماماً وشيخاً في المدرسة الأسدية المنسوبة الى أسد الدين شيركوه بحلب .

توفي نجم الدين التفليسي في السابع من جمادى الاولى سنة ٦٣١ هـ / ٨ شباط ١٢٣٤ م بدمشق ودفن في مقبرة الصوفيين . ووقف كتبه للخانقاه السميصاتية .

ان المعلومات حول نجم الدين التفليسي وحول مكانة إبداعه الشعري نادرة ، كما نرى ، وذلك لان ديوان اشعاره لم يصلنا ، لذا يصعب علينا الحكم الدقيق على منزلته بين الشعراء .

وأظن أن المصادر الجديدة حول التراث العربي ستسد هذه الثغرة .

التعليقات

(١) ابن ابي اصيبعة ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء . القاهرة ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م ص ١٤٠ .

(٢) القفطي ـ انباه الرواة على انباه النحاة . بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ الجزء الاول القاهرة ـ ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م ، ص ٢٩٠ رقم ١٦٨ .

(٣) عمر رضا كحالة ـ معجم المؤلفين ج ٣ ـ دمشق ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م ، ص ١٨٩ .

(٤) علي بن الجهم ـ ديوان . عني بتحقيقه ونشره وجمع تكلمته خليل مردم بك ـ دمشق ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٧ م ، ص ١٧٤ ـ ١٧٦ .

(٥) انظر القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٢٠٦ .

(٦) ابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ـ المجلدة الثانية ـ القسم الاول ـ خطط بتحقيق صلاح الدين المنجد ـ دمشق ١٩٥٤ ، ص ٧٦ رقم ٢٢٩ .

ابن شداد ـ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ـ تاريخ مدينة دمشق عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان ـ دمشق ١٣٨٥ هـ ١٩٥٦ م ، ص ١٢٤ ، ١٥٧ .

(٧) ابو شامة ـ تراجم الرجال في القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين . القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

ابن طولون ـ قضاة دمشق ـ دمشق ١٩٥٦ ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٨) الاربلي ـ تاريخ اربل ـ حققه وعلق عليه سامي بن السيد خماس الصقار ـ القسم الاول ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ .

(٩) المنذري ـ التكملة لوفيات النقلة ـ المجلد الثالث حققه وعلق عليه الدكتور بشار عوّاد معروف ـ بيروت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

(١٠) ابو شامة ـ تراجم الرجال ... ص ١٦٢ ـ ويذكر المؤلف اسم ابيه « ناوان » .

(١١) الكتبي ـ فوات الوفيات والذيل عليها ـ المجلد الاول تحقيق الدكتور احسان عباس بيروت ١٩٧٣ ص ٢٧٠ .

(١٢) الصفدي ـ كتاب الوافي بالوفيات ـ ج ١٠ تحقيق ج ـ سوبليه وعلي عمارة فيسبادن ١٩٨٠ ، ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠ .

(١٣) ابو المحاسن بن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٢٨٦ . ويذكر المؤلف اسم ابيه « باذان » .

(١٤) انظر عن حياته واعماله ـ معجم المؤلفين لكحالة ـ ج ٧ ، دمشق ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م ، ص ٣١٠ ، وخير الدين الزركلي ـ الاعلام ـ قاموس تراجم الرجال والنساء ج ٥ ، ص ٢٢٣ .

(١٥) انظر حياته واعماله ـ كتاب الوافي بالوفيات ج ٩ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(١٦) انظر الاربلي ـ ص ٢٥٩ .

(١٧) انظر الاربلي ـ ص ٢٥٩ .

(١٨) انظر الاربلي ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(١٩) انظر الاربلي ـ ص ٢٦٠ .

(٢٠) انظر الصفدى ص ٤٦٩٠ ٠ في فوات الوفيات للكتبي (ص ٢٧٠) :
شر المال حزْتَهُ ذاك الذي حُزْتُ ... الخ .

(٢١) انظر الصفدى ص ٢٧٠ ، في فوات الوفيات للكتبي : ان شام طرفي .

(٢٢ ـ ٢٣) انظر الصفدي ص ٤٧٠ ، والكتبي ص ٢٧٠ .

مجمعي افتقدناه

الشاعر محمد العيد آل خليفة

والمهرجان الوطني الشعري الأول والثاني بمدينة

بسكرة / الجزائر

الدكتور نسيب نشاوي

في السابع من رمضان عام 1399هـ / 31 - 7 - 1979 م توفي بمستشفى باتنة بالجزائر المجاهد الوطني والعالم المجمعي الشاعر محمد العيد آل خليفة ودفن بمدينة بسكرة ، ففقد مجمع اللغة العربية بدمشق بوفاته رجلا عزيزا وعلما متميزا من أعلام الفكر والاصلاح والوطنية كان له دور بارز في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ، وارتبط اسمه بالنهضة الاصلاحية وحركة الانبعاث الفكري والتحرري والديني والدعوة الى اللغة العربية بالجزائر ، وقد انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق منذ عام 1972 م .

ولد الشاعر محمد العيد بمدينة عين البيضاء في 27 جمادى الأولى عام 1322 هـ / 28 آب 1904 م ، في أسرة محافظة تنتسب الى الطريقة التيجانية ، ونشأ في جو ديني ، فحفظ القرآن الكريم وتلقى دروسه الأولى في مدرسة عين البيضاء التي أسست عام 1912 م أو بعده وهي ثاني مدرسة في البلاد الجزائرية بعد مدرسة (تبسّة) . وانتقل مع أسرته الى مدينة (بسكرة) 1918 م حيث حضر دروسا علمية في اللغة والنحو

●آثر الكاتب في مقالته رسم الأرقام الغبارية .

والفقه مدة سنتين على الشيخ علي بن ابراهيم العقبي خريج الزيتونة ، وانتقل محمد العيد الى تونس عام 1921 م حيث تتلمذ سنتين بجامع الزيتونة ، وعكف على كتب التراث فنهل من الأمالي للقالي والعقد الفريد لابن عبد ربه ... وقرأ شعر شوقي وحافظ ابراهيم .. ولما عاقه المرض رجع الى بسكرة وظل ملازما للمطالعة والتحصيل والدرس مع أنه عانى من هذا المرض الذي لازمه طوال حياته ، ومن الأزمات النفسية بسبب أذى المستعمر المحتل[1] .

وفي عام 1927 م دعي إلى العاصمة (الجزائر) للعمل في مدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة حيث بقي مدرساً بها ومديراً لها اثني عشر عاماً يعلي شأن اللغة العربية ويقاوم الفرنسة .

وأسهم في هذه المرحلة في تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » التي انتظم عقدها في السابع عشر من شهر ذي الحجة 1349 هـ / 5 ـ 5 ـ 1931 م برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس[2] وبارك ولادتها بقصيدته المشهورة « تحية العلماء » التي ألقاها في الاجتماع التأسيسي الأول للجمعية بنادي الترقي بالعاصمة الجزائرية[3] ومنها قوله :

طلعتم علينا كالكواكب في الدجى ... وسرتم الينا كالسحائب في الجدب
على صدرها عقد تألّق مثلما ... تألّق هذا الحفل بالسادة النجب
وإنا لشعب يعلم الله أنه ... كريم حصيف الرأي مرتفع الكعب
سليل جدود نابهين أعزَّةٍ ... مغاور شوس كالضراغمة الغلب
أعيدوا على الإسلام هديَ محمدٍ ... بما كان يمليه على الآل والصحب[4]

وكان محمد العيد شاعرها مع كبار الشعراء الذين يمثلون الرعيل الأول للنهضة العربية في الجزائر ومنهم أحمد سحنون وعبد الكريم العقون

والأمين العمودي والسعيد الزاهري ومفدي زكريا ... وانهمرت مع ظهورهم دعوات الحرية والاستقلال والعلم والدين وتعمقت هذه الظاهرة الوطنية التي قادتها جمعية العلماء وأدباؤها فيما بعد في الشعر الذي شايع الثورة الجزائرية وناصرها وواكبها .

ونشر محمد العيد كثيرا من قصائده في صحف الجمعية كصحيفة « البصائر » التي التزمت بنشر الانتاج الأدبي العربي الفصيح ونموذجاته الراقية ، و « السنة » ، و « الشريعة » ، و « الصراط » ... كما نشر في صحيفتي « المرصاد » و « الثبات » لصاحبهما محمد عبايسة الأخضري ، وشارك في حركة الوعي الفكري والوطني يعلم ويكتب وينشر الشعر ، ودعا الى الثورة على المستعمر قبل انطلاقها بسبع سنوات وبالضبط سنة 1937 م بقصيدة قال فيها :

فخض ياابن الجزائر في المنايا تظللك البنودُ أو اللحودُ[5]

وأقسم أن يختار مصرعه في سبيل الوطن في قوله :

أقسمتُ لو خيرتني في مصرع ما اخترت الا في سبيلكَ مصرعي[6]

وحمّلت هذه الكلمات الجريئة صاحبها عبئاً ثقيلاً من قبل السلطات الاستعمارية التي كانت تنتهز الفرص لاعتقاله . وبقي محمد العيد يعلّم ويدير مدرسة الشبيبة الاسلامية الحرة الى عام 1939 م .

وفي سنة 1940 م بعد نشوب الحرب العالمية الثانية غادر العاصمة الجزائرية الى بسكرة بأسرته ، ومكث بها ثمانية أشهر ، ثم دعته الجمعية المشرفة على مدرسة (باتنة) فانتقل اليها وأدار مدرستها الحرة (مدرسة التربية والتعليم)[7] سبع سنوات حدثت في أثنائها مأساة (8 أيار / ماي

1945م) المرعبة التي سقط فيها 45 ألف شهيد برصاص المستعمر الفرنسي في مدينة سطيف وقالمة وخراطة ، وعُطلت الصحف وسيق قادة الوطنية الى السجون ، وأعلنت حالة الطوارىء .. فأصيب الشعر بذهول تام مدة ثلاث سنوات ثم إنفجر كالبركان ، وأول صدى شعري لهذه المناسبة كان على لسان محمد العيد اذ قال :

أأكتمُ وجدي أو أُهدِّىء إحساسي ... و (ثامن ماي) جرحُه ما له آسي
فيالك من خطب تعذَّر وصفُه ... فلم تَجْرِ أقلامٌ به فوق قرطاس[8]

وغادر مدرسة باتنة بعد عام 1947 م وانتقل الى مدينة « عين مليلة » ليدير مدرسة العرفان الى سنة 1954 م ، وواتاه الشعر بعين مليلة أكثر مما واتاه في مدينة باتنة[9] ، ونشر قصائده في الصحف الجزائرية داعيا الى احياء اللغة العربية حاثا على النهوض والاصلاح الاجتماعي والأخلاقي متابعا نهج المعلم الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي توفي سنة 1940 م .

وبقي يدير مدرسة العرفان الى عام 1954 م اذ انطلقت الثورة الجزائرية الكبرى وكان من المؤهبين لها فصار شاعرها الثاني بعد مفدي زكريا (1913 ـ 1977 م) الذي لقب بحق « شاعر الثورة الجزائرية » ، أما محمد العيد فقد عرف في الأوساط الأدبية بـ « أمير شعراء المغرب العربي » ، وبمشاركته في الثورة الوطنية أغلقت مدرسته وألقي القبض عليه وزجّ به في السجن سنة 1955 م ، ثم أطلق سراحه وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد اطلاق سراحه بمحنة قاسية وفرضت عليه الاقامة الاجبارية بمدينة « بسكرة » فلبث معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة تهدُّ القلب وتجلب الهمّ ، ولكن روحه ظلت أبدا مع هموم الثورة

التحريرية متطلعة الى تباشير اليوم الموعود ، فكان يبثّ شكواه للزائر الوحيد وهو الطائر الذي سماه أبا بشير الذي ألف أن يطلّ عليه كإطلالة الحمامة على سجن أبي فراس الحمداني ... فلا يجد إلا الشعر مفرّجاً للكروب يقول :

جــزمتُ بقرب إطـــلاق الأسير   غــداة سمعت صوت « أبي بشير »
أُنــاجيــه بــآمــالي وحــالي   وأَستفتيـــه عن شعبي الكسير[10]

ومازال كذلك حتى فرّج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال عام 1962 م .

وفي عام 1959 م كانت دراسة الشاعر محمد العيد قد قررت في البرامج الدراسية للجزء الثاني من التحصيل في جامع الزيتونة . وبعد أن افتتحت الجامعات الوطنية الجزائرية قررت مناهج قسم اللغة العربية فيها مادة الأدب الجزائري الحديث فأدرج اسم محمد العيد مع أوائل الشعراء ، كما أقيمت حوله دراسات معمقة بعضها في كتب مفردة ومن أهمها الكتاب الذي أصدره الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله تحت عنوان « محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث » .

وفي مرحلة الاستقلال آوى محمد العيد الى ظل ظليل من الحرية والتكريم الى أن كان عام 1967 م اذ عمل الأستاذ الدكتور أحمد طالب الابراهيمي وكان يتولى وزارة التربية على نشر ديوان محمد العيد ، ففي هذا العام 1967 م نشرت وزارة التربية الوطنية الجزائرية الديوان بمدينة قسنطينة وقدم له الدكتور أحمد طالب الابراهيمي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وقد ضم الديوان معظم شعره ، وأعيد طبعه عام 1979 م وهو العام الذي توفي فيه رحمه الله . وله مسرحية شعرية بعنوان « بلال » .

المهرجان الشعري الأول

بمدينة بسكرة من 25 الى 28 مارس 1982 م

أما الدولة الجزائرية فكرمت فقيد دوحة الأدب والوطنية الشاعر محمد العيد ومن مظاهر هذا التكريم المهرجانات الدورية التي صارت تقام له بمدينة (بسكرة) بعد وفاته ، ففي عام 1982 م (من 25 الى 28 مارس / آذار) نظم اتحاد الكتاب الجزائريين المهرجان الشعري الأول الذي ألقيت فيه محاضرات شارك فيها أعلام الأدب والنقد بالجزائر نذكر منها محاضرة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي بعنوان « مفهوم الثورة والتحرر عند محمد العيد » ، ومحاضرة الأديب عبد الرحمن بن العقون الذي جمعته الأقدار بمحمد العيد بسجن الكدية بقسنطينة سنة 1955 م ومن قوله فيها :

« وكفاه شهادةُ أمير البيان شكيب أرسلان اذ يقول : كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك عليّ مشاعري وأقول : إن كان في هذا العصر شاعر يصحّ أن يمثل البهاء زهيراً في سلاسة نظمه وخفة روحه ودقة شعوره فيكون محمد العيد ، وشهادة رائد الأدباء ورئيس العلماء الشيخ محمد البشير الابراهيمي اذ يقول : الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر ، بل شاعر الشمال الافريقي بلا منازع » .

ثم سرد بعد ذلك ذكريات السجن والمحاكمة والشعر .

ومحاضرة الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي : « لوازم الحداثة والمعاصرة للقصيدة العمودية » .

ومحاضرة الأستاذ محمد الطاهر فضلاء : « محمد العيد آل خليفة معلما

ورائداً » وقد احتوت ترجمة دقيقة لحياة الشاعر وألمح فيها الى ظروف طبع الديوان .

المهرجان الشعري الثاني

بمدينة بسكرة من 23 الى 26 مارس 1983 م

وفي ربيع عام 1983 م نظم المجلس الاداري لاتحاد الكتاب الجزائريين (المهرجان الوطني الشعري الثاني لمحمد العيد آل خليفة) الذي انعقد بمدينة بسكرة بدءاً من 23 الى 26 مارس / آذار 1983 م . ألقيت فيه عدة محاضرات ونحو خمسين قصيدة شعرية ، ثلاثون منها تجري على الأوزان المستحدثة ، وكان عدد الشعراء الذين شاركوا في المهرجان يتجاوز الثلاثين ، منهم الشيوخ الذين حنكتهم التجربة الفنية في ميدان القريض ومنهم الشبان الذين مازالوا يعالجون اللفظة الشعرية ويهومون في ساحة المحاولات الفنية والمعنوية .

ومن المحاضرات القيمة التي ألقيت :

ـ محاضرة العلامة الجزائري الأستاذ موسى أحمد نويوات صديق الشاعر وعنوانها :

« بعض جوانب الشيخ محمد العيد آل خليفة ـ العالم والمعلم في خدمة الوطن » وتحدث فيها عن أدب الفقيد وأنه كان يردد اسم الله في غضون كل قصيدة ويشيد بفضل العلم والتعليم والأصالة والوطنية والدين .. ثم انتقل الى دراسة فريدة في علم العروض تتعلق بالأوزان عند محمد العيد فقال :

« لقد طرق محمد العيد في شعره جميع البحور الشعرية الستة عشر

وبعض أضرابها ، ما عدا ثلاثة منها هي : المنسرح والمضارع والمقتضب . وقد أنشد قصيدة على تفعيلة واحدة من البحر الكامل تحت عنوان : « دمعة على القمر الخاسف » .. وهي تشتمل على سبعة وأربعين جزءاً ، وقد أتى ببعض أبياتها مذالا ، ولم يأت شعر على تفعيلة واحدة من تفاعيل الكامل لا في شعر العرب ولا في شعر المولّدين ، وانما الذي جاء في شعر المولدين كان من تفعيلة « الرجز » (مستفعلن) لا من تفعيلة الكامل .. ويستعمل محمد العيد في قصائده التقفية أكثر من التصريع وتارة لايستعملها بتاتاً ، وشعره خال من الزحاف المزدوج ـ المركب ـ لأنه مجتوى مستكره ، كما أنه لا يستعمل الوقص في تفعيلة الكامل ولا العقل في جزء الوافر ولا القبض والكف في الجزء السباعي من الطويل وان كان زحافا مفردا جائزا دخوله على هذه الأبحر لكنه قبيح مستكره يمجه الذوق السليم ، لذلك لانجده في شعر الفحول من الشعراء المطبوعين .. والمتتبع لقصائد محمد العيد التي هي من البسيط لا يجد مستفعلن الواقعة في حشوي الصدر والعجز . ولا ينسى .. أن يترك مستفعلن ذات الوتد المفروق في الخفيف غير مخبونة بل يخبنها لأن سلامتها من الخبن يحس السامع بها كأن البيت مختل الوزن » .

ـ **محاضرة الأستاذ الشيخ حمزة بوكرشة وعنوانها :** « خمسون سنة مع محمد العيد » قال فيها :

« عرفت محمد العيد أول ما عرفته ببسكرة في حلقة دروس الشيخ علي بن ابراهيم العقبي رحمه الله بالزاوية القادرية .. وتلامذته على طبقتين ، فالطبقة الأولى وكنت منهم تتلقى دروساً أولية في مقدمة ابن أجروم ومختصر الأخضري ، والطبقة الثانية تتلقى دروساً في قَطْر الندى

والرحبية ورسالة ابن أبي زيد وكان محمد العيد منهم .. وتوفي الشيخ علي بن ابراهيم فاجتمعنا على دروس الشيخ المختار بن عمر البعلاوي بجامع القايد ببسكرة ، وما زلت أذكر من الفنون التي قرأناها على الشيخ مختار .. الحساب والفرائض بكتاب الدرة البيضاء ، وعلم الفلك بنظم السوسي المسمى بـ « المقنع في علم أبي مقرع » .

ثم ذكر أن محمد العيد حين دعي الى التعليم بمدرسة الشبيبة بالجزائر عام 1927 م « كان يقضي شهر الراحة من السنة الدراسية ببسكرة النخيل وهذه البلدة محببة لديه ، وأنه اعتزل الناس بعد الاستقلال . ولست أدري هل كان ذلك اجتنابا للقيل والقال . أو أن نزعته الصوفية استولت عليه .. فاعتكف في بيته مرددا قوله :

سلا القلب عن حب العباد وبغضهم وأصبح بيتاً للذي حرم البيتا

الى أن لقي ربه » .

ومن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في المهرجان : الشاعر عمر البرناوي وعبد الله عيسى الحيلح ومحمد بن رقطان ومن قوله في رثاء محمد العيد :

يا أيها التاريخ سجل فضله وأقِمْ له في الخالدين مكانا
بالأمس كان يرى الحياة تحدياً ويرى التحدي في الوجود أمانا
واخيبتي رحل الشروق ونحن في دنيا الضياع نغالب الطوفانا

والشاعر موسى الأحمدي نويوات وأحمد هويس والطاهر بوشوشي وعبد الحميد زقزوق ، وعز الدين ميهوبي وزهير الزاهري ومحمد بوزيدي الذي اقتفى رسم ابن سينا في عينيته ، ومن الشعراء الشبان الذين أنشدوا على

الأوزان المستحدثة الشاعر عبد الحميد شكيل . أما الشاعر محمد الأخضر السائحي فقد ختم المهرجان بقصيدة قال فيها :

أبا الشعر عاف الشعرَ بعدكَ قائلُهْ ... وولَّت ليـاليـه وولَّت أصـائلُـهْ
ذوى روضُه الزاهي وقد كان نـاضرا ... ترفُّ عليـه بـالظـلال خمـائلُـه
وقد صار من لا يعرف الشعرَ شاعراً ... وغنَّى بـه بين المحـافـل جـاهلُـه
وما حـاول الإبـداع بعـدك واحـد ... بشعر ولا نـال الرضى من يحـاولـه
أبا الشعر هذا الشعر في مهرجـانـه ... يغنيك فاسمع كيف تشـدو بلابلـه
فمن راسف في قيـده متحفِّـظ ... ومن هـاتف حرّ تهـاوت سـلاسلُهْ

وكان بين الوفود شعراء من سورية منهم هند هارون وسعيد قندقجي وأحمد دوغان .

تلك جذوة من أنوار ذلك المهرجان الكبير الذي أقيم بالجزائر تكريما للشاعر المجمعي العالم والمعلم . وأحب أن أنوّه بأنه في أثناء انعقاد المؤتمر كانت الصحافة الجزائرية تنشر دراسات نقدية لبعض الأدباء الجزائريين حول هذا المهرجان ، ومما نشر آنذاك المقال النقدي المطول الحواري الذي نشرته صحيفة النصر بقسنطينة على مدى خمسة أيام متوالية للأديبين الجزائريين أحمد شريبط وعبد الحميد شكيل ، ودار حول الامارة الشعرية للشاعر محمد العيد آل خليفة[11] .

نسيب نشاوي

الحواشي والتعليقات

(1) محمد الأخضر السائحي : مفهوم الثورة والتحرر عند محمد العيد ـ محاضرة ألقاها في المهرجان الشعري الأول لمحمد العيد ببسكرة 27 مارس 1982 م

(2) أحسن رايس : شعر جمعية العلماء ـ رسالة جامعية ـ جامعة عنابة ـ 1983 م ـ ص 10 .

(3) اسماعيل بن اصفية : من قضايا الشعر الجزائري الحديث ، الدين والوطن ـ رسالة جامعية ـ جامعة عنابة 1983 م ـ ص 33 .

(4) ديوان محمد العيد آل خليفة (الطبعة الثانية) ـ الجزائر 1979 م ـ (ط 1) ـ ص 247 ـ 248 .

(5) ديوان محمد العيد آل خليفة ـ نشر وزارة التربية الوطنية ـ قسنطينة 1967 م ـ ص 304 .

(6) المصدر نفسه ـ ص 144 .

(7) الشعر الجزائري المعاصر (نماذج وتراجم) ـ نشر مجلة آمال ـ طبع الشركة الوطنية بالجزائر 1982 م ـ 1 / 52 .

(8) ديوان العيد ـ ط 1 ـ ص 326 ، ودراسات في الشعر الجزائري الحديث للدكتور عبد الله الركيبي ـ ص 35 .

(9) محمد الأخضر السائحي ـ ص 5 .

(10) ديوان العيد ـ 27 ـ ص 422 ـ 424 .

(11) صحيفة النصر ـ الأربعاء 23 مارس 1983 م والأيام التالية له ، إذ نشر المقال على خمس حلقات وكان على شكل حوار نقدي بين الأديبين شريبط وشكيل . ونظمه ونسقه الكاتب الصحفي سمير رايس .

التعريف والنقد

هنري برغسون : « التطور المبدع »

ـ ترجمة الدكتور جميل صليبا ـ

المطبعة الشرقية بيروت ـ ١٩٨١

الدكتور محمد كامل عياد

كانت اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع الانسانية (اللجنة الدولية سابقاً) ، المتفرعة عن منظمة (الاونسكو) قد كلفت زميلنا الدكتور جميل صليبا بترجمة كتاب « التطور المبدع » للفيلسوف الفرنسي المشهور (هنري برغسون) . بعد أن ترجم كتاب « مقالة الطريقة » لديكارت الذي سبق أن نشرته هذه اللجنة سنة ١٩٥٣ ضمن مجموعة (الروائع) .

وقد أتم الدكتور جميل صليبا ترجمة « التطور المبدع » وسلمه الى اللجنة في العام ١٩٧٢ ولكن الظروف المضطربة في لبنان أدت الى تأخير طبع الكتاب ، فسنحت الفرصة للمترجم أن يعيد النظر في عمله قبل بضعة أشهر من وفاته في تشرين الأول سنة ١٩٧٦ وبذلك استطاع أن يزداد اتقاناً في ضبط المعنى وسلامة الأداء .

ليس من حاجة الى التنويه بمآثر المرحوم الدكتور جميل صليبا والإشادة بنشاطه وأعماله في عالم الفكر والبحث ومختلف ميادين التربية والتعليم والتأليف والنشر لاسيما في موضوع تخصصه بالفلسفة العامة والفلسفة العربية ـ الاسلامية . فإن مؤلفاته الكثيرة مثل كتب (علم النفس) و (المنطق) و (الدراسات الفلسفية) و (من افلاطون الى ابن

سينا) و (تاريخ الفلسفة العربية) كلها تشهد على سعة اطلاعه وتعمقه في هذه الموضوعات ، ثم على مقدرته في نقل المعارف والآراء والنظريات الحديثة من اللغات الاوروبية الى اللغة العربية وعرضها باسلوب واضح وكلمات سهلة مع المحافظة على صحة المعنى والأناقة في المبنى . وقد أثبت الدكتور جميل صليبا في كتابه الكبير (المعجم الفلسفي) معرفته الدقيقة للمصطلحات الفلسفية ومهارته في تمييز مدلولاتها والمقارنة والتقريب بين التعابير الحديثة والتعابير العربية القديمة .

ان هذا كله يتجلى أيضاً في ترجمته لكتاب (برغسون) عن (التطور المبدع) ، الأمر الذي دفع اللجنة اللبنانية الى الإعراب عن اطمئنانها الى بلوغ هذه الترجمة درجة الكمال .

ولا بد هنا من الاشارة الى أن فلسفة (برغسون) [١٨٥٩ ـ ١٩٤١] قد احتلت مكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة منذ مطلع القرن العشرين . ولاشك في أن كتاب (التطور المبدع) الذي نشره في العام (١٩٠٧) قد أثار اهتماماً كبيراً لم يقتصر على المتخصصين بالفلسفة ، بل شمل جمهور المثقفين ، وأحدث أثراً بليغاً لدى الكثيرين من رجال الفكر ، وسرعان ما ترجم الى مختلف اللغات فنال صاحبه شهرة واسعة وأخذ طلاب المعرفة يتزاحمون على الاستماع الى محاضراته في المعهد الفرنسي (كوليج دو فرانس) التي كان يحضرها أيضاً الكثيرات من سيدات المجتمع . ومن الشواهد على مدى تأثير (برغسون) في سائر أنحاء العالم اذ ذاك الرسالةُ المفتوحةُ التي بعث بها اليه في سنة (١٩١٧) الفيلسوف الياباني (كانيدو) ، عميد كلية الآداب في جامعة (فازدا) يصف فيها حماسة الطلاب لدراسة فلسفته قائلاً ان شبان الشرق الأقصى يستمعون بشغف الى الموسيقى السحرية ، العميقة المنبثقة من (باريس)

وهم يسعون الى اجتلاء مبادىء السلوك في فلسفة معلمهم (برغسون) .

وقد ظل (برغسون) مدة طويلة يهيء الأسباب لتكوين نظريته في الاخلاق فلم يستطع الانتهاء منها الا في سنة (١٩٣٢) اذ نشر كتابه (منبعا الاخلاق والدين) الذي نال شهرة كبيرة . وبذلك تكاملت فلسفة (برغسون) التي كان بدأ بوضع أسسها في مؤلفاته المتتالية مثل : (رسالة في معطيات الشعور المباشرة) سنة (١٨٨٩) وكتاب (المادة والذاكرة) سنة (١٨٩٧) ثم كتاب (التطور المبدع) ، فكتاب (الطاقة الروحية) (١٩١٩) .

ومما يسترعي النظر العناية الكبيرة التي حظيت بها فلسفة (برغسون) في الوطن العربي خلال الثلاثينيات والاربعينيات . فقد انبهر الطلاب العرب الذي درسوا في فرنسا بآراء هذا الفيلسوف الذي بلغ اذ ذاك أوج الشهرة بعد أن نال في سنة ١٩٢٧ جائزة (نوبل) في الآداب . وبسرعة ترجمت مؤلفاته كلها الى اللغة العربية وقام الاستاذ بديع الكسم بتلخيص كتاب (التطور الخالق) فنشره مع تقديم له ثم ظهرت ترجمته الكاملة للأستاذ (محمود قاسم) ـ القاهرة ١٩٦١ ـ .

ان هذا الكتاب الذي نقله الدكتور جميل صليبا مجدداً بعنوان (التطور المبدع) جدير بأن يصنف ضمن مجموعة (الروائع الانسانية) التي تعمل منظمة (الاونسكو) على نشرها بين كل الشعوب . فهو يمتاز بأسلوب في غاية الجمال ينم عن عبقرية فنية، ويسحر القارىء بتعابيره المبتكرة وتشبيهاته البديعة وتصاويره الخلابة واستعاراته الطريفة .

لقد تطرق (برغسون) في كتابه هذا الى مسائل علمية وفلسفية هامة وجاء بآراء ومبادىء جديدة تدل على عمق التفكير ودقة التحليل

مثل مباحثه في الذاكرة وعلاقة العقل بالعمل ومفهوم الزمان والمكان و(الديمومة) وطبيعة الغريزة والحدس . والباحثون يعترفون له بالسبق في انتقاد النظريات الفلسفية التي كانت سائدة في أواخر القرن التاسع عشر وبالكشف ، على الاخص ، عن الصعاب والنقائص في فلسفة (كانط) وأتباعه ثم في نظرية (هربرت سبنسر) التطورية .

يعتبر (برغسون) بحق أبرز ممثل للتيارات الفكرية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين والتي كانت تعارض المذاهب المادية المستندة الى العلوم الوضعية من رياضيات وكيمياء وفيزياء وميكانيك وأحياء . فإن هذه العلوم التي ازدهرت في القرن التاسع عشر ، لم تكن تستهدف سوى التقدم الصناعي . وقد اقتصرت على دراسة طبيعة المادة واكتشاف العلاقات بين الموجودات وتحليل عناصرها وتركيبها ومعرفة القوانين الكلية التي تربط بعضها بالآخر . الا انها عجزت عن النفوذ الى حقيقة الكون وجوهر الأشياء فوقفت عند تفسير ظواهر الطبيعة ونشأة الكائنات الحية ونموها تفسيراً آلياً بالاستناد الى مبادىء السببية والحتمية المادية .

وقد اعترف (كانط) وأتباعه (الانتقاديون) بعجز المنطق والمحاكمة العقلية و العلوم عن حل المسائل الفلسفية الكبرى مثل خلود الروح وحرية الارادة ووجود الله ، كما ان نظرية (سبنسر) التطورية التي أعجب بها (برغسون) في أول نشأته قد أخفقت أيضاً في الكشف عن منشأ الحياة وسر وجودها ونموها وفي النفوذ الى الحقيقة الكامنة وراء الأشياء فلم تجد بداً من القول بأنه لاسبيل الى معرفة (المجهول) الا عن طريق العقيدة الدينية .

ان (برغسون) أيضاً قد سعى ، جرياً مع التيارات السائدة في عصره ، الى التوفيق بين الدين والفلسفة وحاول أن يمهد السبيل الى العقيدة الدينية بتحديد نطاق المعرفة العقلية وبالرجوع الى العاطفة والحدس .

انطلق (برغسون) من (معطيات الشعور المباشرة) فلاحظ ان هناك اختلافاً كبيراً بين مفهوم الزمن المجرد كما يتصوره العقل كجزء من المكان ، وبين الشعور الباطني بالزمن الراهن الذي نسميه (الديمومة) والذي لايمكن قياسه كمياً . ألا نجتاز أحياناً حالات من السأم والملل تبدو كأنها دهر طويل في حين تمر بنا ساعات العمل أو السعادة كأنها لحظة خاطفة ؟

وقد ذهب (برغسون) الى أن العقل ، بطبيعته ، اداة تحليل وتركيب وأن وظيفته الأساسية هي السيطرة على المادة واستخدامها و (صنع الآلة) وبذلك كان له فضل كبير في تقدم الحضارة . ولكن هذا العقل يقتصر ، في رأي (برغسون) على كشف الظاهر دون الباطن . ويدعي (برغسون) أن الباطن عبارة عن (ديمومة) داخلية تختلف عن الزمن العلمي ـ الميكانيكي . وهو يصف هذه الديمومة بأنها انبجاس باطني متدفق وسائل ينساب في شعور كل فرد دون انقطاع . ثم يقول : « الحياة حركة دائمة وتحول مستمر وجريان لاينقطع . إن المحاكمة العقلية تعجز عن النفوذ الى ما وراء هذه الحركة ، إنما نستطيع الشعور بتيار الحياة واندفاعها وتطورها المبدع عن طريق (الحدس) . »

هذا الحدس الذي ترتكز عليه فلسفة برغسون في مجملها قوة غريزية . إنه ادراك مباشر ، شامل يتناول الحركة الدائمة في مجرى الحياة

وينفذ الى أعماق كيان الانسان وبذلك يتجاوز مجال الفهم المجرد ويتعدى الطريقة الآلية في تفسير تراكم الذكريات . ويدعي (برغسون) اننا بالحدس وحده ندرك وثبة الحياة وديمومتها واندفاعها المبدع .

إن الباحثين الذين تعرضوا الى فلسفة (برغسون) وأشادوا بمزاياها وأهميتها وتأثيرها قد لاحظوا أيضاً مبالغتها في تقويم (الحدس) واعتباره قوة متميزة ، قادرة وحدها على استيعاب حركة الحياة واندفاعها . ويشير هؤلاء النقاد الى أن الغريزة والحدس والذكاء والعقل والمعرفة كلها حلقات في تطور الشعور تتفق في الجوهر وإنما تختلف في الدرجة . وليس هناك من دليل يجعلنا نرفع (الحدس) فوق العقل . وفي كل الأحوال فإن الحكم الأخير يعود الى العقل . ألا نرى (برغسون) نفسه يعرف (الحدس) بأنه (غريزة تستضيء بنور العقل) وأنه (رؤية مباشرة للفكر بالفكر .) ؟

محمد كامل عياد

تعليقات

على انتقاد معجم الأخطاء الشائعة

الأستاذ صبحي البصام

قرأت مقالة الأستاذ الفاضل الدكتور ابراهيم السامرائي في هذه المجلة (مج ٥٦ ج ٢) . وكان انتقد فيها على الشيخ اللغوي محمد العدناني أشياء وردت في كتابه « معجم الأخطاء الشائعة » . وأنا ، وإن كنتُ لم أظفر بالكتاب حتى الآن ، لا أرى ذلك عائقاً إياي عن أن أخصّ المقالة المذكورة بما تستحقه من تعليقات ، لكي لا يظن ظان أنّ كلّ تخاريجها حجّة ، وجميع الزاماتها لازمة . فأقول : وجدتُ فيها قدراً من الانتقاد الصائب ، ولكني وقفت منها على قدر من أوهام في الرأي ، وهفوات في التعبير .

من الانتقاد الصائب

١ ـ فمن الانتقاد الصائب أن الشيخ العدناني استعمل في مقدّمة كتابه « القرون الوسطى » ، فأباها الدكتور السامرائي (ص ٤٠٣ و ٤٠٤) قائلاً : إنها من مصطلحات التأريخ الأوربي . قلت : وهي ليست بخطأ ، ولكن مما يحسن باللغوي أن يجتنبه . على أن السامرائي نفسه استعمل في مقالته ما ليس بالمسموع ، كقوله : « بلدان الشمال الافريقي » (ص ٤١٠) .

٢ ـ ومما ورد في انتقاد صائب له أنّه أنكر رأي السيوطي في تجويزه أن يُقال « من الآنِ » بكسر النون ، وأخذ برأي الخليل في أنّ « الآنَ »

مبنيّة على الفتح دائماً (ص ٤٠٦) . قلتُ : الذي عندي أنها في الأصل فعل ماض مبني على الفتح من العبارة : « في هذا الوقت الذي آنَ » ، ثم حُذفت العبارة لكثرة استعمالهم إياها ، ولم يبق منها الاّ « الآنَ » بعد إضافة الألف واللام اليها من « الذي » . فقولك « أسافرُ الآنَ » الأصل فيه : أسافر في هذا الوقت الذي آنَ . وقريب من ذلك قولك « دعا به » ، وإنما الأصل فيه : دعا من يأتيه به ، فحذفت « من » و « يأتيه » لكثرة الاستعمال .

٣ ـ ومن انتقاده الصائب (ص ٤٠٨) أنه لم يرتض اقتراح أستاذنا العلاّمة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله في استعمال « المترفين » بدلاً من « الارستقراطيين » ولكنه لم يقترح كلمة تحل محلّها . إنّ المترفين وهي بمعنى الذين يعيشون عيشة ترفّه وتنعّم اذْ تصحّ في ذوي الرياسة والثراء قد تصح أحياناً في متوسطي الحال . ثم إنّ عيشتهم هذه قد تستحيل الى ضدها . يُضاف الى ذلك أن المترفين لم يرد ذكرهم في القرآن الاّ في حال الذم ، كقوله تعالى : ﴿ حتى اذا أخذنا مترفيهم في العذاب اذا هم يجأرون ﴾ (المؤمنون/٦٤) .

لذلك أجد في « المترف » بعداً من « الارستقراطي » . والرأي أن يستعمل عوضاً منها « الشريف » ، وهو من عُرف بكرم النسب وعلوّ المنزلة . وقد سبقني الى ذلك العلامة ايدوارد وليام لِين في معجمه « مدّ القاموس » المطبوع سنة ١٨٧٢ اذ فسّر الشريف نسباً بـ Aristocrat ، ونحو ذلك فعل العلامة جرجس يِرسي باجر في معجمه « الذخيرة العلمية » المطبوع سنة ١٨٨١ م اذ فسّر Aristocrat بالعلي الشريف . فإن قيل لا يكاد ذلك يطابق معنى الارستقراطي ، فالجواب : إنما هو اصطلاح لا يشقّ علينا أن نتعوّده كتعوّدنا اصطلاحات كثيرة . ألم نتعوّد

« السيد » التي بمعنى MR المختصرة من Master بحيث نقولها لمن يستحق السيادة ولمن لا يستحقها ؟ ثم إنّ لفظ الارستقراطيّ مما لا يساغ لتألفه من عشرة أحرف .

٤ ـ ومن انتقاده الصائب (ص ٤٢١) تجويزه ضم الشين من شُقّة ، وهي ضرب حديث من المساكن ، والضم لدى العدناني خطأ والصواب الفتح . على أني أرى جواز الكسر والضم معاً ، والعراقيون يستعملونها دون الفتح ، وكثير من فِعل بالكسر في كلام العرب بمعنى مفعول .

وقد جعلتُ التقاطي من انتقاد الدكتور السامرائي الصائب مافيه موضع للتعليق ، عسى أن يكون في ذلك فائدة ، أو تنجم منه عائدة . ومن ينظر في مقالته يجده في مواضع أُخر قد أصاب حقاً ، وأتى رَشَدا .

أوهامه

١ ـ التشويش :

على أني وجدته يقع في أوهام . فمن ذلك أنه خطّأ العدناني (ص ٤٠٣) في استعماله « التشويش » في مقدمة كتابه . واستند في تخطئته الى قولٍ نسبه الى الأزهري : « وأما التشويش فلا أصل له في العربية ، وانه من كلام المولدين ، وأصله التهويش وهو التخليط » ، وقال بعد نقله هذا القول : « ولا عبرة في إشارة الجوهري في الصحاح لهذه المادة » هكذا . وهذه التخطئة تدفع من أربعة أوجه :

الأول : لئن نصَّ الجوهريُّ في الصحاحِ على صحة التشويش ، وهو في تحريه وضبطه بالموضع الذي لا يُجهل ، لقد استعمله كثير من العلماء ، كالزمخشري ، قال في الكشاف (٢ / ١١٦٢) في تفسيره قوله

تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة ﴾ (سبأ / ٤٦) : « ويشوّش الخواطر ، ويعمي البصائر » . وكالتنوخي ، قال في نشوار المحاضرة (٨ / ٢٠١) : « فمرّ الرجل ليشوّش الكلام » .

والثاني : أرى أن التشويش عربية النجار ، وهي تدل على حكاية صوت ، وأصلها حرف واحد هو الشين . فإذا أراد مُريد أن يشوّش أفكار أحد ، أو أن يسكته ، صوّت بالشين هكذا : « ش ش ش » ، ثم صيغ من ذلك فعل هو « شَوَش » بالتخفيف دون « شَشَشَ » اجتناباً لتوالي الأمثال ، ولأن الواو ألين من الشين وأعون على التصريف . والعدول عن الحرف الصحيح أحياناً الى المعتل معروف . ثم قالوا « شوّش » بالتثقيل ثم « تشويش » . وقد قدّمت الفعل على المصدر لأني ممن يأخذ برأي الكوفيين في أن أصل المشتقات الفعل .

والثالث : إن النصّ المنسوب الى الأزهري ، وهو ليس له كما سيأتي ، متفرّد صاحبه به . وقبله تفرّد بعض اللغويين بتخطئات فلم يبالها أحد ، كمنع الأصمعي من استعمال المجانسة بمعنى المشاكلة ، ثم كشّف التمحيص عن أنّ العلماء من بعده استعملوا المجانسة استعمالاً لايحصى كثرة ، ولا يخفى شهرة . أما القول المنسوب الى الأزهري فهو لابن الأنباري ، وروايته الصحيحة كما في تهذيب اللغة (٦ / ٣٥٦) : « أبو بكر بن الأنباري : قول العامة شوّشت الأمر صوابه هوّشت . قال : شوّشت خطأ » . وأظنّ السامرائي نقل النصّ من المزهر للسيوطي ، فجاء الاختلاف فيه من هنالك[1] .

---

(1) عبارة الأستاذ السامرائي في نسبة المنع للأزهري تطابق ما ورد في اللسان (شوش) . ورحم الله ابن منظور فإنه لم يلتزم الدقة دائماً في عزو الأقوال لأصحابها . وجاءت كلمة أبي بكر بن الأنباري في الزاهر (١ : ٤٥٠) : « وقول العامة : قد شوّشت الشيءَ وشيءٌ

والرابع : اذا قال عالم قديم بخطأ لفظ ، واستعمله علماء ثقات من القدامى ، فالذي لا يأخذ به في عصرنا هذا فله ذلك ، ولكن لا مسوّغ له أن يخطّيء من يأخذ به . وانما يسوغ له أن يخطّيء اولئك العلماء الثقات ، على أن يُفرد لذلك قولاً يضيء فيه نور العلم ، ويُتطعَّم منه حلاوة البرهان .

٢ ـ المستعجل :

وقال العدناني في مقدّمته : « مع دليل (فهرست) في نهاية هذا المعجم يرشد المستنير المستعجل الى المادة » ، فقال السامرائي منكراً استعمال المستعجل (ص ٤٠٥) : « أراد المؤلف بالمستعجل العجل أو العجلان وليس المستعجل ، ذلك أن المستعجل الطالب للعجلة الحاث عليها . واذا كان المجرّد وافياً بالمعنى المراد فلم اللجوء الى المزيد ذي المعنى الخاص » . قلتُ : إنّ « استعجل » وإن كان في الأصل متعدياً ، قد استعمل لازماً لكثرة الاستغناء عن مفعوله ، يشهد بذلك قول عنترة (الديوان ـ الشنتمري ص ٢٦٢) :

وكأنّ مشيته إذا نهنهته بالنّكل مشية شارب مستعجل

وقول القطامي :

مشوَّشٌ . قال أبو بكر [بن الأنباري] : لا أصل لشوَّشت في كلام العرب . والصواب : هوَّشتُ الشيءَ وشيءٌ مهوَّش ... ومعنى هوَّشْتُ : خلطتُ وهيَّجت . من ذلك قولهم في كنية بعض الشعراء : أبو المهوّش ... » وقال الصغاني في التكلة والذيل والصلة (ش ي ش) ٣ : ٤٨٥ « قال الجوهري : التشويش : التخليط . وقد تشوَّش عليه الأمرُ . والصواب : التهويش . ولو كان [التشويش] من كلام العرب لكان موضعه تركيب (ش و ش) » [شاكر الفحام]

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزللُ

ويشهد به ما جاء في رسائل اخوان الصفاء (٢ / ٣٩) : « وذلك أنا نرى الطائفين حول البيت ، منهم من يمشي الهوينا ، ومنهم من يستعجل ، ومنهم من يهرول » . وما جاء في تتمة النص (ص ٤٠) : « فقد بلغ المستعجلُ الركنَ الشاميّ ، والمهرولُ الركنَ اليماني » . ويشهد به قول الفيروزابادي في القاموس : « ومرّ يستعجل أي طالباً ذلك من نفسه متكلفاً إيّاه » . وأضاف الزبيدي الى ذلك في التاج قوله : « حكاه سيبويه »[2] . قلت : ذلك من الزبيدي حسن ، وأحسنُ منه أن يُتم قوله فيستشهد بقول القطامي أو عنترة المذكورين أو غيرهما . ونظير استعجل اللازم وأصله متعدّ صَبَر ، يقال صبر على الاذى ، والأصل صبر نفسَه على الاذى . وتخلّص ، يقال تخلّص من الشرّ ، والأصل تخلّص نفسَه من الشرّ . ووقف ، يُقال : وقف في الظل ، والأصل وقف نفسَه في الظل . أما قوله : « واذا كان المجرّد وافياً بالمعنى المراد فلم اللجوء الى المزيد ذي المعنى الخاص» ، فيعوزه فضل بيان ، لما أخلّ به من قوله « المعنى الخاص » . وهو في ظاهره يدل على أنّ الأولى اغفال المزيد ما أغنى عنه المجرّد ، فإن لم يكن قصد الى ذلك ، فقد ينصرف ذهن القارىء اليه . ولذلك أقول : ذلك غير صحيح ، فالمزيد والمجرد كلاهما بمعنىً واحد . واذْ كانا كذلك ، يُناط اختيار أحدهما على الآخر بصناعة الكتابة ، وبالاعداد للخطابة ، وبقرض الشعر ، وبحكم أوزانه . وفوق ذلك هو موكول الى من له بصارة في اعطاء الكلمة حقها ، وبروع في تصريفها في

(2) قال سيبويه في الكتاب ٢ : ٢٣٩ ـ ٢٤١ : « هذا باب استفعلت ... وكذلك استعجلتُ ، ومرّ مستعجلاً أي مرّ طالباً ذاك من نفسه متكلفاً إياه » [لجنة المجلة]

وجوهها . واستعمال المزيد في مكان المجرّد مستفيض ، وفي القرآن منه مقدار وافر :

أ . نحو « مستهزئون » ومعناها « هازئون » . قال تعالى : ﴿ قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ (البقرة / ١٤) . وقال جرير :

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلاّ هزئت بغيرنا يابوزعُ

ب . ونحو « فليستجيبوا » ومعناها « فليجيبوا » . قال تعالى : ﴿ أجيب دعوة الداعي اذا دعانِ فليستجيبوا لي ﴾ (البقرة / ١٨٦) ، وقال الطبري مفسراً (جامع البيان ٣ / ٤٨٣) : « استجبت له واستجبته بمعنى أجبته » ، واستشهدَ بقول سعد الغنوي :

وداعٍ دعا يامن يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ

وقال : يريد : فلم يُجبه .

ج . ونحو « تختانون » ومعناها « تخونون » ، و « اجتُثّتْ » ومعناها « جُثّتْ » ومن شاء رجع فيها وفي غيرها الى كتب التفسير .

ومن ذلك قول شقّ الكاهن (الأزمنة والأمكنة ٢ / ١٩٤) : « ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، فيذيقهم أشد الهوان » أي : ينقذكم .

٣ ـ الجماد :

وقال (ص ٤٠٥) في قول العدناني : « سواء أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد » : « أراد المؤلف بالجماد ما ليس بحيوان ولا نبات ولا ذي روح ، كالحجر وشخوص الطبيعة الأخرى غير التي أشار اليها . والجماد من الكلم المدرسي الذي ثقفناه في المدارس الابتدائية ،

والذي وضعه جماعة لاعلم لهم بالعربية يعتد به » . وذهب ينقل معاني الجماد من بعض معجمات اللغة ، كالسنة التي لم يصبها المطر ، والناقة البطيئة والتي لا لبن لها ، وضرب من الثياب . هكذا ، ولم يقترح وضع كلمة تحل محلّ الجماد في تقسيم الكائنات . والذي أفضى به الى هذا القول قصور معجماتنا القديمة عن استيفاء معاني الجماد . إنّ الجماد الذي نحن بصدده قديم ، واستعمالنا إيّاه إنما هو التفات اليه ، وتعويل عليه ، وأنا باسط الأمر ههنا بعض البسط :

لما دخلت العلوم الأجنبيّة في الحضارة الاسلامية قديماً على طريق النقل ، دخل في لغتنا عبارة سماها التراجمة « الكائنات الفاسدات » ، وربما سمّيت أسماء أُخر . وهي تنقسم على ثلاثة أقسام ، سموها : الحيوان ، ومنه الانسان ، والنبات ، والمعادن[1] . وأيضاً سموا المعادن الجماد كما سيأتي . وربما أضيف الانسان الى هذه الأقسام الثلاثة ، تنزيهاً له عن الحيوانية ، وبلوغاً للعدد أربعة المبارك ، الذي جاءت بركته من التقسيمات السماوية ، كمراتب العدد الأربع ، والطبائع الأربع ، والأخلاط الأربعة ، والأزمان الأربعة . والمراد بالمعادن الكائنات التي لا حياة فيها أصلاً ، كالصخر والرمل والذهب والحديد . وقيل إن العلماء أحصوها فكانت نحواً من تسعمائة معدن ، جُعل منها الرعد والبرق والماء والهواء والكمأة ونحو ذلك . وعندهم أن أرقاها الكمأة لشبهها بالنبات ، وأرقى النبات النخلة لشبهها بالحيوان ، وأرقى الحيوان الانسان لقربه من ذات الله تعالى . وهم إنما سموا المعادن معادن بالنقل الحرفي من لسان أجنبي ،

(١) في رسائل اخوان الصفاء (٢ / ٥٨) : « وأولد منها الكائنات الفاسدات التي هي الحيوان والنبات والمعادن » . ومن شاء نظر في مواضع أُخر من الكتاب (نحو ص ٦ ، ٢٤ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٠٤) .

ولعله الرومي كما في معجم أوكسفورد الواسع (ج : L-M) ، وهي فيه باسم inanimate objects ومفسّرة بـ mineral substances أي المواد المعدنية . ولم أر الجماد أو الجمادات فيما عثرت عليه من تقسيم الكائنات الفاسدات حالّةً محلّ المعادن الاّ في الفرط ، كما في الشاهد (ا) الآتي . وانتظام المعادن في سلك النبات والحيوان والكائنات يجنّبها الالتباس بالمعادن القليلة التي غلب علينا استعمالها ، كالحديد والنحاس والذهب والفضة ، وإن كان هذا النهر متخلّجاً من ذاك البحر . ولكني وجدتها اذا آرفضّت من نظامها هذا فبقيت وحدها أو مع ثان من نظامها قيل لها جماد أو جمادات[٢] ، كما هو شائع في كتب الأدب ، وسيضح ذلك في أكثر الشواهد الآتية . وكأنّ الانحياش عن المعادن الى الجمادات كان لأمن اللبس بالمعادن القليلة الغالب علينا استعمالها . وربما وُصفت الجمادات بالجامدات (الشاهد الآتي ب) ، وربما وُصفت المعادن كذلك (رسائل اخوان الصفاء ٤ / ٤٢٣) ، وهذا من الدلائل على أنهما اسمان لمسمى واحد . ومن استعمال القدامى للجمادات بمعنى المعادن ، وهو المعنى الذي خلت منه مواد معجماتنا القديمة فلم تفسّره :

ا . ذكر السخاوي في كتابه الضوء اللامع (١١ / ٥٤) في ترجمة الحموي أن من كتبه : بلوغ المراد من الحيوان والنبات والجماد .

ب . ما جاء في رسائل إخوان الصفاء (١ / ٤٠٦) : « والجنس

(٢) قول التراجمة المعادن والجماد بمعنى واحد كقولهم صوف الماء والطحلب بمعنى واحد ، كما في طباع الحيوان لأرسطو (ص ٢١٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥) ، وكقولهم في كتب الطب وغيرها في بعض الطبائع « الرطوبة » وهي « البلّة » في مواضع من كتاب الحيوان للجاحظ (نحو ٥ / ٤٠ ـ ٤٢)

جسم[٣] لما تحته من النامي والجماد ، وهما نوعان له . والنامي جنس لما تحته من الحيوان والنبات وهما نوعان له » .

ج . وما جاء فيها (١ / ٢٠٦) في كواكب الفلك : « فان لم يكن لهم سمع فهم صم بكم عمي ، وهذه حال الجمادات الجامدات » .

د . وقال الراغب الأصفهاني في معجمه مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢٤) : « ولما كانت الموجودات بإضافة بعضها الى بعض ثلاثة أضرب : فاعلاً غير منفعل ، وذلك هو الباري عز وجلّ فقط ، أو منفعلاً غير فاعل وذلك هو الجمادات ... » .

هـ . وقال أيضاً (ص ٢١٢) في الارادة : « ولذلك تستعمل في الجماد وفي الحيوانات نحو : ﴿ جداراً يريد أن ينقضّ ﴾ [سورة الكهف : ٧٧] ، ويقال : فرسي تريد التبن » .

و . وفي محاضرات الأدباء (ص ٣٤) لما جرت مناظرة بين بشر بن المعتمر وأبي الهذيل بحضرة المأمون ، سأل أبو الهذيل بشراً : « فكيف ترى سهامنا ؟ » قال بشر : « ما أحسستُ بها » ، قال أبو الهذيل « لأنها لاقت جماداً » .

ز . وقال المتنبي :

وإن الماء يجري من جمادِ وإنّ النار تخرج من زنادِ

وانما أراد بالجماد الصخر .

ح . وقال أبو العلاء المعري :

(٣) لعلّ الصواب : والجسم جنس .

والـذي حـارت البريـة فيـه   حيـوان مستحـدث من جمـادِ

قلتُ : كأنه أراد بالجماد الماء والتراب والهواء ، وهي أصل في الغذاء ، وكانت أيضاً تعدّ في المعادن .

ط .وجاء في نفح الطيب (٢ / ٤٠) : « وقد تضيف العرب الكلام الى الجمادات ... ومن أحلاه قول بعضهم : قال الحائط للوتد : لم تشقّني ؟ قال : سل من يدقّني » .

إن التراجمة والعلماء الذين نقلوا عبارة inanimate objects عن اللسان الانكليزي أو ما بمعناها في لسان آخر ، في بدء عصر النهضة الحديثة ، الى جماد أو جمادات ، لم يكونوا كما قال الدكتور السامرائي « لاعلم لهم بالعربية يُعتد به » ، بل كان لهم المحلّ المحوط ، والعلم المغبوط . وقد مضوا دائبين في عملهم الجليل في القرن الماضي في غير رئاء ولا بَذَخ ولا طلب للذكر ، حتى انتهوا الى نقل الكتب الحافلة بالحضارة الأوربية الحديثة الى لغتنا ، وهي تفيض بمصطلحاتها التي لايكاد يُحصى عددها ، أو يحصّل مددها . لقد وزنوا ونـدر ان طففوا ، وكالوا ونـدر أن جزفوا ويكفيهم فخراً أنهم عبّدوا الطريق الوعر ليسلكه فضلاء العلماء من بعدهم . وقد أحسنوا اذ اختاروا الجمادات على « المواد المعدنية » المذكورة في المعجمات الأجنبية الحديثة ، وعلى المعادن التي استكثر من استعمالها التراجمة القدامى ، لأنهم بذلك الاختيار أمنوا اللبس بالمعادن القليلة التي يغلب علينا استعمالها . ولهم من الشواهد التي ذكرت بعضها مايقيم لهم الحجة ، ويوضح المحجّة . وأصاب الشيخ العدناني اذ تلا تلوهم ، واقتفر أثرهم[3] .

---

(3) نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٦ ج ٤) كلمة للأستاذ الدكتور محمد

٤ ـ مادام :

وانتقد على العدناني (ص ٤١١) استعماله « مادام » شرطيـة في قولـه « ومادام ذلك يتفق ... فما علينا الاّ » ، فقال : « ان استعماله مـادام غير سديد » ، وإنه « جارٍ في اللغة السائرة الدارجة ، ولـك أن تقول إنـه من الخطأ » الى آخر قوله ، وهو يحتـاج الى اعـادة تـأليف . وكنتُ بعثت الى هذه المجلة بمقالة عنوانها « مادام المصدرية الشرطيـة وشواهـدهـا » ، أثبت فيها أن مادام هذه صحيحة ، وأتيت بأربعـة وعشرين شـاهـداً لاستعمالهـا قديماً . وذلك من قبل طُوَيس والخليل الفراهيـدي والفرّاء وابن السكيت وغيرهم . وفاتني أن أذكر شاهـداً لعمر بن الخطـاب رضي الله عنـه ، وهو قوله في رسالـة لـه (تـأريخ الطبري ٤ / ٩٤) : « إنّ الله عظّم الوفـاء ، فلا تكـونـوا أوفيـاء حتى تفـوا . مـادمتم في شـك أجيزوهم وفـوا لهم »(4) . وحـذف الفـاء من (أجيزوهم) من الفصيح ، ومنـه قولـه تعـالى : ﴿ ان ترك خيراً الـوصيـة للوالـدين ﴾ [سـورة البقرة : ١٨٠] ، وحـديث اللُّقَطة : فان جـاء صـاحبهـا والاّ استمتعْ بهـا ، وقول الشـاعر : من يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرها(٤) .

٥ ـ همزة الوصل :

= هيثم الخياط عنوانها (القول في الجماد) ، صوّب فيهـا مصطلح الجماد ، وأتى بشواهـد جمة من كلام الأقدمين تؤيد ماذهب اليه وتعززه [لجنة المجلة] .

(4) نشرت مقالة الأستاذ البصام المشار اليها في مجلة مجمع اللغـة العربيـة بـدمشق (مج ٥٧ ج ٤) [لجنة المجلة] .

(٤) في مغني اللبيب (١ / ١٦٥) جلى الأخفش في قوله في حذف هـذه الفـاء ، وتعثر المبرد في ذلك . وأظن أني لم أُسبق الى اتخاذي من رسـالـة سيـدنـا عمر شـاهـداً لحـذف الفـاء ، والحاجة اليه ماسة . أما سائر الشواهد التي جئت بها فمن المغني .

وقال (ص ٤١٣) في قول العدناني « همزة الوصل » : « إن مصطلح همزة الوصل من الآثار السيئة في الكتب المدرسية التي أفردت باباً في كتب النحو وُسم بهمزة الوصل والقطع . إن همزة القطع تستحق هذه التسمية ... أما ما دُعي همزة الوصل فليس من الهمزة الاّ بالقدر الضئيل ... ولم يطلق عليه المتقدمون من الخليل الى سيبويه الى ابن جني الاّ ألف الوصل » . قلتُ : الهمزة في أول الكلمة يُقال لها همزة ، أو همزة وصل إن كانت للوصل ، ويقال لها ألف ، أو ألف وصل ان كانت للوصل . كل ذلك صحيح مقبول . على أنّ أكثر العلماء جروا على تسميتها ألفاً ، لأنك في قولك « ألف » تلفظ الهمزة وتسمّي ما ترسم عليه ، وهو الألف ، فتكون كمن قضى حاجتين في مسعى واحد . وإن كان الخليل وسيبويه وابن جني اقتصروا على قولهم ألف وصل ، فقد قال طائفة من العلماء الهمزة وهمزة الوصل ، كابن الانباري . جاء في كتابه أسرار العربية (ص ١٥٨) قوله : « وأما الخليل فذهب الى أنّ الألف واللام زيدتا معاً للتعريف الاّ أنهم جعلوا الهمزة همزة وصل لكثرة الاستعمال » ، فان كان في هذا النص نصٌّ قول الخليل كان فيه مزيدُ دفع لقول السامرائي . وكالزملكاني في كتابه البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، قال (ص ٥٨) : « فإن قلت : قد تقدّم اسم الألف في أول حروف الهجاء ، قلت ذلك اسم الهمزة » . واعترف اسحاق بن ابراهيم الكاتب بهذه الهمزة في كتابه البرهان في وجوه البيان وقال (ص ١٢٧) : « وتسمّى ألفاً على المجاز لا على الحقيقة لأن الألف لا تكون الاّ ساكنة » . أما تسميتها في المدارس في هذا العصر الهمزة ، فانما هو عود الى اسمها الأصلي لتحاشي التعقيد . لأن التلميذ يراها في وسط الكلمة وفي آخرها مرسومة على الواو أو الياء أو الألف ، فيقال له على الصواب : هذه همزة . ويجدها في أول

الكلمة مرسومة على الألف ، فلو قيل له : هذه ألف لتكدّر صفو فكره ، لاختلاف النَسَق عليه ، ولألفى تسمية الهمزة نَشَزاً لا نظام له ، فقيل له : هذه همزة . وبذلك رُجع الى اسمها الذي كاد يضيع . ثم إنّ النطاق الذي أتى به الدكتور السامرائي بقوله : « من الخليل الى سيبويه الى ابن جني » من الضيق بحيث لا يَسَعُ رقبةً فضلاً عن خصر . وإنما حق الكلام البليغ عند صحة معناه أن يكون : من الخليل الى ابن مالك ، أو الى ابن هشام .

٦ ـ المسوّدة والمبيّضة :

وقال العدناني : « ويقولون أنهى المؤلف مُبْيضّة كتابه والصواب مُبَيّضة » . فقال السامرائي (ص ٤١٥) : « إنّ مُبيضة الكتاب ومثله مسودته من الكلم الجديد ... » الى آخر قوله . قلتُ الكلمتان من الكلم القديم ، وكلتاهما صحيحة . وقد احتاج اليهما أسلافنا فاستعملوهما ، ثم احتجنا اليهما فاستعملناهما . والذي يؤلف كتاباً أو يصنف رسالة يأخذ بالتسويد فالتبييض . فمن استعمالهما قديماً :

ا . ما جاء في محاضرات الأدباء (ص ٤٢) في قصيدة : « فقال ابن الجلاّب : هذه للمتنبي . فقال الرجل : هي قصيدتي ومسوّدتها عندي . فقال ابن الجلاّب : فمبيّضتها للمتنبي عندي » . فاجتمع في هذا النص المسوّدة والمبيّضة معاً .

ب . وقال التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص ١٠) : « عثرتُ على المسوّدة وبيّضتها على نحيلها ، فان راقتك فذاك الذي عزمت بنيّتي » . فقال المسوّدة ، وقال بيّضتها ، ولو كان احتاج الى ذكر اسم المفعول لقال مبيّضة .

ج . واستعمل الجرجاني بيّض في آخر كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، قال (ص ٤١٠) : « ونُبنا عنك في جمعه واستحضاره ولقطه ، وبيّضنا أوراقاً لما لعلّه شذ عنا غريبه ، وما عسانا نظفر على مرور الأيام به » . وقوله « عسانا نظفر » المختار فيه : عسانا أن نظفر ، وأظنّ أنّ « أنْ » سقطت إبّان النسخ أو الطبع ، وليس الجرجاني وهو العالم الحجة ممن يغبى عنه ذلك . وهم إنما قالوا مسوّدة ، والأصل فيها الصحيفة المسوّدة أو الصحف المسوّدة ، لأن الكاتب يكتب ثم يراجع ما كتب ليتولى مافيه من خلل أو خطل بالإصلاح والضرب والتقديم والتأخير ، وذلك بحبره الأسود ، فيظهر السواد على المكتوب هٰهنا وهٰهنا ، ثم يعتمد ذلك المكتوب عند اعادة الكَتْبِ ، فيقال للمكتوب الجديد مُبيّضة ، أي الصحيفة المبيّضة أو الصحف المبيّضة ، لبياض ما بين الكلم والحروف وفروج السطور ونحو ذلك مما يقع عليه السواد في المسوّدة . ولو كان الحبر المألوف قديماً أزرقِ أو أصفر ، وليس أسود ، لجاز أن يقولوا مُزَرّقة أو مصفَّرة لا مسوّدة .

٧ ـ الثوم :

وقال العدناني : « ويسمّون العشب الشديد الحرافة والقوي الرائحة ... توماً والصواب ثوم » . فلم يرتض السامرائي أن يقال للثوم عشب ، لأنه من البقول . وقال (ص ٤١٥) : « وهل قال أحد من أهل اللغة أن الثوم عشب ؟ » . قلت : قال الزبيدي في التاج (مادة : عشب) : « والعشب الرطبُ من البقول البرية ينبت في الربيع » . وجاء في تكملة قوله : « يدخل في العشب أحرار البقول وذكورها . فأحرارها مارقّ منها وكان ناعماً ، وذكورها ماصلب وغلظ منها » .

ويستدل من قول الزبيدي أن الثوم من ذكور البقول التي يقال لها عشب .

٨ ـ ضمن :

وقال (ص ٤١٩) في قول العدناني « ضمن تحقيق نفيس » : « إن استعمال ضمن بالنصب على الظرفية غير وارد في أساليب الفصحاء ، فهو من اللغة المعاصرة ، وهذا نظير استعمالهم أرسلته طيّ رسالتي ، وقد نبّه المصنّف في مادة (طي) على ذلك ، وقال : والصواب : في طي » . قلتُ : إنّ قولهم « ضمن كذا » و « طيّ كذا » بحذف « في » منهما ليس من اللغة المعاصرة ، بل هو قديم وليس بخطأ :

ا . قال في اللسان (مادة : ضمن) : « وأنفذته ضمن كتابي أي في طيّه » . فقال « ضمن » ولم يقل « في ضمن » .

ب . وقال التنوخي في الفرج بعد الشدّة (٤ / ٦٤) : « وكتب رقعة الى كافور ... وجعل الرقعة طيّ المحضر » ، فقال « طيّ » ولم يقل « في طيّ » .

ج . ونظير تخطئة « ضمن » و « طي » تخطئة العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله من يقول « أثناء » بغير « في » ، وذلك في كتابه دراسات في فلسفة النحو والصرف ، قال فيه مبيّناً السبب (ص ١٥٢) : « لأنّ أثناء جمع ثِني على وزن شِبر ، وهو الطيّ وموضع الثني ، وهو من الأسماء المتمكنة التامة غير الخاصة بالظرفية المكانية ، فيجب جرّه بحرف الجرّ في » . وقال في حذف « في » من أثناء : « ولم يُسمع ذلك من فصيح ولا غيره » . قلتُ : قوله من فصيح ولا غيره ، فيه مبالغة يومىء اليها قول ابن خلدون في مقدمته (٢ / ٢٥٢) : « ومسائل من اللغة والنحو

مبثوثة أثناء ذلك » ، وقوله (٢ / الفصل ٣٦) : « فيسبق الى كثير من الملكة أثناء التعليم » ، وقول عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ (نفح الطيب ١ / ٥٣٦) : « وللنسيم أثناء ذلك المنظر الوسيم تراسل مشي » ، وقول لسان الدين بن الخطيب (النفح ٦ / ٤٠٣) : « ... ورحمتِه المبثوثة أثناء هذا الوجود » . وحذف « في » من « في ضمن » و « في طي » و « في أثناء » لدى القدامى غير قليل . واللغة الفصحى فيهنّ اثبات « في » ، ولكنّ حذفها ليس بخطأ . وقريب من ذلك ، وان لم يكن من بابته ، قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ﴾ [البقرة / ٤٨] ، والتقدير : لا تجزي فيه نفس ، وقول الراجز :

قد صبّحت صبّحها السلامُ بكبد خالطها سنامُ
في ساعة يُحَبُّها الطعامُ

أراد يُحبّ فيها الطعام . والذي عليه بعض الأئمة أنه يجوز أن يحذف مادلّ الظاهر عليه . والأخذ بذلك يخرجنا من ضيق الى سعة ، ومن عسر الى يُسر .

هفوات التعبير

لمّا أراد الدكتور الفاضل ابراهيم السامرائي أن يخطّىء الشيخ اللغوي العدناني في تعبيره في كتابه ، مهّد لنفسه العذر قائلاً (ص ٤٠٢) : « إني أقف وقفات فيها كثير من الحساب والتدقيق إزاء من يتصدى للتصحيح » . وهذا قول أنا أؤيده فيه ، وأقرّه عليه . ثم إنه رأى من الرأي أن يُفلّي المقدمة ، فلما فرغ منها نخل قدراً صالحاً من صحف الكتاب ، فاستخرج من ذلك كله ماعدّه أغلاطاً في التعبير ، وعسى أن تعتبر هذه الأغلاط اذا أُعيد طبع الكتاب ، فيؤخذ بالصالح منها خدمة

للغة العربية . على أنه لا يبعد أن يجعل قسم من القراء مقالته مثلاً يحتذونه في صحة اللغة ، وقوة العبارة ، وشدّة الأسر ، خصوصاً حين يرونه يجبُّ غارب مارآه غلطاً ، ويجذّ قرن ما دعاه سقطاً . لذلك صحّ عزمي على التنبيه على ما في مقالته من هفوات في التعبير ، تبصيراً لهم ، وتذكيراً له . ومما يجسّرني على التنبيه قوله المذكور آنفاً ، وهو أنه يحاسب بدقة من يتصدى للتصحيح . فحاله وحالي كمن شرب من كأس ثم سقى صاحبه منها ، بل كمن سار في طريق الخير فتبعه فيه غيره . وإني لأعلم غير الظنّ ، أنه ليس ممن تحمض نفسه عن تعقب أمور عليه يراد بها خدمة اللغة وخدمته وخدمة القراء . فأقول :

١ ـ **استخدام الأدوات :** قال (ص ٣٩٩) « وما أسيء من استخدام الأدوات كحروف الجرّ » . وقوله « استخدام » الأدوات ، المختار فيه « استعمال » الأدوات . وهو الذي عليه علماء اللغة ، والدريّون باستعمال الكلم . كقول الخليل في يوم : « كأنه من يُمتّ وإن لم يستعمل » (المنصف ٢ / ٣٤) ، وقول سيبويه :
« وحذفوا الفعل من إيّاك لكثرة استعمالهم إيّاه » (الكتاب ١ / ٢٧٤) ، وقول الجاحظ « فاستعمل بعض هذه الحيلة » (الحيوان ٣ / ٣٣٦) ، وقول الصاحب ابن عباد « باستعمال الكلمات الشاذة » (اليتيمة ١ / ١٠٧) ، وقول أبي هلال العسكري : « من جهة ما تستعمل عليه الكلمتان » (الفروق في اللغة ص ١٧) .

٢ ـ **أهل الحفاظ :** وقال (ص ٤٠٠) وهو يعني اللغويين : « ولم يشأ أهل الحفاظ أن يحملوا الجديد على القول بالتطوّر » . وقوله « أهل الحفاظ » الفصيح فيه « حُفّاظ » اللغة ، جمع حافظ ، لحراستهم إيّاها من

الخطأ ونحوه ، كقول الجرجاني في الوساطة (ص ٥٠) : « وما أكثر من ترى وتسمع من حُفّاظ اللغة ومن جلّة الرواة من يلهج بعيب المتأخرين » . أما أهل الحفاظ فأهل الأنفة والذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب . واستشهد لذلك في اللسان بقول رؤبة أو العجّاج :

إنا أُناس نلزم الحفاظا اذ سئمت ربيعة الكظاظا

ثم نقله الزبيدي الى التاج . وأنا أضيف اليه قول عمرو ذي الكلب :

ومقعدِ كربة قد كنتُ منه مكان الاصبعين من القبالِ
صبرتُ لها وكنتُ أخا حفاظٍ إذا خام اللئام عن النزالِ

والبيت الثاني في « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » (ص ٤٨) : حام بدل خام ، وعلى بدل عن ، وهو تحريف ، وربما جاءت الحفاظ بمعنىالمحافظة على العهد والود ، كقول المتنبي :

والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق ينسى الذي يُولى وعاف يندمُ

٣ ـ **افتقار الى عناصر :** وقال (ص ٤٠٠) منتقداً المصنفات الخاصة بالتنبيه على الغلط اللغوي في العصر الحديث : إنّها « تفتقر الى عناصر ضرورية هي : » ، وذكر ثلاثة عناصر ، ثانيها « إنّ جلّ اعتماد هؤلاء الأساتذة الأفاضل على معجمات اللغة » ، وثالثها « انهم يشتركون في الاشارة الى مواد يكرّرها كل منهم » . قلتُ : ليس هذان العنصران مما تفتقر اليه المصنفات ، بل هما من عيوبها ، فالكلام معكوس ، والصواب أن يقول : « فيها عيوب هي : » بدلاً من « تفتقر الى عناصر ضرورية هي : » .

٤ ـ **الأفاضل :** وقوله المذكور آنفاً وهو « إنّ جلّ اعتماد هؤلاء

الأفاضل » ، وقعت فيه « الأفاضل » في غير موقعها ، وجاءت على غير قصد الى حقيقة معناها . وكيف يُنتقص من علم جماعة ومن فضلهم ويُقال لهم أفاضل في حال ؟ ثم إنّ الأفاضل تقال عند ارادة التفضيل في الفضل ، وليس هذا موضعه ، فإن شاء مدحهم أمكنه أن يقول « الفضلاء » ، وقد استعملها أرباب البيان قديماً في جلة العلماء والرؤساء ، وربما استعملوا الفاضلين ، كقول المتنبي :

ولقيتُ كلّ الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا

أراد بالفاضلين أرسطو وبطليموس والاسكندر ونحوهم . إن استعمال « الافاضل » في غير معناها الدقيق فاشٍ بين الأدباء المعاصرين ، على أنهم يتداركون ما يفرط منهم عند استعمالهم المفرد ، بلا قصد منهم ، فيقولون « الأستاذ الفاضل » ، ولا ترى أحداً يقول : الأستاذ الأفضل .

٥ ـ **بل الى :** وقال (ص ٤٠٠) : « افتقارها الى نمط من الاستقراء لا أقول وافياً بل الى شيء كافٍ يوحي بقسط يسير من القناعة » . والعبارة فيها نظر ، خصوصاً قوله « بل الى شيء » ، كأنه أراد أن يقول : « لا أقول وافياً بل كافياً موحياً بقسط يسير من القناعة » فلم يتهيأ له . ولِمَ يقول : لا أقول وافياً ؟ ولِمَ يطالب باليسير ؟ فالوجه أن يقول : « إن لم يكن وافياً فموحياً بشيء من القناعة » .

٦ ـ **ليس بذي روح :** وقال (ص ٤٠٥) : « ماليس بحيوان ولا نبات ولا ذي روح » . وعبارة « ولا ذي روح » زائدة ، لموضع « بحيوان » قبلها ، فالوجه حذفها .

٧ ـ **إنّ فلان :** وقال (ص ٤٠٩) : « ولو أني قلتُ : إنّ فلان متآمر » والصواب « إنّ فلاناً » ، لأن « فلاناً » اسم إنّ وحقه تنوين

النصب . وهي زلة قلم تعرض له كما تعرض لغيره ، وعسى أن تكون من غلط المطبعة . ولا يجوز الاحتجاج بالحكاية لعدمها .

٨ ـ **التوكيد بإنّ :** وقال (ص ٤١٠) : « أقول هذا صحيح ، والحافلة كلمة مناسبة ، وإنها مستعملة في بلدان الشمال الافريقي » . وقوله « إنّها مستعملة » توكيد بإنّ في غير محله ، وليس من مسوّغ بلاغي له ، وهو لا يستقيم الاّ على تمريض . فالأولى أن يقول : وهي مستعملة .

٩ ـ **جواب اذا :** وقال (ص ٤١١) : « ثم اذا عرفنا أنّ الآية الكريمة : ﴿ الله انبتكم من الأرض نباتاً ﴾ [سورة نوح / ١٧] ، ولم يأتِ نبات الا مصدراً ، وهو قريب من الآية .. » ، وهذا قول غامض لعدم جواب « اذا » .

١٠ ـ **حُجّة ليس بشيء :** وقال (ص ٤١١) : « أقول إنّ هذه الحجّة ليس بشيء » والفصيح « ليست بشيء » بتأنيث ليس ، لأن اسمها ضمير مستتر يعود على مؤنث مجازي .

١١ ـ **مايؤديه اسم الشرط :** وقال (ص ٤١١) : « فكأنّ مادام تؤدي مايؤديه اسم الشرط من ومهما » . وقوله : « تؤدي ما يؤديه اسم الشرط » ، الفصيح فيه : « تعمل ما تعمله أداة الشرط الجازمة » . أما « تعمل » فهو الذي عليه علماء النحو واللغة ، والعمل غير التأدية . وأما « أداة الشرط » فأيضاً هو كلام اولئك العلماء ، لأن الأداة تعني اسم الشرط وحرفه . وأي حاجة كانت به الى ذكر اسم الشرط وحده ؟ ولم خصّ من ومهما بالذكر ، وترك أم الأدوات « إنْ » وهي حرف ؟

١٢ ـ **هي همزة بقدر ضئيل :** وقال (ص ٤١٣) : « أما

مـادُعي همزة الوصل فليس من الهمزة الاّ بـالقـدر الضئيـل ... ولم يطلـق عليـه المتقـدمون ... الا ألف الوصل » . وقولـه : « الاّ بـالقـدر الضئيل » لامحصّل له ، فهي بين أن تكون همزة أو لا تكونها ، فما معنى أن تكونها بقدر ضئيل ؟

وقوله : « ولم يطلق عليه المتقـدمون الا ألف الوصل » الفصيح فيـه « اسم ألف الـوصـل » ، بـاثبـات « اسم » . وليس من شـاهـد قـديم على حـذف « اسم » في نحو هذا الموضع . فان احتج بجواز حذف المضاف ، فـذلـك في النثر ليس بـالمطرد ، ولا يجـوز لكل أحـد . ومـا هـو بشعر فيحمـل على الضرورة . ثم انّ حذفـه يلبس المعنى أحيـانـاً ، الا ترى أنّ الـذي يسميـه أهله نمراً لايصحّ أن يقال فيه : أطلقوا عليه نمراً ؟

١٣ ـ **زاد عن** : وقـال (ص ٤١٧) : « فـاذا زاد الفتح عن القصر المألوف » ، فعـدّى « زاد » بعن ، والفصيح بعلى . قـال تعـالى : ﴿ أو زد عليـه ورتّـل القرآن ترتيـلا ﴾ (المـزمـل / ٤) ، وقـال عمرو بن قميئـة (الديوان ص ٤٣) :

وفيهنّ خـولـة زين النسـا ء زادت على النـاس طُرّاً جمـالا

وقـال الحجـاج لعلي بن أصمـع (المعرب من الكـلام الأعجمي ص ٣٣) : « وأقسم بالله لئن زدت عليه لأقطعنّ ما أبقى أبو تراب من جذورهـا » . وقال الوليد بن يزيد (تأريخ الطبري ٧ / ٢١١) :

لقـد قـذفـوا أبـا وهب بـأمر كبير بـل يـزيـد على الكبير

وفي كتـاب الأدب الصغير (ص ١٠) : « ليس زائـداً عن أن يكـون صاحب فصوص » ، وفي الرسالـة العـذراء (ص ٤٧) : « وكانوا يكرهون

أن يزيد منطق الرجل على عقله » ، وفي كتاب الحيوان (١ / ١٧) : « فان زادت الابل على الألف فقئوا العين الأخرى » ، وفي كتاب الصناعتين « غير زائد عليه ولا ناقص عنه » . ووردت التعدية بعن قديماً في كلام من لايقتدى بلغته ، وهي مع ذلك جائزة ولها وجه من تخريج ، ولكنّ الأقمن بالدكتور ، والأزين له ، أن يأخذ بالكلام المختار .

١٤ ـ **فهو من اللغة المعاصرة** : وقال (ص ٤١٩) : « إن استعمال (ضمن) بالنصب على الظرفية غير وارد في أساليب الفصحاء ، فهو من اللغة المعاصرة » .

قلتُ : قوله : « فهو من اللغة المعاصرة » استدلال أوضحته الفاء من « فهو » ، وهو استدلال غير صحيح ، والصواب « وهو ... » . وهل كل ما لم يرد في أساليب الفصحاء يقال له : إنه من اللغة المعاصرة ؟ انّ كثيراً منه قد عثر به القدامى . وعبارته تشبه أن يقال في هجاء مقذع حديث : هذا هجاء مقذع فهو من العصر الحديث . وذلك محالٌ لأن الهجاء المقذع استوفى في العصور الماضية قدراً كبيراً من اوراق الكتب . فالصواب : وهو من العصر الحديث .

١٥ ـ **سيقول جماعة** : وقال (ص ٤٢١) في اعتراض قد يقع عليه : « سيقول جماعة إنّ الشقة كلمة بالضم تنصرف إلى جملة معانٍ ... » . قلت : لي إلى قوله هذا مدخل ذو لطافة وخفاء . إنّ قوله « سيقول جماعة » كأنه قطَعَ بأنْ سيقعُ قول من غيره ، فما أدراه ؟ وما أدراه أنه سيكون من جماعة ؟ لاشك أنه كان يريد أن يقول : « واظن بعضهم سيقول » أو « وقد يقول بعضهم » وكلاهما من تعابير الأدب الحسنة . والأخلق به أن يأخذ بالذي عليه علماء اللغة ، كأنْ يقول « فإن

قيل : » ثم « فالجواب » ، وممن استعمله الزجّاج . أو « فإن قلتَ : » ثم « قلتُ » ، وممن استعمله الزمخشري[٥] . أما القطع فالأولى أن يكون عند اليقين . ولعدم اليقين استعملت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ « لعلّ » في قولها : « إني قد هيأت كفني ، ولعل عمر سيبعث اليّ بكفن » (أنساب الأشراف ١ / ٤٣٥) . ومن اليقين قوله تعالى : ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ (الكهف / ٢٢) ، ثم إنّ استعماله « كامة » في نصه المذكور حشو لا فائدة فيه .

أما بعدُ ، فقد حداني الى كَتْب هذه المقالة حبّي للغة ، وميلي الى الكشف عن بعض خوافيها ، ولا سيا ماخفي على صديقي الأستاذ الفاضل الدكتور ابراهيم السامرائي . وأشهد أن نسبه الى اللغة ليسَ بالمؤتشب ، وأنّ حظه منها ليس بالمخسوس ، ولكنّ السهو والوهم والغلط من سوسنا وتوسنا جميعاً . وأيضاً مما حداني الى كتب المقالة ما كان كتب به اليّ صديقي اللغوي الشيخ محمد العدناني ، وهو أنه ، وقد علت به السنّ ، لزمته علة شديدة ، أسلمته الى حال رازحة ، وإياس من البرء . وذلك قُبيل أن يُنتقد كتابه . فقدّرتُ أنه لا يستطيع دفاعا ، ولا يملك امتناعا . ورأيت أن أدخل بينهما لأقول ما أعلم أنه الحق . ومناظرتي اللغوية هي عندي فاكهة للنفس ، ونزهة للروح ، ونشاط للعقل ، خصوصاً حين ألوي عنها حراشة اللفظ ، وأرحض عنها ماقد يُظن أنه تصلّف أو تجلّف . وقد قلّبت لمقالتي هذه من المراجع ما كثر حتى تكابس من حولي ، وذلك في زمن كنت أرجو أن لا يطول ، ولكنه تشقّق فطال ، لخطوب كرثت ، وأمور حدثت . ثم نسقت شواهدها ، ولفّقت

(٥) قلت : ومرّ استعمال الزملكاني له في قولنا في « همزة الوصل » .

عباراتها ، وقد تأخّر إبّانها . فإن أكن مشطتُ فعسى أن لا أكون فلفلتُ ، وإن أكن نسجت فعسى أن لا أكون هلهلت . والحمد لله على كل حال .

لندن : صبحي البصام

آراء وأنباء

النشاط المجمعي

في الدورة المجمعية ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣

أولاً ـ مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في الدورة الماضية (١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ م) ثماني جلسات . وتدارس المجلس في اجتماعاته الشؤون المجمعية العلمية والمسائل المحالة عليه ، وكان من أبرزها الأمور التالية :

١ ـ انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان بجلسة ١٦ / ١ / ١٩٨٣ عضواً عاملاً في المجمع .

٢ ـ ترشيح كل من الأستاذ المهندس وجيه السمان والأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي لعضوية المجلس الأعلى للعلوم .

٣ ـ ترشيح الأستاذ محمد أحمد دهمان لنيل الجائزة العربية التقديرية المعلن عنها من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٤ ـ تسمية كل من الأستاذ الدكتور حسني سبح والأستاذ الدكتور عدنان الخطيب ممثلين للمجمع في مجلس اتحاد المجامع العلمية العربية .

٥ ـ ترشيح الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي لنيل جائزة مبرة عبد الله آل بصير السعودية .

٦ ـ استماع المجلس الى رأي الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في مصطلحي (الغول والكحول) .

ثانياً ـ مطبوعات المجمع في الدورة الماضية

أ ـ الكتب التي أنجزت طباعتها :

١ ـ شعر ابن ميادة	جمع وتحقيق الدكتور حنا جميل حداد
٢ ـ الأفضليات لابن الصيرفي	تحقيق الأستاذ وليد القصاب والدكتور عبد العزيز المانع
٣ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الأدب ـ الجزء الثاني)	وضع الأستاذين رياض مراد وياسين السواس
٤ ـ زجر النابح للمعري (الطبعة الثانية)	تحقيق الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي
٥ ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تحقيق الدكتور نسيب نشاوي
٦ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التصوف ـ الجزء الثالث)	وضع الأستاذ محمد رياض المالح
٧ ـ الثقافة الاسلامية في الهند لعبد الحي الحسني (الطبعة الثانية)	مراجعة وتحقيق الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي .
٨ ـ أسباب حدوث الحروف للشيخ الرئيس ابن سينا	تحقيق الأستاذين محمد حسان طيان ويحي مير علم .

ب ـ الكتب التي تجري طباعتها :

١ ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تحقيق الأستاذ ابراهيم الصالح

٢ ـ مشيخة ابن طَهْمان	تحقيق الأستاذ محمد طاهر مالك
٣ ـ سفر السعادة وسفير الافادة للامام السخاوي (الجزء الأول)	تحقيق الأستاذ محمد الدالي
٤ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم)	وضع الأستاذ صلاح الخيمي
٥ ـ شعر دعبل الخزاعي (الطبعة الثانية)	تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر
٦ ـ ديوان شفيق جبري	اشراف الأستاذ قدري الحكيم وتقديم الدكتور شكري فيصل
٧ ـ نظرات في ديوان بشار بن برد تحقيق الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور (مقالات نشرتها مجلة المجمع)	بقلم الأستاذ الدكتور شاكر الفحام
٨ ـ فهرس المجاميع المخطوطة في الظاهرية (الجزء الأول)	وضع الأستاذ ياسين السواس
٩ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أخبار عثمان بن عفان)	تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

ثالثاً ـ معارض الكتب التي شارك فيها المجمع بمطبوعاته :

شارك المجمع خلال هذه الدورة ببعض مطبوعاته في المعارض التالية :

١ ـ جناح مطبوعات وزارة التعليم العالي بمعرض دمشق الدولي في

شهر آب سنة ١٩٨٢ م ، وعرضت فيه أحدث مطبوعات المجمع .

٢ ـ معرض الكتاب العلمي في أسبوع العلم الثاني والعشرين في سنة ١٩٨٢ م ، وقد عرضت فيه مجموعة مختارة من مطبوعات المجمع العلمية .

٣ ـ معرض المديرية العامة للآثار والمتاحف الخاص بمدينة دمشق ، وقد عرضت فيه مطبوعات المجمع المتصلة بتاريخ هذه المدينة .

كما شارك وكلاء المجمع ببيع مطبوعاته في عرض نخبة من هذه المطبوعات بالمعارض الآتية :

٤ ـ معرض الكتاب العربي في الكويت ، ١٩٨٣ م .

٥ ـ المعرض الدولي الخامس للكتاب ، الرياض ١٩٨٣ م .

٦ ـ معرض ليبيا الدولي الثاني للكتاب ، طرابلس ١٩٨٣ م .

٧ ـ المعرض اليمني الخامس للكتاب ، صنعاء ١٩٨٣ م .

٨ ـ المعرض السنوي الأول للكتاب العربي ، عمّان ١٩٨٣ م .

رابعاً ـ اعتمادات المجمع في الموازنة العامة

بلغت الاعتمادات المرصودة للمجمع في الموازنة العامة لعام ١٩٨٣ مبلغ (١,٨٣٣,٠٠٠) ليرة سورية . وبلغت الاعتمادات المرصودة له في الموازنة الاستثمارية لعام ١٩٨٣ م مبلغ (١,٧٠٠,٠٠٠) ليرة سورية ، من أجل تنفيذ مشروع تحويل نفق المجمع الى مستودعات للكتب .

خامساً ـ مكتبة المجمع

بلغ عدد الكتب في مكتبة المجمع (١٣٧٨٤) كتاب . وقد تلقت

المكتبة خلال الدورة المجمعية الماضية (٣٧٥) كتاب هدية ، بعضها من المؤلفين ، والقسم الكبير منها من المؤسسات الثقافية التي تعنى بالنشر ، كما تلقت (١٥٩) جزء من المجلات العربية والأجنبية على سبيل التبادل مع مجلة المجمع . وقد ضم الى المكتبة خلال الدورة المذكورة (٣٣٠) كتاب ، شراء . ويلاحظ وجود قصور في تغذية المكتبة بالكتب الحديثة والمجلات المتخصصة .

عمل المجمع على تخصيص مكان يتسع لجميع فروع المكتبة ، وذلك بتنظيم النفق الأرضي تنظيماً فنياً يتناسب ومتطلبات المكتبة . وقد وضعت التصاميم والترتيبات اللازمة لذلك ، وسيتم انفاذ العمل خلال العام القادم .

سادساً ـ دار الكتب الظاهرية

أ ـ المخطوطات

بلغ عدد المخطوطات التي صورت تلبية لطلب الباحثين والمؤسسات العلمية (٣٢٣) مخطوط ، وبلغ عدد المخطوطات المعارة للباحثين في قاعة البحث (٤٧٢) مخطوط . أما عدد المخطوطات التي تمّ تصويرها لمجمع اللغة العربية فبلغ (٣٥٦) مخطوط .

ب ـ رواد دار الكتب الظاهرية

بلغ عدد رواد دار الكتب الظاهرية خلال الدورة الماضية (٧٤٧٣٠) شخص ، وبلغ عدد الكتب المعارة (٢٦٤٧٠) كتاب ، وكان الرقم الأكبر للرواد في شهر ايار ، كما كان الرقم الأضخم للكتب المعارة في شهر كانون الأول .

جـ ـ المجلات التي دخلت الدار

تلقت دار الكتب الظاهرية خلال الدورة الماضية (١٥٩) مجلة عربية و (١٥٥) مجلة أجنبية ، جميعها هدايا ، وعلى سبيل التبادل مع مجلة المجمع .

د ـ المطبوعات

أصبح العدد الاجمالي للكتب في الدار (٦٨٠٥٤) كتاب ، أي ما يقارب (١٠٠) الف مجلد ، وعدد الكتب التي ضمت الى المكتبة هذا العام (٣٤٥) كتاب ، قسم منها قدم هدايا للدار .

وقد أجري جرد عام للكتب المطبوعة في الدار استغرق شهرين ونصف شهر ، وكانت نسبة الكتب المفقودة ، بحمد الله ، أدنى من النسبة المتعارف عليها ، ولا تجاوز (١,٢) بالألف .

في اطار الحوار العربي الاوربي

ندوة همبورغ حول العلاقات بين الحضارتين العربية والاوربية

عقدت هذه الندوة في مدينة همبورغ بالمانيا الاتحادية ، واستغرقت خمسة أيام (١١ / ٤ ـ ١٥ / ٤ / ١٩٨٣) ، تناول فيها المحاضرون العلاقات الثقافية بين الحضارتين العربية والغربية ، وجعل ازاء كل محاضر عربي معقب اوربي ، وازاء كل محاضر اوربي معقب عربي .

افتتح الحوار بكلمات رئيس مجلس مدينة همبورغ ، ووزير الخارجية الألمانية ، والأمين العام للجامعة العربية . ثم تلت هذه الكلمات الاستهلالية دراسات السادة المحاضرين . وافتتحها السيد الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمحاضرة عنوانها : (الحضارة العربية بوصفها حضارة عالمية : البعد التاريخي واستشراف المستقبل) .

بحوث الندوة :

وقد ألقي في جلسات الحوار البحوث التالية :

١ ـ تصور اوربا الغربية للحضارة العربية وتجاوبها معها ، عرض تاريخي وتفسير . / الأستاذ السندرة بوزاني .

٢ ـ الصورة العربية للحضارة الأوربية والاستجابة لها . / الأستاذ انطون المقدسي .

٣ ـ الحضارة الغربية بعد الحديثة في اوربا الغربية : الأبعاد الداخلية والخارجية لمرحلة انتقالية : دلالتها في إطار مستقبل الحوار العربي

الاوربي . / الاستاذ ادوار مورتيمر .

٤ ـ الحضارة العربية في عالمنا المعاصر : الأبعاد الداخلية والخارجية لمرحلة انتقالية : دلالتها في اطار مستقبل الحوار العربي الاوربي . / د . عبد القادر زبادية .

٥ ـ الدين والعلمنة في اوربا الحديثة وما بعد الحديثة : اتجاهات وآفاق دلالتها لحوار ثقافي مع الوطن العربي ، تباعد أم لقاء ؟ . / الأستاذ انطوان فرغوث .

٦ ـ الدين والاحياء الروحي في الوطن العربي اليوم : دلالتها في الحوار الثقافي مع اوربا الغربية ، تباعد أم لقاء ؟ / الأستاذ د . عبد الكريم اليافي .

٧ ـ الأدب والمسرح والسينما في اوربا الغربية بوصفها علامات تغيير ثقافي : مناقشة عامة للاتجاهات القائمة . / الأستاذ فرانسوا ريجيس ـ باستيد .

٨ ـ الأدب والمسرح والسينما في الوطن العربي بوصفها علامات تغيير ثقافي : مناقشة عامة للاتجاهات القائمة . / د . عز الدين المدني .

٩ ـ التغير الثقافي بوصفه مرجعاً في صنع القرارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ماذا تعني بالنسبة للعرب المناقشات الأوربية حول مستقبل حالة الرفاهية . / الأستاذ فان نيو وينهويجرا .

١٠ ـ التغير الثقافي بوصفه مرجعاً في صنع القرارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ماذا تعني المناقشات لدى الاوربيين الغربيين حول مستقبل حال الأمة العربية والهوية العربية . / د . أحمد كمال أبو المجد .

١١ ـ حضارة اوربا الغربية في عالم اليوم ـ مكانتها ودلالتهـا . / د . غنتر ديل .

وقـد نشرت بحـوث نـدوة همبـورغ وتعقيبـات المحـاورين في مجلـة الآداب / عدد خاص (٤ ـ ٥) نيسان ـ أيـار ١٩٨٣ م ، وفي مجلـة شؤون عربية / العددان (٢٨ ـ ٢٩) حزيران ـ تموز ١٩٨٣ م ، ونشر ملخص لها في مجلة المعرفة / العدد ٢٥٦ ، حزيران ١٩٨٣ م .

حلقة

اللسانيات العربية التطبيقية
ومعالجة الاشارات والمعلومات

تنظم المدرسةُ العربيةُ للعلوم والتكنولوجيا بدعم من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وكلٍ من مركز الدراسات والبحوث العلمية (سورية) والمركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني (المغرب) ومركز الدراسات والابحاث للتعريب (المغرب) الحلقةَ الخريفية الأولى للسانيات العربية التطبيقية ومعالجة الاشارة والمعلومات خلال الفترة (٢٦ أيلول / سبتمبر ـ ٥ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨٣ م) بمدينة الرباط (المغرب) .

وتهدف هذه الحلقة إلى عقد لقاء علمي رفيع المستوى بين كبار اللسانيين من العرب والاجانب وبين العلماء والمهندسين المتخصصين في مجال الاعلاميات . ويتم في الحلقة عرض أحدث ما انتهى اليه الباحثون في اللسانيات العامة واللسانيات العربية التطبيقية وحقول الاعلاميات (معالجة الاشارة والمعلوميات) . لذا فان الاشتراك في هذه الحلقة يقتصر على النخبة من الباحثين واللسانيين والاساتذة والمهندسين ممن لهم اهتمامات وأبحاث متميزة في موضوعات الحلقة بما لايتجاوز خمسين مشتركا .

وتشتمل الحلقة على سلسلة من المحاضرات المكثفة يلقيها تسعة عشر باحثا مبرزا ، تُوُخّيَ في كل منهم أن يكون من أجود الباحثين في اختصاصه . ويضاف الى ذلك ما يقدمه بعضُ المشاركين من نتائج يجري

عرضها ومناقشتها في جلسات مسائية . أما البرنامج العلمي للحلقة فانه يتضمن محاضرات في :

١ ـ الدراسات اللسانية الحديثة (عرض وتعريف ومصطلح) .
٢ ـ علم الاصوات عند اللغويين العرب .
٣ ـ علم الاصوات الحديث واللغة العربية .
٤ ـ دراسات في متن اللغة (احصائية ، دلالية ، رياضية) .
٥ ـ دراسات في التراكيب (احصائية ، بنوية دلالية ، رياضية) .
٦ ـ نظم تحليل الكلام المنطوق وتركيبه ، وتطبيقات هذه النظم على اللغة العربية (تعاريف ، مبادىء ، تطبيقات) .
٧ ـ الترجمة بمساعدة الحاسب واللغة العربية .
٨ ـ الحروف العربية المكتوبة والآلة ، وتشتمل على :
أ ـ وصف الحروف المكتوبة .
ب ـ مشكلات تمثيل الحروف .
جـ ـ استعمال الحروف العربية في الحاسبات .
د ـ استعمال الحروف العربية في الاتصالات .
هـ ـ الطباعة العربية الآلية (المؤتمتة) .
و ـ التعرف الآلي للحروف العربية .
٩ ـ الحروف العربية المنطوقة والآلة .
١٠ ـ النظم المعلومية (الحاسبات) واللغة العربية .
١١ ـ آفاق العمل في اللسانيات العربية التطبيقية .

هذا وستعقد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ادارة العلوم) حلقة دراسية بمدينة الرباط خلال الفترة (١٠ ـ ١٤ تشرين الأول ١٩٨٣ م) حول :

- مسألة استعمال الحرف العربي في الحاسوب .
- العلاقة بين الحاسوب وعلم اللغات .
- الشفرة الموحدة ـ الطريقة المعيارية ، وبنك المعطيات المعجمية☆ .

☆ جاءنا بأخرة أن موعد انعقاد الحلقة قد أرجىء إلى ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٣ م .

الذكرى المئوية

لوفاة الأمير عبد القادر الجزائري

أقامت الجزائر مهرجاناً وطنياً كبيراً احتفاءً بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر بطل الجهاد والمقاومة (١٨٨٣ ـ ١٩٨٣ م) ، أُلقيت فيه المحاضرات ، وعقدت الندوات واللقاءات ، وصدرت مجموعة من كتب الأمير وتراثه ، ونشرت دراسات متنوعة تناولت سيرته ومواقفه . وقد أفردت مجلة الثقافة التي تصدر في الجزائر عدداً خاصاً (العدد ٧٥ / أيار ـ حزيران ١٩٨٣ م) لهذه الذكرى ، فجاء عدداً حافلاً بالمقالات والدراسات ، التي عرضت لجوانب مختلفة من حياة الأمير ، وكفاحه ، والتفاف جماهير الشعب حوله ، مثل عبقرية الأمير المتكاملة ، واستمرارية الدولة الجزائرية في نظر الأمير عبد القادر ، وجيش الأمير ، ومؤلفات المشرفي المعاصر للأمير ، والقلاع والحصون التي أنشأها الأمير ، ودور البيئة الطبيعية في استراتيجيته ، واللقاء التاريخي بين الأمير وحاكم سبتة ، والنظام الضريبي في دولة الأمير ، ووثائق أصيلة عن حياة الأمير ، والاخوة الجزائرية التونسية في أواخر أيام الأمير ، ومراسلة الأمير عبد القادر مع الشيخ شامل الداغستاني ، وأهم الأحداث في حياة الأمير ....

وقد كشفت هذه المقالات وأمثالها عن فصول جديدة مشرقة من نضال الأمير وجماهير الشعب في الجزائر التي قاومت العدوان الاستعماري أشد مقاومة ، وقدمت أغلى التضحيات دفاعاً عن الأرض والوطن ،

وتابعت نضالها دون هوادة حتى كتب لها النصر بعد (١٣٢) سنة من الكفاح .

أما مجلة آمال ، وهي مجلة أدبية ثقافية تصدر في الجزائر ، فقد انفردت بنشر مخطوط السيرة الذاتية للأمير عبد القادر (العدد ٥٧ / أيار ـ حزيران ١٩٨٣ م) .

مجلة المجمع العلمي الهندي

تلقت خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد الخامس (حزيران ١٩٨٠ م) من مجلة المجمع العلمي الهندي (بجامعة علي كره الاسلامية / الهند) . وهو مجلد حافل بالمقالات الجادة ، ينبئ بالجهد البالغ الذي يبذله رئيس التحرير الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد ، لتمضي المجلة في خطتها التي رسمتها في خدمة التراث العربي والاسلامي ، وإقامة الصلات الوثيقة بين مختلف المراكز والمؤسسات الثقافية التي تُعْنى ببحوث الحضارة العربية والاسلامية .

تجد فيه ترجمة للعلامة مُرْتَضَى الحسينيّ الزَّبيديّ صاحب تاج العروس ، كتبها الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومي ، وقد أفاض في تفصيل حياة أبي الفيض ، والحديث عن آثاره بما أغنى وأرضى . وتناول الأستاذ سعيد أحمد الاكبر آبادي غزوة بني قريظة ، وبيَّن مسبباتها وما قام به بنو قريظة من كيد للمسلمين وتحريض عليهم ، واستعرض الروايات التاريخية لينفي منها ما اتسم بالمبالغة ، ويكشف عن وجه الحق الذي ظهر له . وتحدث الأستاذ السيد أحمد عن المسرحية والملحمة في شعر علي محمود طه . وعرض الدكتور محمد راشد لدراسة المجتمع المصري في الشعر الحديث بعد السيطرة الانكليزية . وافتتح الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد باب التعريف والنقد بكلمة عرَّف فيها بالعالم الأديب محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون صاحب كتاب « منتهى الطلب » الذي جمع فيه ألف قصيدة اختارها من أشعار العرب الذين

يستشهد بأشعارهم . ولقد حفظ لنا الزمان الضنين أجزاء من هذا الكتاب النفيس ، فورد منها الباحثون والأدباء العذب النمير ، ولكنهم لم يقفوا على ترجمة لهذا المؤلف الجمّاعة الذي تألق نجمه في القرن السادس الهجري ، واكتفوا بنبذ يسيرة اقتطفوها من كتابه ، واستمدوها مما حدّث به عن نفسه . ورأى الدكتور مختار الدين أحمد أن يستقصي أمره ويكشف عن خبيء سيرته ، ومهّد لكلمته بالتحدث عما أورده سابقوه من العلماء من أخبار صاحب منتهى الطلب ، فذكر أن جرجي زيدان لم يعرض له ، وأن ما عرفه عنه بركلمن وخير الدين الزركلي وفؤاد السيد نزرٌ قليل ، وأن الدكتور معظم حسين أول من كتب عنه مقالة مسهبة ، ولكنها لا تتضمن إلا أشياء قليلة تتصل بحياته[1] .

وبدأ الدكتور مختار الدين أحمد مسيرته في التعرف الى محمد بن المبارك بن ميمون متمهلا . اطلع على نسخة تاريخية لكتاب مجمل اللغة لابن فارس محفوظة في مكتبة ليدن ، هذه النسخة كتبها محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون ، وقرأها على أستاذه ابن الخشاب ، وقد كتب ابن الخشاب في مطلع الجزء الأول من المجمل : « قرأ عليَّ هذا الجزء من أوله الى آخره الرئيسُ الاجلُّ العالمُ الولدُ شرف الرؤساء أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون ، نفعه الله بالعلم ، قراءة ضبط وتصحيح واتقان ، في مدة آخرها في محرم سنة ست واربعين وخمس مئة . وكتب عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب بخطه

(١) وممن تحدث عن كتاب منتهى الطلب ومؤلفه الأستاذ عز الدين التنوخي (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٣٧ ، ص : ٣٦٦ - ٣٧٢) والدكتور يحي الجبوري (قصائد جاهلية نادرة - بيروت ١٩٨٢ م) ، والدكتور حاتم صالح الضامن (قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب - بيروت ١٩٨٣ م) [لجنة المجلة] .

في التاريخ ، حامداً لله تعالى ، ومصلياً على سيدنا محمد النبيّ وعلى آله وسلّما » . وكتب محمد بن المبارك بن ميمون في ختام الجزء الأول من المجمل : « قابلتُ من ترجمة (رقد) في الثلاثي الى هذا الموضع ، سوى مجلسٍ فاتني ، وهو من باب الراء والجيم وما يثلثها الى ترجمة (زين) ، بهذه النسخة ، خطّ شيخنا وسيدنا وعالمنا وأوحدنا أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ، أدام الله حياته ، في مجلسه ، وهو يسمع ، وذلك في سنة تسع وأربعين وخمس مئة . وكنتُ قرأتُ جميع هذا الجزء عليه قراءة ضبطٍ ومقابلة في مدة آخرها محرَّم سنة ست واربعين وخمس مئة . وخطُّه ، حرسه الله ، في أوله بذلك . وكتب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، حامداً لله ، ومصلياً على عبده ونبيه محمد وعلى آله » . ثم جاء تحت عبارة ابن ميمون كلمة ابن الخشاب : « هذا صحيح ، وكتب ابن الخشاب بخطه » .

وقدّم نص ابن الخشاب للدكتور مختار الدين أحمد أن كنية صاحب « منتهى الطلب » هي أبو غالب ، وهي معرفة أكدتها له مخطوطتا « سقط الزند » في كمبرج وتركيا ، وأضافتا أن لقب صاحب « منتهى الطلب » هو (ظهير الدين) . أما ما قدمه كتاب « منتهى الطلب » فهو أسماء ثلاثة من أساتذته هم : أبو محمد عبد الله بن الخشاب وأبو الفضل محمد بن ناصر وأحمد بن السمين ، وأن محمد بن المبارك قد ألّف كتابه منتهى الطلب في عامي ٥٨٨ هـ و ٥٨٩ هـ ، وقد جاوز آنذاك الستين من عمره . ويتابع الدكتور مختار الدين أحمد مسيرته وراء الأسانيد والسماعات على ظهور المخطوطات ليتعرف الى أبي المعمّر من أساتذة محمد بن المبارك ، والى ابن الكريم البغدادي من تلاميذه . ثم يطلع على نسخة خطية من كتاب الوافي بالوفيات للصفدي في مكتبة جامعة

ماربرغ بالمانيا الاتحادية ، فيجد فيها ترجمة صغيرة لصاحب منتهى الطلب محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون ، فيسردها لما فيها من فوائد . وهذه هي : (محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون ، أبو غالب . أورد له ابن الساعي في كتاب « لطائف المعاني » قوله ما يكتب على مرآة :

فيَّ يا قومُ خصلتان أراني بهما الدهرَ ذاتَ كبرٍ وتيهِ
جَلْبِيَ الشكرَ والمحامدَ للـ ـهِ ، وصدقي في كل ما أحكيه

سُئِل عن مولده فقال : في سابع عشر المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ، وتوفي تاسع جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمس مئة . ودفن بمقابر قريش)[1] .

وهكذا استطاع الدكتور مختار الدين أحمد بدأبه وصبره أن يزيح ستار الغموض عن وجه أديب فذّ من أدباء القرن السادس الهجري ، ما زال الباحثون يتشوقون لمعرفة شيءٍ عنه . ومن آخر مَنْ نذكر منهم الأستاذ الدكتور يحي الجبوري الذي نشر (قصائد جاهلية نادرة) استمدها من كتاب منتهى الطلب ، ولكنه لم يعرف عن مؤلفه إلا الشذرات القليلة التي جاءت في كتابه ، كذلك الأستاذ الدكتور حاتم

(١) تجد ترجمة أبي غالب محمد بن المبارك بن ميمون في الوافي بالوفيات المطبوع ٤ : ٣٨٢ ، وفي التكملة لوفيات النقلة للمنذري (وفيات سنة ٥٩٧ هـ) ١ : ٣٨٧ (بيروت ١٩٨١ م) ، وجاء في التكملة : « سمع [أبو غالب محمد بن المبارك بن ميمون] من أبوي الفضل : الأرموي (ت ٥٤٧ هـ) وابن ناصر (ت ٥٥٠ هـ) وابي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني (ت ٥٥٢ هـ) والشريف أبي المعمر المبارك بن عبد العزيز الانصاري ، وغيرهم » . وذكر المحقق الدكتور بشار عواد معروف من مراجع ترجمة محمد بن المبارك بن ميمون كتاب التاريخ لابن الدبيثي ، والمختصر المحتاج اليه للذهبي ، وتاريخ الاسلام للذهبي [لجنة المجلة] .

صالح الضامن الـذي نشر (قصائـد نـادرة) استمدهـا من كتـاب منتهى الطلب ، ولم يعرف عن المـؤلف أكثر مما عرف سـابقـه الـدكتـور يحي الجبوري .

ولكن الـدكتور مختـار الـدين أحمـد الـذي نقَّب ودقّق وفتـح البـاب للـدارسين ليمضـوا في اثره يتتبعـون سيرة أبي غـالـب محمـد بن المبـارك بن ميمون في الكتب والمراجع والسماعات والاسانيد والاجازات وأمثالهـا ، قـد زلَّ بـه القلم زلـة سهـو ، وسبحـان من لا يسهـو ولا يغفـل طـرفـة عين ، فذكر أن الخطيب البغداديّ لم يترجم لأبي غالـب في تـاريخ بغـداد ، وهو جدٌّ عـالم أن الخطيب البغـدادي قـد توفي سنـة ٤٦٣ هـ قبل أن يولـد أبو غالب صاحب منتهى الطلب .

ويتضمن باب التعريف والنقد كلمة الـدكتور عيسى النـاعوري « مع سامي الدهان في درب الشوك » ، وكلمة الدكتور محمد راشـد في التعريف بكتاب ابن كثير الذي ألفه الدكتور مسعود الرحمن النـدوي . وتـأتي بعـد ذلك مقالة الدكتور مختار الـدين أحمـد في رثـاء الـدكتور ميشيل الخوري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، الذي توفاه الله يوم الأربعاء الثاني عشر من شعبان ١٤٠٠ هـ والخامس والعشرين من حزيران ١٩٨٠ م ، وهي كلمـة تمور حنانـاً ورقـة ، وتعبر عمـا يختلج في نفس صـاحبهـا من عواطف الود والصداقة والوفاء .

مزيد من الاهتمام والعناية
بتعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية

صدر مرسوم جمهوري (رقم ٧٥٩ في ١٠ / ٩ / ١٩٨٣ م) .

تتضمن مادته الأولى تدريس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة ، في الكليات والمعاهد العليا في الجمهورية العربية السورية ، فيما عدا قسم اللغة العربية ، والسنة الأخيرة في كلية الطب البشري .

وتتضمن مادته الثانية تدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة ، في الكليات والمعاهد العليا في الجمهورية العربية السورية ، فيما عدا أقسام اللغة الأجنبية ، والسنة الأخيرة في كلية الطب البشري .

الكتب المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٣

الآنسة غزوة بدير

ـ **الاسلام والشعر** . د . سامي مكي العاني (سلسلة عالم المعرفة) . الكويت . ١٩٨٣ .

ـ **كبرى القضايا في الإسلام (٢)** . تأليف عامر الحلو . بغداد ١٩٨٢ .

ـ **إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث** . تأليف : ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري . تحقيق : عبد الله الجبوري . بيروت . ١٩٨٣ .

ـ **كتاب النبي ﷺ** . تأليف : د . محمد مصطفى الأعظمي . الرياض . ١٩٨١ .

ـ **إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ** . صنفه الإمام محمد بن طولون الدمشقي . حققه و علق عليه : محمود الأرناؤوط . قرأه ونظر في تحقيقه : الشيخ عبد القادر الأرناؤوط . بيروت .١٩٨٣

ـ **الحديث النبوي . مصطلحه ، بلاغته ، كتبه** . تأليف : د . محمد الصباغ . بيروت . ١٩٨٢ .

ـ **فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي** . تأليف : الإمام المحدث أحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي . حققه وعلق حواشيه وصحح أسانيده : د . محمد هادي الأميني . طهران ١٤٠٣ .

ـ **اللمع في العربية** . تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني . تحقيق : حامد المؤمن . بغداد . ١٩٨٢ .

- **العباب الزاخر واللباب الفاخر .** (حرف الفاء) الحسن بن محمد الصغاني . تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين . بغداد . ١٩٨١ .
- **نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة .** د . مصطفى جطل . حلب . ١٩٨٢ .
- **جماليات الاسلوب (٢) ، علم المعاني ، دراسة تحليلية للتركيب اللغوي .** د . فايز الداية . حلب . ١٩٨٢ .
- **المحيط في اللغة (الجزء الثالث) .** اسماعيل بن عباد . تحقيق محمد حسن آل ياسين . بغداد . ١٩٨١ .
- **معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء .** (الجزء الأول والثاني) . تأليف د . عبد العال سالم مكرم . و د . أحمد مختار عمر . الكويت . ١٩٨٢ .
- **من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي . (السفر الأول : البلدان الفلسطينية) (السفر الثاني : البلدان الأندلسية)** اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها : عبد الإله نبهان . دمشق ١٩٨٣ .
- **صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية .** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . الرباط . ١٩٨١ .
- **معجم الأحاديث .** تأليف محمد حسين الحسيني الجلالي . شيكاغو .
- **معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى .** تأليف : عبد العزيز بن عبد الله . الرباط . ١٩٧٢ .
- **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية . (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤) .** عبد العزيز بن عبد الله . الرباط . ١٩٨١ .
- **الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية (ملحق ١ . معلمة الصحراء) (ملحق ٢ . معلمة المدن والقبائل)** تأليف :

عبد العزيز بن عبد الله . الرباط . ١٩٧٧ .
- **الموسوعة العلمية الميسرة (المجلد الثاني - الجزء الأول) .** تأليف : نخبة من المؤلفين . ترجمة: وليد شحادة ، عبد الكريم ناصيف ، ابراهيم خوري ، أدهم خوري ، ماجدة خوري . مراجعة : فؤاد خوري عبد الكريم ناصيف . دمشق . ١٩٨٢ .
- **مخطوطات المجمع العلمي العراقي (دراسة وفهرسة) . (الجزء الأول والثاني)** تأليف : ميخائيل عواد . العراق . ١٩٨١ .
- **الفهرس الموحد للتقاويم العثمانية والنوسالات الموجودة في مكتبات استانبول .** منظمة المؤتمر الاسلامي . استانبول ١٩٨٢ .
- **فهرس معرض الرياض الدولي الثاني للكتاب .** عمادة شؤون المكتبات . الرياض . ١٩٧٩ .
- **فهرس معرض الرياض الدولي الثالث للكتاب .** عمادة شؤون المكتبات . الرياض . ١٤٠٠ .
- **فهرس معرض الرياض الدولي الرابع للكتاب .** عمادة شؤون المكتبات . الرياض . ١٩٨١ .
- **فهرس معرض الرياض الدولي الخامس للكتاب .** عمادة شؤون المكتبات . الرياض . ١٩٨٣ .
- **ضفائر الصفات الغريرات . (شعر) .** عبد الرزاق يوسف . دمشق . ١٩٨٣ .
- **الجبل (شعر) .** تأليف : فؤاد كحل . دمشق . ١٩٨٢ .
- **تجليات فاطمة (شعر) .** أحمد المصلح . دمشق . ١٩٨٣ .
- **الموت على صدر البرتقال . (شعر) .** تأليف : صالح هواري . دمشق . ١٩٨٣ .

- **بحار سارغوتا (شعر)** . تأليف : فيصل خليل . دمشق . ١٩٨٢ .
- **البارقات (شعر)** . تأليف : وليد كمال الدين . دمشق . ١٩٨٢ .
- **تحولات المقنع بن أبي لهب (شعر)** . تأليف : محمد يوسف . دمشق . ١٩٨٢ .
- **أشجان المساء (شعر)** . تأليف : فياض شحادة نصور . دمشق . ١٩٨١ .
- **اتحدث عن فرسان (شعر)** . تأليف : محمود شندي . دمشق . ١٩٨٢ .
- **افتتاحيات (قصائد)** . تأليف : خليل صويلح . دمشق . ١٩٨٢ .
- **النهر القديم (أشعار)** . تأليف : صلاح اللقاني . دمشق . ١٩٨٢ .
- **الأميرة ايلول (حكايات شعبية للأطفال)** . عدد من المؤلفين . ترجمة : توفيق الأسدي . دمشق . ١٩٨٢ .
- **الأيام الرائعة (قصص للأطفال)** . محسن يوسف . دمشق . ١٩٨٢ .
- **المتعدد (رواية)** . تأليف : عبد النبي حجازي . دمشق . ١٩٨٢ .
- **مختارات قصصية** . تأليف : عزيز نسن . ترجمة : فاضل مبتكر . دمشق . ١٩٨٣ .
- **مغامرات رجل مشتاق . (مجموعة قصص)** . تأليف : محسن غانم . دمشق . ١٩٨٢ .
- **كتاب الوطن (قصص)** . تأليف : نيروز مالك . دمشق . ١٩٨٢ .
- **الملك ماتياس الأول (الجزء الثاني)** . تأليف : يانوس كورشاك . ترجمة : ماري لور سمعان . دمشق ١٩٨٣ .
- **على جناح الذكرى (حكاية حياة وملامح مدينة) (الجزء**

الأول) . تأليف : رضا صافي . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **الأرض الحرام . (رواية)** . تأليف : محمود شاهين . دمشق . ١٩٨٣ .

ـ **مولك (روايات عالمية (٢))** . تأليف : الكسندر كوبرين . ترجمة : يوسف حلاق . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **عندما كان أبي صغيراً (قصص للأطفال)** . تأليف : الكسندر راسكين . ترجمة : خالد علي . دمشق . ١٩٨٣ .

ـ **مشاهد صغيرة حول سور كبير (مجموعة قصص)** . تأليف : ابراهيم عبد المجيد . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **الدوامة (رواية)** . قمر كيلاني . دمشق . ١٩٨٣ .

ـ **الشارع الأخضر (من قصص الأطفال)** . اقتباس : سعد صائب . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **المخاض (رواية)** . تأليف : عادل حجازي . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **الكتابة ارق (شعر ـ نثر)** . تأليف : سليمان العيسى . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **شعر الراعي النميري** دراسة وتحقيق : د . نوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي . بغداد . ١٩٨٠ .

ـ **ديوان الجواهري (الجزء الرابع)** . محمد مهدي الجواهري . أشرف على طبعه د . عدنان درويش . دمشق . ١٩٨٢ .

ـ **الامام الرائد الشيخ محمد البشير الابراهيمي في ذكراه الأولى** . محمد الطاهر فضلاء . الجزائر . ١٩٦٧ .

ـ **الطبيب الرحالة ابن حماد و ش الجزائري . (حياته وآثاره)** . تأليف : د . أبو القاسم سعد الله . الجزائر . ١٩٨٢ .

- **ابو محجن الثقفي (حياته ـ شعره)** ، دراسة وتحقيق : محمود فاخوري . حلب . ١٩٨٢ .
- **أرطأة بن سهية** . د . عبد العزيز الرفاعي . جدة . ١٩٧٨ .
- **لسان الدين بن الخطيب . (حياته ، وفكره ، وشعره)** . د . عصام قصبجي . حلب . ١٩٨٣ .
- **دريد بن الصمة . (حياته ، شعره)** . مناحي حناوي القثامي . الطائف .
- **شعراء امويون (القسم الثالث)** . دراسة وتحقيق : د . نوري حمودي القيسي . العراق . ١٩٨٢ .
- **شاعرية المتنبي في نقد القرن الرابع للهجرة** . تأليف : محي الدين صبحي . دمشق . ١٩٨٣ .
- **مقدمة لدراسة الصورة الفنية** . تأليف : د . نعيم اليافي . دمشق . ١٩٨٢ .
- **منتخبات من نصوص قديمة** . اختارها وعلق عليها : محمود فاخوري . دمشق . ١٩٨٢ .
- **الفصول الأدبية** . للصاحب ، كافي الكفاة : إسماعيل بن عباد . حققه : الشيخ محمد حسن آل ياسين . دمشق . ١٩٨٢ .
- **شخصيات كتاب الأغاني** . صنعه : د . داود سلوم . و د . نوري حمودي القيسي . بغداد . ١٩٨٢ .
- **اصول النقد العربي القديم** . د . عصام قصبجي . حلب . ١٩٨١ .
- **ازدهار وسقوط المسرح المصري** . فاروق عبد القادر . دمشق . ١٩٨٣ .
- **من كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** . لمحمد بن أبي

طالب الأنصاري الدمشقي . اختار النصوص وأعدها وقدم لها : عبد الرزاق الأصفر . دمشق . ١٩٨٣ .

- **رسائل ابن كمال باشا** . تأليف : ابن كمال باشا . تحقيق : د . ناصر سعد الرشيد . الرياض . ١٩٨٠ .

- **موسيقا الشعر العربي** . محمود فاخوري . حلب . ١٩٨١ .

- **الأدب الفيتنامي . (المجلد الثالث)** . لجنة من هانوي . ترجمة : عبد المعين الملوحي . دمشق . ١٩٨٢ .

- **الواقعية النقدية** . تأليف : س . بيتروف . ترجمة : شوكت يوسف . دمشق . ١٩٨٣ .

- **أوراق مصرية . (منتخبات من ثقافة المقاومة في مصر) .** عدد من المؤلفين . دمشق . ١٩٨٢ .

- **نصوص مختارة من الأدب المملوكي** . د . محمد حموية . حلب . ١٩٨٣ .

- **جماعة الديوان في النقد** . (دراسة جامعية في مفهوم النقد والشعر عند شكري والعقاد والمازني) . تأليف : د . محمد مصايف . الجزائر . ١٩٧٤ .

- **اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ((١) العصر الجاهلي)** . صنعه د . إحسان النص . بيروت . ١٩٧٩ .

- **اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ((٢) العصر الجاهلي الاسلامي)** . صنعه د : إحسان النص . بيروت . ١٩٧٩ .

- **اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣ / أ ، العصر الأموي)** . صنعه د . إحسان النص . بيروت . ١٩٨٠ .

- **اختيارات من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٤ / ب ، العصر الأموي)** . صنعه : د . إحسان النص . بيروت . ١٩٨١ .
- **الآداب الاقليمية في العصر العباسي الثاني . (من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٦٥٦ هـ** . دراسة تحليلية تعليلية مذيلة بالفهارس العلمية) . د . حامد حنفي داود . الجزائر . ١٩٨١ .
- **المرأة في أدب العقاد** . أحمد سيد محمد . الجزائر . ١٩٧٠ .
- **في تاريخ الأدب الحديث . (الرواية ـ المسرحية ـ القصة)** . د . فؤاد المرعي . حلب . ١٩٨٢ .
- **من ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض بالمغرب أو أيام قوليا** . محمد إبراهيم الكتاني . الرباط . ١٩٧٧ .
- **الجزائر في ضوء التاريخ** . محمد إبراهيم الميلي . الجزائر . ١٩٨٠ .
- **الشيعة بين الحقائق والأكاذيب** . عامر الحلو . النجف الأشرف . ١٩٨٢ .
- **النجف الأشرف (خواطر وذكريات)** . عامر الحلو . النجف الأشرف . ١٩٨٢ .
- **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين** . تأليف : د . يحيى بو عزيز . الجزائر . ١٩٨٠ .
- **تاريخ شيزر منذ القدم وأخبار من مر بها من البشر** . د . معروف عزيز نايف رزوق . دمشق . ١٩٨٢ .
- **تاريخ الأدب العربي (الجزء السادس) الأدب في الغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة** . د . عمر فروخ . بيروت . ١٩٨٣ .
- **اوقاف واملاك المسلمين في فلسطين (في الوية غزة ، القدس**

الشريف ، صفد ، نابلس ، عجلون . حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري .) تحقيق وتقديم : محمد ابشرلي . و محمد داود التميمي . استانبول . ١٩٨٢ .

- **اقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة .** تأليف : د . عبد الله يوسف الغنيم . الكويت . ١٩٨١ .

- **مسائل منهجية علمية في نظرية الحرب وتطبيقاتها من وجهة النظر السوفييتية .** ترجمة : العقيد الركن أسعد حكيم . دمشق . ١٩٨١ .

- **التنبؤ العلمي في المعركة .** ترجمة : العقيد الركن أسعد الحكيم . دمشق . ١٩٧٩ .

- **المبادئ الأساسية لفن العمليات والتكتيك .** تأليف : العقيد ف . ي . سافكين . تعريب : العقيد الركن أسعد حكيم . دمشق . ١٩٧٥ .

- **ايام حسني الزعيم .** نذير فنصة . دمشق . ١٩٨٢ .

- **اللغة الروسية العسكرية لطلاب المعهد العسكري للغات الأجنبية (السنة الأولى) .** تأليف : العميد الركن : هاني صوفي والعقيد الركن أسعد حكيم . دمشق . ١٩٨٢ .

- **اللغة الروسية العسكرية لطلاب المعهد العسكري للغات الأجنبية .** تأليف : العميد الركن : هاني صوفي والعقيد الركن : أسعد حكيم . دمشق . ١٩٧٩ .

- **نظم جمع وتحليل المعلومات في البحوث الإدارية .** اعداد د . طارق حمادة . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان .

- **محاسبة الموجودات ومحاسبة الاندثارات في النظام المحاسبي الحكومي** . اعداد . حنا رزوقي الصائغ . عمان (المنظمة العربية للعلوم الادارية) .

- **ادارة الاجتماعات** . اعداد : د . نادر احمد ابو شيخة . عمان . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . ١٩٨٢ .

- **الأساليب المبسطة في تخزين المعلومات واسترجاعها على اسلوب الميكروفيش** . مراجعة : د . حنا قاقيش . ترجمة : كوزيدا حامد (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٣ .

- **الكفاية الانتاجية ووسائل تحسينها في المؤسسات العامة** . اعداد : د . نادر أحمد أبو شيخة . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان .

- **المؤتمر العلمي العام الثاني للتنمية الادارية في الوطن العربي ٨ ـ ١١ نوفمبر . ١٩٨١** (المنظمة العربية للعلوم الادارية) عمان .

- **اختيار العاملين وتوجيههم . (دراسة علمية تطبيقية على صناعة الغزل والنسيج في الجمهورية العربية السورية) .** اعداد : عادل جوده . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٢ .

- **موجز الرقابة على المؤسسات العامة في البلدان النامية** . ترجمة : د . حبيب أبو صقر . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٢ .

- **الوظيفة العامة وادارة شؤون الموظفين** . اعداد فوزي حبيش . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان .

- **دور البيروقراطية في المجتمعات المعاصرة** . اعداد . د . عمار

بوحوش (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان .

- **الموظف العام حقوقه وواجباته** . اعداد فوزي حبيش . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٢ .

- **علم النفس الاداري ومحددات السلوك الإداري** . اعداد : د . مهدي حسن زويلف . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٢ .

- **المعلومات وأثرها في زيادة الفعالية الادارية** . اعداد وترجمة : د . طارق حمادة . مراجعة : أمين ملحس . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان ١٩٨٣ .

- **أساليب بحوث العمليات في الإدارة** . د . فؤاد الشيخ سالم . ود . فالح محمد حسن . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٢ .

- **لجان المجلس البلدي** . د . عبد القادر الشيخي . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٢ .

- **الاساليب الكمية في إتخاذ القرارات الإدارية** . د . فؤاد الشيخ سالم . ود . فالح محمد حسن . (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان . ١٩٨٣ .

- **قيم الموظفين في مجتمع متغير** . ترجمة : محمد حامد حسنين . مراجعة : د . زكي غوشة (المنظمة العربية للعلوم الادارية) . عمان .

- **دليل عناوين المؤسسات الثقافية في الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامي** . مركز الابحاث للتاريخ والثقافة الاسلامية باستانبول . استانبول . ١٩٨٢ .

- **مرشد المعلم في تدريس العربية لغير الناطقين بها (تطبيقات عملية لتقديم الدروس وإجراء التدريبات)** . تأليف . د . محمود

اسماعيل صيني ، ناصف مصطفى عبد العزيز ، مختار الطاهر حسين . الرياض . ١٩٨٣ .

- **تعليم الكبار ومحو الأمية . (واقع تطلعات)** . إعداد عبد الكريم المومني . عمان . ١٩٨٣ .

- **ذكرى آية الله الجلالي** . مكتبة آية الله الحكيم العامة . طهران . ١٩٨١ .

- **على طريق محو الأمية في القطر العربي السوري ١٩٤٥ - ١٩٨١** . (دراسة) . سميح عيسى . دمشق . ١٩٨٢ .

- **مصادر التراث العسكري عند العرب . (المجلد الأول - الثاني - الثالث)** . تأليف : كوركيس عواد . بغداد . ١٩٨٢ .

- **محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي** . د . خير الله عصار . الجزائر . ١٩٨٢ .

- **دراسة مقارنة عن التعليم الصناعي في دول الخليج العربي** . مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ١٩٨٠ .

- **محاضرات في النهضة العربية الحديثة** . د . ضيف الله محمد الأخضر . الجزائر . ١٩٨١ .

- **التربية والتعبئة الوطنية** . سعيد التل . عمان . ١٩٨٣ .

- **التعليم المصغر كتقنية متطورة للتدريب** . د . أحمد الخطيب . عمان . ١٩٨٢ .

- **وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . (الجزء الأول : المادة اللغوية)** . مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ١٤٠١ .

- **الخطط والبرامج التعليمية في دول الخليج العربية (دراسة**

مسحية تحليلية) . مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ١٩٨٣ .

- **دراسة مقارنة للاهدار التربوي في دول الخليج العربية .** مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ١٩٨٣ .

- **وقائع الندوة الفكرية الأولى لرؤساء الجامعات الخليجية العربية (البحرين ٩ ـ ١٢ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ / ٤ ـ ٧ يناير . ١٩٨٢ م)** مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض . ١٩٨٣ .

- **رواية المستقبل** ، تأليف : أنابيس فن . ترجمة : محمود منقذ الهاشمي . دمشق . ١٩٨٣ .

- **الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية** . د . محمد موفاكو (سلسلة عالم المعرفة) . الكويت . ١٩٨٣ .

- **مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية** . عبد العزيز بن عبد الجليل (سلسلة عالم المعرفة) . الكويت . ١٩٨٣ .

- **بنو الإنسان** . تأليف بيتر فارب . ترجمة : زهير الكرمي (سلسلة عالم المعرفة) . الكويت . ١٩٨٣ .

- **مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة** . تأليف : جيرجين و . ماير أرندت . ترجمة : د . عمر حسن الشيخ . مراجعة : د . أحمد سالم . عمان . ١٩٨٣ .

- **مبادىء علم الاجتماع** . هنري مندراس . ترجمة : د . ملحم حسن . الجزائر .

- **القيود الاجتماعية للنمو الاقتصادي** . تأليف : فريد هيرش . ترجمة : رفيق جبور . دمشق . ١٩٨٢ .

- **الاستقراء والحدس في التفكير العلمي** . تأليف : بيتر مدور . ترجمة : د . بلال الجيوسي . دمشق . ١٩٨٢ .

- **التكنولوجيا** . تأليف : جان كلود بون . ترجمة : جورج كرم . مراجعة : الياس بديوي . دمشق . ١٩٨٢ .

- **الاقتصاد والمجتمع (الإكراه - التبادل - الهبة)** . تأليف : فرانسوا بيرو . ترجمة : د . كال غالي . مراجعة : أديب اللجمي . تقديم : أنطون مقدسي . دمشق . ١٩٨٢ .

- **المجتمع الحديث في أبعاده الأساسية . (الجزء الأول والثاني)** . مجموعة من المؤلفين . ترجمة : وجيه أسعد . دمشق . ١٩٨٣ .

- **التجدد الاجتماعي (المنظومات الحية - ثبات - وتغير) (القسم الأول والثاني)** . ايف باريل . ترجمة : ناجي الدراوشة . دمشق . ١٩٨٢ .

- **عوالم ضمن عوالم (قصة الطاقة النووية)** . ايساك آزيموف . ترجمة واعداد : المهندس : محمدأنس خوجه د . المهندس : مظفر شعبان . المهندس : سمير شعبان . دمشق . ١٩٨٣ .

- **الرياضيات العامة (الجبر والتحليل) (القسم الثالث / الوسائل والطرائق الرياضية)** . تأليف : س . بيزو . و م . زمانسيكي . ترجمة : د . عدنان الحموي . دمشق . ١٩٧٨ .

- **مصطلحات علمية** . المجمع العلمي العراقي . بغداد . ١٩٨٢ .

- The Sind bad Voyage , Tim Severin . , London 1982 .

- La Traduction par les textes , Camille Hechaimé . Alep . 1982 .

- American Novels of the Nineteenth Century . James R . Nesieby . Aleppo . 1983 .

- Simple Phonetics , Ziad Kebbé , Aleppo , 1982 .

- Your Guide to Composition . James R . Nesteby , Aleppo , 1982 .

- English Renaissance Poetry and analytical study of con cepts , sources , and techniques , Isoled Schicker . Aleppo , 1982 .

- A course in English Composition and Comprehnsion . (1) , Ahmed M . Hassani , Aleppo , 1982 .

غزوة بدير

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والخمسين

(المقالات) الصفحة

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الفهارس العامة للمجلد الثامن والخمسين

أ ـ فهرس كُتّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

ب ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی